الجزء ١١

كتاب

كامل التواريخ

تصنيف الشيخ العلامة عز الدين ابي الحسن علي ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف

بابن الاثير



طبع في مدينة اوبسالة المحروسة بمطبع المدرسة

سنة ١٨٥١ المسيحية

كتاب

كامل الزيارات

اليه وقاتلوه فهزموه واكثروا القتل في عسكره ومضى هو ومن سلم معه الى
قلعة بعرين فتحصّنوا فيها وامتنعوا من التركمان . فحصرهم التركمان
فيها فلمّا طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارسًا
من اعيان اصحابه سرًّا فنجوا وساروا الى طرابلس وترك الباقين في بعرين
يحفظونها فلمّا وصل الى طرابلس كاتب جميع الفرنج فاجتمع عنده
منهم خلق كثير وتوجّه بهم نحو التركمان ليرحّلهم عن بعرين فلمّا
سمع التركمان بذلك قصدوهم والتقوهم وقتل بينهم خلق كثير واشرف
الفرنج على الهزيمة فجمعوا نفوسهم وعادوا على حميّة الى رفنية فتعذّر على
التركمان اللحاق بهم الى وسط بلادهم فعادوا عنهم راجعين *

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اشترى الاسمعيليّة بالشام قلعة حصن القدموس
من صاحبه ابن عمرون وصعدوا اليه وقاموا بحرب من يجاورهم من
المسلمين والفرنج وكانوا كلّهم يكرهون مجاورتهم ، وفيها وقع الخلف [illegible]
فقاتل بعضهم بعضًا ولم تجر لهم بذلك عادة قبل هذه السنة وقُتل
بينهم جماعة ، وفيها في جمادى الآخرة اغار الامير سوّار مقدّم عسكر
زنكي بحلب على ولاية تلّ باشر فغنم الكثير فخرج اليه الفرنج في جموع
كثيرة فقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وكان عدّة القتلى نحو الف
قتيل وعاد سالمًا ، وفيها تاسع ربيع الآخر وثب على شمس الملوك صاحب
دمشق بعض مماليك جدّه طغدكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه شيئًا
وتكاثر عليه مماليك شمس الملوك فأخذوه وقرّر ما الذي حمله على ما
فعل فقال اردتُ اراحة المسلمين من شرّك وظلمك ولم يزل يُضرب حتّى
اقرّ على جماعة انّهم وضعوه على ذلك فقتلهم شمس الملوك بغير تحقيق
وقتل معهم اخاه سونج فعظم ذلك على الناس ونفروا عنه ، وفيها توفّي
الشيخ ابو الوفاء الفارسيّ وكان له جنازة مشهودة حضرها اعيان
بغداد ، وفيها في رجب توفّي القاضي ابو العبّاس احمد بن سلامة بن
عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبيّ الفقيه الشافعيّ قاضي الكرخ
وتفقّه على ابي اسحق وابي نصر بن الصبّاغ وسمع الحديث ورواه وكان
قريبًا من الخليفة يؤدّب اولاده ، وتوفّي ابو الحسين عليّ بن عبد الله بن

نصر المعروف بابن الراشوقى¹ الفقيه الحنبلى الواعظ وكان ذا فنون تنوفى فى المحرّم، وتوفى علىّ بن يعلى بن عوض بن القسم الهروى كان واعظًا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فاكثر، ومحمّد بن احمد بن على ابو عبد الله الحرّانى وهو من اولاد محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وكان محمّد يلقّب بالديباج لحسنه واصله من مكّة وهو من اهل نابلس وكان مغاليًا فى مذهب الاشعرىّ وكان يعظ توفى فى صفر، وفيها توفى ابو فلننة² امير مكّة وولى الامارة بعده ابنه القسم، وفيها توفى العزيز بن هبة الله بن علىّ الشريف العلوىّ الحسينى فجأةً بنيسابور وكان جدّه نقيب النقباء بخراسان وعرض على العزيز هذا نقابة العلويّين فامتنع وعرض عليه وزارة السلطان فامتنع ولزم الانقطاع والاشتغال بالله [الى] اخرته، وفيها توفى قاضى قضاة خراسان ابو سعيد محمّد بن احمد ابن صاعده وكان حسنًا صالحًا ✿

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، سنة ٥٢٨

ذكر ملك شمس الملوك شقيف تيرون ونهبه بلد الفرنج

فى هذه السنة فى المحرّم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق منها الى شقيف تيرون وهو فى الجبل المطلّ على بيروت وصيدا وكان بيد الضحّاك بن جندل رئيس وادى التيم قد تغلّب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج يحتمى على كلّ طائفة بالاخرى فسار شمس الملوك اليه فى هذه السنة واخذه منه فى المحرّم وعظم اخذه على الفرنج لانّ الضحّاك كان لا يتعرّض الى شىءٍ من بلادهم المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلمّا اجتمعت ساروا الى بلد حوران فخرّبوا امهات البلد ونهبوا ما امكنهم نهبه وكان شمس الملوك لمّا رآهم يجمعون جمع هو ايضًا وحشد وحضر عنده جمعٌ كثيرٌ من التركمان وغيرهم فنزل بازاء الفرنج وجرت بينهم مناوشة عدّة ايّام ثم انّ شمس الملوك نهض ببعض عسكره وجعل الباقى قبالة الفرنج وهم لا يشعرون وقصد بلدهم طبريّة والناصرة وعكّا وما يجاورها من البلاد فنهب وخرّب

---

¹) الراعونى ²) مليته

واحرق وسبى النسآء والذرّية وامتلات ايدى مّن معه من الغنايم واتّصل الخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا فى الحال لا يلوى اخ على اخيه وطلبوا بلادهم واما شمس الملوك فانّه عاد الى عسكره على غير الطريق الذى سلكه الفرنج فوصل سالما وراى الفرنج بلادهم خرابا ففتّ فى اعضادهم وتفرّقوا وراسلوا فى تجديد الهدنة فهادنهم شمس الملوك فى ذى القعدة للسنة ::

ذكر عود الملك طغرل[1] الى الجبل وانهزام الملك مسعود

فى هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمّد بن ملكشاه ملك بلاد الجبل جميعها واجلى عنها اخاه السلطان مسعودا وسبب ذلك انّ مسعودًا لمّا عاد من حرب اخيه طغرل بلغه عصيان داود بن اخيه السلطان محمود باذربيجان فسار اليه وحصره بقلعة روئين دز فتحصّن بها واشتغل بحصره فجمع الملك طغرل العساكر واستمال بعض قوّاد مسعود ولم يزل يفتتح البلاد فكثرت عساكره وقصد مسعودا فلمّا قارب قزوين سار مسعود نحوه فلمّا تراءى العسكران فارق مسعودا من امرائه من كان قد استماله طغرل فبقى فى قلّة من العسكر فولّى منهزما اواخر رمضان وارسل الى المسترشد بالله فى القدوم بغداد فاذن له وكان نائبه باصفهان البقش[2] السلاحىّ ومعه الملك سلجوق[3] شاه فلمّا سمع بانهزام مسعود قصد بغداد ايضا فنزل سلجوق[3] شاه بدار السلطان فاكرمه الخليفة وانفذ اليه عشرة آلاف دينار ثم قدم مسعود بغداد واكثر اصحابه ركاب جمال لعدم ما يركبونه ولقى فى طريقه شدّة فارسل اليه الخليفة الدوابّ والخيم والآلات وغيرها من الاموال والثياب فدخل الدار السلطانيّة ببغداد منتصف شوّال وقام طغرل بهمذان ::

ذكر حصر اتابك زنكى آمد وملكه قلعة الصور

فى هذه السنة اجتمع اتابك زنكى وتمرتاش صاحب ماردين وقصدا[4] مدينة آمد فحصراها فارسل صاحبها الى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده فجمع عسكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحلهما عنها

---

1) Ubique طغرل 2) البقش 3) سلجوق 4) وقصدوا

فانتقلوا على باب آمد وتصافّوا في جمادى الآخرة فانهزم داود وعاد مغلولاً وقتل جماعة من عسكره وأقام زنكي وتمرتاش على آمد محاصرين لها وقطعا الشجر وشعّثا البلد ثم عادا عنها من غير بلوغ غرض فقصد زنكي قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها فملكها في رجب من هذه السنة واتصل به ضياء الدين ابو سعيد بن الكفرتوثي[1] فاستوزره زنكي وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محبّا للخير

ذكر ملك زنكي قلاع الاكراد الحميدية

في هذه السنة استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الاكراد الحميدية منها قلعة العقر[2] وقلعة شوش وغيرهما وكان لما ملك الموصل اقرّ صاحبها الامير عيسى الحميدي على ولايتها واعمالها ولم يعترضه على شيء مما هو بيده فلمّا حصر المسترشد الموصل حضر هذا عيسى عنده وجمع الاكراد عنده فاكثر فلمّا رحل المسترشد عن الموصل امر زنكي ان تُحصر قلاعهم فحُصرت مدّة طويلة وقوتلت قتالا شديدًا الى ان مُلكت هذه السنة فاطمانّ اذا اهل السواد المجاورون لهولاء القوم فانهم كانوا معهم في ضائقة كبيرة من نهب اموالهم وخراب البلاد

ذكر ملك قلاع الهكارية وكواشي

وحكى عن بعض العلماء من الاكراد ممن له معرفة باحوالهم انّ اتابك زنكي لما ملك قلاع الحميدية واجلاهم عنها خاف ابو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة اشب والجزيرة ونوشي فارسل الى اتابك زنكي من استحلفه له وحمل اليه مالا وحضر عنده[3] زنكي بالموصل فبقي مدّة ثم مات فدفن بتلّ توبة ولما سار عن اشب الى الموصل اخرج ولده احمد بن ابي الهيجاء منها خوفا ان يتغلّب عليها واعطاه قلعة نوشي وهذا احمد هو والد عليّ بن احمد المعروف بالمشطوب من اكابر امراء صلاح الدين بن ايّوب بالشام ولما اخرجه ابوه من اشب استناب بها كرديًّا يقال له باو الارجيّ فلمّا مات ابو الهيجاء سار ولده احمد من نوشي الى اشب ليملكها فمنعه باو واراد حفظها لولد صغير لابي الهيجاء اسمه

---

1) الكفرتوثي 2) العقر 3) عنده

على فسار زنكى بعسكره فنزل على اشب وملكها، وسبب ملكها انّ اهلها نزلوا كلّهم الى القتال فتركهم زنكى حتّى قاربوه واستجرّهم حتى ابعدوا عن القلعة ثمّ عطف عليهم فانهزموا فوضع السيف فيهم فاكثر القتل والاسر وملك زنكى القلعة فى الحال واحضر جماعة من مقدّمى الاكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها الى الموصل، ثمّ سار منها فهى غيبته ارسل نصير الدين جقر[1] نايب زنكى وخرّب اشب وخلّى كهيجة ونوسى وقايعة الجلاب وهى قلعة العمادية وارسل الى قلعة الشعبانى وفرح وكوشر والزعفران والقى ونسروة وهى حصون المهرانية فحصرها فملك الجميع واستقام امر الجبل والزوزان وامنت الرعايا من الاكراد، وامّا باقى قلاع الهكّارية جبل صور[2] وهرور والملاسى ومابرما وبابوخا وباكزا ونسباس فانّ قراجا صاحب العمادية فتحها من مدّة طويلة بعد قتل زنكى وهذا قراجا كان اميرًا قد اقطعه زين الدين علىّ بلد الهكّارية بعد قتل زنكى، ولم اعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته هاهنا وحكى غير هذا بعض فضلاء الاكراد وخالف فيه فقال انّ زنكى لمّا فتح قلعة اشب [illegible] قلعة العمادية ولم يبق فى الهكّارية الّا صاحب جبل صور وصاحب هرور ولم يكن لها شوكة يخاف منها عاد الى الموصل فخافه اصحاب القلاع الجبلية فاتّفق انّ عبد الله بن عيسى بن ابراهيم صاحب الربية والقى وفرح وغيرها توفّى وملكها بعده ولده علىّ وكانت والدته خديجة بنت الحسن اخت ابراهيم وعيسى وهما من الامرآء مع زنكى وكانا بالموصل فارسلها ولدها علىّ الى اخويها وطلبا له الامان من زنكى وحلّفاه له ففعل ونزل الى خدمة زنكى واقرّه على قلاعه واشتغل زنكى بفتح قلاع الهكّارية، وكان الشعبانى بيد امير من المهرانية اسمه الحسن بن عُمر فاخذه منه وقرّبه منه لكبره وقلّة اعماله وكان نصير الدين جقر يكره عليًّا صاحب الربية وغيرها فحسّن لزنكى القبض عليه فاذن له فى ذلك فقبض عليه ثمّ ندم زنكى على قبضه فارسل الى نصير الدين ان يطلقه فرآه قد مات قيل انّ نصير الدين قتله ثمّ ارسل العسكر

---

[1] حور [2] جل وصورا

الى قلعة اشيب فنازلوها بغتة فملكوها فى ساعة واسروا كل من بها من ولد على واخوته واخواته ووالدة على خديجة غائبة فلم توجد فلمّا سمع زنكى الخبر بفتح الاشيب سرّه وامر ان تسير العساكر الى باقى القلاع التى لعلى فسارت العساكر فحصروها فرأوها منيعة فراسلهم زنكى ووعدهم الاحسان فاجابوه الى التسليم على شرط ان يطلق كل من فى السجون منهم فلم يجبهم الى ذلك الّا ان يسلّموا ايضًا قلعة دواشى فمضت خديجة والدة على الى صاحب دواشى واسمه خول وهو من المهرانيّة فسألته النزول عن دواشى فاجابها الى ذلك وتسلّم زنكى القلاع واطلق الاسرى فلم يُسمع بمثل هذا فقيل ينزل من مثل دواشى لقول امراة فامّا ان يكون اعظم الناس مروءةً لا يردّ من دخل بيته وامّا ان يكون اقلّ الناس عقلًا واستقامت ولاية الجبال ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اوقع الدانشمند[1] صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرًا منهم، وفيها اصطلح الخليفة والاتابك زنكى، وفيها فى ربيع الاوّل عُزل انوشروان بن خالد عن وزارة الخليفة، وفيها توفيت امّ المسترشد بالله، وفيها سيّر المسترشد عسكرًا الى تكريت يحصروا مجاهد الدين بهروز[2] فدافع عنها بمال فعادوا عنه، وفيها اجتمع من العساكر السنجريّة مع الامير ارغش وحصروا قلعة كردكوه بخراسان وهى للاسماعيليّة وضيّقوا على اهلها وطال حصرها وعدمت عندهم الاقوات فاصاب اهلها تشنّجٌ وكزازٌ وعجز كثير منهم عن القيام فضلًا عن القتال فلمّا ظهرت امارات الفتح رحل الامير ارغش فقيل انّهم حملوا اليه مالًا كثيرًا واعلاقًا نفيسة فرحل عنهم، وفيها توفّى الامير سليمن بن مهارش العقيلى امير بنى عقيل وولى الامارة بعده اولاده مع صغر سنّهم وضيف بهم فى بغداد رعايةً لحقّ جدّهم مهارش فانّه هو الذى كان الخليفة القايم بامر الله عنده لمّا فعل به البساسيرى ما ذكرنا، وفيها توفّى الفقيه ابو على الحسن بن ابرهيم بن فرعون الشافعى الفارقى ومولده سنة ثلاث وثلاثين

---
1) الداشمند   2) بهروز

واربعمائة وتفقّه على ابى عبد الله الكازرونىّ فلمّا توفّى الكازرونىّ انحدر الى بغداد وتفقّه على ابى اسحق الشيرازىّ وابى نصر الصبّاغ وولى القضاء بواسط وكان خيّرا فاضلًا لا يوارى ولا يحابى احدًا فى الحكم، وفيها توفّى عبد [الله] بن محمّد بن احمد بن الحسن ابو محمّد بن ابى بكر الفقيه الشافعىّ تفقّه على ابيه وكان يعظ وبحشر فى كلامه من التجنيس فمن ذلك قوله ايّها الفدود العانيّة، والخدود الوردنيّة، منلت بها والله العافية، والوردنيّة، وهما مقبرتان بنهر معلّى، ومن شعره

الدمع دمًا يسيل من اجفانى   ان عشت مع البكاء فقد أحيانى
تجنى شجنى وتجرى سمّانى   العاذل بالملام قد أشجانى
والذكر لهم يزيد فى اشجانى   والنوح مع الحمام قد اسجانى
ضاقت ببعاد منيتى اعطانى[1]   والبين يد الهموم قد اعطانى،

وفيها توفّى ابن ابى الصلت الشاعر ومن شعره يذمّ ثقيلا

لى صديق تجيئ كيف أستثناعت   هذه الارض والجبال نسقته
انا أرعاه مكرمًا وبقلبى   منه ما يتلف الجبال اقلّه
هو مثل المشيب اكره روبـ   ـته ولكن اصونه وأجلّه

وله ايضًا   سادّ صغار الناس من عصرنا   لا دام من عصر ولا دمّا
كالدّست مهما همّ أن ينقضى   صار به البيدق فرزانه

وفيها توفّى محمّد بن علىّ بن عبد الوهّاب ابو رشيد الفقيه الشافعىّ من اهل طبرستان وسمع الحديث ايضا وراه وكان زاهدا عابدا اقام بالجزيرة وهى جزيرة ابن عُمر سنين منقطعا يعبد الله سبحانه وتعالى وعاد الى آمل[2] وقبره بها.

سنة ٥٢٩ ثمّ دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة،

ذكر وفاة الملك طغرل وملك مسعود بلد الجبل

قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود الى بغداد منهزمًا من اخيه الملك طغرل وانّ الخليفة اكرمه وحمل اليه ما يحتاج اليه منه وامره بالمسير الى همذان وجمع العساكر ومنازعة اخيه طغرل فى السلطنة

---

1) ا 2) آمد

والبلاد ومسعود يَعِد ويدافع الايّام والخليفة يحثّه على ذلك ووعده ان يسير معه بنفسه وامر ان يبرز خيامه الى باب الخليفة، وكان قد اتّصل الامير البقش السلاحيّ وغيره من الامراء بالخليفة وطلبوا خدمته فاجابهم وصاروا معه واتّفق انّ انسانا أُخِذ فوُجِد معه مُلطّفات من طغرل الى هولاء الامراء بالاستمالة لهم فلمّا راى الخليفة ذلك قبض على امير منهم اسمه عليك ونهب ماله فاستشعر غيره من الامراء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فارسل الخليفة اليه في اعادتهم اليه فلم يفعل واحتجّ بشىء فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة اوجبت تاخّره عن المسير معه وارسل اليه يلزمه بالمسير معه امرا جزما، فبينما الامر على هذا اذ جاء الخبر بوفاة اخيه طغرل وكانت وفاته في المحرّم من هذه السنة وكان مولده سنة ثلث وخمسمائة في المحرّم وكان خيّرًا عاقلا عادلا قريبا الى الرعيّة محسنا اليهم وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال اخيه مسعود فدعا له الناس فقال ادعوا بخيرنا للمسلمين ولمّا توفّى ووصل الخبر الى مسعود سار من ساعته نحو همذان واقبلت العساكر جميعها اليه واستوزر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان قد خرج بصحبته هو واهله ووصل مسعود الى همذان واستولى عليها واطاعته البلاد جميعها واهلها.

ذكر قتل شمس الملوك وملك اخيه

في هذه السنة رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بورى بن طغدكين صاحب دمشق وسبب قتله انّه ركب طريقا من الظلم ومصادرات العمّال وغيرهم من اعمال البلد وبالغ في العقوبات لاستخراج الاموال وظهر منه بخل زايد ودناءة نفس بحيث انّه لا يانف من اخذ الشئ الحقير بالعدوان الى غير ذلك من الاخلاق الدنيّة وكرهه اهله واصحابه ورعيّته، ثمّ انّه ظهر عنه انّه كاتب عماد الدين زنكى انّه يسلّم اليه دمشق ويحثّه على سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخائر والاموال ونقل الجميع الى صرخد وتابع الرسل الى زنكى يحثّه على الوصول اليه ويقول له ان اهملت المجئ سلّمت البلد

الى الفرنج، فسار زنكى فظهر الخبر بذلك فامتنعت اصحاب ابيه وجدّه واقلقهم وذكروا الحال لوالدته فساءها واشفقت منه وعدتهم بالراحة من هذا الامر ثم انها ارتقبت الفرصة فى الخلوة من غلمانه فلمّا رءاته على ذلك امرت غلمانها بقتله فقتل وامرت بالقائه على موضع فى الدار ليشاهده غلمانه واصحابه فلمّا رءاوه قتيلاً سُرّوا لمصرعه وبالراحة من شرّه وكان مولده سابع جمادى الاخرة سنة ستّ وخمسمائة، وقيل كان سبب قتله انّ والده كان له صاحبٌ اسمه يوسف بن فيروز وكان متمكّنًا منه ماكنًا فى دولته ثم فى دولة شمس الملوك بعده فاتّهم بامّ شمس الملوك ووصل الخبر اليه بذلك فهمّ بقتل يوسف فهرب منه الى تدمر وتحصّن بها واظهر الطاعة لشمس الملوك فاراد قتل أمّه فبلغها الخبر فقتلته خوفًا منه والله اعلم ولمّا قُتل ملك بعده اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك وحلف له الناس واستقرّ له الملك بعده والله اعلم ؞

ذكر حصر اتابك زنكى دمشق

فى هذه السنة حصر اتابك زنكى دمشق ونزلها اوّل جمادى الاولى وسببه ما ذكرنا من ارسال شمس الملوك صاحبها اليه يستدعيه ليسلّمها اليه فلمّا [وصلت] كتبه ورسله سار اليها فقتل شمس الملوك قبل وصوله ولمّا عبر الفراة ارسل اليه رسلاً فى تقرير قواعد التسليم فرءاوا الامر قد فات الّا انّهم أُكرموا واحسن المقام واعيدوا باجمل هيئة وعرّفوا زنكى بقتل شمس الملوك وانّ البلد عنده مستقرّة لشهاب الدين والكلمة متّفقة على طاعته فلم يحفل زنكى بهذا الجواب وسار الى دمشق فنازلها واجفل اهل السواد اليه واجتمعوا فيها على محاربته ونزل اوّلاً شمالها ثم انتقل الى ميدان الحصى وزحف وقاتل فراى قوّة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتّفاقًا تامًّا على محاربته، وقام معين الدين أُنر مملوك جدّه طغدكين فى هذه الحادثة بدمشق قيامًا مشهودًا وظهر من معرفته بامور الحصار والقتال وكفايته ما لم نره وكان سبب تقدّمه واستيلائه على الامور باسرها على ما نذكر ان شاء الله تعالى فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة المسترشد بالله وهو

ابو بكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر حلع لاتابك زنكى وبامره بصلح صاحب دمشق الملك البارسلان محمود الذى مع اتابك زنكى فرحل عنها لليلتين مضين من جمادى الاولى من السنة المذكورة ٭

ذكر قتل حسن بن الحافظ

قد ذكرنا سنة ستّ وعشرين وخمسمائة انّ الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حسنًا وخطب له بولاية العهد فبقى الى هذه السنة ومات مسمومًا وسبب ذلك انّه كان جريًا على سفك الدماء وكان فى نفس الحافظ على الامراء الذين اعانوا ابا علىّ بن الافضل حقدٌ ويريد الانتقام منهم من غير ان يباشر ذلك بنفسه فاستوزر ابنه وامره بذلك فتغلّب على الامر جميعه واستبدّ به ولم يبق لابيه معه حكمٌ وقتل من الامراء المصريّين ومن اعيان البلاد جمعٌ حتّى قيل انّه قتل فى ليلة واحدة اربعين اميرًا فلمّا راى ابوه تغلّبه عليه اخرج له خادمًا من خدم القصر الاكابر فجمع الجموع وحشد من الرجّالة خلقًا كثيرًا وتقدّم الى القاهرة ليقاتل حسنًا ويخرجه منها فارسل له جماعة من خواصّه واصحابه فقتلوهم فانهزم الخدم وقُتل معه الرجال الذين معه وعبر الباقون الى الجيزة فاستدنى الحافظ فصير تحت الحجر ثمّ انّ الباقين من الامراء المصريّين اجتمعوا واتّفقوا على قتل حسن وارسلوا الى ابيه الحافظ وقالوا له امّا انّك تسلّم ابنك الينا لنقتله او نقتلكما جميعًا فاستدعى ولده اليه واحتاط عليه وارسل الى الامراء بذلك فقالوا لا نرضى الّا بقتله فراى انّه ان سلّمه اليهم طمعوا فيه وليس الى ابقيه سبيل فاحضر طبيبَيْن كان له احدهما مسلم والاخر يهودىّ فقال لليهودىّ نريد سمًّا نسقيه لهذا الولد ليموت واتخلّص من هذه الحادثة فقال انا لا اعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الادوية فقال انا اريد ما اتخلّص به من هذه المصيبة فقال له لا اعرف شيئًا فاحضر المسلم وامره بذلك فصنع له شيئًا فسقاه الولد فمات لوقته فارسل الحافظ الى الجند يقول لهم انّه قد مات فقالوا نريد ننظر اليه فاحضر بعضهم عنده فرءوا وظنّوه قد عمل حيلة فجرحوا اسافل رجليه فلم يجر منها دم فعلموا موته ودُفن حسن واحضر

الحافظ الطبيب المسلم وقال له اخرج من عندنا من القصر وجميع ما
لك من الانعام والجامكية باق عليك واحضر اليهودىّ وقال اعلم انّك
تعرف ما طلبته منك ولكنّك عاقلٌ فتقيم فى القصر عندنا وكان حسن
سيّئ السيرة ظالمًا جريًّا على سفك الدماء واخذ الاموال فهجاه الشعراء
فمن ذلك ما قال المعتمد بن الانصارىّ صاحب الترسّل المشهور

لم تات يا حسنٌ بين الورى حسنًا ولم ترَ الحقّ فى دنيا ولا دين
قتل النفوس بلا جرم ولا سبب والجور فى اخذ اموال المساكين
لقد جمعتَ بلا علم ولا ادب تيه الملوك واخلاق المجانين

وقيل انّ الحافظ لمّا راى ابنه تغلّب على الملك وضع عليه مَن سقاه
السمّ فمات والله اعلم، ولمّا مات حسن استوزر الحافظ الامير تاج الدولة
بهرام وكان نصرانيًّا فتحكّم واستعمل الارمن على الناس فاستذلّوا المسلمين
وسنذكر اخباره سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ان شاء الله تعالى

ذكر مسير المسترشد الى حرب السلطان مسعود وانهزامه

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان
مسعود فى شهر رمضان، وسبب ذلك انّ السلطان مسعودًا لمّا سار عن
بغداد الى همذان بعد موت اخيه طغرل وملكها فارقه جماعة من اعيان
الامراء منهم برنقش[1] بازدار وقزل اخر وسنقر الخمارتكين والى همذان وعبد
الرحمن بن طغايرك[2] وغيرهم خائفين منه مستوحشين ومعهم عدد
كثيرٌ ومعهم دُبيس بن صدقة وارسلوا الى الخليفة يطلبون منه الامان
ليحضروا فى خدمته فقيل له انّها مكيدة لانّ السلطان مسعودًا وساروا
نحو خوزستان واتّفقوا مع برسق بن برسق فارسل الخليفة اليهم
سديد الدولة ابن الانبارىّ بتوقيعه الى الامراء المذكورين يطيّب
نفوسهم والامر بحضورهم وكان الامراء المذكورون قد عزموا على قبض
دبيس والتقرّب الى الخليفة بحمله اليه فبلغه ذلك فهرب الى السلطان
مسعود وسار الامراء الى بغداد فى رجب فاكرمهم الخليفة وحمل اليهم
الاقامات والخلع وقُطعت خطبة السلطان مسعود من بغداد وبرز الخليفة

---

1) يرنقش 2) طغايرك

في العشرين من رجب على عزم المسير الى قتال مسعود وادم في السفيعي[1]
فعصى عليه بكبه[2] صاحب البصرة فهرب اليها فراسله وبذل له الامان
فلم يعد اليه وتربّث الخليفة عن المسير وهولاء الامراء يحسّنون له
الرحيل ويسهّلون عليه الامر ويصغّرون عنده امرَ السلطان مسعود
فسيّر مقدّمته الى حلوان فنهبوا البلاد وافسدوا ولم يقدر عليهم شيء
ثم سار الخليفة من بغداد ولحق به في الطريق الامير برسق بن
برسق[3] فبلغت عدّتهم سبعة آلاف فارس وكان بالعراق مع شحنة خادم
المسترشد بالله ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان مسعود بهمدان في نحو
الف وخمس مئة فارس وكان اكثر اصحاب الاطراف يكاتبون الخليفة
ويبذلون[4] له الطاعة فتمّت في ذلك فسلم السلطان مسعود
اكثره[5] حتى عادوا انهم صاروا نحو خمسة عشر الف فارس وتسلّل
جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقي في خمسة آلاف وارسل اتابك
زنكي نجدة فلم يلحق وارسل الملك داود بن السلطان محمود وهو
باذربيجان الى الخليفة يشير بالميل الى الدينور ليحضر بنفسه وعسكره
فلم يفعل المسترشد وسار حتى بلغ دايمرج[5] وعبّى اصحابه فجعل في الميمنة
برنقش[6] بازدار ونور الدولة سنقر وقزل اخر وبرسق بن برسق وجعل
في الميسرة جاولي وبرسق شراب سلار وغلبك[7] الذي كان الخليفة قد
قبض عليه واخرجه من محبسه ولمّا سمع السلطان مسعود خبرهم سار
اليهم مجدّا فواقعهم بدايمرج عاشر رمضان وانحازت ميسرة الخليفة الى
السلطان مسعود فصارت معه واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان
قتالا ضعيفا ودارت عساكر السلطان حول عسكر الخليفة وهو ثابت
لم يتحرّك من مكانه وانهزم عسكره واخذ هو اسيرا ومعه جمع كثير
من اصحابه منهم الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي وقاضي القضاة
وصاحب المخزن ابن طلحة وابن الانباري والخطباء والفقهاء والشهود
وغيرهم وانزل الخليفة في خيمة وغنموا ما في معسكره وكان كثيرا
فحمل الوزير وقاضي القضاة وابن الانباري وصاحب المخزن وغيرهم من

---

1) C. P. et 740. Ups: السفيعي 2) C. P. 740: بكبه Ups: ملمه 3) Hoc solo loco: برشق بن برشق 4) ويبذلون 5) قاسم 6) مرنقش 7) اغلبك

الاكابر الى قلعة سرجهان وباع الباقون نفوسهم بالثمن الطفيف ولم يقتل في هذه المعركة احدٌ وهذا اعجب ما يُحكى وعاد السلطان الى همذان وامر فنودى مَن تبعنا الى همذان من البغاددة فلسنا فرجع الناس كلّهم على اقبح حال لا يعرفون طريقًا وليس معهم ما يحملهم وسيّر السلطان الامير بك ابه[1] المحمودىّ الى بغداد شحنةً فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد فقبضوا جميع املاك الخليفة واخذوا غلّاتها وثار جماعة من عامّة بغداد فكسروا المنبر والشباك ومنعوا من الخطبة وخرجوا من الاسواق يحثّون التراب على رؤسهم ويبكون ويصيحون وخرج النسآء حاسرات في الاسواق يلطمن واقتتل اصحاب الشحنة وعامّة بغداد فقُتل من العامّة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلا[2] وهرب الوالى وحاجب الباب وامّا السلطان فانّه سار في شوّال من همذان الى مراغة لقتال الملك داود ابن اخيه محمود وكان قد عصى عليه ونزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه فتردّدت الرسل بين الخليفة وبين السلطان في الصلح فاستقرّت القاعدة على ما نذكره ان شآء الله والله الموفّق

ذكر قتل المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله

لمّا قُبض المسترشد بالله ابو منصور بن الفضل بن المستظهر بالله ابى العبّاس احمد على ما ذكرناه جعله السلطان مسعود في خيمة ووكّل به مَن يحفظه وقام بما يجب من خدمته وتردّدت الرسل بينهما في تقرير قواعد الصلح على مال يؤدّيه الخليفة وان لا يعود يجمع العساكر وان لا يخرج من داره فاجاب السلطان الى ذلك وركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق الّا ان يعود الى بغداد فوصل الخبر انّ الامير قزان خوان قد ورد رسولا من السلطان سنجر فتاخّر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس مع السلطان مسعود الى لقآيه وفارق الخليفة بعضُ مَن كان موكّلا به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده اربعة وعشرون رجلا من الباطنيّة دخلوا عليه فقتلوه وجرحوه على ما يزيد على عشرين جراحة ومثّلوا به فجدعوا

---

[1] C P. et 740. Ups: باك ابه   [2] قتيل

انفه واذنيه وتركوه عريانًا وقُتل معه نفر من اصحابه منهم ابو عبد الله بن سُكينة وكان قتله يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة وبقى حتّى دفنه اهل مراغة، واما الباطنيّة فقُتل منهم عشرة وقيل بل قُتلوا جميعهم والله اعلم، وكان عمره لمّا قُتل ثلاثًا واربعين سنة وثلاثة اشهر وكانت خلافته سبعة عشر سنة وستّة اشهر وعشرين يومًا وأُمّه امّ ولد وكان شهمًا شجاعًا كثير الاقدام بعيد الهمّة واخباره المذكورة تدلّ على ما ذكرناه وكان فصيحًا بليغًا حسن الخطّ ولقد رايتُ خطّه فى غاية الجودة ورايتُ اجوبته على الرقاع من احسن ما يكتب وافصحه، ولمّا قُتل المسترشد بالله بويع ابنه الراشد بالله ابو جعفر المنصور ولُقّب الراشد بالله وكان ابوه قد بايع له بولاية العهد فى حياته وجُدّدت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة وكتب السلطان مسعود الى بك ابه[1] الشحنة ببغداد ليبايع له وحضر الناس البيعة وحضر بيعته احدٌ وعشرون رجلاً من اولاد الخلفاء وبايع له الشيخ ابو النجيب ووعظه وبالغ فى الموعظة، واما جمال الدولة المسترشدى فانّه كان ببغداد فى طايفة من العسكر فلمّا جرت هذه الحادثة عبر الى الجنب الغربىّ واصعد الى تكريت وراسل مجاهد الدين بهروز[2] وحلّفه وصعد اليه [الى] القلعة ☆

ذكر مسير السلطان سنجر الى غزنة وعوده عنها

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار السلطان سنجر من خراسان الى غزنة وسبب انّه نُقل اليه عن صاحبها بهرام شاه انّه تغيّر عن طاعته وانّه قد مدّ يده الى ظلم الرعايا واغتصاب اموالهم وكان السلطان سنجر هو الذى ملّك غزنة وقد ذكرناه سنة تسع وخمسمائة فلمّا سمع هذه الاخبار المزعجة سار الى غزنة لياخذها او يصلحه فلمّا راى الطريق وابْعد ادركهم شتاءٌ شديد البرد كثير الثلج وتعذّرت عليهم الاقوات والعلوفات فشكى العسكر الى السلطان ذلك وذكروا له ما هم فيه من الضيق وتعذّر ما يحتاجون اليه فلم يجب عنه بغير

---

1) C. P. et 470. Ups: بداية   2) بهروز

المقدّم امامه فلمّا قارب غزنة ارسل بهرام شاه الى سنجر رسلا يتضرع ويسأل الصفح عن جرمه والعفو عن ذنبه فارسل اليه سنجر المقرّب جوهر الخادم وهو اكبر امير عنده ومن جملة اقطاعه مدينة الريّ في جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه ان حضر عنده وعاد الى طاعته فلمّا وصل الى بهرام شاه اجابه الى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور عنده بنفسه واظهر من الطاعة والانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيًا كثيرًا وعاد المقرّب جوهر ومعه بهرام شاه الى سنجر فلمّا قاربه سبق المقرّب الى السلطان سنجر واعلمه بوصول بهرام شاه وانّه بكرة غد يكون عنده وعاد المقرّب الى بهرام شاه ليجيء بين يديه وركب سنجر من الغد في موكبه لتلقيه وتقدّم بهرام شاه ومعه المقرّب فلمّا عاين موكب سنجر والشتر[1] على راسه نكص على عقبيه عبدا فامسك المقرّب عنانه وقبّح فعله وخوّفه عاقبة ذلك فلم يسمع ووتى هاربا ولا يصدّق بنجاته ظنًّا منه انّ سنجرًا يأخذه ويملك بلده وتبعه طايفة من اصحابه وخواصّه ولم يعرّج على غزنة، وسار سنجر الى غزنة فدخلها وملكها واحتوى على جميع ما فيها وجبى اموالها وكتب الى بهرام شاه يلومه على ما فعله ويحلف له انّه ما اراد به شرًّا ولا له في بلده مطمعٌ ولا هو ممّن تلوّن صنيعته وتعقب حسنته معه سيئة وانّما قصده لاصلاحه، فاعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصّل ويقول انّ الخوف منعه من الحضور ولا لوم على مَن خاف من السلطان وتضرّع في عوده الى الاحسان فاجابه سنجر الى ان يعيد عليه بلده وفرق غزنة عايدًا الى بلاده فوصل الى بلخ في شوّال سنة ثلاثين وخمسمائة واستقرّ مُلك غزنة لبهرام شاه ورجع اليها ٭

ذكر قتل دُبيس بن صدقة بالتاريخ

في هذه السنة قتل السلطان مسعودٌ دُبيسَ بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خُوَيّ امر غلاما ارمنيًا بقتله فوقف على راسه وهو ينكت الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر، وكان ابنه صدقة

---

[1] والستر

بالحلّة فاجتمع اليه عسكر ابيه وطلبه وكثر جمعه واستماس اليه الامير قَطْلَغ[1] تكين وامر السلطان مسعود بك ابه[2] ان ياخذ الحلّة فسار بعض عسكره الى المداين واقام مدّة ينتظرون لحاق بك ابه[2]/فلم يسر اليهم جُبْنا وعجزًا عن قصد الحلّة لكثرة العسكر بها مع صدقة وبقى صدقة بالحلّة الى ان قدم السلطان مسعود الى بغداد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فقصده واصلح حاله معه ولزم باب السلطان، ومثل هذه الحادثة تقع كثيرا وهو قرب موت المتعاديين فانّ دُبيسا كان يُعادى المسترشد بالله ويكره خلافته ولم يكن يعلم انّ السلاطين انّما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عُدّة لمقاومة المسترشد فلمّا زال السبب زال المسبّب والله اعلم بذلك ❊

ذكر حصر عسكر يحيى المهديّة

في هذه السنة سيّر يحيى بن العزيز بن حمّد صاحب بجاية عسكرا ليحصروا المهديّة وبها صاحبها الحسن بن علىّ بن تميم ابن المعزّ بن باديس، وكان سبب ذلك انّ الحسن احبّ ميمون بن زيادة امير طائفة كبيرة من العرب ومال اليه واكثر الانعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا الى يحيى بن العزيز باولادهم وجعلوهم رهاين عنده وطلبوا منه ان يرسل معهم عسكرًا ليملكوا المهديّة فاجابهم الى ذلك وهو متباطئ فاتّفق انّه وصله كتب من بعض مشايخ المهديّة بمثل ذلك فوثق الى ما اتاه وسيّر عسكرا كثيرا واستعمل عليهم قيدا كبيرًا من فقهاء اصحابه يقال له مطرف بن حمدون وكان هذا يحيى بن العزيز هو والده يحطّون المعزّ بن باديس واولاده بعده/فسارت العساكر الفرس والراجل ومعهم من العرب جمع كثير حتّى نزلوا على المهديّة وحصروها برًّا وبحرًا وكان مطرف يُظهر التقشّف والتورّع عن الدماء ويقول انّ انبتُ الآن لاتسلّم البلد بغير قتال فخاب ظنّه فبقى ايّاما لم يقاتل ثمّ انّهم باشروا القتال فظهر اهل المهديّة عليهم واثّروا فيهم وتتابع القتال وفي كلّ ذلك الظفر لاهل البلد وقُتل من الخارجين الجمّ الغفير وجمع مطرف عسكره برًّا وبحرًا لمّا يئس من التسليم وقاتل اشدّ قتال فلصقت شوانيه شدلى

---

[1] قطلغ

[2] C. P. et 740. Ups. بداده

البحر وقربوا من السور فاشتدّ الامر فامر الحسن بفتح الباب وخرج اوّل الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقال انا الحسن فلمّا سمع من بهذه ذلك سلّموا عليه وانهزموا عنه اجلالاً له ثمّ اخرج الحسن شوانيه تلك الساعة من المينا فأُخذ من تلك الشوانى اربع قطع وهرب الباقون ثمّ وصلت نجدة من رجّار الفرنجىّ صاحب صقلّية فى البحر فى عشرين قطعة فحضرت شوانى صاحب بجاية فامرهم الحسن باطلاقها فاطلقوها ثمّ وصل ميمون بن زيادة فى كثير من العرب لنصرة الحسن فلمّا راى ذلك مطرف وانّ النجدات تاتى للحسن فى البرّ والبحر علم انّه لا ننوه له بهم فرحل عن المهديّة خايبًا، وادام رجّار الفرنجىّ مظهرا للحسن انّه مهادنه وموافقه وهو مع ذلك يعمّر الشوانى ويكثر عددها والانيه ۞

ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة

كانت جزيرة جربة من بلاد افريقية قد استوت فى كثرة عمارتها وخيراتها غير انّ اهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان ويعرفون بالفساد وقطع الطريق، فخرج اليها جمع من الفرنج اهل صقليّة فى اسطول كثير وجمّ غفير فيه من مشهورى فرسان الفرنج جمعه فنزلوا بساحتها وادارو المراكب بجهاتها واجتمع اهلها وقاتلوا قتالا شديدًا فوقع بين الفريقيْن وقعات عظيمة فثبت اهل جربة فقتل منهم بشرٌ كثير فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا اموالها وسبوا حريمها ونساءها واطفالها وهلك اكثر رجالها وعد من بقى منهم اخذوا لانفسهم امنًا من صاحب صقليّة وانّهم افتكّوا اسراهم وسبيهم وحريمهم والله اعلم بذلك ۞

ذكر مُلك الفرنج حصن رونة من بلاد الاندلس

فى هذه السنة اصطلح المستنصر بالله ابن هود[1] والسُليطين الفرنجىّ صاحب طليطلة مدّة عشر سنين وكان السليطين قد ادمن غزو بلاد المستنصر وقتالها حتّى ضعف صاحبُها عن مقاومته لقلّة جنوده وكثرة الفرنج فراى ان يصالحه مدّة يستريحُ فيها هو وجنوده ويعتدّون للمعاودة فترددت الرسل بينهم فاستقرّ الصلح على ان يسلّم المستنصر الى السليطين

---

1) دوهود

حصن روطه وهو من امنع الحصون واحصنه فاستفرّت القاعدة واستلحوا وتسلّموا منه الفرنج الحصن وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله احدٌ

ذكر حصر ابن ردمير مدينة افراغة وهزيمته وموته

وفي هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجيّ لعنه الله مدينة افراغة من شرق الاندلس وكان الامير تاشفين بن عليّ ابن يوسف بمدينة قرطبة اميرًا على الاندلس لابيه فجهّز الزبير بن عمرو اللمتونيّ من[1] قرطبة ومعه الفا فارس وسيّر معه ميرة كثيرة الى افراغة وكان يحيى ابن غانية الامير المشهور امير مُرسيّة وبلنسيّة من شرق الاندلس وانّما الامر بها لامير المسلمين عليّ بن يوسف فتجهّز في خمس مائة فارس وكان عبد الله بن عياض صاحب مدينة لاردة فتجهّز في مائتيْ فارس فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتّى اشرفوا على مدينة افراغة وجعل الزبير الميرة امامَهُ وابن غانية امام الميرة وابن عياض امام[2] ابن غانية وكان شجاعًا[3] وكذلك جميع مَن معه وكان ابن ردمير في اثنى عشر الف فارس فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لاصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهديّة التي ارسلها المسلمون اليكم وادركه العُجب ونفّذ قطعة كبيرة من جيشه فلمّا قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم وردّ بعضهم على بعض وقتل فيهم والتحم القتال وجآء ابن ردمير بنفسه وعسكره جميعًا مدلّين بكثرتهم وشجاعتهم فحمل ابن غانية وابن عياض في صدورهم واشتدّ الامر بينهم وعظم القتل فكثر القتل في الفرنج وخرج في خلل اهل افراغة جميعهم ذكرهم وانثاهم صغيرهم وكبيرهم الى خيم الفرنج فاشتغل الرجال بقتل مَن وجدوا في العسكر واشتغل النسآء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك الى المدينة من قوت وعُدَد والات وغيره وسلاح وغير ذلك وبينما المسلمون والفرنج في القتل اذ وصل اليهم الزبير في عسكره فانهزم ابن ردمير وعسكره ولم يسلم منهم الّا القليل ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطة فلمّا راى ما قُتل من اصحابه مات مفجوءً بعد عشرين يومًا

---

1) والي 2) امام الميرة ابن غانية 3) شهمًا

من الهزيمة، وكان اشدّ ملوك الفرنج باسا واكثرهم تجرّدًا لحرب المسلمين واعظمهم صبرًا كان ينام على طارقته بغير وطآء وقيل له الّا تتسرّيت من بنات اكابر المسلمين اللاتى سبيت منهم فقال الرجل للحرب ينبغى أن يعاشر الرجال لا النسآء، واراح الله منه وكفى المسلمين شرّه

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في شعبان زلزلت الارض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت الزلزلة شديدة وهلك فيها كثير من الناس والله اعلم

ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة، سنة ٥٣٠

ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان

في هذه السنة وصل برنقش[1] الزكوى من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقرّ على المسترشد من المال وهو اربع مائة الف دينار فذكر انّه لا شيء عنده وانّ المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنهب ثم بلغ الراشد بالله انّ برنقش[1] يريد الهجم على دار الخلافة وتفتيشها لياخذ المال فجمع العسكر لمنعها وامر عليهم كج ابه واعاد عمارة السور، فلمّا علم برنقش[1] بذلك اتفق هو وبك ابه[2] شحنة بغداد وهو من امرآء السلطان على ان يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد بالله فاستعدّ لمنعهم وركب برنقش[3] ومعه العسكر والامرآء البكجيّة ومحمّد بن عكر في نحو خمسة الاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فاخرجوا عسكر السلطان الى دار السلطان فساروا الى طريق خراسان ثم انحدر بك ابه[4] الى واسط وسار برنقش[3] الى البندنيجيّن[5] ونهبت العامّة دار السلطان

ذكر اجتماع اصحاب الاطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته

في هذه السنة اجتمع كثير من الامرآء واصحاب الاطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود فسار الملك داود ابن السلطان محمود في عسكر اذربيجان الى بغداد فوصلها في رابع صفر ونزل بدار السلطان

---

[1] برنعس [2] بد انه [3] برنعش [4] بد انه [5] البندنمجين

ووصل اتابك عماد الدين زنكي بعده من الموصل ووصل برنقش بازدار صاحب قزوين وغيرهما والبقش[1] الكبير صاحب اصفهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة ومعه عنتر بن ابي العسكر الجاواني يدبره ويتمم نقص صباه وابن برسق وابن الاحمديلي وخرج اليهم من عسكر بغداد كج ابه[2] والبقش الشحنة وغيرهما وجعل الملك داود في شحنكية بغداد برنقش[3] بازدار وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة ابي عبد الله الحسن بن جهير استاذ الدار وهو كان السبب في ولايته وعلى جمال الدولة اقبال المسترشدي وكان قدم اليه من تكريت وعلى غيرهما من اعيان دولته فتغيرت نيات الصحابه عليه وخافوه ، فاما جمال الدولة فان اتابك زنكي شفع فيه شفاعة تحتها الزام فاطلق وصار اليه ونزل عنده وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين ابي الرضى بن صدقة الى عماد الدين لتهنئته بالقدوم فقام الوزير عنده وسأله ان يمنعه من الخليفة فاجابه الى ذلك وعاد الموكب بغير وزير وارسل زنكي من حرس دار الوزير من النهب ثم اصلح حاله مع الخليفة واعاده الى وزارته ، وكذلك ايضا عبر عليه قاضي القضاة الزينبي وسار معه الى الموصل ، ثم ان الخليفة جد في عمارة السور فارسل له الملك داود من قلع ابوابه واخرب قطعة منه فانزعج الناس ببغداد ونقلوا اموالهم الى دار الخلافة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود وجرت الايمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكي وارسل الخليفة الى اتابك زنكي مائتي الف دينار لينفقها ، ووصل الملك سلجوق شاه الى واسط فدخلها وقبض على الامير بك ابه[4] ونهب ماله وانحدر اتابك زنكي اليه ليدفعه عنها واصطلحا وعاد زنكي الى بغداد وعبر الى طريق خراسان وحث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود وسار الملك[5] داود نحو طريق خراسان فنهب العسكر البلاد ، ووصلت الاخبار بمسير السلطان مسعود الى بغداد وفارق الملك داود واتابك زنكي فعاد اتابك زنكي الى بغداد وفارق الملك داود واظهر له انه يمضي الى

---

[1] البعش [2] ابه [3] برنقش [4] بك ابه [5] السلطان

مراغة اذا فارق السلطان مسعود همدان فبرز الراشد بالله الى شاهر بغداد اوّل رمضان وسار الى طريق خراسان ثم عاد بعد ثلاثة ايّام ونزل عند جامع السلطان ثم دخل الى بغداد خامس رمضان وارسل الى داود وسائر الامراء يامرهم بالعود الى بغداد فعادوا ونزلوا فى الخيام وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد ووصلت رسل السلطان مسعود يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده فعرض الخليفة الرسالة عليهم فكلّهم راى قتاله فقال لهم الخليفة وانا ايضاً معكم على ذلك ٭

ذكر ملك شهاب الدين حمص

فى هذه السنة فى الثانى والعشرين من ربيع الاوّل تسلّم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص[1] وقلعتها وسبب ذلك انّ اصحابها اولاد الامير خيرخان ابن قراجا والوالى بها من قِبَلهم ضجروا من كثرة تعرّض عسكر عماد الدين زنكى اليها والى اعمالها وتضييقهم على مَن بها من جندىّ وعامّىّ فراسلوا شهاب الدين فى ان يسلّموها اليه ويعطيهم عوضاً عنها تدمر فاجابهم الى ذلك وسار اليها وتسلّمها منهم فى التاريخ المذكور وسلّم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جدّه معين الدين أُنر وجعل فيها نائباً عنه ممّن يثق اليه من اعيان اصحابه وعاد عنها الى دمشق، فلمّا راى عسكر زنكى بحلب وحماة خروج حمص عن ايديهم تابعوا الغارات الى بلدها والنهب له والاستيلاء على كثير منه فجرى بينهم عدّة وقائع وارسل شهاب الدين الى زنكى فى المعنى واستقرّ الصلح بينهم وكفّ كلّ منهم عن صاحبه ٭

ذكر الفتنة بدمشق

فى هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها والجند وسبب ذلك انّ الحاجب يوسف بن فيروز كان اكبر حاجب عند ابيه وجدّه ثم انّه خاف اباه شمس الملوك وهرب منه الى تدمر، فلمّا كان فى هذه السنة سال ان يحضر الى دمشق وكان يخاف جماعة المماليك

---

1) دمشق

لانّه كان اساء اليهم وعاملهم اقبح معاملة فكلّهم عليه حنق لا سيّما في الحادثة التي خرج فيها شمس الملوك وقد تقدّمت فانّه اشار بقتل جماعة برايه وبقتل سونج بن تاج الملوك فصاروا كلّهم اعداء مبغضين، فلمّا طلب الامان والحضور الى دمشق اجيب الى ذلك فانكر جماعة الامراء والمماليك قربه وخافوه ان يفعل بهم مثل فعله الاوّل فلم يزل يتوصّل معهم حتّى حلف لهم واستحلفهم وشرط على نفسه انّه لا يتولّى من الامور شيئاً ثمّ انّه جعل يُدخل نفسه في كثير من الامور فاتّفق اعداؤه على قتله فبينما هو يسير مع شهاب الدين والى جانبه اميرٌ اسمه بزاوش يحادثه اذ ضربه بزاوش بالسيف فقتله فحُمل ودُفن في تربة والدته بالعقيبة، ثمّ انّ بزاوش والمماليك خافوا فلم يدخلوا البلد ونزلوا بظاهره وارسلوا يطلبون قواعد استقرّوا فيها فاجابهم الى البعض فلم يقبلوا منه ثمّ ساروا الى بعلبكّ وبها شمس الملوك محمّد بن تاج الملوك صاحبها فصاروا معه فالتحق بهم كثير من التركمان وغيرهم وشرعوا في العبث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم وملاطفتهم واجابتهم الى ما طلبوا واستقرّت الاحوال على ذلك وحلف كلّ منهم لصاحبه فعادوا الى ظاهر دمشق ولم يدخلوا البلد وخرج شهاب الدين صاحب دمشق اليهم واجتمع بهم وتجدّدت الايمان وصار بزاوش مقدّم العسكر واليه الحلّ والعقد وذلك في شعبان وزال الخلف ودخلوا البلد والله اعلم ۞

ذكر غزاة العسكر الاتابكي الى بلاد الفرنج

في هذه السنة في شعبان اجتمعت عساكر اتابك زنكي صاحب حلب وحماة مع الامير اسوار نايبه بحلب وقصدوا بلد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاذقيّة ولم يتمكّن اهلها من الانتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا وفعلوا في بلد الفرنج ما لم يفعله بهم غيرهم وكان الاسرى سبعة الاف اسير ما بين رجل وامراة وصبيّ ومائة الف راس من الدوابّ ما بين فرس وبغل وحمار وبقر وغنم وامّا ما سوى ذلك من الاقمشة والعين والحلى فيخرج عن الحدّ واخربوا بلد اللاذقيّة وما جاورها ولم يسلم منه الّا القليل وخرجوا الى

شيزر بما معهم من الغنائم سالمين منتصف رجب فمثلاً من الاسرى والدوابّ وفرح المسلمون بذلك فرحًا عظيمًا ولم يقدر الفرنج على شئ يفعلوه مقابل هذه الحادثة عجزًا منهم ووهنًا وضعفًا ٭

ذكر وصول السلطان مسعود الى العراق وتفرّق اصحاب الاطراف ومسير الراشد بالله الى الموصل

قيل لمّا بلغ السلطانَ مسعود اجتماعُ الملك داود والامرآء ببغداد على خلافه وخُطب للملك داود بن اخيه السلطان محمود جمع العساكر وسار الى بغداد فنزل بالملكيّة فسار بعض العسكر حتى شارفوا عسكره وطاردوهم وكان في الجماعة زين الدين علىّ امير من امرآء اتابك زنكى ثم عادوا ووصل السلطان فنزل على بغداد وحصرها وجمع العساكر فيها وثار العيّارون ببغداد وسائر محالّها وافسدوا ونهبوا وقتلوا حتّى انّه وصل صاحبٌ للاتابك زنكى ومعه كتبٌ خرجوا عليه واخذوها منه وقتلوه فحضر جماعة من اهل المخالّ عند الاتابك زنكى واشاروا عليه بنهب المحالّ الغربيّة فلبس فيه غير عيّار ومفسد فامتنع من ذلك ثم ارسل بنهب الحريم الطاهرىّ فأخذ منها من الاموال الشئ الكثير وسبب ذلك انّ العيّارين فيه واخذوا اموال الناس ونهبت العساكر غير الحريم من المحالّ وحصرهم السلطان نيفًا وخمسين يومًا فلم يظفر بهم فعاد الى النهروان عزمًا على العود الى همذان فوصله طرنطاى صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها وعبر فيها الى غربىّ دجلة واراد العسكر البغدادىّ منعه فسبقهم الى العبور واختلفت كلمتهم فعاد الملك داود الى بلاده في ذى القعدة وتفرّق الامرآء وكان عماد الدين زنكى بالجانب الغربىّ فعبر اليه الخليفة الراشد بالله وسار معه الى الموصل في نفر يسير من اصحابه فلمّا سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكى بغداد سار اليها واستقرّ بها ومنع اصحابه من الاذى والنهب وكان وصوله منتصف ذى القعدة فسكن الناس واطمأنّوا بعد الخوف الشديد وامر فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرضوا عليهم اليمين التى حلف بها الراشد بالله لمسعود وفيها بخطّ يده انى متى جنّدتُ او خرجتُ او لقيتُ احدًا من اصحاب السلطان بالسيف فقد

خلعتُ نفسي من الامر فافتوا بخروجه من الخلافة، وقيل غير ذلك وسنذكره في خلافة المقتفي لامر الله، وكان الوزير شرف الدين علىّ بن طراد وصاحب المخزن كمال الدين بن البقشلاني[1] وابن الانباريّ مع السلطان لانّهم عنده مُذ اسرهم مع المسترشد بالله فقدحوا في الراشد ووافقهم على ذلك اصحاب المناصب ببغداد الّا اليسير لانّهم كانوا يخافونه وكان قد قبض بعضهم وصادر بعضًا واتّفقوا على ذمّه فتقدّم السلطان بخلعه واقامة مَن يصلح فخُلع وقُطعت خطبته في بغداد في ذي القعدة وسائر البلاد وكانت خلافته احد عشر شهرًا واحد عشر يومًا وقتلته الباطنيّة على ما نذكره ان شآء الله تعالى

ذكر خلافة المقتفي لامر الله

لمّا قُطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعةً من اعيان بغداد منهم الوزير علىّ بن طراد وصاحب المخزن وغيرهما فيمَن يصلح ان يلي الخلافة فقال الوزير احد عمومة الراشد وهو رجل صالح قال مَن هو قال مَن لا اقدر ان افصح باسمه لئلّا يُقتل، فتقدّم اليهم بعمل محضر في خلع الراشد فعملوا محضرًا ذكروا فيه ما ارتكبه من اخذ الاموال واشياء تقدح في الامامة ثمّ كتبوا فتوى ما يقول العلمآء فيمَن هذه صفته هل يصلح للامامة ام لا فافتوا ان من هذه صفته لا يصلح ان يكون اماما، فلمّا فرغوا من ذلك احضروا القاضي ابا طاهر بن الكرخيّ فشهدوا عنده بذلك فحكم بفسقه وخلعه وحكم بعده غيره ولم يكن قاضي القضاة حاضرًا فانّه كان عند اتابك زنكي بالموصل، ثمّ انّ شرف الدين الوزير ذكر للسلطان ابا عبد الله الحسين وقيل محمّد بن المستظهر بالله ودينه وعقله وعفّته ولين جانبه فحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبيّ وصاحب المخزن ابن البقشلانيّ[2] وغيرهم وامر باحضار الامير ابي عبد الله ابن المستظهر من المكان الذي يسكن فيه فأُحضر وأُجلس في المثمنة ودخل السلطان اليه والوزير وتحالفا وقرّر الوزير القواعد بينهما وخرج السلطان من

---

1) العسلانى 2) العسلانى

عنده وحضر الامراء وارباب المناصب والقضاه والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذى الحجة ولقب المقتفى لامر الله قيل سبب اللقب انه راى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يلى الخلافة بستة ايام وهو يقول له ان هذا الامر يصير اليك فاقتد فى بهذا فلقب بذلك، ولما استخلف سير الكتب الحكمية بخلافته الى سائر الامصار واستوزر شرف الدين على بن طراد الزينبى فارسل الى الموصل واحضر قاضى القضاة ابا القسم على بن الحسين الزينبى ابن عم الوزير واعاده الى منصبه وقرر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن وجرت الامور على احسن نظام، وبلغنى ان السلطان مسعودا ارسل الى الخليفة المقتفى لامر الله فى تقرير اقطاع يكون لخاصته فكان جوابه ان فى الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة فلينظر السلطان ما يحتاج اليه من يشرب هذا الماء يقوم فتقررت القاعدة على ان يجعل له ما كان للمستظهر بالله فاجاب الى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله لقد جعلنا فى الخلافة رجلا عظيما، والمقتفى عم الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر ولياً الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدى والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكل اخوان واما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمامون والمعتصم وهم اولاد الرشيد والمكتفى[1] والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضى والمتقى والمطيع بنو المقتدر واما اربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم، وحين استقرت الخلافة للمقتفى ارسل اليه الراشد بالله رسولا من الموصل مع رسول اتابك زنكى وكان كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى فاحضر فى الديوان وسمعت رسالته، وحكى لى والدى عنه قال لما حضرت الديوان قيل لى تبايع امير المومنين فقلت امير المومنين عندنا فى الموصل وله فى اعناق الخلق بيعة متقدمة وطال الكلام وعدت الى منزلى فلما كان الليل جاءتنى امراة عجوز سرا واجتمعت بى وابلغتنى رسالة عن المقتفى لامر الله

---

[1] والمكتفى

مضمونها عناقى على ما قلته واستنزالى عنه فقلت غدًا احدم خدمة يظهر اثرها فلمّا كان [الغد] حضرت الى الديوان وقيل لى فى تعيّن البيعة فقلت انا رجل فقيه قضى ولا يجوز لى ان ابايع الّا ان يثبت عندى خلع المتقدّم فاحضروا الشهود وشهدوا عندى فى الديوان بما اوجب خلعه فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بدّ لنا فى هذه الدعوى من نصيب لانّ امير المومنين قد حصل له خلافة الله فى ارضه والسلطان فقد استراح ممّن كان يقصده ونحن باىّ شىٔ نعود، فرجع الامر الى الخليفة فامر ان يعطى اتابك زنكى صريفين ودرب هرون وجرى ملكا وهى من خاصّ الخليفة وبغداد فى القاية وقال هذه قاعدة لم يسمح بها لاحد من زعماء الاطراف ان يكون لهم نصيبٌ من خاصّ الخليفة، ه وكانت بيعة كمال الدين سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولمّا عاد كمال الدين الشهرزورىّ سُيّر على يده المحضر الذى عمل بخلع الراشد فحكم به قاضى القضاة الزينبىّ بالموصل وكان عند اتابك زنكى ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين انوشروان بن خالد وعاد الى بغداد وقام بداره معزولًا ووزر من بعده كمال الدين ابو البركات بن سلمة الدركزينى[1] وهو من خراسان، وفيها ثار العيّارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها وفتكوا فى البلد ونهبوا الاموال ظاهرًا وكثُر الشرّ فقصد الشحنة شارع دار الرقيق وطلب العيّارين فثار عليه اهل المحالّ الغربيّة فقاتلهم واحرق الشارع فاحترق فيه خلق كثير ونقل الناس اموالهم الى الحريم الطّاهرىّ فدخله الشحنة ونهب منه مالًا كثيرًا ثم وقعت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج[2] وبين اهل المامونيّة وقُتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا، وفيها سار قراسنقر فى عساكر كثيرة فى طلب الملك داود بن السلطان محمود فاقام السلطان مسعود ببغداد ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى ادركه عند مراغة فالتقيا وتصافّا واقتتل العسكران قتالًا عظيمًا فانهزم

---

[1] الوركزينى   [2] الارج

داود واقام قراسنقر باذربيجان واما داود فانه قصد خوزستان فاجتمع عليه[1] جيش عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم فبلغت عدّتهم نحو عشرة آلاف فارس فقصد تُسْتَر وحاصرها وكان عمّه الملك سلجوق شاه بن السلطان محمّد بواسط فارسل الى اخيه السلطان مسعود يستنجده فامدّه بالعساكر فسار الى داود وهو يحاصر تُسْتَر فتصافّا فانهزم سلجوق شاه، وفيها توفّى محمّد بن حمويه ابو عبد الله الجويني وهو من مشايخ الصوفيّة المشهورين وله كرامات كثيرة ورواية الحديث، وتوفّى ايضًا محمّد بن عبد الله ابن احمد بن حبيب العامرى الصوفى مصنّف شرح الشهاب وانشد لمّا احتضر

ها قد مددتُّ يدى اليك فردّها بالعفو لا بشماتة الاعداء،

وتوفّى ايضًا ابو عبد الله محمّد بن الفضل بن احمد الفُراوى الصاعدى راوى صحيح مُسلم عن عبد الغافر الفارسىّ وشريعه اليوم اعلى الطرق واليه الرحلة من الشرق والغرب وكان فقيها مناظرا ظريفا يخدم الغرباء بنفسه وكان يقال الفراوى الف راوٍ رحمه الله ورضى عنه

ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسمائة،

سنة ٥٣١

ذكر تفرّق العساكر عن السلطان مسعود،

فى هذه السنة فى المحرّم اذن السلطان مسعود للعساكر التى عنده ببغداد بالعود الى بلادهم لمّا بلغه انّ الراشد بالله قد فارق اتابك زنكى من الموصل فانّه كان يتمسّك بالعسكر عنده خوفًا ان ينحدر به الى العراق فيملكه عليه فلمّا اراد ان يأذن للامير صدقة بن دبيس صاحب الحِلّة زوّجه ابنته تمسّكا به، وقدم على السلطان مسعود جماعة من الامراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحى وبرسق بن برسق[2] صاحب تُستر وسنقر الخمارتكين شحنة همذان فرضى عنهم وامّنهم وولّى البقش شحنكيّة بغداد فعسف الناس وظلمهم، وكان السلطان مسعود بعد تفرّق العساكر عنه قد بقى معه الف فارس

---

1) محمود 2) برسق

وتزوّج الخليفة فاطمة اخت السلطان مسعود فى رجب والصداق مائة الف دينار وكان الوكيل فى قبول النكاح وزير الخليفة علىّ بن طراد الزينبىّ والوكيل عن السلطان وزيره الوركزينىّ[1] ووقف السلطان حيث صار الخليفة وصدقة بن دُبيس بن صدقة صهره وحيث سار الراشد بالله من عند زنكى الاتابك والله اعلم ☆

ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان

فى هذه السنة فى جمادى الاولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوىّ صاحب مصر وكان قد استوزره بعد قتل ابنه حسن[2] سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان نصرانيًّا ارمنيًّا فتمكّن فى البلاد واستعمل الارمن وعزل المسلمين واساء السيرة فيهم واهانهم هو والارمن الذين ولّاهم وطمعوا فيهم فلم يكن فى اهل مصر مَن انف من ذلك الّا رضوان بن الريحينىّ فانّه لمّا ساءه ذلك واقلقه جمع جمعًا كثيرًا وقصد القاهرة فسمع به بهرام فهرب الى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة اسوان فمنعه واليها من الدخول اليها وقاتله فقتل السودان من الارمن كثيرًا فلمّا لم يقدر[3] على الدخول الى اسوان ارسل [الى] الحافظ يطلب الامان فامّنه فعاد الى القاهرة فسُجن بالقصر فبقى مدّة ثمّ ترهّب وخرج من الحبس، وامّا رضوان فانّه وزر للحافظ ولُقّب بالملك الافضل وهو اوّل وزير للمصريّين لُقّب بالملك ثمّ فسد ما بينه وبين الحافظ فعمل الحافظ فى اخراجه فثار الناس عليه منتصف شوّال فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وهرب من داره وتركها بما فيها فنهب الناس منها ما لا يُحدّ ولا يُحصى وركب الحافظ فسكّن الناس ونقل ما بقى فى دار رضوان الى قصره، وامّا رضوان فسار يريد الشام يستنجد الاتراك ويستنصرهم فارسل اليه الحافظ الاميرَ ابن مَصّال ليردّه بالامان والعهد انّه لا يؤذيه فرجع الى القاهرة فحبسه الحافظ عنده فى القصر، وقيل انّه توجّه الى الشام وهو الصحيح وقصد صرخد فوصل اليها فى ذى القعدة ونزل على صاحبها امين الدولة

1) الورزكينى 2) حسين 3) يقدروا

كمشتكين فاكرمه وعظّمه واقام عنده ثم سار الى مصر سنة اربع وثلاثين
وخمسماية ومعه عسكر فقتل المصريين عند باب النصر وهزمهم وقتل
منهم جماعة كثيرة واقام ثلاثة ايام فتفرّق عنه كثير ممّن معه فعزم على
العود الى الشام فارسل اليه الحافظ الامير ابن مَصّال فردّه وحبسه عنده
فى القصر وجمع بينه وبين عياله واهله فاقام فى القصر الى سنة ثلاث
واربعين فنقب الحبس وخرج منه وقد أُعدّت له خيل فهرب عليها
وعبر النيل الى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم وعاد الى القاهرة فقاتل
المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة فنزل عند
جامع الاقمر فارسل الى الحافظ يطلب منه مالًا ليفرّقه على عادتهم فانهم
كانوا اذا وزّروا وزيرًا ارسلوا اليه عشرين الف دينار ليفرّقها فارسل
الحافظ عشرين الف دينار فقسمها وكثر عليه الناس وطلب زيادة
فارسل اليه عشرين الف دينار ففرّقها فتفرّق الناس وخفّوا عنده فاذا
الصوت قد وقع وخرج اليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ
عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم فقام يركب فقدّم اليه بعض اصحابه
فرسًا ليركبه فلمّا اراد ركوبه ضرب الرجل راسه بالسيف فقتله وحمل
راسه الى الحافظ فارسله الى زوجته فوضع فى حجرها فأُلقيت به وقالت
هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ احدًا وباشر
الامور بنفسه الى ان مات

ذكر فتح المسلمين حصن وادى ابن الاحمر من الفرنج

وفى هذه السنة فى رجب سار عسكر دمشق مع مقدّمهم الامير
بزاوش الى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوّعة
والتركمان ايضًا خلق كثير فلمّا سمع القمّص صاحبها بقربهم من
ولايته سار اليهم فى جموعه وحشوده فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا الى
طرابلس فى صورة سيئة قد قُتلت فرسانهم وشجعانهم فلمّا عادوا
نهب المسلمون من اعمالهم اكثرها وحصروا حصن وادى ابن الاحمر
وضيّقوا عليه فملكوه عنوةً ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وسبوا
الحريم والذرّيّة واسروا الرجال فاشتروا انفسهم بمال جزيل وعاد
المسلمون الى دمشق سالمين والله اعلم

ذكر حصار زنكى مدينة حمص

فى هذه السنة فى شعبان سار اتابك زنكى الى مدينة حمص وقدّم اليها حاجبه صلاحَ الدين محمّد الياغيسيانىّ وهو اكبر امير معه وكان ذا مكر وحيل ارسله ليتوصّل مع مَن فيها ليسلّموها اليه فوصل اليها وفيها معين الدين أُنَر وهو الوالى عليها والحاكم فيها وهو ايضًا اكبر امير بدمشق وحمص اقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ[1] فيه مكره فوصل حينئذ زنكى اليها وحصرها وعاود مراسلة أنر فى التسليم غير مرّة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتجّ بانّها مُلك صاحبه شهاب الدين وانّها بيده امانة ولا يسلّمها الّا عن غلبة فاقام عليها الى العشرين من شوّال ورحل عنها من غير بلوغ غرض الى بعرين فحصرها وكان منه ومن الفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر مُلك زنكى قلعة بعرين وهزيمة الفرنج

وفى هذه السنة فى شوّال سار اتابك زنكى من حمص كما ذكرناه وحصر قلعة بعرين وهى للفرنج تُقارب مدينة حماة وهى من امنع الحصون واحصنها فلمّا نزل عليها قاتلها وزحف اليه[2] فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا فى قضّهم وقضيضهم وملوكهم وشمامستهم وكنودهم الى اتابك زنكى ليرحّلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقيهم وقاتلهم اشدّ قتال رءاه الناس وصبر الفريقان ثمّ اجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واخذتهم سيوف المسلمين من كلّ جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع اتابك [زنكى] عنهم كلّ شئ حتّى الاخبار فكان مَن به منهم لا يعلم شيئًا من اخبار بلادهم لشدّة ضبط الطرق وهيبته على جنوده، ثمّ انّ القسوس والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها من بلاد النصرانيّة مستنفرين على المسلمين واعلموهم انّ زنكى ان اخذ قلعة بعرين ومَن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم فى اسرع وقت لعدم الحامى عنها وانّ المسلمين ليس لهم نيّة الّا قصد البيت المقدس فحينئذ اجتمعت

---

1) ينفد 2) عليها

النصرانيّة وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك الروم وكان منه ما نذكره، وامّا زنكى فانّه جدّ فى قتال الفرنج فصبروا وقلّت عليهم الميرة والذخيرة فانّهم كانوا غير مستعدّين ولم يكونوا يعتقدوا ان احدًا يقدر عليهم بل كانوا يتوقّعون مُلك باقى البلاد بالشام فلمّا قلّت الذخيرة اكلوا دوابّهم واذعنوا بالتسليم ليؤمّنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك فلمّا سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماعه بمن بقى من الفرنج اعطى لمن فى الحصن الامان وقرّر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين الف دينار يحملونها اليه فاجابوه الى ذلك فخرجوا وسلّموا اليه فلمّا فارقوه بلغهم اجتماع مَن اجتمع بسببهم فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم وكان لا يصلهم شئ من الاخبار البتّة فلهذا سلّموه وكان زنكى فى مدّة مقامه عليهم فتح المعرّة وكفرطاب من الفرنج فكان اهلها واهل سائر الولايات التى بينها وبين حلب وحماة مع اهل بعرين فى الخزى لانّ الحرب بينهم دائمة على ساق والنهب والقتل لا يزال بينهم فلمّا ملك امن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحًا مبينًا ومَن رءاه علم صحّة قولى، ومن احسن الاعمال ما عمله زنكى مع اهل المعرّة فانّهم كان الفرنج لمّا ملكوها قد اخذوا املاكهم فلمّا فتحها زنكى الآن حضر مَن بقى من اهلها ومعهم اعقاب مَن هلك وطلبوا املاكهم فطلب منهم كتبها فقالوا انّ الفرنج اخذوا كلّ ما لنا والكتب التى للاملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكلّ مَن عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك واعاد على الناس املاكهم وهذا من احسن الافعال واعدلها ۞

ذكر خروج ملك الروم من بلاده الى الشام

قد تقدّم انّ الفرنج ارسلوا الى ملك القسطنطينيّة يستصرخون به ويعرّفونه ما فعله زنكى فيهم ويحرّضونه على لحاق البلاد قبل ان تملك ولا ينفعه حينئذ المجئ فتجهّز وسار مجدًّا فابتدا وركب البحر وسار الى مدينة انطاكيّة وهى له على ساحل البحر فارسى فيها واقام ينتظر وصول المراكب التى فيها اثقاله وسلاحه فلمّا وصلت سار عنها

الى مدينة نيعية[1] فحصرها وانّ اصحابها صالحوه على مال يؤدّونه اليه، وقيل بل ملكها وسار عنها الى مدينة اذنة ومدينة المصيصة وهما بيد ابن ليون الارمنىّ صاحب قلاع الدروب فحصرهما وملكهما ورحل الى عين زربة فحصرها وملكها عنوة وملك تلّ حمدون وحمل اهله الى جزيرة قبرس وعبر مينا الاسكندريّة وخرج الى الشام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة وضيّق على اهلها وبها صاحبها الفرنجىّ ريمند[2] فترددت الرسل اليهم ومشوا بينهم فتصالحا ورحل عنها الى بغراص ودخل منها الى بلد ابن ليون الارمنىّ فبذل له ابن ليون اموالاً كثيرة ودخل فى طاعته والله اعلم ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة رابع وعشرين فى ايار ظهر بالشام سحاب اسود واظلمت له الدنيا وصار الجوّ كالليل المظلم ثم طلع بعد ذلك سحاب احمر كانّه النار اضاءت له الدنيا وهبّت ريح عاصفة القت كثيرًا من الشجر وكان اشدّ ذلك بحوران ودمشق وجآء بعده مطر شديد وبَرَد كبار، وفيها عاد مويد الدين ابو الفوارس المسيّب علىّ بن الحسين المعروف بابن الصوفىّ من صرخد الى دمشق وكان قد أُخرج هو واهله من دمشق الى صرخد[3] فبقوا فيها الى الآن وعادوا وولى ابو الفوارس الرياسة بدمشق وحكم فيها حكمًا ماضيًا وكان ذا رياسة عظيمة ومروّة ظاهرة، وفيها كثرت الامراض ببغداد وكثر الموت فجاة باصفهان وهمذان، وفيها سار اتابك زنكى الى دقوقا فحصرها وملكها بعد ان قاتل على قلعتها قتالاً شديدًا، وفيها توفّى ابو سعيد احمد ابن محمّد بن ثابت الخجندىّ[4] رئيس الشافعيّة باصفهان وتفقّه على والده ودرّس بالنظاميّة باصفهان، وتوفّى ابو القسم هبة الله بن احمد بن عمر الحريرىّ ومولده يوم عشوراء سنة خمس وثلاثين واربعمائة وهو اخر من روى عن ابى الحسن زوج الحرّة وقد روى الخطيب ابو بكر بن ثابت عن زوج الحرّة ايضًا وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاث وستّين واربعمائة ❊

---

1) نيعه 2) رمه 3) صرخد الى دمشق 4) الخحمدى

سنة ٥٣٢

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسماية

ذكر مُلك اتابك زنكي حمص وغيرها من عمل دمشق

وفي هذه السنة في المحرّم وصل اتابك زنكي الى حماه وسار منها الى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس واطاعه وهو ايضًا لصاحب دمشق وسار الى حمص فحصرها وادام قتالها فلمّا نازل ملك الروم حلب رحل عنها الى سلميّة فلمّا انجلت حادثة الروم على ما ذكرناه عاود منازلة حمص وارسل الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه أُمّه ليتزوّجها واسمها زمرّد[1] خاتون ابنة جاولي وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلّة على وادي شقرا ونهر بردا فتزوّجها وتسلّم حمص مع قلعتها وحُملت الخاتون اليه في رمضان وانّما حمله على التزويج بها ما راى من تحكيمها في دمشق فظنّ انّه يملك البلد بالاتّصال اليها فلمّا تزوّجها خاب امله ولم يحصل على شيء فاعرض عنها ✿

ذكر وصول ملك الروم الى الشام ومُلكه بُزاعة وما فعله بالمسلمين

قد ذكرنا سنة احدى وثلاثين وخمسماية خروج ملك الروم من بلاده وشغله[2] بالفرنج وابن ليون فلمّا دخلت هذه السنة وصل الى الشام وخافه الناس خوفًا عظيمًا وقصد بُزاعة فحصرها وهي مدينة لطيفة على ستّة فراسخ من حلب فمضى جماعة من اعيان حلب الى اتابك زنكي وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسيّر معهم كثيرًا من العساكر فدخلوا الى حلب ليمنعوها من الروم ان حصروها ثمّ انّ ملك الروم قاتل بُزاعة ونصب عليها منجنيقات وضيّق على من بها فملكها بالامان في الخامس والعشرين من رجب ثمّ غدر باهلها فقتل منهم واسر وسبى وكان عدّة من جُرح فيها من اهلها خمسة الاف وثمانمائة نفس وتنصّر قاضيها وجماعة من اهلها نحو اربع مائة نفس واقام الروم بعد مُلكها عشرة ايام يتطلّبون من اختفى فقيل لهم انّ جمعا

---

1) مرد 2) شعله

كثيرا من اهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخنوا عليهم وهلكوا في المغائر ثم رحلوا الى حلب من الغد في خيلهم ورجلهم فخرج اليهم احداث حلب فقاتلوهم قتالاً شديدًا فقُتل من الروم وجُرح خلق كثير وقُتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرين واقاموا ثلاثة ايام فلم يروا فيها طمعًا فرحلوا الى قلعة الاثارب فخاف من فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بُزاعة والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا ، فلمّا سمع الامير اسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر الى الاثارب فاوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلّص الاسرى والسبى وعادوا الى حلب ، وامّا عماد الدين زنكى فانّه فارق حمص وسار الى سلمية فنازلها وعبر ثقله الفراة الى الرقّة واقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة ، وامّا الروم فانّهم قصدوا قلعة شيزر فانّها من امنع الحصون وانّما حصروها لانّها لم تكن لزنكى فلا يكون له في حفظها اهتمام وانّما كانت للامير ابى العساكر سلطان بن علىّ بن مقلد ابن نصر بن منقذ[1] الكنانى فنازلوها وحصروها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقًا فارسل صاحبها الى زنكى يستنجده فسار اليه فنزل على نهر العاصى بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كلّ يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويُرسل السرايا فتاخذ من ظفرت به منهم ثم انّه ارسل الى ملك الروم يقول له انّكم قد تحصّنتم منّى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتّى نلتقى فان ظفرتُ بكم ارحتُ المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم واخذتم شيزر وغيرها ولم يكن له بهم قوّة وانّما كان يُرهبهم بهذا القول واشباهه ، فاشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافقته وهوّنوا امره عليه فلم يفعل وقال اتظنّون ان ليس له من العسكر الّا ما ترون انّما هو يريد ان تلقونه فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حدّ له وكان زنكى يرسل ايضًا الى ملك الروم يوهمه بانّ فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلّعوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوّفهم

---

1) منقد

من ملك الروم ويقول لهم ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعًا فاستشعر كلّ من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان وكان مقامه عليها اربعين يومًا وترك المجانيق والات الحصر بحالها فسار اتابك [زنكي] يتبع ساقة العسكر فظفر بكثير ممّن تخلّف منهم واخذ جميع ما تركوه، ولمّا كان الفرنج على بُزاعة ارسل زنكي القاضي كمال الدين ابا الفضل محمّد بن عبد الله بن القسم الشهرزوريّ الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر فمضى الى بغداد وانهى الحال الى السلطان وعرّفه عاقبة الاهمال وانّه ليس بينه وبين الروم الّا ان يملك حلب وينحدروا مع الفرات الى بغداد فلم يجد عنده حركة فوضع انسانًا من اصحابه يوم جمعة فمضى الى جامع القصر ومعه جماعة من رنود العجم وامرهم ان يثور بهم اذا طلع الخطيب المنبر ويصيح ويصيحون معه وا اسلاماه وا دين محمّداه ويشقّ ثيابه ويرمي عمامته من راسه ويخرج الى دار السلطان والناس معه يستغيثون كذلك ووضع انسانًا اخر يفعل بجامع السلطان مثله فلمّا صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم راسه والقى عمامته وشقّ ثوبه واولئك معه وصاحوا فبكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا السلطان وساروا من الجامع يتبعون الشيخ الى دار السلطان يستغيثون ويبكون فخاف السلطان فقال احضروا اليّ ابن الشهرزوريّ فأحضر فقال كمال الدين لقد خفتُ منه ممّا رايتُ فلمّا دخلتُ قال لي ايّ فتنة اثرتَ فقلتُ ما فعلتُ شيئًا انا كنتُ في بيتي وانّما الناس يغارون للدين والاسلام ويخافون عاقبة هذا التوانى فقال اخرج الى الناس ففرّقهم عنّا واحضر غدًا واختر من العسكر ما تريد، فخرجتُ الناس وعرّفتُهم ما امر به من تجهيز العسكر وحضرتُ الغد الى الديوان فجهّزوا لي طائفة عظيمة من الجيش فارسلتُ الى نصير الدين بالموصل اعرّفه ذلك واخوّفه من العسكر ان شرفوا البلاد فانّهم يملكونها فاعاد الجواب يقول البلاد لا شكّ ماخوذة فلان ياخذها المسلمون خير من ان ياخذها الكافرون، فشرعنا في التحميل واذا قد وصلني كتاب اتابك زنكي من الشام يخبر برحيل ملك الروم ويامرني بان لا استصحب من العسكر احدًا فعرّفتُ السلطان ذلك فقال العسكر قد تجهّز ولا بدّ من الغزاة الى

الشام فعقد الجهد وبذل الحزم له ولاصحابه حتى عاد العسكر؛ ولمّا عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعراء اتابك زنكى واكثروا فمن ذلك ما قاله المسلم بن الخضر بن قسيم الحموى من جملة قصيدة اوّلها

بعزمك ايّها الملك العظيم   تذلّ لك الصعاب وتستقيم

ومن جملتها هذه الابيات

الم تر انّ كلب الروم لمّا   تبيّن انّه الملك الرحيم
فجاء فطبّق الفلوات خيلا   كانّ الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه   ودان لخطبه الخطب العظيم
فحين رميته بك فى خميس   تيقّن انّ ذلك لا يدوم
وابصر فى المفاضة منك جيشا   فاحرب لا يسير ولا يقيم
كانّك فى العجاج شهاب نور   توقّد وهو شيطان رجيم
اراد بقاء مهجته فولّى   وليس سوى الحمام له حميم

وهى قصيدة طويلة؛ ومن عجيب ما يُحكى انّ ملك الروم لمّا عزم على حصر شيزر سمع مَن بها ذلك فقال الامير مرشد بن علىّ صاحبها وهو ينسخ مصحفًا   اللهمّ بحقّ مَن انزلتَه عليه ان قضيتَ بمجىء ملك الروم فاقبضنى اليك   فتوفّى بعد ايّام ٭

ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومَن معه من الامراء

لمّا فارق الراشد بالله اتابك زنكى من الموصل سار نحو اذربيجان فوصل مراغة وكان الامير منكبرس صاحب فارس ونايبه بخوزستان الامير بوزابة والامير عبد الرحمن طغايرك [خلخال] والملك داود بن السلطان محمود مستشعرين من السلطان [مسعود] خايفين منه فتجمّعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون ايديهم واحدة ويردّوه الى الخلافة فاجابهم الى ذلك الّا انّه لم يجتمع معهم   ووصل الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم فسار عنها فى شعبان نحوهم فالتقوا ببنجن كشت[1] فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود واخذ الامير منكبرس اسيرًا فقتل بين يديه صبرًا وتفرّق عسكر مسعود فى النهب واتباع المنهزمين؛ وكان

---

[1]) نعجر كشت Cfr. Mirkhondi Historia Seldschukid. ed. *Vullers* p. ١٩٩.

بوزابة وعبد الرحمن فتعاركوا على نشز من الارض تراه السلطان مسعود[1] وقد تفرّق عسكره عنه فحملا عليه وهو في قلّة فلم يثبت بل انهزم وقبض بوزابة على جماعة من الامراء منهم صدقة بن دُبيس صاحب الحلّة ومنهم ولد اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وعنتر[1] بن ابي العسكر وغيرهم وتركهم عنده فلمّا بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم اجمعين وصارا العسكران منهزمين وكان هذا من اعجب الاتّفاق، وقصد السلطان مسعود اذربيجان وقصد الملك داود همذان، ووصل الراشد بعد الوقعة فاختلفت ارآء الجماعة فبعضهم اشار بقصد العراق والتغلّب عليه وبعضهم اشار باتباع السلطان مسعود للفراغ منه فانّ ما بعده يهون عليهم وكان بوزابة اكبر الجماعة فلم ير ذلك وكان غرضه المسير الى بلاد فارس واخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل ان يمتنع مَن بها عليه فيتّصل عليهم ما كانوا فيه وسار اليها فملكها وصارت له مع خوزستان وسار سلجوق شاه ابن السلطان محمّد الى بغداد ليملكها فخرج اليه البقش الشحنة بها ونظر الخادم امير الحاجّ وقاتلوه وكان عاجزًا مستضعفًا ولمّا قتل صدقة بن دُبيس اقرّ السلطان مسعود الحلّة على اخيه محمّد بن دُبيس وجعل معه مهلهل ابن ابي[2] العسكر اخا عنتر المقتول يدبّره ولمّا كان البقش شحنة بغداد يقاتل سلجوق شاه ثار العيّارون ببغداد ونهبوا الاموال وقتلوا الرجال وزاد امرهم حتّى كانوا يقصدون ارباب الاموال ظاهرًا ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الامتعة على رؤس الحمّالين فلمّا عاد الشحنة قتل منهم وصلب وغلت الاسعار وكثر الظلم منه واخذ المستورين بحجّة العيّارين فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد

ذكر قتل الراشد بالله

لمّا وصل الراشد بالله الى همذان وبها الملك داود وبوزابة ومن معهما من الامرآء والعسكر على ما تقدّم ذكره ثم ساروا[3] الى خوزستان مع الملك داود ومعهما خوارزم شاه فقرب الحويزة فسار السلطان مسعود/ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وعاد خوارزم شاه

---

[1] عنبر [2] اخي [3] ساروا

الى بلاده يعني الراشد وحده فلما ايس من عسكر السلطان سار الى اصفهان فلما كان الخميس وعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان في اعقاب مرض برئ منه ودفن بظاهر اصفهان بشهرستان فقتل من معه فقتلوا الباطنية ولما وصل الخبر الى بغداد جلسوا للعزاء به في بيت النوبة[1] يوما واحدا وكان ابيض اشقر حسن اللون مليح الصورة مهيبا شديد القوة والبطش قال ابو بكر الصولي الناس يقولون ان كل سادس يقوم بامر الناس من اول الاسلام لا بد من ان يخلع وربما قتل قال فتأملت ذلك فرأيته كما قال فان اول من قام بهذا الامر محمد رسول الله صلعم ثم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم فخلع ثم معاوية ويزيد ابنه ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك ابن مروان وعبد الله ابن الزبير فخلع ثم عبد الملك واخوه سليمان وعمر ابن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك والوليد ابن يزيد بن عبد الملك فخلع وقتل ثم لم ينتظم امر بني امية ثم ولي السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والامين فخلع وقتل والمامون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل والمعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر فخلع ثم رد ثم قتل ثم القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع والطائع فخلع ثم القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع وقتل قلت وفي هذا نظر لان البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك ابن مروان وكونه جعله بعده لا وجه له والصحيح ما ذكرته الى ان انتهى له ومن بعده ذكره غيره.

ذكر حال ابن بكران العيار

في هذه السنة في ذي الحجة عظم امر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثرت اتباعه وصار يركب ظاهرا في جمع من المفسدين وخافه الشريف ابو الكرم الوالي ببغداد فامر ابا القاسم ابن اخيه

---

1) النوبه 2) القدر

حامى باب الازج[1] ان يشتدّ اليه ويلبس سراويل ثمّ يمنعه من شرّه وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزّاز فانتهى امرهما الى انّهما ارادا ان يضربا بسمهم سكّة في الانبار فارسل الشحنة والوزير شرف الدين الزينبىّ الى النوالى ابى الكرم يقول امّا ان تقتل ابن بكران وامّا ان نقتلك فاحضر ابن اخيه وعرّفه ما جرى وقال له امّا ان تختارنى ونفسك وامّا ان تختار ابن بكران فقال انا اقتله وكان لابن بكران عادة يجيء فى بعض الليالى الى ابن اخى ابى الكرم فيقيم فى داره ويشرب عنده فلمّا جآء على عادته وشرب اخذ ابو القاسم سلاحه ووثب به فقتله واراح الناس من شرّه ثمّ اخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزّاز وصُلب وقُتل معه جماعة من الحرامية فسكن الناس واطمأنّوا وهدأت الفتنة

ذكر قتل الوزير الدركزينى[2] ووزارة الخازن

فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد ابى البركات بن سلمة الدركزينىّ[3] واستوزر بعده كمال الدين محمّد بن الحسين الخازن وكان الكمال شهمًا شجاعًا عدلًا نافذ[3] الحكم حسن السيرة ازال المكوس ورفع المظالم وكان يعمم مؤونة السلطان ويتابعه وجمع له خزاين كثيرة وكشف اشياء كثيرة كانت مستورة يُخان فيها ويُسرق فثقل على المتصرّفين وارباب الاعمال فوقعوا بينه وبين الامرآء لا سيّما قراسنقر صاحب اذربيجان فانّه دخل السلطان وارسل يقول امّا ان تنفذ[4] راس الوزير وامّا خدمت سلطانا آخر فاشار من حضر من الامرآء بقتله وحذّروه فتنة لا تتلافى فقتله على كره منه وارسل راسه الى قراسنقر فرضى وكانت وزارته سبعة اشهر وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ووزر بعده ابو العزّ طاهر ابن محمّد البروجردىّ وزير قراسنقر ولُقّب عزّ الملك وتفاقمت الامور على السلطان مسعود واستقطع الامرآء البلاد بغير اختياره ولم يبق له منها من البلاد البتّة الّا اسم السلطنة لا غير

---

[1] الارج [2] الزركزينى [3] نفد [4] تنفد

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش ايلغازى صاحب ماردين قلعة الهتّاخ[1] من بلاد ديار بكر اخذها من بعض بنى مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهذا اخر مَن بقى فسبحان الحى الدايم الذى لا يزول مُلكه ولا يتطرّق اليه النقص ولا التغيير، وفيها انقطعت كسوة الكعبة لما ذكرناه من الاختلاف فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسىّ كساها من الثياب الفاخرة بكلّ ما وجد اليه سبيل فبلغ ثمن الكسوة ثمنية عشر الف دينار مصريّة وهو من التجار المسافرين الى الهند كثير المال، وفيها توفّيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق[2] زوج السلطان مسعود وتزوّج بعدها سفرى ابنة دُبيس بن صدقة فى جمادى الاولى وتزوّج ابنة قاورت وهو من البيت السلجقىّ الّا انّه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلاً ونهارًا فلهذا سقط اسمه وذكره، وفيها قتل السلطان مسعود ابقَ البقش السلاحىّ شحنة بغداد وكان قد ظلم الناس وعسفهم وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم فقبض عليه وسيّره الى تكريت فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز[3] ثم امر بقتله فلمّا ارادوا قتله القى بنفسه فى دجلة فغرق فأُخذ راسه وحُمل الى السلطان وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز[3] فعمل اعمالاً صالحةً منها انّه عمل مسناة النهروان واشباهها وكان حسن السيرة كثير الاحسان، وفيها درّس الشيخ ابو منصور ابن الرزّاز بالنظاميّة ببغداد، وفيها ارسل الخليفة الى اتابك زنكى فى اطلاق قاضى القضاة الزينبىّ فاطلقه وانحدر الى بغداد فخلع عليه الخليفة واقرّه على منصبه، وفيها كان بخراسان غلآء شديد طالت مدّته وعظم امره حتّى اكل الناس الكلاب والسنانير وغيرها من الدوابّ وتفرّق اكثر اهل البلاد من الجوع، وفيها توفّى طغان ارسلان صاحب بدليس[4] وارزن من ديار بكر [وولى بعده ابنه قرتى[5]] واستقام له الامر، وفيها فى شهر صفر جآءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد فخربت

---

1) الساخ 2) بركيارق 3) بهرور 4) C. P. Ups: ماردين 5) C. P.

كثيرًا منها وهلك تحت الهدم عدّة كثيرة وفيها توفّى احمد بن محمّد بن ابى بكر بن ابى الفتح الدينورى الفقيه الحنبلى ببغداد وكان ينشد كثيرًا هذه الابيات

تمنيتَ ان تمسى فقيهًا مناظرًا بغير عناءٍ والجنون فنونُ
وليس اكتساب المال دون مشقّة تلقّيتها فالعلم كيف يكونُ

وفيها توفّى محمّد بن عبد الملك بن عمر ابو الحسن الكرخى ومولده سنة ثمان وخمسين واربعماية وكان فقيها محدّثا سمع الحديث بحريم اصفهان وهمذان وغيرها، وفى شعبان منها توفّى القاضى ابو العلا صاعد بن الحسين بن اسمعيل ابن صاعد وهو ابن عمّ القاضى ابى سعيد وولى القضاء بنيسابور بعد ابى سعيد،

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية،

ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه

فى هذه السنة فى المحرّم سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه وهو ابن ملكشاه محاربًا لخوارزم شاه اتسز[2] بن محمّد وسبب ذلك انّ سنجرا بلغه انّ اتسز[2] يحدّث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وانّ هذا الامر قد ظهر على كثير من اصحابه وامرائه فاوجب ذلك قصده واخذ خوارزم شاه فجمع عساكره وتوجّه نحوه فلمّا قرب من خوارزم شاه فى عساكره خرج خوارزم شاه اليه فى عساكره فلقيه مصافًّا وعبّى كلّ واحد منهما عساكره واصحابه واقتتلوا فلم يكن لخوارزميّة قوّة بالسلطان فلم يثبتوا وولّوا منهزمين وقتل منهم خلق كثير ومن جملة القتلى ولد لخوارزم شاه فحزن عليه ابوه حزنًا عظيمًا ووجد وجدًا شديدا وملك سنجر خوارزم واقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد اخيه محمّد ورتّب له وزيرا واتابك وحاجبا وقرّر قواعده وعاد الى مرو فى جمادى الاخرة من هذه السنة، فلمّا فارق خوارزم عاد اليها خوارزم شاه الفرصة فرجع اليها وكان اهلها يكرهون العسكر السنجرى ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلمّا عاد اعانوه على ملك البلد ففارقها

---

[1] ابو [2] اتسز

سليمان شاه واختلفا بعد الاتفاق فعل خوارزم شاه فى خراسان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ما نذكره ان شاء الله ¤

ذكر قتل محمود صاحب دمشق وملك اخيه محمد

فى هذه السنة فى شوال قُتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى[1] ابن طغدكين صاحب دمشق على فراشه غيلةً قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصّه واقرب الناس اليه فى خلوته وجلوته وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فنجا احدهم وأُخذا[2] الاخران فصلبا وكتب معين الدين انر من دمشق الى اخيه جمال[3] الدين محمّد بن بورى صاحب بعلبكّ وهو بها بصورة الحال واستدعاه ليملك بعد اخيه فحضر فى اسرع وقت فلمّا دخل البلد جلس للعزاء باخيه وحلف له الجند واعيان الرعيّة وسكن الناس وفوّض امر دولته الى معين الدين أُنر مملوك جدّه وزاد فى علوّ مرتبته وصار هو الجملة والتفصيل واقطعه بعلبكّ وزوّجه بامّه وكان أُنر خيّرًا عاقلًا حسن السيرة فجرت الامور عنده على احسن نظام ¤

ذكر ملك زنكى بعلبكّ

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار عماد الدين اتابك زنكى ابن اقسنقر الى بعلبكّ فحصرها ثم ملكها وسبب ذلك انّ محمودًا صاحب دمشق لمّا قُتل كانت والدته زمرّد خاتون عند اتابك زنكى بحلب قد تزوّجها فوجدت لقتل ولدها وجدا شديدًا وحزنت عليه وارسلت الى زنكى وهو بديار الجزيرة تعرّفه الحادثة وتطلب منه ان يقصد دمشق ويطلب بثار ولدها فلمّا وقف على هذه الرسالة بادر فى الحال من غير توقّف ولا تريّث وسار مُجدًّا ليجعل ذلك طريقًا الى مُلك البلد وعبر الفراة عازمًا على قصد دمشق فاحتاط من بها واستعدّوا واستكثروا من الذخاير ولم يتركوا شيئًا ممّا يحتاجون اليه الّا وبذلوا الجهد فى تحصيله واقاموا ينتظرون وصوله اليهم فتركهم وسار الى بعلبكّ وقيل كان السبب فى مُلكها انّها كانت لمعين الدين أُنر كما ذكرناه وكان

---

[1] نورى [2] اخذ [3] كمال

له جارية يهواها فلمّا تزوّج امّ جمال الدين سيّرها الى بعلبك فلمّا سار زنكى الى الشام عازمًا على قصد دمشق سيّر الى أنر يبذل له البذول العظيمة ليسلّم اليه دمشق فلم يفعل وسار اتابك الى بعلبك فوصل اليها فى العشرين من ذى الحجّة فى السنة فنازلها فى عساكره وضيّق عليها وجدّ فى محاربتها ونصب عليها من المناجنيقات اربعة عشر عددا ترمى ليلًا ونهارًا فاشرف مَن بها على الهلاك وطلبوا الامن وسلّموا اليه المدينة وبقيت القلعة وبها جماعة من الشجعان شجعان الاتراك فقاتلهم فلمّا ايسوا من معين ونصير طلبوا الامان فآمّنهم فسلّموا اليه القلعة فلمّا نزلوا منها وملكها غدر بهم وامر بصلبهم فصُلبوا ولم ينج منهم الّا القليل فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وخافه غيرهم وحذروه لا سيّما اهل دمشق فقالوا لو مَلَكَنا لفعل بنا مثل فعله بهولآء فازدادوا نفورًا وجدًّا فى محاربته ولمّا ملك زنكى بعلبك اخذ الجارية التى كانت لمعين الدين أنر بها فتزوّجها بحلب فلم تزل بها الى ان قُتل فسيّرها ابنه نور الدين محمود الى معين الدين أنر وهى كانت اعظم الاسباب فى المودّة بين نور الدين وبين أنر والله اعلم ٭

ذكر استيلآء قراسنقر على بلاد فارس وعوده عنها

وفى هذه السنة جمع اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان عساكر كثيرة وسار طالبًا بثار ابيه الذى قتله بوزابة فى المصافّ المقدّم ذكره فلمّا قارب السلطان مسعودًا ارسل اليه يطلب منه قتل وزيره الكمال فقتله كما ذكرناه فلمّا قُتل سار قراسنقر الى بلاد فارس فلمّا قاربها تحصّن بوزابة منه فى القلعة البيضآء ووطئ قراسنقر البلاد وتصرّف فيها وليس له دافعٌ ولا مانعٌ الّا انّه لم يمكنه المقام وملك [المدن] التى فى فارس فسلّم البلاد الى الملك سلجوق شاه بن السلطان محمود وقال له هذه البلاد لك فاملك الباقى وعاد الى اذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة سنة اربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وملك البلاد واسر سلجوق شاه وسُجن فى قلعة بفارس ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى صفر توفّى الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد معزولاً ببغداد وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه ودُفن فى داره ثمّ نُقل الى الكوفة فدُفن فى مشهد امير المومنين علىّ بن ابى طالب عليه السلام وكان فيه تشيُّعٌ وهو كان السبب فى عمل المقامات الحريريّة وكان رجلا عاقلا شهما ديّنا خيّرا وزر للخليفة المسترشد والسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقيل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثمّ يُخطب اليها فيجيب كارهًا، وفيها قدم السلطان مسعود بغداد فى ربيع الاوّل وكان الزمان شتاء وصار يُشتّى بالعراق ويصيّف بالجبال ولمّا قدمها ازال المكوس وكتب الالواح بازالتها ووضعت على ابواب الجوامع والاسواق وتقدّم ان لا ينزل جندىٌّ فى دار عامّىّ من اهل بغداد الّا باذن فكثر الدعآءُ له والثنآءُ عليه وكان السبب فى ذلك الكمال الخازن وزير السلطان، وفيها فى صفر كانت زلازل كثيرة هايلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان اشدّها بالشام وكانت متوالية عشرة ليال كلّ ليلة عشر دفعات فخرب كثير من البلاد ولا سيّما حلب فانّ اهلها لمّا كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا [الى] الصحرآء وعدّوا ليلة واحدة جآءتهم ثمانين مرّة ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر الى تاسع عشره وكان معها صوت وهدّة شديدة، وفيه اغار الفرنج على اعمال بانياس فسار عسكر دمشق فى اثرهم فلم يدركوهم فعادوا، وفيها توفّى ابو القسم طاهر بن طاهر الشحّامىّ النيسابورىّ بها ومولده سنة ستّ واربعين واربعماية وكان اماما فى الحديث مكثرًا عالى الاسناد، وتوفّى عبد الله بن احمد بن عبد القاهر بن محمّد بن يوسف ابو القاسم بن ابى الحسين البغدادىّ بها ومولده سنة اثنتين وخمسين واربعمايّة، وعبد العزيز بن عثمان بن ابرهيم بن محمّد الاسدىّ البخارىّ كان قاضى بخارا وكان من الفقهآء اولاد الايمّة حسن السيرة، وتوفّى محمّد بن شُجاع بن ابى بكر بن علىّ بن ابرهيم اللَفْتُوانىّ الاصفهانىّ باصفهان فى جمادى الاخرة ومولده سنة

ستّ وتسعين واربعمائة وسمع الحديث الكثير باصبهان وبغداد وغيرها

سنة ٥٣٤ ثم دخلت سنة اربع وثلاثين وخمسمائة،

ذكر حصار اتابك زنكي دمشق

في هذه السنة حصر اتابك زنكي دمشق مرّتين فامّا المرّة الاولى فانه
سار اليها في ربيع الاوّل من بعلبكّ بعد الفراغ من امرها وتقرير قواعدها
واصلاح ما تشعّث منها ليحصرها فنزل بالبقاع وارسل الى جمال الدين
محمّد صاحبها يبذل اليه بلدًا يقترحه ليسلّم اليه دمشق فلم يجبه
الى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على داريّا ثالث عشر ربيع الاوّل
فالتقت الطلايع واقتتلوا وكان الظفر لعسكر زنكي وعاد الدمشقيّون
منهزمين فقُتل كثير منهم، ثم تقدّم زنكي الى المصلّى فنزل عنده ولقيه
جمع كثير من جند دمشق واحداثها ورجّالة الغوطة فقاتلوه فانهزم
الدمشقيّون واخذهم السيف فقتل فيهم واكثر واسر كذلك ومن سلم
عاد جريحًا واشرف البلد ذلك اليوم على الاخذ وان يملك لكن عاد زنكي
وامسك عنه عشرة ايّام وتابع الرسل الى صاحب دمشق وبذل له بعلبكّ
وحمص وغيرهما ممّا يختاره من البلاد فمال الى ان يسلّم ومنعه غيره من
اصحابه من ذلك وخوّفوه عاقبة فعله وان يغدر به كما فعل باهل
بعلبكّ فلمّا لم يسلّموا اليه عاد القتال والزحف، ثم انّ جمال الدين
محمّدًا صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان وطمع زنكي حينئذ
في البلد وزحف اليه زحفًا شديدًا ظنًّا منه انّه ربّما يقع بين المقدّمين
والامرآء خلاف فيبلغ به الغرض وكان ما امّله بعيدًا، فلمّا مات جمال
الدين ولي بعده مجير الدين ابق ولده وتولّى تربيته وتدبير دولته معين
الدين أُنُر فلم يظهر لموت ابيه اثر مع انّ عدوّه على باب المدينة
فلمّا راى أُنُر انّ زنكي لا يفارقهم ولا يزول عن حصرهم راسل الفرنج
واستدعاهم الى نصرته وان يتّفقوا على دفع زنكي عن دمشق وبذل لهم
بذولًا وان يحصر بانياس ويأخذها ويسلّمها اليهم وخوّفهم من زنكي ان
ملك دمشق فعلموا صحّة قوله وعلموا انّه ان ملكها لا يبقى لهم معه

بالشام مقام وان الفرنج اجتمعوا وعزموا على المسير الى دمشق
ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكى ، فحين علم زنكى بذلك
سار الى حوران خامس رمضان عازمًا على قتال الفرنج قبل أن يجتمعوا
بالدمشقيين فلمّا سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم فلمّا رءاهم كذلك
عاد الى حصر دمشق [ونزل] بعذرا[1] شماليها سادس شوّال فاحرق عدّة
قرى من المرج والغوطة ورحل عايدًا الى بلاده ووصل الفرنج الى
دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكى فعادوا فسار معين
الدين أنر الى بانياس فى عسكر دمشق وهى فى طاعة زنكى كما تقدّم
ذكرها ليحصرها ويسلّمها الى الفرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها
بجمعة الى مدينة صور للاغارة على بلادها فصادفه صاحب انطاكيّة
وهو قاصد الى دمشق نجدة لصاحبها على زنكى فقتلا فانهزم المسلمون
واخذوا الى بانياس فقتل ونجا مَن سلم منهم الى بانياس وجمعوا معهم
كثيرًا من البقاع وغيرها وحفظوا القلعة فنازلها معين الدين فقاتلهم
وضيّق عليهم ومعه طايفة من الفرنج فاخذها وسلّمها الى الفرنج ، وامّا
الحصر الثانى لدمشق فانّ اتابك لمّا سمع الخبر بحصر بانياس عاد الى
بعلبكّ ليدفع منها مَن يحصرها فاقام هناك فلمّا عاد عسكر دمشق
بعد ان ملكوها وسلّموها الى الفرنج فرّق اتابك زنكى عسكره على الاغارة
على حوران واعمال دمشق وسار هو جريدة مع خواصّه فنازل دمشق
سحرًا ولم يعلم به احد من اهلها فلمّا اصبح الناس ورءاوا عسكره
خافوا وارتجّ البلد واجتمع العسكر والعامّة على السور وفُتحت الابواب
وخرج الجُند والرجّالة فقاتلوه فلم يمكن زنكى عسكره من الاقدام فى
القتال لانّ عامّة عسكره كانوا قد تفرّقوا فى البلاد للنهب والتخريب
وانّما قصد دمشق ليلًا يخرج منها عسكر الى عسكره وهم متفرّقون
فلمّا اقتتلوا ذلك اليوم قُتل بينهم جماعة ثم احجم زنكى عنهم وعاد الى
خيامه ورحل[2] الى مرج راهط واقام ينتظر عودة عسكره فعادوا اليه
وقد ملأوا ايديهم من الغنايم لانّهم طرقوا البلاد واهلها غافلون
فلمّا اجتمعوا عنده رحل بهم عايدًا الى بلادهم ۞

1) نعذرا 2) ورجل

ذكر ملك زنكى شهرزور واعمالها

فى هذه السنة ملك اتابك زنكى شهرزور واعمالها وما يجاورها من
الحصون وكانت بيد قبجاق ابن ارسلان تاش التركمانى وكان حكمه
نافذًا[1] على قاصى[2] التركمان ودانيهم وكلمته لا تخالف يرون طاعته
فرضًا فتحامى الملوك قصده ولم يتعرّضوا لولايته لانّها منيعة كثيرة
المضايق فعظم شانه وازداد جمعه واتاه التركمان من كلّ فجّ
عميق ، فلمّا كان هذه السنة سيّر اليه اتابك زنكى عسكرا فجمع اصحابه
ولقيهم فتصافّوا واقتتلوا فانهزم قبجاق واستبيح عسكره وسار الجيش
الاتابكىّ [فى اعقابهم فحصروا الحصون والقلاع وملكوها جميعها وبذلوا الامان
لقبجاق فصار اليهم وانخرط فى سلك العسكر][3] ولم يزل هو وبنوه فى
خدمة البيت على احسن قضيّة الى بعد سنة ستّمائة بقليل وفارقوها ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة جرى بين امير المؤمنين المقتفى لامر الله وبين
الوزير شرف الدين علىّ ابن طراد الزينبىّ منافرة وسببها انّ الوزير كان
يعترض الخليفة فى كلّ ما يامر به فنفر الخليفة من ذلك فغضب الوزير ثمّ
خاف فقصد دار السلطان فى سميريّة وقت الظهر ودخل اليها واحتمى
بها فارسل اليه الخليفة فى العود الى منصبه فامتنع وكانت الكتب تصدر
باسمه واستنيب قاضى القضاة الزينبىّ وهو ابن عمّ الوزير وارسل الخليفة
الى دار السلطان رسلا فى معنى الوزير فرخص له السلطان فى عزله
فحينئذ اسقط اسمه من الكتب واقام بدار السلطان ثمّ عزل الزينبىّ
من النيابة وناب سديد الدولة ابن الانبارىّ[4] ، وفيها قتل المقرّب جوهر
وهو من خدم السلطان سنجر وكان قد حكم فى دولته جميعها ومن
جملة اقطاعه الرىّ ومن جملة عبيده عبّاس صاحب الرىّ وكان سائر عسكر
السلطان سنجر يخدمونه ويقفون ببابه وكان قتله بيد الباطنيّة وقف
له جماعة منهم بزىّ النساء واستغاثوا به فوقف يسمع كلامهم فضربوه

---

[1] نافذًا [2] قاضى [3] C. P. et 740. [4] الانبار

فلمّا قُتل جمع صاحبه عبّاس العساكر وقصد الباطنيّة فقتل منهم واكثر وفعل بهم ما لم يفعله غيره ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرّب بلادهم الى ان مات، وفيها زلزلت كنجة وغيرها من اعمال اذربيجان واران الّا انّ اشدّها كان بكنجة فخرّب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة قيل كان الهلكى مايتىْ الف وثلاثين الفًا وكان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد وتهدّمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز وذهب له فيها من الذخاير والاموال شئٌ عظيم، وفيها شرع مجاهد الدين بهروز فى عمل النهروانات سكر سكرًا عظيمًا يردّ المآء الى مجراه الاوّل وحفر مجرى المآء القديم وخرق اليه مجراة تاخذ من ديالى ثم استحال بعد ذلك وجرى المآء ناحية من السكر وبقى السكر فى البرّ لا ينتفع به احدٌ ولم يتعرّض احدٌ الى ردّه الى مجراه عند السكر الى وقتنا هذا، وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق ولم يجئ غير مرّة واحدة فى اذار ثم انقطع ووقع الغلآء وعُدمت الاقوات، وفيها فى جمادى الاخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها الى دار الخليفة يومًا مشهودًا غُلقت بغداد عشرة ايام وزُيّنت وتزوّج السلطان مسعود بابنة الخليفة، وفيها فى ربيع الاوّل توفّى القاضى ابو الفضل يحيى بن قاضى دمشق المعروف بالزكيّ *

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسماية، سنة ٥٣٥

ذكر مسير جهاردانكيّ الى العراق وما كان منه

فى هذه السنة امر السلطان مسعود الامير اسمعيل المعروف بجهاردانكيّ والبقش كون خر[1] بالمسير الى خوزستان وفارس واخذها من بوزابة واطلق لهم نفقة على بغداد فساروا فيمن معهما الى بغداد فمنعهم مجاهد الدين بهروز عن دخولها فلم يقبلوا منه فارسل الى المعابر فخسفها وغرّقها وجدّ فى عمارة السور وسدّ باب الظفريّة وباب كلواذى واغلق باقى الابواب وعلّق عليها السلاسل وضرب الخيام للمقاتلة فلمّا علما بذلك عبرا بصرصر وقصدا الحلّة فمُنعا منها فقصدا واسطًا فخرج

[1] البقش كون حر

اليهم الامير طرنطاى وتقاتلوا فانهزم طرنطاى ودخلوا واسطا فنهبوها ونهبوا بلد فرسان والنعمانية ولقيهم طرنطاى الى حماد بن ابى الخير صاحب البطيحة ووافقهم عسكر البصرة وفارق اسمعيل والبقش عسكرهما وصارا مع طرنطاى فضعف اوليك فطار الى تستر واستشفع اسمعيل الى السلطان فعفى عنه ۞

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجر ومعه بردة النبى صلعم والقضيب وكانا قد اخذا من المسترشد فعدتها الآن الى المقتفى، وفى هذه السنة توفى اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان واْرانية بمدينة اردبيل وكان مرضه السل وطال به وكان من مماليك الملك طغرل وسلمت اذربيجان واْرانية الى الامير جاولى الطغرلى وكان قراسنقر عظم محلّه على سلطانه وخافه السلطان، وفيها كان بين اتابك زنكى وبين داود سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا حرب شديد وانهزم داود وملك زنكى من بلاده قلعة بهمود وادركه الشتاء فعاد الى الموصل، وفيها ملك الاسماعيلية حصن مصيات بالشام وكان واليه مملوكا لبنى منقذ[1] اصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن وهو بايديهم الى الآن، وفيها توفى سديد الدولة ابن الانبارى واستوزر الخليفة بعده نظام الدين ابا نصر محمّد بن محمّد بن جبير وكان قبل ذلك استاذ الدار، وفيها توفى برنقش[2] بازدار صاحب قزوين، وفيها فى رجب ظفر ابن الدانشمند[3] صاحب ملطية وغيرها من تلك النواحى بجمع من الروم فقتلهم وغنم ما معهم، وفيها فى رمضان سارت طايفة من الفرنج فخرج اليهم العسكر الذى بعسقلان فقاتلهم فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيرا فعادوا منهزمين، وفيها بنيت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين ابو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ولمّا فرغت درّس فيها الشيخ ابو الحسن بن الخل[4] وحضره[5] ارباب المناصب وساير الفقهآء، وفيها فى رجب مات القاضى ابو بكر بن محمّد بن عبد الباقى الانصارى قاضى المارستان عن نيف

---

[1] منقد [2] برنقش [3] الرانشهد [4] الخل [5] وحصره

وسبعين سنة وله الاسناد العالى بالحديث وكان عالمًا بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الاوايل وهو اخر مَن حدّث فى الدنيا عن ابى اسحق البرمكى والقاضى ابى بكر الطبرى وابى طالب العشارى وابى محمّد الجوهرى وغيرهم ، وتوفى الامام الحافظ ابو القسم اسمعيل بن محمّد بن الفضل الاصفهانى عشر ذى الحجّة ومولده سنة تسع وخمسين وله التصانيف المشهورة ، وتوفّى يوسف بن ايّوب بن يوسف بن الحسين بن يعقوب الهمدانى من اهل بزجرد وسكن مرو وتفقّه على ابى اسحق الشيرازى وروى الحديث واشتغل بالرياضات والمجاهدات ووعظ ببغداد فقام اليه متفقّه يقال له ابن السقّا وساله واذاه فى السؤال فقال اسكت انى اشتمّ منك ريح الكفر فسافر الرجل الى بلد الروم وتنصّر ، وفيها مات ابو القسم على بن افلح ابن افلح الشاعر المشهور ٭

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسماية ،

ذكر انهزام السلطان سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ما وراء النهر

ثم ذكر اصحاب التواريخ فى هذه الحادثة اقاويل نحن نذكرها جميعها للخروج من اختلافها وعهدتها فنقول فى هذه السنة فى المحرّم وقيل فى صفر انهزم السلطان سنجر من الترك الكفّر وسبب ذلك انّ سنجرًا كان قتل ابنًا لخوارزم شاه اتسز[1] بن محمّد كما ذكرناه قبلُ فبعث خوارزم شاه الى الخطا وهم بما وراء النهر يُطمعهم فى البلاد ويروّج عليهم امرها وحثّهم على قصد مملكة السلطان سنجر فساروا فى ثلثماية الف فارس وسار اليهم سنجر فى عساكره فلقوا بما وراء النهر واقتتلوا اشدّ قتال وانهزم سنجر وعساكره وقُتل منهم ميّة الف فقيل منهم اثنا عشر الفًا كلّهم صاحب عمامة واربعة الاف امراة واسرت زوجة السلطان سنجر ومرّ السلطان منهزمًا الى ترمذ[2] وسار منها الى بلخ ولمّا انهزم سنجر قصد خوارزم شاه مدينة مرو فدخلها مراغمة للسلطان سنجر وقتل بها وقبض على ابى الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى وعلى جماعة من الفقهاء وغيرهم من اعيان البلد ولم يزل السلطان سنجر

---

1) افشز 2) ترمد

مسعودًا الى وقتنا هذا لم تنهزم له راية ۰ ولمّا تمّت عليه هذه السنة
الهزيمة ارسل الى السلطان مسعود واذن له فى التصرّف فى الرىّ وما
يجرى معها على قاعدة ابيه السلطان محمّد وامره ان يكون مقيمًا
فيها بعساكره بحيث ان دعت حاجة استدعاه لاجل هذه الهزيمة
فوصل عبّاس صاحب الرىّ الى بغداد بعساكره وخدم السلطان
مسعودًا[1] خدمة عظيمة وسار السلطان الى الرىّ امتثالا لامر عمّه سنجر ۰
وقيل انّ بلاد تركستان وهى كاشغار وبلاد بلاساغون[2] وختن وطراز وغيرها
ممّا يجاورها من بلاد ما وراء النهر كانت بيد الملوك الخانيّة الاتراك وهم مسلمون
من نسل افراسياب[3] التركىّ الّا انّهم مختلفون وكان سبب اسلام جدّهم سبق
قراخاقان انّه راى فى منامه كانّ رجلًا نزل من السماء فقال له بالتركيّة
ما معناه أَسْلِم تَسْلَم فى الدنيا والاخرة فاسلم فى منامه واصبح فاظهر
اسلامه فلمّا مات قام مقامه ابنه موسى بن سبق ولم يزل الملك بتلك
الناحية فى اولاده الى ارسلان خان بن محمّد بن سليمان بن داود بغراخان[4]
ابن ابرهيم الملقّب بطفغاج خان بن ايلك الملقّب بنصر ارسلان بن
علىّ بن موسى بن سبق فخرج على قدرخان[5] فانتزع الملك منه فقتل
سنجر قدرخان[5] كما ذكرناه سنة اربع وتسعين واربعمائة واعاد الملك
الى ارسلان خان وثبت قدمه وخرج عليه خوارج فاستنصر السلطان سنجر
فنصره واعاده الى ملكه ۰ وكان من جنده نوع من الاتراك يقال لهم
القارلغيّة والاتراك الغزّيّة[6] الذين نهبوا خراسان على ما نذكره ان
شاء الله وهم نوعان نوع يقال لهم اجق واميرهم طوطى بن داذبك وقسم
يقال لهم برق واميرهم يقال له فرغوت ابن عبد الحميد فحسّن الشريف
الاشرف بن محمّد بن ابى شجاع العلوىّ السمرقندىّ لولد ارسلان
خان المعروف بنصر خان طلب الملك من ابيه واسمعه فسمع محمّد
خان الخبر فقتل الابن والشريف الاشرف وجرت بين ارسلان خان وبين
جنده القارلغيّة وحشة دعتهم الى العصيان عليه وانتزاع الملك منه
فعاود الاستعانة بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة اربع

1) مسعردا   2) ساغون   3) فراسيباب   4) بغراخن
5) قررخان   6) الغزيّة

وعشرين وخمسمائة وكان بينهما مصاهرة فوصل الى سمرقند وهرب
القارغلية من بين يديه ، واتفق ان السلطان سنجر خرج الى الصيد
فراى خيّالة فقبض عليهم فعرّتم فاقرّوا ان ارسلان خان وضعهم على
قتله فعاد الى سمرقند فحصر ارسلان خان بالقلعة فلكها واخذه اسيرا
وسيّره الى بلخ فمات بها ، وقيل بل غدر به سنجر واستضعفه فلان
البلد منه فشنع عنه ذلك ، فلمّا ملك سمرقند استعمل عليها بعده
قلج طمغاج ابا المعالى الحسن ابن علىّ بن عبد المؤمن المعروف بحسن
تكين وكان من اعيان بيت الخانية ~~الى الان~~ الّا انّ ارسلان خان اطّرحه
فلمّا ولى سمرقند ~~وكان هذا حسن ابن اخت سنجر~~ لم تطل ايّامه
فتوفى عن قليل فقدم سنجر محمد الملك محمود بن ارسلان خان
محمّد ابن سليمان بن داود بغراخان وهو ابن الذى اخذ منه سنجر
سمرقند وكان هذا محمود ابن اخت سنجر ، وكان قبل ذلك سنة
اثنتين وعشرين وخمسمائة وقد وصل الاعور هو كورخان الصينىّ الى
حدود كاشغر فى عدد كثير لا يعلمهم الّا الله فاستعدّ له صاحب كاشغر
وهو الخان احمد بن الحسن وجمع جنوده فخرج اليه والتقوا فاقتتلوا
وانهزم الاعور الصينىّ وقتل كثير من اصحابه ثم انّه مات فقام مقامه
كوخان الصينىّ وكو بلسان الصين لقب لاعظم ملوكهم وخان
لقب لملوك الترك فمعناه اعظم الملوك وكان يلبس لبسة ملوكهم من
المقنعة والخمار وكان مانويّا ولمّا خرج من الصين الى تركستان
انضاف اليه الاتراك الخطا وكانوا قد خرجوا قبله من الصين وهم فى
خدمة الخانية اصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمّد ابن
سليمان يسيّر كلّ سنة عشرة الف خركاة وينزلهم على الدروب التى بينه
وبين الصين يمنعون احدا من الملوك ان يتطرّق الى بلاده وكان لهم
على ذلك جرايات واقطاعات فاتفق انّه وجد عليهم فى بعض السنين
فمنعهم عن نسائهم لئلّا يتوالدون فعظم عليهم ولم يعرفوا وجها يقصدونه
وتحيّروا فاتفق ان اجتاز بهم قفل عظيم فيه الاموال الكثيرة والامتعة
النفيسة فاخذوه واحضروا التجار وقالوا لهم ان كنتم تريدون اموالكم

1) محمد

فتعرّفوا بلدًا كثير المرعى فسيحًا يسعنا ويسع اموالنا فاتّفق راى التجار على بلد بلاساغون فوصفوه لهم فعادوا اليهم امرائهم واخذوا الموكّلين الذين كانوا بهم لمنعهم عن تسبّبهم وكتفوهم واخذوا نساءهم وساروا الى بلاساغون وكان ارسلان خان يغزوهم ويكثر جهادهم فخافوه خوفًا عظيمًا فلمّا طال ذلك عليهم وخرج كوخان الصينىّ انضافوا اليه ايضًا فعظم شانهم وتضاعف جمعهم وملكوا بلاد تركستان وكانوا اذا ملكوا المدينة لا يغيّروا على اهلها شيئًا بل ياخذون من كلّ بيت دينارًا من اهل البلاد وغيرها من القرى وامّا المزدرعات وغير ذلك فلا وكلّ من اطاعهم من الملوك شدّ في وسطه شبه لوح فضّة فتلك علامة من اطاعهم ثمّ ساروا الى بلاد ما وراء النهر فاستقبلهم الخاقان محمود بن محمّد من حدود خجندة[1] في رمضان سنة احدى وثلاثين وخمسماية واقتتلوا فانهزم الخاقان محمود بن محمّد وعاد الى سمرقند فعظم الخطب على اهلها واشتدّ الخوف والحزن وانتظروا البلاء صباحًا ومساء وكذلك اهل بخارا وغيرها من بلاد ما وراء النهر وارسل الخاقان محمود الى السلطان سنجر يستمدّه وينهى اليه ما لقى المسلمون ويحثّه على نصرتهم فجمع العساكر فاجتمع عنده ملوك خراسان صاحب سجستان والغور[2] وملك غزنة وملك مازندران[3] وغيرهم فاجتمع اليه اكثر من مائة الف فارس وبقى العرض ستّة اشهر وسار سنجر الى لقاء الترك فعبروا الى ما وراء النهر في ذى الحجّة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة فشكى اليه محمود بن محمّد خان من الاتراك القارغليّة فقصدهم سنجر فالتجوا الى كوخان الصينىّ ومن معه من الكفّار واقام سنجر بسمرقند فكتب اليه كوخان كتابًا يتضمّن الشفاعة في الاتراك القارغليّة ويطلب منه ان يعفو عنهم فلم يشفّعه فيهم وكتب اليه يدعوه الى الاسلام ويتهدّده ان لم يجب اليه ويتوعّده بكثرة عساكره ووصفهم وبالغ في قتالهم بانواع السلاح حتّى قال وانّهم يشقّون الشعر[4] بسهامهم فلم يرض هذا الكتاب وزير السلطان طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك فلم يصغ اليه وسيّر الكتاب فلمّا قرى

1) C. P. Ups: خجبة 2) والعور 3) مرتدران 4) الشعر

الدناب على كوخان امر بنتف لحية الرسول واعطاه ابرة وكلفه شق شعرة من لحيته فلم يقدر يفعل ذلك فقال كيف يشقّ غيرك شعرة بسهم وانت عاجز عن شقّها بابرة واستعدّ كوخان للحرب وعنده جنود الترك والصين والخطا وغيرهم وقصد السلطان سنجر فالتقى العسكران وكانا كالبحرين العظيمين بموضع يقال له قطوان[1] وطاف بهم كوخان حتّى الجاهم الى واد يقال له دبرغم وكان على ميمنة سنجر الامير قماج وعلى ميسرته ملك سجستان والاثقال وراءهم فاقتتلوا خامس صفر سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة وكانت الاتراك القارلغيّة الذين هربوا من سنجر من اشدّ الناس قتالا ولم يكن ذلك اليوم من عسكر السلطان سنجر احسن قتالاً من صاحب سجستان فانجلت الحرب عن هزيمة المسلمين فقتل منهم ما لا يُحصى من كثرتهم واشتمل وادى دبرغم على عشرة الاف من القتلى والجرحى ومضى السلطان سنجر منهزمًا وأسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان سنجر وهى ابنة ارسلان خان فاطلقهم والحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخارىّ الفقيه الحنفىّ المشهور ولم يكن فى الاسلام وقعة اعظم من هذه ولا اكثر ممّن قتل فيها بخراسان واستقرّت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر وبقى كوخان الى رجب من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فمات فيه وكان جميلاً حسن الصورة لا يلبس الّا الحرير الصينىّ له هيبة عظيمة على اصحابه ولم يسلّط اميرًا على اقطاع بل كان يُعطيهم من عنده ويقول متى اخذوا الاقطاع ظلموا وكان لا يقدّم اميرًا على اكثر من مائة فارس حتّى لا يقدر على العصيان عليه وكان ينهى اصحابه عن الظلم وينهى عن السكر ويعاقب عليه ولا ينهى عن الزنآء ولا يقبّحه ، وملك بعده[2] ابنة له فلم تطل مدّتها حتّى ماتت فملك بعدها امّها زوجة كوخان وابنه محمّد وبقى ما وراء النهر بيد الخطا الى ان اخذه منهم علآء الدين محمّد خوارزم شاه سنة اثنتى عشرة وستّمائة على ما نذكره ان شآء الله ☆

---

[1] قطران [2] بغداد

ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان

قد ذكرنا قبل قصد[1] السلطان سنجر خوارزم واخذها من خوارزم شاه اتسز[2] وعوده اليها وقتل ولد خوارزم شاه [وانّه هو الذى راسل الخطا واطمعهم فى بلاد الاسلام فلمّا تعبهم السلطان سنجر وعاد منهزمًا][3] سار خوارزم شاه الى خراسان فقصد سرخس فى ربيع الاوّل من[4] السنة فلمّا وصل اليها لقى الامام ابا محمّد الزيادىّ[5] وكان قد جمع بين الزهد والعلم فاكرمه خوارزم شاه اكرامًا عظيمًا ورحل من هناك الى مرو الشاهجان فقصده الامام احمد الباخرزىّ وشفع فى اهل مرو وسال الّا يعترض اليهم احد من العسكر فاجابه الى ذلك ونزل بظاهر البلد واستدعى ابا الفضل الكرمانىّ الفقيه واعيان اهلها فثار عامّة مرو وقتلوا بعض اهل خوارزم شاه واخرجوا اصحابه من البلد واغلقوا ابوابه واستعدّوا للامتناع فقاتلهم خوارزم شاه ودخل مدينة مرو سابع عشر ربيع الاوّل من السنة وقتل كثيرًا من اهلها وممّن قتل ابرهيم المروزىّ الفقيه الشافعىّ وعلىّ بن محمّد بن ارسلان وكان ذا فنون كثيرة من العلم وقُتل الشريف علىّ بن اسحق الموسوىّ وكان راس فتنة وملقح شرّ وقتل كثيرًا من اعيان اهلها وعاد الى خوارزم واستصحب معه علماء كثيرًا من اهلها منهم ابو الفضل الكرمانىّ وابو منصور العبادىّ والقاضى الحسين ابن محمّد الارسابندىّ وابو محمّد الخرقىّ الفيلسوف وغيرهم ثمّ سار فى شوّال من السنة الى نيسابور فخرج اليه جماعة من فقهآئها وعلمآئها وزهّادها وسألوه ان لا يفعل باهل نيسابور ما فعل باهل مرو فاجابهم الى ذلك لكنّه استقصى فى البحث عن اموال اصحاب السلطان فاخذها وقطع خطبة السلطان سنجر اوّل ذى القعدة وخطبوا له فلمّا ترك الخطيب ذكر السلطان سنجر وذكر خوارزم شاه صاح الناس وثاروا وكادت الفتنة تثور والشرّ يعود جديدًا وانّما منع الناس ذوو الراى والعقل نظرًا فى العاقبة فقطعت الى اوّل المحرّم سنة سبع وثلاثين فاعيدت خطبة السلطان سنجر، ثمّ سيّر خوارزم

---

1) C. P. Ups.: قصة

2) انتشر

3) C. P.

4) C. P. et 740. Ups: فى

5) الزبادى

شاه جيشًا الى اعمال بيهق فاقاموا بها يقاتلون اهلها خمسة ايّام ثمّ سار عنها ذلك الجيش ينهبون البلاد وعملوا بخراسان اعمالًا عظيمًا ومنع السلطان من مقاتلة اتسز خوارزم شاه لاجل قوّة الخطا بما وراء النهر ومجاورتهم [وملك] خوارزم [هذه البلاد] وغيرها من خراسان ؛

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك اتابك زنكى بن اقسنقر مدينة الحديثة ونقل من كان بها من آل مهراش الى الموصل ورتّب اصحابه فيها، وفيها ايضا خُطب لزنكى بمدينة آمد وصار صاحبها في طاعته وكان قبل ذلك موافقا لداود على قتال زنكى فلمّا راى قوّة زنكى صار معه، وفيها عُزل مجاهد الدين بهروز[1] عن شحنكيّة بغداد وفيها قُتل امير اخور وهو من مماليك السلطان محمود وكان له بروجرد والبصرة فاضيف اليه شحنكيّة بغداد ثمّ وصل السلطان الى بغداد فراى من تبسّط العيّارين وفسادهم ما ساءه فاعاد بهروز الى الشحنكيّة فتاب كثير منهم ولم ينتفع الناس بذلك لانّ ولد الوزير واخا امراة السلطان كانا يقاسمان العيّارين فلم يقدر بهروز على منعهم، وفيها توفّى عبد الرحمن طغايرك حجبة السلطان واستولى على المملكة وعزل الامير تتر[2] الطغرلىّ عنها وآل امره الى ان مشى في ركاب عبد الرحمن، وفيها توفّى ابرهيم السياوىّ مقدّم الاسماعيليّة فاحرقه ولد عبّاس صاحب الرىّ في تابوته، وفيها حجّ كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن وعاد وقد لبس ثياب الصوفيّة وتخلّى عن جميع ما كان عليه واقام في داره مراعى الجانب محروس القاعدة، وفيها وصل السلطان الى بغداد وكان الوزير الزينبىّ بدار السلطان لما ذكرناه فسأل السلطان ان يشفع فيه ولبردّه الخليفة الى داره فارسل السلطان وزيره الى دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبىّ وشفع ان يعود الى داره فأُذن له في ذلك واُعاد اخاه الى نقابة النقباء فلزم الوزير داره ولم يخرج منها الّا الى الجامع، وفيها اغار عسكر اتابك زنكى من حلب على بلاد الفرنج فنهبوا واحرقوا وظفروا بسريّة الفرنج فقتلوا فيهم واكثروا فكان عدّة القتلى سبع مئة رجل، وفيها افسد بنو

[1] بهرور [2] تمر

خفاجة بالعراق فسيّر السلطان مسعود سريّة البهم من العسكر فنهبوا حلّتهم وقتلوا مَن ظفروا به منهم وعادوا سالمين، وفيها سيّر رجّار الفرنجى صاحب صقلّية اسطولاً الى اطراف افريقية فاخذوا مراكب سُيّرت من مصر الى الحسن صاحب افريقية وغدر بالحسن ثم راسله الحسن وجدّد الهدنة لاجل حمل الغلات من صقلّية الى افريقية لانّ الغلاء كان فيها شديدًا والموت كثيرًا، وفيها توفّى ابو القسم عبد الوهّاب بن عبد الواحد الحنبلىّ الدمشقىّ وكان عالمًا، وفيها توفّى انوشروان الدين ابو سعيد الكفرتوثىّ[1] وزير اتابك زنكى وكان حسن السيرة فى وزارته قريبًا رئيسًا، وفيها توفّى ابو محمّد بن طاووس امام الجمع بدمشق فى المحرّم وكان رجلاً صالحًا فاضلاً، وفيها توفّى ابو القسم اسمعيل بن احمد بن عمر بن ابى الاشعث المعروف بابن السمرقندىّ ولد بدمشق سنة اربع وخمسين واربعمائة وكان مُكثرًا من الحديث عالى الرواية ٭

سنة ٥٣٧ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة،

ذكر مُلك اتابك زنكى قلعة اشب وغيرها من الهكّاريّة

فى هذه السنة ارسل اتابك زنكى جيشًا الى قلعة اشب وكانت اعظم حصون الاكراد الهكّاريّة وامنعها وبها اموالهم واهلهم فحصروها وضيّقوا على مَن بها فملكوها فامر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعماديّة عوضًا عنها وكانت هذه القلعة العماديّة حصنًا عظيمًا من حصونهم فخرّبوه لكبره لانّه كبير جدًّا وكانوا يعجزون عن حفظه فخرّبت الآن اشب وعمرت العماديّة وانّما سمّيت العماديّة نسبة الى لقبه وكان نصير الدين جقر نايبه بالموصل قد فتح اكثر القلاع الجبليّة ٭

ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب

وفى هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلّية الى طرابلس الغرب فحصروها وسبب ذلك انّ اهلها فى ايّام الامير الحسن صاحب افريقية لم يدخلوا ابدًا فى طاعته ولم يزالوا مخالفين مشاقّين له قد قدّموا عليهم من بنى مطروح مشايخ يدبّرون امرهم فلمّا رأى ذلك ملك

---

[1] الكفرتوثى (

صقلّية كذلك جهّز اليهم جيشًا فى البحر فوصلوا اليهم تاسع ذى الحجّة فنازلوا البلد وقاتلوه وعلّقوا الكلاليب فى سوره ونقبوه فلمّا كان الغد وصل جماعة من العرب نجدةً لاهل البلد فقوى اهل طرابلس بهم فخرجوا الى[1] الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقُتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدوابّ والآلات فنهبها العرب واهل البلد ورجع الفرنج الى صقلّية فجهّزوا اسلحتهم وتجهّزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل[2] فلمّا رءاهم اهل البلد هربوا الى البرارى والجبال فدخلها الفرنج وسبوا مَن ادركوا فيها وهدموها واحرقوها واخربوا القصر الذى بناه يحيى بن العزيز بن حمّاد للنزهة ثم عادوا ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة خرج حسن امير الامرآء على السلطان سنجر بخراسان، وفيها توفّى محمّد بن دانشمند[3] صاحب ملطيّة والثغر واستولى على بلاده[4] الملك مسعود بن قلج [ارسلان] صاحب قونية وهو من السلجوقيّة، وفيها خرج من الروم عسكر كثير الى الشام فحصروا الفرنج بانطاكيّة فخرج صاحبها واجتمع بملك الروم واصلح حاله معه وعاد الى مدينته ومات فى رمضان من هذه السنة ثم انّ ملك الروم بعد ان صالح صاحب انطاكيّة سار الى طرابلس فحصرها ثم سار عنها، وفيها قبض السلطان مسعود على الامير ترشك[5] وهو من خواصّ الخليفة وممّن ربى عنده وفى داره فساءَ ذلك الخليفة ثم اطلقه السلطان حفظًا لقلب الخليفة، وفيها كان بمصر وباءٌ عظيم فهلك منه اكثر البلاد ۞

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسماية، سنة ٥٣٨

ذكر صلح الشهيد السلطان مسعود واتابك زنكى

فى هذه السنة وصل السلطان مسعود الى بغداد على عادته فى كلّ سنة وجمع العساكر وتجهّز لقصد اتابك زنكى وكان حقد عليه حقدًا شديدًا وسبب ذلك انّ اصحاب الاطراف الخارجين عن السلطان مسعود

---

1) الا 2) حيجل 3) دانشبيهد 4) بلاد 5) برشك

كانوا يخرجون عليه على ما تقدّم ذكره فكان ينسب ذلك الى اتابك
زنكى ويقول هو الذى سعى فيه واشار به لعلمه انّهم كلّهم كانوا يصدرون
عن رايه فكان اتابك زنكى لا شكّ يفعل ذلك لئلّا يخلو السلطان فيتمكّن
منه ومن غيره فلمّا تفرّغ السلطان هذه السنة جمع العساكر ليسيروا
الى بلاده فسيّر اتابك يستعطفه ويستميله فارسل اليه السلطان ابا عبد
الله بن الانبارىّ فى تقرير القواعد فاستقرّت القاعدة على مائة الف دينار
يحملها الى السلطان ليعود عنه فحمل عشرين الف دينار اكثرها
عروض ثمّ تنقّلت الاحوال بالسلطان الى ان احتاج الى مداراة اتابك
واطلق له الباقى استمالة له وحفظًا لقلبه وقعاد السلطان عنه وكان
سببه حصانة بلاده وكثرة عساكره وامواله، ومن جيّد الراى ما فعله
الشهيد فى هذه الحادثة فانّه كان ولده الاكبر سيف الدين غازى
لا يزال عند السلطان سفرًا وحضرًا بامر والده فارسل اليه ينبّهه وارسل
الى نائبه بها نصير الدين جقر يقول له ليمنعه عن الدخول الى
الموصل والوصول اليه فهرب غازى وبلغ الخبر والده فارسل اليه يامره
بالعودة الى السلطان ولم يجتمع به وارسل معه رسولًا الى السلطان يقول
له انّ ولدى هرب خوفًا من السلطان لمّا راى تغيّره علىّ وقد اعدتُه
الى الخدمة ولم اجتمع به فانّه مملوكك والبلاد لك فحلّ
ذلك من السلطان محلًّا عظيمًا ۞

ذكر ملك اتابك بعض ديار بكر

وفى هذه السنة سار اتابك زنكى الى ديار بكر ففتح منها عدّة بلاد
وحصون فمن ذلك مدينة طنزة ومدينة اسعرد ومدينة
حيزان وحصن الروق وحصن قطليس وحصن بنسيه[1] وحصن ذى
القرنين وغير ذلك ممّا لم يبلغ غيرها هذه الاماكن واخذ ايضا من بلد
ماردين ممّا هو بيد الفرنج جملين[2] والموزر وتلّ موزن وغيرها من حصون
جوسلين[3] ورتّب امور الجميع وجعل فيها من الاجناد من يحفظها وقصد مدينة
امد وحانى[4] فحصرها واقام بتلك الناحية مصلحًا لما فتحه ومحاصرًا لما لم يفتحه

---

1) بانسه Cfr. Abulfeda III, p. 136. 2) جملين 3) سجنان 4) حانى

ذكر امر العيّارين ببغداد

وفي هذه السنة زاد امر العيّارين وكثر لامنهم من الطلب بسبب ابن الوزير وابن قاورت[1] اخي زوجة السلطان لانّهما كان لهما نصيب من الذى ياخذونه العيّارون وكان النايب في شحنكيّة بغداد مملوك اسمه ايلدكز[2] وكان صارمًا مقداما شديد تحمله الاقدام الى ان حضر عند السلطان فقال له السلطان انّ السياسة ناقصة والناس قد هلكوا فقال يا سلطان العالم اذا كان عقيد العيّارين ولد وزيرك واخا امراتك فاىّ قدرة لي على المفسدين وشرح له الحال فقال له الساعة تخرج وتكبس عليهما اين كانا وتصلبهما فان فعلتَ والّا صلبتُك فاخذ خاتمه وخرج فكبس على ابن الوزير فلم يجده فاخذ مَن كان عنده وكبس على ابن قاورت[1] فاخذه وصلبه فاصبح الناس وهرب ابن الوزير وشاع الامر ورُئى ابن قاورت[1] مصلوبًا فهرب اكثر العيّارين وقبض على مَن اقام وكفى الناس شرّهم ✿

ذكر حصر سنجر خوارزم وصلحه مع خوارزم شاه

قد ذكرنا سنة اثنتين وثلاثين مسير سنجر الى خوارزم ومُلكه ايّاها وعود اتسز[3] خوارزم شاه اليها واخذها وما كان منه بخراسان بعد ذلك فلمّا كان في هذه السنة سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه فجمع خوارزم شاه عساكره وتحصّن بالمدينة ولم يخرج منها للقتال لعلمه انّه لا يقوى لسنجر وكان القتال يجرى بين الفريقين من وراء السور فاتّفق يومًا في بعض الايّام هجم امير من امراء سنجر اسمه سنقر على البلد من الجانب الغربيّ فلم يبق غير ملكه قهرًا وعنوةً ~~وكان المقاتل التاجي هجم من الشرقي~~[4] فانهزم منقال عن البلد وبقي سنقر وحده في البلد فقوى عليه خوارزم شاه اتسز فاخرجه من البلد ~~وبقي سنقر وحده~~ واشتدّ في حفظه فلمّا راى السلطان قوّة البلد وامتناعه عزم على العود الى مرو ولم يمكنه من غير قاعدة تستقرّ بينهما فاتّفق انّ خوارزم شاه ارسل رسلًا يبذل المال والطاعة والخدمة ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطلحا وعاد سنجر الى مرو واقام خوارزم شاه بخوارزم ✿

---

1) قاورت 2) ايلدكز 3) اقسز 4) الشرق

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة سيّر اتابك زنكى عسكرا الى مدينة عنة من اعمال الفراة فملكوها، وفيها فى المحرّم توفّى ابو البركات عبد الوهّاب ابن المبارك بن احمد الانباطىّ الحافظ ببغداد ومولده سنة اثنتين وستّين واربعمايه، وفيها توفّى ابو الفتوح محمّد بن الفضل بن محمّد الاسفرايينىّ الواعظ من اهل اسفراين من خراسان واقام مدّة ببغداد يعظ وسار الى خراسان فلمّا مات حضر الغزنوىّ عزآءه ببغداد وبكى واكثر فقال بعض اصحاب ابى الفتوح للغزنوىّ كلامًا اغلظ له فيه فلمّا ذم الغزنوىّ لامه بعض للامذته على حضور العزآء وكثرة البكآء وقال له كنت منحرفا عن هذا الرجل فلمّا مات حضرتَ عزآءه واكثرتَ البكآء واظهرت الحزن فقال كنتُ ابكى على نفسى كان يقال فلان وفلان فمن يعدم النظير ايقن بالرحيل وانشد هذه الابيات

ذهب المبرّد وانقضتْ ايّامه ... وسينقضى بعد المبرّد ثعلبُ
بيتٌ من الاداب اصبح نصفه ... خربًا وباقى نصفه فسيخربُ
فتزوّدوا من ثعْلب فبمثل ما ... شرب المبرّد عن قليل يشربُ
اوصيكم ان تكتبوا انفاسه ... ان كانت الانفاس ممّا يُكتبُ،

وفيها توفّى الوزير شرف الدين علىّ بن طراد الزينبىّ فى رمضان معزولا ودُفن بداره بباب الازج[1] ثمّ نُقل الى الحربيّة، وفيها توفّى ابو القسم محمود بن عمر الزمخشرىّ النحوىّ المفسّر وزمخشر قرية من قرى خوارزم.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمايه،

ذكر فتح الرُّها وغيرها من البلاد الجزريّة

فى هذه السنة سادس جمادى الاخرة فتح اتابك عماد الدين زنكى بن اقسنقر مدينة الرُّها من الفرنج وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة ايضًا وكان ضررهم قد عمّ بلاد الجزيرة وشرّهم قد استطار فيها ووصلت غاراتهم الى ادانيها واقاصيها وبلغت آمد ونصيبين وراس العين والرقّة وكانت مملكتهم بهذه الديار من قريب ماردين الى الفرات مثل الرُّها

---

[1] الازج

وسروج والبيرة وسنّ ابن عطير وحملين والموزر والقرادى[1] وغير ذلك وكانت هذه الاعمال مع غيرها مما هو غرب الفراة لجوسلين وكان صاحب راى الفرنج والمقدّم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر وكان اتابك يعلم انّه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذّر عليه مُلكها لما هى عليه من الحصانة فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج انّه غير متفرّغ الى قصد بلادهم فلمّا راوه انّه غير قادر على ترك الارتقية وغيرهم من ملوك ديار بكر حيث انّه محارب لهم اطمأنّوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفراة الى بلاد الغربيّة فجاءت عيون اتابك اليه فاخبروه الخبر فنادى فى العسكر بالرحيل وان لا يتخلّف عن الرها احد من غد يومه وجمع الامراء عنده وقال قدّموا الطعام وقال لا ياكل معى على مايدتى هذه الّا من يطعن غدا معى بباب الرها فلم يتقدّم اليه غير امير واحد وصبىّ لا يُعرف لما يعلمون من اقدامه وشجاعته وانّ احدا لا يقدر على مساواته فى الحرب فقال الامير لذلك الصبىّ ما انت فى هذا المقام فقال اتابك دعه فوالله انى ارى وجهًا لا يتخلّف عنّى وسار والعساكر معه ووصل الى الرها وكان هو اوّل من حمل على الفرنج وحمل ذلك الصبىّ وحمل فارس من خيّالة الفرنج على اتابك عرضًا فاعترضه ذلك الامير فطعنه فقتله وسلم الشهيد ونزل البلد وقاتله ثمانية وعشرين يوما فزحف اليه عدّة دفعات وقدّم النقّابين فنقبوا سور البلد ولجّ فى قتاله خوفًا من اجتماع الفرنج والمسير اليه واستنقذ[2] البلد منه فسقطت البدنة التى نقبها النقّابون [واخذ] البلد عنوةً وقهرا وحصر قلعته فملكها ايضا ونهب الناس الاموال وسبوا الذرّيّة وقتلوا الرجال فلمّا راى اتابك البلد اعجبه وراى انّ تخريب مثله لا يجوز فى السياسة فامر فنودى فى العسكر بردّ ما اخذوه من الرجال والنساء والاطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردّوا الجميع عن اخره لم يفقد منهم احد الّا الشذّ[3] النادر الذى اُخذ وفارق من اخذه العسكر فعاد البلد على حاله الاوّل وجعل

---

1) القرادى 2) استنقذ 3) الشاذ

فيه عسكرًا يحفظه، وتسلّم مدينة سروج وسائر الاماكن التى كانت
بيد الفرنج شرقى الفراة ما عدا البيرة فانّها حصينة منيعة وهى على
شاطئ الفراة فسار اليها وحصرها وكانوا قد اكثروا ميرتها ورجالها
فبقى على حصارها الى ان رحل عنها على ما نذكره ان شاء الله
تعالى، حُكى انّ بعض العلمآء بالانساب والتواريخ قال كان صاحب جزيرة
صقلّية قد ارسل سريّة فى البحر الى طرابلس الغرب وتلك الاعمال فغنموا
وقتلوا وكان بصقلّية انسان من العلمآء المسلمين وهو من اهل البلاد
وكان صاحب صقلّية يكرمه ويحترمه ويعتمد على قوله ويقدّمه على من
عنده من القسوس والرهبان وكان اهل ولايته يقولون انه مسلم لهذا
السبب ففى بعض الايّام كان جالسًا فى منظرة تشرف على البحر
واذ[1] قد اقبل مركب لطيف واخبره من فيه انّ عسكره دخلوا بلاد
الاسلام وغنموا وقتلوا وظفروا وكان المسلم الى جنبه وقد اغفى فقال
له الملك يا فلان امّا تسمع ما يقولون قال لا قال انهم يخبرون بكذا
وكذا اين كان محمّد عن تلك البلاد واهلها فقال له كان قد غاب
عنهم وشهد فتح الرها وقد فتحها المسلمون الآن فضحك منه من
كان هناك من الفرنج فقال الملك لا تضحكوا فوالله ما يقول الّا الحقّ
فبعد ايّام وصلت الاخبار من فرنج الشام بفتحها، وحكى لى جماعة
من اهل الدين والصلاح انّ انسانا صالحا راى الشهيد فى النوم
فقال له ما فعل الله بك قال غفر لى بفتح الرها،

ذكر قتل نصير الدين جقر وولاية زين الدين علىّ كوجك قلعة الموصل

فى هذه السنة فى ذى القعدة قُتل نصير الدين جقر نائب اتابك
زنكى بالموصل والاعمال جميعها التى شرق الفراة وسبب قتله انّ الملك
الب ارسلان المعروف بالخفاجى ولد السلطان محمود كان عند اتابك
الشهيد وكان يظهر للخلفآء والسلطان مسعود واصحابه بالاطراف انّ
هذه البلاد لهذا الملك وانا نائبه فيها وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود
ليخطب له بالسلطنة ويملك البلاد باسمه وكان هذا الملك بالموصل هذه

---

١) اذا

السنة ونصير الدين يقصده كلّ يوم ليقوم بخدمة ان عرضت له تحسّن
له بعض المفسدين طلب المُلك وقال له ان قتلتَ نصير الدين ملكتَ
الموصل وغيرها من البلاد ولا يبقي مع اتابک زنکی فارسٌ واحدٌ فوقع
هذا منه موقعً حسنا وظنّه صدقًا ، فلمّا دخل نصير الدين اليه وثب
عليه مَن عنده من اجناد اتابک ومماليکه فقتلوه والقوا براسه الى اصحابه
ظنّا منهم انّ اصحابه يتفرّقون ويخرج الملک ويملک البلد وكان الامر
خلاف ما ظنّوه فانّ اصحابه واصحاب اتابک الذين فی خدمته لمّا رءاوا
راسه قتلوا مَن بالدار مع الملک واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت
دولة اتابک مملوءة بالرجال والاجناد ذوی الرای والتجربة ثم دخل اليه
القاضی تاج الدين يحيى بن الشهرزوریّ ولم يزل به يخدعه وكان
فيما قال له لمَ رءاه منزعجًا يا مولاى لمَ تحرد من هذا الكلب هذا
واستاذه مماليكک والحمد لله الذی اراحنا منه ومن صاحبه على يدك وما
الذی يقعدك فی هذه الدار قُم لتصعد القلعة وتاخذ الاموال والسلاح
وتملک البلد وتجمع الجند وليس دون الموصل مانعٌ ، فقام معه واصعده
القلعة فلمّا قربها اراد مَن بها من النقيب والاجناد القتال فتقدّم اليهم
القاضی تاج الدين وقال لهم افتحوا الباب وتسلّموه وافعلوا به ما اردتم
ثم فتح الباب ودخل الملک والقاضی اليها ومعهما مَن اعان على قتل
نصير الدين فسُجنوا ونزل القاضی وبلغ الخبر اتابک زنکی وهو يحاصر
قلعة البيرة وقد اشرف على مُلكها فخاف ان تختلف البلاد الشرقيّة
بعد قتل نصير الدين ففارق البيرة وارسل زين الدين علیّ بن
بكتكين الى قلعة الموصل واليًا على ما كان نصير الدين يتولّاه ۞

ذكر عدّة حوادث

فی هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردیّ
ووزر بعده المرزبان بن عبيد الله بن نصر الاصفهانیّ وسلّم اليه
البروجردیّ فاستخرج امواله ومات مقبوضًا ، وفيها كان اتابک عماد
الدين زنکی يحاصر البيرة وهی للفرنج شرقی الفراة بعد مُلک الرها وهی
من امنع الحصون وضيّق عليها وقرب ان يفتحها فجاءه خبر قتل نصير
الدين نايبه بالموصل فرحل عنها وارسل نايبًا الى الموصل واقام ينتظر

الخبر فخاف من بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم وكانوا يخافونه خوفًا
شديدًا فارسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلّموها له فملكها
المسلمون، وفيها خرج اسطول الفرنج من صقلّية الى ساحل افريقية
والغرب ففتحوا مدينة برشك[1] وقتلوا اهلها وسبوا حريمها وباعوه
بصقلّية على المسلمين، وفيها توفّي تاشفين بن علىّ بن يوسف صاحب
الغرب وكانت ولايته تزيد على اربع سنين وولى بعده اخوه وتضعضع
امر الملثّمين وقوى عبد المؤمن وقد ذكرنا ذلك سنة اربع عشرة
وخمسمائة، وفيها في شوّال ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانب
المشرق وبقى الى نصف ذى القعدة ثم غاب ثم طلع من جانب
الغرب فقيل هو هو وقيل بل غيره، وفيها كانت فتنة عظيمة بين
الامير هاشم بن فليتة بن القسم العلوىّ الحسينىّ امير مكّة والامير
نظر الخادم امير الحاجّ فنهب اصحاب هاشم الحجّاج وهم في المسجد
يطوفون ويصلّون ولم يرقبوا فيهم الًّا ولا ذمّة، وفيها في ذى الحجّة
توفّي عبد الله احمد بن محمّد ابن عبد الله ابن حمدويه ابو المعالى المروزىّ
بمرو وسافر الكثير وسمع الحديث الكثير وبنى بمرو رباطًا ووقف فيه كتبا
كثيرة وكان كثير الصدقة والعبادة، وتوفّي محمّد بن عبد الملك بن
حسن بن ابرهيم بن خيرون ابو منصور المقرى في رجب ومولده في
رجب سنة اربع وخمسين واربعمائة وهو اخر من روى عن الجوهرىّ
بالاجازة، وفى ذى الحجّة منها توفّي ابو منصور سعيد بن محمّد ابن
عمر المعروف بابن الرزّاز مدرّس النظاميّة ببغداد ومولده سنة اثنتين وستّين
واربعمائة وتفقّه على الغزّالى والشاشىّ ودُفن في تربة الشيخ ابى اسحق

ثم دخلت سنة اربعين وخمسمائة

ذكر اتّفاق بوزابة وعبّاس على منازعة السلطان

في هذه السنة سار بوزابة صاحب فارس وخوزستان وعسكره الى
قاشان ومعه الملك محمّد [بن السلطان محمود ووصل اليهما
الملك سليمان شاه] بن السلطان محمّد واجتمع بوزابة والامير

---

1) برسك

عبّاس صاحب الرىّ واتّفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود وملكا كثيرًا من بلاده ووصل الخبر اليه وهو ببغداد ومعه الامير عبد الرحمن طغايرك وهو امير حاجب حاكم فى الدولة وكان ميله اليهما فسار السلطان فى رمضان عن بغداد ونزل بها الامير مهلهل ونظر وجماعة من غلمان بهروز وسار السلطان وعبد الرحمن معه فتقارب العسكران ولم يبق الّا المصافّ فلحق سليمان شاه بأخيه مسعود وشرع عبد الرحمن فى تقرير الصلح على القاعدة التى ارادوها واضيف الى عبد الرحمن ولاية اذربيجان وارانيّة الى ما بيده وصار ابو الفتح بن دارست وزيرَ السلطان مسعود وهو وزير بوزابة فصار السلطان معهم تحت الحجر واتّصلوا بك ارسلان بن بلنكرى[1] المعروف بخاصّ بك وهو ملازم السلطان وتربيّته وصار فى خدمته عبد الرحمن ليحقن دمه وصار الجماعة فى خدمة السلطان بالصورة لا بالمعنى والله اعلم ۞

ذكر استيلآء علىّ بن دُبيس بن صدقة على الحلّة

فى هذه السنة سار علىّ بن دُبيس الى الحلّة هاربًا فلكها وكان سبب ذلك انّ السلطان لمّا اراد الرحيل من بغداد اشار عليه مهلهل ان يحبس علىّ بن دُبيس بقلعة تكريت فعلم ذلك فهرب فى جماعة يسيرة نحو خمسة عشر فمضى الى الازيز وجمع بنى اسد وغيرهم وسار الى الحلّة وبها اخوه محمّد بن دُبيس فقاتله فانهزم محمّد وملك علىّ الحلّة واستهان السلطان امره اوّلًا فاستفحل وضمّ اليه جمع من غلمانه وغلمان ابيه واهل بيته وعسكرهم وكثر جمعهم فسار اليه مهلهل فيمن معه فى بغداد من العسكر وضربوا معه مصافًّا فكسرهم وعادوا منهزمين الى بغداد وكان اناس ينتعصّبون لعلىّ ابن دُبيس وكانوا يصيحون اذا رأوا مهلهل وبعض اصحابه يا علىّ كُلْهُ وكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب ومدّ علىّ يده فى اقطاع الامرآء بالحلّة وتصرّف فيها، وصار شحنة بغداد ومن فيها على وجل منه وجمع الخليفة جماعة وجعلهم على السور لحفظه وراسل عليًّا فاعاد بنفى العبد المطيع مهما

---

[1] بلنكرى

رسم لى فعلت فسكن الناس ووصلت الاخبار بعد ذلك انّ السلطان مسعودًا تفرّق خصومه عنه فازداد سكون الناس لذلك ❊

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة قايماز الارجوانىّ صاحب امير الحجّ نظر واحتجّ نظر بانّ بركة نهب فى كسرة الحلّة وانّ بينه وبين امير مكّة من الحروب ما لا يمكنه معه الحجّ، وفيها اتّصل بالخليفة عن اخيه ابى طالب ما كرهه فضيّق عليه واحتاط على غيره من اقاربه، وتملّك ملك الفرنج لعنهم الله مدينة شنترين[1] وباجة وماردة واشبونة وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الاندلس وكانت للمسلمين فاختلفوا فطمع العدوّ واخذ هذه المدن وقوى بها قوّة تمكّن وتيقّن ملك بلاد الاسلام بالاندلس فخيّب الله ظنّه وكان ما نذكره، وفيها سار اسطول الفرنج من صقليّة ففتحوا جزيرة قرقنة من افريقية فقتلوا رجالها وسبوا حريمهم فارسل الحسن صاحب افريقية الى رجّار ملك صقليّة يذكّره بالعهود التى بينهم فاعتذر بانّهم غير مطيعين له، وفى هذه السنة توفّى مجاهد الدين بهروز الغياثىّ وكان حاكما بالعراق نيفًا وثلاثين سنة، وبرنقش[2] الزكوىّ صاحب اصفهان وكان ايضًا شحنة بالعراق وهو خادم ارمنىّ لبعض التجار، وتوفّى الامير ايلدكز[3] شحنة بغداد والشيخ ابو منصور موهوب بن احمد بن الخضر الجواليقىّ اللغوىّ ومولده فى ذى الحجّة سنة خمس وستّين واربعمائة واخذ اللغة عن ابى زكرياء التبريزىّ وكان يؤمّ بالمقتفى امير المؤمنين، وتوفّى احمد بن محمّد بن الحسن بن علىّ بن احمد بن سليمان ابو سعد بن ابى الفضل الاصفهانىّ ومولده سنة ثلاث وستّين واربعمائة وروى الحديث الكثير وكان على سيرة السلف كثير الاتّباع للسنّة رحمة الله عليه ❊

ثمّ دخلت سنة احدى واربعين وخمسمائة

سنة ٥٤١

ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب

فى هذه السنة ملك الفرنج لعنهم الله طرابلس الغرب وسبب ذلك

---

1) شنترين 2) برنقش 3) ايلدكز

ان رجّار ملك صقلّية جهّز اسطولاً كثيرًا وسيّره الى طرابلس فاحاطوا بها برًّا وبحرًا ثالث المحرّم فخرج اليهم اهلها وانشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة ايّام فلمّا كان اليوم الثالث سمع الفرنج بمدينة ضجّة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وسبب ذلك انّ اهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بايّام يسيرة قد اختلفوا فاخرج طائفة منهم بنى مطروح وقدّموا عليهم رجلًا من الملثّمين وقدم يريد الحجّ ومعه جماعة فولّوه امرهم فلمّا نازلهم الفرنج عادت الطائفة الاخرى بنى مطروح فوقع الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتدّ القتال فملكت الفرنج المدينة عنوةً وقهرًا بالسيف فسفكوا دماء اهلها وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجى الى البربر والعرب فنودى بالامان فى كافّة الناس فرجع كلّ من فرّ منها واقام الفرنج ستّة اشهر حتّى حصّنوا سورها وحفروا خنادقها ولمّا عادوا اخذوا رهائن اهلها ومعهم بنو مطروح والملثّم ثمّ اعادوا رهائنهم وولّوا عليها رجلًا من مطروح واخذوا رهائنه وحده واستقامت امور المدينة وأُلزم اهل صقلّية والمسلمين والروم بالسفر اليها فانعمرت سريعا ❊

ذكر حصر زنكى حصن جعبر وفنك

وفى هذه السنة سار اتابك زنكى الى حصن جعبر وهو مطلّ على الفرات وكان بيد سالم ابن مالك العقيلىّ سلّمه السلطان ملكشاه الى ابيه لمّا اخذ منه حلب وقد ذكرناه فحصره وسيّر جيشًا الى قلعة فنك وهى تجاور جزيرة ابن عُمر بينهما فرسخان فحصرها ايضا وصاحبها حينئذ الامير حسام الدين الكردىّ البشنوىّ وكان سبب ذلك انّه كان لا يريد ان يكون فى وسط بلاده ما هو ملك غيره حزمًا واحتياطًا فنازل قلعة جعبر وحصرها وقاتله من بها فلمّا طال عليه ذلك ارسل الى صاحبها مع الامير حسّان المنبجىّ لمودّة كانت بينهما فى معنى تسليمها وقال له تضمن عنّى الاقطاع الكثير والمال الجزيل فان اجاب الى التسليم والّا فقل له والله لاقيمنّ عليك الى ان املكها عنوةً ثمّ لا ابقى عليك ومن الذى يمنعك منّى فصعد اليه حسّان وادّى اليه

الرسالة ووعده وبذل له ما قيل له فامتنع من التسليم فقال له حسّان
فهو يقول لك يمنعك منّي فقال يمنعني
منه الذي منعك من الامير بلك[1] فعاد حسّان واخبر الشهيد
بامتناعه ولم يذكر له هذا فقُتل اتابك بعد ايام، وذلك قصّة
حسّان مع بلك[1] بن اخي ايلغازي ان حسّان كان صاحب منبج
فحصره بلك[1] وضيّق عليه فبينما هو كذلك في بعض الايام يقاتله
جاءه سهم لا يُعرف مَن رماه فقتله وخلص حسّان من الحصر وقد تقدّم
ذكره وكان هذا القول من الاتّفاق الحسن، ولمّا قتل اتابك زنكي
رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فنك عنها وهي بيد عقب
صاحبها الى الآن وسمعتهم يذكرون انّهم لهم بها نحو ثلثمائة سنة
ولهم مقصد حسن وفيهم وفاء وعصبية يأخذون بيد كلّ مَن يلتجي
اليهم ويقصدهم ولا يسلّمونه الى طالبه كائنا مَن كان، هذا ما عرفته

ذكر قتل اتابك عماد الدين زنكي وشيء من سيرته

في هذه السنة لخمس مضين من ربيع الآخر قُتل اتابك الشهيد
عماد الدين زنكي ابن اقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة
جعبر على ما ذكرناه قتله جماعة من مماليكه ليلا غيلةً وهربوا الى
قلعة جعبر فصاح مَن بها من اهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله واظهروا
الفرح فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق، حدّثني والدي عن
بعض خواصّه قال دخلتُ اليه في الحال وهو حيّ فحين رآني ظنّ انّي
اريد قتله فاشار اليّ باصبعه السبّابة يستعطفني فوقفتُ من هيبته
فقلتُ يا مولاي من فعل هذا فلم يقدر على الكلام وفاضت نفسه رحمه
الله قال، وكان حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطه
الشيب وكان قد زاد عمره على ستّين سنة لانّه كان حين قُتل والده
صغيرًا كما ذكرناه قبلُ ولمّا قُتل دُفن بالرقّة وكان شديد الهيبة
على عسكره ورعيّته عظيم السياسة لا يقدر القوي على ظلم الضعيف
وكانت البلاد قبل ان يملكها خرابا من الظلم وتنقّل الولاة ومجاورة

---

1) بلك

الفرنج فعمّرها وامتلات اهلًا وسكّانًا، حكى لى والدى قال رايتُ الموصل واكثرها خراب بحيث ان يقف الانسان قريب محلّة الطبالين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة قطّ وكان الانسان لا يقدر على المشى الى الجامع العتيق الّا ومعه مَن يحميه لبُعده عن العمارة وهو الآن فى وسط العمارة وليس فى هذه البقاع المذكورة كلّها ارض براح قال، وحدّثنى ايضًا انّه وصل الى الجزيرة فى الشتآء فدخل الامير عزّ الدين الدبيسىّ وهو من اكابر امرائه ومن جملة اقطاعه مدينة دقوق ونزل فى دار انسان يهودىّ فاستغاث اليهودىّ الى اتابك وانهى حاله اليه فنظر الى الدبيسىّ فتاخّر ودخل الى البلد واخرج بركه وخيمه قال فلقد رايتُ غلمانه ينصبون خيامه فى الوحل وقد جعلوا على الارض تبنا بقيهم الطين وخرج فنزلها وكانت سياسته الى هذا الحدّ وكانت الموصل من اقلّ بلاد الله فاكهة فصارت فى ايّامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين وغير ذلك وكان ايضًا شديد الغيرة ولا سيّما على نسآء الاجناد وكان يقول ان لم نحفظ نسآء الاجناد والّا فسدن لكثرة غيبة ازواجهنّ فى الاسفار وكان اشجع خلق الله امّا قبل ان يملك فيكفيه انّه حضر مع الامير مودود صاحب الموصل مدينة طبريّة وهى للفرنج فوصلت طعنته باب البلد واثر فيه وحمل ايضًا على قلعة عقر الحميديّة وهى على جبل عال فوصلت طعنته الى سورها الى اشياء اخر واما بعد الملك فقد كان الاعداء محدقين ببلاده وكلّهم يقصدها ويريدوا اخذها وهو لا يقنع بحفظها حتى انّه لا ينقضى عليه عام حتّى يفتح من بلادهم فقد كان الخليفة المسترشد بالله مجاوره فى ناحية تكريت وقصد الموصل وحصرها ثم الى جانبه من ناحية شهرزور وتلك الناحية السلطان مسعود ثم ابن سقمان صاحب خلاط ثم داود ابن سقمان صاحب حصن كيفا ثم صاحب آمد وماردين ثم الفرنج من مجاورة ماردين الى دمشق ثم اصحاب دمشق فهذه الولايات قد احاطت بولايته من كلّ جهاتها فهو يقصد هذا مرّة وهذا مرّة وياخذ من هذا ويُصانع هذا الى ان ملك من كلّ

من يليه شرقًا من بلاده وقد اتينا على اخباره فى كتاب الباهر فى دولته ودولة اولاده فليتطلب من هناك ٠

ذكر مُلك ولدَيْه سيف الدين غازى ونور الدين محمود

لمّا قُتل اتابك زنكى اخذ نور الدين محمود خاتمه من يده وكان حاضرًا معه وسار الى حلب فملكها وكان حينئذ يتولّى ديوان زنكى ويحكم فى دولته من اصحاب العمايم جمال الدين محمّد ابن على وهو المنفرد بالحكم ومعه امير حاجب صلاح الدين محمّد الغيسياني[1] فاتّفقا على حفظ الدولة وكان مع الشهيد اتابك الملك البرسلان ابن السلطان محمود فركب ذلك اليوم واجمعت العساكر عليه وحضر عنده جمال الدين وصلاح الدين وحسّنا له الاشتغال بالشرب والمغنيات والجوارى وادخلاه الرقّة فبقى بها ايامًا لا يظهر ثم سار الى ماكسين فدخلها واقام بها ايّامًا وجمال الدين يحلّف الامراء لسيف الدين غازى ابن اتابك زنكى ويسيّرهم [الى] الموصل ثم سار من ماكسين الى سنجار وكان سيف الدين قد وصل الى الموصل فلمّا وصلوا الى سنجار ارسل جمال الدين الى الدزدار[2] يقول له ليرسل الى ولد السلطان يقول له انى مملوكك ولكنّ ينبغى الموصل فان ملكتها سلّمتُ اليك سنجار فسار الى الموصل فاخذه جمال الدين وقصد به مدينة بلد وقد بقى معه من العسكر القليل فاشار عليه بعبور دجلة فعبرها الى الشرق فى نفر يسير وكان سيف الدين غازى بمدينة شهرزور وهى اقطاعه فرسل اليه زين الدين علىّ نايب ابيه بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر قبل وصول الملك فلمّا علم جمال الدين بوصول سيف الدين الى الموصل ارسل اليه يعرّفه قلّة مَن معه فرسل اليه بعض عسكره فقبضه وحبس فى قلعة الموصل واستقرّ مُلك سيف الدين البلاد وبقى اخوه نور الدين بحلب وهى له وسار اليه صلاح الدين الياغيسياني يدبّر امره ويقوم بدولته وحفظه ، وقد استقصينا شرح هذه الحادثة فى التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكيّة ٭

---

[1] الياغيسياني [2] الدزدار

ذكر عصيان الرّها لمّا قتل اتابك

كان جوسلين[1] الفرنجيّ الذى كان صاحب الرّها فى ولايته وفى تلّ باشر وما يجاورها فراسل اهل الرها وعامّتهم من الارمن وحملهم على العصيان والامتناع عن المسلمين وتسليم البلد اليه فاجابوه الى ذلك وواعدهم يوما يصل اليهم فيه وسار فى عسكره الى الرّها وملك البلد وامتنعت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين فقاتلهم فبلغ الخبر الى نور الدين محمود ابن زنكى وهو بحلب فسار مجدًّا اليها فى عسكره فلمّا قربها خرج جوسلين هاربا عايدا الى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها حينيذ وسبى اهلها وفى هذه الدفعة نهبت وخلت من اهلها ولم يبق بها منهم الّا القليل وكثير من الناس يظنّ انّها نُهبت لمّا فتحها الشهيد وليس كذلك، وبلغ الخبر الى سيف الدين غازى بعصيان الرّها فسيّر العساكر اليها فسبقه الملك نور الدين الى البلد واستباحه وهم فى الطريق فعادوا، ومن اعجب ما يُحكى انّ زين الدين علىّ الذى كان نايب الشهيد واولاده بقلعة الموصل جآءه هدية ارسلها اليه نور الدين من هذا الفتح وفى الجملة جرية فلمّا دخل اليها وخرج من عندها وقد اغتسل وقال لمن عنده تعلمون ما جرا لى فى يومنا هذا قالوا لا قال لمّا فتحنا الرّها مع الشهيد وقع فى يدىّ من السبى جرية رايقة اعجبنى حُسنها ومال قلبى اليها فلم يكن باسرع من ان امر الشهيد فنودى بردّ السبى والمال المنهوب وكان مهيبا مخوّفا فرددتُّها وقلبى متعلّق بها فلمّا كان الأن جآتنى هدية نور الدين وفيها عدّة جوار فيها تلك الجارية فوطيتُها خوفًا ان تقع مثل تلك الرّدّة ❊

ذكر استيلآء عبد المؤمن على جزيرة الاندلس

فى هذه السنة سيّر عبد المؤمن ابن علىّ جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك انّ عبد المؤمن لمّا كان يحاصر مرّاكش جآء اليه جماعة من اعيان الاندلس منهم ابو جعفر احمد بن محمّد ابن حمدين ومعهم مكتوب يتضمّن بيعة اهل

---

1) خرسلين

البلاد الّا هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم فى زمرة اصحابه الموحدين واقامتهم لامره فقبل عبد المؤمن ذلك منهم وشكرهم عليه ونفّس قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهّز جيشا كبيرًا وسيّره معهم وعمّر اسطولا وسيّره فى البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا فى نهرها وبها جيش من الملثمين[1] فحصروها برًّا وبحرًا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة وامن الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن من بيته

ذكر قتل عبد الرحمن طغايرك وعبّاس صاحب الرىّ

فى هذه السنة قتل السلطان مسعود اميرَ حاجب دولته عبد الرحمن طغايرك وهو صاحب خلخال وبعض اذربيجان والحاكم فى دولة السلطان وليس للسلطان معه حكم وكان سبب قتله انّ السلطان لمّا ضيّق عليه عبد الرحمن وبقى معه شبه الاسير ليس له فى البلاد حكم حتّى انّ عبد الرحمن قصد غلامًا كان للسلطان وهو بك ارسلان المعروف بابن خاصّ بك ابن بلنكرى[2] وقد ربّاه السلطان وقرّبه فابعده عنه وصار لا يراه وكان فى [خاصّ] بك عقل وتدبير وجودة فرجعه وتوصّل لما بيّنه بعقله فجمع عبد الرحمن العساكر وخاصّ بك معهم وقد استقرّ بينه وبين السلطان مسعود ان يقتل عبد الرحمن فسمّى خاصّ بك جماعة ممّن يثق اليهم وحدّث معهم فى ذلك فكلّ منهم خاف الاقدام عليه الّا رجلا اسمه زنكى وكان جاندارا فانّه بذل من نفسه ان يبداه بالقتل ووافق خاصّ بك على التعيين فى الامر جماعة من الامرآء فبينما عبد الرحمن فى موكبه ضربه زنكى الجاندار بمقرعة حديد كانت فى يده على راسه فسقط الى الارض فجنبه عليه خاصّ بك واعانه على حماية زنكى والقايبين معه ممّن كان واطاه على ذلك من الامرآء وكان قتله بظاهر جنزة[3] وبلغ الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد ومعه الامير عبّاس صاحب الرىّ وعسكره اكثر من عسكر السلطان فانكر ذلك وامتعض منه فداراه السلطان ولطف به واستمال

---

[1] الملثمين [2] بلنكرى [3] جنزه

الامير البغش[1] كون خرتنتر وهو امير[2] الاخف وتنتر[3] الذى كان حاجبًا فلمّا قوى بهما احضر عبّاسًا اليه فى داره فلمّا دخل اليه مُنع اصحابه من الدخول معه وعدلوا به الى حجرة وقالوا له اخلع الزرديّة فقال انّ لى مع السلطان ايمانا وعهودا فلكموه وخرج له غلمان اعدّوا لذلك بحيث يشاهد وخلع الزرديّة والقتا وضربوه بالسيوف واحتزّوا راسه والقوه الى اصحابه ثمّ القوا جسده ونُهب رحله وانزعج البلد لذلك، وكان عبّاس من غلمان السلطان محمود حسن السيرة عادلًا فى رعيته كثير الجهد للباطنيّة قتل منهم خلقا كثيرا وبنى من رؤسهم منارة بالرىّ وحصر قلعة الموت ودخل الى قرية من قُراهم فقتل فيها النار فاحرق كلّ من فيها من رجل وامراة وصبىّ وغير ذلك فلمّا قُتل اُبالجانب الغربى ثمّ ارسلت ابنته فحملته الى الرىّ فدفنته هناك وكان مقتله فى ذى القعدة، ومن الاتّفاق العجيب انّ العبادىّ كان يعظ يوما فحضره عبّاس فاطّلع بعض اهل المجلس ورمى بنفسه نحو الامير عبّاس فضربه اصحابه ومنعوه خوفًا عليه لانّه كان شديد احتراس من الباطنيّة لا يزال لابسا الزرديّة لا تفارقه الغلمان الاجلاد فقال له العبادىّ كم هذا الاحتراز والله لئن قضى عليك بامر لتحلّن انت بيدك ازرار الزرديّة فينفذ القضآء فيك وكان والله كما قال وقد كان السلطان استوزر ابن دارست وزير بوزابة [كارهًا على ما تقدّم ذكره فعزله الآن لانّه اختار العزل والعود الى صاحبه بوزابة][4] فلمّا عزله قرّر معه ان يصلح له بوزابة ويزيل ما عنده من الاستشعار بسبب قتل عبد الرحمن وعبّاس فسار الوزير وهو لا يعتقد النجاة فوصل الى بوزابة وكان ما نذكره،

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة حبس السلطان مسعود اخاه سليمن شاه بقلعة تكريت، وفيها توفّى الامير جاولى الطغرلى صاحب اراتية وبعض اذربيجان وكان قد تحرّك للعصيان وكان موته فجاة مدّ قوسًا فنزف دما فمات، وتوفّى شيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل بن ابى سعيد الصوفى مات ببغداد ودُفن بظهر رباط الدورىّ[5] بباب البصرة ومولده

[1] المقش [2] وهمر [3] ودمر [4] C. P. et 740. Ups: دن [5] الدورنى

سنة اربع وستين واربعمائة وقام فى منصبه ولده عبد الرحيم، وفيها توفى مسعود بن بلال شحنة بغداد وسار السلطان عنها، وفيها كان بالعراق جراد كثير اكل اكثر البلاد، وفيها ورد العددى الواعظ رسولًا من السلطان سنجر الى الخليفة ووعظ ببغداد وكان له قبول حسن وحضر مجلسه السلطان مسعود فمن دونه واما الخليفة فانهم قالوا لم يكن اشغالهم لحضورهم مجلسه والمسابقة اليه، وفيها بعد قتل الشهيد زنكى ابن اقسنقر قصد صاحب دمشق حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين ايوب ابن شاذى[1] فخاف انّ اولاد زنكى لا يمكنهم انجاده فراسل وصالحه وسلّم القلعة اليه واخذ منه اقطاعًا ومالًا وملّكه عشر قرى من بلد دمشق وانتقل ايوب الى دمشق فسكنها واقام بها، وفى هذه السنة فى ربيع الاخر توفى عبد الله بن على بن احمد المقرى ابن بنت الشيخ ابى منصور ومولده فى شعبان سنة اربع وستين واربعمائة وكان مقريًا نحويًا محدثًا وله تصانيف فى القراآت ٭

سنة ٥٤٢ ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمسمائة،

ذكر قتل بوزابة

لما اتصل بالامير بوزابة قتل عباس جمع عساكره من فارس وخوزستان وسار الى اصفهان فحصرها وسيّر عسكرًا اخر الى همذان وعسكرا ثالثا الى قلعة الماهكى من بلد اللحف فاما عسكره الثالث فانه سار اليهم الامير البقش كون خر[2] فدفعهم عن اعماله وكان اقطاعه ثم انّ بوزابة سار عن اصفهان يطلب السلطان مسعودا فراسله السلطان فى الصلح فلم يجب اليه وسار مجدا فلقيه بمرج قراتكين وتصافا فاقتتل العسكران فانهزم منه السلطان مسعود وميسرته واقتتل القلبان اشد قتال واعظمه صبر فيه الفريقان وصار الحرب بينهم فسقط بوزابة عن فرسه بسهم اصابه وقيل بل عثر به الفرس فاخذ اسيرا وحمل الى السلطان فقتل بين يديه وانهزم اصحابه لما اخذ هو اسيرا وبلغت هزيمة العسكر السلطانى من الميمنة والميسرة الى همذان وخراسان

---

[1] شادى [2] البقش كون خبر

وقتل من العريقيّين خلق كثير وكان هذا الحرب من اعظم الحروب الكائنة بين الاعاجم ۞

ذكر طاعة اهل قابس للفرنج وغلبة المسلمين عليها

كان صاحب مدينة قابس قبل هذه السنة انسان اسمه رشيد فتوفّي وخلّف اولادًا فعمد مولى له اسمه يوسف الى ولده الصغير واسمه محمّد فولّاه الامر واخرج ولده الكبير معمّر واستولى يوسف البلد وحكم على محمّد لصغر سنّه وجرى منه اشياء من التعرّض الى حُرَم سيّده والعهدة على ناقله وكان من جملتهنّ امراة من بنى قرّة فارسلت الى اخوتها تشكوا اليه ما هى فيه فجآء اخوتها لاخذها فمنعها منهم وقال هذه حرمة مولآى ولم يسلّمها فسار بنو قرّة ومعمّر بن رشيد الى الحسن صاحب افريقية وشكوا اليه ما يفعل يوسف فكاتبه الحسن فى ذلك فلم يجبه وقال لئن لم يكفّ الحسن عنّى والّا سلّمتُ قابس الى صاحب صقلّية فجهّز الحسن العسكر اليه فلمّا سمع يوسف بذلك ارسل الى رجّار الفرنجىّ صاحب صقلّية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدًا بولاية قابس لاكوننّ نايبًا عنك كما فعلتَ مع بنى مطروح اصحاب طرابلس فسيّر اليه رجّار الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بمجمع الناس فجدّ حينيذ الحسن فى تجهيز العسكر الى قابس فساروا اليها ونازلوها وحصروها فثار اهل البلد بيوسف لما اعتمده من طاعة الفرنج وسلّموا البلد الى عسكر الحسن وتحصّن يوسف فى القصر فقاتلوه حتّى فتحوه واُخذ يوسف اسيرًا فتولّى عذابه معمّر ابن رشيد وبنو قرّة فقطعوا ذكره وجعلوه فى فيه وعُذّب بانواع العذاب وولى معمّر قابس مكان اخيه واخذ بنو قرّة اختهم وهرب عيسى اخو يوسف وولد يوسف وقصدوا رجّار صاحب صقلّية فاستجاروا به وشكوا اليه ما لقوا من الحسن فغضب لذلك وكان ما نذكره سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من فتح المهديّة ان شآء الله تعالى وهذا الذى كان من يوسف والله اعلم ۞

ذكر حادثة ينبغى ان يحتاط العقل من مثلها

كان هذا يوسف صاحب قابس قد ارسل رسولًا الى رجّار صاحب صقلّية فاجتمع هو والحسين رسول صاحب المهديّة عنده فجرى بين

الرسولين مناظرة فذكر رسول يوسف الحسن وما نال منه ولم ثم انهما عادا فى وقت واحد وركبا البحر كل واحد منهما فى مركبه فأرسل رسول الحسن رقعة على جناح طائر يخبره بما كان من رسول يوسف فسير الحسن جماعة من اصحابه فى البحر فاخذوا رسول يوسف واحضروه عند الحسن فسبه وقال ملكت الفرنج بلاد الاسلام وطولت لسانك بذمى ثم اركبه جملاً وعلى راسه جلاجل وطيف به فى البلد وينادى عليه هذا جزآء من سعى ان يملك الفرنج بلاد المسلمين فلما توسط المهدية ثار به العامة فقتلوه بالحجارة

ذكر ملك الفرنج المرية وغيرها من الاندلس

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها برا وبحرا فملكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضا مدينة بياسة وولاية جيان وكلها بالاندلس ثم استعادها المسلمون بعد ذلك منهم على ما نذكره ان شآء الله تعالى

ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكى عدة مواضع من بلد الفرنج

فى هذه السنة دخل نور الدين محمود ابن زنكى صاحب حلب بلد الفرنج ففتح منه مدينة ارتاح بالسيف ونهبها وحصر مابولة وبصرفوت[1] وكفرلاثا وكان الفرنج بعد قتل والده زنكى قد طمعوا وظنوا انهم بعده يستردون ما اخذه فلما رأوا من نور الدين هذا الجد فى اول امره علموا ان ما املوه بعيد وخاب ظنهم واملهم

ذكر اخذ الحلة من على ابن دبيس وعوده اليها

فى هذه السنة ثم فسد الحال على ابن دبيس بالحلة وما جاورها وكثرت الشكوى منه فاقطع السلطان مسعود الحلة سلاركرد فسار اليها من همذان ومعه عسكر وانضاف اليه جماعة من عسكر بغداد وقصدوا الحلة فجمع على عسكره وحشده[2] والتقى العسكران فانهزم على وملك سلاركرد الحلة واحتاط على اهل على ورجعت العساكر واقام هو بالحلة ومماليكه واصحابه وسار على ابن دبيس فلحق

بصرفون (١   وحشدوا (٢

بانبقش كون خر¹ وكان باقطاعه في اللحف منجنبًا على السلطان فاستنجده فسار معه الى واسط واتّفق هو والطرنطاى وقصدوا الحلّة فاستنقذوها من سلاركرد في ذى الحجّة وفارقها سلاركرد وعاد الى بغداد ،

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في جمادى الاولى خُطب للمستنجد بالله يوسف ابن المقتفى لامر الله بولاية العهد ، وفيها ولى عون الدين يحيى ابن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد وولى زعيم الدين يحيى ابن جعفر المخزن ، وفيها في ربيع الاوّل مات ابو القسم طاهر بن سعيد بن ابي سعيد بن ابي الخير الميهنيّ شيخ رباط البسطاميّ ببغداد ، وفي ربيع الاخر توفّيت فاطمة خاتون بنت السلطان محمّد زوجة المقتفى لامر الله ، وفي رجب منها مات ابو الحسن محمّد بن المظفر بن عليّ ابن المُسلمة ابن رئيس الرؤساء ومولده سنة اربع وثمانين وكان قد تصوّف وجعل داره التى في القصر رباطًا للصوفيّة ، وفيها سار سيف الدين غازى ابن زنكى الى قلعة دارا فملكها وغيرها من بلد ماردين ثمّ سار الى ماردين وحصرها وخرّب بلدها ونهبه وكان سبب ذلك انّ اتابك زنكى لمّا قُتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن الى ما كان قد فتحه من بلادهما فاخذاه فلمّا ملك سيف الدين وتمكّن سار الى ماردين وحصرها وفعل ببلدها الافاعيل العظيمة فلمّا راى صاحبها وهو حينئذ حسام الدين تمرتاش ما يفعل في بلده قال كنّا نشكوا من اتابك الشهيد واين ايّامه لقد كانت اعيادًا قد حصرنا غير مرّة فلم ياخذ هو ولا احدٌ من عسكره مخلاة تبن بغير ثمن ولا تعدّى هو وعسكره حاصل السلطان وارى هذا ينهب البلاد ويخرّبها ثمّ راسله وصالحه وزوّجه ابنته ورحل سيف الدين عنه وعاد الى الموصل وجُهّزت ابنة حسام الدين وسُيّرت اليه فوصلت وهو مريض قد اشفى على الموت فلم يدخل بها وبقيت عنده الى ان توفّى وملك قطب الدين مودود فتزوّجها على ما نذكره ان شاء الله تعالى ، وفيها اشتدّ الغلاء بافريقية ودامت ايّامه

---

¹ البقش كون خر

فانّ اوّله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وعظم الامر على اهل البلاد حتّى اكل بعضهم بعضًا وقصد اهل البوادى المدن من الجوع فاغلقها اهلها دونهم وتبعه وبآءٌ وموتٌ كثيرٌ حتّى خلت البلاد ودون اهل المدن لا يبقى منهم احد وسار كثير منهم الى صقلّية فى طلب القوت ولقوا امرا عظيمًا ۞

٥٤ ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة المهديّة بافريقية

قد ذكرنا سنة احدى واربعين وخمسمائة مسير اهل يوسف صاحب قابس الى رجّار ملك صقلّية واستغاثتهم به فغضب لذلك وكان بينه وبين الحسن بن علىّ بن يحيى بن تميم بن المعزّ ابن باديس الصنهاجىّ صاحب افريقية صلح وعهود الى مدّة سنتين وعلم انّه قد فاته فتح البلاد فى هذه الشدة[1] التى اصابتهم وكانت الشدّة دوام الغلاء فى جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين الى هذه السنة وكان اشدّ ذلك منه سنة اثنتين واربعين فانّ الناس فارقوا البلاد والقرى ودخل اكثرهم الى مدينة صقلّية واكل الناس بعضهم بعضًا وكثر الموت فى الناس فاغتنم رجّار هذه الشدة فعمر الاسطول واكثر منه فبلغ نحو مائتين وخمسين شينيا مملوءة رجالًا وسلاحًا وقوتًا[2] وسار الاسطول عن صقلّية ووصل الى جزيرة قوصرة وهى ما بين المهديّة وصقلّية فصادفوا بها مركبًا وصل من المهديّة فأُخذ اهله واحضروا بين يدى جرجى مقدّم الاسطول فسألهم عن حال افريقية ووجد فى المركب قفص حمام فسألهم هل ارسلوا منها فحلفوا بالله انّهم لم يرسلوا شيئا فامر الرجل الذى كان الحمام صحبته ان يكتب بخطّه انّنا لمّا وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلّية فسألناهم عن الاسطول المخذول فذكروا انّه اقلع الى جزائر القسطنطينيّة واطلق الحمام فوصل الى المهديّة فسرّ الامير الحسن والناس واراد جرجى بذلك ان يصل بغتة ثم سار وقدّر وصوله الى المهديّة وقت السحر ليحيط بها قبل ان يخرج اهلها فلو تمّ له

---

[1] C. P. et 740. Ups: السنة   [2] قوة

ذلك لم يسلم منهم احدٌ فقدّر الله تعالى ان ارسل عليهم ريحًا هائلًا
فلم يقدروا على السير الّا بالمجاذيف فطلع النهار ذى صفر فى هذه السنة
قبل وصولهم فرءاهم الناس، فلمّا راى جرجى ذلك وانّ الخديعة فاتته
ارسل الى الامير الحسن يقول انّما جيتُ بهذا الاسطول طالبا بثار محمّد
ابن رشيد صاحب قبس وردّه اليه وامّا انت فبيننا وبينك عهود
وميثاق الى مدّة ونريد منك عسكرًا يكون معنا، فجمع الحسن الناس
من الفقهاء والاعيان وشاورهم فقالوا نقاتل عدوّنا فانّ بلدنا حصين
فقال اخاف ان ينزل الى البرّ ويحصرنا برًّا وبحرًا ويحول بيننا وبين
الميرة وليس عندنا ما يقوتنا شهرًا فنوخذ قهرًا وانا ارى سلامة المسلمين
من الاسر والقتل خير من الملك وقد طلب منّى عسكرًا الى قبس فان
فعلتُ فما يحلّ لى معونة الكفّار على المسلمين وان امتنعتُ يقول انتقض
ما بيننا من الصلح وليس يريد الّا ان يثبطنا حتّى يحول بيننا وبين
البرّ وليس لنا بقتاله طاقة والراى ان نخرج بالاهل والولد ونترك [عن] البلد
فمن اراد ان يفعل كفعلنا فليبادر معنا، وامر فى الحال بالرحيل واخذ
معه مَن حضره وما خفّ حمله وخرج الناس على وجوههم باهليهم واولادهم
وما خفّ من اموالهم واثاثهم ومن الناس مَن اختفى عند النصارى وفى
الكنايس وبقى الاسطول فى البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهديّة
الى ثلثى النهار فلم يبق فى البلد ممّن عزم على الخروج احدٌ فوصل
الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع ودخل جرجى القصر فوجده
على حاله لم ياخذ الحسن منه الّا ما خفّ من ذخاير الملوك وفيه
جماعة من حضاياه وراى الخزاين مملوّة من الذخاير النفيسة وكلّ شىً
غريب يقلّ وجود مثله فختم عليه وجمع سرارى الحسن من قصره، وكان
عدّة مَن ملك منهم من زيرى ابن مناد الى الحسن تسعة ملوك ومدّة
ولايتهم مايتىْ سنة وثمانين سنة من احدى وستّين[1] وثلاثمئة الى سنة
ثلاث واربعين وخمسمئة وكان بعض القواد قد ارسله الحسن الى رجّار
برسالة فاخذ لنفسه واهله منه امانًا فلم يخرج معهم ولمّا ملك المدينة
نُهبت مقدار ساعتيْن ونودى بالامان فخرج مَن كان مستخفيًا واصبح

1) خمس وثلاثين

جرجى من الغد فارسل الى من قرب من العرب فدخلوا اليه فاحسن اليهم واعطاهم اموالًا جزيلة وارسل من جند المهديّة الذين تخلّفوا به جماعة ومعهم امان لاهل المهديّة الذين خرجوا منها ودوابّ يحملون عليها الاطفال والنساء وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع ولهم بالمهديّة خبايا وودايع فلمّا وصل اليهم الامان رجعوا فلم يمض غير جمعة حتّى رجع اكثر اهل البلد ، وامّا الحسن فانّه سار باهله واولاده وكانوا اثنى عشر ولدا ذكرًا غير الاناث وخواصّ خدمه قاصدًا الى محرز ابن زياد وهو بالمعلقة فلقيه فى طريقه امير من العرب يسمّى حسن ابن ثعلب فطلب منه مالًا انكسر له فى ديوانه فلم يمكن الحسن اخراج مال لئلّا يوخذ فسلّم اليه ولده يحيى رهينة وسار فوصل فى اليوم الثانى الى محرز وكان الحسن قد فضّله على جميع العرب واحسن اليه ووصله بكثير من المال فلقيه محرز لقاءً جميلًا وتوجّع لما حلّ به فاقام عنده شهورًا والحسن كاره للاقامة فاراد المسير الى ديار مصر الى الخليفة الحافظ العلوىّ واشترى مركبًا لسفره فسمع جرجى الفرنجىّ فجهّز شوانى لياخذه فعاد الحسن عن ذلك وعزم على المسير الى عبد المومن بالمغرب فارسل كبار اولاده يحيى وتميما وعليّا الى يحيى ابن العزيز وهو من بنى حمّاد وهما اولاد عمّ يستاذنه فى الوصول اليه وتجديد العهد به والمسير من عنده الى عبد المومن فاذن له يحيى فسار اليه فلمّا وصل لم يجتمع به يحيى وسيّره الى جزيرة بنى مزغنان هو واولاده ووكّل به من يمنعهم من التصرّف فبقوا كذلك الى ان ملك عبد المومن بجاية سنة سبع واربعين فحضر عنده وقد ذكرنا حاله هناك ، ولمّا استقرّ جرجى بالمهديّة سيّر اسطولا بعد اسبوع الى مدينة سفاقس وسيّر اسطولًا اخر الى مدينة سوسة فامّا سوسة فانّ اهلها لمّا سمعوا خبر المهديّة وكان واليها علىّ ابن الحسن الامير فخرج الى ابيه وخرج الناس لخروجه فدخلها الفرنج بلا قتال ثانى عشر صفر واما سفاقس فانّ اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فاظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتّى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرّيّة وقتل منهم جماعة

ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتل كثيرا وأسر من
بقي من الرجال وسبى الحرم وذلك في الثلث والعشرين من صفر ثم
نودي بالامان فعاد اهلها اليها وافتكّوا حرمهم واولادهم ورفق بهم وباهل
سوسة والمهديّة وبعد ذلك وصلت كتب من رجّار لجميع اهل افريقية
بالامان والمواعيد الحسنة ولمّا استقرّت احوال البلاد سار جرجي في
اسطول الى قلعة اقليبية[1] وهي قلعة حصينة فلمّا وصل اليها سمعت به
العرب[2] فاجتمعوا اليها ونزل اليهم الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقُتل
منهم خلق كثير فرجعوا خاسرين الى المهديّة وصار للفرنج من طرابلس
الغرب الى قريب تونس ومن المغرب الى دون القيروان والله اعلم ۞

ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعل سيف الدين غازي ابن زنكي

في هذه السنة سار ملك الالمان من بلاده في خلق كثير وجمع
عظيم من الفرنج عازما على قصد بلاد الاسلام وهو لا يشكّ في مُلكها
بايسر قتال لكثرة جموعه وتوفّر امواله وعُدده فلمّا وصل الى الشام قصده
مَن به من الفرنج وخدموه وامتثلوا امره ونهيه فامرهم بالمسير معه الى
دمشق ليحصرها بزعمه فساروا معه ونازلوها وحصروها وكان
صاحبها مجير الدين ابق ابن محمد بن بوري[3] بن طغدكين وليس
له من الامر شي وانّما الحكم في البلد لمعين الدين انر مملوك جدّه
طغدكين وهو الذي اقام مجير الدين وكان معين الدين عاقلا عادلا
خيّرا حسن السيرة فجمع العسكر وحفظ البلد واقام الفرنج
يحاصرونهم ثم انّهم زحفوا سادس ربيع الاوّل بفارسهم وراجلهم فخرج اليهم
اهل البلد والعسكر فقاتلوهم وصبروا لهم وفيمن خرج للقتال الفقيه
حجّة الدين يوسف بن دي باس الفندلاوي المغربي وكان شيخا كبيرا
فقيها صالحا فلمّا رآه معين الدين وهو راجل قصده وسلّم عليه وقال
له يا شيخ انت معذور لكبر سنّك ونحن نقوم بالذبّ عن المسلمين
وساله ان يعود فلم يفعل وقال له قد بعتُ واشترى منّي فوالله لا اقلته
ولا استقلته فعنى قول الله تعالى انّ اللّه اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بانّ لهم الجنّة[5] وتقدّم فقاتل الفرنج حتّى قُتل عند النيرب

[1]) اقلسه [2]) الهرب [3]) نورى [4]) بن [5]) Cor. 9, 112.

نحو نصف فرسخ عن دمشق وقوي الفرنج وضعف المسلمون فتقدّم
ملك الالمان حتّى نزل بالميدان الاخضر فايقن الناس بانّه يملك البلد
وكان معين الدين قد ارسل الى سيف الدين غازي ابن اتابك زنكي
يدعوه الى نصرة المسلمين وكفّ العدوّ عنهم فجمع عسكره وسار الى
الشام واستصحب معه اخاه نور الدين محمود من حلب فنزلوا بمدينة
حمص وارسل الى معين الدين يقول له قد حضرتُ ومعي كلّ من يحمل
السلاح من بلادي فاريد ان يكون نوّابي بمدينة دمشق لاحضر
والقى الفرنج فان انهزمتُ دخلتُ انا وعسكري البلد واحتمينا به
وان ظفرنا فالبلد لكم لا انازعكم فيه فارسل الى الفرنج يتهدّدهم ان
لم يرحلوا عن البلد فكفّ الفرنج عن القتال خوفًا من كثرة الجراح
وربّما اضطرّوا الى قتال سيف الدين فابقوا على نفوسهم فقوي اهل البلد
على حفظه واستراحوا من ملازمة الحرب وارسل معين الدين الى الفرنج الغرباء
[يقول لهم] انّ ملك المشرق قد حضر فان رحلتم والّا سلّمتُ البلد
اليه وحينئذ تندمون وارسل الى فرنج الشام يقول لهم باىّ عقل
تساعدون هؤلآء علينا وانتم تعلمون انّهم ان ملكوا دمشق اخذوا
ما بايديكم من البلاد الساحليّة وامّا انا فان رايتُ الضعف عن حفظ
البلد سلّمته الى سيف الدين وانتم تعلمون انّه ان ملك دمشق
لا يبقى لكم معه مقام في الشام ، فاجابوه الى التخلّي عن ملك الالمان
وبذل لهم تسليم حصن بانياس اليهم واجتمع الساحليّة بملك الالمان
وخوّفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الامداد اليه وانّه
ربّما اخذ دمشق وتضعف عن مقاومته ولم يزالوا به حتّى رحل عن
البلد وتسلّموا قلعة بانياس وعاد الفرنج الالمانيّة الى بلادهم وهي ورآء
القسطنطينيّة وكفى الله المؤمنين شرّهم ، وقد ذكر الحافظ ابو القسم
ابن عساكر في تاريخ دمشق انّ بعض العلمآء حكى له انّه رأى
الفندلاوىّ[1] في المنام فقال له ما فعل الله بك واين انت فقال غفر لي
وانا في جنّات عدن على سرر متقابلين ،

---

1) الفندلاوى

ذكر ملك نور الدين محمود ابن زنكي حصن العريمة

لمّا سار الفرنج عن دمشق رحل نور الدين الى حصن العريمة وهو للفرنج فملكه وسبب ذلك انّ ملك الالمان لمّا خرج الى الشام كان معه ولد الفنش صاحب صقلية وهو من اولاد اكابر ملوك الفرنج وكان جدّه هو الذى اخذ طرابلس الشام من المسلمين فاخذ حصن العريمة وملكه واظهر انّه يريد اخذ طرابلس من القمّص فارسل القمّص الى نور الدين محمود وقد اجتمع هو ومعين الدين انر ببعلبكّ يقول له ولمعين الدين ليقصدا حصن العريمة ويملكاه من ولد الفنش فسارا اليه مجدّين فى عسكرهما وارسلا الى سيف الدين وهو بحمص يستنجدانه فامدّهما بعسكر كثير مع الامير عزّ الدين ابى بكر الدُّبيسىّ صاحب جزيرة ابن عمر وغيرها فنازلوا الحصن وحصروه وبه ابن الفنش وامتنع به فزحف المسلمون اليه غير مرّة وتقدّم اليه النقّابون فنقبوا السور فاستسلم حينئذ مَن به من الفرنج فملكه المسلمون واخذوا كلّ مَن به من فارس وراجل وصبىّ وامرأة وفيهم ابن الفنش واخربوا الحصن وعادوا الى سيف الدين وكان مثل ابن الفنش كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بغير اذنين ☼

ذكر الخلف بين السلطان مسعود وجماعة من الامراء ووصولهم الى بغداد وما كان منهم بالعراق

فى هذه السنة فارق السلطان مسعود جماعة من اكابر الامراء وهم من اذربيجان ايلدكز[1] المسعودىّ صاحب كنجة وارّانيّة وقيصر ومن الجبل البقش كون خر[2] وتتر[3] الحاجب وهو مسعودى[4] ايضًا وطرنطاى المحمودىّ شحنة واسط والدكين وقرقوب وابن طغايرك وكان سبب ذلك ميل السلطان الى خاصّ بك واطّراحه لهم فخافوا ان يفعل بهم مثل فعله بعبد الرحمن وعبّاس وبوزابة ففارقوه وساروا نحو العراق فلمّا بلغوا حلوان خاف الناس ببغداد واعمال العراق وغلت الاسعار وتقدّم الامام المقتفى لامر الله باصلاح السور وترميمه وارسل الخليفة اليهم

---

1) ايلدكز 2) البقش كون خز 3) تمر 4) مسعود

بالعبادىّ الواعظ فلم يرجعوا الى قوله ووصلوا الى بغداد فى ربيع الاخر
والملك محمّد ابن السلطان محمود معهم ونزلوا بالجانب الشرقىّ وفارق
مسعود بلال شحنة بغداد البلد خوفًا من الخليفة وسار الى تكريت
وكانت له فعظم الامر على اهل بغداد ووصل اليهم علىّ ابن دبيس
صاحب الحلّة فنزل بالجانب الغربىّ فجنّد الخليفه اجنادًا حميهم بهم
ووقع القتال بين الامراء وبين عامّة بغداد ونال منهم من العسكر وعملوا
عدّة دفعات ففى بعض الايّام انهزم الامراء الاعاجم من عامّة بغداد مكيدة
وخديعةً وتبعهم العامّة فلمّا ابعدوا عادوا عليهم وصار بعض العسكر
من ورآيهم ووضعوا السيف فقُتل من العامة خلق كثير ولم يرفعوا
على صغيرٍ ولا كبيرٍ وفتكوا فيهم فاصيب اهل بغداد بما لم يصيبوا بمثله
وكثُر القتلى والجرحى وأُسر منهم خلق كثير فقُتل البعض وشهر البعض
ودفن الناس مَن عرفوا ومن لم يُعرف ترك طريحًا بالصحرآء وتفرّق
العسكر فى المحالّ الغربيّة فاخذوا من اهلها الاموال الكثيرة ونهبوا بلد دُجيل[1]
وغيره واخذوا النسآء والولدان ثمّ انّ الامرآء اجتمعوا ونزلوا مقابل
التاج وقبّلوا الارض واعتذروا وتردّدت الرسل بينهم وبين الخليفه الى
اخر النهار وعادوا الى خيامهم ورحلوا الى النهروان فنهبوا البلاد
وافسدوا فيها وعاد مسعود بلال شحنة بغداد من تكريت الى بغداد
ثمّ انّ هولآء الامرآء تفرّقوا وفارقوا العراق وتوفّى الامير قفجاق بن ارسلان تاش
هذا كلّه والسلطان مسعود مقيم ببلد الجبل والرسل بينه وبين عمّه
السلطان سنجر متّصلة وكان السلطان سنجر قد ارسل اليه يلومه على
تقديم خاصّ بك ويأمره بإبعاده ويتهدّده بانّه ان لم يفعل ان يقصده
ويزيله عن السلطنة وهو يغالط ولا يفعل فسار السلطان سنجر الى
الرىّ فلمّا علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضّاه واستنزله عمّا
فى نفسه فسكن وكان اجتماعهما سنة اربع واربعين على ما نذكره
ان شـآء الله تـعـالـى .

---

[1]) C. P. 710 بلد دجيل Ups: بكير وحل

ذكر انهزام الفرنج بيغرى[1]

فى هذه السنة هزم نور الدين محمود ابن زنكى الفرنج بمكان اسمه يغرى[1] من ارض الشام وكانوا قد تجمّعوا ليقصدوا اعمال حلب ليغيروا عليها فعلم نور الدين فسار اليهم فى عسكره فالتقوا بيغرى[1] واقتتلوا قتالا شديدا اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقُتل كثير منهم وأُسر جماعة من مقدّميهم ولم ينج من ذلك الجمع الّا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم وفى هذه الوقعة يقول ابن القيسرانىّ فى قصيدته التى اوّلها

يا ليت انّ الصدّ مصدود ・ اوْ لا فليت النوم مردود

ومنها ما هو فى ذكر نور الدين

وكيف لا يثنى على عيشنا ・ المحمود والسلطان محمود
وصارم الاسلام لا ينثنى ・ الّا وشلو الكفر مقدود
مكارم لم تك موجودة ・ الّا ونور الدين موجود
وكم له من وقعة يومها ・ عند الملوك الكفر مشهود ۞

ذكر مُلك الغوريّة غزنة وعودهم عنها

فى هذه السنة قصد سورى ابن الحسين ملك الغور مدينة غزنة فملكها وسبب ذلك انّ اخاه ملك الغوريّة [قبله محمّد ابن الحسين كان قد صاهر بهرام شاه مسعود ابن][2] ابرهيم صاحب غزنة وهو من بيت سبكتكين فعظم شانه بالمصاهرة وعلت همّته فجمع جموعًا كثيرةً وسار الى غزنة ليملكها وقيل انّما سار اليها مُظهرًا للخدمة والزيارة وهو يريد المكر والغدر فعلم به بهرام شه فاخذه وسجنه ثم قتله فعظم قتله على الغوريّة ولم يمكنهم الاخذ بثاره ولمّا قُتل ملك بعده اخوه سام ابن الحسين فمات بالجدرى[3] وملك بعده اخوه الملك سورى ابن الحسين بلاد الغور والله اعلم وقوى امره وتمكّن فى ملكه فجمع عسكره من الفارس والراجل وسار الى غزنة طالبًا بثار اخيه المقتول وقصدًا ملك غزنة

---

1) بيعرى   2) Addidi e *Journ. As.* 1843, II. p. 188.   3) بالجزيرة

فلمّا وصل اليها ملكها فى جمادى الاولى سنة ثلاث واربعين وخمسمئة وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند وجمع جموعا كثيرة وعاد الى غزنة وعلى مقدّمته السلار الحسين وابرهيم العلوىّ امير هندوستان وكان عسكر غزنة الذين اقاموا مع سورى ابن الحسين الغورىّ وخدموه قلوبهم[1] مع بهرام شاه وانّما هم بظواهرهم مع سورى فلمّا التقى سورى وبهرام شاه رجع عسكر غزنة الى بهرام شاه وصاروا معه وسلّموا اليه سورى ملك الغوريّة وملك بهرام شاه غزنة فى المحرّم سنة اربع واربعين وصلب الملك سورى مع السيّد الماهيانىّ فى المحرّم ايضًا من السنة، وكان سورى احد الاجواد له الكرم الغزير والمروّة العظيمة حتّى انّه كان يرمى الدراهم فى المقاليع الى الفقرآء لتقع بيد من تقع[2] ومن يتّفق[3] له، ثمّ عاود الغوريّة وملكوها وخرّبوها وقد ذكرناه سنة سبع واربعين وذكرنا هناك ابتدآء دولة الغوريّة لانّهم فى ذلك الوقت عظم محلّهم وتاروا الجبال وقصدوا خراسان وعلا شانهم وفى بعض الخلف كما ذكرناه والله اعلم ٭

ذكر مُلك الفرنج مدنا من الاندلس

فى هذه السنة ملك الفرنج بالاندلس مدينة شنترينة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة[4] ولم يبق للمسلمين فى تلك الجهات شئ الّا واستولى الفرنج على جميعه واختلف المسلمين بينهم وبقى بايديهم الى الآن ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى ابو بكر المبارك بن الكامل بن ابى غالب البغدادىّ المعروف ابوه بالخفّاف سمع الحديث الكثير وكان مفيد بغداد، وفيها غلت الاسعار بالعراق وتعذّرت الاقوات بسبب العسكر الوارد وقدم اهل السواد الى بغداد منهزمين قد أُخذت اموالهم وهلكوا جوعا وعُريًا وكذلك ايضًا كان الغلآء فى اكثر البلاد خراسان وبلاد الجبل واصفهان وديار فارس والجزيرة والشام وامّا المغرب فكان اشدّ غلآء بسبب انقطاع الغيث ودخول العدوّ اليها، وفيها توفّى ابرهيم ابن نبهان

---

1) وقلوبهم 2) تقع 3) بمفق 4) وافراعة

الرقّيّ ومولده سنة تسع وخمسين واربعمائة وصحب الغزاليّ والشاشيّ[1] وروى الجمع بين الصحيحين للحميديّ عن مصنّفه، وفيها فى ذى القعدة توفّى الامام ابو الفضل الكرمانيّ الفقيه الحنفيّ امام خراسان ۞

ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة، سنة ٥٤٤

ذكر وفاة سيف الدين غازى ابن اتابك زنكى وبعض سيرته وملك اخيه قطب الدين

فى هذه السنة توفّى سيف الدين غازى ابن اتابك زنكى صاحب الموصل بها بمرض حادّ ولمّا اشتدّ مرضه ارسل الى بغداد واستدعى اوحد الزمان فحضر عنده فراى شدّة مرضه فعالجه فلم ينجع فيه الدواء وتوفّى اواخر جمادى الاخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرًا وعشرين يومًا وكان حسن الصورة والشباب وكانت ولادته سنة خمسمائة ودُفن بالمدرسة التى بناها بالموصل وخلف ولدًا ذكرا فربّاه عمّه نور الدين محمود واحسن تربيته وزوّجه ابنة اخيه قطب الدين مودود فلم تطُل ايّامه وتوفّى فى عنفوان شبابه فانقرض عقب سيف الدين وكان كريمًا شجاعًا عاقلا وكان يصنع كلّ يوم لعسكره طعاما كثيرًا بكرةً وعشيةً فامّا الذى بكرة فيكون مائة راس غنم جيّدة وهو اوّل من حُمل على راسه السنجق وامر الاجناد الّا يركبوا الّا بالسيف فى اوساطهم والدبوس تحت ركبهم فلمّا فعل ذلك اقتدى به اصحاب الاطراف وبنى المدرسة الاتابكيّة العتيقة بالموصل وهى من احسن المدارس واوقفها على الفقهاء الحنفيّة والشافعيّة وبنى رباطا للصوفيّة بالموصل ايضا على باب المشرعة ولم تطُل ايّامه ليفعل ما فى نفسه من الخير وكان عظيم الهمّة ومن جملة كرمه انّه قصده شهاب الدين الحيص بيص وامتدحه بقصيدته التى اوّلها

الَامَ يراك المجد فى زىّ شاعر وقد نحلت شوقًا فروع المنابر

فوصله بالف دينار عين سوى الخلع وغيرها، ولمّا توفّى سيف الدين غازى كان اخوه قطب الدين مقيمًا بالموصل فاتّفق جمال الدين

---

[1] والشاشى

الوزير وزين الدين على امير الجيش على تمليكه فاحضروه واستحلفوه وحلفوا له واركبوه الى دار السلطنة وزين الدين فى ركابه واتبعه جميع بلاد اخيه سيف الدين كالموصل والجزيرة ولمّا ملك تزوّج الخاتون ابنة حُسام الدين تمرتاش التى كان قد تزوّجها اخوه سيف الدين وتوفّى قبل الدخول بها وهى امّ اولاد قطب الدين سيف الدين وعزّ الدين وغيرهما من اولاده ٭

ذكر استيلاء نور الدين على سنجار

لمّا ملك قطب الدين مودود الموصل بعد اخيه سيف الدين غازى كان اخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فكاتبه جماعة من الامراء وطلبوه وفيمن كاتبه المقدّم عبد الملك والد شمس الدين محمّد وكان حينئذ مستحفظًا لسنجار فارسل اليه يستدعيه ليتسلّم سنجار فسار جريدة فى سبعين فارسًا من امراء دولته فوصل الى ماكسين فى نفر يسير قد سبق اصحابه وكان يومًا شديد المطر فلم يعرفهم الذى يحفظ الباب فاخبر الشحنة انّ نفرا من التركمان المتجنّدين قد دخلوا البلد فلم يستتمّ كلامه حتّى دخل نور الدين الدار على الشحنة فقام اليه وقبّل يده ولحق به باقى اصحابه ثمّ سار الى سنجار فوصلها وليس معه غير ركابى وسلاح دار ونزل بظاهر البلد وارسل الى المقدّم يعلمه بوصوله فرءاه الرسول وقد سار الى الموصل وترك ولده شمس الدين محمّد بالقلعة فاعلمه بمسير والده الى الموصل واقام من لحق اباه بالطريق فاعلمه بوصول نور الدين فعاد الى سنجار فسلّمها اليه فدخلها نور الدين وارسل الى فخر الدين قرا ارسلان صاحب الحصن يستدعيه اليه لمودّة كانت بينهما فوصل اليه فى عسكره فلمّا سمع اتابك قطب الدين وجمال الدين وزين الدين بالموصل بذلك جمعوا عساكرهم وساروا نحو سنجر فوصلوا الى تلّ يعفر وتردّدت الرسل بينهم بعد ان كانوا عازمين على قصده بسنجار فقال لهم جمال الدين ليس من الراى محاقفته وقتاله فانّا نحن قد عظّمنا محلّه عند السلطان وما هو بصدده من الغزاة وجعلنا انفسنا دونه وهو فيظهر للفرنج تعظيمنا وانّه تبعنا ولا يزال يقول لهم ان

كنتم كما بحكّى والّا سلّمت البلاد لصاحب الموصل وحينيّذ يفعل بكم ويصنع فاذا القيناه فان هزمناه طمع السلطان فينا ويقول هذا الذى دانوا يعظمونه ويحمون به اضعف منّى وقد هزموه وان هو هزمنا طمع فيه الفرنج ويقولون انّ الذين[1] كان يحتمى بهم اضعف منه وقد هزمهم وبالجملة فهو ابن اتابك واشار بالصلح وسار هو اليه فاصطلح وسلّم سنجار الى اخيه قطب الدين وسلّم مدينة حمص والرحبة بارض الشام اليه وبقى الشام له وديار الجزيرة لاخيه واتّفقا وعاد نور الدين الى حلب واخذ معه ما كان قد ادّخره ابوه عماد[2] الدين اتابك فيها من الخزاين وكانت كثيرة جدًّا ۞

ذكر وفاة الحافظ وولاية الظافر[3] [ووزارة][4] ابن السلار

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الامير ابى القسم ابن المستنصر بالله العلوىّ صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الّا خمسة اشهر وعمره نحوًا من سبع وسبعين سنة ولم يزل فى جميعها محكومًا عليه يحكم عليه وزرآؤه حتّى انّه جعل ابنه حسنًا وزيرًا وولىّ عهده فحكم عليه واستبدّ بالامر دونه وقتل كثيرًا من امرآء دولته وصادر كثيرًا فلمّا راى الحافظ ذلك سقاه سمًّا فمات وقد ذكرناه ولم يل الامر من العلويّين المصريّين من ابوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد وسيرد ذكر نسب لعاضد وولى الخلافة بعده بمصر ابنه الظافر[3] بامر الله ابو منصور اسمعيل ابن عبد المجيد الحافظ واستوزر ابن مصّال فبقى اربعين يومًا يدبّر الامور فقصده العادل ابن السلار من ثغر الاسكندريّة ونازعه فى الوزارة وكان ابن مصّال قد خرج من القاهرة فى طلب بعض المفسدين من السودان فخالفه[5] العادل بالقاهرة وصار وزيرًا[6] وسيّر عبّاس ابن ابى الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعزّ ابن باديس الصنهاجىّ فى عسكره وهو ربيب العادل الى ابن مصّال فظفر به وقتله وعاد الى القاهرة واستقرّ العادل وتمكّن ولم يكن للخليفة معه حكم ، وامّا سبب وصول عبّاس الى مصر فانّ جدّه يحيى اخرج ابا الفتوح من المهديّة فلمّا توفّى يحيى وولى بعده

---

1) الذى 2) ابوه نور 3) الظاهر 4) C. P. 5) فحلفه
6) C. P. et 740. Ups.: وزيره

بلاد افريقية ابنه علىّ بن يحيى بن تميم [ابن يحيى صاحب][1] افريقية اخرج اخاه ابا الفتوح والد عبّاس من افريقية سنة تسع وخمسمائة فسار الى الديار المصريّة ومعه زوجته بلّارة ابنة القاسم بن تميم بن المعزّ ابن باديس وولده عبّاس هذا هو صغير يرضع ونزل ابو الفتوح بالاسكندريّة فاكرم واقام بها مدّة يسيرة ونوفّى وتزوّجت بعده امرأته بلّارة بالعادل ابن السلار وشبّ العبّاس وتقدّم عند الظافر[2] حتّى ولى الوزارة بعد العادل فانّ العادل قُتل فى المحرّم سنة ثمان واربعين قيل وضع ربيبه عبّاس مَن قتله فلمّا قُتل ولى الوزارة بعده وتمكّن منها وكان جَلدًا حزما ومع هذا ففى ايّامه اخذ الفرنج عسقلان واشتدّ وهن الدولة بذلك وفى ايّامه اخذ نور الدين محمود دمشق من مجير الدين أبق وصار الامر بعد هذا الى ان أُخذت مصر منهم على ما نذكره بعد ان شآء الله تعالى ۞

ذكر عود جماعة من الامرآء الى العراق

فى هذه السنة فى رجب عاد البقش كون خر[3] والطرنطاىّ وابن دُبيس ومعهم ملكشاه ابن السلطان محمود الى العراق وراسلوا الخليفة فى الخطبة لملكشاه فلم يلتفت اليهم وجمع العساكر وحصّن بغداد وارسل الى السلطان مسعود يعرّفه بالحال فوعده بالوصول الى بغداد فلم يحضر وكان سبب ذلك ما ذكرناه من وصول عمّه السلطان سنجر الى الرىّ فى معنى خاصّ بك فلمّا وصل الى الرىّ سار اليه السلطان مسعود ولقيه واسترضاه فرضى عنه فلمّا علم البقش بمراسلة الخليفة الى مسعود نهب النهروان وقبض على الامير علىّ ابن دُبيس فى رمضان فلمّا علم الطرنطاىّ بذلك هرب الى النعمانيّة ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوّال ورحل البقش كون خر من النهروان واطلق علىّ ابن دبيس فلمّا وصل السلطان الى بغداد قصده علىّ والقى بنفسه بين يديه واعتذر فرضى عنه، وذكر بعض المورخين هذه الحادثة سنة اربع واربعين وذكر ايضًا مثلها سنة ثلاث واربعين فظنّهما حادثتين وانا اظنّها واحدة ولكنّا تبعناه فى ذلك ونبّهنا عليه ۞

---

1) C. P. et 740. 2) الحافظ 3) خر

ذكر قتل البرنس صاحب انطاكيّة وهزيمة الفرنج

فى هذه السنة غزا نور الدين محمود ابن زنكى بلاد الفرنج من ناحية انطاكيّة وقصد حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرّب ربضه ونهب سواده ثم رحل الى حصن انبّ فحصره ايضاً فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب انطاكيّة وحارم وتلك الاعمال وساروا الى نور الدين ليرحّلوه عن انبّ فلقيهم واقتتلوا قتالا عظيما وباشر نور الدين القتال ذلك اليوم فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقُتل منهم جمع كثيرٌ وأسروا مثلهم وكان ممّن قُتل البرنس صاحب انطاكيّة وكان عاتياً من عُتاة الفرنج وعظيماً من عظمآيهم ولمّا قُتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند وهو طفل فتزوّجت امّه بابرنس اخر ليدبّر البلد الى ان يكبر ابنها واقام معها بانطاكيّة، ثم انّ نور الدين غزاهم غزوة اخرى فاجتمعوا ولقوه فهزمهم وقتل فيهم واسر وكان فيمن أُسر البرنس الثانى زوج امّ بيمند فتمكّن حينئذ بيمند بانطاكيّة، واكثر الشعرآء مديح نور الدين وتهنيته بهذا الظفر فانّ قتل البرنس كان عظيماً عند الطايفتين وممّن قال فيه القيسرانى الكاتب [فى] القصيدة المشهورة التى اوّلها

هَذِى العزايم لا ما تدّعى القضبُ	وذى المكارم لا ما قالت الكتُبُ
وهذه الهمم اللاتى متى خطبت	تعثّرت خلفها الاشعار والخطبُ
صافحتَ يا ابن عماد الدين ذروتَها	براحة للمساعى دونها تعبُ
ما زال جدّك يبنى كلّ شاهقة	حتّى بنى قبّة اوتادها الشهبُ
أغرت سيوفُك بالافرنج راجعة	فواد رومية الكبرى لها يجب
ضربتَ دبشهم منها بقاصمة	أَوْدى بها الصّلب انحطّت[1] بها الصلُبُ
طهّرتَ ارض الاعادى من دمآيهم	طهارة كلّ سيف عندها جُنُبُ ☆

ذكر الخلف بين صاحب صقليّة وملك الروم

فى هذه السنة اختلف رجّار الفرنجىّ صاحب صقليّة وملك القسطنطينيّة وجرى بينهما حروب كثيرة ودامت عدّة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولو لا ذلك لملك رجّار جميع بلاد افريقية

[1]) وانحطّت

وكان القتال بينهم برًّا وبحرًا والظفر فى جميع ذلك لصاحب صقليّة حتّى انّ اسطوله فى بعض السنين وصل الى مدينة القسطنطينيّة ودخل فمّ الميناء واخذوا عدّة شوانى من الروم واسروا جمعًا منهم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذى يفعل هذا بالروم والمسلمين جُرجى وزير صاحب صقليّة فرض عدّة امراض منها البواسير والحصا ومات سنة ستّ واربعين وخمسمائة فسكنت الفتنة واستراح الناس من شرّه وفساده ولم يكن عند صاحب صقليّة مَن يقوم مقامه بعده ٭

ذكـــر عـــدّة حـــوادث

فى هذه السنة زلزلت الارض زلزلة عظيمة فقيل ان جبلًا مقابل حُلوان ساخ فى الارض، وفيها ولى ابو المظفّر يحيى ابن هبيرة وزارة الخليفة المقتفى لامر الله وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام وظهر له كفاية عظيمة عند نزول العساكر بظاهر بغداد وحسنُ قيام فى ردّهم فرغب الخليفة فيه فاستوزره يوم الاربعآء رابع ربيع الاخر سنة اربع واربعين وكان العمر على تربيع زُحل فقيل له لو اخّرْتَ لبس الخلعة لهذه التربيعات فقال واىُّ سعادة اكبر من وزارة الخليفة ونبسها ذلك اليوم، وفيها فى المحرّم توفّى قاضى القضاة علىّ ابن الحسين الزينبىّ وولى القضآء عماد الدين ابو الحسن علىّ ابن احمد الدامغانىّ، وفيها فى المحرّم رَخُصت الاسعار بالعراق وكثرت الخيرات وخرج اهل السواد الى قراهم، وفيها توفّى الامير نظر امير الحاجّ وكان قد سار بالحاجّ الى الحلّة فمرض واشتدّ مرضه واستخلف على الحاجّ قايماز الارجوانىّ وعاد الى بغداد مريضًا فتوفّى فى ذى القعدة وكان خصيًّا عاقلًا خيّرًا له معروف كثير وصدقات وافرة، وفيها توفّى احمد ابن نظام الملك الذى كان وزير السلطان محمّد والمسترشد بالله، وفيها توفّى علىّ بن رافع بن خليفة الشيبانىّ وهو من اعيان خراسان وله مائة وسبع سنين شمسيّة، ومات الامام مسعود الصوابىّ فى المحرّم منها، وفيها توفّى معين الدين أنر نايب ابق صاحب دمشق وهو كان الحاكم والامر اليه وكان ابق صورة امير لا معنى تحتها، وفيها توفّى القاضى احمد بن محمّد بن الحسين الارّجانىّ ابو بكر قاضى تُستر وله شعر حسن فنه قوله

وبَلوتُ الناس اطلب عندهم اخًا ثقة عند اعتراض الشدايد
فتطلعتُ فى حالَىْ رخاء وشدّة وناديتُ فى الاحياء هل من مساعد
فلم أَرَ فيما سآنى غير شامت ولم أَرَ فيما سرّنى غير حاسد
تمتّعتُما يا ناظرىَّ بنظرة واوردتما قلبى امرَّ الموارد
اعينىَّ كُفَّا عن فوادى فانّهُ من البغى سعى اثنين فى قتل واحد،

وفيها توفّى ابو عبد الله عيسى بن هبة الله بن عيسى البزّاز وكان ظريفًا وله شعر حسنٌ كتب اليه صديق له رُقعةً وزاد فى خطابه فاجابه

قد زدتنى فى الخطاب حتّى خشيتُ نقصاً من الزيادَهْ
فاجعلْ خطابى خطاب مثلى ولا تُغيّرْ علىَّ عادَهْ ۞

ثم دخلت سنة خمس واربعين وخمسماية، سنة ٥٤٥

ذكر أخذ العرب الحجاج

فى هذه السنة رابع عشر المحرّم خرج العرب زعب ومَن انضمّ اليها على الحجاج بالغرابى بين مكّة والمدينة فاخذوهم ولم يسلم منهم الّا القليل وكان سبب ذلك انّ نظرًا امير الحاجّ [لمّا عاد من الحلّة على ما ذكرناه وسار على الحاجّ][1] قيماز الارجوانىّ وكان حدثًا غرًّا فسار بهم الى مكّة فلمّا راى اميرُ مكّة قيمازَ استصغره وطمع فى الحاجّ وتلطّف قيماز الحال معه الى ان عادوا فلمّا سار عن مكّة سمع باجتماع العرب فقال للحاجّ من المصلحة انا لا نمضى الى المدينة فضجّ العجم وتهدّدوه بالشكوى منه الى السلطان سنجر فقال لهم فاعطوا العرب مالاً نستكفى به شرّهم فامتنعوا من ذلك فسار بهم الى الغرابى وهو منزل يخرج اليه من مضيق جبلَيْن فوقفوا على فم مضيق وقاتلهم قيماز ومَن معه فلمّا راى عجزه اخذ لنفسه امانًا وظفروا بالحجاج وغنموا اموالهم وجميع ما معهم وتفرّق الناس فى البرّ وهلك منهم خلق كثير لا يحصون كثرة ولم يسلم الّا القليل فوصل بعضهم الى المدينة وتحمّلوا منها الى البلاد واقام بعضهم مع العرب حتّى توصّل الى البلاد ثم انّ الله تعالى اقتصّ للحاجّ من زعب فلم يزالوا فى نقص وذلّة ولقد

[1]) C. P. et 740.

رايتُ شابًّا منهم بالمدينة سنة ستّ وسبعين وخمسمائة وجرى بيني وبينه مفاوضة قلتُ له فيها انّي والله كنتُ اميل اليك حتّى سمعت انّك من زعب فنفرتُ وخفتُ شرّك فقال لِمَ فقلتُ بسبب اخذكم الحاجّ فقال لي انا لم ادرك ذلك الوقت وكيف رايت الله صنع بنا والله ما افلحنا ولا نجحنا قلّ العدد وطمع العدوّ فينا ۞

ذكر فتح حصن فاميا

في هذه السنة فتح نور الدين محمود ابن الشهيد زنكي حصن فاميا من الفرنج وهو مجاور شيزر وحماة على تلّ عالٍ من احصن القلاع وامنعها فسار نور الدين اليه وحصره وبه الفرنج وقاتلهم وضيّق على مَن بها منهم فاجتمع مَن بالشام من الفرنج وساروا نحوه ليرحّلوه عنهم فلم يصلوا الّا وقد ملكه وملأه ذخاير وسلاحًا ورجالًا وجميع ما يحتاج اليه فلمّا بلغه سير الفرنج اليه رحل عنه وقد فرغ من امر الحصن وسار اليهم يطلبهم فحين راوا انّ الحصن قد ملك وقوّة عزم نور الدين على لقايهم عدلوا عن طريقه ودخلوا بلادهم وراسلوه في المهادنة وعاد سالمًا مظفّرًا ومدحه الشعرآء وذكروا هذا الفتح فمن ذلك قول ابن الرومي من قصيدة اوّلها

اسْنى الممالك ما اطّلتَ منارها وجعلتَ مرهفة الدسار دسارها
واحقّ من ملك البلاد واهلها روف تكنّف عدله اقطارها

ومنها في وصف الحصن

ادركتَ ثارك في البغاة وكنتَ يا مختار امّة احمد مختارها
صابتْ نجومك فوقها وامثال ما يانت تنافثها النجوم شرارها
عاربّة الزمن المعير شمالها منك المعيرة واسترد معارها
امست مع الشعرى العبور واصبحت شعرآء تستعلي الفحول شوارها

وهي طويلة ۞

ذكر حصر الفرنج قرطبة ورحيلهم عنها

في هذه السنة سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج في اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهي في ضعف وغلآء فبلغ الخبر الى عبد

المؤمن وهو بمراكش فجهّز عسكرا كثيرا وجعل مقدّمهم ابا زكريا يحيى ابن يرموز ونفّذهم[1] الى قرطبة فلمّا قربوا منها فلم يقدروا ان يلقوا عسكر السليطين فى الوطآء وارادوا الاجتماع باهل قرطبة ليمنعوها لخطر العاقبة بعد القتال فسلكوا الجبال الوعرة والمضايق المتشعّبة فساروا نحو خمسة وعشرين يومًا فى الوعر فى مسافة اربعة ايّام فى السهل فوصلوا الى الجبل المطلّ على قرطبة فلمّا رءاهم السليطين وتحقّق امرهم رحل عن قرطبة وكان [فيها][2] القايد ابو الغمر[3] السايب من ولد القايد ابن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرآيها فلمّا رحل الفرنج خرج منها لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عجلًا وادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلمّا اصبحوا من الغد راوا عسكر السليطين على راس الجبل الذى كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال لهم ابو الغمر[3] هذا الذى خفتُه عليكم لانى علمتُ انّ السليطين ما اقام الّا طالبًا لكم فانّ من الموضع الذى كان فيه طريق سهلة ولو لحقكم هناك نال مراده منكم ومن قرطبة فلمّا راى السليطين انّهم قد فاتوه علم انّه لم يبق له طمع فى قرطبة فرحل عايدًا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر والله اعلم

ذكر ملك الغوريّة هراة

فى هذه السنة سار ملك الغور الحسن بن الحسين من بلاد الغور الى هراة فحصرها وكان اهلها قد كاتبوه وطلبوا تسلّموها اليه هربًا من الاتراك لهم وزوال هيبة السلطنة عنهم فامتنع اهل هراة عليه ثلاثة ايّام ثم خرجوا اليه وسلّموا البلد واطاعوه فاحسن اليهم وافاض عليهم النعم وغمرهم بالعدل واظهر طاعة السلطان سنجر والقيام على الوفآء له والانقياد اليه

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة امر علآء الدين محمود ابن مسعود الغالب على امر طُرَيْثيث[4] اقامة الخطبة للخليفة ولبس السواد ففعل الخطيب ذلك فثار

---

1) نعدهم 2) C. P. et 740. 3) 740. C. P: المعمر Ups: العم

4) طرثيث

به عمّه واقاربه ومن وافقهم وقاتلوه وكسروا المنبر وقتلوا الخطيب وكان فعل علآء الدين هذا لانّ اباه كان مسلمًا فلمّا تغلّب الاسماعيليّة على طريثيث[1] اظهر موافقتهم وابطن اعتقاد الشريعة وكان ينظر على مذهب الشافعيّ وازداد تقدّمًا بطريثيث[1] وجرتْ امورها بارادته فلمّا حضره الموت اوصى ان يُغسّله فقيه شافعيّ واوصى الى ابنه علآء الدين ان امكنه ان يعيد فيها اظهار شريعة الاسلام فعل فلمّا راى من نفسه قوّة فعله فلم يتمّ له، وفيها كثر المرض بالعراق لا سيّما ببغداد وكثر الموت ايضًا فيها ففارقها السلطان مسعود، وفيها توفّى الامير علىّ بن دُبيس بن صدقة صاحب الحلّة باسداباد[2] واتّهم طبيبه محمّد بن صالح بالمواطاة عليه فمات الطبيب بعده بقريب، وفيها استوزر عبدُ المؤمن صاحب بلاد المغرب ابا جعفر ابن ابى احمد الاندلسىّ وكان ماسورا عنده فوُصف له بالعقل وجودة الكتابة فاخرجه من الحبس واستوزره وهو اوّل وزير كان للموحّدين، وفى هذه السنة فى المحرّم جلس يوسف الدمشقىّ مدرّسًا فى النظاميّة ببغداد وكان جلوسه بغير امر الخليفة فمُنع يوم الجمعة من دخول الجامع فصلّى فى جامع السلطان ومُنع من التدريس فتقدّم السلطان مسعود الى الشيخ ابى النجيب بان يدرّس فيها فامتنع بغير امر الخليفة فاستخرج السلطان اذن الخليفة فى ذلك فدرّس منتصف المحرّم من السنة، وفيها توفّى ابو عبد الله محمّد بن علىّ مهران الفقيه الشافعىّ تفقّه على الهراسىّ[3] وولى قضآء نصيبين ثمّ ترك القضآء وتزهّد فاقام بجزيرة ابن عمر ثمّ انتقل الى جبل ببلد الحصن فى زاوية وكان له كرامات ظاهرة، وفيها مات الحسن ابن ذى النون بن ابى القسم بن ابى الحسن المسْعرىّ ابو المفاخر النيسابورىّ سمع الحديث الكثير وكان فقيهًا اديبًا دايم الاشتغال يعظ الناس وكان ممّا ينشد

مات الكرام وولّوا وانقضوا ومضوا ومات من بعدهم تلك الكراماتُ
وخلّفونى فى قوم ذوى سفهٍ لو ابصروا طيف ضيفٍ فى الكرى ماتوا

---

1) طريثيث 2) C. P. et 740. Ups: بسداباد 3) الهراى

ثم دخلت سنة ستّ واربعين وخمسمائة، سنة ٥٤٦

ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واسر جوسلين بعد ذلك

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجىّ وهى شمال حلب منها تلّ باشر وعين تاب واعزاز[1] وغيرها وعزم على محاصرتها واخذها وكان جوسلين لعنه الله فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والراى فلمّا علم بذلك جمع الفرنج فاكثر وسار نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا فانهزم المسلمون وقُتل منهم وأُسر جمع كثير وكان فى جملة مَن أُسر سلاح دار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيّره الى الملك مسعود ابن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال له هذا سلاح زوج ابنتك وسياتيك بعده ما اعظم منه فلمّا علم نور الدين الحال عظم عليه ذلك واعمل الحيلة [على][2] جوسلين وهجر الراحة لياخذ بثاره واحضر جماعة من امرآء التركمان وبذل لهم الرغايب إن هم ظفروا بجوسلين وسلّموه اليه امّا قتيلاً او اسيرًا لانّه علم انّه متى قصده بنفسه احتمى بجموعه وحصونه فجعل التركمان عليه العيون فخرج متصيّدًا فلحقت به طايفة منهم وظفروا به فصانعهم على مال يؤدّيه اليهم فاجابوه الى اطلاقه اذا حضر المال فارسل فى احضاره فمضى بعضهم الى ابى بكر ابن الداية نايب نور الدين بحلب فاعلمه الحال فسيّر عسكرًا معه فكبسوا اوليك التركمان وجوسلين معهم فاخذوه اسيرًا واحضروه عنده وكان اسره من اعظم الفتوح لانّه كان شيطانًا عاتيًا شديدًا على المسلمين قاسى القلب واصيبت النصرانيّة كافّة باسره، ولمّا أُسر سار نور الدين الى قلاعه فملكها وهى تلّ باشر وعين تاب واعزاز وتلّ خالد وقُورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفر سود وكفرلاثا ودلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك من اعماله فى مدّة يسيرة يرد تفصيلها وكان نور الدين كلّما فتح منها حصنًا نقل اليه من كلّ ما تحتاج اليه الحصون خوفًا من نكثة تلحق المسلمين من الفرنج فتكون بلادهم غير محتاجة الى ما

---

[1]) عزاز [2]) C. P. et 740.

يمنعها من العدوّ ومدحه الشعراء فمن قال فيه العبسرائی من ا
قصيدة في ذكر جوسلين

كما اهدت الاقدار للقمص اسرَه واسعد قرن من حواه لك الاسر
طغى وبغى عدوا على غلوايه فاورده الكفران عدواه والكفر
وامست عزاز كاسمها بك عزّة تشقّ[1] على النسرين لو انّها وكر
فسرّ وأملك الدنيا ضياء وبهجة فبالافق الداجى الى ذا السنى فقر
كانى بهذا العزم لا فُلّ حدّه واقصاه بالاقصى وقد قضى الامرُ
وقد اصبح البيت المقدّس طاهرًا وليس سوى جارى الدماء له طهرُ

ذكر حصر غرناطة والمريّة من بلاد الاندلس

فى هذه السنة سيّر عبد المؤمن جيشًا كثيفًا نحو عشرين الف فارس الى الاندلس مع ابى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى[2] وسيّر معهم نساءهم فكنّ يسرن مفردات عليهنّ البرانس السود ليس معهنّ غير الخدم ومتى قرب منهنّ رجل ضرب بالسياط فلمّا قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة وبها جمع من المرابطين فحصرها عمر وعسكره وضيّقوا عليها فجاء اليه احمد ابن ملحان صاحب مدينة وادى آش واعمالها بجماعته ووحّدوا وصار معه واتاه ابرهيم ابن همشك صهر ابن مردنيش[3] صاحب جيان[4] واصحابه ووحّدوا وصاروا ايضًا معه فكثر جيشه وحرّضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس ليبغته بالحصار قبل ان يتجهّز فلمّا سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فارسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويستحثّه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجىّ فى عشرة الاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى حمّة بلقوارة[5] وبينها وبين مُرسية التى هى مقرّ ابن مردنيش[6] مرحلة فسمعوا بوصول الفرنج فرجع وحصر مدينة المريّة وهى للفرنج عدّة شهور فاشتدّ الغلاء فى العسكر وعُدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها ✿

---

1) يسق 2) الهنتانى 3) مردبيس 4) حيين 5) بلغوارة 6) بردبيش

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاخر توفّى العبادىّ الواعظ واسمه المظفّر ابن اردشير بخوزستان وكان الخليفة المقتفى لامر الله قد سيّره فى رسالة الى الملك محمّد ابن السلطان محمود ليصلح بينه وبين بدر الحوايزى[1] فتوفّى هناك وجلس ولده ببغداد للعزا واقيم بحاجب من الديوان العزيز وكان ابنه يجلس ويعظ ويذكر والده ويبكى هو والناس كافّة ونُقل العبادىّ الى بغداد ودُفن بالشونيزى ومولده سنة احدى وتسعين واربعماية وسمع الحديث من ابى بكر الشيروىّ وزاهر الشحّامىّ وغيرهما، وفيها انفجر بثق النهروان الذى اسمه بهروز[2] بكثرة الزيادة فى تمرّا[3] واهمال امرها حتّى عظم ذلك وتضرّر به الناس، وفيها سار الامير فحجق فى طايفة من عسكر السلطان سنجر الى طريثيث بخراسان واغار على بلاد الاسماعيليّة فنهب وسبى وخرّب واحرق المساكن وفعل بهم افاعيل عظيمة وعاد سالمًا ۞

ثم دخلت سنة سبع واربعين وخمسماية، سنة ٥٤٧

ذكر مُلك عبد المومن بجاية ومُلك بنى حمّاد

فى هذه السنة سار عبد المومن ابن علىّ الى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بنى حمّاد وكان لمّا اراد قصدها سار من مرّاكش الى سبتة سنة ستّ واربعين فاقام بها مدّة يعمل الاسطول ويجمع العساكر القريبة منه وامّا ما هو على طريقه الى بجاية من البلاد فكتب اليهم ليتجهّزوا ويكونوا على الحركة اىّ وقت طلبهم والناس يظنّون انّه يريد العبور الى الاندلس فارسل فى قطع السابلة عن بلاد شرق المغرب برًّا وبحرًا، وسار من سبتة فى صفر سنة سبع واربعين فاسرع السير وطوى المراحل والعساكر تلقاه فى طريقه فلم يشعر اهل بجاية الّا وهو فى اعمالها، وكان ملكها يحيى بن العزيز بن حمّاد اخر ملوك بنى حمّاد وكان مولعًا بالصيد واللهو لا ينظر فى شىّ من امور مملكته قد حكم فيها بنو حمدون فلمّا اتّصل الخبر بميمون ابن حمدون جمع

---

[1] الحوابرى [2] C. P. Cod. 740: انهمه Ups: انهمه بهرور [3] C. P. Ups: دامرا

العسكر وسار عن بجاية نحو عبد المؤمن فلقيهم مقدّمته وهى تزيد على عشرين الف فارس فانهزم اهل بجاية من غير قتال ودخلت مقدّمة عبد المؤمن بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين وتفرّق جميع عسكر يحيى بن العزيز وهربوا برًّا وبحرًا وتحصّن يحيى بقلعة قسنطينيّة الهوآء وهرب اخواه الحارث وعبد الله الى صقليّة ودخل عبد المؤمن بجاية وملك جميع بلاد ابن العزيز بغير قتال، ثمّ انّ يحيى نزل الى عبد المؤمن بالامان فأمّنه وكان يحيى قد فرح لمّا أُخذت بلاد افريقية من الحسن بن علىّ فرحًا ظهر عليه فكان يذمّه ويذكر معايبه فلم تطل المدّة حتّى أُخذت بلاده ووصل الحسن بن علىّ الى عبد المؤمن فى جزاير بنى مزغنان وقد ذكرنا سنة ثلاث واربعين سبب مصيره اليها واجتمعا عنده فارسل عبد المؤمن يحيى بن العزيز[1] الى بلاد المغرب واقام بها واجرى عليه شيًّا كثيرًا، وامّا الحسن بن علىّ فانّه احسن اليه والزمه صحبته واعلى مرتبته فلزمه الى ان فتح عبد المؤمن المهديّة فجعله فيها وامر واليها ان يقتدى برايه ويرجع الى قوله، ولمّا فتح عبد المؤمن بجاية لم يتعرّض الى مال اهلها ولا غيره وسبب ذلك انّ بنى حمدون استامنوا فوفى لهم بامانه ☼

ذكر ظفر عبد المؤمن بصنهاجة

لمّا ملك عبد المؤمن بجاية تجمّعت صنهاجة فى امم لا يحصيها الّا الله تعالى وتقدّم عليهم رجل اسمه ابو قصبة واجتمع معهم من كتامة ولواتة وغيرها خلق كثير وقصدوا حرب عبد المؤمن فارسل اليهم جيشًا كثيرًا ومقدّمهم ابو سعيد يخلف وهو من الخمسين فالتقوا فى عرض الجبل شرقىّ بجاية فانهزم ابو قصبة وقُتل اكثر من معه ونُهبت اموالهم وسبيت نسآؤهم وذراريهم، ولمّا فرغوا من صنهاجة ساروا الى قلعة بنى حمّاد وهى من احصن القلاع واعلاها لا تُرام على راس جبل شاهق لا يكاد الطرف يحقّقها لعلوّها ولكن القدر اذا جآء لا يمنع منه معقل ولا جيوش فلمّا راى اهلها عساكر الموحّدين

---

[1] عبد العزيز

هربوا منها فى رؤس الجبال وملكت القلعة واخذ جميع ما فيها من مال وغيره وحمل الى عبد المؤمن فقسمه بين اصحابه ❊

ذكر وفاة السلطان مسعود وملك ملكشاه/محمد ابن محمود

فى هذه السنة اوّل رجب توفّى السلطان مسعود بن محمّد بن ملكشاه بهمذان وكان مرضه حمّى حادّة نحو اسبوع وكان مولده سنة اثنتين وخمسماية فى ذى القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقىّ فلم يقم له بعده راية يعتمد[1] بها ولا يلتفت اليها

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدّما

وكان رحمه الله حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس فمن ذلك انّ اتابك زنكى صاحب الموصل ارسل اليه القاضى كمال الدين محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورىّ فى رسالة فوصل اليه واقام معه فى العسكر فوقف يومًا على خيمة الوزير حتّى قرب اذان المغرب فعاد الى خيمته فاذن المغرب وهو فى الطريق فراى انسانًا فقيهًا فى خيمة فنزل اليه فصلّى معه المغرب ثم ساله كمال الدين من اين هو فقال انا قاضى مدينة كذا فقال له كمال الدين القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وهو انا وانت وقاضى فى الجنّة وهو من لم يعرف ابواب هولاء الظلمة ولا يراهم فلمّا كان الغد ارسل السلطان واحضر كمال الدين اليه فلمّا دخل عليه وراه ضحك وقال القضاة ثلاثة فقال كمال الدين نعم يا مولانا فقال والله صدقت ما اسعد من لا يرانا ولا نراه ثم امر ان تقضى حاجته واعاده من يومه، وكان كريمًا عفيفًا عن الاموال التى للرعايا حسن السيرة فيهم من اصلح السلاطين سيرة والينهم عريكة سهل الاخلاق لطيفًا فمن ذلك انّه اجتاز يومًا فى بعض اطراف بغداد فسمع امراة تقول لاخرى انظرى الى السلطان فوقف وقال/حتّى تجئ هذه الستّ تنظر الينا، وله فضايل كثيرة ومناقب جمّة، وكان عهد الى ملكشاه ابن اخيه السلطان محمود فلمّا توفّى خطب له الامير خاص بك ورتّب الامور وقرّرها بين يديه واذعن له جميع العسكر بالطاعة

---

[1] يعتمد

ولمّا وصل الخبر الى بغداد بموت السلطان مسعود هرب الشحنة بك وهو مسعود بلال الى تكريت واستظهر الخليفة المقتفى لامر الله على دار ودور اصحاب السلطان ببغداد واخذ كلّ ما لهم فيها ودلّ مَن كان عنده وديعة لاحد منهم احضرها بالديوان وجمع الخليفة الرجال والعساكر واكثر التجنيد وتقدّم باراقة الخمور من مساكن اصحاب السلطان ووجد فى دار مسعود بلال شحنة بغداد كثير من الخمر فاريق ولم يكن الناس يظنّون انّه شرب الخمر بعد الحجّ وقبض على المؤيّد الألوسىّ الشاعر وعلى الحيص بيص الشاعر ثم اطلق الحيص بيص واعيد عليه ما اخذ منه، ثم انّ السلطان ملكشاه سيّر سلاركرد فى عسكر الى الحلّة فدخلها فسار اليه مسعود بلال شحنة بغداد واظهر له الاتّفاق معه فلمّا اجتمعا قبض عليه مسعود بلال وغرّقه واستبدّ بالحلّة فلمّا علم الخليفة ذلك جهّز العساكر اليه مع عون الدين ابن هبيرة فسار اليه فلمّا قاربوا الحلّة عبر مسعود بلال الفراة اليهم وقاتلهم فانهزم من عسكر الخليفة ونادى اهل الحلّة بشعار الخليفة فلم يدخلها وتمّت الهزيمة عليه وعلى اصحابه فعاد [الى] تكريت وملك عسكر الخليفة الحلّة وسيّر الوزير عسكرًا الى الكوفة وعسكرًا الى واسط فلكوهما ثم ان عساكر السلطان وصلت الى واسط ففارقها عسكر الخليفة، فلمّا سمع الخليفة ذلك تجهّز بنفسه وسار عن بغداد الى واسط ففارقها العسكر السلطانىّ وملكها الخليفة وسار منها الى الحلّة ثم عاد الى بغداد فوصلها تاسع عشر ذى القعدة وكانت غيبته خمسة وعشرين يومًا، ثم انّ خاص بك ابن بلنكرى قبض على الملك ملكشاه الذى خطب له بالسلطنة بعد مسعود وارسل الى اخيه الملك محمّد سنة ثمان واربعين وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده ان يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة فسار الملك محمّد اليه فلمّا وصل اجلسه على تخت السلطنة اوايل صفر وخطب له بالسلطنة وخدمه وبالغ فى خدمته وحمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار ثم انّه دخل الى الملك محمّد ثانى يوم وصوله فقتله محمّد وقتل معه زنكى الجاندار والقى براسهما فتفرّق اصحابهما ولم ينتطح فيهما عنزان وكان ايدغدى التركمانىّ المعروف بشملة مع

خاص بك فنهاه من الدخول الى الملك محمّد فلم ينته فقُتل ونجا شملة فنصب جشير الملك محمّد ومضى طالبًا خوزستان واخذ محمّد من اموال خاص بك شيًا كثيرًا واستقرّ محمّد فى السلطنة وتمكّن وبقى خاص بك ملقى حتّى اكلته الكلاب وكان صبيًّا تركمانيًا اتّصل بالسلطان مسعود فتقدّم على ساير الامرآء ثمّ كان هذا خاتمة امره

ذكر الحرب بين نور الدين محمود وبين الفرنج

فى هذه السنة تجمّعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن مُلكها فوصلوا اليه وهو بدلوك فلمّا قربوا منه رجع اليهم ولقيهم وجرى المصافّ بينهم عند دلوك واقتتلوا اشدّ قتال رءاه الناس وصبر الفريقان ثمّ انهزم الفرنج وقُتل منهم وأُسر كثير وعاد نور الدين الى دلوك فملكها واستولى عليها وممّا قيل فى ذلك

اعدتَ بعصرك هذا الانيـــــق فتوح النبىّ واعصارها
فواتاتَ تاحيد احديّها واسررتَ من بدر انوارها
وكان مهاجرها تابعيــــك وانصارنا بك انصارها
فجدّدتَ اسلام سلمانها وعمّر جدّك عمارها
وما يوم آنبّ الا كذا ك بل طل بالبوع اشبارها
صدمتَ عزيمتها صدمة اذا بتّ مع المآء احجارها
وفى تلّ باشر باشرتهم بزحف تسور اسوارها
وان دالكنهم دلوك فقد شدّدتَ فصدقت اخبارها

ذكر الحرب بين سنجر والغوريّة

فى هذه السنة كان بين السلطان [سنجر] وبين الغوريّة حربٌ وكانت دولتهم اوّل ما قد ظهرت واوّل مَن ملك منهم رجل اسمه الحسين ابن الحسن ملك جبال الغور ومدينة فيروزكوه[1] وهى تقارب اعمال غزنة وقوى امره وتلقّب بعلآء الدين وتعرّض الى اعمال ثمّ جمع جيشًا وقصد هراة محاصرًا لها فنهب عسكره ناب واوبة ومارُباد من هراة الرود[2] وسار الى بلخ وحصرها فقاتله الامير قماج ومعه جمع من الغُزّ فغدروا

---

1) فيروزكره 2) وانروني

به وصاروا مع الغورى فلك بلخ ، فلمّا سمع السلطان سنجر بذلك
سار اليه ليمنعه فثبت له علآء الدين واقتتلوا فانهزم الغوريّة واسر
علآء الدين وقُتل من الغوريّة خلق كثير لا سيّما الرجّالة واحضر
السلطان سنجر علآء الدين بين يديه وقال له يا حسين لو ظفرتَ بى
ما كنتَ تفعل فاخرج له قيد فضّة وقال كنتُ اقيّدك بهذا واحملك
الى فيروزكوه فخلع عليه سنجر وردّه الى فيروزكوه فبقى بها
مدةً ، ثم انّه قصد غزنة وملكها حينئذ بهرام شاه بن مسعود بن
محمود بن سبكتكين فلم يثبت بها بين يدى علآء الدين بل سار
الى مدينة كرمان وهى مدينة بين غزنة والهند وسكنها قوم يقال لهم
ابغان وليست هذه بالولاية المعروفة بكرمان فلمّا فارق بهرام شاه
غزنة ملكها علآء الدين الغورىّ واحسن السيرة [فى اهلها][1] واستعمل
عليهم اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب لنفسه
ولاخيه سيف الدين بعده ، ثم عاد علآء الدين الى بلد الغور وامر
اخاه ان يخلع على اعيان البلد خلعًا نفيسةً ويصلهم بصلاة سنيّة
ففعل ذلك واحسن [اليهم ، فلما][2] جآء الشتآء ووقع الثلج وعلم اهل
غزنة انّ الطريق قد انقطع اليهم [فكاتبوا بهرام شاه الذى كان
صاحبها واستدعوه اليهم][3] فسار نحوهم فى عسكره فلما قارب البلد ثار
اهله على سيف الدين بغير قتال فاخذوه وكان العلويّون هم الذين
تولّوا أسْرَه وانهزم الذين كانوا معه فمنهم مَن نجا ومنهم مَن أُخذ ثم
انّهم سوّدوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة واطافوا به البلد ثم
صلبوه وقالوا فيه اشعارًا يهجونه وغنّوا بها حتّى النسآء ، فلمّا بلغ
الخبر الى اخيه علآء الدين الحسين قال شعرًا معناه ان لم اقلع غزنة فى
مرّة واحدة فلستُ الحسين بن الحسين ثم توفّى بهرام شاه وملك
بعده ابنه خسروشاه وتجهّز علآء الدين الحسين وسار الى غزنة سنة
خمسين وخمسمائة فلمّا بلغ الخبر الى خسروشاه سار عنها الى لهاوور
وملكها علآء الدين ونهبها ثلاثة ايّام واخذ العلويّين الذين اسروا

---

[3]) C. P. et 740. [2]) C. P. [1]) Vid. *Journ. Asiat.* 1843, II. p. 191.

اخاه فالقاهم من روس الجبال وخرب المحلة الله ضُلب فيها واخذ النسآء اللواتى قيل عنهن انهن كن يغنين بهجآء اخيه والغوريّة[1] فادخلهن حمامًا ومنعهن من الخروج حتى متن فيه واقام بغزنة حتى اصلحها ثم عاد الى فيروزكوه[2] ونقل معه من اهل غزنة خلقًا كثيرًا وحملهم المخالى مملوة ترابًا فبنى به قلعة فى فيروزكوه[2] وهى موجودة الى الأن وتلقب بالسلطان المعظم وحمل الجتر[3] على عادة السلاطين السلجوقيّة ، وقد تقدّم سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من اخبارهم وفيه مخالفة لهذا فى بعض الامر وكلا سمعناه ورايناه فى مصنّفاتهم فلهذا ذكرنا الامرين واقام الحسين على ذلك مدّة واستعمل ابنَىْ اخيه وهما غياث الدين وشهاب الدين ☆

ذكر مُلك غياث الدين وشهاب الدين الغوريّين

لمّا قوى امر عمّهما علآء الدين الحسين ابن الحسين استعمل العمّال والامرآء على البلاد وكان ابنا اخيه وهما غياث الدين ابو الفتح محمّد ابن سام وشهاب الدين ابو المظفّر محمّد ابن سام فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة وكان غياث الدين يلقّب حينئذ شمس الدين ويلقّب الاخر شهاب الدين ، فلمّا استعملهما احسنا السيرة فى عملهما وعدلا وبذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما مَن يحسدهما الى عمّهما علآء الدين وقال انّهما يريدا الوثوب بك وقتلك والاستيلآء على الملك فارسل عمّهما يستدعيهما اليه فامتنعا وكانا قد علما الخبر فلمّا امتنعا جهّز اليهما عسكرًا مع قايد يسمّى خروش الغورى فلمّا التقوا انهزم خروش ومَن معه وأُسر هو وابقيا عليه واحسنا اليه وخلعا عليه واظهرا عصيان عمّهما وقطعا خطبته ، فتوجّه اليهما علآء الدين وسارا هما ايضًا اليه فالتقوا واقتتلوا قتالًا شديدًا فانهزم علآء الدين وأُخذ اسيرًا وانهزم عسكره فنادى فيهم ابنا اخيه بالامان فاحضرا عمّهما واجلساه على التخت ووقفا فى خدمته فبكا علآء الدين وقال هذان صبيّان قد فعلا ما لو قدرتُ عليه منهما لم افعله واحضر

---

[1] الحوريه [2] فيروزكره [3] حمر

القاضى فى الحال وزوّج غياث الدين بنتًا له وجعله ولىّ عهده وبقى كذلك الى ان مات ، فلمّا توفّى ملك غياث الدين بعده وخطب لنفسه فى الغور وغزنة بالمُلك وبقى كذلك الى ان ملك الغُزّ غزنة بعد موت علآء الدين طمعوا فيها بموته وبقيت بايديهم خمس عشر سنة يصبُّون على اهلها العذاب ويتابعون الظلم كعادتهم [فى] كلّ بلدة ملكوها ولو انّهم لمّا ملكوا احسنوا السيرة فى الرعايا لدام مُلكهم فلم يزل الغزّ بغزنة هذه المدّة وغياث الدين يقوى امره ويحسن السيرة والناس يميلون اليه ويقصدونه محبّةً له ۞

ذكر مُلك غياث الدين غزنة وما جاورها من البلاد

لمّا قوى امر غياث الدين جهّز جيشًا كثيفًا مع اخيه شهاب الدين الى غزنة فيه اصناف الغوريّة والخلج والخراسانيّة فساروا اليها فلقيهم الغزّ وقاتلهم فانهزم الغوريّة وثبت شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحب علمهم فقتله واخذ العلم وتركه على حاله فتراجع الغزّ ولم يكونوا علموا بما كان من شهاب الدين فجآءوا يطلبون علمهم فكلّما جآء اليه طايفة قتلهم فاتى على اكثرهم ودخل غزنة وتسلّمها واحسن السيرة فى اهلها وافاض العدل وسار من غزنة الى كرمان وشنوران[1] فملكها ثمّ تعدّى الى مآء السند وعمل على العبور الى بلد الهند وقصد لهاوور[2] وبها يومئذ خسروشاه ابن بهرام شاه المقدّم ذكر والده فلمّا سمع خسروشاه بذلك سار فيمن معه الى مآء السند فمنعه من العبور فرجع عنه وقصد فرشابور فملكها وما يليها من جبال الهند واعمال الابغان والله اعلم ۞

ذكر مُلك شهاب الدين لهاوور[2]

لمّا ملك شهاب الدين جبال الهند قوى امره وجنانه وعظمت هيبته فى قلوب الناس واحبّوه لحسن سيرته فلمّا خرج الشتآء واقبل الربيع من سنة تسع وسبعين وخمسمائة سار نحو لهاوور[2] فى جمع عظيم وحشد كثير من خراسان والغور وغيرها فعبر الى لهاوور[2]

---

1) C. P. et 740. Ups.: سنوران 2) لهاووز

وحصرها وارسل الى صاحبها خسروشاه والى اهلها يتهددهم ان منعوه واعلمهم انّه لا يزول حتّى يملك البلد وبذل لخسروشاه الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوّج ابنته بابن خسروشاه على ان يطأ بساطه ويخطب لاخيه فامتنع عليه واقام شهاب الدين محاصرًا له مضيّقًا عليه فلمّا رأى اهل البلد والعسكر ذلك ضعفت نيّاتهم فى نصرة صاحبهم فخذلوه فارسل لمّا رأى ذلك قاضى البلد والخطيب يطلبوان له الامان فاجابه شهاب الدين الى ذلك وحلف له وخرج اليه ودخل الغوريّة الى المدينة وبقى كذلك شهرين مكرّمًا عند شهاب الدين فورد رسول من غياث الدين الى شهاب الدين يامره بانفاذ خسروشاه اليه ✿

ذكر انقراض دولة سبكتكين

لمّا انفذ غياث الدين الى اخيه شهاب الدين يطلب انفاذ خسروشاه اليه امره شهاب الدين بالتجهّز والمسير فقال انا لا اعرف اخاك ولا لى حديث الّا معك ولا يمين الّا فى عنقك فمنّاه وطيّب قلبه وجهّزه وسيّره وسيّر معه ولده واصحبهما جيشًا يحفظونهما فسارا كارهين فلمّا بلغا فرشابور خرج اهلها اليهما يبكون ويدعون لهما فزجرهم الموكّلون بهما وقالوا سلطانٌ يزور سلطانًا اخر لاىّ شئٍ تبكون وضربوهم فعادوا وخرج ولد خطيبها الى خسروشاه متوجّعًا له قال فلمّا دخلتُ عليه اعلمتُه رسالة ابى وقلتُ انّه قد اعتزل الخطابة ولا حاجة بى الى خدمة غيركم فقال لى سَلّم عليه واعطانى فرجيّةً فوطًا ومصلّى من عمل الصوفيّة وقال هذه تذكرة ابيه عند ابى فسلّمهُ اليه وقل له دُرْ مع الدهر كيف ما دارا وانشد بلسان فصيح

وليس كعهد الداريا امّ مالك ولكن احاطتْ بالرقاب السلاسل،

قال فانصرفتُ الى ابى وعرّفتُه الحالَ فبكى وقال قد ايقن الرجل بالهلاك، ثمّ رحلوا فلمّا بلغوا بلد الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل امر بهما فرُفعا الى بعض القلاع فكان اخر العهد بهما، وهو اخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ستّ وستّين وثلاثمائة فتكون مدّة ولايتهم مايتىْ سنة وثلاث عشرة سنة تقريبًا وكان ملوكهم

من احسن الملوك سيرة ولا سيّما جدّهم[1] محمود فانّ اثاره فى الجهاد معروفة واعماله للاخرة مشهورة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بابائهم او مجدهم قعدوا

فتبارك الذى لا يزول مُلكه ولا تغيّره الدهور فانّ لهذه الدنيا الدنيّة تفعل هذا بابنآئها نسال الله تعالى ان يكشف عن قلوبنا حتّى نراها بعين الحقيقة وان يقبل بنا اليه وان يشغلنا به عمّا سواه انّه على كلّ شىء قدير، هكذا ذكر بعض فضلآء خراسان انّ خسروشاه اخر ملوك آل سبكتكين وقد ذكر غيره انّه توفّى فى المُلك وملك بعده ابنه ملكشاه وسنذكره فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبالجملة فبتدآء دولة الغوريّة عندى فيها خلف لو ينكشف الحقّ واصلحه ان شاء الله تعالى ✿

ذكر الخطبة لغياث الدين بالسلطنة

لمّا استقرّ مُلكهم بلهاوور[2] واتّسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم واموالهم كتب غياث الدين الى اخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقّب بالقاب السلاطين كان لقبه شمس الدين فتلقّب غياث الدين والدنيا معين الاسلام قسيم امير المومنين ولقّب اخاه بعزّ الدين ففعل شهاب الدين ذلك وخطب له بالسلطنة ✿

ذكر مُلك غياث الدين هراة وغيرها من خراسان

لمّا فرغ شهاب الدين من اصلاح امر لهاوور وتقرير قواعدها سار الى اخيه غياث الدين فلمّا اجتمع به استقرّ رايهما على المسير الى خراسان وقصد مدينة هراة ومحاصرتها فسارا فى العساكر الكثيرة اليها وكان بها جماعة من الاتراك السنجريّة فنازلا البلد وحصراه وضيّقا على مَن به فاستسلموا اليهما وارسلوا يطلبون الامان منهما فاجابهم الى ذلك وامناهم فتسلّما البلد واخرجا مَن فيه من الامراء السنجريّة واستناب فيه غياث الدين خرنك[3] الغورى وسار غياث الدين واخوه الى فوشنج[4] فملكها ثمّ الى بادغيس و... و... ... ... وتسلّم

---

1) جدد 2) بلهاوور 3) Cod. 710. C. P: خرداد Upo: حربك 4) نوسنج

ذلك جميعه غياث الدين واحسن السيرة فى اهل البلاد ورجع الى فيروزكوه[1] ورجع شهاب الدين الى غزنة وكان ينبغى ان حوادث الغوريّة تذكر فى السنين وانّما جمعنها ليتلو بعضها بعضا ولانّ فيه ما لم يعرف تاريخه فتركناه بحاله ❁

ذكر مُلك شهاب الدين مدينة آجُرة من بلد الهند

لمّا رجع شهاب الدين من خراسان الى غزنة اقام بها حتّى اراح واستراح هو وعساكره ثم سار الى بلد الهند فحاصر مدينة آجرة وبها ملك من ملوك الهند فلم يظفر منه بطائل وكان للهندىّ زوجة غالبة على امره فراسلها شهاب الدين انّه يتزوّجها فاعادت الجواب انّها لا تصلح له وانّها لها ابنة جميلة تزوّجه ايّاها فارسل اليها يجيبها الى التزويج بابنتها فسقتْ زوجها سُمّاً فمات وسلّمتْ البلد اليه فلمّا تسلّمه اخذ الصبية فاسلمت وتزوّجها وحملها الى غزنة واجرى عليها الجرايات الوافرة ووكّل بها مَن علّمها القران وتشاغل عنها فتوفّيت والدتها ثم توفّيت هى بعد عشر سنين ولم يرها ولم يقربها فبنى لها مشهداً ودفنها فيه واهل غزنة يزورون قبرها، ثم عاد الى بلد الهند فذلّ له صعابها وتيسّر له فتح الكثير من بلادهم ودوّخ ملوكهم وبلغ منهم ما لم يبلغه احد قبله من ملوك المسلمين ❁

ذكر ظفر الهند على المسلمين

لمّا اشتدّت نكاية شهاب الدين فى بلاد الهند واثخانه فى اهلها واستيلاؤه عليهم اجتمع ملوكهم وتوامروا بينهم ووبّخ بعضهم بعضاً فاتّفق رايهم على الاجتماع والتعاضد على حربه فجمعوا عساكرهم وحشدوا واقبل اليهم الهنود من كلّ فجّ عميق على الصعب والذلول وجاآوا بحدّهم وحديدهم وكان الحاكم على جميع الملوك المجتمعين امراة هى من اكبر ملوكهم فلمّا سمع باجتماعهم ومسيرهم اليه تقدّم هو ايضاً اليهم فى عسكر عظيم من الغوريّة والخلج والخراسانيّة فالتقوا واقتتلوا فلم يكن بينهم كثير قتال حتّى انهزم المسلمون وركبهم

[1] فيروزكره

الهنود يقتلون ويأسرون واثخنوا فيهم واصاب شهاب الدين ضربة بطلت منها يده اليُسرى وضربة اخرى على راسه سقط منها الى الارض وحجز الليل بين الفريقين فاحسّ شهاب الدين بجماعة من غلمانه الاتراك في ظلمة الليل وهم يطلبونه في القتلى ويبكون وقد رجع الهنود الى ورائهم وكلّمهم وهو على ما به من الجهد فجآءوا اليه مسرعين وحملوه على رؤسهم رجّالة يتناوبون حمله حتّى بلغوا مدينة آجْرة مع الصباح وسمع خبر سلامته في الناس فجآءوا اليه يهنّونه من اقطار البلاد فاوّل ما عمل انّه اخذ امرآء الغوريّة الذين انهزموا عنه واسلموه فملا مخالى خيلهم شعيرًا وحلف لئن لم ياكلوه ليضربنّ اعناقهم فاكلوه ضرورةً، وبلغ الخبر الى اخيه غياث الدين فارسل اليه يلومه على عجلته واقدامه وانفذ اليه جيشًا عظيمًا ٭

ذكر ظفر المسلمين بالهند

ثمّ سلم شهاب الدين وعاد الى آجرة واتاه المدد من اخيه غياث الدين وعاد الهنود جدّدوا سلاحهم ووفروا جمعهم واقاموا عوض من قتل منهم وسارت ملكتهم وهم معها في عدد يضيق عنه الفضآء فراسلها شهاب الدين يخدعها بانّه يتزوّجها فلم تجبه الى ذلك وقلت امّا الحرب وامّا ان تسلم بلاد الهند وتعود الى غزنة فاجابها الى العود الى غزنة وانّه يستاذن اخاه غياث الدين فعل ذلك مكرًا وخديعةً، وكان بين العسكرين نهرٌ وقد حفظ الهنود المخاضات فلا يقدر احد من المسلمين يجوزه واقاموا ينتظرون ما يكون من جواب غياث الدين بزعمهم فبينما هم كذلك اذ وصل انسانٌ هنديٌّ الى شهاب الدين واعلمه انّه يعرف مخاضًا قريبًا من عسكر الهنود وطلب ان يُرسل معه جيشًا يعبّرهم المخاض ويكبسون الهنود وهم غارّون آمنون، فخاف شهاب الدين ان تكون خديعة ومكرًا فاقام له ضمنآء من اهل آجرة والمولتان فارسل معه جيشًا كثيفًا وجعل عليهم الامير الحسين بن خرميل[1] الغوريّ وهو الذى صار بعدُ صاحب هراة وكان من الشجعة والرأى

---

1) حرميل

بالمنزلة المشهورة فسار الجيش مع البندى فعبروا النهر فلم يشعر الهنود الّا وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم فاشتغل الموكّلون بحفظ المخاضات فعبر شهاب الدين وباقى العسكر واحاطوا بالهنود واكثروا القتل فيهم ونادوا بشعار الاسلام فلم ينج من الهنود الّا من عجز المسلمون عن قتله واسره وقُتلت ملكتهم وتمكّن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند وامن معرّة فسادهم والتزموا له بالاموال وسلّموا اليه الرهاين وصالحوه، واقطع مملوكه قطب الدين ايبك مدينة دهلى وهى كرسىّ الممالك التى فتحها من الهند فارسل عسكرًا من الخلج مع محمّد ابن بختيار فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل اليها مسلم قبله حتّى قربوا حدود الصين من جهة المشرق، وقد حدّثنى صديق لى من التجار بوقعتينْ تشبه هاتين الوقعتين المذكورتين وبينهما بعض الخلاف وقد ذكرناهما سنة ثلاث وثمانين وخمسماية ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى يعقوب الكاتب ببغداد وكان يسكن بالمدرسة النظاميّة وحضر متولّى المتركات وختم على الغرفة التى كان يسكنها بالمدرسة فثار الفقهاء وضربوا المتولّى وهذه عادتهم فيمن يموت بها وليس له وارث فقبض حاجب الباب على رجلينْ من الفقهاء وعاقبهما وحبسهما فاغلق الفقهاء المدرسة والقوا كرسى الوعّاظ فى الطريق وصعدوا سطح المدرسة ليلًا واستغاثوا وتركوا الادب وكان حينئذ مدرّسهم الشيخ ابا النجيب فجاء والقى نفسه تحت التاج يعتذر فعفى عنه، وفيها توفّى حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميّافارقين وكانت ولايته نيفًا وثلاثين سنة وتولّى بعده ابنه نجم الدين البى، وفيها مات ابو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الارموىّ الشافعىّ المحدّث ومولده سنة تسع وخمسين واربعماية، وفيها توفّى ابو الاسعد عبد الرحمن القُشَيْرىّ فى شوّال وهو شيخ شيوخ خراسان، وفيها فى المحرّم باض ديك ببغداد بيضة وباض بازى بيضتين وباضت نعامة لا ذكر معها بيضة ۞

سنة ٥٤٨ ثم دخلت سنة ثمان واربعين وخمسماية

ذكر انهزام سنجر من الغزّ ونهبهم خراسان وما كان منهم

فى هذه السنة فى المحرّم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغُزّ وهم طايفة من الترك مسلمون كانوا بما وراء النهر فلمّا ملك الخطا اخرجوهم منه كما ذكرنا فقصدوا خراسان وكانوا خلقا كثيرا فاقاموا بنواحى بلخ يرعون فى مراعيها وكان لهم امراء اسم احدهم دينار والاخر بختيار والاخر طوطى والاخر ارسلان والاخر جغر والاخر محمود فاراد الامير قماج وهو مقطع بلخ ابعادهم فصانعوه بشيٍّ بذلوه له فعدل عنهم فاقاموا على حالةٍ حسنةٍ لا يؤذون احدًا ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ثم انّ قماج عاودهم وامرهم بالانتقال عن بلده فامتنعوا وانضمّ بعضهم الى بعض واجتمع معهم غيرهم من طوايف الترك فسار قماج اليهم فى عشرة الاف فارس فجاء اليه امرآؤهم وسالوه ان يكفّ عنهم ويتركهم فى مراعيهم ويعطونه من كلّ بيت مايتَىْ درهم فلم يجبهم الى ذلك وشدّد عليهم فى الانتزاح عن بلده فعادوا عنه واجتمعوا وقاتلوه فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره واكثروا القتل فى العسكر والرعايا واسترقّوا النسآء والاطفال وعملوا كلّ عظيمة وقتلوا الفقهآء وخرّبوا المدارس وانتهت الهزيمة بقماج الى مرو وبها السلطان سنجر فاعلمه الحال فراسلهم سنجر يتهدّدهم فامرهم بمفارقة بلاده فاعتذروا وبذلوا بذلًا كثيرًا ليكفّ عنهم ويتركهم فى مراعيهم فلم يجبهم الى ذلك وجمع عساكره من اطراف البلاد واجتمع معه ما يزيد على مائة الف فارس وقصدهم ووقع بينهم حربٌ شديدةٌ فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو ايضًا وتبعهم الغزّ قتلًا واسرًا فصار قتلى العسكر كالتلال وقُتل علآء الدين قماج وأُسر [السلطان سنجر وأُسر][1] معه جماعة من الامرآء [فامّا الامرآء][2] فضربوا اعناقهم وامّا السلطان سنجر فانّ امرآء الغزّ اجتمعوا وقبّلوا الارض بين يديه وقالوا نحن عبيدك لا نخرج عن طاعتك فقد علمنا انّك لم ترد قتالنا وانّما حملتَ عليه فانت السلطان ونحن العبيد

---

[2]) C. P. [1]) C. P. et 740.

فمضى على ذلك شهران او ثلاثة ودخلوا معه الى مرو وهى كرسى مُلك خراسان وطلبها منه بختيار اقطاعًا فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز ان تكون اقطاعًا لاحد فضحكوا منه وحنق له بختيار بعجمه[1] فلمّا راى ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانكاه مرو وتاب عن الملك واستولى الغزّ على البلاد وظهر منهم من الجور ما لم يُسمع بمثله وولّوا على نيسابور واليًا فقسّط على الناس كثيرًا وعسفهم وضربهم وعلق فى الاسواق ثلاث غرايِر وقال اريد ملئ هذه ذهبًا فثار عليه العامّة فقتلوه ومَن معه فركب الغزّ ودخلوا نيسابور ونهبوها نهبًا مجحفًا وجعلوها قاعًا صفصفًا وقتلوا الكبار والصغار واحرقوها، وقتلوا القضاة والعلمآء فى البلاد كلّها فمّن [قُتل] الحسين ابن محمّد الارسابَنْدىّ[2] والقاضى علىّ ابن مسعود والشيخ محى الدين محمّد ابن يحيى واكثر الشعرآء فى مراثى محمّد ابن يحيى فمّن قال فيه علىّ ابن ابرهيم الكاتب

مضى الذى كان يجنى الدرّ من فيه   يسيل بالفضل والافضال واديه
مضى ابن يحيى الذى قد كان صوب حيا   لا بل شهر ومصباحًا لراجيه
خلا خراسان من علم ومن ورعٍ   لمّا نعاه الى الآفاق ناعيه
لمّا اماتوه مات الدين وأسفًا   مَن ذا الذى بعد محى الدين يحييه

ويتعذّر وصف ما جرى منهم بتلك البلاد جميعها ولم يسلم من خراسان شيئًا لم تنهبه الغزّ غير هراة ودهِسْتان لانّها كانت حصينة فامتنعت، وقد ذكر بعض مورّخى خراسان من اخبارهم ما فيه زيادة وضوح[3] وقال انّ هولآء الغزّ قوم انتقلوا من نواحى الثغر من اقاصى الترك الى ما ورآء النهر فى ايّام المهدى واسلموا واستنصر بهم المقنّع صاحب المخاريق والشعبذة حتّى تمّ امره فلمّا سارت العساكر اليه خذله هولآء الغزّ واسلموه وهذه عادتهم فى كلّ دولة كانوا فيها وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخانانيّة الّا انّ الاتراك القارلغيّة[4] قمعوهم وطردوهم عن اوطانهم، فدعاهم الامير زنكى ابن خليفة الشيبانىّ المستولى على حدود طخارستان اليه وانزلهم بلاده وكانت بينه وبين الامير قماج عداوة

---

1) نعمه 2) الارسانيدى 3) ضوح 4) الغارعلية

احكمتها الايّام للمجاورة الّتى بينهما وكلّ منهما يريد ان يعلو على الاخر ويحكم عليه فيقوى بهم زنكى وساروا معه الى بلخ لمحاربة تاج فداخلهم تاج فمالوا اليه وخذلوا زنكى عند الحرب فاخذ زنكى وابنه اسيرين فقتل تاج ابنَ زنكى وجعل يطعم اباه لحمه ثمّ قتل الاب ايضًا واقطع تاج الغزّ مواضع واباحهم مراعى بلاده، فلمّا قدم الحسين ابن الحسين الغورى وقصد بلخ خرج اليه تاج وعساكره ومعه الغزّ ففارقه الغزّ وانضمّوا الى الغورىّ حتّى ملك مدينة بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ ففارقها الغورىّ بعد قتال انهزم منه ثمّ دخل [الى] السلطان سنجر لعجزه عن مقاومته فردّه الى غزنة، وبقى الغزّ بنواحى طخارستان وفى نفس تاج منهم الغيظ العظيم لما فعلوه معه فاراد صرفهم عن بلاده فتجمّعوا وانضمّ اليهم طوايف من الترك وقدّموا عليهم ارسلان بوقا التركىّ فجمع تاج عسكره ولقيهم فاقتتلوا يومًا كاملًا الى الليل فانهزم تاج وعسكره وأُسر هو وابنه ابو بكر فقتلوهما واستولوا على نواحى بلخ وعاثوا فيها وافسدوا بالنهب والقتل والسلب، وبلغ السلطان سنجر الخبر فجمع عساكره وسار اليهم فراسلوه يعتذرون ويتنصّلون فلم يقبل عذرهم ووصل اليهم مقدّمة السلطان وفيها محمّد بن ابى بكر ابن تاج المقتول والمؤيّد اى[1] أبه فى المحرّم من سنة ثمان واربعين وخمسماية ووصل بعدهم السلطان سنجر فالتقاه الغزّ بعد ان ارسلوا يعتذرون ويبذلون الاموال والطاعة والانقياد الى كلّ ما يومرون به فلم يقبل سنجر ذلك منهم وسار اليهم فلقوه وقاتلوه وصبروا له ودام قتالهم فانهزم عسكر سنجر وهو معهم فتوجّهوا الى بلخ على اقبح صورة وتبعهم الغزّ واقتتلوا مرة ثانية فانهزم السلطان سنجر ايضا ومضى منهزمًا الى مرو فى صفر من السنة فقصد الغزّ اليها فلمّا سمع العسكر الخراسانىّ بقربهم منهم اجفلوا من بين ايديهم هاربين لما دخل فى قلوبهم من خوفهم والرعب منهم فلمّا فارقها السلطان والعسكر دخلها الغزّ ونهبوها افحش نهب واقبحه وذلك فى جمدى الاولى من السنة وقتل

[1]) اى

بها كثير من اهلها واعيانها منهم قاضى القضاة الحسن ابن محمّد الارسابَنْدىّ¹ والقاضى علىّ ابن مسعود وغيرهما من الايمّة العلمآء، ولمّا خرج سنجر من مرو قصد بلوزابة واخذه الغزّ اسيرًا واجلسوه على تخت السلطنة على عادته وقاموا بين يديه وبذلوا له الطاعة ثمّ عاودوا الغارة على مرو فى رجب من السنة فمنعهم اهلها وقاتلوهم قتلًا شديدًا بذلوا فيه جهدهم وطاقتهم ثمّ انّهم عجزوا فاستسلموا اليهم فنهبوها افحش من النهب الاوّل لم يتركوا بها شيئًا وكان قد فارق سنجر جميع امرآء خراسان ووزيره طاهر ابن فخر المُلك ابن نظام المُلك ولم يبق عنده غير نفر يسير من خواصّه وخدمه فلمّا وصلوا الى نيسابور احضروا الملك سليمان شاه ابن السلطان محمود فوصل الى نيسابور تاسع عشر جمادى الاخرة من السنة فاجتمعوا عليه وخطبوا له بالسلطنة وسار فى هذا الشهر جماعة من العسكر السلطانىّ الى طايفة كثيرة من الغزّ فاوقعوا بهم وقتلوا منهم كثيرًا وانهزم الباقون الى امرآيهم الغزّيّة فاجتمعوا معهم ولمّا اجتمعت العساكر على الملك سليمان شاه وساروا الى مرو يطلبون الغزّ فبرز الغزُّ اليهم فساعةَ رءاهم العسكر الخراسانىّ انهزموا وولّوا على ادبارهم وقصدوا نيسابور وتبعهم الغزُّ فمرّوا بطوس وهى معدن العلمآء والزهّاد فنهبوها وسبوا نسآءها وقتلوا رجالها وخرّبوا مساجدها ومساكن اهلها ولم يسلم من جميع ولاية طوس الّا البلد الذى فيه مشهد علىّ ابن موسى الرضى ومواضع اخر يسيرة لها اسوارٌ وممّن قُتل من اعيان اهلها امامها محمّد المارشكىّ² ونقيب العلويّين بها علىّ المُوسوىّ وخطيبها اسمعيل ابن المُحسن وشيخ شيوخها محمّد ابن محمّد وافنوا مَن بها من الشيوخ الصالحين وساروا منها الى نيسابور فوصلوا اليها فى شوّال سنة تسع واربعين ولم يجدوا دونها مانعًا ولا مدافعًا فنهبوها نهبًا ذريعًا وقتلوا اهلها فاكثروا حتّى ظنّوا انّهم لم يُبقوا بها احدًا حتّى انّه أُحصى فى محلّتَيْن خمسة عشر الف قتيل من الرجال دون النسآء والصبيان وسبوا نسآءها واطفالها واخذوا

---

¹) الارسانيدى ²) المارسكى

اموالها وبقى القتلى فى الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض واجتمع
اكثر اهلها بالجامع المنيعى تحصّنوا به فحصرهم الغزّ فعجز اهل نيسابور
عن منعهم فدخل الغزّ اليهم فقتلوهم عن اخرهم وكانوا يطلبون من
الرجال المال فاذا اعطاهم قتلوه وقتلوا كثيرا من ايمّة العلماء والصالحين
منهم محمّد ابن يحيى الفقيه الشافعىّ الذى لم يكن فى زمانه مثله
كان رحلة الناس من اقصى الغرب والشرق اليه ورثاه جماعة من العلماء
منهم ابو الحسن علىّ ابن ابى القاسم البيهقىّ فقال

يا سافكًا دم عالم متبحّر قد طار فى اقصى الممالك صيتُه
بالله قُل لى يا ظلوم ولا تخف من كان محيى الدين كيف تميته

ومنهم الزاهد عبد الرحمن ابن عبد الصمد الاكّاف واحمد ابن الحسين
الكاتب سبط القُشَيْرىّ وابو البركات الفُراوىّ والامام علىّ الصبّاغ المتكلّم
واحمد ابن محمّد بن حامد وعبد الوهّاب المقاباذىّ والقاضى صاعد ابن
بن عبد الملك ابن صاعد والحسن ابن عبد الحميد الرازىّ وخلق
كثير من الايمّة والزهّاد والصالحين واحرقوا ما بها من خزاين الكتب
ولم يسلم الّا بعضها، وحصروا شارستان[1] وهى منيعة فاحاطوا بها وقاتلهم
اهلها من فوق سورها وقصدوا جوين وبذلوا نفوسهم لله تعالى واحموا
بيضتهم والباقى الى النهب والقتل عليه ثم قصدوا اسفرايين فنهبوها
وخرّبوها وقتلوا فى اهلها فاكثروا وممّن قُتل عبد الرشيد الاشعثىّ
وكان من اعيان دولة السلطان فتركها واقبل على الاشتغال بالعلم
وطلب الاخرة وابو الحسن القَنْدُورجىّ[2] وكان من ذوى الفضايل
لا سيّما فى علم الادب، ولمّا فرغ الغزّ من جوين واسفرايين عادوا
نيسابور فنهبوا ما بقى فيها بعد النهب الاوّل وكان قد لحق
بشهرستان كثير من اهلها فحصرهم الغزّ واستولوا عليها ونهبوا ما كان
فيها لاهلها ولاهل نيسابور ونهبوا الحرم والاطفال وفعلوا ما لم يفعله
الكفّار مع المسلمين وكان العيّارون ايضًا ينهبون نيسابور اشدّ من
نهب الغزّ ويفعلون اقبح من فعلهم، ثم ان السلطان سليمان شه

---

1) سارستان 2) الغندروجى
ج ۲ ۹

ضعف وكان قبيح السيرة سيّئ التدبير وانّ وزيره ضاهر ابن فخر المُلك ابن نظام المُلك توفّى فى شوّال سنة ثمان واربعين فضعف امره واستوزر سليمان شاه بعده ابنه نظام المُلك ابا علىّ الحسن ابن طاهر واضمحلّ امر دولته بالكلّيّة ففارق خراسان فى صفر سنة تسع واربعين وعاد الى جرجان فاجتمع الامرآء وراسلوا الخان محمود ابن محمّد بن بُغراخان وهو ابن اخت السلطان سنجر وخطبوا له على منابر خراسان واستدعوه اليهم فملّكوه امورهم وانقادوا له فى شوّال سنة تسع واربعين وخمسمائة وساروا معه الى الغزّ وهم يحاصرون هراة وجرت بينهم حروبٌ كان الظفر فى اكثرها للغزّ ورحلوا فى جمادى الاولى من سنة خمسين وخمسمائة ~~وساروا معهم~~[1] مَن على هراة الى مرو وعاودوا المصادرة لاهلها، وسار الخان محمود ابن محمّد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيّد على ما نذكره وراسل الغزّ فى الصلح فاصطلحوا فى رجب من سنة خمسين وخمسمائة هدنةً على دخن وسيرد باقى اخبارهم سنة اثنتين وخمسين ۞

ذكر ملك المؤيّد نيسابور وغيرها

كان للسلطان سنجر مملوك اسمه اى[2] ابة ولقبه المؤيّد فلمّا كانت هذه الفتنة تقدّم وعلا شانه واطاعه كثير من الامرآء فاستولى على نيسابور وطوس ونسا وابيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغزّ عن الجميع وقتل منهم خلقًا كثيرًا واحسن السيرة وعدل فى الرعيّة واستمال الناس ووفّر الخراج على اهله وبالغ فى مراعاة ارباب البيوت فاستقرّت البلاد له ودانت له الرعيّة لحسن سيرته وعظم شانه وكثرت جموعه فراسله خاقان محمود ابن محمّد فى تسليم البلاد والحضور عنده فامتنع وترددت الرسل بينهم حتّى استقرّ على المؤيّد مال يحمله الى الملك محمود فكفّ عنه محمود واقام المؤيّد بالبلاد هو والسلطان محمود ۞

ذكر ملك ايتاخ الرىّ

كان ايتاخ[3] احد مماليك السلطان سنجر فلمّا كان من فتنة الغزّ ما ذكرناه هرب من خراسان ووصل الى الرىّ فاستولى عليها واقام بها

---

1) معه 2) اى 3) ايماخ

وراسل السلطان محمّد شاه ابن محمود صاحب همذان واصبهان وغيرها بخدمه وهاداه وارضاه واظهر له الطاعة وبقى بنا الى ان مات السلطان محمّد فاستولى على عدّة بلاد تجاور الرىّ فلكها فعظم امره وعلا شانه وصارت عساكره عشرة الاف فارس فلمّا ملك سليمان شاه همذان على ما نذكره حضر عنده واطاعه لأُنسه به كان ايّامَ مقام سليمان شاه بخراسان فتقوّى امره بذلك ۞

ذكر قتل ابن السلار وزير الظافر ووزارة عبّاس

فى هذه السنة فى المحرّم قُتل العادل ابن السلار وزير الظافر بالله قتله ربيبه عبّاس بن ابى الفتوح بن يحيى الصنهاجىّ اشار عليه بذلك الامير اسامة بن منقذ ووافق عليه الخليفة الظافر بالله فامر ولده نصرًا فدخل على العادل وهو عند جدّته امّ عبّاس فقتله وولى الوزارة بعده ربيبه عبّاس وكان عبّاس قد قدم من المغرب كما نذكره الى مصر وتعلّم الخياطة وكان خيّاطًا حسنًا فلمّا تزوّج ابن السلار بامّه احبّه واحسن تربيّته فجازاه بان قتله وولى بعده، وكانت الوزارة فى مصر لمن غلب والخلفاء ورآء الحجاب والوزرآء كالمتملّكين وقلّ ان وليها احدٌ بعد الافضل الّا بحرب وقتْل وما شاكل ذلك فلذلك ذكرتهم فى تراجم مفردة والله اعلم ۞

ذكر الحرب بين العرب وعساكر عبد المؤمن

فى هذه السنة فى صفر كانت الحرب بين عسكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة شطيف[1] وسبب ذلك انّ العرب وهم بنو هلال والاثبج[2] وعدى ورياح[3] وزغب وغيرهم من العرب لمّا ملك عبد المؤمن بلاد بنى حمّاد اجتمعوا[4] من ارض طرابلس الى اقصى المغرب وقالوا ان جاورنا عبد المؤمن اجلانا من المغرب وليس الراى الّا القآء الجدّ معه واخراجه من البلاد قبل ان يتمكّن وتحالفوا على التعاون والتظافر وان لا يخون بعضهم بعضًا وعزموا على لقايه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوه قتال الحريم واتّصل الخبر بالملك رجّار الفرنجىّ صاحب صقليّة فارسل الى

---

1) سطيف 2) والانبج 3) ورباح 4) واجتمعوا

امراء العرب وهم محرز بن زياد وجبارة بن دمل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحثّهم على لقآء عبد المومن ويعرض عليهم ان يرسل اليهم خمسة الاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على شرط ان يرسلوا اليه الرهاين فشكروه وقالوا ما بنا حاجة الى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين وساروا فى عدد لا يُحصى وكان عبد المومن قد رحل من بجاية الى بلاد المغرب فلمّا بلغه خبرهم جهّز من الموحّدين ما يزيد على ثلاثين الف فارس واستعمل عليهم عبد الله بن عُمر الهنتاتى وسعد الله بن يحيى وكان العرب اضعافهم فاستجرّهم الموحّدون وتبعهم العرب الى ان وصلوا الى ارض سطيف بين جبال فحمل عليهم عسكر عبد المومن والعرب على غير اهبّة والتقى الجمعان واقتتلوا اشدّ قتال واعظمه فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونصرة الموحّدين وترك العرب جميع ما لهم من اهل ومال واثاث ونعم فاخذ الموحّدون جميع ذلك وعاد الجيش الى عبد المومن بجميعه فقسم جميع الاموال على عسكره وترك النسآء والاولاد تحت الاحتياط ووكّل بهم من الخدم الخصيّان مَن يخدمهم ويقوم بحوايجهم وامر بصيانتهم فلمّا وصلوا معه الى مرّاكش انزلهم فى المساكن الفسيحة واجرى لهم النفقات الواسعة وامر عبد المومن ابنه محمدًا ان يكاتب امرآء العرب ويُعلمهم انّ نسآءهم واولادهم تحت الحفظ والصيانة وانّه قد بذل لهم الامان والكرمة، فلمّا وصل كتاب محمّد الى العرب سارعوا الى المسير الى مرّاكش فلمّا وصلوا اليها اعطاهم عبد المومن نسآءهم واولادهم واحسن اليهم واعطاهم اموالًا جزيلةً فاسترق قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان بهم حفيًّا واستعان بهم على ولاية ابنه محمّد للعهد على ما نذكره سنة احدى وخمسين ۞

ذكر مُلك الفرنج مدينة بونة وموت رجّار ومُلك ابنه غليالم[1]

فى هذه السنة سار اسطول رجّار ملك الفرنج بصقليّة الى مدينة بونة وكان المقدّم عليهم فتاه فيلب[2] المهدوىّ فحصرها واستعان بالعرب عليها فاخذها فى رجب وسبى اهلها وملك ما فيها غير انّه اغضى عن

---

1) عليالم 2) C. 740: فلب C. P: فتاه فلب Ups: فتاوفلب

جماعة من العلمآء والصالحين حتّى خرجوا باهليهم واموالهم الى القرى فاقام بها عشرة ايّام وعاد الى المهديّة وبعض الاسرى معه وعد الى صقليّة فقبض رجّار عليه لما اعتمد من الرفق بالمسلمين فى بونة وكان فيلب[1] يقال انّه وجميع فتيانه مسلمون يكتمون ذلك وشهدوا عليه انّه لا يصوم مع الملك وانّه مسلم فجمع له رجّار الاسقفة والقسوس والفرسان فحكموا بان يُحرق فاحرق فى رمضان وهذا اوّل وَهْن دخل على المسلمين بصقليّة ولم يمهل الله رجّار بعده الّا يسيرًا حتّى [مت] فى العشر الاوّل من ذى الحجّة من السنة وكان مرضه الخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة وكان مُلكه نحو عشرين سنة ولمّا مات ملك بعده ابنه غليالم[2] وكان فاسد التدبير سيّئ التصوير فاستوزر مايو البرصانى[3] فاسآء التدبير فاختلفت عليه حصون من جزيرة صقليّة وبلاد قلورية وتعدّى[4] الامر الى افريقية على ما نذكره ۞

ذكر وفاة بهرام شاه صاحب غزنة

فى هذه السنة فى رجب توفّى السلطان بهرام شاه بن مسعود بن ابرهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وكانت ولاية بهرام شاه ستًّا وثلاثين سنة وكان عادلًا حسن السيرة جميل الطريقة محبّا للعلمآء مُكرمًا لهم باذلاً لهم الاموال الكثيرة جمعة للكتب تُقرا بين يديه ويفهم مضمونها ولمّا مات ملك ولده خسروشاه المُلك بعده ۞

ذكر مُلك الفرنج مدينة عسقلان

فى هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان وكانت من جملة مملكة الظافر بالله العلوىّ المصرىّ وكان الفرنج كلّ سنة يقصدونها ويحصرونها فلا يجدون الى مُلكها سبيلًا وكان الوزرآء بمصر لهم الحكم فى البلاد وللخلفآء معهم اسم لا معنىً تحته وكان الوزرآء كلّ سنة يرسلون اليها من الذخاير والاسلحة والاموال والرجال مَن يقوم بحفظها فلمّا كان فى هذه السنة قُتل ابن السلار على ما ذكرناه واختلفت الاهوآء

---

[1]) C. 740: فيلب C. P: قملب Ups: فيلب
[2]) عليلم
[3]) C. P: مابو البُحرانى 740: مابو البرصانى Ups: المرصاى
[4]) تعد

فى مصر وولى عبّاس الوزارة والى ان استقرّت قاعدة اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحصروها فصبر اهلها وقاتلوهم قتالًا شديدًا حتّى انّهم بعض الايّام قاتلوا خارج السور وردّوا الفرنج الى خيامهم مقهورين وتبعهم اهل البلد اليها فايس حينئذ الفرنج من ملكه، فبينما هم على عزم الرحيل واذا قد اتاهم الخبر انّ البلد قد وقع بين اهله [خلاف] وقتل منهم قتلى فصبروا وكان سبب هذا الاختلاف، انّهم لمّا عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين ادّعى كلّ طايفة منهم انّ النصرة من جهتهم كانت وانّهم هم الذين ردّوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم الى ان قُتل من احدى الطايفتين قتيل واشتدّ الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشرّ ووقعت الحرب بينهم فقتل بينهم قتلى فطمع الفرنج وزحفوا اليه وقاتلوا عليه فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه ۞

ذكر حصر عسكر الخليفة تكريت وعودهم عنها

فى هذه السنة سيّر الخليفة المقتفى لامر الله عسكرًا الى تكريت ليحصروها وارسل معهم مقدّمًا عليهم [ابن] الوزير عون الدين ابن هبيرة وترشك وهو من خواصّ الخليفة وغيرهما فجرى بين ابن الوزير[1] وترشك منافرة اوجبت ان كتب ابن الوزير يشكوا من ترشك فامر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فارسل الى مسعود بلال صاحب تكريت وصالحه وقبض على ابن الوزير ومن معه من المقدّمين وسلّمهم الى مسعود بلال [فانهزم العسكر وغرق منه كثير وسار مسعود بلال][2] وترشك من تكريت الى طريق خراسان فنهبا وافسدا فسار المقتفى عن بغداد لدفعهما فهربا من بين يديه فقصد تكريت فحصرها ايّاما وجرى له مع اهلها حروب من وراء السور فقتل من العسكر جماعة بالنشاب فعاد الخليفة عنها ولم يملكها ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة وصلت مراكب من صقلّية فيها جمع من الفرنج فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصريّة، وفيها كان بين الكرج بارمينيّة

---

[1]) الى البدر sic C.P.

[2]) C. P. et 740.

وبين صُلتق صاحب ارزن الروم مصاف وحربٌ شديدٌ وانهزم صُلتق واسره الكُرج ثمّ اطلقوه، وفيها توفّى ابو العبّاس احمد ابن ابى غانم الورّاق المعروف بابن الطلاية الزاهد البغدادىّ بها وكان من الصالحين وله حديث وروايةٌ، وتوفّى عبد الملك بن عبد الله بن ابى سهل ابو الفتح بن ابى القاسم الكَرُوخىّ[1] الهروىّ راوى جامع الترمذى ومولده سنة اثنتين[1] ومن طريقه سمعناه ‡

ثمّ دخلت سنة تسع واربعين وخمسمائة،

ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفايز

فى هذه السنة فى المحرّم قُتل الظافر بالله ابو المنصور اسمعيل ابن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوىّ صاحب مصر وكان سبب [قتله] انّ وزيره عبّاسًا كان له ولدٌ اسمه نصرٌ فاحبّه الظافر وجعله من ندمائه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة فاتّفق ان قدم من الشام مؤيّد الدولة الامير اسامة ابن مُنقذ الكنانىّ فى وزارة ابن السلار واتّصل بعبّاس فحسّن له قتلَ العادل ابن السلار زوج أُمّه فقتله وولّاه الظافر الوزارة فاستبدّ بالامر وتمّ له ذلك وعلم الامرآء والاجناد انّ ذلك من فعل ابن مُنقذ فعزموا على قتله فخلا بعبّاس وقال له كيف تصبر على ما اسمع من قبيح القول قال وما ذلك قال الناس يزعمون انّ الظافر يفعل بابنك نصر وكان نصر خصيصًا بالظافر وكان مُلازمًا له ليله ونهاره وكان من اجمل الناس صورةً وكان الظافر يُتّهم به فانزعج لذلك وعظم عليه وقال كيف الحيلة قال تقتله فيذهب عنّا العار فذكر الحال لولده نصر فاتّفقا على قتله، وقيل انّ الظافر اقطع نصر ابن عبّاس قرية قليوب وهى من اعظم قرى مصر فدخل اليه مؤيّد الدولة ابن منقذ وهو عند ابيه عبّاس قال له نصر قد اقطعنى مولانا قرية قليوب فقال له مؤيّد الدولة ما هى فى مهرك بكثير فعظم عليه وعلى ابيه وانف من هذه الحال وشرع فى قتل الظافر فامر ابنه فحضر نصر عند الظافر وقال له اشتهى ان تجئ الى دارى لدعوة صنعتُها ولا

---

1) الكروحى

تحنز من الجمع فمشى معه فى نفر يسير من الخدم نبيلاً فلمّا دخل الدار قتله ومن معه وافلت خويدم صغير اختبى فلم يروه ودفن القتلى فى داره واخبر اباه عبّاسًا الخبر فبكّر الى القصر وطلب من الخدم الخصيصين بخدمة الظافر ان يطلبوا له اذنًا فى الدخول عليه لامر يريد ان ياخذ رايه فيه فقالوا انّه ليس فى القصر فقال لا بُدّ منه وكان غرضه ان ينفى التهمة عنه بقتله وان يقتل كلّ مَن بالقصر ممّن يخاف ان ينازعه فيمن يقيمه فى الخلافة فلمّا الحّ عليهم تحيّروا عن احضاره فبينما هم يطلبونه حايرين دهشين لا يدرون ما الخبر اذ وصل اليهم الخويدم الصغير الذى شاهد قتله وقد هرب من دار عبّاس عند غفلتهم عنه واخبرهم بقتل الظافر فخرجوا الى عبّاس وقالوا له سل ولدك عنه فانّه يعرف اين هو لانّهما خرجا جميعًا فلمّا سمع ذلك منهم قال اريد ان اعترض[1] القصر لئلّا يكون قد اغتاله احدٌ من اهله فاستعرض القصر فقتل اخويْن للظافر وهما يوسف وجبريل واجلس الفايز بنصر الله ابا القاسم عيسى بن الظافر بامر الله اسمعيل ثانى يوم قُتل ابوه وله من العمر خمس سنين فحمله عبّاس على كتفه واجلسه على سرير الملك وبايع له الناس واخذ عبّاس من القصر من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة ما اراد ولم يترك فيه الّا ما لا خير فيه ۞

ذكر وزارة الملك الصالح ابن رُزّيك

كان السبب فى وزارة الملك الصالح ابن رُزّيك انّ عبّاسًا لمّا قتل الظافرَ واقام الفايز ظنّ انّ الامر يتمّ له على ما يريده فكان الحال خلاف ما اعتقده فانّ الكلمة اختلفت عليه وثار به الجند والسودان وصار اذا امر بالامر لا يلتفت اليه ولا يسمع قوله فارسل مَن بالقصر من النسآء والخدم الى الصالح طلايع ابن رُزّيك يستغيثون به وارسلوا شعورهم على الكتب وكان فى منية بنى خصيب واليًا عليها وعلى اعمالها وليست من الاعمال الجليلة وانّما كانت اقرب الاعمال اليهم وكان فيه شهامة فجمع ليقصد عبّاسًا وسار اليه فلمّا سمع عبّاس ذلك خرج من مصر

---

[1] اعتبر ‎‎‎‎C.P.

نحو الشام بما معه من الاموال التى لا تُحصى كثرة والتحف والاشياء التى لا توجد الّا هناك ممّا كان اخذه من القصر فلمّا سار وقع به الفرنج فقتلوه واخذوا جميع ما معه فتقوّوا به، وسار الملك الصالح فدخل القاهرة باعلام سود وثياب سود حزنًا على الظافر والشعور التى أُرسلت اليه من القصر على رؤس الرماح وكان هذا من الفال العجيب فانّ الاعلام السود العبّاسيّة دخلتها وازالت الاعلام العلويّة بعد خمس عشرة سنة، ولمّا دخل الصالح القاهرة خلع عليه خلع الوزارة واستقرّ فى الامر واحضر الخادم الذى شاهد قتل الظافر فاراه موضع دفنه فاخرجه ونقله الى مقابرهم بالقصر ولمّا قتل الفرنج عبّاسًا اسروا ابنه فارسل الملك الصالح الى الفرنج وبذل لهم مالاً واخذه منهم فسار من الشام مع اصحاب الصالح فلم يكلّم احدًا منهم كلمة واحدة الى ان راى القاهرة فانشد

بلى نحن كنّا اهلها فابادنا   صروف الليالى والجدود العواثر

وادخل القصر فكان اخر العهد به فانّه قُتل وصُلب على باب زويلة واستقصى الصالح البيوت الكبار والاعيان بالديار المصريّة فاملك اهلها وابعدهم عن ديارهم واخذ اموالهم فنهم مَن هلك ومنهم مَن تفرّق فى البلاد والحجاز واليمن وغيرها فعل ذلك خوفًا منهم ان يثوروا عليه وينازعوه فى الوزارة، وكان ابن مُنقذ قد هرب مع عبّاس فلمّا قُتل هرب الى الشام ٭

ذكر حصر تكريت ووقعة بكمزا[1]

فى هذه السنة ارسل الخليفة المقتفى لامر الله رسولاً الى والى تكريت بسبب مَن عندهم من الماسورين وهم ابن الوزير وغيره فقبضوا على الرسول فسيّر الخليفة عسكرًا اليهم فخرج اهل تكريت فقاتلوا العسكر ومنعوه من الدخول الى البلد فسار الخليفة بنفسه مستهلّ صفر فنزل على البلد فهرب اهله فدخل العسكر فشعّثوا ونهبوا بعضه ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقًا فسقط من اسوارها برج وبقى الحصر كذلك الى الخمس وعشرين من ربيع الاوّل وامر الخليفة

[1] C. P. et 740. Ups: تَمرا

بالقتال والزحف فاشتدّ القتال وكثر القتلى ولم يبلغ منها غرضًا فرحل عايدًا الى بغداد فدخلها اخر الشهر، ثمّ امر الوزير عون الدين ابن هبيرة بالعود الى محاصرتها والاستعداد والاستكثار من الالات للحصار فسار اليها سابع ربيع الاخر ونازلها وضيّق عليها فوصل الخبر بانّ مسعود بلال وصل الى شهرابان ومعه البقش كون خر[1] وترشك وعسكر كثير ونهبوا البلاد فعاد الوزير الى بغداد، وكان سبب وصول هذا العسكر انّهم حثّوا الملك محمّد ابن السلطان محمود على قصد العراق فلم يتهيّأ له ذلك فسيّر هذا العسكر وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فخرج الخليفة اليهم فارسل بلال مسعود الى تكريت واخرج منها الملك ارسلان ابن السلطان طغرل ابن محمّد وكان محبوسًا بتكريت وقال انّ هذا سلطان نقاتل بين يديه بازآء الخليفة والتقى العسكران عند بكمزا[2] بالقرب من يعقوبا ودام بينهم المناوشة والمحاربة ثمانية عشر يومًا ثمّ انّهم التقوا اخر رجب فاقتتلوا فانهزمت ميمنة عسكر الخليفة وبعض القلب حتّى بلغت الهزيمة بغداد ونُهبت خزاينه وقُتل خازنه فحمل الخليفة بنفسه هو ووليّ عهده وصاح يآل هاشم كذب الشيطان وقرأ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا[3] وحمل باقي العسكر معه فانهزم مسعود والبقش وجميع مَن معهم وتمّت الهزيمة وظفر الخليفة بهم وغنم عسكره جميع مال التركمان من دوابّ وغنم وغير ذلك فبيع كلّ كبش بدانق وكانوا قد حضروا بنسآيهم واولادهم وخركاواتهم وجميع مالهم فأُخذ جميعه ونودي مَن اخذ من اولاد التركمان ونسآيهم شيًا فليردّه فردّوه، فاخذ البقش كون خر الملك ارسلان وانهزم الى بلد اللحف[4] وقلعة الماهكي، وفي هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة ولحقوا بالعجم ومضى هندى الكرديّ ايضًا معهم وكان الملك محمّد قد ارسل عسكرًا مع خاصّ بك ابن اقسنقر نجدةً لكون خر فلمّا وصلوا الى الراذان[5] بلغهم خبر الهزيمة فعاد ورجع الخليفة الى بغداد فدخلها اوايل شعبان، فوصل الخبر انّ مسعود بلال وترشك

---

[1] Ubique كون خز [2] نكمزا [3] Cor. 33, 25. [4] اللجف [5] الرادان

قصدا مدينة واسط فنهبوا وخرّبوا فسيّر الخليفة الوزير ابن هبيرة فى عسكر خامس عشر شعبان فانهزم العجم فلحقهم عسكر الخليفة ونهب منهم شيًا كثيرًا وعاد الى بغداد فلقّب الوزير سلطان العراق ملك الجيوش وسيّر الخليفة عسكرًا الى بلد اللحف[1] فاخذه وصار فى جملته وامّا الملك ارسلان ابن طغرل فانّ البقش اخذه معه الى بلده فارسل اليه الملك محمّد يقول له ليحضر عنده وارسلان معه فمات البقش نون خر فى رمضان من هذه السنة وبقى ارسلان مع ابن البقش وحسن الجاندار فحملاه [الى] الجبل فخاف السلطان محمّد ان يصل ارسلان الى زوج أُمّه ايلدكز فيجعله ذريعة الى قهر البلاد فلم ينفعه حذره واتّصل ارسلان بايلدكز زوج امّه فصار معه وهو اخو بهلوان ابن ايلدكز[2] لامّه وطغرل الذى قتله خوارزم شاه ولد[3] هذا ارسلان وكان طغرل اخر السلجقويّة

ذكر مُلك نور الدين محمود مدينة دمشق

فى هذه السنة فى صفر ملك نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر مدينة دمشق واخذها من صاحبها مجير الدين أَبَق ابن محمّد بن بورى بن طغدكين اتابك وكان سبب حرصه على ملكها انّ الفرنج لمّا ملكوا فى العام الماضى مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين طريق الى ازعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان فلمّا ملك الفرنج عسقلان طمعوا فى دمشق حتّى انّهم استعرضوا كلّ من بها من مملوك وجارية من النصارى فمن اراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهرًا شآء صاحبه ام أبَى وكان لهم على اهلها كلّ سنة قطيعة ياخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد وياخذونها منهم فلمّا راى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى حينئذ للمسلمين بالشام مقام فاعمل الحيلة فى اخذها حيث علم انّها لا تُملك قوّةً لانّ صاحبها متى راى غلبةً ممّن يقصده راسل الفرنج واستعان بهم لئلّا يملكها من يقوى بها على قتالهم فراسل مجيرَ الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودّة حتّى وثق اليه فكان

---

[1]) اللحف [2]) ايلدكر [3]) C. P. et 740. Ups: وكذا

نور الدين يقول له فى بعض الاوقات انّ فلانًا قد كاتبنى فى تسليم دمشق يعنى بعض امرآء مجير الدين فكان يبعد الذى قيل عنه ويأخذ اقطاعه فلمّا لم يبق عنده من الامرآء احدٌ قدّم اميرًا يقال له عطا ابن حفاظ السلمىّ الخادم وكان شهمًا شجاعًا وفوّض اليه امر دولته فكان نور الدين لا يتمكّن معه من اخْذ دمشق فقبض عليه مجير الدين وقتله فسار نور الدين حينئذ الى دمشق وكان قد كاتب مَن بها من الاحداث واستمالهم فوعدوه بالتسليم اليه فلمّا حصر نور الدين البلد ارسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بعلبكّ اليهم لينجدوه ويرحّلوا نور الدين عنه فشرعوا فى جمع فارسهم وراجلهم ليرحّلوا نور الدين عن البلد فالى ان اجتمع لهم ما يريدون تسلّم نور الدين البلد فعادوا بخُفّى حنين؛ وامّا كيفيّة تسليم دمشق فانّه لمّا حصرها نار[1] الاحداث الذين راسلهم فسلّموا اليه البلد من الباب الشرقىّ وملكه وحصر مجير الدين فى القلعة وراسله فى تسليمها وبذل له اقطاعًا من جملته مدينة حمص فسلّمها اليه وسار الى حمص واعطاه عوضًا عنها بالس فلم يرضها وسار منها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها دارًا بالقرب من النظاميّة وتوفّى بها ۞

ذكر قصد الاسماعيليّة خراسان والظفر بهم

فى هذه السنة فى ربيع الآخر اجتمع جمع كثير من الاسماعيليّة من قهستان بلغت عدّتهم سبعة الاف رجل ما بين فارس وراجل وساروا يريدون خراسان لاشتغال عساكرها بالغزّ وقصدوا اعمال خَوَاف وما يجاورها فلقيهم الامير فرخشاه ابن محمود الكاسانىّ[2] فى جماعة من حشمه واصحابه فعلم انّ لا طاقة له بهم وسار عنهم وارسل الى الامير محمّد ابن أُنُر وهو من اكابر امرآء خراسان واشجعهم يعرّفه الحال وطلب منه المسير اليهم بعسكره ومَن قدر عليه من الامرآء ليجتمعوا عليهم ويقاتلوهم فسار محمّد ابن أُنُر فى جماعة من الامرآء وكثير من العسكر واجتمعوا بهم وفرخشاه ودافعوا الاسماعيليّة وقاتلوهم وطال

---

[1] صار   Ups: اركاسادس   [2] C. P. 740: الكلنشانى

الحرب بينهم ثم نصر الله المسلمين وانهزم الاسماعيلية وكثر القتل فيهم واخذهم السيف من كل مكان وهلك اعيانهم وساداتهم بعضهم قتل وبعضهم أُسر ولم يسلم منهم الّا القليل الشريد وخلت قلاعهم وحصونهم من حام ومانع فلولا اشتغال العساكر بالغزّ لكانوا ملكوها بغير تعب ولا مشقّة واراحوا المسلمين منهم ولكن للّه امر هو بالغه ۞

ذكر مُلك نور الدين تلّ باشر

في هذه السنة او التي بعدها ملك نور الدين محمود ابن زنكي قلعه تلّ باشر وهي شماليّ حلب من امنع القلاع وسبب مُلكها انّ الفرنج لمّا رءاوا مُلك نور الدين دمشق خافوه وعلموا انّه يقوى عليهم ولا يقدرون على الانتصاف منه لما كانوا يرون منه قبل مُلكها فراسله مَن بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسليمها فسيّر اليهم الامير حسان المنبجيّ وهو من اكابر امرآيه وكان اقطاعه تلك الوقت مدينة منبج وهي تقارب تلّ باشر وامره ان يسير اليها ويتسلّمها فسار اليها وتسلّمها منهم وحصّنها ورفع اليها من الذخاير ما يكفيها سنين كثيرة ۞

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة مات استاذدار ابو الفتوح عبد الله ابن هبة الله بن المظفّر بن رئيس الروسآء وكان له صدقات ومعروف كثير ومجالسة الفقرآء ولمّا مات ولي الخلافة ابنه الاكبر عضد الدين ابا الفرج محمّد بن عبد الله ما كان الى ابيه، وتوفّي عبد الرحمن بن عبد الصمد بن احمد بن عليّ ابو القسم الاكاف النيسابوريّ كان زاهدًا عابدًا فقيهًا مناظرًا وكان السلطان سنجر يزوره ويتبرّك بدعآيه وكان ربّما حجبه فلا يمكنه من الدخول اليه، وفيها توفّي ثقة الدولة ابو الحسن عليّ ابن محمّد الدُّرَيني المقرينيّ وكان يخدم ابا نصر محمّد ابن الفرج الابري وزوجه ابنته شهدة الكاتبة فقرّبه المقتفي لامر الله وولّاه فبنى مدرسة بباب الازج[1] ۞

---

[1]) الارج

ثم دخلت سنة خمسين وخمسماية ، سنة .

فى هذه السنة سار الخليفة المقتفى لامر الله الى دقوقا فحصرها وقاتل مَن بها ثم رحل عنها لانّه بلغه انّ عسكر الموصل قد تجهّزوا للمسير لمنعه عنها فرحل ولم يبلغ غرضًا، وفيها استولى شملة التركمانىّ على خوزستان/وصاحبه حينئذ ملكشاه بن محمود ابن محمّد فسيّر الخليفة اليه عسكرًا فلقيهم شملة فى رجب وقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة وأُسر وجوههم ثم احسن اليهم شملة واطلقهم وارسل يعتذر فقبل عذره وسار الى خوزستان فملكها وازاح عنها ملكشاه ابن السلطان محمود ابن محمّد، وفيها أغار الغزّ على نيسابور فملكوها بالسيف فدخلوها وقتلوا محمّد ابن يحيى الفقيه الشافعىّ ونحوًا من ثلاثين الفًا وكان السلطان سنجر له اسم السلطنة وهو معتقل لا يلتفت اليه حتّى انّه اراد كثيرًا من الايّام ان يركب فلم يكن له مَن يحمل سلاحه فشدّه على وسطه وركب وكان اذا قدم اليه طعام يدّخر منه ما ياكله وقتًا اخر خوفًا من انقطاعه عنه لتقصيرهم فى واجبه ولانّهم ليس هذا ممّا يعرفونه، وفيها وثب قسوس الارمن بمدينة آنى[1] فاخذوها من الامير شدّاد وسلّموها الى اخيه فضلون، وفيها فى ذى الحجّة قتل الاتراك الفارغليّة طمغاج خان ابن محمّد بما وراء النهر والقوه فى الصحراء ونسبوه الى اشياء قبيحة وكان مدّة مُلكه مستضعفًا غير مهيب، وفيها توفّى ابو الفضل محمّد بن ناصر بن علىّ البغدادىّ الحافظ الاديب وكان مشهورًا بالفضل وكان شافعيًّا وصار حنبليًّا مُغاليًا ومولده سنة سبع وستّين واربعمائة فى شعبان وكان موته ايضًا فى شعبان، وفيها كان بالعراق وما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة فى ذى الحجّة، وفيها توفّى يحيى الغسّانىّ النحوىّ الموصلىّ وكان فاضلًا خيّرًا، وتاج الدين ابو طاهر يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزورىّ[2] قاضى جزيرة ابن عمر ۞

---

[1] اى (
[2] السهزروزى (

سنة ٥٥١ ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسماية،

ذكر عصيان الجزاير وافريقية على ملك الفرنج بصقلية وما كان منهم

قد ذكرنا سنة ثمان واربعين وخمسماية موت رجار ملك صقلية وملك ولده غليالم وانه كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدة من حصون صقلية فلما كان هذه السنة قوى طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة[1] وجزيرة قرقنة واظهروا الخلاف عليه وخالف عليه اهل افريقية فاول من اظهر الخلاف عليه عمر ابن ابى الحسين الفرياني[2] بمدينة سفاقس وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها اباه ابا الحسين وكان من العلماء الصالحين فاظهر العجز والضعف وقال استعمل ولدى فاستعمله واخذ اباه رهينة الى صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده عمر انّنى كبير السنّ وقد قارب اجلى فمتى امكنتك الفرصة فى الخلاف على العدوّ فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر فى انّنى اقتل واحسب انى قد متّ، فلما وجد هذه الفرصة دعا اهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلّهم فقالوا له انّ سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرنى بهذا واذا قتل بالشيخ الوف من الاعداء فما مات فلم تطلع الشمس حتّى قتلوا الفرنج عن اخرهم وكان ذلك اوّل سنة احدى وخمسين وخمسماية، ثم اتبعه يحيى ابن مطروح بطرابلس وبعدهما محمّد ابن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهديّة وسوسة، وارسل عمر ابن [ابى] الحسين الى زويلة وهى مدينة بينها وبين المهديّة نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على من بالمهديّة من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهديّة، فلمّا اتصل الخبر بغليالم ملك صقليّة احضر ابا الحسين وعرّفه ما عمل ابنه فامره ان يكتب اليه ينهاه من ذلك ويامره بالعود الى طاعته ويخوّفه عاقبة فعله

---

1) حربه 2) العرىانى

فقال أمّن قدم على هذا يرجع بكتاب   فارسل ملك صقلّية اليه رسولاً ينهدّده ويامره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلمّا كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابى قد دفنتُه وقد جلستُ للعزاء به فاصنعوا به ما اردتم   فعاد الرسول الى غليالم فاخبره بما صنع عمر ابن ابى الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتّى مات، وامّا اهل زويلة فانّهم كثر جمعهم بالعرب واهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهديّة وضيّقوا عليها وكانت الاقوات بالمهديّة قليلة فسيّر اليتيم صاحب صقلّية عشرين شينيًا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب بذلوا لهم مالاً لينهزموا وخرجوا من الغد فاقتتلوا هم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقى اهل زويلة واهل سفاقس وركبوا فى البحر فنجوا وبقى اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتّى قُتل اكثرهم ولم ينج الّا القليل فتفرّقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن   فلمّا قُتلوا هرب مَن سلم من الحرم والصبيان والشيوخ فى البرّ ولم يعرّجوا على شئٍ من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا مَن وجدوا فيها من النسآء والاطفال ونهبوا الاموال واستقرّ الفرنج بالمهديّة الى ان اخذها منهم عبد المؤمن على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر القبض على سليمان شاه وحبسه بالموصل

فى هذه السنة قبض زين الدين علىّ كوجك نايب قطب الدين مودود ابن زنكى ابن اقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمّد ابن ملكشاه وكان سليمان شاه عند عمّه السلطان سنجر قديمًا وقد جعله ولىّ عهده وخطب له على منابر خراسان فلمّا جرى لسنجر مع الغزّ ما ذكرناه وتقدّم على عسكر خراسان وضعفوا عن الغزّ مضى الى خوارزم شاه فزوّجه ابنة اخيه اتسيس[1] ثم

---

1) اقسيس
C P

بلغه عنه ما كرهه فابعده فجآء الى اصفهان فنعه شحنتها من الدخول فمضى الى قاشان فسيّر اليه محمّد شاه ابن اخيه محمود ابن محمّد عسكرًا ابعدوه عنها فسار الى خوزستان فنعه ملكشاه عنها فقصد اللحف[1] ونزل البندنيجين[2] وارسل رسولًا الى الخليفة المقتفى يُعلمه بوصوله وتردّدت الرسل بينهما الى ان استقرّ الامر على ان يرسل زوجته تكون رهينة فارسلها الى بغداد ومعها كثير من الجوار والاتباع وقال قد ارسلتُ هولآء رهاين فان اذن امير المومنين فى دخول بغداد فعلتُ والّا رجعتُ فاكرم الخليفة زوجته ومَن معها واذن له فى القدوم اليه فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلثمايّة رجل فخرج ولد الوزير ابن هبيرة يلتقيه ومعه قاضى القضاة والنقيبان ولم يترجّل له ابن الوزير ودخل بغداد وعلى راسه الشمسة وخلع عليه الخليفة واقام ببغداد الى ان دخل المحرّم من سنة احدى وخمسين وخمسمائة فاحضر فيه سليمان شاه الى دار الخليفة واحضر قاضى القضاة والشهود واعيان العبّاسيّين وحلف للخليفة على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانّه لا يتعرّض الى العراق بحال فلمّا حلف خُطب له ببغداد ولقب القاب ابيه غياث الدنيا والدين وباقى الغابه وخلع عليه خلع السلطنة وسيّر معه من [عسكر][3] بغداد ثلاثة الاف فارس وجعل الامير قويدان[4] صاحب الحلّة امير حاجب معه وسار نحو بلاد الجبل فى ربيع الاوّل وسار الخليفة الى حلوان وارسل الى ملكشاه ابن السلطان محمود اخى السلطان محمّد صاحب همدان وغيرها يدعوه الى موافقته فقدم فى الفىْ فارس فحلف كلّ منهما لصاحبه وجعل ملكشاه ولّى عهد سليمان شاه وقوّاهما الخليفة بالمال والاسلحة وغيرها فساروا واجتمعوا ثمّ وايلدكز[5] فصاروا فى جمع كبير فلمّا سمع السلطان محمّد خبرهم ارسل الى قطب الدين مودود صاحب الموصل ونايبه زين الدين يطلب منهما المساعدة ويبذل لهما البذول الكثيرة ان ظفر فاجاباه الى ذلك ووافقا فقوّيت نفسه وسار الى لقآء سليمان شاه ومَن اجتمع معه من

---

1) النجف 2) السدحين 3) C. P. 4) C. P. 710: قويدان Ups: قويران 5) ايلدكز

عساكره ووقعت الحرب بينهم فى جمادى الاولى واشتدّ القتال بين الفريقيْن فانهزم سليمان شاه ومَن معه وتشتّت العسكر ووصل من عسكر الخليفة وكانوا ثلاثة الاف رجل نحو من خمسين رجلًا ولم يقتل منهم احدٌ وانّما أُخذت خيولهم واموالهم وتشتّتوا وجآءوا متفرّقين وفارق سليمان شاه ايلدكز[1] وسار نحو بغداد على شهرزور فخرج اليه زين الدين علىّ فى جماعة من عسكر الموصل وكان بشهرزور الامير بزان[2] مقطعًا لها من جهة زين الدين وسارا فوقفا على طريق سليمان شاه فاخذاه اسيرًا وحمله زين الدين الى قلعة الموصل وحبسه بها مكرمًا محترمًا الى ان كان من امره ما نذكره سنة خمس وخمسين ان شآء الله فلمّا قبض سليمان شاه ارسل زين الدين الى السلطان محمّد يعرّفه ذلك ووعده المعاضدة على كلّ ما يريده منه والمساعدة له والله اعلم ۞

ذكر حصر نور الدين قلعة حارم

فى هذه السنة سار نور الدين محمود ابن زنكى الى قلعة حارم وهى للفرنج ثم لبيمند[3] صاحب انطاكيّة وهى تقارب انطاكيّة من شرقيها وحصرها وضيّق على اهلها وهى قلعة منيعة فى نحور المسلمين فاجتمعت الفرنج مَن قرب منها ومَن بَعُد وساروا نحوه ليرحّلوه عنها وكان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله ويرجعون الى رايه فارسل اليهم يقول انّنا نقدر على حفظ القلعة وليس بنا ضعف فلا تخاطروا انتم باللقآء فانّه ان هزمكم اخذها وغيرها والراى مطاولته فارسلوا اليه وصالحوه على ان يعطوه نصف اعمال حارم فاصطلحوا على ذلك ورحل عنهم فقال بعض الشعرآء

البستَ دين محمّد يا نوره	عزًّا له فوق السُها اسادُ
ما زلت تشمله بجهاد الفنا	حتّى تنقّف عوده الميّادُ
لم يبق مذ ارهفتَ عزمك دونه	عددٌ يُراع به ولا استعدادُ
انّ المنابر لو تطيق تكلّمًا	حمدَتْك عن خطبآئها الاعوادُ
ملك باطراف الفريجة كلكلا	شرفاه ضرب صادق وجلادُ

[1]) ايلدكر [2]) C. P. 740 et Ups: بران [3]) لبسمند

حاموا فلمّا عاينوا خوض الردا حامّوا فرايس كيدهم او كاذوا
ورأى البرنس وقد تبرنس ذلّة حزمًا لحازم والمصاد مصادُ
من منكر ان ينسف السّل الزبى وابوه ذاك العارض المدادُ
او ان يعيد الشمس كاسفة السناء نار لها ذاك الشهاب زنادُ
لا ينفع الآبآ ما سمكوا[1] من ال عليآء حتّى يرفع[2] الاولادُ

وهى طويلة ❁

ذكر وفاة خوارزم شاه اتسيز[3] وغيره من الملوك

فى هذه السنة تاسع جمادى الاخرة توفّى خوارزم شاه اتسيز[3] ابن محمّد ابن انوشتكين[4] وكان قد اصابه فالج فتعالج منه فلم يبرأ فاستعمل ادوية شديدة الحرارة بغير امر الاطبّآء فاشتدّ مرضه وضعفت قوّته فتوفّى وكان يقول عند الموت ما اغنى عنّى ماليه هلك عنى سلطانيه وكانت ولادته[5] فى رجب سنة تسعين واربعمائة ولمّا توفّى ملك بعده ابنه ارسلان فقتل نفرًا من اعمامه وسمل اخًا له فمات بعد ثلاثة ايّام وقيل بل قتل نفسه وارسل الى السلطان سنجر وكان قد هرب من أسر الغُزّ على ما نذكره ببذل الطاعة والانقياد فكتب له منشورًا بولاية خوارزم وسيّر الخلع له فى رمضان فبقى فى ولايته ساكنًا امنًا وكان اتسيز[3] حسن السيرة كافًّا عن اموال رعيّته منصفًا لهم محبوبًا اليهم مؤثرا للاحسان والخير اليهم وكان الرعيّة معه بين امن غامر وعدل شامل، وفى سابع عشر الشهر المذكور توفّى ابو الفوارس ابن محمّد ابن ارسلان شاه ملك كرمان وملك بعده ابنه سلجوق شاه، وفيها توفّى الملك مسعود ابن قلج ارسلان بن سليمان قتلمش صاحب قونية وما يجاورها من بلاد الروم وملك بعده ابنه قلج ارسلان ❁

ذكر هرب السلطان سنجر من الغزّ

فى هذه السنة فى رمضان هرب السلطان سنجر ابن ملكشاه من اسر الغزّ وجماعة من الامرآء الذين معه وسار الى قلعة ترمذ واستظهر بها على الغزّ وكان خوارزم شاه اتسيز ابن محمّد بن انوشتكين[4] والخاقان

---

1) C. P. et 740. Ups: سلكوا
2) C. P. et 740. Ups: ترفع
3) اقسيز
4) انوستكين
5) ولادىه

محمود ابن محمّد يقصدان الغزّ فيقاتلانهم فيمن معهما فكانت الحرب بينهم سجالًا وغلب كلّ واحد من الغزّ والخراسانيّين على ناحية من خراسان فهو ياكل دخلها لا راس لهم يجمعهم وسار السلطان سنجر من ترمذ الى جيحون يريد العبور الى خراسان فاتّفق انّ مقدّم الاتراك القارغليّة[1] اسمه علىّ بك توفّى وكان اشدّ شى [على] السلطان سنجر وعلى غيره كثير الشرّ والفساد ولإثارة الفتن فلمّا توفّى اقبلت القارغليّة[1] على السلطان سنجر وكذلك غيرهم من ساير الامم من اقاصى البلاد واداتيها وعاد الى دار ملكه بمرو فى رمضان فكانت مدّة اسره مع الغزّ من سادس جمادى الاولى سنة ثمان واربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمسماية ✿

ذكر البيعة لمحمّد ابن عبد المؤمن بولاية عهد ابيه

فى هذه السنة امر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمّد بولاية عهده وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر ان يلى عمر الامر بعد عبد المؤمن فلمّا تمكّن عبد المؤمن من الملك وكثر اولاده احبّ ان ينقل الملك اليهم فاحضر امرآء العرب من هلال وزغب وعدى وغيرهم اليه ووصلهم واحسن اليهم ووضع عليهم مَن يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد ان تجعل لنا ولىّ عهد من ولدك يرجع الناس اليه بعدك ففعلوا ذلك فلم يجبهم اكرامًا لعمر ينتىّ لعلوّ منزلته فى الموحّدين وقال لهم انّ الامر لابى حفص عمر، فلمّا علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن واجاب الى خلع نفسه فحينئذ بويع لمحمّد بولاية العهد وكتب الى جميع بلاده بذلك وخُطب له فيها جميعها فاخرج عبد المؤمن فى ذلك اليوم من الاموال شيئًا كثيرًا ✿

ذكر استعمال عبد المؤمن اولاده على البلاد

فى هذه السنة استعمل عبد المؤمن اولاده على البلاد فاستعمل ولده ابا محمّد عبد الله على بجاية واعمالها واستعمل ابنه ابا الحسن عليًا على فاس واعمالها وولّى ابنه ابا سعيد سبتة والجزيرة الخضرا ومالقة وكذلك

---

1) القارغلية

غيرهم ولقد سلك فى استعمالهم طريقًا عجيبًا وذلك انّه كان قد استعمل على البلاد شيوخ المُوَحّدين المشهورين من اصحاب المهدىّ محمّد ابن تومرت وكان يتعذّر عليه ان يعزلهم فاخذ اولادهم وتركهم عنده يشتغلون فى العلوم فلمّا تمهّروا فيها وصاروا يقتدى بهم قال لآبآيهم انى اريد ان تكونوا عندى استعين بكم على ما انا بصدده ويكون اولادكم فى الاعمال لانّهم علمآء فقهآء فاجابوا الى ذلك وهم فرحون مسرورون فولّى اولادهم ثم وضع عليهم بعضهم ممّن يعتمد عليه فقال انى ارى امرًا عظيمًا قد فعلتموه فارقتم فيه الحزم والادب فقالوا وما هو فقال اولادكم فى الاعمال واولاد امير المومنين ليس لهم منها شىّ مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة وانى اخاف ان ينظر فى هذا فتسقط منزلتكم عنده فعلموا صدق القايل فحضروا عند عبد المؤمن وقالوا نحبّ ان تستعمل على البلاد السادة اولادك فقال لا افعل فلم يزالوا حتّى فعل ذلك لهم بسوالهم ايّاه ٭

ذكر حصر السلطان محمّد بغداد

فى هذه السنة فى ذى الحجّة حصر السلطان محمّد بغداد وسبب ذلك انّ السلطان محمّد ابن محمود كان قد ارسل الى الخليفة يطلب ان يخطب له ببغداد والعراق فامتنع الخليفة من اجابته الى ذلك فسار من همدان فى عساكر كثيرة نحو العراق ووعده اتابك قطب الدين صاحب الموصل ونايبه زين الدين علىّ بارسال العساكر اليه نجدةً له على حصر بغداد فقدم العراق فى ذى الحجّة سنة احدى وخمسين واضطرب الناس ببغداد وارسل الخليفة يجمع العساكر فاقبل خطلوبرس[1] فى عسكر واسط ورحل مهلهل الى الحلّة فاخذها واهتمّ الخليفة وعون الدين ابن هبيرة بامر الحصار وجمع جميع السفن وقطع الجسر وجعل الجميع تحت التاج ونودى منتصف المحرّم سنة اثنتين وخمسين ان لا يقيم احد بالجانب الغربىّ فاجفل الناس واهل السواد ونُقلت الاموال الى حريم دار الخلافة وخرّب الخليفة قصر عيسى والمربّعة والقريّة والمستجدة والنجمى

---

1) خطلوبرس

ونهب اصحابه ما وجدوا وخرّب اصحاب محمّد شاه نهر القلايين والتوثه[1] وشارع ابن رزق الله وباب الميدان وقُطْفتا واما اهل الكرخ واهل باب البصرة فانّهم خرجوا الى عسكر محمّد وكسبوا معهم اموالاً كثيرةً، وعبر السلطان محمّد فوق حربى الى الجانب الغربى ونهبت اوانا واتّصل به زين الدين هناك وساروا فنزل محمّد شاه عند الرملة وفرّق الخليفة السلاح على الجند والعامّة ونصب المنجنيقات والعرّادات، فلمّا كان فى العشرين من المحرّم ركب عسكر محمّد شاه وزين الدين علىّ ووقفوا عند الرقّة ورموا بالنشاب الى ناحية التاج فعبر اليهم عامّة بغداد فقاتلوهم ورموهم بالنفط وغيره ثمّ جرى بينهم عدّة حروب وفى ثالث صفر عاودوا القتال واشتدّت الحرب وعبر كثير من اهل بغداد سباحةً وفى السفن فقتلوا وكان يومًا مشهودًا ولم تزل الحرب بينهم كلّ وقت وعمل الجسر على دجلة وعبر عليه اكثر العسكر الى الجانب الشرقى وصار القتال فى الجانبيْن وبقى زين الدين فى الجانب الغربى، وامر الخليفة فنودى كلّ مَن جُرح فله خمسة دنانير فكان كلّما جُرح انسان يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير فاتّفق انّ بعض العامّة جُرح جرحًا ليس بكبير فحضر الوزير يطلب الدنانير فقال له الوزير ليس هذا الجرح بشىً فعاود القتال فضُرب فانشقّت جوفه وخرج شىّ من شحمها فحُمل الى الوزير فلمّا رءاه قال يا مولانا الوزير ايرضيك هذا فضحك منه واضعف له ورتّب له مَن يعالج جراحته الى ان برىّ، وتعذّرت الاقوات فى العسكر الّا انّ اللحم والعوا ته والخضر كثيرة وكانت الغلّات ببغداد كثيرة لانّ الوزير كان يفرّقها فى الجند عوض الدنانير يبيعونها فلم تزل الاسعار عندهم رخيصة الّا انّ اللحم والفاكهة والخضر قليل عندهم واشتدّ الحصار على اهل بغداد لانقطاع المواد عنهم وعدم المعيشة لاهلها، وكان زين الدين وعسكر الموصل غير مجدّين فى القتال لاجل الخليفة والمسلمين وقيل لانّ نور الدين محمود ابن زنكى وهو اخو قطب الدين صاحب الموصل الاكبر ارسل الى زين الدين يلومه على

---

1) C. P: والتُوثَة القّلّايين 740: الفلاسين والتوبه Ups.: العلادس والموته

فقتال الخليفة ففتر واقصر ولم تزل الحرب فى اكثر الايّام وعمل السلطان محمّد شاه اربعمايئة سلّم ليصعد الرجال فيها الى السور وزحفوا وقاتلوا ففتح اهل بغداد ابواب البلد وقالوا اىّ حاجة بكم الى السلاليم هذه الابواب مفتحة فادخلوا منها فلم يقدروا على ان يقربوها ، فبينما الامر على ذلك اذ وصل الخبر الى السلطان محمّد انّ اخاه ملكشاه وايلدكز[1] صاحب بلاد اران ومعه الملك ارسلان ابن الملك طغرل ابن محمّد وهو ابن امراة ايلدكز[1] قد دخلوا همدان واستولوا عليها واخذوا اهل الامرآء الذين مع محمّد شاه واموالهم فلمّا سمع محمّد شاه ذلك جدّ فى القتال لعلّه يبلغ مناه فلم يقدر على شئ ورحل عنها نحو همدان الرابع والعشرين من ربيع الاوّل سنة اثنتين وخمسين وخمسمايئة وعاد زين الدين الى الموصل وتفرّق ذلك الجمع على عزم العود اذا فرغ محمّد شاه من اصلاح بلاده فلم يعودوا يجتمعون ، وفى كثرة حروبهم لم يقتل بينهم الّا نفر يسير وانّما الجراح كان كثيرًا ولمّا ساروا نهبوا يعقوبا وغيرها من طريق خراسان ، ولمّا رحل العسكر عن بغداد اصاب اهلها امراض شديدة حادّة وموت كثير للشدّة التى مرّت بهم ، وامّا ملكشاه وايلدكز[1] ومن معهما فانّهم ساروا من همدان الى الرىّ فخرج اليهم اينانج[2] شحنتها وقاتلهم فهزموه فارسل الملك محمّد الامير سقمس ابن قيماز[3] الحرامىّ فى عسكر نجدةً لاينانج[2] فسار سقمس وكان ايلدكز[1] وملكشاه ومن معهما قد[4] عادوا من الرىّ يريدون محاصرة الخليفة فلقيهم سقمس وقاتلهم فهزموه ونهبوا عسكره واثقالهم فاحتاج الملك محمّد الى الاسراع فسار فلمّا بلغ حُلوان بلغه انّ ايلدكز[1] بالدينور واتاه رسول من نايبه اينانج[2] انّه دخل همدان واعاد الخطبة له فيها فقويت نفسه وهرب شملة صاحب خوزستان الى بلاده وتفرّق اكثر جمع ايلدكز[1] وملكشاه وبقيا فى خمسة الاف فارس فعادا الى بلادهما شبه الهارب ، ولمّا دخل محمّد شاه همدان اراد التجهّز لقصد بلاد ايلدكز فابتدا به مرض السلّ وبقى به الى ان مات ٭

---

1) ايلدكر ، 2) اسانج 3) قيمار 4) وقد

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل أُطلق ابو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت ولمّا قدم بغداد خرج اخوه والموكب يستلقونه وكان يومًا مشهودا وكان مقامه فى الحبس يزيد على ثلاث سنين ، وفيها احترقت بغداد فى ربيع الاخر وكثر الحريق بها واحترق درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبّان وخرابة ابن حربة والظفريّة والخاتونيّة ودار الخلافة وباب الازج[1] وسوق السلطان وغير ذلك ، وفيها فى شوّال قصد الاسماعيليّة طبس[2] بخراسان فاوقعوا بها وقعة عظيمة واسروا جماعة من اعيان دولة السلطان ونهبوا اولادهم ودوابّهم وقتلوا فيهم ، وفيها فى ذى القعدة توفّى شيخ الاسلام ابو المعالى الحسن ابن عبيد الله ابن احمد بن محمّد المعروف بابن الرزّاز بنيسابور وهو من اعيان الافاضل ، وفى هذه السنة توفّى مؤيد الدين ابن بيسان[3] رئيس آمد والحاكم فيها على صاحبها وولى ما كان اليه بعده ابنه كمال الدين ابو القسم ، وتوفّى ابو الحسن علىّ ابن الحسين الغزنوىّ الواعظ المشهور ببغداد وكان قدم اليها سنة ستّ عشرة وخمسمائة وكان له قبول عظيم عند السلاطين والعامّة والخلفآء الّا انّ المقتفى اعرض عنه بعد موت السلطان مسعود لاقبال السلطان عليه وكان موته فى المحرّم ، وتوفّى ابو الحسن ابن الخلّ الفقيه الشافعىّ شيخ الشافعيّة ببغداد وكان يؤمّ بالخليفة فى الصلاة ، وتوفّى ابن الامدىّ الشاعر وهو من اهل النيل من اعيان الشعرآء فى طبقة الغزىّ والارّجانىّ وكان عمره قد زاد على تسعين سنة ، وفيها قتل مظفّر ابن حمّاد ابن ابى الخير صاحب البطيحة قتله نفيس ابن فضل ابن ابى الخير فى الحمام وولى بعده ، وفيها توفّى الواوا الحلبىّ الشاعر المشهور ، وفيها فى رمضان توفّى الحكيم ابو جعفر ابن محمّد البخارىّ باسفرائين وكان عالمًا بعلوم الحكمآء الاوايل ✿

---

1) الارج 2) طمس Cfr. *Edrisi*, vol. I. p. 453. 3) بىسان

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة،

ذكر الزلازل بالشام

في هذه السنة في رجب كان بالشام زلازل كثيرة قوية خرّبت كثيرًا من البلاد وهلك فيها ما لا يُحصى كثرةً فخرب منها بالمرّة حماه وشَيْزر وكفرطاب والمعرّة[1] وافامية وحمص وحصن الاكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية واما ما لم يكثر فيه الخراب ولكن خرب اكثره في جميع[2] الشام وتهدّمت اسوار البلاد والقلاع، فقام نور الدين محمود في ذلك المقام المرضى وخاف على بلاد الاسلام من الفرنج حيث خربت الاسوارُ فجمع عساكره واقام باطراف البلاد فلم يزل كذلك حتى فرغ اسوار البلاد، واما كثرة القتلى فيكفى انّ معلّمًا كان بالمدينة وفي مدينة حماة ذُكر عنه انّه فارق المكتب لمهمّ عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلّم فلم يات احدٌ يسأل عن صبى كان له بالمكتب ⁂

ذكر ملك نور الدين حصن شَيْزر

نبتدى بذكر هذا الحصن ولمن كان قبل ان يملكه نور الدين محمود ابن زنكى فنقول هذا الحصن قريب من حماه بينهما نصف نهار وهو على جبل عالٍ منيع لا يسلك اليه الّا من طريق واحده وكان لآل منقذ الكنانيّين يتوارثونه من ايّام صالح ابن مرداس الى ان انتهى الامر الى ابى المرهف نصر ابن علىّ بن نصر بن منقذ بعد ابيه ابى الحسن علىّ [وكان] بيده الى ان مات سنة احدى وتسعين واربعمائة وكان شجاعًا كريمًا فلمّا حضره الموت استخلف[3] اخاه ابا سلامة مرشد بن علىّ فقال والله لاولينّه ولاخرجنّ من الدنيا كما دخلتها وكان عالمًا بالقرآن[4] وهو والد مويّد الدولة اسامة ابن منقذ فولّاها اخاه الاصغر سلطان ابن علىّ واصطحبا اجمل صحبة مدّة من الزمان فولد لمرشد عدّة اولاد ذكور وكبروا وسادوا منهم عزّ الدولة ابو الحسن علىّ ومويّد

---

[1]) المعرّة   [2]) وجميع   [3]) C. P. 740: استخلف Ups: استحضر
[4]) C. P. 740 addit: والادب Ups: بالقراآت

الدولة اسامة وغيرهما ولم يولد لاخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجآه اولادٌ ذكورٌ فحسد اخاه على ذلك وخاف اولاد اخيه على اولاده وسعى بينهم المفسدون فغيّروا كلّا منهما على اخيه فكتب سلطان الى اخيه مرشد ابيات شعرٍ يعاتبه على اشياء بلغته عنه فاجابه بشعرٍ فى معناه رايتُ اثبات ما تمسّ الحاجة اليه منه وهى هذه الابيات

ظلومٌ أَبَتْ فى الظلم الّا تماديا · وفى الصدّ والهجران الّا تغاليا
شكت هجرنا والذنب فى ذاك ذنبها · فيا عجبًا من ظالمٍ جآء شاكيا
وطاوعت الواشين فىّ وطال ما · عصيتُ عذولًا فى هواها وواشيا
ومالَ بها تيه الجمال الى القِلَى · وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا
ولا ناسيا ما اودعت من عهودها · وانّ هى ابدتْ جفوة وتناسيا
ولمّا اتانى من قريضك[1] جوهرٌ · جمعت المعالى فيه لى والمعانيا
وكنتُ هجرتُ الشعر حينا لانّهُ · تولّى برغمى حين ولّى شبابيا
وايس من الستّين لفظٌ مفرّقٌ · اذا رُمت ادنى القول منه عصانيا
وقلتُ اخى يرعى بنىّ واسرتى · ويحفظ عهدى فيهم وذماميا
ويجزيهم ما لم اكلفه فعله · لنفسى فقد اعددتُه من تراثيا
فما لك لمّا ان حنى الدهر صعدتى · وثلّم متّى صارمًا كان ماضيا
تنكّرت حتّى صار برّك قسوة · وقربك منّى جفوة وتناسيا
واصبحت صفر الكفّ ممّا رجوتُه · أرى الياس قد عفى سبيل رجائيا
على اننى ما حلتُ عمّا عهدته · ولا غيّرت هذى السنون ودادايا
فلا غروَ عند الحادثات فانّنى · اراك يمينى والانام شماليا
تحلّ بها[2] عذرآء لو قرنت بها · نجوم السمآء لم تعد دراريا
تحلّت بدُرٍّ من صفاتك زانها · كما زان منظوم اللالى الغوانيا
وعِش بانيًا للمجد ما كان واهيا · مشيدًا من الاحسان ما كان هاويا ع

وكان الامر بينهما فيه تماسك فلمّا توفّى مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة قلب اخوه لاولاده ظهر المجنّ وباداهم بما يسوءهم واخرجهم من شيزر فتفرّقوا وقصد اكثرهم نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عمّهم

[1]) قريظك [2]) C. P. Ups.: تهنّ عذرآ

فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده والاخذ بثارهم واعادتهم الى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج وتخوفه ان يسلّم شيزر الى الفرنج ثم توفّى سلطان وولى بعده اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فاشتدّ حنقه عليهم وانتظر فرصة تمكّنه فلمّا خربت القلعة هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينج من بنى منقذ الذين بها احدٌ وسبب هلاكهم اجمعين انّ صاحبها منهم كان قد ختن ولدًا له وعمل دُعوة للناس واحضر جميع بنى منقذ عنده فى داره وكان له فرس يحبّه ولا يكاد يفارقه واذا كان فى مجلس اقيم الفرس على بابه وكان المهر فى ذلك اليوم على باب الدار فجات الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلاً كان اوّلهم فقتله وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلّهم وخربت القلعة وسقط سورها وكلّ بناء فيها ولم ينج منها الّا الشريد ، فبادر اليها بعض امرآيه وكان بالقرب منها فصعد اليها وتسلّمها نور الدين منه فملكها وعمّر اسوارها ودورها واعادها جديدة ☆

ذكر وفاة الدبيسىّ صاحب جزيرة ابن عمر واستيلآء قطب الدين مودود على الجزيرة

كانت الجزيرة لاتابك زنكى فلمّا قُتل سنة احدى واربعين اقطعها ابنه سيف الدين غازى للامير ابى بكر الدبيسىّ وكان من اكابر امرآء والده فبقيت بيده الى الآن وتمكّن منها وصار بحيث ان يتعذّر على قطب الدين اخذها منه فمات فى ذى الحجّة سنة اثنتين وخمسين ولم يُخلّف ولدًا فاستولى عليها مملوك له اسمه اغلبك واشاعه جندها فحصرهم مودود ثلاثة اشهر ثم تسلّمها من غلبك فى صفر من سنة ثلاث وخمسين واعطاه عوضها اقطاعًا كثيرًا ☆

ذكر وفاة السلطان سنجر

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل توفّى السلطان سنجر ابن ملكشاه ابن الب ارسلان ابو الحرث اصابه قولنج ثم بعده اسهال فمات منه ومولده سنجار من ديار الجزيرة فى رجب سنة تسع وسبعين واربعماية وسكن خراسان واستوطن مدينة مرو ودخل بغداد مع اخيه السلطان محمّد واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله فعهد الى محمّد بالسلطنة

وجعل سنجرا ولىّ عهده فلمّا مات محمّد خوطب لسنجر بالسلطان واستقام امره واطاعه السلاطين وخُطب له على اكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو اربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة ولم يزل امره عاليًا وجدّه متراقيًا الى ان اسره الغزّ على ما ذكرناه ثم انّه خلص بعد مدّة وجمع اليه اطرافه وكان يعود اليه مُلكه فادركه اجله وكان مهيبًا كريمًا رفيقًا بالرعيّة وكانت البلاد في زمانه آمنةً ولمّا مات دُفن في قبّة بناها لنفسه سمّاها دار الاخرة ولمّا وصل خبر موته الى بغداد قطعت خُطبته ولم يجلس له في الديوان للعزآء، ولمّا حضر السلطان سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود بن محمّد بن بغراخان وهو ابن اخت السلطان سنجر فاقام بها خايفًا من الغزّ فقصد جُرجان يستظهر بها وعاد الغزّ الى مرو وخراسان واجتمع طايفة من عساكر خراسان على اى ابه المؤيّد فاستولى على طرف من خراسان وبقيت خراسان على هذا الاختلال الى سنة اربع وخمسين وراسل الغزّ الملك محمودًا على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين وسالوه ان يحضر عندهم ليملكوه عليهم فلم يثق اليهم وخافهم على نفسه فارسل ابنه اليهم فاطاعوه مديدة ثم لحق بهم الملك محمود على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين ۞

ذكر مُلك المسلمين مدينة المريّة وانقراض دولة الملثّمين بالاندلس

في هذه السنة انقرضت دولة الملثّمين بالاندلس وملك اصحاب عبد المؤمن مدينة المريّة من الفرنج، وسبب ذلك انّ عبد المؤمن لمّا استعمل ابنه ابا سعيد على الجزيرة الخضرآء ومالقة عبر ابو سعيد البحر الى مالقة واتّخذها دارًا وكاتبه ميمون ابن بدر اللمتونيّ صاحب غرناطة ان يوحّد ويسلّم اليه غرناطة فقبل ابو سعيد ذلك منه وتسلّم غرناطة فسار ميمون الى مالقة باهله وولده فتلقّاه ابو سعيد واكرمه ووجّهه الى مرّاكش فاقبل عليه عبد المؤمن وانقرضت دولة الملثّمين ولم يبق لهم الّا جزيرة ميورقة مع حمو ابن غانية فلمّا ملك ابو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المريّة وهي بايدى الفرنج اخذوها من المسلمين سنة اثنتين واربعين وخمسمائة فلمّا نازلها وافاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المريّة برًّا وبحرًا وجآء

الفرنج الى حصنها فحصرهم فيها ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى ابو سعيد سورًا على الجبل المذكور الى البحر وعمل عليه خندقًا فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصورًا بهذا السور والخندق ولا يمكن مَن ينجدهما من ان يصل اليهما ، فجمع الالادفونش ملك الفرنج بالاندلس المعروف بالسُّلَيْطين فى اثنى عشر الف فارس من الفرنج ومعه محمّد ابن سعد ابن مردنيش فى ستّة الاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ودفع المسلمين عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خايبين ومات السليطين فى عوده قبل ان يصل الى طليطلة ، وتمادى الحصار على المريّة ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلّت الاقوات على الفرنج فطلبوا الامان ليسلّموا الحصن فاجابهم ابو سعيد اليه وامّنهم وتسلّم الحصن ورحل الفرنج فى البحر عايدين الى بلادهم فكان مدّة مُلكهم المريّة مدّة عشر سنين ❊

ذكر غزو صاحب طبرستان الاسماعيليّة

فى هذه السنة جمع شاه مازندران رستم ابن علىّ ابن شهريار عسكره وسار ولم يُعلم احدًا جهة مقصده وسلك المضايق وجدّ السير الى بلد الاموت وهى للاسمعيليّة فاغار عليها واحرق القرى والسواد وقتل فاكثر وغنم اموالهم وسبى نسآءهم واسترقّ ابنآءهم فباعهم فى السوق وعاد سالمًا غانمًا واتخذل الاسماعيليّة ودخل عليهم من الوهن ما لم يصابوا بمثله وخرّب من بلادهم ما لا يعمر فى السنين الكثيرة ❊

ذكر اخذ حجاج خراسان

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار حجاج خراسان فلمّا رحلوا عن بسطام اغار عليهم جمعٌ من الجند الخراسانيّة قد قصدوا طبرستان فاخذوا من امتعتهم وقتلوا نفرًا منهم وسلم الباقون وساروا من موضعهم فبينما هم سايرون اذ طلع عليهم الاسماعيليّة فقاتلهم الحجاج قتالًا عظيمًا وصبروا صبرًا عظيمًا فقُتل اميرهم فاتخذلوا والقوا بايديهم واستسلموا وطلبوا الامان والقوا اسلحتهم مستامنين فاخذهم الاسماعيليّة وقتلوهم ولم يبقوا منهم الّا شرذمة يسيرة وقُتل فيهم من الايمّة العلمآء والزهّاد والصلحآء جمع كثير وكانت مصيبة عظيمة عمّت بلاد الاسلام وخصّت خراسان ولم

يبقَ بلدٌ الّا وفيه المأتم فلمّا كان الغد طاف شيخ فى القتلى والجرحى ينادى يا مسلمين يا حاجّ ذهب الملاحدة وانا رجل مسلم فمَن اراد الماء سقيتُه فمن كلّمه قتله واجهز عليه فهلكوا اجمعين الّا من سلم وولّى هاربًا وقليل ما هم ☆

ذكر الحرب بين المؤيّد والامير ايثاق

قد ذكرنا تقدّم الامير اى ابه مملوك السلطان سنجر وتقدّمه على عساكر خراسان ، فحسده جماعة من الامرآء منهم الامير ايثاق وهو من الامرآء السنجريّة وانحرف عنه وكان تارة يقصد خوارزم شاه وتارة مازندران وتارة يظهر الموافقة للمؤيّد ويبطن المخالفة فلمّا كان الأن فارق مازندران ومعه عشرة الاف فارس قد اجتمع معه كلّ من يريد الغارة على البلاد وكلّ منحرف عن المؤيّد وقصد خراسان واقام بنواحى نسا وابيورد لا يظهر المخالفة للمؤيّد بل يراسله بالموافقة والمعاضدة له ويبطن ضدّها وانتقل المؤيّد من المكاتبة الى المكافحة وسار اليه جريدة فاغار عليه واوقع به فتفرّق عنه جموعه ونجا بحشاشة نفسه وغنم المؤيّد وعسكره كلّ ما لايثاق ومضى منهزمًا الى مازندران ، وكان ملكها رستم بينه وبين اخ له اسمه علىّ تنازُع على الملك وقد قوى رستم فلمّا وصل ايثاق الى مازندران قتل عليًّا وحمل راسه الى اخيه رستم فعظم ذلك على رستم واشتدّ واستشاط غضبًا وقال اكل لحمى ولا اطعمه غيرى ، ولم يزل ايثاق يتردّد فى خراسان بالنهب والغارة لا سيّما مدينة اسفرائين فانّه اكثر من قصدها حتّى خربت فراسله السلطان محمود ابن محمّد والمؤيّد عوانه الى الموافقة فامتنع فسارا اليه فى العساكر فلمّا قارباه اتاهما كثير من عسكره فمضى من بين ايديهما الى طبرستان فى صفر سنة ثلاث وخمسين فتبعاه فى عساكرهما فارسل شاه مازندران يطلب الصلح فاجاباه واصطلحوا وحمل شاه مازندران اموالًا جليلةً وهدايا نفيسةً وسيّر ايثاق ابنه رهينة فعاد عنه ☆

ذكر الحرب بين المؤيّد وسنقر العزيزى

كان سنقر العزيزىّ من امرآء السلطان سنجر وممّن يناوى ايضًا المؤيّد اى ابه فلمّا اشتغل المؤيّد بحرب ايثاق سار سنقر من عسكر السلطان محمود ابن محمّد الى هراة ودخلها وبها جماعة من الاتراك

وتحصّن بها فاشير عليه بان يعتصد بالملك الحسين ملك الغوريّة فلم يفعل واستبدّ بنفسه منفردًا لانّه راى اختلاف الامراء على السلطان محمود ابن محمّد فطمع وحدّث نفسه بالقوّة ، فقصده المؤيّد الى هراة فلمّا وصل اليها قاتل مَن بها شيأً من قتال ثمّ انّ الاتراك مالوا الى المؤيّد واطاعوه وانقطع خبر سنقر العزيزيّ من ذلك الوقت ولم يُعلم ما كان منه فقيل انّه سقط من فرسه فمات وقيل بل اغتنه الاتراك فقتلوه وتقدّم السلطان محمود الى ولاية هراة فى عسكره وجنوده والتحق جماعة من عسكر سنقر بالامير ايناق واغاروا على طوس وقراها فبطلت الزروع والحرثُ واستولى الخراب على البلاد وعمّت الفتن اتراك خراسان واصابهم العين فانّهم كانوا ايّام السلطان سنجر فى ارغد عيش وامنه وهذا دأب الدنيا لا يصفوا نعيمها وخيرها من كدر وشوايب وافات وقد تخلّص شرّها من خير فنسأل الله ان يحسن لنا العون والعقبى بمحمّد وآله ✿

ذكر مُلك نور الدين بعلبكّ

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود بعلبكّ وقلعتها وكانت بيد انسان يقال له ضحّاك البقاعىّ منسوب الى بقاع بعلبكّ وكان قد ولّاه ايّاها صاحب دمشق فلمّا ملك نور الدين دمشق امتنع ضحّاك بها فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج فتلطّف الحال معه الى الآن فملكها واستولى عليها ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قلع الخليفة المقتفى لامر الله باب الكعبة وعمل عوضه بابًا مصفحًا بالفضّة المذهّبة وعمل لنفسه من الباب الاوّل تابوتًا يُدفن فيه اذا مات ، وفيها توفّى محمّد ابن عبد اللطيف بن محمّد بن ثابت ابو بكر الخجندىّ رئيس اصحاب الشافعىّ باصفهان وسمع الحديث بها من ابى علىّ الحدّاد وكان صدرًا مقدّمًا عند السلاطين وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض ووقعت لموته فتنة عظيمة باصفهان وقُتل فيها خلق كثير ، وفيها كان بخراسان غلاء شديد اكلت فيه سائر الدوابّ حتى

الناس وكان بنيسابور طبّاخ[1] فذبح انسانًا علويًّا وطبخه وباعه فى الطبيخ ثم ظهر عليه انّه فعل ذلك فقُتل واسفر الغلآء وصلحت احوال الناس ، وفيها توفّى القاضى ابو العبّاس احمد ابن بختيار ابن علىّ المايداىّ[2] الواسطىّ قاضيها وكان فقيهًا عالمًا ، وفيها فى ربيع الاخر توفّى القاضى برهان الدين ابو القسم منصور ابن ابى سعد محمد ابن ابى نصر احمد الصاعدىّ قاضى نيسابور وكان من ايمّة الفقهآء الحنفيّة ❁

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، سنة ٥٥٣

ذكر الحرب بين سنقر وارغش

فى هذه السنة كانت حربٌ شديدةٌ بين سنقر الهمدانىّ وارغش المسترشدىّ وسببها انّ سنقر الهمدانىّ كان قد نهب سواد بغداد بطريق خراسان وكثر جمعه فخرج الخليفة المقتفى لامر الله جمادى الاولى بنفسه يطلبه فلمّا وصل الى بلد اللحف[3] قال له الامير خطلوبرس انا اكفيك هذا المهمّ وكان بينه وبين سنقر مودّة فركب اليه وتلاقيا وجرى بينهما عتاب طويل لاجل خروجه عن طاعة الخليفة فاجاب سنقر الى الطاعة وعاد خطلوبرس واصلح حاله فاقطعه بلد اللحف[3] والامير ارغش المسترشدىّ فلمّا توجّها الى اللحف[3] جرى بينهما منازعة فاراد سنقر قبض ارغش فرءاه محترزًا فتحاربا واقتتلا قتالًا شديدًا وغدر بارغش اصحابه فعاد منهزمًا الى بغداد وانفرد سنقر ببلد اللحف[3] وخطب فيه للملك محمّد فسيّر من بغداد عسكرًا لقتاله مقدّمهم خطلوبرس فجرت بينهما حرب شديدة انهزم فى اخرها سنقر وقتلت رجاله ونهبت امواله التى [فى] العسكر وسار هو الى قلعة الماهكى واخذ ما كان له فيها واستخلف فيها بعض غلمانه وسار هو الى همدان فلم يلتفت اليه الملك محمّد شاه فعاد الى قلعة الماهكى ❁

ذكر الحرب بين شملة وقايماز السلطانىّ

فى هذه السنة ايضًا كان قتال بين شملة صاحب خوزستان ومعه ابن مكلبة وبين قيماز السلطانىّ فى ناحية بادرايا[4] فجمعا عسكرهما

---

1) طباخا 2) المائدآى 3) اللجف 4) بادرايا

وسارا اليه فاتاه الخبر بذلك وهو يشرب فلم يحفل بذلك وركب اليهم في نحو ثلثماية فارس وكان معجبا بنفسه فحمل عليهم واختلفت بهم فاحدقوا به وقاتل اشد قتال فانهزم اصحابه واخذ هو اسيرا فتسلمه انسان تركماني كان له عليه دم لانه قتل ابنا للتركماني فقتله بابنه وارسل براسه الى محمد شاه ، وارسل الخليفة عسكرا ليقاتل شملة ومن معه فانزاحوا من بين ايديهم ولحقوا بالملك ملكشاه بخوزستان فهلك كثير منهم بالبرد ‌

ذكر معاودة الغز الفتنة بخراسان

كان الاتراك الغزية قد اقاموا ببلخ واستوطنوها وتركوا النهب والقتل ببلاد خراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان خاقان محمود ابن محمد ارسلان وكان المتولي لامور دولته المؤيد اي ابه وعن رايه يصدر محمود فلما كان هذه السنة في شعبان سار الغز من بلخ الى مرو وكان السلطان محمود بسرخس[1] في العسكر فسار المؤيد في طايفة من العسكر اليهم فاوقع بطايفة منهم وظفر بهم ولم يزل يتبعهم الى ان دخلوا الى مرو اوايل رمضان وغنم من اموالهم وقتل كثيرا وعاد الى سرخس فاتفق هو والسلطان محمود على قصد الغز وقتالهم فجمعا العساكر وحشدا وسارا الى الغز فالتقوا سادس شوال من هذه السنة وجرت بينهم حرب نال مداها فبقوا يقتتلون من يوم الاثنين سابع شوال الى نصف الليل من ليلة الاربعاء الحادي عشر من الشهر تواقعوا عدة وقعات متتابعة ولم يكن بينهما راحة ولا نزول الا لما لا بد منه انهزم الغز فيها ثلاث دفعات وعادوا الى الحرب فلما اسفر الصبح يوم الاربعاء انكشفت الحرب عن هزيمة عساكر خراسان تفرقهم في البلاد وظفر الغز بهم وقتلوا فاكثروا فيهم واما الجرحى والاسرى فاكثر من ذلك ، وعاد المؤيد ومن سلم معه الى طوس فاستولى الغز على مرو واحسنوا السيرة واكرموا العلماء والايمة مثل تاج الدين ابي سعيد السمعاني وشيخ الاسلام علي البلخي وغيرهما واغاروا على سرخس وخربت القرى وجلى اهلها وقتل من اهل سرخس نحو عشرة الاف قتيل ونهبوا

[1]) Cfr. Journ. As. 1846, II, 453. بيستوحش

طوس ايضا وقتلوا اهلها الّا القليل وعادوا الى مرو ، وامّا السلطان محمود ابن محمّد الخان والعساكر التى معه فلم يقدروا على المقام بخراسان من الغزّ فساروا الى جرجان ينتظرون ما يكون من الغزّ ، فلمّا دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمايةٔ ارسل الغزّ الى السلطان يسألونه ان يحضر عندهم ليملّكوه امرهم فلم يثق بهم وخافهم على نفسه فارسلوا يطلبون منه ابنه جلال الدين عمر ليملّكوه امرهم ويصدروا عن امره ونهيه فى قليل الامور وكثيرها وتردّدت الرسل واحتاط السلطان محمود لولده بالعهد والمواثيق وتقرير القواعد ثمّ سيّره من جرجان الى خراسان فلمّا سمعوا الامرآء الغزّيّة بقدومه ساروا من مرو الى طريقه فالتقوه بنيسابور واكرموه وعظّموه ودخل نيسابور واتّصلت به العساكر الغزّيّة واجتمعوا عنده فى الثالث والعشرين من ربيع الاخر سنة اربع وخمسين وخمسمايةٔ ، ثمّ انّ السلطان محمود سار من جرجان الى خراسان فى الجيوش التى معه من الامرآء السنجريّة وتخلّف عنه المؤيّد اى ابه[1] فوصل الى حدود نسا وابيورد واقطع نسا لامير اسمه عمر ابن حمزة النسوىّ فقام فى حفظها المقام المرضى ومنع عنها ايدى المفسدين واقام السلطان محمود بظاهر نسا حتّى انسلخ جمادى الاخرة من السنة ، ولمّا كان الغزّ بنيسابور هذه السنة ارسلوا الى طوس يدعونهم الى الطاعة والموافقة فامتنع اهل راذكان[2] من اجابتهم الى ذلك وغيروا بسور بلدهم وبما عندهم من الشجاعة والقوّة والعدّة الوافرة والذخاير الكثيرة فقصدها طايفة من الغزّ وحصروهم وملكوا البلد وقتلوا فيه ونهبوا واكثروا ثمّ عادوا الى نيسابور وساروا مع جلال الدين محمّد ابن السلطان محمود الخان الى بيهق وحصروا سابزوار سابع عشر جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وخمسمايةٔ فامتنع اهلها عليهم وقام بامرهم النقيب عماد الدين علىّ ابن محمّد ابن يحيى العلوىّ الحسينىّ نقيب العلويّين واجتمعوا معه ورجعوا الى امره ونهيه ووقفوا عند اشارته فامتنعوا على الغزّ وحفظوا البلد منهم وصبروا علىّ القتال فلمّا راى الغزّ امتناعهم عليهم وفوّتهم ارسلوا اليهم

---

[1] اى ابه [2] راركان

يطلبون الصلح فاصطلحوا ولم يقتل من اهل سبزوار فى تلك الحروب غير رجل واحد ورحل الملك جلال الدين والغزّ عن سبزوار فى السابع والعشرين من جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وخمسمئة وساروا الى نسا وابيورد *

ذكر اسر المؤيّد وخلاصه

قد ذكرنا انّ المؤيّد اى ابه تخلّف عن السلطان ركن [الدين] محمود ابن محمّد بجرجان فلمّا كان الآن سار من جرجان الى خراسان فنزل بقرية من قرى خُبوشان[1] اسمها زانك وبها حصن فسمع الغزّ بوصوله الى زانك فساروا اليه وحصروه فيه فخرج منه هاربًا فرآه واحد من الغزّ فاخذه فوعده بمال جزيل ان اطلقه فقال الغزّى واين المال فقال هو مودوع فى بعض هذه الجبال فسار هو والغزّى فوصلا الى جدار قرية فيها بساتين وعيون فقال للفارس المال هاهنا وصعد الجدار ونزل من ظهره ومضى هاربًا[2] فرأى الغزّى قد ملأ الارض فدخل قرية فعرفه فلاحون فيها فاعلم زعيم القرية به وطلب منه مركبًا فاتاه بما اراد واعانه على الوصول الى نيسابور فوصل اليها واجتمعت العساكر وقوى امره وعاد الى حاله واحسن الى الفلاحين وبالغ فى الاحسان اليه *

ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغزّ وعودهم الى نيسابور

لمّا عاد الغزّ ومعهم الملك محمّد ابن محمود الخان الى نسا وابيورد كما ذكرناه خرج والده السلطان محمود الخان وكان هناك فيمن معه من العساكر الخراسانيّة فاجتمع بهم واتّفقت الكلمة على طاعته واراد عمارة البلاد وحفظها فلم يقدر على ذلك فلمّا اجتمعوا ساروا الى نيسابور وبها المؤيّد اى ابه فى شعبان فلمّا سمع تقرّبهم منه رحل عنها الى خواف فى سادس عشره ووصلوا اليها فى الحادى والعشرين منه ونزلوا فيه وخافهم الناس خوفًا عظيمًا فلم يفعلوا بهم شيأً وساروا عنه فى السادس والعشرين منه الى سرخس ومرو وكان بها الفقيه المؤيّد ابن الحسين الموفقىّ رئيس الشافعيّة وله بيت قديم وهو من اجداد الامام ابى سهل

---

1) حبوشان 2) هاربا

الصعلوكىّ وله مصاهرة الى بيت ابى المعالى الجوينىّ وهو المقدّم فى البلد والمشار اليه وله من الاتباع ما لا يُحصى فاتّفق انّ بعض اصحابه قتل انسانًا من الشافعيّة اسمه ابو الفتوح الفستقانىّ خطأً وهذا ابو الفتوح له تعلّق بنقيب العلويّين بنيسابور وهو ذخر الدين ابو القسم زيد ابن الحسن الحسينىّ وكان هذا النقيب هو الحاكم هذه المدّة بنيسابور فغضب من ذلك وارسل الى الفقيه المؤيّد يطلب منه القاتل ليقتصّ منه ويتهدّده ان لم يفعل فامتنع المؤيّد من تسليمه وقال لا مدخل لك مع اصحابنا انّما حكمك على الطايفة العلويّين فجمع النقيب اصحابه ومن يتبعه وقصد الشافعيّة فاجتمعوا له وقاتلوه فقُتل منهم جماعة ثمّ انّ النقيب احرق سوق العطّارين واحرقوا سكّة معاذ ايضًا وسكّة باغ طاهر ودار امام الحرمين ابى المعالى الجوينىّ وكان الفقيه المؤيّد الشافعىّ بها للصهر الذى بينهم وعظمت المصيبة على كافّة الناس وجمع بعد ذلك المؤيّد الفقيه جموعًا من طوس واسفرائين وجوين وغيرهم وقتلوا واحدًا من اتباع النقيب زيد يعرف بابن الحاجّى الأشناقىّ فأمّ العلويّة ومَن معهم فاقتتلوا ثامن عشر شوّال من سنة اربع وخمسين وقامت الحرب على ساق وحرقت المدارس والاسواق والمساجد وكثر القتل فى الشافعيّة فالتجى المؤيّد الشافعىّ فى شرذمة الى قلعة فرخك[1] وقصُر باعُ الشافعيّة عن القتال ثمّ انتقل المؤيّد الى قرية من قرى طوس وبطلت دروس الشافعيّة بنيسابور وخرب البلد وكثر القتل فيه ✿

ذكر حصر صاحب خَتْلان[2] ترمذ وعوده وموته

فى هذه السنة فى رجب سار الملك ابو شجاع فرخشاه[3] وهو يزعم انّه من اولاد بهرام جور وقد تقدّم ذكره ايامَ كسرى ابرويز الى ترمذ وحصرها وكان سبب ذلك انّه كان فى طاعة السلطان سنجر فلمّا خرج عليه الغزّ طلبه ليحضر معه حربه لهم فجمع عسكره واظهر انّه واصل فيمن عنده من العساكر اليه واقام ينتظر ما يكون منه فلمّا ظفر حصر وقال له سبقتنى بالحرب وان كان الظفر للغزّ قال لهم انّما

---

[1] فدخلوا Cfr. *Journ. Asiat.* 1846, II, p. 459.
[2] حنلان
[3] فرحشاه

تاخّرت محبّة وارادة ان يملكوا فلمّا انهزم سنجر وكان ما ذكرناه بقى الى الآن فسار الى ترمذ ليحصرها فجمع صاحبها فيروزشاه احمد ابن ابى بكر ابن قماج عسكره ولقيه ليمنعه فاقتتلوا فانهزم فيروزشاه ومضى منهزمًا لا يلوى على شئ فاصابه فى الطريق قولنج فمات منه ۞

ذكر عود المؤيّد الى نيسابور وتخريب ما بقى منها

فى هذه السنة عاد المؤيّد اى ابه الى نيسابور فى عساكره ومعه الامام المؤيّد الموفّقى الشافعىّ الذى تقدّم ذكر الفتنة بينه وبين فخر الدين نقيب العلويّين وخروجه من نيسابور فلمّا خرج منها صار مع المؤيّد وحصر مع المؤيّد وحصر معه حصار نيسابور وتحصّن النقيب العلوىّ بشارستان واشتدّ الخطب وطال الحرب وسفكت الدماء وهتكت الاستار وخرّبوا ما بقى من نيسابور من الدور وغيرها وبالغ الشافعيّة ومن معهم من الانتقام فخرّبوا المدرسة الصندليّة لاصحاب ابى حنيفة وخرّبوا غيرها وحصروا قهندز[1] وهذه الفتنة استاصلت نيسابور ، ثم رحل المؤيّد اى ابه عنها الى بيهق فى شوّال من سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، كان ينبغى ان تكون هذه الحوادث الغريّة الواقعة فى سنة اربع وخمسين مذكورة فى سنتها وانّما قدّمناها هاهنا ليتلو بعضها بعضًا فيكون احسن لسياقتها ۞

ذكر ملك ملكشاه خوزستان

فى هذه السنة ملك ملكشاه ابن السلطان محمود بلد خوزستان واخذه من شملة التركمانىّ وسبب ذلك انّ الملك محمّد ابن السلطان محمود لمّا عاد من حصار بغداد كما ذكرناه مرض وبقى مريضًا بهمدان ومضى اخوه ملكشاه الى قمّ وقاجان وما والاها فنهبها جميعها وصادر اهلها وجمع اموالًا كثيرة فراسله اخوه محمّد شاه يامره بالكفّ عن ذلك ليجعله ولىّ عهده فى الملك فلم يفعل ومضى الى اصفهان فلمّا قاربها ارسل رسولًا الى ابن الخجندىّ[2] واعيان البلد فى تسليم البلد اليه فامتنعوا من ذلك وقالوا لاخيك فى رقابنا يمين ولا نعذر به فحينئذ شرع ملكشاه فى الفساد والمصادرة لاهل القرى ، فلمّا سمع محمّد

---

1) فندعز 2) الخجندى

شاه للخبر سار عن همذان وعلى مقدّمته كرد بازوه الخادم فتفرّقت جموع ملكشاه عند سبيسين فلحق به قويدان[1] وكان قد فارق المقتفى لامر الله واتّفق مع سنقر الهمذانىّ فلحقا كلاهما به وحسّنا له قصد بغداد فسار عن بلد خوزستان الى واسط ونزل بالجانب الشرقىّ وهم على غاية الضُرّ من الجوع فنهبوا القُرى نهبًا فاحشًا ففتح بثق بتلك الناحية فغرق منهم كثير ولجا ملكشاه ومَن سلم معه وساروا الى خوزستان فمنعه شملة من العبور فراسله ليمكنه من العبور الى اخيه الملك محمّد شاه فلم يجبه الى ذلك وكاتب حينئذ الاكراد الذين هناك واستدعاهم اليه ففرحوا به ونزل اليه من تلك الجبال خلق كثير فاطاعوه فرحل ونزل على كرخايا وطلب من شملة الحرب فالان له شملة القول وقال انا اخطب لك واكون معك فلم يقبل منه فاضطرّ شملة الى الحرب فجمع عسكره وقصده فلقيه ملكشاه ومعه سنقر الهمذانىّ وقويدان[1] وغيرهما من الامراء فاقتتلوا فانهزم شملة وقُتل كثير من اصحابه وصعد الى قلعته دُندرزين[2] وملك ملك شاه البلاد وجبى الاموال الكثيرة واظهر العدل وتوجّه الى ارض فارس ✿

ذكر الحرب بين التركمان والاسماعيليّة بخراسان

كان بنواحى قهستان طايفة من التركمان فنزل اليهم جمع من الاسماعيليّة من قلاعهم وهم الف وسبعماية فاوقعوا بالتركمان فلم يجدوا الرجال وكانوا قد فارقوا بيوتهم فنهبوا الاموال واخذوا النساء والاطفال واحرقوا ما لم يقدروا على حمله وعاد التركمان فراوا ما فُعل بهم فتبعوا اثر الاسماعليّة فادركوهم وهم يقتسمون الغنيمة فكبّروا وحملوا عليهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاوا حتى افنوهم قتلًا واسرًا ولم ينج الّا تسعة رجال لا غير ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كثر فساد التركمان اصحاب ترجم الايوائىّ بالجبل فسيّر اليهم من بغداد عسكر مقدّمهم منكبرس المسترشدىّ فلمّا قاربهم

---

1) C. P. et 740. Ups.: قويران ‖ 2) C. P. et 740. Ups.: دذر زين الدين وملكشاه

اجتمع التركمان فالتقوا واقتتلوا هم ومنكبرس فانهزم التركمان اقبح هزيمة وقُتل بعضهم وأُسر بعض وحُملت الرؤس والاسارى الى بغداد ، وفيها حجّ الناس فلمّا وصلوا الى مدينة النبىّ صلّعم وصل اليهم الخبر انّ العرب قد اجتمعت لتاخذهم فتركوا الطريق وسلكوا طريق خيبر فوجدوا مشقّة شديدة ونجوا من العرب ، وفيها توفّى الشيخ نصر بن منصور بن الحسين العطّار ابو القسم الحرّانىّ ومولده بحرّان سنة اربع وثمانين واربعمايّة واقام ببغداد وكثر ماله وصدقته ايضًا وكان يقرأ القرأن وهو والد ظهير الدين الذى حكم فى دولة المستضىء بامر الله على ما نذكره ان شآء الله ، وفيها توفّى ابو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن شُعيب السجْزىّ ببغداد وهو سجزىّ الاصل هروىّ المنشآء وكان قدم الى بغداد سنة اثنتين وخمسين وخمسمايّة يريد الحجّ فسمع الناس بها عليه صحيح البخارىّ وكان على الاسناد فتاخّر لذلك عن الحجّ فلمّا كان هذه السنة عزم على الحجّ فمات ، وفيها توفّى يحيى بن سلامة بن الحسن ابن محمّد ابو الفضل الحصكفىّ[1] الاديب بميّافارقين وله شعر حسن ورسايل جيّدة مشهورة وكان يتشيّع ومولده بطنزة فمن شعره

وخليع بتّ اعذله ويرى عذلى من العبث
قلتُ ان الخمر مخبثة قال حاشاها من الخبث
قلتُ فالارفاث تتبعها قال طيّب العيش فى الرفث
قلتُ منها القىء قال اجل شرُفت عن مخرج الحدث
وسأسلوها فقلتُ متى قال عند الكون فى الجدث ☆

ثم دخلت سنة اربع خمسين وخمسمايّة ،

سنة ٥٥٤

ذكر مُلك عبد المؤمن مدينة المهديّة من الفرنج ومُلكه جميع افريقية

قد ذكرنا سنة ثلاث واربعين وخمسمايّة مُلك الفرنج مدينة المهديّة من صاحبها الحسن بن تميم بن المعزّ ابن باديس الصنهاجىّ وذكرنا ايضًا سنة احدى وخمسين ما فعله الفرنج بالمسلمين فى زويلة المجاورة

---

1) الحصنكفى

للمهديّة من القتل والنهب فلمّا قتلهم الفرنج ونهبوا اموالهم هرب منهم جماعة وقصدوا عبد المؤمن صاحب المغرب وهو بمرّاكش يستجيرونه فلمّا وصلوا اليه ودخلوا عليه اكرمهم واخبروه بما جرى على المسلمين وانّه ليس فى ملوك الاسلام مَن يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه واطرق ثمّ رفع راسه وقال ابشروا لانصرنّكم ولو بعد حين وامر بانزالهم واطلق لهم الفَىْ دينار ثمّ امر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه العساكر فى السفر[1] وكتب الى جميع نوّابه فى الغرب وكان قد ملك الى قريب تونس يامرهم بحفظ جميع ما يتحصّل من الغلّات وان يترك فى سنبله ويخزن فى مواضعه وان يحفروا الابار فى الطرق ففعلوا جميع ما امرهم به وجمعوا الغلّات ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل وطيّنوا عليها فصارت كانها تلال ، فلمّا كان فى صفر من هذه السنة سار عن مرّاكش وكان اكثر اسفاره فى صفر فسار يطلب افريقية واجتمع من العساكر مايّة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وبلغ من حفظه لعساكره انّهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتاذى بهم سنبلة واذا نزلوا صلّوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلّف منهم احد كائن من كان ، وقدّم بين يديه الحسن بن علىّ بن يحيى بن تميم بن المعزّ ابن باديس الصنهاجىّ كان صاحب المهديّة وافريقية وقد ذكرنا سبب مصيره عند عبد المؤمن فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس فى الرابع والعشرين من جمادى الاخرة من السنه وبها صاحبها احمد ابن خراسان واقبل اسطوله فى البحر فى سبعين شينيًا وطريدةً وشلندى فلمّا نازلها ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشدّ قتال فلم يبق الّا اخذها ودخول الاسطول اليها فجآت ريح عاصف منعت الموحّدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوه فلمّا جنّ الليل نزل سبعة عشر رجلًا من اعيان اهلها الى عبد المؤمن يسألونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم الى الامان لهم فى انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة

---

[1] السفن

واما من عداهم من اهل البلد فيومنهم فى انفسهم واهاليهم ويقاسمهم على اموالهم واملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد هو واهله فاستقرّ ذلك وتسلّم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناه ليقاسموا الناس على اموالهم واقام عليها ثلاثة ايّام وعرض الاسلام مَن بها من اليهود والنصارى فمن اسلم سلم ومَن امتنع قُتل وادم اهل تونس بها باجرة توخذ عن نصف مساكنهم وسار عبد المومن منها الى المهديّة والاسطول تحاذيه فى البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان حينئذ بالمهديّة اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهديّة غاية سهم فدخل عبد المومن من زويلة وامتلات بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة فى ساعة ومَن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل البلاد ما يخرج عن الاحصاء واقبلوا يقاتلون المهديّة مع الايّام فلا يوثر فيها لحصانتها وقوّة سورها وضيق موضع القتال عليها لانّ البحر داير باكثرها فكانّها كفّ فى البحر وزندها متصل بالبرّ وكانت الفرنج تخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فتنال منه ويعودون سريعًا ، فامر عبد المومن ان يبنى سور من غرب المدينة يمنعهم من الخروج واحاط الاسطول بها فى البحر وركب عبد المومن فى شينى ومعه الحسن ابن علىّ الذى كان صاحبها وطاف بها فى البحر فهاله ما راى من حصانتها وعلم انّها لا تفتح بقتال برّا ولا بحرًا وليس لها الّا المطاولة وقال للحسن كيف نزلتَ عن مثل هذا الحصن فقال لقلّة مَن يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقتَ وعد من البحر وامر بجمع الغلّات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صار فى العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقولون متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هى حنطة وشعير فيتعجّبون من ذلك ، وتمادى الحصار وفى مدّته اطاع سفاقس عبد المومن ومدينة طرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف وسيّر ابنه ابا محمّد عبد الله فى جيش ففتح بلادا ثم انّ اهل مدينة قفصة لمّا راوا تمكّن عبد المومن

اجمعوا على المبادرة الى طاعته وتسليم المدينة اليه فتوجّه صاحبها يحيى بن تميم بن المعزّ ومعه جماعة من اعيانها وقصدوا عبد المؤمن فلمّا اعلمه حاجبه بهم قال له عبد المؤمن قد اشتبه عليك ليس هولآء اهل قفصة فقال له لم يشتبه علىّ قال له عبد المؤمن كيف يكون ذلك والمهدى يقول انّ اصحابنا يقطعون اشجارها ويهدمون اسوارها ومع هذا فنقبل منهم ونكفّ عنهم ليقضى الله امرًا كان مفعولاً فارسل اليهم طايفة من اصحابه ومدحه شاعر منهم بقصيدة اوّلها

ما هزّ عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علىّ

فوصله بالف دينار ولمّا كان فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة جآء اسطول صاحب صقلّيّة فى مايّة وخمسين شينيًّا غير الطرايد وكان قد وفد من جزيرة يابسة[1] من بلاد الاندلس وقد سبى اهلها واسرهم وحملهم معه فارسل اليهم ملك الفرنج يامرهم بالمجئ الى المهديّة فقدموا فى التاريخ فلمّا قاربوا المهديّة حطّوا شرعهم ليدخلوا الميناء فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج ما رءاوه من كثرة العساكر ودخل الرعب قلوبهم وبقى عبد المؤمن يُمرّغ وجهه على الارض ويبكى ويدعوا للمسلمين بالنصر واقتتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج واعادوا القلوع وتبعهم المسلمون فاخذوا منهم سبع شوانى ولو كان معهم شوانى لاخذوا اكثرهم وكان امرًا عجيبًا وفتحًا قريبًا وعاد اسطول المسلمين مظفّرًا منصورًا وفرّق فيهم عبد المؤمن الاموال ، ويئس اهل المهديّة حينئذ من النجدة وصبروا على الحصار ستّة اشهر الى اخر شهر ذى الحجّة من السنة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوا الامان لمَن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودون الى بلادهم وكان قوتهم قد فنى حتّى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يتردّدون اليه ايّامًا بالكلام اللين فاجابهم الى ذلك وأمّنهم واعطاهم سفنًا فركبوا فيها وساروا

---

1) مايسة

وكان الزمان شتآء فغرق اكثرهم ولم يصل منهم الى صقلّية الّا النفر اليسير وكان صاحب صقلّية قد قال ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين هم بجزيرة صقلّية واخذنا حُرَمهم واموالهم فاهلك الله الفرنج غرقًا وكان مدّة ملكهم المهديّة اثنى عشرة سنة ، ودخل عبد المؤمن المهديّة بكرة عاشورآء من المحرّم سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسمّاها عبد المؤمن سنة الاخماس واقام بالمهديّة عشرين يوما فرتّب احوالها واصلح ما انثلم من سورها ونقل اليها الذخاير من الاقوات والرجال والعُدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن علىّ الذى كان صاحبها وامره ان يقتدى برايه فى افعله واقطع للحسن بها اقطاعًا واعطاه دُورًا نفيسةً يسكنها وكذلك فعل باولاده ورحل من المهديّة اوّل صفر من السنة الى بلاد الغرب ۞

ذكر ايقاع عبد المؤمن بالعرب

لمّا فرغ عبد المؤمن من امر المهديّة واراد العود الى الغرب جمع امرآء العرب من بنى رباح[1] الذين كانوا بافريقية وقال لهم قد وجبت علينا نصرة الاسلام فانّ المشركين قد استفحل امرهم بالاندلس واستولوا على كثير من البلاد التى كانت بايدى المسلمين وما يقاتلهم احد مثلكم فبكم فتحت البلاد اوّل الاسلام وبكم يُدفع عنها العدوّ الآن ونريد منكم عشرة الاف فارس من اهل النجدة والشجاعة يجاهدون فى سبيل الله فاجابوا بالسمع والطاعة فحلّفهم على ذلك بالله تعالى وبالمصحف فحلفوا ومشوا معه الى مضيق جبل زغوان ، وكان منهم انسان يقال له يوسف بن مالك وهو من امرآئهم وروس القبايل فيهم فجآء الى عبد المؤمن بالليل وقال له سرًّا انّ العرب قد كرهت المسير الى الاندلس وقالوا ما غرضه الّا اخراجنا من بلادنا وانّهم لا يفون بما حلفوا عليه فقال ياخذ الله عزّ وجلّ الغادر فلمّا كان الليلة الثانية هربوا الى عشايرهم ودخلوا البرّ ولم يبق منهم الّا يوسف بن مالك فسمّاه عبد المؤمن يوسف الصادق ولم يحدث عبد المؤمن فى امرهم شيئًا وسار مغربًا يحثّ السير حتّى قرب

---

[1] رباح

من القسطنطينيّة فنزل فى موضع مخصب يقال له وادى النسآء والفصل ربيع والكلآء مستحسن فاقام به وضبط الطرق فلا يسير من العسكر احد البتّة ودام كذلك عشرين يومًا فبقى الناس فى جميع البلاد لا يعرفون لهذا العسكر خبرًا مع كثرته وعظمه ويقولون ما ازعجه الّا خبرٌ وصله من الاندلس فحثّ لاجله فى السير ، فعادت العرب الذين جفلوا منه من البريّة الى البلاد لمّا امنوا جانبه وسكنوا البلاد التى الفوها واستقرّوا فى البلاد ، فلمّا علم عبد المؤمن برجوعهم جهّز اليهم ولدَيه ابا محمّد وابا عبد الله فى ثلاثين الف مقاتل من اعيان الموحّدين وشجعانهم فجدّوا السير وقطعوا المفاوز فما شعُرَ العرب الّا والجيش قد اقبل بغتةً من ورآيهم من جهة الصحرآء ليمنعوهم الدخول اليها ان راموا ذلك وكانوا قد نزلوا جنوبًا من القيروان عند جبل يقال له جبل القرن وهم زهآء ثمانين الف بيت والمشاهير من مقدّميهم ابو محفوظ محرز بن زيّاد ومسعود بن زمام البلّاط وجبارة بن كامل وغيرهم فلمّا اظلّت عساكر عبد المؤمن عليهم اضطربوا واختلفت كلمتهم ففرّ مسعود وجبارة بن كامل ومَن معهما من عشايرهما وثبت محرز بن زيّاد وامرهم بالثبات والقتال فلم يلتفتوا اليه فثبت هو ومن معه جمهور العرب فناجزهم الموحّدون القتال فى العشر الاوسط من ربيع الاخر من السنة ، وثبت الجمعان واشتدّ العراك فاتّفق انّ محرز بن زيّاد قُتل ورفع راسه على رمح فانهزمت جموع العرب عند ذلك واسلموا البيوت والحريم والاولاد والاموال وحُمل جميع ذلك الى عبد المؤمن وهو بذلك المنزل فامر بحفظ النسآء العربيّات الصرايح وحملهنّ معه تحت الحفظ والبرّ والصيانة الى بلاد الغرب وفعل معهنّ مثل ما فعل فى حريم الاثبج ثمّ اقبلت اليه وفود رياح[1] مهاجرين فى طلب حريمهم كما فعل الاثبج فاجمل الصنيع لهم وردّ الحريم اليهم فلم يبق منهم احدٌ الّا صار عنده وتحت حكمه وهو يخفض لهم الجناح ويبذل فيهم الاحسان ثمّ انّه جهّزهم الى ثغور الاندلس على الشرط الاوّل وجمعت عظام العرب المقتولين فى

---

1) رباح

هذه المعركة عند جبل قرن فبقيت دهرًا طويلًا كالتلّ العظيم يلوح للناظرين من مكان بعيد وبقيت افريقية مع نوّاب عبد المؤمن امنة ساكنة لم يبق فيها من امرآء العرب خارج عن طاعته الّا مسعود البلّاط بن زمام وطايفته فى اطراف البلاد ✿

ذكر غرق بغداد

فى هذه السنة ثامن ربيع الاخر كثرت الزيادة فى دجلة وخرق القورج[1] فوق بغداد واقبل المدّ الى البلد فامتلات الصحارى وخندق البلد وافسد المآء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تسع عشر الشهر فوقع بعض السور عليها فسدّها ثم فتح المآء فتحة اخرى واهملوها ظنًّا انّها تنفّس عن السور لئلا يقع فغلب المآء وتعذّر سدّه فغرق قراح ظفر والاجمة والمختارة والمقتديّة ودرب القيّار وخرابة ابن جُردة[1a] والريّانى[2] وقراح القاضى وبعض القطيعة وبعض باب الازج[3] وبعض المأمونيّة وقراح ابى الشحم وبعض قراح ابن رزين وبعض الظفريّة ودبّ المآء تحت الارض الى اماكن فوقعت واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربىّ فبلغت المعبرة عدّة دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم نقص المآء وتهدّم السور ~~وبقى المآء الذى داخل السور عليها ثم نقص~~ المآء ~~وتهدّم السور~~ وبقى المآء الذى داخل السور يدبّ فى المحالّ التى لم يركبها المآء فكثر الخراب وبقيت المحالّ لا تُعرف انّما هى تُلُولٌ فاخذ الناس حدود دورهم بالتخمين وامّا الجانب الغربىّ فغرقت فيه مقبرة احمد بن حنبل وغيرها من المقابر وانخسفت القبور المبنية وخرج الموتى على راس المآء وكذلك المشهد والحربيّة وكان امرا عظيمًا ✿

ذكر عود سنقر الهمدانىّ الى اللحف[4] وانهزامه

فى هذه السنة عاد سنقر الهمدانىّ الى اقطاعه وهو قلعة الماهكى وبلد اللحف[4] وكان الخليفة قد اقطعه للامير قيماز العميدىّ ومعه اربعمائة فارس فارسل اليه سنقر يقول له ارحل عن بلدى فامتنع فسار اليه وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميدىّ ورجع الى

---

1) العورج 1a) C. P. et 740. Ups.: جودة 2) والريدنى 3) الارج 4) الدجف

بغداد باسوأ حال ، فبرز الخليفة وسار فى عساكره الى سنقر فوصل الى النعمانيّة وسيّر العساكر مع ترشك ورجع الى بغداد ومضى ترشك نحو سنقر الهمدانىّ فتوغّل سنقر فى الجبال هاربًا ونهب ترشك ما وجد له ولعسكره من مال وسلاح وغير ذلك واسر وزيره وقتل من راى من اصحابه ونزل على الماهكى وحصرها ايّامًا ثمّ عاد الى البندنيجين[1] وارسل الى بغداد بالبشارة واما سنقر فانّه لحق بملكشاه فاستنجده فسيّر معه خمس مايّة فارس فعاد ونزل على قلعة هناك وافسد اصحابه فى البلاد وارسل ترشك [الى] بغداد يطلب نجدة فجاءته فاراد سنقر ان يكبس ترشك فعرف ذلك فاحترز فعدل سنقر الى المخادعة فارسل رسولاً الى ترشك يطلب منه ان يصلح حاله مع الخليفة فاحتبس ترشك الرسول عنده وركب فيمن خفّ من اصحابه فكبس سنقر ليلاً فانهزم هو واصحابه وكثر القتل فيهم وغنم ترشك اموالهم ودوابّهم وكلّ مالهم ونجا سنقر جريحًا ۞

ذكر الفتنة بين عامّة استراباذ

فى هذه السنة وقع فى استراباذ فتنة عظيمة بين العلويّين ومن يتبعهم من الشيعة وبين الشافعيّة ومن معهم وكان سببها انّ الامام محمّد الهروىّ وصل الى استراباذ فعقد مجلس الوعظ وكان قاضيها ابو نصر سعد بن محمّد بن اسمعيل النعيم شافعىّ المذهب ايضًا فثار العلويّون ومن يتبعهم من الشيعة بالشافعيّة ومن يتبعهم باستراباذ ووقعت بين الطايفتين فتنة عظيمة انتصر فيها العلويّون فقُتل من الشافعيّة جماعة وهرب القاضى ونُهبت داره ودور من معه وجرى عليهم من الامور الشنيعة ما لا حدّ عليه ، فسمع شاه مازندران الخبر فاستعظمه وانكر على العلويّين فعلهم وبالغ فى الانكار مع انّه شديد التشيّع وقطع عنهم جرايات كانت لهم ووضع الجبايات والمصادرات على العامّة فتفرّق كثير منهم وعاد القاضى الى منصبه وسكنت الفتنة ۞

---

1) السدنيجين

ذكر وفاة الملك محمّد بن محمود بن محمّد بن ملكشاه

في هذه السنة توفّي السلطان محمّد بن محمود بن محمّد وهو الذى حاصر بغداد طالبا السلطنة وعاد عنها فاصابه سلّ وطال به فمات بباب همذان وكان مولده في ربيع الاخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فلمّا حضره الموت امر العساكر فركبت واحضر امواله وجواهره وحظاياه ومماليكه فنظر الى الجميع من طيّارة تُشرف على ما تحتها فلمّا رءاه بكى وقال هذه العساكر والاموال والمماليك والسرارى ما ارى[1] يدفعون عنّى مقدار[2] ذرّة ولا يزيدون في اجلى لحظة وامر بالجميع فرفع بعد ان فرّق منه شيئا كثيرا ، وكان حليمًا كريمًا عاقلا كثير التأنّى في اموره وكان له ولد صغير فسلّمه الى اقسنقر الاحمديلى[3] وقال له انا اعلم ان لا تطيق مثل هذا الثغل وهو وديعة عندك فرحل به الى بلاده فرحل الى مراغة ، فلمّا مات اختلفت الامراء فطائفة طلبوا ملكشاه اخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه وهم الاكثر وطائفة طلبوا ارسلان الذى مع ايلدكز[4] فامّا ملكشاه فانّه سار من خوزستان ومعه دكلا صاحب فرس وشملة التركمانىّ وغيرهما فوصل الى اصفهان فسلّمها اليه ابن الخجندىّ[5] وجمع له مالاً انفقه عليه وارسل الى العساكر بهمذان يدعوهم الى طاعته فلم يجيبوه لعدم الاتّفاق بينهم ولانّ اكثرهم كان يريد سليمان شاه ،

ذكر اخذ حرّان من نور الدين وعودها اليه

في هذه السنة مرض نور الدين محمود ابن زنكى صاحب حلب مرضًا شديدًا أُرجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الاصغر امير ان فجمع الناس وحصر القلعة وكان شيركوه وهو اكبر امرائه حمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليتغلّب عليها وبها اخوه نجم الدين ايّوب فانكر عليه ايّوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فان كان نور الدين حيًّا خدمته في هذا الوقت وان كان قد مات

---

[1]) C. P. 740: ارد Ups: اوذا [2]) C. P. et 740: معدل [3]) الاحمريلى [4]) ايلدكر [5]) الخجندى

فانا فى دمشق نفعل ما نريد من مُلكها   فعاد الى حلب مجدًّا وصعد القلعة واجلس نور الدين فى شبّاك يراه الناس وكلّمهم فلمّا رءاوه حيًّا تفرّقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حرّان فملكها ، فلمّا عوفى نور الدين قصد حرّان ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بحرّان فى القلعة فملكها نور الدين وسلّمها الى زين الدين علىّ نايب اخيه قطب [الدين] صاحب الموصل ثمّ سار نور الدين بعد اخذ حرّان الى الرقّة وبها اولاد امبرك الجاندار وهو من اعيان الامرآء وقد توفّى وبقى اولاده فنازلها فشفع جماعة من الامرآء فيهم فغضب من ذلك وقال هلّا شفعتم فى اولاد اخى لمّا اخذت منهم حرّان وكانت الشفاعة فيهم من احبّ الاشياء الىّ فلم يشفّعهم واخذها منهم ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة مرض الخليفة المقتفى لامر الله واشتدّ مرضه وعوفى فضربت البشآير ببغداد وفرّقت الصدقات من الخليفة ومن ارباب الدولة وغلق البلد اسبوعًا ، وفيها عاد ترشك الى بغداد ولم يشعر به احدٌ الاّ وقد القى نفسه تحت التاج معه سيف وكفن وكان قد عصى على الخليفة والتحق بالعاجم فعاد الأن فرضى عنه واذن له فى دخول دار الخلافة واعطى مالاً ، وفيها فى جمادى الاولى ارسل محمّد ابن أَنز صاحب قهستان عسكرًا الى بلد الاسماعيليّة من الجبال فقتلوا كثيرًا من العسكر واسروا الامير الذى كان مقدّمًا عليهم اسمه قيبة وهو صهر ابن أنز فبقى عندهم اسيرًا عدّة شهور حتّى زوّج ابنته من رئيس الاسماعيليّة علىّ بن الحسن وخلص من الاسر ، وفيها توفّى شرف الدين علىّ بن ابى القسم منصور بن ابى سعد الساعدىّ قاضى نيسابور فى شهر رمضان وكان موته بالرىّ ودُفن فى مقبرة محمّد بن الحسن الشيبانىّ صاحب ابى حنيفة رضى الله عنهما وكان القاضى حنفيًّا ايضًا ٭

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

ذكر مسير سليمان شاه الى همدان

في هذه السنة سار سليمان شاه من الموصل الى همدان ليتولى السلطنة وقد تقدّم سبب قبضه واخذه الى الموصل وسبب مسيره اليها انّ الملك محمّد ابن السلطان محمود بن محمّد بن ملكشاه لمّا مات ارسل اكابر الامراء من همدان الى اتابك قطب الدين مودود ابن زنكي صاحب الموصل يطلبون منه ارسال الملك سليمان شاه ابن السلطان محمّد بن ملكشاه اليهم ليولّوه السلطنة فاستقرّت القاعدة بينهم ان يكون سليمان شاه سلطانًا وقطب الدين اتابكه وجمال الدين وزير قطب الدين وزيرًا لسليمان شاه وتحالفوا على هذا وجهّز سليمان شاه بالاموال الكثيرة والبرك والدوابّ والالات وغير ذلك ممّا يصلح للسلاطين وسار ومعه زين الدين علىّ وعسكر الموصل الى همدان فلمّا قربوا بلاد الجبل اقبلت[1] العساكر اليهم ارسالا كلّ يوم تلقاه طائفة وامير فاجتمع مع سليمان شاه عسكر[2] فخافهم زين الدين على نفسه لانّه راى من تسلّطهم على السلطان واطّراحهم للادب معه ما اوجب الخوف معه فعاد الى الموصل فحين عاد عنه لم ينتظم امره ولم يتمّ له ما اراده وقبض العسكر عليه بباب همدان في شوّال سنة ستّ وخمسين وخطبوا لارسلان شاه ابن الملك طغرل وهو الذى ربّاه ايلدكز[3] وسيذكر مشروحا ان شاء الله تعالى .

ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلوىّ

في هذه السنة توفّى الفائز بنصر الله ابو القسم عيسى ابن اسمعيل الظافر صاحب مصر وكانت خلافته ستّ سنين ونحو شهرين وكان له لمّا ولى خمس سنين كما ذكرناه ولمّا مات دخل الصالح ابن رزّيك القصر واستدعى خادما كبيرًا وقال له من ههنا يصلح للخلافة فقال ههنا جماعة وذكر اسماءهم وذكر له منهم انسانا كبير السنّ فامر باحضاره فقال له بعض اصحابه سرًّا لا يكون عبّاس احزم منك حيث

---

[1] قلت [2] [3] ايلدكز

اختار الصغير وترك الكبار واستبدّ بالامر فاعاد الصالح الرجل الى موضعه وامر حينئذ باحضار العاضد لدين الله ابى محمّد عبد الله ابى يوسف ابن الحافظ ولم يكن ابوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقًا ذرب البلوغ فبايع له بالخلافة وزوّجه الصالح ابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله وعاشت بعد موت العاضد وخروج الامر من العلويّين الى الاتراك وتزوّجت ۞

ذكر وفاة الخليفة المقتفى لامر الله وشئ من سيرته

فى هذه السنة ثانى ربيع الاوّل توفّى امير المومنين المقتفى لامر الله ابو عبد الله محمّد ابن المستظهر بالله ابى العبّاس احمد ابن المقتدى بامر الله رضى الله عنه بعلّة التراقى وكان مولده ثانى عشر ربيع الاخر سنة تسع وثمانين واربعمائة وامّه امّ ولد تدعى باعى وكانت خلافته اربعًا وعشرين سنةً وثلاثة اشهر وستّة عشر يومًا ووافق اباه المستظهر بالله فى علّة التراقى وماتا جميعًا فى ربيع الاوّل وكان حليمًا كريمًا عادلًا حسن السيرة من الرجال ذوى الراى والعقل الكثير وهو اوّل مَن استبدّ بالعراق منفردًا عن سلطان يكون معه من اوّل ايّام الديلم الى الآن واوّل خليفة تمكّن من الخلافة وحكم على عسكره واصحابه من حين تحكّم المماليك على الخلفآء من عهد المستنصر الى الآن الّا ان يكون المعتضد وكان شجاعًا مقدامًا مباشرًا للحروب بنفسه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار فى جميع البلاد حتّى كان لا يفوته منها شئ ۞

ذكر خلافة المستنجد بالله

وفى هذه السنة بويع المستنجد بالله امير المومنين واسمه يوسف وامّه امّ ولد تدعى طاوُوس بعد موت والده وكان للمقتفى حظيّة وهى امّ ولده ابى علىّ فلمّا اشتدّ مرض المقتفى وايست منه ارسلت الى جماعة من الامرآء وبذلت لهم الاقطاعات الكثيرة والاموال الجزيلة ليُساعدوها على ان يكون ولدها الامير ابو علىّ خليفةً قالوا كيف الحيلة مع ولىّ العهد فقالت اذا دخل على والده قبضتُ عليه وكان يدخل الى ابيه كلّ يوم فقالوا لا بُدّ لنا من احد من ارباب الدولة فوقع اختيارهم على

عليها رجل اسمه احمد كان خربندة واجتمع معه جماعة من الزنود
وقطّاع الطريق والمفسدين فخرّبوا كثيرًا من البلاد وقتلوا كثيرًا من
الخلق وغنموا من الاموال ما لا يُحصى وعظمت المصيبة بهم على خراسان
وزاد البلآءُ فقصدهم المؤيّد فتحصّنوا بالحصن الذى لهم فقوتلوا اشدّ
قتال ونصب عليهم العرادات والمنجنيقات فاذعن هذا الخربندة احمد الى
طاعة المؤيّد والانخراط فى سلك اصحابه واشياعه فقبله احسن قبول
واحسن اليه وانعم عليه، ثم انّه عصى على المؤيّد وتحصّن بحصنه
فاخذه المؤيّد منه قهرًا وعنوةً وقيّده واحتاط عليه ثم قتله واراح المسلمين
منه ومن شرّه وفساده، وقصد المؤيّد فى شهر رمضان ناحية بيهق
عازمًا على قتالهم لخروجهم عن طاعته فلمّا قاربها اتاه زاهدٌ من اهلها
ودعاه الى العفو عنهم والحلم عن ذنوبهم ووعظه وذكّره فاجاب الى ذلك
ورحل عنهم، فارسل السلطان محمود بن محمّد الخان وهو مع الغزّ
الى المؤيّد بتقرير نيسابور وطوس واعمالها عليه وردّ الحكم فيها اليه
فعاد الى نيسابور رابع ذى القعدة من السنة ففرح الناس بما تقرّر
بينه وبين الملك محمود وبين الغزّ من ابقآء نيسابور
عليه ليزول الخلف والفتن عن الناس ۞

ذكر الحرب بين شاه مازندران ويغمرخان

لمّا قصد يغمرخان الغزّ وتوسّل اليهم لينصروه على ايثاق لعنه
انّه هو الذى حسّن للخوارزميّة قصده فاجابوه الى ذلك وساروا معه على
طريق نسا وابيورد ووصلوا الى الامير ايثاق فلم يجد لنفسه بهم قوّة
فاستنجد شاه مازندران فجآءه ومعه من الاكراد والديلم والاتراك
والتركمان الذين يسكنون نواحى ابسكون[1] جمع كثير فاقتتلوا
ودامت الحرب بينهم وانهزم الاتراك الغزّيّة والبرزيّة من شاه مازندران خمس
مرّات ويعودون وكان على ميمنة شاه مازندران الامير ايثاق فحملت
الاتراك الغزّيّة عليه لمّا ايسوا من الظفر بقلب شاه مازندران فانهزم ايثاق
وتبعه باقى العسكر ووصل شاه مازندران الى سارية وقتل من عسكره اكثرهم،

---

[1]) ايسكون

وحكى انّ بعض التجار كفّن ودفن من هؤلآء القتلى سبعة الاف رجل ۞ وامّا ايناق فانّه قصد فى هرويه خوارزم واقام بها وسار الغزّ من المعركة الى دهستان وكان الحرب قريبًا منها فنقبوا سورها واوقعوا باهلها ونهبوهم اوايل سنة ستّ وخمسين وخمسماية بعد ان خرّبوا جرجان وفرّقوا اهلها فى البلاد وعادوا الى خراسان ۞

ذكر وفاة خسرو شاه صاحب غزنة وملك ابنه بعده

فى هذه السنة فى رجب توفّى السلطان خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن ابرهيم بن مسعود ابن محمود[1] بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلًا حسن السيرة فى رعيّته محبًّا للخير واهله مقربًا للعلمآء محسنًا اليهم راجعًا الى قولهم وكان ملكه تسع سنين [وملك بعده ابنه ملك شاه][2] فلمّا ملك نزل علآء الدين الحسين ملك الغور الى غزنة فحصرها وكان الشتآء شديدًا والثلج كثيرًا فلم يمكنه المقام عليها فعاد الى بلاده فى صفر سنة ستّ وخمسين ۞

ذكر الحرب بين ايناق وبغراتكين

فى هذه السنة منتصف شعبان كان بين الامير ايناق والامير بغراتكين برغش الجُرْكانىّ[3] حربٌ وكان ايناق قد سار الى بغراتكين فى اخر/اعمال جُوبين فنهب واخذ امواله وكلّ ما له وكان ذا نعمة عظيمة واموال جسيمة فانهزم بغراتكين عنها وخلاها فافتتحها ايناق واستغنى بها وقويت نفسه بسببها وكثرت جموعه وقصده الناس وامّا بغراتكين فانّه ارسل [الى] المؤيّد صاحب نيسابور وصار فى جملته ومعدودًا من اصحابه فتلقّاه المؤيّد بالقبول ۞

ذكر وفاة ملكشاه بن محمود

فى هذه السنة توفّى ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمّد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسمومًا وكان سبب ذلك انّه لمّا كثر جمعه باصفهان ارسل الى بغداد وطلب ان يقطعوا خطبة عمّه سليمان شاه ويخطبون له ويعيدون القواعد بالعراق الى ما كانت اوّلاً والّا

1) محمد 2) C. P. 3) Vid. *Journ. As.* 1846, II, 462 Codd. Par. بزغش الجوكانى

قصدهم ، فوضع الوزير عون الدين ابن هبيرة خصيًّا كان خصيصًا به يقال له اغلبك الكوهرايينيّ فمضى الى بلاد العاجم واشترى جارية من قاضي همذان بالف دينار وباعها من ملكشاه وكان قد وضعها على سمّه ووعدها امورًا عظيمة [على] ذلك وسمّته في لحم مشوى فاصبح ميّتًا وجاء الطبيب الى دكلا وشملة فعرّفهما انّه مسموم فعرفوا انّ ذلك من فعل الجارية فأُخذت وضُربت واقرّت وهرب اغلبك ووصل الى بغداد ووفى له الوزير بجميع ما استقرّ الحمل عليه ولمّا مات اخرج اهل اصفهان اصحابه من عندهم وخطبوا لسليمان شاه واستقرّ مُلكه بتلك البلاد وعاد شملة الى خوزستان فاخذ ما كان ملكشاه تغلّب عليه منه ؛

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حجّ اسد الدين شيركوه ابن شاذي[1] مقدّم جيوش نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام وشيركوه هذا هو الذي ملك الديار المصريّة وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى ، وفيها ارسل زين الدين علىّ نايب قطب الدين صاحب الموصل رسولًا الى المستنجد يعتذر ممّا جناه من مساعدة محمّد شاه في حصار بغداد ويطلب ان يوذن له في الحجّ فارسل اليه يوسف الدمشقيّ مدرّس النظاميّة وسليمان ابن قتلمش يطيّبان قلبه عن الخليفة ويعرّفانه الاذن في الحجّ فحجّ ودخل الى الخليفة فاكرمه وخلع عليه ، وفيها توفّى قيماز الارجوانيّ امير الحاجّ سقط من الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخّه من مناخيره واذنيه فمات ، وفيها في ربيع الاخر توفّى محمّد ابن يحيى بن علىّ بن مسلم ابو عبد الله الزبيديّ من اهل زبيد مدينة باليمن مشهورة وقدم بغداد سنة تسع واربعين وخمسماية وكان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان نحويًّا واعظًا وصحبه الوزير ابن هبيرة مدّة وكان موته ببغداد ؛

ثم دخلت سنة ستّ وخمسين وخمسماية ،

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة في ربيع الاوّل خرج الوزير ابن هبيرة من داره الى الديوان والغلمان يشرفون له وارادوا يردّون باب المدرسة الكماليّة بدار

---

[1] شاذي

للخليفة فمنعهم الفقهآء وضربوهم بالاجرّ فشهر اصحاب الوزير السيوف وارادوا ضربهم فمنعهم الوزير ومضى الى الديوان فكتب الفقهآء مطالعة يشكون اصحاب الوزير فامر الخليفة بضرب الفقهآء وتاديبهم ونفيهم من الدار فمضى استاذ الدار وعاقبهم هناك واختفى مدرّسهم الشيخ ابو طالب ثم انّ الوزير اعطى كلّ فقير دينارًا واستحلّ منهم واعادهم الى المدينة وظهر مدرّسهم ✿

ذكر قتل ترشك

فى هذه الايّام قصد جمع من التركمان الى البندنيجين فامر الخليفة بتجهيز عسكر اليهم وان يكون مقدّمهم ترشك وكان فى اقطاعه بلد اللحف[1] فارسل اليه الخليفة يستدعيه فامتنع من المجئ الى بغداد وقال يحضر العسكر فانا اقاتل بهم وكان عازمًا على الغدر فجهّز العسكر وساروا اليه وفيهم جماعة من الامرآء فلمّا اجتمعوا بترشك قتلوه وارسلوا راسه الى بغداد وكان قتل مملوكًا للخليفة فدعا اولياآء المقتول وقيل لهم انّ امير المومنين قد اقتصّ لابيكم ممّن قتله ✿

ذكر قتل سليمان شاه والخطبة لارسلان

فى هذه السنة فى ربيع الاخر قُتل السلطان سليمان شاه ابن السلطان محمّد ابن ملكشاه وسبب ذلك انّه كان فيه تهوّر وخرق وبلغ به من شرب الخمر حتى انه شربها فى رمضان نهارًا وكان يجمع المساخر ولا يلتفت الى الامرآء فاهمل العسكر امره وصاروا لا يحضرون بابهُ وكان قد ردّ جميع الامور الى شرف الدين كردبازو[2] الخادم وهو من مشايخ الخدم السلجقيّة يرجع الى دين وعقل وحسن تدبير فكان الامرآء يشكون اليه وهو يسكّنهم فاتّفق انّه شرب يومًا بظاهر همذان فى الكُشك فحضر عنده كردبازو فلامه على فعله فامر سليمان شاه مَن عنده من المساخرة فعبثوا بكردبازو حتى انّ بعضهم كشف له سوّاته فخرج مغضبًا فلمّا صحا سليمان ارسل اليه يعتذر فقبل عذره الّا انّه تجنّب الحضور عنده فكتب سليمان الى اينانج[3] صاحب الرىّ يطلب منه ان ينجده على كردبازو فوصل الرسول واينانج[3] مريض فاعاد الجواب يقول

---

1) اللحف 2) Variat scriptura inter كردبازو et كردبازه 3) اينانج

اذا أفقتُ من مرض حضرتُ اليك بعسكرى فبلغ الخبر كردبازو فازداد استيحاشًا فارسل اليه سليمان يومًا يطلبه فقال اذا جآء اينانج[1] حضرتُ واحضر الامراء واستحلفهم على طاعته وكانوا كارهين لسليمان فحلفوا له فاوّل ما عمل ان قتل المساخرة الذين لسليمان وقال انّما افعل ذلك للملك ثم اصطلحا وعمل كردبازو دعوة عظيمة حضرها السلطان والامراء فلمّا صار السلطان سليمان شاه فى داره قبض عليه كردبازو وعلى وزيره ابى القسم محمود بن عبد العزيز الحامدىّ وعلى اصحابه فى شوّال سنة خمس وخمسين وخمس مائة فقتل وزيره وخواصّه وحبس سليمان شاه فى قلعة ثم ارسل اليه مَن خنقه وقيل بل حبسه فى دار مجد الدين العلوىّ رئيس همدان وفيها قتل وقيل بل سقى سمًّا فمات والله اعلم ء وارسل الى ايلدكز[2] صاحب ارّانيّة واكثر بلاد اذربيجان يستدعيه اليه ليخطب للملك ارسلان شاه الذى معه وبلغ الخبر الى اينانج[3] صاحب الرىّ فسار ينهب البلاد الى ان وصل الى همدان فتحصّن كردبازو فطلب منه اينانج[3] ان يعطيه مصافًّا فقال انا لا احاربك حتّى يصل الاتابك الاعظم ايلدكز [وسار ايلدكز][4] فى عساكره جميعها يزيد على عشرين الف فارس ومعه ارسلان شاه بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه فوصل الى همدان فلقيهم كردبازو وانزله دار المملكة وخطب لارسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد وكان ايلدكز اتابكه والبهلوان حاجبه وهو اخوه لامّه وكان هذا ايلدكز احد مماليك السلطان مسعود وامرائه فى اوّل امره فلمّا ملك اقطعه ارّان وبعض اذربيجان واتّفق الحروب والاختلاف فلم يحضر عند احد من السلاطين السلجقيّة وعظم شانه وقوى امره وتزوّج بامّ الملك ارسلان شاه فولدت له اولادا منهم البهلوان محمّد وقزل ارسلان عثمان وقد ذكرنا سبب انتقال ارسلان شاه اليه وبقى عنده الى الآن فلمّا خطب له بهمدان ارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه ايضًا وان تعاد القواعد الى ما كانت عليه ايّامَ السلطان مسعود فاعيد رسوله واعيد اليه على اقبح

---

1) اينانج 2) ايلدكر 3) ادمانج 4) C. P.

حالة . واما ايناني[1] صاحب الرى فان ايلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا
وتحالفا على الاتفاق وتزوج البهلوان ابن ايلدكز بابنة ايناني
ونقلت اليه بهمدان ✿

ذكر الحرب بين ابن اقسنقر وعسكر ايلدكز

لما استقر الصلح بين ايلدكز وايناني ارسل الى ابن اقسنقر
الاحمديلى صاحب مراغة يدعوه الى الحضور فى خدمة السلطان ارسلان
شاه فامتنع من ذلك وقال ان كففتم عنى والا فعندى سلطانٌ وكان
عنده ولد[2] محمد شاه ابن محمود كما ذكرناه وكان الوزير ابن هبيرة
قد كاتبه يطمعه فى الخطبة لولد محمود شاه فجهز ايلدكز عسكرًا مع
ولده البهلوان فبلغ الخبر الى ابن اقسنقر فارسل الى شاه ارمن صاحب خلاط
وحالفه وصارا يدًا واحدةً فسير اليه شاه ارمن عسكرًا كثيرًا واعتذر عن
تاخره بنفسه لانه فى ثغر لا يمكنه مفارقته فقوى بهم ابن اقسنقر وكثر
جمعه وسار نحو البهلوان فالتقيا على نهر اسبيرود[3] فاشتد القتال بينهم
فانهزم البهلوان اقبح هزيمة ووصل هو وعسكره الى همدان على اقبح
صورة واستامن اكثر اصحابه الى ابن اقسنقر وعاد الى بلده منصورًا ✿

ذكر الحرب بين ايلدكز وايناني

لما مات ملكشاه ابن السلطان محمود كما ذكرناه اخذ طايفة
من اصحابه ابنه محمودًا وانصرفوا به نحو بلاد فارس فخرج عليهم صاحبها
زنكى ابن دكلا السلغرى فاخذه منهم وتركه فى قلعة اصطخر فلما
ملك ايلدكز والسلطان ارسلان شاه الذى معه البلاد[4] وارسل ايلدكز
الى بغداد يطلب الخطبة للسلطان كما ذكرناه شرع الوزير عون الدين
ابو المظفر يحيى ابن هبيرة وزير الخليفة فى اثارة اصحاب الاطراف عليه
وراسل الاحمديلى وكان ما ذكرناه وكاتب زنكى ابن دكلا صاحب بلاد
فارس يبذل له ان يخطب للملك الذى عنده وهو ابن ملكشاه وعلق
الخطبة له بظفره بايلدكز فخطب ابن دكلا للملك الذى عنده وانزله

---

[1]) اساني ubique. [2]) ولده [3]) اسبيروه [4]) C. P. et 740. Ups: ارسلان الرى البلاد

من القلعة وضرب الطبل على بابه خمس نوب وجمع عساكره وكاتب ايناتج صاحب الرىّ يطلب منه الموافقة وسمع ايلدكز الخبر فحشد وجمع وكثر عسكره وجموعه فكانت اربعين الفًا وسار الى اصفهان يريد بلاد فارس وارسل الى زنكى ابن دكلا يطلب منه الموافقة ان يعود يخطب لارسلان شاه فلم يفعل وقال انّ الخليفة قد اقطعنى بلاده وانا ساير اليه فرحل ايلدكز وبلغه انّ جشيرا لارسلان بوقا وهو امير من امراء زنكى وفى اقطاعه ارّجان بالقرب منه فانفذ سريّة للغارة عليه فاتّفق انّ ارسلان بوقا عزم على تغيير الخيل التى معه لضعفها واخذ عوضها من ذلك الجشير فسار فى عسكره الى الجشير فصادف العسكر الذى سيّره ايلدكز لاخذ دوابّه فقاتلهم واخذهم وقتلهم وارسل الروس الى صاحبه فكتب بذلك الى بغداد وطلب المدد فوعد بذلك ، وكان الوزير عون الدين ابن هبيرة ايضًا قد كاتب الامراء الذين مع ايلدكز يوبّخهم على طاعته ويضعّف رايهم ويحرّضهم على مساعدة زنكى ابن دكلا واينانج ، وكان اينانج قد برز من الرىّ فى عشرة الاف فارس فارسل اليه ابن اقسنقر احمديلى خمسة الاف فارس وهرب ابن البازدار[1] صاحب قزوين وابن طغيرك وغيرهما فلحقوا باينانج وهو فى صحراء ساوة وامّا ايلدكز فانّه استشار نصحاءه فاشاروا بقصد اينانج لانّه اهمّ فرحل[2] اليه ونهب زنكى سهيرم وغيرها فردّ ايلدكز اليه اميرًا فى عشرة الاف فارس لحفظ البلاد فسار زنكى اليهم فلقيهم وقتلهم فانهزم عسكر ايلدكز اليه فتجلّد ايلدكز وارسل يطلب عساكر اذربيجان فجاءته مع ولده قزل ارسلان وسيّر زنكى ابن دكلا عسكرًا كثيرًا الى اينانج واعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة صاحب خوزستان فسار ايلدكز الى اينانج وتدانى العسكران فالتقوا تاسع شعبان وجرى بينهم حرب عظيمة اجلت عن هزيمة اينانج فانهزم اقبح هزيمة وقتلت رجاله ونُهبت امواله ودخل الرىّ وتحصّن فى قلعة طبرك وحصر ايلدكز الرىّ ثم شرع فى الصلح واقترح اينانج اقتراحات فاجابه ايلدكز اليها

---

1) البازدار 2) فدخل

واعطاه جرباذقان وغيرها وعاد ايلدكز الى همذان ، كان ينبغى ان تتاخّر هذه الحادثة والتى قبلها وانّما قدمت لتتبع اخواتها ۞

ذكر وفاة ملك الغور ومُلك ابنه محمّد

فى هذه السنة فى ربيع الاخر توفّى الملك علآء الدين الحسين ابن الحسين الغورىّ ملك الغور بعد انصرافه عن غزنة وكان عادلًا من احسن الملوك سيرةً فى رعيّته ولمّا مات ملك بعده ابنه سيف الدين محمّد واطاعه الناس واحبّوه وكان قد صار فى بلادهم جماعة من دُعاة الاسماعيليّة وكثر اتباعهم فاخرجهم[1] من تلك الديار جميعها ولم يبق فيها منهم احد وراسل الملوك وهاداهم واستمال المؤيّد اى ابه صاحب نيسابور وطلب موافقته ۞

ذكر الفتنة بنيسابور وتخريبها

كان اهل العبث والفساد بنيسابور قد طمعوا فى نهب الاموال وتخريب البيوت وفعل ما ارادوا فاذا نُهوا لم ينتهوا فلمّا كان الآن تقدّم المؤيّد اى ابه بقبض اعيان نيسابور منهم نقيب العلويّين ابو القسم زيد بن الحسن الحسينىّ وغيره وحبسهم فى ربيع الاخر سنة ستّ وخمسين وقال انتم الذين اطمعتم الرنود والمفسدين حتّى فعلوا هذه الفعال ولو اردتم منعهم لامتنعوا وقتل من اهل الفساد جماعة فخرّبت نيسابور بالكلّيّة ومن جملة ما خرب مسجد عقيل كان مجمعًا لاهل العلم وفيه خزاين الكتب الموقوفة وكان من اعظم منافع نيسابور وخرب ايضًا من مدارس الحنفيّة ثمان مدارس ومن مدارس الشافعيّة سبعة عشرة مدرسة واحرق خمس خزاين للكتب ونهب سبع خزاين كتب وبيعت بابخس الاثمان ، هذا ما امكن احصآؤه سوى ما لم يُذكر ۞

ذكر خلع السلطان محمود ونهب طوس وغيرها من خراسان

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة قصد السلطان محمود ابن محمّد الخان وهو ابن اخت السلطان سنجر وقد ذكرنا انّه ملك خراسان بعده ففى هذه السنة حصر المؤيّد صاحب نيسابور بشاذباخ وكان

---

1) فاخرجها

الغزّ مع السلطان محمود فدامت الحرب الى اخر شعبان سنة ستّ وخمسين وخمسمائة ، ثم انّ محمودًا اظهر انّه يريد دخول الحمام فدخل الى شهرستان اخر شعبان كالهارب من الغزّ واقاموا على نيسابور[1] الى اخر شوّال ثم عادوا راجعين فعاثوا فى القُرى ونهبوها ونهبوا طوس نهبًا فاحشًا وحصروا المشهد الذى لعلىّ ابن موسى وقتلوا كثيرا ممّن فيه ونهبوهم ولم يعرضوا للقبّة التى فيها القبر ، فلمّا دخل السلطان محمود الى نيسابور امهله المؤيّد الى ان دخل رمضان من سنة سبع وخمسين وخمسمائة واخذه وكحله واعماه واخذ ما كان معه من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة وكان يخفيها خوفًا عليها من الغزّ لمّا كان معهم وقطع المؤيّد خطبته من نيسابور وغيرها ممّا هو فى تصرّفه وخطب لنفسه بعد الخليفة المستنجد بالله واخذ ابنه جلال الدين محمّدًا الذى كان قد ملّكه الغزّ امرهم قبل ابيه وقد ذكرنا ذلك وسمله[2] ايضًا وسجنهما ومعهما جواريهما وحشمهما وبقيا فيها فلم تطل ايّامهما ومات السلطان محمود ثم مات ابنه بعده من شدّة وجده لموت ابيه والله اعلم ۞

ذكر عمارة شاذياخ نيسابور

كانت شاذياخ قد بناها عبد الله بن طاهر بن الحسين لمّا كان اميرًا على خراسان للمامون وسبب عمارتها انّه رأى امراة جميلة تقود فرسًا تريد سقيه فسالها عن زوجها فاخبرتْه به فاحضره وقال له خدمة الخيل بالرجال اشبه فلم تقعد انت فى دارك وترسل امراتك مع فرسك فبكى الرجل وقال له ظلمك يحملنا على ذلك فقال وكيف قال لانّك تنزل الجند معنا فى دورنا فان خرجتُ انا وزوجتى بقى البيت فارغا فياخذ الجندىّ ما لنا فيه وان سقيتُ انا الفرس فلا امن على زوجتى من الجندىّ فرايتُ ان اقيم فى البيت وتخدم زوجتى الفرس فعظم الامر عليه وخرج من البلد لوقته ونزل فى الخيام وامر الجند فخرجوا من دور الناس وبنى شاذياخ دارًا له ولجنده وسكنها وهم معه ثم انّها دثرت بعد

---

1) C. P. et 740. Ups.: بنيسابور

2) وشمله

ذلك فلمّا كان ايّام السلطان الب ارسلان ذكرت له هذه القصّة فامر بتجديدها ثمّ انّها تشعّثت بعد ذلك فلمّا كان الآن وخربت نيسابور ولم يمكن حفظها والغزّ تطرق البلاد وتنهبها امر المؤيّد حينئذ بعمل سورها وسدّ ثلمه وسكناه ففعل ذلك وسكنها هو والناس معه وخربت حينئذ نيسابور كلّ خراب ولم يبق فيها اثنان ۞

ذكر قتل الصالح ابن رزّيك ووزارة ابنه رزّيك

فى هذه السنة فى شهر رمضان قتل الملك الصالح ابو الغارات طلايع ابن رزّيك الارمنىّ وزير العاضد العلوىّ صاحب مصر وكان سبب قتله انّه تحكّم فى الدولة التحكّم العظيم واستبدّ بالامر والنهى وجباية الاموال اليه لصغر العاضد ولانّه هو الذى ولّاه ووتر الناس فانّه اخرج كثيرًا من اعيانهم وفرّقهم فى البلاد ليامن وثوبهم عليه ثمّ انّه زوّج ابنته من العاضد فعاداه ايضًا الحرم من القصر فارسلت عمّة العاضد الاموال الى امرآء المصريّين ودعتهم الى قتله وكان اشدّهم عليه فى ذلك انسان يقال له ابن الداعى فوقفوا له فى دهليز القصر فلمّا دخل ضربوه بالسكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة الّا انّه حمل الى داره وفيه حياة فارسل الى العاضد يعاتبه على الرضى بقتله مع اثره فى خلافته فاقسم العاضد انّه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال ان كنت بريًّا فتسلّم عمّتك الىّ حتّى انتقم منها فامر باخذها فارسل اليها فاخذها قهرًا واحضرت عنده فقتلها ووصى بالوزارة ابنه رزّيك ولُقّب العادل فانتقل الامر اليه بعد وفاة ابيه وللصالح اشعار حسنة بليغة تدلّ على فضل غزير فمنها فى الافتخار

ابى الله الّا ان يديم لنا الدهر	ويخدمنا فى ملكنا العزّ والنصر
علمنا بانّ المال تفنى الوفه	ويبقى لنا من بعده الاجر والذكر
خلطنا الندى بالباس حتّى كانّنا	سحاب لديه البرق والرعد والقطر
قرانا اذا رحنا الى الحرب مرّة	قرانا ومن اضيافنا الذيب والنسر
كما انّنا فى السلم نبذل جودنا	ونرتع فى انعامنا العبد والحرّ

وكان الصالح كريمًا فيه ادب له شعر جيّد وكان لاهل العلم عنده اتّفاق ويرسل اليهم العطا الكثير بلغه انّ الشيخ ابا محمّد ابن

الدهّان النحوىّ البغدادىّ المقيم بالموصل قد شرح بيتًا
من شعره وهو هذا

تجنّب سمعى ما يقول العواذل   واصبح لى شغل من الغزو شاغل

فجهّز اليه هديّة سنيّة ليرسلها اليه فقتل قبل ارسالها وبلغه ايضا
ان انسانًا من اعيان الموصل قد اثنى عليه بمكّة فارسل اليه كتابا يشكره
ومعه هديّة وكان الصالح اماميًا لم يكن على مذهب العلويّين
المصريّين ولمّا ولى العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجّة عظيمة فقال
ما الخبر فقيل انّهم يفرحون بالخليفة فقال كانّى بهاولآء الجهلة وهم يقولون
ما مات الاوّل حتّى استخلف هذا وما علموا انّى كنت من ساعة
استعرضهم استعراض الغنم* قال عمارة دخلت الى الصالح قبل قتله
بثلاثة ايّام فناولنى قرطاسًا فيه بيتان من شعر وهما

نحن فى غفلة ونوم وللموت   عيون يقظانة لا تنامُ

قد رحلنا الى الحمام سنينًا   ليت شعرى متى يكون الحمامُ

فكان اخر عهدى به وقال عمارة ايضا ومن عجيب الاتّفاق انّى
انشدته ابنه قصيدة اقول فيها

ابوك الذى تسطوا الليالى بحدّه   وانت يمين ان سطا وشمالُ

لرتبته العظمى وان طال عمره   اليك مصير واجب ومنالُ

تخالصك اللحظ المصون ودونها   حجاب شريف لا انقضا وحجالُ

فانتقل الامر اليه بعد ثلاثة ايّام*

ذكر الحرب بين العرب وعسكر بغداد

فى هذه السنة فى شهر رمضان اجتمعت خفاجة الى الحلّة والكوفة
وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر وغير ذلك فمنعهم امير الحجّ ارغش
وهو مقطع الكوفة ووافقه على منعه الامير قيصر شحنة الحلّة وهما من
مماليك الخليفة فافسدت خفاجة ونهبوا سواد الكوفة والحلّة فسرا اليهم
الامير قيصر شحنة الحلّة فى مائتين وخمسين فارسًا وخرج اليه ارغش فى
عسكر وسلاح فانتزحت خفاجة من بين ايديهم وتبعهم العسكر الى رحبة
الشام فارسل خفاجة يعتذرون ويقولون قد قنعنا بلبن الابل وخبز
الشعير وانتم تمنعونا رسومنا وطلبوا الصلح فلم يجبهم ارغش وقيصر وكان

قد اجتمع مع خفاجة كثير من العرب فتصدّقوا واقتتلوا وارسلت العرب طايفة الى خيام العسكر ورحالهم فحالوا بينهم وبينها وحمل العرب حملة منكرة فانهزم العسكر وقُتل كثير منهم وقُتل الامير قيصر وأُسرت جماعة اخرى وجرح امير الحاجّ جراحة شديدة ودخل الرحبة فحماه شحنتها واخذ له الامان وسيّره الى بغداد ومَن نجا مات عطشًا في البرّيّة وكان امآء العرب يخرجن بالمآء يسقين الجرحى فاذا طلبه منهنّ احد من العسكر اجهزن عليه وكثر النوح والبكآء ببغداد على القتلى وتجهّز الوزير عون الدين ابن هبيرة والعساكر معه فخرج في طلب خفاجة فدخلوا البرّيّة وخرجوا الى البصرة ولمّا دخلوا البرّ عاد الوزير الى بغداد وارسل بنو خفاجة يعتذرون ويقولون بُغى علينا وفارقنا البلاد فتبعونا واضطررنا الى القتال وسالوا العفو عنهم فاجيبوا الى ذلك ۞

ذكر حصر المؤيّد شارستان

في هذه السنة حصر المؤيّد اى ابه مدينة شارستان قريب نيسابور وقاتله اهلها ونصب المجانيق والعرادات فصبر اهلها خوفًا على انفسهم من المؤيّد ٥ وكان معه جلال الدين المؤيّد الموفقيّ الفقيه الشافعيّ فبينما هو راكب اذ وصل اليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الاخرة من السنة وتدّى الحجر منه الى شيخ من شيوخ بيهق فقتله فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على اهل العلم خصوصًا اهل السنّة والجماعة وكان في عنوان شبابه رحمه الله لمّا قُتل ٥ ودام الحصار الى شعبان سنة سبع وخمسين وخمسماية فنزل خواجكي صاحبها بعد ما كثر القتل ودام الحصر وكان لهذه القلعة ثلاثة روسآءهم ارباب النهى والامر وهم الذين حفظوها وقاتلوا عنها احدهم خواجكي هذا والثاني داعي ابن محمّد ابن اخي حرب العلويّ والثالث الحسين ابن ابي طالب العلويّ الفارسيّ فنزلوا كلّهم ايضًا الى المؤيّد اى ابه فيمن معهم من اشياعهم واتباعهم فامّا خواجكي فانّه أُثبت عليه انّه قتل زوجته ظلمًا وعدوانًا واخذ مالها فقُتل بها وملك المؤيّد شارستان وصفتْ له فنهبها عسكره الّا انّهم لم يقتلوا امراة ولا سبوها ۞

ذكر مُلك الكُرج مدينة انى[1]

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكُرج مع ملكهم وساروا الى مدينة انى من بلاد ارّان وملكوها وقتلوا فيها خلقا كثيرًا فانتدب لهم شاه ارمن ابن ابرهيم بن سكمان صاحب خلاط وجمع العساكر واجتمع معه من المتطوّعة خلق كثير وسار اليهم فلقوه وقتلوه فانهزم المسلمون وقُتل اكثرهم وأُسر كثير منهم وعاد شاه ارمن مهزومًا لم يرجع معه غير اربع مايّة فارس من عسكره ❊

ذكر ولاية عيسى مكّة حرسها الله تعالى

كان امير مكّة هذه السنة قاسم بن فُليتة بن قاسم بن ابى هاشم العلوىّ الحسينىّ فلمّا سمع بقرب الحجاج من مكّة صادر المجاورين واعيان اهل مكّة واخذ كثيرًا من اموالهم وهرب من مكّة خوفًا من امير الحاجّ ارغش وكان قد حجّ هذه السنة زين الدين علىّ ابن بكتكين صاحب جيش الموصل ومعه طايفة صالحة من العسكر فلمّا وصل امير الحاجّ الى مكّة رتّب مكان قاسم بن فُليتة عمّه عيسى بن قسم بن هشم فبقى كذلك الى شهر رمضان ثم انّ قاسم ابن فليتة جمع جمعًا كثيرا من العرب اطمعهم فى مال له بمكّة فاتبعوه فسار بهم اليها فلمّا سمع عمّه عيسى فارقها ودخلها قاسم فاقام بها اميرًا ايّامًا ولم يكن له مال يوصله الى العرب ثم انّه قتل قايدًا كان معه احسن السيرة فتغيّرت نيّات اصحابه عليه وكاتبوا عمّه عيسى فقدم عليهم فهرب وصعد جبل فيبس فسقط عن فرسه فاخذه اصحاب عيسى وقتلوه فعظم عليه قتله فاخذه وغسّله ودفنه بالمعلى عند ابيه فليتة واستقرّ الامر بعده لعيسى والله اعلم ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة سار عبد المومن ابن علىّ الى جبل طارق وهو على ساحل الخليج ممّا يلى الاندلس فعبر المجاز اليه وبنى عليه مدينة حصينة واقام بها عليه عدّة شهور وعاد الى مرّاكش ، وفيها فى المحرّم ورد نيسابور جمع كثير من تركمان بلاد فارس ومعهم اغنام كثيرة

---

[1]) Ubique اى

للتجارة فباعوها واخذوا الثمن ونزلوا على مرحلتَيْن من طابس كُلكلى[1] وباتوا هناك فنزل اليهم الاسماعيليّة وكبسوهم ليلًا ووضعوا السيف فيهم فقتلوا واكثروا ولم ينجُ منهم الّا الشريد وغنم الاسماعيليّة جميع ما معهم من مال وعروض وعادوا الى قلاعهم، وفيها كثرت الامطار فى اكثر البلاد ولا سيّما خراسان فانّ الامطار توالت فيها من العشرين من المحرّم الى منتصف صفر لم تنقطع ولا راى الناس فيها شمسًا، وفيها كان بين الكُرج وبين الملك صلتق ابن علىّ صاحب ارزن الروم قتال وحرب انهزم فيه صلتق وعسكره وأُسر هو وكانت اخته شاه بانوارْ قد تزوّجها شاه ارمن بن سكمان بن ابرهيم بن سكمان صاحب خلاط فارسلت الى ملك الكرج[2] هدية جليلة المقدار وطلبت منه ان يفاديها باخيها فاطلقه فعاد الى مُلكه، وفيها قصد صاحب صيدا من الفرنج نور الدين محمود صاحب الشام ملتجيًا اليه فامّنه وسيّر معه عسكرًا يمنعه من الفرنج ايضًا فظهر عليهم فى الطريق كمين للفرنج فقتلوا من المسلمين جماعة وانهزم الباقون، وفيها ملك قرا ارسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتّان[3] وكانت لطايفة من الاكراد يقال لهم الجونيّة فلمّا ملكها خرّبها واضاف ولايتها الى حصن طالب، وفيها توفّى الكمال حمزة بن علىّ بن طلحة صاحب المخزن كان جليل القدر ايّام المسترشد بالله وولى المقتفى وبنى مدرسة لاصحاب الشافعىّ بالقرب من داره ثمّ حجّ وعاد قد لبس الفوط وزىّ الصوفيّة وترك الاعمال فقال بعض الشعرآء فيه

يا عضد الاسلام يا مَن سمت الى العلا همّته الفاخرهْ
كانت لك الدنيا فلم ترضها مُلكًا فاخلدتَ الى الاخرهْ

وبقى منقطعًا فى بيته عشرين سنة ولم يزل محترمًا يغشاه الناس كافّة ❊

ثمّ دخلت سنة سبع وخمسين وخمسماية، سنة ٥٥٧

ذكر فتح المؤيّد طوس وغيرها

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من صفر نازل المؤيّد اى ابه ابا بكر جاندار بقلعة وسكره خوى[4] من طوس وكان قد تحصّن بها

1) طابس كنكلى 2) الروم 3) ساتان 4) C. P.: وسكره حوس 740: وسكرة حوش

وهى حصينة منيعة لا ترام فقاتله واعانه اهل تنوس على ابى بكر لسوء سيرته كانت فيهم وظلمه فلمّا راى ابو بكر ملازمة المؤيّد ومواصلة القتال عليه خضع وذلّ ونزل من القلعة بالامان فى العشرين من ربيع الاوّل من السنة فلمّا نزل منها حبسه المؤيّد وامر بتعبيدها ، ثم سار منها الى كرستان وصاحبها ابو بكر فاخر فنزل من قلعته وهى من امنع الحصون على رأس جبل عالٍ وصار فى طاعة المؤيّد ودان له ووافقه ، وسيّر جيشًا فى جمادى الاخرة منها الى اسفرائين فتحصّن رئيسها عبد الرحمن بن محمّد بن علىّ الحاجّ بالقلعة وكان ابوه كريم خراسان على الاطلاق ولكن كان هذا عبد الرحمن بئيس الخلق فلمّا تحصّن احدق به العسكر المؤيّدى واستنزلوه من الحصن وحملوه مقيّدًا الى شاذياخ وحبس بها وقيل فى ربيع الاخر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وملك المؤيّد ايضًا قهندز[1] نيسابور واستدارت مملكة المؤيّد حول نيسابور وعادت الى ما كانت عليه قبل الّا انّ اهلها انتقلوا الى شاذياخ وخربت المدينة العتيقة ، وسيّر المؤيّد جيشًا الى خوّاف وبها عسكر مع بعض الامراء اسمه ارغش فكمن ارغش جمعًا فى تلك المضايق والجبال وتقدّم الى عسكر المؤيّد فقاتلهم وطلع الكمين فانهزم عسكر المؤيّد وقتل منهم جمع وعاد الباقون الى المؤيّد بنيسابور ، وسيّر جيشًا الى بوشنج[2] هراة وهى فى طاعة الملك محمّد ابن الحسين الغورىّ فحصروها واشتدّ الحصار عليها ودام القتال والزحف فسيّر الملك محمّد الغورىّ جيشًا اليها ليمنع عنها فلمّا قاربوا هراة فارقها العسكر الذى بحصرها وعدوا عنها وصفت تلك الولاية للغوريّة ٭

ذكر اخذ ابن مردنيش[3] غرناطة من عبد المؤمن وعودها اليه

فى هذه السنة ارسل اهل غرناطة من بلاد الاندلس وهى لعبد المؤمن الى الامير ابرهيم بن همشك صهر ابن مردنيش[3] فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قد وحّد وصار من اصحاب عبد المؤمن وفى طاعته وممّن يحرّضه على قصد ابن مردنيش[3] فلمّا وصل اليه رسل

---

1) قبدر 2) بوسنج 3) مردنيس

اهل غرناطة سار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر ابا سعيد عثمان ابن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذى كان عنده وتوجّه الى غرناطة لنصرة مَن فيها من اصحابهم فعلم بذلك ابرهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش[1] ملك البلاد بشرق الاندلس فارسل اليه الفَىْ فارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحى غرناطة فالتقوا هم ومَن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول ابى سعيد اليهم فاشتدّ القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم ابو سعيد واقتتلوا ايضًا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجّالة والاجلاد حتّى قُتلوا عن اخرهم وانهزم حينئذ ابو سعيد ولحق بمالقة ، وسمع عبد المؤمن الخبر وكان قد سار الى مدينة سلا فسيّر فى الحال ابنه ابا يعقوب يوسف فى عشرين الف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ المؤحّدين فجدّوا المسير فبلغ ذلك ابن مردنيش[1] فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش[1] فى الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذى امر به ابن همشك أوّلاً وهم الفا فارس بظاهر القلعة الحمرآء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمرآء فيمن معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فاقاموا فى سفحه ايّامًا ثم سيّروا سرية اربعة الاف فارس فبيّتوا العسكر الذى بظاهر القلعة الحمرآء وقاتلوهم من جهاتهم فما لحقوا يركبون فقتلوهم عن اخرهم واقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحى غرناطة فعلم ابن مردنيش[1] وابن همشك انّهم لا طاقة لهم بهم ففرّوا فى الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى المؤحّدون على غرناطة فى باقى السنة المذكورة وعاد عبد المؤمن من مدينة سلا الى مرّاكش ❊

ذكر حصر نور الدين حارم

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الشام العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وهى للفرنج غربىّ حلب

1) مردنيس

فحصرها وجدّ فى قتالها فامتنعت عليه بحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجّالهم وشجعانهم فلمّا علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم وراجلهم من ساير البلاد وحشدوا واستعدّوا وساروا نحوه ليرحّلوه عنها فلمّا قاربوه طلب منهم المصافّ فلم يجيبوه اليه وراسلوه وتلطّفوا الحال معه فلمّا راى انّه لا يمكنه اخذ الحصن ولا يجيبونه الى المصافّ عاد الى بلاده ، وممّن كان معه فى هذه الغزوة مؤيّد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ[1] الكنانىّ وكان من الشجاعة فى الغاية فلمّا عاد الى حلب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله فى العام الماضى سايرًا الى الحجّ فلمّا دخله الآن كتب على حايطه

لك الحمد يا مولاى كم لك منّةً ... علىّ وفضلًا لا يحيط به شكرى

نزلتُ بهذا المسجد العام قافلًا ... من الغزو موفور النصيب من الاجر

ومنه رحلت العيش فى عامى الذى ... مضى نحو بيت الله والركن والحجر

فادّيت مفروضى واسقطتَ ثقل ما ... تحمّلتُ من وزر الشبيبة عن ظهرى ❁

ذكر مُلك الخليفة قلعة الماهكى

فى هذه السنة فى رجب ملك الخليفة المستنجد بالله قلعة الماهكى وسبب ذلك انّ سنقر الهمدانىّ صاحبها سلّمها الى احد مماليكه ومضى الى همدان فضعف هذا المملوك عن مقاومة ما حولها من التركمان والاكراد فاشير عليه ببيعها من الخليفة فراسل فى ذلك فاستقرّ خمسة عشر الف دينار وسلاح وغير ذلك من الامتعة وعدّة من القُرى فسلّمها وتسلّم ما استقرّ له واقام ببغداد وهذه القلعة لم تزل من[2] ايّام المقتدر بالله بايدى التركمان والاكراد والى الآن ❁

ذكر الحرب بين المسلمين والكُرج

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكُرج فى خلق كثير يبلغون ثلاثين الف مقاتل ودخلوا بلاد الاسلام وقصدوا مدينة دُوين اذربيجان فملكوها ونهبوها وقتلوا من اهلها وسوادها نحو عشرة الاف قتيل واخذوا النسآء سبايا واسروا كثيرًا واعرَوا النسآء وقادوهنّ حُفاة عُراة واحرقوا

---

1) منقد 2) فى

الجامع والمساجد فلمّا وصلوا الى بلادهم انكر نسآء الكرج ما فعلوا بنسآء المسلمين وقلن لهم قد احوجتم المسلمين يفعلون بنا مثل ما فعلتم بنسآيهم وكسونهنّ ❊ ولمّا بلغ الخبر الى شمس الدين ايلدكز[1] صاحب اذربيجان والجبل واصفهان جمع عساكره وحشدها وانضاف اليه شاه ارمن بن سكمان[2] القطبى صاحب خلاط وابن اقسنقر صاحب مراغة وغيرها فاجتمعوا فى عسكر كثير يزيدون على خمسين الف مقاتل وساروا الى بلاد الكرج فى صفر سنة ثمان وخمسين ونهبوها وسبوا النسآء والصبيان واسروا الرجال ولقيهم الكرج واقتتلوا اشدّ قتال صبر فيه الفريقان ودامت الحرب بينهم اكثر من شهر وكان الظفر للمسلمين فانهزم الكرج وقُتل منهم كثير وأُسر كذلك وكان سبب الهزيمة انّ بعض الكرج حضر عند ايلدكز[3] فاسلم على يديه وقال له تعطينى عسكرًا حتّى اسير بهم فى طريق اعرفها واجئ الى الكرج من ورآيهم وهم لا يشعرون فاستوثق منه وسيّر معه عسكرًا وواعده يومًا يصل فيه الى الكرج فلمّا كان ذلك اليوم قاتل المسلمون الكرج فبينما هم فى القتال وصل ذلك الكرجىّ الذى اسلم ومعه العسكر وكبّروا وحملوا على الكرج من ورآيهم فانهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من اموالهم ما لا يدخل تحت الاحصآء لكثرته فانّهم كانوا متيقنين الظفر لكثرتهم فخيّب الله ظنّهم وتبعهم المسلمون يقتلون وياسرون ثلاثة ايّام بلياليها وعاد المسلمون منصورين ظاهرين ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة وصل الحجاج الى منى ولم يتم الحجّ لاكثر الناس لصدّهم عن دخول مكّة والطواف والسعى فمن دخل يوم النحر مكّة /طاف وسعى كمل/ ومن تاخّر عن ذلك مُنع دخول مكّة لفتنة جرت بين امير الحاجّ وامير مكّة كان سببها انّ جماعة من عبيد مكّة افسدوا فى الحاجّ بمنى فنفر عليهم بعض اصحاب امير الحاجّ فقتلوا منهم جماعة ورجع من سلم الى مكّة وجمعوا جمعًا واغاروا على جمال الحاجّ واخذوا منها

---

1) الدكز 2) شكمان 3) ايلدكر

قريبًا من الف جمل فنادى امير الحاجّ فى جنده، فركبوا بسلاحهم ووقع القتال بينهم فقتل جماعة ونهب جماعة من الحاجّ واهل مكّة فرجع امير الحاجّ ولم يدخل مكّة ولم يقم بالزاهر غير يوم واحد وعاد كثير من الناس رجّالة لقلّة الجمال ولقوا شدّة ، وممّن حجّ هذه السنة جدّتنا امّ ابينا ففاتها الطواف والسعى فاستفتت لها الشيخ الامام ابو القاسم بن البرزىّ فقال تدوم على ما بقى عليها من احرامها وان اختارت تفدى وتحلّ من احرامها الى قابل وتعود الى مكّة فتطوف وتسعى فتحمل الحجّة الاولى ثم تحرم احرامًا ثانيًا وتعود الى عرفات فتقف وترمى الجمار وتطوف وتسعى فتصير لها حجّة ثانية فبقيت على احرامها الى قابل وحجّت وفعلت كما قال فتمّ حجّها الاوّل والثانى ، وفيها نزل بخراسان برد كثير عظيم المقدار اواخر نيسان وكان اكثره بجوين ونيسابور وما والاها فاهلك الغلّات ثم جاء بعده مطر كثير دام عشرة ايّام ، وفيها فى جمادى الاخرة وقع الحريق ببغداد احترق سوق الطيوريّين والدور التى تليه مقابله الى سوق الصُفر الجديد[1] والخان الذى فى الرحبة ودكاكين البزوريّين وغيرها ، وفيها توفّى الدبا الصباحىّ صاحب أَلْمُوت مقدّم الاسماعيليّة وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة واعاد هو ومن معه الصلوات وصيام شهر رمضان وارسلوا الى قزوين يطلبون من يصلّ بهم ويعلمهم حدود الاسلام فارسلوا اليهم ، وفيها فى رمضان درّس شرف الدين يوسف الدمشقىّ فى المدرسة النظاميّة ببغداد وكان مُدرّسًا بمدرسة ابى حنيفة وكان موته فى ذى القعدة ، وفيها توفّى صدقة ابن وزير الواعظ ، وفيها فى المحرّم توفّى الشيخ عدى بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكاريّة من اعمال الموصل وهو من الشام من بلد بعلبكّ فانتقل الى الموصل وتبعه اهل سواد والجبال بتلك النواحى واطاعوه وحسّنوا الظنّ فيه وهو مشهور جدًّا ::

---

1) الحديد

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسماية سنة

ذكر وزارة شاور للعاضد بمصر ثم وزارة الضرغام بعده

في هذه السنة في صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوي [صاحب مصر وكان ابتداء امره ووزارته انه كان يخدم الصالح][1] ابن رزيك ونزمه فاقبل عليه الصالح وولاه الصعيد وهو اكبر الاعمال بعد الوزارة فلما ولى الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة وتقدم زايد واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم فعسر امره على الصالح ولم يمكنه عزله فاستدام استعماله لئلا يخرج عن طاعته، فلما جرح الصالح كان من جملة وصيته لولده العادل انه لا يغير على شاور فانني انا اقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكني عزله فلا تغيروا ما به فيكون لكم منه ما تكرهون، فلما توفي الصالح من جراحته وولى ابنه العادل الوزارة حسن له اهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه منه ان اقره على عمله فارسل اليه بالعزل فجمع جموعا كثيرة وسار الى القاهرة بهم فهرب منه العادل ابن الصالح بن رزيك فاخذ وقتل فكانت مدة وزارته ووزارة ابيه قبله تسع سنين وشهرا واياما وصار شاور وزيرا وتلقب بامير الجيوش واخذ اموال بنى رزيك وودايعهم وذخايرهم واخذ منه ايضا طى والكامل ابنا شاور شيا كثيرا وتفرق كثير منها وجحد وظهرت عليهم انتقال الدولة عن شاور والمصريين الى الاتراك ثم ان الضرغام جمع جموعا كثيرة ونازع شاور فى الوزارة فى شهر رمضان وظهر امره وانهزم شاور منه الى الشام على ما نذكره سنة تسع وخمسين وخمسماية وصار ضرغام وزيرا كان هذه السنة ثلاثة وزرآء العادل ابن رزيك وشاور وضرغام فلما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا من الامرآء المصريين لتخلوا له البلاد من منازع فضعفت الدولة بهذا السبب حتى خرجت البلاد عن ايديهم ❊

ذكر وفاة عبد المومن وولاية ابنه يوسف

فى هذه السنة فى العشرين من جمادى الاخرة توفى عبد المومن بن على صاحب بلاد المغرب وافريقية والاندلس وكان قد سار من مراكش

[1]) C. P.

الى سلا فمرض بها ومات ولمّا حضره الموت جمع شيوخ الموحّدين من اصحابه وقال لهم قد جرّبت ابنى محمّدًا فلم اره يصلح لهذا الامر وانّما يصلح له ابنى يوسف وهو اولى بها فقدّموه ووصّاهم به وبايعوه ودُعى بامير المومنين وكتموا موت عبد المؤمن وحُمل من سلا فى محفّة بصورة مريض الى ان وصل الى مرّاكش وكان ابنه ابو حفص فى تلك المدّة حاجبًا لابيه فبقى مع اخيه على مثل حاله مع ابيه يخرج فيقول للناس امير المومنين امر بكذا ويوسف يقعد مقعد ابيه الى ان تملت المبايعة له فى جميع البلاد واستقرّت قواعد الامور له ثمّ اشهر موت ابيه عبد المؤمن فكانت ولايته ثلاثة وثلاثين سنة وشهورًا وكان عاقلًا حازمًا سديد الراى حسن السياسة للامور كثير البذل للاموال الّا انّه كان كثير السفك لدمآء المسلمين على الذنب الصغير وكان يعظّم امر الدين ويقوّيه ويُلزم الناس فى ساير بلاده بالصلاة ومَن رءاه وقت الصلاة غير مصلّ قُتل وجمع الناس بالغرب على مذهب مالك فى الفروع وعلى مذهب ابى الحسن الاشعرىّ فى الاصول وكان الغالب على مجلسه اهل العلم والدين المرجع اليهم والكلام معهم ولهم ٭

ذكر مُلك المؤيّد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان

فى هذه السنة سار المؤيّد اى ابه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان واستناب بقومس مملوكه تنكز[1] فأقام تنكز بمدينة بسطام فجرى بين تنكز وبين شاه مازندران اختلاف أدّى الى الحرب فجمع كلّ منهما عسكره والتقوا اوايل ذى الحجّة فى هذه السنة واقتتلوا فانهزم عسكر مازندران وأُخذت اسلابهم وقُتل منهم طايفة كبيرة ٭ ولمّا ملك المؤيّد بلاد قومس ارسل اليه السلطان ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه خلعًا نفيسةً وأَلْوية معقودة وهدية جليلة وامره ان يهتمّ بالمهمات بلاد خراسان ويتولّى ذلك اجمع وان يخطب له فلبس المؤيّد الخلع فخطب له فى البلاد التى فى يده ٭ وكان السبب فى هذا اتابك شمس الدين ايلدكز فانّه كان هو الذى

---

1) تنكز ubique.

يحكم فى مملكة ارسلان وليس لارسلان غير الاسم وكان بين ايلدكز وبين المؤيّد مودّة ذكرناها عند قتل المؤيّد ، فلمّا اتباع المؤيّد للسلطان ارسلان خطب له ببلاده وهى قومس ونيسابور وطوس واعمال نيسابور جميعها ومن نسا الى طبس كنكلى وكان يخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطبة فى جرجان ودهستان لخوارزم شاه بن ارسلان بن اتسز[1] وبعده للامير ايثاق وكانت الخطبة فى مرو وبلخ وهراة وسرخس وهذه البلاد بيد الغزّ الّا هراة فانّها بيد الامير اينكين وهو مسالم للغزّ فكانوا يخطبون للسلطان سنجر فيقولون اللهمّ اغفر للسلطان السعيد المبارك سنجر وبعده للامير الذى هو الحاكم فى تلك البلاد ❀

ذكر قتل الغزّ ملك الغور

فى هذه السنة فى رجب قُتل سيف الدين محمّد ابن الحسين الغورىّ ملك الغور قتله الغزّ وسبب ذلك انّه جمع عساكره وحشد فاكثر وسار من جبال الغور يريد الغزّ وهم ببلخ واجتمعوا وتقدّموا اليه فاتّفق انّ ملك الغور خرج من معسكره فى جماعة من خاصّته جريدة فسمع به امراء الغزّ فساروا يطلبونه مجدّين قبل ان يعود الى معسكره فاوقعوا به فقاتلهم اشدّ قتال رءاه الناس فقُتل ومعه نفر ممّن كان معه واسر طايفة وهربت طايفة فلحقوا بمعسكرهم وعادوا الى بلادهم منهزمين لا يقف الاب على ابنه ولا الاخ على اخيه وتركوا كلّ ما معهم بحاله ونجوا بنفوسهم فكان عمر ملك الغور لمّا قُتل نحو عشرين سنة وكان عادلًا حسن السيرة فى عدله وخوفه عاقبة الظلم انّه حاصر اهل هراة فلمّا ملكها اراد عسكره ان ينهبوها فنزل على درب المدينة واحضر الاموال والثياب فاعطى جميع عسكره منها وقال هذا خيرٌ من ان تنهبوا اموال المسلمين وتسخطوا الله تعالى فانّ المُلك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم ، ولمّا قُتل عاد الغزّ الى بلخ ومرو وقد غنموا شيئًا كثيرًا من العسكر الغورىّ لانّ اهله تركوه ونجوا ❀

---

[1] اتسز (

ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج

في هذه السنة انهزم نور الدين محمود ابن زنكى من الفرنج تحت حصن الاكراد وهي الوقعة المعروفة بالبقيعة تحت حصن الاكراد محاصرا له وعازمًا على قصد طرابلس ومحاصرتها فبينما الناس يومًا في خيامهم وسط النهار لم يرعهم الّا ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذي عليه حصن الاكراد وذلك انّ الفرنج اجتمعوا واتّفق رايهم على كبسة المسلمين نهارًا فانّهم يكونون[1] امنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقّفوا حتّى يجمعوا عساكرهم وساروا مجدّين فلم يشعر بذلك المسلمون الّا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك فارسلوا الى نور الدين يعرّفونه الحال فرهقهم الفرنج بالحملة فلم يثبت المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج في ظهورهم فوصلوا معًا الى العسكر النورىّ فلم يتمكّن المسلمون من ركوب الخيل واخذ السلاح الّا وقد خالطوهم فاكثروا القتل والاسر وكان اشدّهم على المسلمين الدوقس الرومىّ فانّه كان قد خرج من بلاده الى الساحل في جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين في زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا خيمة نور الدين وقد ركب فرسه ونجا بنفسه ولسرعته ركب الفرس والشبحة في رجله فنزل انسان كردىّ قطعها فنجا نور الدين وقُتل الكردىّ فاحسن نور الدين الى مخلّفيه ووقف عليهم الوقوف ونزل نور الدين على بحيرة قدس[2] بالقرب من حمص وبينه وبين المعركة اربع فراسخ وتلاحق به من سلم من العسكر وقال له بعضهم ليس من الراى ان تقيم ههنا فانّ الفرنج ربّما حملهم الطمع على المجى الينا فنوخذ ونحن على هذا الحال فوبّخه واسكته وقال اذا كان معى الف فارس لقيتُهم ولا ابالى بهم ووالله لا استظل بسقف حتّى اخذ بثارى وثار الاسلام ثمّ ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فاعطى اللباس عوض ما أُخذ منهم جميعه بقولهم فعاد العسكر كأن لم تُصبه هزيمة وكلّ من قُتل اعطى اقطاعه لاولاده ✻ واما الفرنج فانّهم كانوا عازمين على

---

1) يكون 2) قدس

فقصد حمص بعد الهزيمة لانّها اقرب البلاد اليهم فلمّا بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الّا وعنده قوّة يمنعنا بها ولمّا راى اصحاب نور الدين كثرة خرجه قال له بعضهم انّ لك فى بلادك ادرارات وصدقات كثيرة على الفقهآء والفقرآء والصوفيّة والقرآء فلو استعنت فى هذا الوقت لكان اصلح فغضب من ذلك وقال والله انى لا ارجوا النصر الّا باوليك فانّما ترزقون وتنصرون بضعفآيكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عنّى وانا نايم على فراشى بسهام لا تخطى واصرفها الى مَن لا يقاتل عنّى الّا اذا رانى بسهام قد تصيب وقد تخطى وهولآء القوم لهم نصيب فى بيت المال كيف يحلّ لى ان اعطيه غيرهم ٠ ثم انّ الفرنج راسلوا نور الدين يطلبوا منه الصلح فلم يجبهم وتركوا عند حصن الاكراد مَن يحميه وعادوا الى بلادهم ☆

ذكر اجلا بنى اسد من العراق

فى هذه السنة امر الخليفة المستنجد بالله باهلاك بنى اسد اهل الحلّة المزيديّة لما ظهر من فسادهم ولما كان فى نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمّدًا لمّا حصر[1] بغداد فامر يزدن بن قماج بقتالهم واجلآيهم من البلاد وكانوا منبسطين فى البطايح والللزر[2] فلا يقدر عليهم فتوجّه يزدن اليهم وجمع عساكر كثيرة من فارس وراجل وارسل الى ابن معروف مقدّم المُنْتَفِق[3] وهو بارض البصرة فجآء فى خلق كثير وحصرهم وسكر عنهم المآء وصابرهم مدّة فارسل الخليفة يعتب على يزدن وبعاجزه وينسبه الى موافقته فى التشيّع وكان يزدن يتشيّع فجدّ هو وابن معروف فى قتالهم والتضييق عليهم وسدّ مسالكهم فى المآء فاستسلموا حينيذ فقُتل منهم اربعة الاف قتيل ونودى فيمن بقى مَن وُجد بعد هذا فى الحلّة المزيديّة فقد حلّ دمه فتفرّقوا فى البلاد ولم يبق منهم بالعراق مَن يُعرف وسلّمت بطايحهم الى ابن معروف وبلادهم ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة وقع فى بغداد حريق فى باب درب فَرَاشا الى مشرعة الصبّاغين من الجانبين ٠ وفيها فى رجب توفّى سديد الدولة ابو

1) حصر 2) Cod. 740: اللزر 3) منتفق

عبد الله بن عبد الكريم بن ابرهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الانبارىّ كاتب الانشآء بديوان الخلافة وكان فاضلاً اديبًا ذا تقدّم كثير عند الخلفآء والسلاطين وخدم من[1] سنة ثلاثين وخمسمائة الى الآن فى ديوان الخلافة وعاش حتّى قارب تسعين سنة ، وتوفّى فى رمضان هبة الله ابن الفضل بن عبد العزيز بن محمّد المتوثىّ[2] سمع الحديث وهو من الشعرآء المشهورين الّا انّه كثير الهجو ومن شعره

يا مَن هجرت ولا تبالى	هل ترجع دولة الوصال
هل اطمع يا عذاب قلبى	أن ينعم فى هواك بالى
الطرف كما عهدت باكٍ	والجسم كما تربن بالِ
ما ضرّكِ ان تعلّلينى	فى الوصل بموعد المحال
اهواكِ وانت حظّ غيرى	يا قاتلتى فما احتيالى

وهى اكثر من هذا ✿

سنة ٥٥٩

ثمّ دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة ،

ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين الى ديار مصر وعودهم عنها

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سيّر نور الدين محمود ابن زنكى عسكرًا كثيرًا الى مصر وجعل عليهم الامير اسد الدين شيركوه ابن شاذى[2] وهو مقدّم عسكره واكبر امرآء دولته واشجعهم وسنذكر سنة اربع وستّين سبب اتّصاله بنور الدين وعلوّ شانه عنده ان شآء الله تعالى ، وكان سبب ارسال هذا الجيش انّ شاور وزير العاضد لدين الله العلوىّ صاحب مصر نازعه فى الوزارة ضرغام وغلب عليها فهرب شاور منه الى الشام ملتجيًا الى نور الدين ومستجيرًا به فاكرم مثواه واحسن اليه وانعم عليه وكان وصوله فى ربيع الاوّل من السنة وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد اقطاعات العساكر ويكون شيركوه مقيمًا بعساكره فى مصر ويتصرّف هو بامر نور الدين واختياره فبقى نور الدين يقدّم الى هذا الغرض رجلا ويؤخّر اخرى فتارة يحمله رعاية لقصد شاور

---

1) فى 2) المتوثى 2) شذى

بابه وطلب الزيادة فى المُلك والتقوّى على الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق وانّ الفرنج فيه وتخوّف انّ شاور ان استقرّت قاعدته ربّما لا يفى ثمّ قوى عزمه على ارسال الجيوش فتقدّم بتجهيزها وازاحة عللها وكان هوى اسد الدين فى ذلك وعنده من الشجاعة وقوّة النفس ما لا يبالى بمخافة فتجهّز وساروا جميعًا وشاور فى صحبتهم فى جمادى الاولى من سنة تسع وخمسين وتقدّم نور الدين الى شيركوه ان يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممّن نازعه فيه وسار نور الدين الى طرف بلاد الفرنج ممّا يلى دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرّض لاسد الدين ومَن معه فكان قُصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ووصل اسد الدين والعساكر معه الى مدينة بلبيس فخرج اليهم ناصر الدين اخو ضرغام بعسكر المصريّين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة ووصل اسد الدين فنزل على القاهرة اواخر جمادى الاخرة فخرج ضرغام من القاهرة سلخ الشهر فقُتل عند مشهد السيّدة نفيسة وبقى يومَيْن ثمّ حُمل ودُفن فى القرافة وقُتل اخوه فارس المسلمين وخلع على شاور مستهلّ رجب واعيد الى الوزارة وتمكّن منها واقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور وعاد عمّا كان قرّره لنور الدين من البلاد المصريّة ولاسد الدين ايضًا وارسل اليه يامره بالعود الى الشام فاعاد الجواب بالامتناع وطلب ما كان قد استقرّ بينهم فلم يجبه شاور اليه فلمّا راى ذلك ارسل الى نوّابه فتسلّموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقيّة فارسل شاور الى الفرنج يستمدّهم ويخوّفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد ايقنوا بالهلاك ان تمّ مُلكه لها ٠ فلمّا ارسل شاور يطلب منهم ان يساعدوه على اخراج اسد الدين من البلاد جاءهم فرجٌ لم يحتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا فى تلك الديار المصريّة وكان قد بذل لهم مالًا على المسير اليه وتجهّزوا وساروا ٠ فلمّا بلغ نور الدين ذلك سار بعساكره الى اطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم انّ الخطر فى مقامهم اذا ملك اسد الدين مصر اشدّ فتركوا فى بلادهم مَن يحفظها وسار ملك القدس فى الباقين الى مصر ٠ وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير من الفرنج فى البحر لزيارة البيت

المقدس فاستعان بهم الفرنج الساحلية فاعانوهم فسار بعضهم معهم واقام بعضهم فى البلاد لحفظها فلمّا قارب الفرنج مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس فاقام بها هو وعسكره وجعلها له ظهرًا يتحصّن به فاجتمعت العساكر المصريّة والفرنج ونازلوا اسد الدين شيركوه بمدينة بلبيس وحصروه بها ثلاثة اشهر وهو ممتنع بها مع انّ سورها قصير جدًّا وليس لها خندق ولا فصيل يحميها وهو يغادتهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضًا ولا نالوا منه شيأً • فبينما هم كذلك اذ اتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم ومُلك نور الدين حارم ومسيره الى بانياس على ما نذكره ان شآء الله تعالى فحينئذ سقط فى ايديهم وارادوا العوده الى بلادهم ليحفظوها فراسلوا اسد الدين فى الصلح والعود الى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريّين فاجابهم الى ذلك لانّه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولانّ الاقوات والذخاير قلّت عليه وخرج من بلبيس فى ذى الحجّة • فحدّثنى من راى اسد الدين حين خرج من بلبيس قال اخرج اصحابه بين يديه وبقى فى اخرهم وبيده لتّ من حديد يحمى ساقتهم والمسلمون والفرنج ينظرون اليه قال فاتاه فرنجىّ من الغربآء الذين خرجوا من البحر فقال له امّا تخاف ان يغدروا بك هولآء المصريّون والفرنج وقد احاطوا بك وباصحابك ولا يبقى لكم بقيّة فقال شيركوه يا ليتهم فعلوه حتّى كنت ترى ما افعله كنت والله اضع السيف فلا يقتل منّا رجل حتّى يقتل منهم رجال وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفنى شجعانهم فنملك بلادهم ونُهلك من بقى والله لو اطاعنى هولآء لخرجتُ اليهم من اوّل يوم ولكنّهم امتنعوا فصلّب على وجهه وقال كنّا نعاجب من فرنج هذه البلاد ومبالغتهم فى صفتك وخوفهم منك والأن فقد عذرناهم ثم رجع عنه • وسار شيركوه الى الشام فوصل سالمًا وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق فى الطريق رصدًا ليأخذوه او ينالوا منه ظفرًا فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق ففيه يقول عمارة

اخذتم عن الافرنج كلّ ثنية ... وقلتم لايدى الخيل مُرّى على مُرّى
لِئن نصبوا فى البرّ جسرًا فانّكم ... عبرتم ببحر من حديد على الجسر

ولفظة مُرّى فى اخر البيت الاوّل اسم ملك الفرنج ؛

ذكر هزيمة الفرنج وفتح حارم

فى هذه السنة فى شهر رمضان فتح نور الدين محمود ابن زنكى قلعة حارم من الفرنج وسبب ذلك انّ نور الدين لمّا عاد منهزمًا من البقيعة تحت حصن الاكراد كما ذكرناه قبلُ فرّق الاموال والسلاح وغير ذلك من الالات على ما تقدّم فعاد العسكر كانّهم لم يُصابوا واخذ فى الاستعداد للجهاد والاخذ بثاره واتّفق مسير بعض الفرنج مع ملكهم الى مصر كما ذكرناه فاراد ان يقصد بلادهم ليعودوا عن مصر فارسل الى اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وديار الجزيرة والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا والى نجم الدين البى صاحب ماردين وغيرهم من اصحاب الاطراف يستنجدهم ، فامّا قطب الدين فانّه جمع عسكره وسار مُجِدًّا وفى مقدمته زين الدين علىّ امير جيشه ، وامّا فخر الدين صاحب الحصن فبلغنى عنه انّه قال له ندماؤه وخواصّه على ايّ شئٍ عزمتَ فقال على القعود فانّ نور الدين قد تحشّف من كثرة الصوم والصلاة وهو يلقى نفسه فى المهالك فكلّهم وافقه على هذا الراى فلمّا كان الغد امر بالتجهّز للغزاة فقال له اوليك ما عدا ممّا بدا فارقناك امس على حالة فنراك اليوم على ضدّها فقال ان نور الدين قد سلك معى طريقًا ان لم انجده خرج اهل بلادى عن طاعتى واخرجوا البلاد عن يدى فانّه قد كاتب زهّادها وعُبّادها والمنقطعين عن الدنيا يذكر لهم ما لقى المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر ويستمدّ منهم الدعآء ويطلب ان يحثّوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كلّ واحد من اوليك ومعه اصحابه واتباعه وهم يقرؤن كتب نور الدين ويبكون ويلعنوننى ويدعون علىّ فلا بدّ من المسير اليه ثمّ تجهّز وسار بنفسه ، وامّا نجم الدين فانّه سيّر عسكرًا ، فلمّا اجتمعت العساكر سار نحو حارم فحصرها ونصب عليها المجانيق وتابع الزحف اليها ، فاجتمع مَن بقى بالساحل من الفرنج فجاآوا فى حدّهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم وقسوسهم ورهبانهم واقبلوا اليه من كلّ حدب ينسلون وكان المقدّم عليهم البرنس بيمند صاحب

انطاكيّة وقمص صاحب طرابلس واعمالها وابن جوسلين وهو من
مشاهير الفرنج والدوك وهو مقدّم كبير من الروم وجمعوا الفارس والراجل
فلمّا قاربوه رحل عن حارم الى ارتاح طمعًا ان يتبعوه فيتمكّن منهم
ببعدهم عن بلادهم اذا لقوه فساروا فنزلوا على غمرا[1] ثم علموا عجزهم
عن لقآيه فعادوا الى حارم فلمّا عادوا تبعهم نور الدين فى ابطال المسلمين
على تعبية للحرب فلمّا تقاربوا اصطفّوا للقتال فبدا الفرنج بالحملة على
ميمنة المسلمين وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن فانهزم المسلمون
فيها وتبعهم الفرنج فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتّفق ورأى
دبّروه وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم مَن
بقى من المسلمين بالسيوف فاذا عاد فرسانهم لم يلقوا راجلاً يلجؤن
اليه ولا وزير يعتمدون عليه ويعود المنهزمون فى ادرهم فياخذهم
المسلون من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم فكان
الامر على ما دبّروه فانّ الفرنج لمّا تبعوا المنهزمين عطف عليهم زين
الدين علىّ فى عسكر الموصل على راجل الفرنج فافناهم قتلاً واسرًا وعاد
خيّالتهم ولم يمعنوا فى الطلب خوفًا على راجلهم فعاد المنهزمون فى اثارهم
فلمّا وصل الفرنج رءاوا رجالهم قتلى واسرى فسقط فى ايديهم ورءاوا
انّهم قد هلكوا وبقوا فى الوسط قد احدق بهم المسلمون من كلّ
جانب فاشتدّت الحرب وقامت على ساق وكثر القتل فى الفرنج وتمّت
عليهم الهزيمة فعدل حينيذ المسلمون عن القتل الى الاسر فاسروا ما لا
يُحدّ وفى جملة الاسرى صاحب انطاكيّة والقمص صاحب طرابلس
وكان شيطان الفرنج واشدّهم شكيمة على المسلمين والدوك مقدّم الروم
وابن جوسلين وكان عدّة القتلى تزيد على عشرة الاف قتيل واشار
المسلمون على نور الدين بالمسير الى انطاكيّة وتملّكها لخلوّها[2] من
حام يحميها ومقاتل يذبّ عنها فلم يفعل وقال امّا المدينة فامرها سهل
وامّا القلعة فنيعة وربّما سلّموها الى ملك الروم لانّ صاحبها ابن اخيه
ومجاورة بيمند احبّ الىّ من مجاورة صاحب قسطنطينيّة ، وبثّ السرايا

---

1) Cod. 740. C. P. et Ups: عمر   2) وخلوّعا

فى تلك الاعمال فنهبوها واسروا اهلها وقتلوهم ثم انّه فادى برنس بيمند صاحب انطاكيّة واشترى من المسلمين خلقًا كثيرًا فاطلقهم ۞

ذكر مُلك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج ايضًا

فى ذى الحجّة من هذه السنة فتح نور الدين محمود قلعة بانياس وهى بالقرب من دمشق وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ولمّا فتح حارم اذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انّه يريد طبريّة فجعل مَن بقى من الفرنج همّتهم حفظها وتقويتها فسار محمود الى بانياس لعلمه بقلّة مَن فيها من الحماة الممانعين عنها ونازلها وضيّق عليها وقاتلها وكان فى جملة عسكره اخوه نصرة الدين امير اميران فاصابه سهم فاذهب احدى عينيه فلمّا رءاه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذى اعدّ لك لتمنّيت ذهاب الاخرى وجدّ فى حصارها فسمع الفرنج فجمعوا فلم تتكامل عدّتهم حتّى فتحها على انّ الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم واسرهم فملك القلعة وملاها ذخاير وعدّةً ورجالًا وشاطر الفرنج فى اعمال طبريّة وقرّروا له على الاعمال التى لم يشاطرهم عليها ما فى كلّ سنة ووصل خبر مُلك حارم وحصن بانياس الى الفرنج بمصر فصالحوا شيركوه وعادوا ليدركوا بانياس فلم يصلوا الّا وقد ملكها ، ولمّا عاد منها الى دمشق كان بيده خاتم بفصّ ياقوت من احسن الجوهر وكان يسمّى الجبل لكبره وحسنه فسقط من يده فى شعرة بانياس وهى كثيرة الاشجار ملتفّة الاغصان فلمّا ابعد عن المكان الذى ضاع فيه علم به فاعاد اصحابه فى طلبه ودلّهم على المكان الذى كان اخر عهده به فيه وقال اظنّ هناك سقط فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعرآء الشاميّين اظنّه ابن منير يمدحه ويهنّيه بهذه الغزاة ويذكر الجبل الياقوت

ان يمترِ الشكّاك فيك باتّك	المهدىُّ مطفى جمرة الدجّال
فلعودة الجبل الذى اضللته	بالامس بين غياطل وجبال
لم يُعطها الّا سليمانٌ وقد	نبتت الربا بموسك الاعجال
رحرحى لسرير ملكك انّه	كسريره عن كلّ حدّ عال
فلو البحار السبعة استهوينه	وامرتّهن فقذفته فى الحال

ولمّا فتح الحصن كان معه ولد معين الدين أنر الذى سلّم بانياس الى الفرنج فقال له للمسلمين بعد الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان، فقال كيف ذاك قال لانّ اليوم برّد الله جلد والدك من نار جهنّم ❀

ذكر اخذ الاتراك غزنة من ملكشاه وعوده اليها

فى هذه السنة قصد بلاد غزنة الاتراك المعروفون بغز[1] ونهبوها وخرّبوها وقصدوا غزنة وبها صاحبها ملكشاه ابن خسروشاه المحمودى فعلم انّه لا طاقة له بهم ففارقها وسار الى مدينة لهاوور[2] وملك الغزّ مدينة غزنة وكان القيم بامرهم امير اسمه زنكى بن علىّ بن خليفة الشيبانىّ ، ثمّ انّ صاحبها ملكشاه جمع وعاد الى غزنة ففارقها زنكى وعاد ملكها ملكشاه ودخلها فى جمادى الاخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة وتمكّن فى دار مُلكه ❀

ذكر وفاة جمال الدين الوزير وشىء من سيرته

فى هذه السنة توفّى جمال الدين ابو جعفر محمّد بن علىّ بن ابى منصور الاصفهانىّ وزير قطب الدين صاحب الموصل فى شعبان مقبوضًا وكان قد قُبض عليه سنة ثمان وخمسين فبقى فى الحبس نحو سنة ، حكى لى انسانٌ صوفىٌّ يقال له ابو القاسم كان مختصًّا بخدمته فى الحبس قال لم يزل مشغولًا فى محبسه بامر اخرته وكان يقول كنتُ اخشى ان انقل من الدست الى القبر فلمّا [اتّفق] ان مرض قال لى فى بعض الايّام يا ابا القاسم اذا جآء طاير ابيض الى الدار فعرّفنى قال فقلتُ فى نفسى قد اختلط عقله فلمّا كان الغد اكثر السؤال عنه واذ طاير ابيض لم ار مثله قد سقط فقلتُ جآء الطاير فاستبشر ثمّ قال جآء الحقّ واقبل على الشهادة وذكر الله تعالى الى ان توفّى فلمّا توفّى طار ذلك الطاير فعلمتُ انّه راى شيًا فى معناه ، ودُفن بالموصل عند فتح الكرامىّ رحمة الله عليهما نحو سنة ثمّ نُقل الى المدينة فدُفن بالقرب من حرم النبى صلعم فى رباط بناه لنفسه وقال لابى القاسم بينى وبين اسد الدين شيركوه عهدٌ مَن مات منّا قبل صاحبه حمله الى المدينة فدفنه بها

---

1) نعى 2) لهاووز

فى التربة التى عملتها فاذا انا متّ فامضى اليه وذكّره فلمّا توفّى سار ابو القاسم الى شيركوه فى المعنى فقال له شيركوه كم تريد فقال اريد اجرة جمل يحمله وجمل يحملنى وزادى فانتهره وقال مثل جمال الدين يحمل هكذا الى مكّة واعطاه مالاً صالحًا ليحمل معه جماعة يحجّون عن جمال الدين وجماعة يقرّون عليه بين يدى تابوته اذا حُمل واذا نزل عن الجمل واذا وصل الى مدينة يدخل اوليك القرآء ينادون للصلاة عليه فيصلّى عليه فى كلّ بلدة يجتاز بها واعطاه ايضًا مالاً للصدقة عنه فصلّى عليه فى تكريت وبغداد والحلّة وفيد ومكّة والمدينة وكان يجمع له فى كلّ بلد من الخلق لا يُحصى ولمّا ارادوا الصلاة عليه بالحلّة صعد شاب على موضع مرتفع وانشد باعلا صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطال ما   سرى جوده فوق الركاب ونايلُهْ
يمرّ على الوادى فتثنى رماله   عليه وبالنادى فتثنى ارامله

فلم نر باكيًا اكثر من ذلك اليوم فطافوا به حول الكعبة وصلّوا عليه بالحرم الشريف وبين قبره وقبر النبى صلّعم خمسة عشر ذراعًا ¤ وامّا سيرته فكان رحمه الله اسخى الناس واكثرهم بذلاً للمال رحيمًا بالخلق متعطّفًا عليهم عادلاً فيهم فمن اعماله الحسنة انّه جدّد بناء مسجد الخيف بمنى وغرم عليه اموالاً كثيرةً جسيمةً وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وذهّبها وعملها بالرخام ولمّا اراد ذلك ارسل الى المقتفى لامر الله هديّة جليلة وطلب منه ذلك وارسل الى الامير عيسى امير مكّة هديّة كثيرة وخلعًا سنيّة منها عمامة شراها ثلاثمائة دينار حتّى مكّنه من ذلك وعمّر ايضًا المسجد الذى على جبل عرفات والدرج التى يصعد فيها اليه وكان الناس يلقون شدّة فى صعودهم وعمل بعرفات ايضًا مصانع للماء واجرى الماء اليها من نعمان فى طرق معمولة تحت الارض فخرج عليها مال كثير وكان يجرى الماء فى المصانع كلّ سنة ايّام عرفات وبنى سورًا على مدينة النبى صلّعم وعلى فيد وبنى لها ايضًا فصيلاً وكان يخرج على باب داره كلّ يوم للصعاليك والفقراء مائة دينار اميرىّ هذا سوى الادرارات والتعهّدات للائمّة والصالحين وارباب البيوت ¤

ومن ابنيته العجيبة التى لم ير الناس مثلها الجسر الذى بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقُبض قبل ان يفرغ وبنى عندها ايضًا جسرًا كذلك على النهر المعروف بالارباد[1] وبنى الربط وقصده الناس من اقطار الارض ويكفيه انّ ابن الخُجندىّ رئيس اصحاب الشافعىّ باصفهان قصده وابن الكافى قاضى همذان فاخرج عليهما مالًا عظيمًا وكانت صدقته وصلاته من اقاصى خراسان الى حدود اليمن وكان يشترى الاسرى كلّ سنة بعشرة الاف دينار هذا من الشام حسب سوى ما يشترى من الكرج ، حكى لى والدى عنه قال كثيرًا ما كنتُ ارى جمال الدين اذا قُدّم اليه الطعام ياخذ منه ومن الحلوى ويتركه فى خبز بين يديه فكنتُ انا ومَن يراه نظنّ انّه يحمله الى امّ ولده علىّ فاتّفق انّه فى بعض السنين جآء الى الجزيرة مع قطب الدين وكنتُ انولّى ديوانها وحمل جاريته امّ ولده الى دارى لتدخل الحمام فبقيت فى الدار ايّامًا فبينما انا عنده فى الخيام وقد اكل الطعام فعل كما كان يفعل ثمّ تفرّق الناس فقمتُ فقال اقعد فقعدتُ فلمّا خلا المكان قال لى قد اثرتُك اليوم على نفسى فاننى فى الخيام ما يمكننى ان افعل ما كنتُ افعله خذ هذا الخبز واحمله انت فى كمّك فى هذه المنديل واترك الحماقة من راسك وعُدْ الى بيتك فاذا رايتَ فى طريقك فقيرًا يقع فى نفسك انّه مستحقّ فاقعد انت بنفسك واطعمه هذا الطعام قال ففعلتُ ذلك وكان معى جمعٌ كثيرٌ ففرّقتُهم فى الطريق لئلّا يرونى افعل ذلك وبقيتُ فى غلمانى فرايتُ فى موضع انسانًا اعمى وعنده اولاده وزوجته وهم من الفقر فى حال شديد فنزلتُ عن دابّتى اليهم واخرجتُ الطعام واطعمتُهم ايّاه وقلتُ للرجل تجيء غدًا بكرة الى دار فلان اعنى دارى ولم اعرّفه نفسى فاننى اخذ لك من صدقة جمال الدين شيئًا ثمّ ركبتُ اليه العصر فلمّا رآنى قال ما الذى فعلتَ فى الذى قلتُ لك فاخذتُ اذكر له شيئًا يتعلّق بدولتهم فقال ليس عن

---

[1]) C. P. et 740 eandem habent scripturam.

هذا اسالك انّما اسالك عن الطعام الذى سلّمته اليك فذكرت له
الحال ففرح ثم قال بقى انّك لو قلتَ للرجل يجىء اليك هو واهله
فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجرى لهم كلّ شهر دنانير قال فقلتُ له قد
قلتُ للرجل حتّى يجىء الىّ فازداد فرحًا وفعلتُ بالرجل ما قال ولم يزل
يصل اليه رسمه حتّى قُبض وله من هذا كثير فمن ذلك انّه تصدّق
بثيابه من على بدنه فى بعض السنين التى[1] تعذّرت الاقوات فيها ۞

ذكر اجلآء القارغليّة من ورآء النهر

كان خان خانان الصينىّ ملك الخطا قد فوّض ولاية سمرقند وبخارا
الى الخان جغرى خان ابن حسن تكين واستعمله عليهما وهو من بيت
الملك قديم الابوّة فبقى فيها مدبّرًا لامورها فلمّا كان الآن ارسل اليه
ملك الخطا باجلآء الاتراك القارغليّة من اعمال بخارا وسمرقند الى كاشغر
وان يتركوا حمل السلاح ويشتغلوا بالزراعة وغيرها من الاعمال فتقدّم
جغرى خان اليهم بذلك فامتنعوا فالزمهم والحّ عليهم بالانتقال فاجتمعوا
وصارت كلمتهم واحدة فكثروا وساروا الى بخارا فارسل الفقيه محمّد بن
عمر بن برهان الدين عبد العزيز ابن مازة رئيس بخارا الى جغرى خان
يعلمه ذلك ويحثّه على الوصول اليهم بعساكره قبل ان يعظم شرّهم
وينهبوا البلاد وارسل اليهم ابن مازة يقول لهم انّ الكفّار بالامس لمّا طرقوا
هذه البلاد امتنعوا عن النهب والقتل وانتم مسلمونٌ غزاة يقبح بكم
مدّ الايدى الى الاموال والدمآء وانا ابذل لكم من الاموال ما ترضون
به لتكفّوا عن النهب والغارة فترددت الرسل بينهم فى تقرير القاعدة
وابن مازة يطاول بهم ويهادى الايّام الى ان وصل جغرى خان فلم يشعر
الاتراك القارغليّة الّا وقد دهمهم جغرى خان فى جيوشه وجموعه بغتةً
ووضع السيف فيهم فانهزموا وتفرّقوا وكثر القتل فيهم والنهب واختفى
طايفة منهم فى الغياض والاجام ثم ظفر بهم اصحاب جغرى خان فقطعوا
دابرهم ودفعوا عن بخارا ونواحيها ضررهم وخلت الارض منهم ۞

ذكر استيلآء سنقر على الطالقان وغرشستان[2]

فى هذه السنة استولى الامير صلاح الدين سنقر وهو من مماليك

---

1) الذى 2) غرشنسان

السنجريّة على بلاد الطالقان واغار على حدود غرشستان[1] وتابع الغارات عليها حتّى ملكها فصار الولايتان له وبحكمه وله فيها حصون منيعة وقلاع حصينة وصالح الامرآء الغزّيّة وحمل لهم الاتاوة كلّ سنة ❁

ذكر قتل صاحب هراة

كان صاحب هراة اينكين بينه وبين الغزّ مهادنة فلمّا توفّى ملك الغور محمّد طمع فى بلادهم فغزاهم غير مرّة ونهب واغار فلمّا كان فى شهر رمضان من هذه السنة جمع اينكين جموعه وسار الى بلاد الغور وساروا الى باميان والى ولاية بُست والرُخّج فقاتله صاحبها طغرل[2] تكين برنقش[3] العلكىّ من قبل الغوريّة فظهروا الى باميان واستولى [على] بست والرخّج فسلّمها الى بعض اولاد ملوك الغور وامّا اينكين فانّه توغّل فى بلاد الغور فاتاه اهلها وقاتلوه وصدوه وصدقوه القتال فانهزم عسكره وقُتل هو فى المعركة ❁

ذكر مُلك شاه مازندران قومس وبسطام

قد ذكرنا استيلآء المؤيّد صاحب نيسابور على قومس وبسطام وتلك البلاد وانّه استناب بها مملوكه تنكز[4] فلمّا كان هذه السنة جهّز شاه مازندران جيشًا واستعمل عليهم اميرًا له يُعرف بسابق الدين القزوينىّ فسار الى دامغان فملكها فجمع تنكز مَن عنده من العساكر وسار اليه الى دامغان فخرج اليه القزوينىّ فوصل الى تنكز على غرّة منه فلم يشعر هو وعسكره الّا وقد كبسهم القزوينىّ ووضع السيف فيهم فتفرّقوا وولّوا منهزمين واستولى عسكر شاه مازندران على تلك البلاد وعاد تنكز الى المؤيّد صاحب نيسابور واشتغل بالغارة على بسطام وبلاد قومس ❁

ذكر عصيان غُمارة[5] بالمغرب

لمّا تحقّق الناس موت عبد المؤمن سنة تسع وخمسين ثارت قبايل غمارة مع مفتاح بن عمرو وكان مقدّمًا كبيرًا وتبعوه باجمعهم وامتنعوا فى جبالهم وهى معاقل مانعة وهم امم جمّة فتجهّز اليهم ابو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن ومعه اخواه عمرو وعثمان فى جيش كبير من الموحّدين والعرب وتقدّموا اليهم فاقتتلوا سنة احدى وستّين وخمسماية فانهزمت

---

1) غرشنشان 2) طغرك 3) مرنقش 4) تنكر ubique.
5) غمارة ubique.

غمارة وقتل منهم كثير وفيمن قتل مفتاح بن عمرو مقدّمهم وجماعة من اعيانهم ومقدّميهم وملكوا بلادهم عنوةً وكان هناك قبايل كثيرة يريدون الفتنة فانتظروا ما يكون من غمارة فلمّا قتلوا ذلّت تلك القبايل وانقادوا للطاعة ولم يبق متحرّك لفتنة ومعصية فسكنت الدهماء فى جميع المغرب ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اغار امير محمّد ابن أنز على بلد الاسماعيليّة بخراسان واهلها غافلون فقتل منهم وغنم واسر وسبى واكثر وملأ اصحابه ايديهم من ذلك ٥ وفيها توفّى ابو الفضل نصر ابن خلف ملك سجستان وعمره اكثر من مائة سنة ومدّة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه شمس الدين ابو الفتح احمد بن نصر وكان ابو الفضل ملكًا عادلًا عفيفًا عن رعيّته وله آثار حسنة فى نصرة السلطان سنجر فى غير موقف ٥ وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينيّة فى عساكر لا تحصى وقصد بلاد الاسلام التى بيد قلج ارسلان وابن دانشمند[1] فاجتمع التركمان فى تلك البلاد فى جمع كبير فكانوا يغيرون على اطراف عسكره ليلًا فاذا اصبح لا يرى احدًا وكثر القتل فى الروم حتّى بلغت عدّة القتلى عشرات الوف فعاد الى القسطنطينيّة ولمّا عاد ملك المسلمون منه عدّة حصون ٥ وفيها توفّى الامام عمر الخوارزمىّ خطيب بلخ ومفتيها بها ٥ والقاضى ابو بكر المحمودىّ صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسيّة على نمط مقامات الحريرىّ بالعربيّة ❁

ثم دخلت سنة ستّين وخمسماية ٥

سنة ٥٦٠

ذكر وفاة شاه مازندران وملك ابنه بعده

فى هذه السنة ثامن ربيع الاوّل توفّى شاه مازندران رستم بن علىّ بن شهريار[2] بن قارن ولمّا توفّى كتم ابنه علآء الدين الحسن موته ايّامًا حتّى استولى على ساير الحصون والبلاد ثم اظهره فلمّا ظهر خبر وفاته اظهر ايثاق صاحب جرجان ودهستان المنازعة لولده فى الملك ولم

---

1) دانشمد 2) سهريار

يرع حقّ ابيه عليه فانّه لم يزل يذبّ عنه ويحميه اذا التجا اليه ولكن الملك عقيم ولم يحصل من منازعته على شىّ غير سوء السمعة وقبح الاحدوثة ✿

ذكر حصر عسكر المؤيّد نسا ورحيلهم عنها

كان المؤيّد قد سيّر جيشًا الى مدينة نسا فحصروها الى جمادى الاولى فى هذه السنة فسيّر خوارزم شاه ايل[1] ارسلان ابن اتسز[2] جيشًا الى نسا فلمّا قاربوها رحل عنها عسكر المؤيّد وعادوا الى نيسابور اواخر جمادى الاولى وسار عسكر المؤيّد الى عسكر خوارزم لانّهم توجّهوا الى نيسابور فتقدّم العسكر المؤيّدىّ ليردّوهم عنها فلمّا سمع العسكر الخوارزمىّ بهم عاد عنهم وصار صاحب نسا فى طاعة خوارزم شاه والخطبة له فيها وسار عسكر خوارزم الى دهستان فالتجى صاحبها الامير ايثاق الى المؤيّد صاحب نيسابور بعد تمكّن الوحشة بينهما فقبله المؤيّد احسن قبول وسيّر اليه جيشًا كثيفًا فاقاموا عنده حتّى دفع الضرر من نفسه وبلده من جهة طبرستان وامّا دهستان فانّ عسكر خوارزم غلبوا عليها وصار لهم فيها شحنة ✿

ذكر استيلاء المؤيّد على هراة

قد ذكرنا قتل صاحب هراة سنة تسع وخمسين فلمّا قُتل تجهّز الامراء الغزّيّة وساروا الى هراة وحصروها وقد تولّى امرها انسان يلقّب اثير الدين وكان له ميل الى الغزّ وهو يحاربهم ظاهرًا ويراسلهم باطنًا فهلك لهذا السبب خلق كثير من اهل هراة فاجتمع اليها اهلها فقتلوه وقام مقامه ابو الفتوح بن علىّ بن فضل الله الطغرائىّ فارسل اهلها الى المؤيّد اى ابه صاحب نيسابور بالطاعة والانقياد اليه فسيّر اليهم مملوكه سيف الدين تنكر[3] فى جيش وسيّر جيشًا اخر غاروا على سرخس ومرو فاخذوا دوابّ الغزّ وعادوا سالمين فلمّا سمع الغزّ بذلك رحلوا عن هراة الى مرو ✿

---

1) ابن 2) اتسز 3) تنكر

ذكر الحرب بين قلج ارسلان وبين ابن الدانشمند[1]

فى هذه السنة كانت الفتنة بين الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونيّة وما يجاورها من بلد الروم وبين ياغى ارسلان ابن دانشمند[1] صاحب ملطيّة وما يجاورها من بلد الروم وجرى بينهما حرب شديدة وسببها انّ قلج ارسلان تزوّج ابنة الملك صلتق بن علىّ بن ابى القاسم فسُيّرت الزوجة الى قلج ارسلان مع جهاز كثير لا يعلم قدره واغار ياغى صاحب ملطيّة عليه واخذ العروس وما معها واراد ان يزوّجها بابن اخيه ذى النون بن محمّد بن دانشمند فامرها بالردّة عن الاسلام فزوّجها من ابن اخيه فجمع قلج ارسلان عسكره وسار الى ابن دانشمند فالتقيا واقتتلا فانهزم قلج ارسلان والتجى الى ملك الروم واستنصره فارسل اليه جيشًا كثيرًا فمات ياغى ارسلان ابن دانشمند فى تلك الايّام وملك قلج ارسلان بعض بلاده واصطلح هو والملك ابرهيم بن محمّد بن دانشمند لانّه ملك البلاد بعد عمّه ياغى ارسلان واستولى ذو النون ابن محمّد بن دانشمند على مدينة قيساريّة وملك شاهان شاه ابن مسعود اخو قلج ارسلان على مدينة انكوريّة واستقرّت القواعد بينهم واتّفقوا ✿

ذكر الفتنة بين نور الدين وقلج ارسلان

فى هذه السنة كانت وحشة متاكّدة بين نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام وبين قلج ارسلان بن مسعود ابن قلج ارسلان صاحب الروم ادّت الى الحرب والتضاغن فلمّا بلغ خبرها الى مصر كتب الصالح ابن رزّيك وزير صاحب مصر الى قلج ارسلان ينهاه عن ذلك ويامره بموافقته وكتب فيه شعرًا

نقول ولكن اين مَن يتفهّم	ويعلم وجه الراى والراى مُبْهَمْ
وما كلّ مَن قاس الامور وساسها	يوفّق للامر الذى هو احزم
وما احدٌ فى المُلك يبقى مخلّدا	وما احد ممّا قضى الله يسلم
امن بعد ما ذاق العدى طعم حربكم	[بجيبهم وكانت][2] وهى صاب وعلقم

1) الرانشهد 2) C. P.

رجعتم الى حكم التنافس بينكم وفيكم من الشحناء نار تضرم
امّا عندكم مَن يتّقى الله وحده امّا فى رعاياكم من الناس مُسلمُ
تعالوا لعلّ الله ينصر دينه اذا ما نصرنا الدين نحن وانتمُ
وننهض نحو الكافرين بعزمة بامثالها تحوى البلاد تقسم

وهى اطول من هذا هكذا ذكر بعض العلماء هذه الحادثة وانّ الصالح ارسل بهذا الشعر فان كان الشعر للصالح فينبغى ان تكون الحادثة قبل هذا التاريخ ويحتمل ان يكون هذا التنافس كان ايّام الصالح فكتب الابيات ثم استندّ الى الآن ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى صفر وقع باصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف ابن الخجندى[1] وغيره من اصحاب المذاهب بسبب التعصّب للمذاهب فدام القتال بين الطايفتين ثمانية ايّام متتابعة قُتل فيها خلق كثير واحترق وهُدم كثير من الدور والاسواق ثم افترقوا على اقبح صورة ٭ وفيها بنى الاسماعيليّة قلعة بالقرب من قزوين فقيل لشمس الدين ايلدكز عنها فلم يكن له انكار لهذه الحال خوفا من شرّهم وغايلتهم فتقدّموا بعد ذلك الى قزوين فحصروها وقاتلهم اهلها اشدّ قتال رءاه الناس وحكى لى بعض اصدقآينا بل مشايخنا من الايمّة الفضلآء قال كنتُ بقزوين اشتغل بالعلم وكان بها انسان يقود جمعًا كبيرًا وكان موصوفًا بالشجاعة وله عصابة حمرآء اذا قاتل عصب بها راسه قال فكنت احبّه واشتهى الجلوس معه قال فبينما انا عنده يومًا واذا هو يقول كانى بالملاحدة وقد قصدوا البلد غدًا فخرجنا اليهم وقاتلناهم فكنتُ اوّل الناس وانا متعصّب بهذه العصابة فقاتلناهم فلم يقتل غيرى ثم ترجع الملاحدة ويرجع اهل البلد قال فوالله لمّا كان الغد واذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة فخرج الناس قال فذكرتُ قول الرجل فخرجتُ والله وليس لى همّة الّا انظر هل يصحّ ما قال ام لا قال فلم يكن الّا قليل واذ قد عاد الناس وهو محمول على ايديهم قتيلًا بعصابته الحمرآء وذكروا

---

[1]) الخجندى

انّه لم يقتتل بينهم غيره فبقيتُ متعجّبًا من قوله كيف صحّ ولم يتغيّر منه شئٌ ومن اين له هذا اليقين ولمّا حكى لى هذه الحكاية لم اساله عن تاريخها وانّما كان فى هذه المدّة فى تلك البلاد فلهذا اثبتها هذه السنة على الظنّ والتخمين ٭ وفيها قبض المؤيّد اى ابه صاحب نيسابور على وزيره ضياء الملك محمّد بن ابى طالب سعد بن ابى القاسم محمود الرازىّ وحبسه واستوزر بعده نصير الدين ابا بكر محمّد بن ابى نصر محمّد المستوفىّ وهو من اعيان الدولة السنجريّة ٭ وفى هذه السنة وردت الاخبار انّ الناس حجّوا سنة تسع وخمسين ولقوا شدّة وانقطع منهم خلق كثير فى فيد والثعلبيّة وواقصة وغيرها وهلك كثير ولم يمض الحجاج الى مدينة النبى صلعم لهذه الاسباب ولشدّة الغلآء فيها وعدم ما يقتات ووقع الوبآء فى البادية وهلك منهم عالم لا يُحصون وهلكت مواشيهم وكانت الاسعار بمكّة غالية ٭ وفيها فى صفر قبض المستنجد بالله على الامير توبة ابن العقيلىّ وكان قد قرب منه قربًا عظيمًا بحيث يخلوا معه واحبّه المستنجد محبّة كثيرة فحسده الوزير ابن هبيرة فوضع كتبًا من العجم مع قوم وامرهم ان يتعرّضوا فيوخذوا ففعلوا ذلك وأُخذوا واحضروا عند الخليفة فاظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلمّا وقف الخليفة عليها خرج الى نهر الملك يتصيّد وكانت حلل توبة على الفراة فحضر عنده فامر بالقبض عليه فقبض وادخل بغداد ليلًا وحبس فكان اخر العهد به فلم يمتع الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة اشهر وكان توبة من اكمل العرب مُرُوّة وعقلًا وسخآء واجارة واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرّق فى الناس ٭ وفيها فى ربيع الاوّل توفّى الشهاب محمود ابن عبد العزيز الحامدىّ الهروىّ وزير السلطان ارسلان ووزير اتابك شمس الدين ايلدكز ٭ وفيها توفّى عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمّد بن المظفّر وزير الخليفة وكان موته فى جمادى الاولى ومولده سنة تسعين واربعمائة ودُفن بالمدرسة التى بناها للحنابلة بباب البصرة وكان حنبلىّ المذهب دينًا خيّرًا عالمًا يسمع حديث النبى صلعم وله فيه التصانيف الحسنة وكان ذا راى سديد وتأفف على المقتفى نفاقًا عظيمًا حتّى انّ المقتفى كان يقول لم يزر لبنى العبّاس

مثله ولمّا مات قبض على اولاده واهله، وتوفّى بهذه السنة محمّد ابن سعيد البغدادىّ بالموصل وله شعر حسن فن قوله

افدى الذى وكلى حبّه ... بطول اعلالى وامراضى
ولستُ ادرى بعد ذا كلّه ... اساخط مولاى ام راضٍ،

وفيها توفّى الشيخ الامام ابو القسم عمر بن عكرمة بن البرزىّ الشافعىّ تفقّه على الفقيه الكيا الهراسىّ وكان واحد عصره فى الفقه تاتيه الفتاوى من العراق وخراسان وساير البلاد وهو من جزيرة ابن عُمَر ❊

سنة ٥٦١

ثم دخلت سنة احدى وستّين وخمسماية،

ذكر فتح المنيطرة من الفرنج

فى هذه السنة فتح نور الدين محمود ابن زنكى حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره وانّما سار اليه جريدة على غرّة منهم وعلم انّه ان جمع العساكر حذروا انّما سار اليه جريدة وانتهز الفرصة وسار الى المنيطرة وحصره وجدّ فى قتاله فاخذه عنوةً وقهرًا وقتل مَن بها وسبى وغنم غنيمة كثيرة فانّ الذين به كانوا امنين فاخذتهم خيل الله بغتةً وهم لا يشعرون ولم يجتمع الفرنج لدفعه الّا وقد ملكه ولو علموا انّه جريدة فى قلّة من العساكر لاسرعوا اليه انّما ظنّوه انّه فى جمع كثير فلمّا ملكه تفرّقوا وايسوا من ردّه ❊

ذكر قتل خطلوبرس مقطع واسط

فى هذه السنة قُتل خطلوبرس مقطع واسط قتله ابن اخى شملة صاحب خوزستان وسبب ذلك انّ ابن شُنكا وهو ابن اخى شملة كان قد صاهر منكبرس مقطع البصرة فاتّفق انّ المستنجد بالله قتل منكبرس سنة تسع وخمسين وخمسماية فلمّا قُتل قصد ابن شنكا البصرة ونهب قُراها فارسل من بغداد الى كمشتكين صاحب البصرة بمحاربة ابن شنكا فقال انا عامل لستُ بصاحب جيش يعنى انّه ضامن لا يقدر على اذمة عسكر فطمع ابن شنكا واصعد الى واسط ونهب سوادها فجمع خطلوبرس مقطعها جمعًا وخرج الى قتاله وكاتب ابن شنكا الامرآء الذين مع خطلوبرس فاستمالهم ثم قاتلهم فانهزم عسكره فقتله واخذ

ابن شنكا علم خطلوبرس فنصبه فلمّا رءاه اصحابه ظنّوه باقيًا فجعلوا يعودون اليه وكلّ من رجع اخذه ابن شنكا فقتله او اسره ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة خرج الكُرج فى جمع كثير واغاروا على بلدان حتّى بلغوا كناجة فقتلوا واسروا وسبوا كثيرًا ونهبوا ما لا يُحصى ، وفيها توفّى الحسن بن العبّاس بن رستم ابو عبد الله الاصفهانىّ الرستمىّ الشيخ الصالح وهو مشهور يروى عن احمد بن خلف وغيره ، وفيها فى ربيع الاخر توفّى الشيخ عبد القادر ابن ابى صالح ابو محمّد الجيلىّ المقيم ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمائة وكان من الصلاح على حال وهو حنبلىّ المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد ✿

ثم دخلت سنة اثنتين وستّين وخمسمائة ، سنة ٥٦٢

ذكر عود اسد الدين شيركوه الى مصر

قد ذكرنا سنة تسع وخمسين وخمسمائة مسير اسد الدين شيركوه الى مصر وما كان منه وقُفوله الى الشام فلمّا وصل الى الشام اقام على حاله فى خدمة نور الدين الى الآن وكان بعد عوده منها لا يزال يتحدّث بها وبفصدها[1] وكان عنده من الحرص على ذلك كثير فلمّا كان هذه السنة تجهّز وسار فى ربيع الاخر فى جيش قوىّ وسيّر معه نور الدين جماعة من الامراء فبلغت عدّتهم الفىْ فارس وكان كارهًا لذلك ولكن لمّا راى جدّ اسد الدين فى المسير لم يمكنه الّا ان يسيّر معه جمعًا خوفًا من احادث يتجدّد عليهم فيضعف الاسلام فلمّا اجتمع معه عسكره سار الى مصر على البرّ وترك بلاد الفرنج على يمينه فوصل الديار المصريّة فقصد اطفيح وعبر النيل عندها الى الجانب الغربىّ ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرّف فى البلاد الغربيّة وحكم عليها واقام نيفًا وخمسين يومًا ، وكان شاور لمّا بلغه مجىّ اسد الدين اليهم قد ارسل الى الفرنج يستنجدهم فاتوه على الصعب والذلول طمعًا فى ملكها وخوفًا ان يملكها اسد الدين فلا يبقى لهم فى بلادهم مقام معه ومع نور الدين

---

[1] وبقصدها

فالرجآء يقودهم والخوف يسوقهم ، فلمّا وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربىّ وكان اسد الدين وعساكره قد ساروا الى الصعيد فبلغ مكانًا يعرف بالبابَيْن وسارت العساكر المصريّة والفرنج ورآه فادركوه بها لخامس والعشرين من جمادى الاخرة وكان ارسل الى المصريّين والفرنج جوّاسين فعادوا اليه واخبروه بكثرة عددهم وعُددهم وجدّهم فى طلبه فعزم على قتالهم الّا انّه خاف من اصحابه ان تضعف نفوسهم عن القتال فى هذا المقام الخطر الذى عظيم فيه اقرب من سلامتهم لقلّة عددهم وبُعدهم عن اوطانهم وبلادهم وخطر الطريق فاستشارهم فكلّهم اشاروا عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقىّ والعود الى الشام وقالوا له ان نحن انهزموا وهو الذى يغلب على الظنّ فالى اين نلتجى وبمَن نحتمى وكلّ مَن فى هذه الديار من جندىّ وعامىّ وفلّاح عدوّ لنا ، فقام امير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين برغش صاحب شقيف وكان شجاعًا وقال من يخاف القتل والاسر فلا يخدم الملوك بل يكون فى بيته مع امراته والله لئن عُدنا الى نور الدين من غير غلبة ولا بلآء نُعذر فيه ليأخذنّ ما لنا من اقطاع وجامكية وليعودن علينا بجميع ما اخذناه منذ خدمناه الى يومنا هذا ويقول تاخذون اموال المسلمين وتفرّون عن عدوّهم وتُسلّمون مثل مصر الى الكفّار والحقّ بيده ، فقال اسد الدين هذا الراى وبه اعمل وقال ابن اخيه صلاح الدين مثله وكثر الموافقون لهم واجتمعت الكلمة على القتال فاقام بمكانه حتّى ادركه المصريّون والفرنج وهو على تعبية وجعل الاثقال فى القلب يتكثّر بها ولانّه لم يمكنه ان يتركها بمكان اخر فينهبها اهل البلاد وجعل صلاح الدين فى القلب وقال له ولمن معه انّ المصريّين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنًّا منهم انّى فيه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكوا نفوسكم واندفعوا قدّامهم بين ايديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا فى اعقابهم واختار هو من شجعان عسكره جمعا يثق بهم ويعرف صبرهم فى الحرب ووقف بهم فى الميمنة فلمّا تقاتل الطائفتان فعل الفرنج ما ذكره وحملوا على القلب فقاتلهم مَن به قتالاً يسيرًا وانهزموا بين ايديهم غير متفرّقين وتبعهم الفرنج فحمل حينئذ

اسد الدين فيمن معه على من تخلّف من الذين تملوا من المسلمين والفرنج الفارس والراجل فهزمهم ووضع السيف فيهم فاثخن واكثر القتل والاسر فلمّا عاد الفرنج من اثر المسلمين رءاوا عسكرهم مهزومًا والارض منهم قفرًا فانهزموا ايضًا وكان هذا من اعجب ما يورّخ انّ الفىْ فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل ❁

ذكر مُلك اسد الدين الاسكندريّة وعوده الى الشام

لمّا انهزم المصريّون والفرنج من اسد الدين بالبابَيْن سار الى ثغر الاسكندريّة وجبى ما فى القُرى على طريقه من الاموال ووصل الى الاسكندريّة فتسلّمها بمساعدة من اهلها سلّموها اليه فاستناب بها صلاح الدين ابن اخيه وعاد الى الصعيد فملكه وجبى امواله واقام به حتّى صام رمضان ، وامّا المصريّون والفرنج فانّهم عادوا واجتمعوا على القاهرة واصلحوا حال عساكرهم وجمعوا وساروا الى الاسكندريّة فحصروا صلاح الدين بها واشتدّ الحصار وقلّ الطعام على مَن بها فصبر اهلها على ذلك وسار اسد الدين من الصعيد اليهم وكان شاور قد افسد بعض مَن معه من التركمان فوصل رسل الفرنج والمصريّين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين الف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجابه الى ذلك وشرط الفرنج ان لا يقيموا بالبلاد ولا يتملّكوا منها قرية واحدة فاجابوا الى ذلك واصطلحوا وعادوا الى الشام وتسلّم المصريّون الاسكندريّة فى نصف شوّال ووصل شيركوه الى دمشق ثامن عشر ذى القعدة وامّا الفرنج فانّهم استقرّ بينهم وبين المصريّين ان يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من انفاذ عسكر اليهم ويكون لهم من دَخْل مصر كلّ سنة مأية الف دينار هذا كلّه استقرّ مع شاور فانّ العاضد لم يكن له معه حكم قد حجر عليه وحجبه عن الامور كلّها وعاد الفرنج الى بلادهم بالساحل الشامىّ وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم وكان الكامل شجاع ابن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض الامرآء ينهى محبّته وولآه ويسأله الدخول فى طاعته وضمن على نفسه انّه يفعل هذا وبذل مالاً يحمله كلّ سنة فاجابه الى ذلك وحمل اليه مالاً جزيلًا فبقى الامر على ذلك الى ان قصد الفرنج

مصر سنة اربع وستّين وخمسمايّة فكان ما نذكره هناك ان شآء الله تعالى ❁

ذكر مُلك نور الدين صافيثا وعريمة

فى هذه السنة جمع نور الدين العساكر فسار اليه اخوه قطب الدين من الموصل وغيره فاجتمعوا على حمص فدخل نور الدين بالعساكر بلاد الفرنج فاجتازوا على حصن الاكراد فاغاروا ونهبوا وقصدوا عرقة فنازلوها وحصروها وحصروا حلبة واخذوها وخرّبوها وسارت عساكر المسلمين فى بلادهم يمينًا وشمالاً تغير وتخرب البلاد وفتحوا العريمة وصافيثا وعادوا الى حمص فصاموا بها رمضان ثم ساروا الى بانياس وقصدوا حصن هونين وهو للفرنج ايضًا من امنع حصونهم ومعاقلهم فانهزم الفرنج عنه واحرقوه فوصل نور الدين من الغد فهدم سوره جميعه واراد الدخول الى بيروت فتجدّد فى العسكر خُلف اوجب التفرّق فعاد قطب الدين الى الموصل واعطاه نور الدين مدينة الرقّة على الفراة وكانت له فاخذها فى طريقه وعاد الى الموصل ❁

ذكر قصد شنكا البصرة

فى هذه السنة عاود ابن شنكا فقصد البصرة ونهب بلدها وخرّبه من الجهة الشرقيّة وسار الى مطارا فخرج اليه كمشتكين صاحب البصرة وواقعه فاجتمع بشرف الدين ابى جعفر ابن البلدىّ الناظر فيها ومعهما مقطعهما ارغش واتّصلت الاخبار بانّ ابن شنكا واصلٌ الى واسط فخاف الناس منه خوفًا شديدًا فلم يصل اليها ❁

ذكر قصد شملة العراق

فى هذه السنة وصل شملة صاحب خوزستان الى قلعة الماهكى من اعمال بغداد وارسل الى الخليفة المستنجد بالله يطلب شيأً من البلاد ويشتطّ فى الطلب فسيّر الخليفة اكثر عساكره اليه ليمنعوه وارسل اليه يوسف الدمشقىّ يلومه ويحذّره عاقبة فعله فاعتذر بانّ ايلدكز والسلطان ارسلان شاه اقطعا الملك الذى عنده وهو ولد ملكشاه البصرة وواسط وعرض التوقيع بذلك وقال انا اقنع بثلث ذلك فعاد الدمشقىّ بذلك فامر الخليفة بلعنه وانّه من الخوارج وجمعت العساكر وسيّرت الى

ارغش المسترشدىّ وكان بالنعمانيّة هو وشرف الدين ابو جعفر ابن البلدىّ ناظر واسط مقابل شملة ثمّ انّ شملة ارسل قلج ابن اخيه فى طايفة من العسكر لقتال طايفة من الاكراد فركب ارغش فى بعض العسكر الذى عنده وسار الى قلج فحاربه فاسر قلج وبعض اصحابه وسيّرهم الى بغداد وبلغ شملة وطلب الصلح فلم تقع الاجابة اليه ثمّ انّ ارغش سقط عن فرسه بعد الوقعة فمات وبقى شملة مقيمًا مقابل عسكر الخليفة فلمّا علم انّه لا قدرة له عليهم رحل وعاد الى بلاده وكانت مدّة سفره اربعة اشهر ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة عصى غازى ابن حسّان المنبجىّ على نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فامتنع عليه فيها فسيّر اليه عسكرًا فحصروه واخذوها منه واقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال ابن حسّان وكان عادلًا خيّرًا محسنًا الى الرعيّة جميل السيرة فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف ابن ايّوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمايّة ، وفيها توفّى فخر الدين ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا واكثر ديار بكر ولمّا اشتدّ مرضه ارسل الى نور الدين محمود صاحب الشام يقول له بيننا صحبة فى جهاد الكفّار اريد ان ترعى بها ولدى ثمّ توفّى وملك بعده ولده محمّد فقام نور الدين الشامىّ بنصرته والذبّ عنه بحيث انّ اخاه قطب الدين مودودًا صاحب الموصل اراد قصد بلاده فارسل اليه اخوه نور الدين يمنعه ويقول له ان قصدتّه او تعرّضتَ الى بلاده منعتُك قهرًا فامتنع من قصده ، وفيها توفّى ابو المعالى محمّد بن الحسين بن حمدون الكاتب ببغداد وكان على ديوان الزمام فقُبض عليه فمات محبوسًا ، وفيها توفّى قماج المسترشدىّ ولد الامير يزدن وهو من اكابر الامرآء ببغداد ❊

سنة ٥٦٣

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسماية

ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكم قطب الدين فى البلاد

فى هذه السنة فارق زين الدين على ابن بكتكين النايب عن قطب الدين مودود ابن زنكى صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم فى الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزاينه ومنها شهرزور وجميع القلاع التى معها وجميع بلد الهكارية وقلاعه منها العمادية وغيرها وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمى ايضًا فلمّا عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلّم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقى معه اربل حسب وكان شجاعًا عاقلًا حسن السيرة سليم القلب ميمون النقيبة لم ينهزم من حرب قطّ وكان كريمًا كثير العطاء للجند وغيرهم مدحه الحيص بيص بقصيدة فلمّا اراد ان ينشد قال انا لا اعرف ما يقول ولكنّى اعلم انّه يريد شيأً فامر له بخمسماية دينار وفرس وخلعة مجموع ذلك الف دينار، ولم يزل باربل الى ان مات بها بهذه السنة، ولمّا فارق زين الدين قلعة الموصل سلّمها قطب الدين الى فخر الدين عبد المسيح وحكّمه فى البلاد فعمر القلعه وكانت خرابًا لانّ زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة وسار عبد المسيح سيرة سديدة وسياسة عظيمة وهو خصىّ ابيض من مماليك زنكى اتابك عماد الدين ✿

ذكر الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة

فى هذه السنة ارسل اقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة الى بغداد يسأل ان يُخطب للملك الذى هو عنده وهو ولد السلطان محمّد شاه ويبذل انّه لا يطأ ارض العراق ولا يطلب شيأً غير ذلك وبذل مالًا يحمله اذا اجيب الى ما التمسه فاجيب بتطييب قلبه، وبلغ الخبر ايلدكز صاحب البلاد فساءه ذلك وجهّز عسكرًا كثيفًا وجعل المقدّم عليهم ابنه البهلوان وسيّرهم الى اقسنقر فوقعت بينهم حربٌ اجلت عن هزيمة اقسنقر وتحصّنه بمراغة ونازله البهلوان وحصره وضيّق عليه ثم تردّدت الرسل بينهم فاصطلحوا وعاد البهلوان الى ابيه بهمدان ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد بالله شرف الدين ابا جعفر احمد بن محمّد بن سعيد المعروف بابن البلدىّ وكان ناظرًا بواسط ابان فى ولايتها عن كفاية عظيمة فاحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤساء قد تحكّم تحكّمًا عظيمًا فتقدّم الخليفة الى ابن البلدىّ بكفّ يده وايدى اهله واصحابه ففعل ذلك ووكّل بتاج الدين اخى استاذ الدار وطالبه بحساب نهر الملك لانّه كان يتولّاه من ايّام المقتفى وكذلك فعل بغيره فحصّل بذلك اموالًا جمّة وخافه استاذ الدار على نفسه فحمل مالاً كثيرًا ؛ وفى هذه السنة توفّى عبد الكريم بن محمّد بن منصور ابو سعيد ابن ابى المظفّر السمعانىّ المروزىّ الفقيه الشافعىّ وكان مكثرًا من سماع الحديث سافر فى طلبه وسمع منه ما لم يسمعه غيره ورحل الى ما وراء النهر وخراسان دفعات ودخل الى بلد الجبل واصفهان والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد وله التصانيف المشهورة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب النسب وغير ذلك احسن فيها ما شاء وقد جمع مشيختة فزادت عدّتهم على اربعة الاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج ابن الجوزىّ فقطعه فمن جملة قوله فيه انّه كان ياخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى فيقول حدّثنى فلان بما وراء النهر وهذا باردٌ جدًّا فانّ الرجل سافر الى ما وراء النهر حقًّا وسمع فى عامّة بلاده من عامّة شيوخه فاىّ حاجة به الى هذا التدليس البارد وانّما ذنبه عند ابن الجوزىّ انّه شافعىّ وله اسوة بغيره فانّ ابن الجوزىّ لم يبق على احد الا مكسرى[1] الحنابلة ؛ وفيها توفّى قاضى القضاة ابو البركات جعفر ابن عبد الواحد الثقفىّ فى جمادى الاخرة ؛ وفيها توفّى يوسف الدمشقىّ مدرّس النظاميّة بخوزستان وكان قد سار رسولاً الى شملة ؛ وفيها توفّى الشيخ ابو النجيب الشهرزورىّ الصوفىّ الفقيه وكان من الصالحين المشهورين ودُفن ببغداد ❁

---

[1]) C. P. et 740. Ups: مكرى

سنة ٥٦٤ ## ثم دخلت سنة اربع وستّين وخمسمايةٍ ٭

ذكر مُلك نور الدين قلعة جعبر

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود ابن زنكى قلعة جعبر اخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن علىّ بن مالك العقيلىّ وكانت بيده وبيد اباۤيه من قبله من ايّام السلطان ملكشاه وقد تقدّم ذكر ذلك وهى من امنع القلاع واحصنها مطلّة على الفراة من الجانب الشرقىّ ٭ وامّا سبب مُلكها فانّ صاحبها نزل منها بتصيّد فاخذه بنو كلاب وحملوه الى نور الدين فى رجب سنة ثلاث وستّين فاعتقله واحسن اليه ورغّبه فى الاقطاع والمال ليسلّم اليه القلعة فلم يفعل فعدل الى الشدّة والعنف وتهدّده فلم يفعل فسيّر اليها نور الدين عسكرًا مقدّمه الامير فخر الدين مسعود بن علىّ الزعفرانىّ فحصرها مدّة فلم يظفر منها بشىءٍ فامدّهم بعسكر اخر وجعل على الجميع الامير مجد الدين ابا بكر المعروف بابن الداية وهو رضيع نور الدين واكبر امراۤيه فحصرها ايضًا فلم ير له فيها مطمعًا فسلك مع صاحبها طريق اللين واشار عليه ان ياخذ من نور الدين العوض ولا يخاطر فى حفظها بنفسه فقبل قوله وسلّمها فاخذ عوضًا عنها سَرُوج واعمالها والملّاحة التى بين بلد حلب وباب بزاعة وعشرين الف دينار معجّلة وهذا اقطاع عظيم جدًّا الّا انّه لا حصْنَ فيه وهذا اخر امر بنى مالك بالقلعة ولكلّ امر امَدٌ ولكلّ ولاية نهاية بلغنى انّه قيل لصاحبها أَيما احبُّ اليك واحسن مقامًا سروج والشام ام القلعة فقال هذه اكثر مالاً وامّا العزّ ففارقناه بالقلعة ٭

ذكر مُلك اسد الدين مصر وقتل شاور

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار اسد الدين شيركوه ابن شاذى الى ديار مصر فملكها ومعه العساكر النوريّة وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكّن الفرنج من البلاد المصريّة وانّهم جعلوا لهم فى القاهرة شحنة وتسلّموا ابوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم واعيان فرسانهم وحكموا على المسلمين حكمًا جايرًا وركبوهم بالاذى العظيم فلمّا رءاوا ذلك وانّ البلاد ليس فيها مَن يردّهم ارسلوا الى ملك الفرنج بالشام وهو

مصر ولم يكن للفرنج مذ ظهر بالشام مثله شجاعةً ومكرًا ودهآء يستدعونه ليملكها واعلموه خلوّها من موانع وهوّنوا امرها عليه فلم يجبهم فاجتمع اليه فرسان الفرنج وذووا الراى منهم واشاروا عليه بقصدها وتملّكها فقال لهم الراى عندى اننا لا نقصدها ولا طمعة لنا واموالها تُساق الينا نتقوّى بها على نور الدين وان نحن قصدناها لنملكها فانّ صاحبها وعساكره وعامّة بلاده وفلّاحيها لا يسلّمونها الينا ويقاتلوننا دونها ويحملهم الخوف منّا على تسليمها الى نور الدين ولئن صار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج واجلآؤهم من ارض الشام فلم يقبلوا قوله وقالوا له انّها لا مانع فيها ولا حامى والى ان يتجهّز عسكر نور الدين ويسير اليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من امرها وحينئذ يتمنّى نور الدين منّا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا يتجهّزون ويظهرون انّهم يريدون قصد مدينة حمص فلمّا سمع نور الدين شرع ايضًا بجمع عساكره وامرهم بالقدوم عليه وجدّ الفرنج فى السير الى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرًا مستهلّ صفر ونهبوها وقتلوا فيها واسروا وكان جماعة من اعيان المصريّين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرةَ عداوةً منهم لشاور منهم ابن الخيّاط وابن فرجلة فقوى جنان الفرنج وساروا من بلبيس الى مصر فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس منهم ان يفعلوا بهم كما فعلوا باهل بلبيس فحملهم الخوف منهم على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم فى حفظه فلو انّ الفرنج احسنوا السيرة فى بلبيس ملكوا مصر والقاهرة ولكنّ الله تعالى حسّن لهم ذلك اى ما فعلوا ليقضى الله امرًا كان مفعولاً وامر شاور باحراق مدينة مصر تاسع صفر وامر اهلها بالانتقال منها الى القاهرة وان ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونُهبت المدينة وافتقر اهلها وذهبت اموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفًا ان يملكها الفرنج فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يومًا ٭ وارسل الخليفة العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرّفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وارسل فى الكتب شعور النسآء وقال هذه شعور نسآئى من قصرى يستغثن بك لتنقذهنّ من الفرنج فشرع فى تسيير

الجيوش ، وامّا الفرنج فانّهم اشتدّوا فى حصار القاهرة وضيّقوا على اهلها وشاور هو المتولّى للامر والعساكر والقتال فضاق به الامر وضعُف عن ردّهم فاخلد الى اعمال الحيلة فارسل الى ملك الفرنج يذكر له مودّته ومحبّته له قديمًا وانّ هواه معه لخوفه من نور الدين والعاضد وانّما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشير بالصلح واَخْذ مال لئلّا ينسلّم البلاد نور الدين فاجابه الى ذلك على ان يعطوه الف الف دينار مصريّة يعجّل البعض ويمهل بالبعض فاستقرّت القاعدة على ذلك وراى الفرنج انّ البلاد قد امتنعت عليه وربّما سلّمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا ناخذ المال فنتقوّى به ونعاود البلاد بقوّة لا نبالى معها بنور الدين وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ[1] فعجّل لهم شاور مائة الف دينار وسالهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال فرحلوا قريبًا وجعل شاور يجمع لهم المال من اهل القاهرة ومصر فلم يتحصّل له الّا قدرٌ لا يبلغ خمسة الاف دينار وسببه انّ اهل مصر كانوا قد احترقت دورهم وما فيها وما سلم نُهب وهم لا يقدرون على الاقوات فضلًا عن الاقساط وامّا اهل القاهرة فالاغلب على اهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذّرت عليهم الاموال وهم فى خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثُلث بلاد مصر وان يكون اسد الدين مقيمًا عندهم فى عسكر واقطاعهم من البلاد المصريّة ايضًا خارجًا عن الثُلث الذى لهم ، وكان نور الدين لمّا وصله كُتب العاضد بحلب ارسل الى اسد الدين يستدعيه اليه فخرج القاصد فى طلبه فلقيه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت اقطاعه وكان سبب وصوله انّ كتب المصريّين وصلته ايضًا فى المعنى فسار ايضًا الى نور الدين واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره فى الحال وسرّه ذلك وتفأّل به وامر بالتجهيز الى مصر واعطاه مايتىْ الف دينار سوى الثياب والدوابّ والاسلحة وغير ذلك وحكّمه فى العسكر والخزاين واختار من العسكر الفىْ فارس واخذ المال وجمع ستّة الاف فارس وسار هو ونور الدين الى باب دمشق فوصلها سلخ

---

1) Cor. 3, 47.

صفر ورحل الى راس الماء واعطى نور الدين كلّ فارس ممّن مع اسد
الدين عشرين دينارًا معونةً غير محسوبة من جامكيته واضاف الى اسد
الدين جماعة اخرى من الامرآء منهم مملوكه عزّ الدين جرديك[1]
وغرس الدين قلج وشرف الدين برغش[2] وعين الدولة الياروقىّ وقطب
الدين ينال ابن حسّان المنبجىّ وصلاح الدين يوسف ابن ايّوب
اخى شيركوه على كره منه وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ[3] احبّ نور الدين مسير صلاح
الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته ومُلكه
وسيرد ذلك عند موت شيركوه ان شآء الله تعالى ٭ وسار اسد الدين
شيركوه من راس الماء مجدًّا منتصف ربيع الاوّل فلمّا قارب مصر رحل
الفرنج الى بلادهم بخُفَّى حُنين خايبين ممّا أمّلوا وسمع نور الدين
بعودهم فسرّه ذلك وامر بضرب البشاير فى البلاد وبثّ رسله فى الافاق
مبشّرين بذلك فانّه كان فتحًا جديدًا لمصر وحفظًا لبلاد الشام وغيرها ٭
فامّا اسد الدين فانّه وصل الى القاهرة سابع جمادى الاخرة ودخل
اليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة
العاضديّة وفرح به اهل مصر وأُجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة
والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع عن ذلك لانّه راى العساكر كثيرة
مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على اظهار ما فى نفسه
وشرع يماطل اسد الدين فى تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال
واقطاع الجند وافراد ثُلث البلاد لنور الدين وهو يركب كلّ يوم الى
اسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا[4]
ثمّ انّه عزم على ان يعمل دُعوة يدعوا اليها اسد الدين والامرآء الذين
معه ويقبض عليهم ويستخدم مَن معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من
الفرنج فنهاه ابنه الكامل وقال له والله لَئِن عزمتَ على هذا الامر لاعرّفنّ
شيركوه فقال له ابوه والله لَئِن لم تفعل هذا لنقتلنّ جميعًا فقال
صدقتَ ولَئِن نقتل ونحن مسلمون والبلاد اسلاميّة خير من ان نقتل

---

[1]) حرديك [2]) برغش [3]) Cor. 2, 213. [4]) Cor. 4, 119.

وقد ملكها الفرنج فانّه ليس بينك وبين عود الفرنج الّا ان يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارسًا واحدًا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه ، ولمّا راى العسكر النوريّ مطل شاور خافوا شرّه فاتّفق صلاح الدين يوسف ابن ايّوب وعز الدين جُرديك وغيرهم على قتل شاور فنهاهم اسد الدين فسكتوا وهم على ذلك العزم من قتله فاتّفق انّ شاور قصد عسكر اسد الدين على عادته فلم يجده فى الخيام كان قد مضى يزور قبر الشافعىّ رضى الله عنه فلقيه صلاح الدين يوسف وجُرديك فى جمع من العسكر وخدموه واعلموه بانّ شيركوه فى زيارة قبر الامام الشافعىّ فقال نمضى اليه فساروا جميعًا فسايره صلاح الدين وجُرديك والقوه الى الارض عن فرسه فهرب اصحابه عنه فأُخذ اسيرًا فلم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين فتوكّلوا بحفظه وسيّروا اعلموا اسد الدين فحضر ولم يمكنه الّا اتمام ما عملوه وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر فارسل الى اسد الدين يطلب منه راس شاور وتابع الرسل بذلك فقتل وارسل راسه الى العاضد فى السابع عشر من ربيع الاخر ودخل اسد الدين القاهرة فراى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم امير المومنين يعنى العاضد يامركم بنهب دار شاور فتفرّق الناس عنه اليها فنهبوها وقصد هو قصر العاضد فخلع عليه خلع الوزارة ولقب الملك المنصور امير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهى التى كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقرّ فى الامر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا منازع واستعمل على الاعمال مَن يثق اليه من اصحابه واقطع البلاد لعساكره ، وامّا الكامل ابن شاور فانّه لمّا قُتل ابوه دخل القصر هو واخوته معتصمين به فكان اخر العهد بهم فكان شيركوه يتاسّف عليه كيف عُدم لانّه بلغه ما كان منه مع ابيه فى منعه من قتل شيركوه وكان يقول وددتُّ انّه بقى لاحسن اليه جزآء الصنيعة ❁

ذكر وفاة اسد الدين شيركوه

لمّا ثبت قدم اسد الدين وظنّ انّه لم يبق له منازع اتاه اجله

حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً[1] فتوفّى يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الاخرة سنة اربع وستّين وخمسمائة وكانت ولايته شهرين وخمسة ايّام، وامّا ابتدآء امره وسبب اتّصاله بنور الدين فانّه كان هو واخوه نجم الدين ايّوب ابنا شاذى من بلد دوين من اذربيجان واصلهما من الاكراد الروادية وهذا القبيل هم اشرف الاكراد فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فرأى من نجم الدين عقلاً ووفرًا وحسن سيرة وكان اكبر من شيركوه فجعله مستحفظًا لقلعة تكريت وهى له فسار اليها ومعه اخوه شيركوه، فلمّا انهزم اتابك الشهيد زنكى ابن اقسنقر بالعراق من قراجا الساقى على ما ذكرناه سنة ستّ وعشرين وخمسمائة وصل منهزمًا الى تكريت فخدمه نجم الدين واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن ايّوب صحبتهم وسيرهم ثمّ انّ شيركوه قتل انسانًا بتكريت لملاحة جرت بينهما فاخرجهما بهروز من القلعة فسارا الى الشهيد زنكى فاحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعًا حسنًا فلمّا ملك قلعة بعلبكّ جعل ايّوب مستحفظًا بها، فلمّا قُتل الشهيد حصر عسكر دمشق بعلبكّ وهو بها فضاق عليه الامر وكان سيف الدين غازى ابن زنكى مشغولاً عنه باصلاح البلاد فاضطرّ الى تسليمها اليهم فسلّمها على اقطاع ذكره فاجيب الى ذلك وصار من اكبر الامرآء بدمشق، واتّصل اخوه اسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد قتل زنكى وكان يخدمه فى ايّام والده فقرّبه وقدّمه ورأى منه شجاعة يعجز غيره عنها فزاده حتّى صار له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدّم عسكره فلمّا اراد نور الدين مُلك دمشق امره فراسل اخاه ايّوب وهو بها وطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب الى [ذلك على] ما يزاد منه على اقطاع ذكره له ولاخيه وقرًى يتملّكانها فاعطاهما ما طلبا وفتح دمشق على ما ذكرناه ووفا لهما وصارا اعظم امرآء دولته فلمّا اراد ان يرسل

---

[1]) Cor. 6, 44.

العساكر الى مصر لم ير لهذا الامر العظيم والمقام الخطر غيره فارسله
فـفـعـل ما ذكـرناه اوّلاً واخـراً والله اعـلـم ۞

ذكر مُلك صلاح الدين مصر

لمّا توفّى اسد الدين شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن اخيه ايّوب ابن شاذى قد سار معه على كره منه للمسير حكى لى عنه بعض اصدقآينا ممّن كان قريبًا اليه خصيصًا به قال لمّا ردّدت كُتب العاضد على نور الدين يستغيث به من الفرنج ويطلب ارسال العساكر احضرنى واعلمنى الحال وقال تمضى الى عمّك اسد الدين بحمص مع رسولى اليه ليحضر وتحثّه انت على الاسراع فما يحتمل الامر التاخير ففعلتُ وخرجنا من حلب فما كنّا على ميل من حلب حتّى لقيناه قادمًا فى هذا المعنى فامره نور الدين بالمسير فلمّا قال له نور الدين ذلك التفت عمّى الىّ فقال لى تجهّز يا يوسف فقلتُ والله لو اعطيتَ مُلك مصر ما سرتُ اليها فلقد قاسيتُ بالاسكندريّة وغيرها ما لا أنْساه ابدًا فقال لنور الدين لا بُدّ من مسيره معى فتامر به فامرنى نور الدين وانا استقيل وانقضى المجلس وتجهّز اسد الدين ولم يبق غير المسير قال لى نور الدين لا بُدّ من مسيرك مع عمّك فشكوتُ اليه الضايقة وعدم البرك فاعطانى ما تجهّزتُ به فكانّما اساق الى الموت فسرتُ معه وملكها ثم توفّى فملّكنى الله تعالى ما لا كنتُ اطمع فى بعضه ۞ وامّا كيفيّة ولايته فانّ جماعة من الامرآء النوريّة الذين كانوا بمصر طلبوا التقدّم على العساكر وولاية الوزارة العاضديّة بعده منهم عين الدولة الياروقى وقطب الدين ينال وسيف الدين المشطوب الهكّارىّ وشهاب الدين محمود الحارمىّ وهو خال صلاح الدين وكلّ واحد من هولآء يخطبها وقد جمع اصحابه ليغالب عليها فارسل العاضد الى صلاح الدين احضره عنده وخلع عليه وولّاه الوزارة بعد عمّه وكان الذى حمله على ذلك انّ اصحابه قالوا له ليس فى الجماعة اضعف ولا اصغر سنًّا من يوسف والراى ان يولّى فانّه لا يخرج من تحت حكمنا ثم نضع على العساكر مَن يستميلهم الينا فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ثم ناخذ يوسف او نخرجه فلمّا خلع عليه لقب الملك الناصر ولم يطعه احد من

اولیك الامرآء الذین یریدون الامر لانفسهم ولا خدموه وكان الفقیه عیسى الهكاریّ معه فسعى مع المشطوب حتّى اماله الیه وقال له انّ هذا الامر لا یصل الیك مع عین الدولة والحارمیّ وغیرهما ثم قصد الحارمیّ وقال هذا صلاح الدین هو ابن اختك وعزّه ومُلكه لك وقد استقام له الامر فلا تكن اوّل مَن یسعى فی اخراجه عنه ولا یصل الیك فمال الیه ایضًا ثم فعل مثل هذا بالباقین وكلّهم اطاع غیر عین الدولة الیاروقیّ فانّه قال انا لا اخدم بیوسف وعاد الى نور الدین بالشام ومعه غیره من الامرآء وثبت قدم صلاح الدین ومع هذا فهو نایب عن نور الدین وكان نور الدین یكاتبه بالامیر الاسفهسلار ویكتب علامته على راس الكتاب تعظیمًا عن ان یكتب اسمه وكان لا یفرده بكتاب بل یكتب الامیر الاسفهسلار صلاح [الدین] وكافة الامرآء بالدیار المصریّة یفعلون كذا ٭ واستمال صلاح الدین قلوب الناس وبذل الاموال فمالوا الیه واحبّوه وضعُف امر العاضد ثم ارسل صلاح الدین یطلب من نور الدین ان یرسل الیه اخوته واهله فارسلهم الیه وشرط علیهم طاعته والقیام بامره ومساعدته وكلّهم فعل ذلك واخذ اقطاعات الامرآء المصریّین فاعطاهم اهله والامرآء الذین معه وزادهم فازدادوا له حبًّا وطاعةً ٭ قد اعتبرتُ التواریخ فرایتُ كثیرًا من التواریخ الاسلامیّة التی یمكن ضبطها ورایتُ كثیرًا ممّن یبتدی الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض اهله واقاربه منهم اوّل الاسلام معاویة ابن ابى سفیان اوّل مَن ملك من اهل بیته فتنتقل الملك من اعقابه الى بنى مروان من بنى عمّه ثم من بعده السفّاح اوّل مَن ملك من بنى العبّاس انتقل الملك من اعقابه الى اخیه المنصور ثم السامانیّة اوّل مَن استبدّ منهم نصر بن احمد فانتقل الملك عنه الى اخیه اسمعیل بن احمد واعقابه ثم یعقوب الصفّار وهو اوّل مَن ملك من اهل بیته فانتقل الملك الى اخیه عمرو واعقابه ثم عماد الدولة ابن بویه اوّل مَن ملك من اهله انتقل الملك عنه الى اخویه ركن الدولة وعزّ الدولة ثم خلص فی اعقاب ركن الدولة ومعزّ الدولة ثم خلص فی اعقاب ركن الدولة ثم الدولة السلجقیّة اوّل مَن ملك منهم طغرلبك انتقل الملك الى اولاد اخیه داود ثم هذا شیركوه كما

ذكرناه انتقل الملك الى اعقاب اخيه ايّوب ثم انّ صلاح الدين لمّا انشى الدولة وعظّمها وصار كانّه اوّل لها نقل الملك الى اعقاب اخيه العادل ولم يبق بيد اعقابه غير حلب وهذه اعظم الدول الاسلاميّة ولولا خوف التطويل لذكرنا اكثر من هذا والذى اظنّه السبب فى ذلك انّ الذى يكون اوّل دولة يكثر ويأخذ الملك وقلوب مَن كان فيه متعلّقة به فلهذا يحرمه الله اعقابه ومَن يفعل ذلك من اجلهم عقوبة له ☆

ذكر وقعة السودان بمصر

فى هذه السنة فى اوايل ذى القعدة قُتل مؤتمن الخلافة وهو خصىّ كان بقصر العاضد اليه الحكم فيه والتقدّم على جميع من يحويه فاتّفق هو وجماعة من المصريّين على مكاتبة الفرنج واستدعايهم الى البلاد والتقوّى بهم على صلاح الدين ومَن معه وسيّروا الكُتب مع انسان يثقون اليه واقاموا ينتظرون جوابه وسار ذلك القاصد الى البير البيضا فلقيه انسان تركمانىّ فراى معه نعلَيْن جديدَيْن فاخذهما منه وقال فى نفسه لو كانا ممّا يلبسه هذا الرجل لكان خلقين فانّه رث الهيئة وارتاب به وبهما فاتى به صلاح الدين ففتقهما فراى الكتاب فيهما فقراه وسكت عليه وكان مقصود مؤتمن الخلافة ان يتحرّك الفرنج الى الديار المصريّة فاذا وصلوا اليها خرج صلاح الدين فى العساكر الى قتالهم فيثور مؤتمن الخلافة بمَن معه من المصريّين على متخلّفيهم فيقتلونهم ثم يخرجون باجمعهم يتبعون صلاح الدين فياتونه من ورآء ظهره والفرنج من بين يديه فلا يبقى لهم باقية فلمّا قرأ الكتاب سال عن كاتبه فقيل رجل يهودىّ فأُحضر فامر بضربه وتقريره فابتدا واسلم واخبره الخبر واخفى صلاح الدين الحال وانّ مؤتمن الخلافة استشعر فلازم القصر ولم يخرج منه خوفاً واذا خرج لم يبعد من صلاح الدين [وصلاح الدين] لا يظهر له شياً من الطلب لئلّا ينكر ذلك فلمّا طال الامر خرج من القصر الى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه فلمّا علم به صلاح الدين ارسل اليه جماعة فاخذوه وقتلوه واتوا براسه وعزل جميع الخدم الذين يتولّون امر قصر الخلافة واستعمل على الجميع بهآء الدين قراقوش وهو خصىّ ابيض وكان لا يجرى فى القصر صغيرًا ولا كبيرًا الّا بامره ٭ فغضب السودان لقتل

موتمن الخلافة للجنسيّة ولانّه كان يتعصّب لهم فحشدوا وجمعوا فزادت عدّتهم على خمسين الفًا وقصدوا حرب الاجناد الصلاحيّة فاجتمع العسكر ايضًا وقاتلوهم بين القصرين وكثر القتل فى الفريقين فارسل صلاح الدين الى محلّتهم المعروفة بالمنصورة فاحرقها على اموالهم واولادهم فلمّا اتاهم الخبر بذلك ولّوا منهزمين فركبهم السيف وأُخذت عليهم افواه السكك فطلبوا الامان بعد ان كثر فيهم القتل فاجيبوا الى ذلك فاخرجوا من مصر الى الجيزة فعبر اليهم شمس الدولة اخو صلاح الدين الاكبر فى طايفة من العسكر فاباده بالسيف ولم يبق منهم الّا القليل الشريد وكفى الله تعالى شرّهم والله اعلم ❀

ذكر مُلك شملة فارس واخراجه عنها

فى هذه السنة ملك شملة صاحب خوزستان بلاد فارس وأُخرج عنها وسبب ذلك انّ زنكى ابن دكلا صاحبها اسآ السيرة مع عسكره فارسلوا الى شملة بخوزستان وحسّنوا له قصد فارس فجمع عساكره وتجهّز وسار اليها فخرج اليه زنكى ابن دكلا ووقعت بينهم حرب خامر فيها اصحاب زنكى عليه فانهزم فى شرذمة من عسكره ونجا بنفسه وقصد الاكراد الشوانكار والتجا اليهم فاجاره صاحبها واحسن ضيافته ونزل شملة ببلاد فارس فملكها فاسآ السيرة الى اهلها ونهب ابن اخيه ابن شُنكا البلاد فتغيّرت بواطن اهلها عليه واجتمع الى زنكى بعض العسكر الذين خامروا عليه لما رءاوا من سُوء سيرة شملة واستعاد زنكى بلاده ورجع الى ملكه وعاد شملة الى بلاده خوزستان ❀

ذكر مُلك ايلدكز الرىّ

فى هذه السنة ملك ايلدكز مدينة الرىّ والبلاد التى كانت بيد اينانج وسبب ذلك انّ ايلدكز كان قد استقرّ الامر بينه وبين اينانج على مال يودّيه الى ايلدكز فمنعه سنتين فارسل ايلدكز يطلب المال فاعتذر بكثرة غلمانه وحاشيته فتجهّز ايلدكز وقصد الرىّ فالتقاه اينانج وحاربه حربًا عظيمًا فانهزم اينانج ومضى منهزمًا فتحصّن بقلعة طبرك فحصره ايلدكز فيها وراسل سرًّا جماعة من مماليكه فاطمعهم فى الاقطاعات والاموال والاحسان العظيم ليقتلوا اينانج فقتلوه وكانوا جماعة

كثيرة وسلّموا البلد الى ايلدكز فرتّب فيه عمر ابن علىّ ياغ وعاد الى همدان ولم يف للغلمان الذين قتلوا اينانج وسلّموا البلد اليه بما وعدهم وقال مثل هولآء ينبغى ان لا يستخدموا وابعدهم عنه فتفرّقوا فى البلاد فسار بعضهم وهو الذى تولّى قتله الى خوارزم شاه فصلبه خوارزم شاه نكالاً بما فعل بصاحبه ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة رُاِىَ فى دار الخليفة رجل غريب فى الطريق الى يركب فيه وفى يده سكين صغيرة وفى يده سكين اخرى كبيرة فاخذوه وقرّروه فقال انا من حلب فحبس وعوقب البوّاب ولم يعلم من اين دخل ، وفيها قبض ابن البلدىّ وزير الخليفة على الحسين ابن محمّد المعروف بابن السبتىّ وعلى اخيه الاصغر وكانا ابنَىْ عمّة عضد الدين استاذ الدار وكان الاصغر عامل البيمارستان فقطعت يده ورجله قيل كان عنده صنج يقبض بها ويحمل الى الديوان بالصنج الصحيحة وقيل غير ذلك وحُمل الى البيمارستان فمات به وكان شاعراً فمن شعره وهو محبوس هذه الابيات

سلام على اهلى وصحبى وجُلاسى	ومَن فى فؤادى ذكرُهم راسبٌ راسى
اعانج فيكم كلّ همّ ولا ارى	لدآء همومى غير رؤيتكم اسى
لقد ابدت الايّام لى كلّ شدّة	تشيب لها الاكباد فضلًا عن الراس
فيا ابنة عبد الله صبرًا على الذى	لقيتُ فهذا الحكم من مالك الناس
فلو ابصرتْ عيناكِ ذلّى بكيتِ لى	بدمع سوىّ بالمدامع رجّاس
اقول لقلبى والهموم تنوشه	وقد حدّثته النفس بالضرّ والباس
فلو همّ طيف من خيالى يزوركم	لمانعه دون المغالف حُرّاسى
وما حذرى الّا على النفس لا على	سواها لانّى حلف فقر وافلاس ،

وفيها توفّى المعمّر بن عبد الواحد بن رجاء ابو احمد الاصفهانىّ الحافظ يروى عن اصحاب ابى نُعَيْم وكان موته بالبادية ذاهبًا الى الحجّ فى ذى القعدة ، وفى رجب منها توفّى الشيخ ابو محمّد الفارقىّ المتكلّم على الناس وكان احد الزهّاد له كرامات كثيرة وكان يتكلّم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور ، وفيها مات جُعَيْفر الرقّاص من ندمآء دار الخلافة ، وفى

شوّال منها توفّى القاضى ابو الحسن علىّ بن يحيى القرشىّ الدمشقىّ ٭
وفى ذى الحجّة توفّى نجم الدين بن محمّد بن علىّ بن القسم الشهرزورىّ
قاضى الموصل وولى ابنه حجّة الدين عبد القاهر القضاء ۞

ثم دخلت سنة خمس وستّين وخمسماية ٭ سنة ٥٦٥

ذكر حصر الفرنج دمياط

فى هذه السنة فى صفر نزل الفرنج على مدينة دمياط من الديار
المصريّة وحصروها وكان الفرنج بالشام لمّا ملك اسد الدين شيركوه
مصر قد خافوه وايقنوا بالهلاك وكاتبوا الفرنج الذين بصقلّية والاندلس
وغيرها يستمدّونهم ويعرّفونهم ما تجدّد من مُلك الاتراك مصر وانّهم
خايفون على البيت المقدّس منهم فارسلوا جماعة من القسوس والرهبان
يحرّضونهم على الحركة فامدّوهم بالاموال والرجال والسلاح واتّعدوا
للنزول على دمياط ظنًّا منهم انّهم يملكونها ويتّخذونها ظهرًا يملكون
به الديار المصريّة فَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا[1] فالى
ان دخلوا كان اسد الدين قد مات وملك صلاح الدين فاجتمعوا
عليها وحصروها وضيّقوا على مَن بها ٭ فارسل اليها صلاح الدين العساكر
فى النيل وحشر فيها كلّ مَن عنده وامدّهم بالاموال والسلاح والذخاير
وارسل الى نور الدين يشكوا ما هم فيه من المخافة ويقول انى ان
تاخّرتُ من دمياط ملكها الفرنج وان سرتُ اليها خلفنى المصريّون فى
اهلها واموالها بالشرّ وخرجوا عن طاعتى وساروا فى اثرى والفرنج أمامى
فلا يبقى لنا باقية فسيّر نور الدين العساكر اليه أرسالا يتلوا بعضها
بعضًا ثمّ سار هو بنفسه الى بلاد الفرنج الشاميّة فنهبها واغار عليها
واستباحها فوصلت الغارات الى ما لم تكن تبلغه قبلُ لخُلوّ البلاد من
مانع ٭ فلمّا راى الفرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين
الى بلادهم ونهبها وتخريبها رجعوا خايبين لم يظفروا بشىءٍ ووجدوا
بلادهم خرابًا واهلها بين قتيل واسير فكانوا موضع المثل خرجت النعامة
تطلب قرنين رجعت بلا اذنين وكان مدّة مقامهم على دمياط خمسين

---

[1]) Cor. 33, 25.

يومًا اخرج فيها صلاح الدين اموالًا لا تُحصى حكى انّه قال ما رايتُ اكرم من العاضد ارسل الىّ مرّة لمقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصريّة سوى الثياب وغيرها ۞

ذكر حصر نور الدين الكرك

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة سار نور الدين الى بلد الفرنج فحصر الكرك وهو من امنع المعاقل على طرف البرّ وكان سبب ذلك انّ صلاح الدين ارسل الى نور الدين يطلب ان يرسل اليه والده نجم الدين ايّوب فجهّزه نور الدين وسيّره وسيّر معه عسكرًا واجتمع معه من التجار خلق كثير وانضاف اليهم مَن كان له مع صلاح الدين انسٌ وصحبةٌ فخاف نور الدين عليهم من الفرنج فسار فى عساكره الى الكرك فحصره وضيّق عليه ونصب عليه المنجنيقات فاتاه الخبر انّ الفرنج قد جمعوا له وساروا اليه وقد جعلوا فى مقدّمتهم اليه ابن هنفرى وقريب ابن الرقيق[1] وهما فارسا الفرنج فى وقتهما فرحل نور الدين نحو هذَيْن المقدّمَيْن ليلقاهما ومَن معهما قبل ان يلتحق بهما باقى الفرنج فلمّا قاربهما رجعا القهقرى واجتمعا بباقى الفرنج وسلك نور الدين وسط بلادهم ينهب ويحرق ما على طريقه من القرى الى ان وصل الى بلاد الاسلام فنزل على عشترا واقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم فلم يبرحوا من مكانهم فاقام هو حتّى اتاهم خبر الزلزلة الحادثة فرحل ، وامّا نجم الدين ايّوب فانّه وصل الى مصر سالمًا هو ومَن معه وخرج العاضد الخليفة التقاه اكرامًا له ۞

ذكر غزوة لسريّة نوريّة

كان شهاب الدين الياس بن ايلغازى بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سار فى عسكره وهو فى مايتَىْ فارس الى نور الدين وهو بعشترا فلمّا وصل الى قرية اللبوة وهى من عمل بعلبكّ ركب متصيّدًا فصادف ثلثمايّة فارس من الفرنج قد ساروا للاغارة على بلاد الاسلام سابع عشر شوّال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا واشتدّ القتال وصبر الفريقان لا سيّما المسلمون فانّ الف فارس لا يصبرون لحملة ثلثمايّة

---

[1]) C. P.: قريب بن الدقيق :740 قريب بن الدقيق

فارس افرنجيّة وكثر القتلى بين الطايفتين فانهزم الفرنج وعمّهم القتل والاسر فلم يفلت منهم الّا من لا يعتدّ به وسار شهاب الدين برؤس القتلى وبالاسرى الى نور الدين فركب نور الدين والعسكر فلقوهم فراى نور الدين فى الرؤس راس مقدّم الاسبتار صاحب حصن الاكراد وكان من الشجاعة بمحلّ كبير وكان شجىً فى حلوق المسلمين ۞

ذكر الزلزلة وما فعلته بالشام

فى هذه السنة ايضًا ثانى عشر شوّال كانت زلازل عظيمة متتابعة هايلة لم ير الناس مثلها وعمّت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدّها كان بالشام فخرّبت كثيرًا من دمشق وبعلبكّ وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها وتهدّمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحدّ فلمّا اتاه الخبر سار الى بعلبكّ ليعمّر ما انهدم من سورها وقلعتها فلمّا وصلها اتاه خبر باقى البلاد وخراب اسوارها وقلاعها وخلوّها من اهلها فجعل ببعلبكّ مَن يعمرها ويحفظها وسار الى حمص ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بعرين وكان شديد الحذر على ساير البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فراى فيها من اثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانّها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممّن نجا كلّ مبلغ وكانوا لا يقدرون ياوون مساكنهم خوفًا من الزلزلة فاقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتّى احكم اسوار البلاد وجوامعها واما بلاد الفرنج فانّ الزلازل ايضًا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفًا من نور الدين عليها فاشتغل كلّ منهم بعمارة بلاده خوفًا من الاخر ۞

ذكر وفاة قطب الدين مودود ابن زنكى ومُلك ابنه سيف الدين غازى

فى هذه السنة فى ذى الحجّة مات قطب الدين مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل بالموصل وكان مرضه حمّى حادّة ولمّا اشتدّ مرضه وصّى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكى وعدل عنه الى ابنه الاخر سيف الدين غازى وانّما صرف الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكى ابن مودود لانّ القيّم بامور دولته والمقدّم فيها كان

خادمًا له يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانّه
كان طوع عمّه نور الدين لكثرة مقامه عنده ولانّه زوج ابنته وكان
نور الدين يبغض عبد المسيح فاتّفق فخر الدين وخاتون ابنة حسام
الدين تمرتاش ابن ايلغازى وهى والدة سيف الدين على صرف الملك
عن عماد الدين الى سيف الدين فدخل عماد الدين الى عمّه نور
الدين مستنصرًا به ليعينه على اخذ الملك لنفسه ، وتوفّى قطب الدين
وعمره نحو اربعين سنة وكان مُلكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر
ونصفًا وكان فخر الدين هو المدبّر للامور والحاكم فى الدولة وكان قطب
الدين من احسن الملوك سيرةً واعفّهم عن اموال رعيّته محسنًا اليهم
كثير الانعام عليهم محبوبًا الى كبيرهم وصغيرهم عطوفًا على شريفهم ووضيعهم
كريم الاخلاق حسن الصحبة لهم فكانّ القايل اراده بقوله

خلق كمآء المزن طيب مذاقة والروضة الغنّاء طيب نسيم
كالسيف لكنّ فيه حلم واسعٌ عمّن جنا والسيف غير حليم
كالغيث الّا انّ وابل جُوده ابدًا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر الّا انّه ذو رحمة والدهر قسى القلب غير رحيم

وكان سريع الانفعال للخير بطيًّا عن الشرّ جمّ المناقب قليل المعايب
رحمة الله ورضى عنه وعن جميع المسلمين بمنّه وكرمه انّه جواد كريم ۞

ذكر حالة ينبغى للملوك ان يحترزوا من مثلها

حدّثنى والدى رحمة الله قال كنتُ اتولّى جزيرة ابن عمر لقطب
الدين كما علمتم فلمّا كان قبل موته بيسير اتانا كتاب من الديوان
بالموصل يامرون بمساحة جميع بساتين العقيمة وهذه العقيمة هى قرية
تحاذى الجزيرة بينها دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يُمسح فيوخذ
منه على كلّ جريب شئٌ معلوم وبعضها عليه خراج وبعضها مطلق من
الجميع قال وكان لى فيها ملك كثير فكنتُ اقول انّ المصلحة ان لا يغير
على الناس شئٌ وما اقول هذا لاجل ملكى فاننى انا امسح ملكى وانّما
اريد ان يدوم الدعآء من الناس للدولة فجآنى كتاب النايب يقول لا
بُدّ من المساحة قال فاظهرت الامر وكان بها قوم صالحون لى بهم انس
وبيننا مودّة فجآنى الناس كلّهم واولئك معهم يطلبون المراجعة فاعلمتهم

انى رجعتُ وما أُجبتُ الى ذلك فجآءنى منهم رجلان اعرف صلاحهما فطلبا منى المعاودة ومخاطبة ثانية ففعلت فاصرّوا على المماسحة فعرّفتُهما الحال قال فما مضى الّا عدّة ايّام واذا قد جآءنى الرجلان فلمّا رايتهما ظننتُ انّهما جآءا يطلبان المعاودة فعجبتُ منهما واخذتُ اعتذر اليهما فقالا ما جينا اليك فى هذا وانّما جينا نعرّفك انّ حاجتنا قضيتْ قال فظننتُ انّهما قد ارسلا الى الموصل الى من يشفع لهما فقلتُ مَن الذى خاطب فى هذا بالموصل فقالا انّ حاجتنا قد قضيتْ من السمآء ولكافّة اهل العقيمة قال فظننتُ انّ هذا ممّا قد حدّثا به نفوسهما ثم قاما عنّى فلم يمض غير عشرة ايّام واذا قد جآءنا كتاب من الموصل يامرون باطلاق المساجين[1] والحبسيين والمكوس ويامرون بالصدقة ويقول انّ السلطان يعنى قطب الدين مريض يعنى على حالة شديدة ثم بعد يومَيْن او ثلاثة جآءنا الكتاب بوفاته فعجبتُ من قولهما واعتقدتُه كرامةً لهما فصار والدى بعد ذلك يكثر اكرامهما واحترامهما ويزورهما ✿

ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مردنيش[2]

كان محمّد ابن سعيد بن مردنيش[2] ملك شرق الاندلس قد اتّفق هو والفرنج وامتنع على عبد المؤمن وابنه بعده فاستفحل امره لا سيّما بعد وفاة عبد المؤمن فلمّا كان هذه السنة جهّز اليه يوسف ابن عبد المؤمن فجاسوا بلاده وخرّبوها واخذوا مدينتَيْن من بلاده واخافوا عساكره وجنوده واقاموا ببلاده مدّة ينتقلون فيها ويجبون اموالها ✿

ذكر وفاة صاحب كرمان والخلف بين اولاده

فى هذه السنة توفّى الملك طغرل ابن قاورت صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر وجرى بينهما قتال انهزم فيه بهرام شاه الى خراسان فدخل على المؤيّد صاحب نيسابور واستنجده فانجده بعساكر سار بها الى كرمان فجرى بين الاخوَيْن حربٌ ظفر فيها بهرام شاه [وهرب ارسلان شاه فقصد اصفهان مستجيرًا بايلدكز فانفذ معه عسكرًا واستنقذوا البلاد من بهرام شاه وسلّموها الى اخيه

---

1) مساجد 2) مردنيس

ارسلان شاه فعاد][1] بهرام شاه الى نيسابور مستجيرًا[2] بالمؤيّد صاحبها فاقام عنده فاتّفق انّ اخاه ارسلان شاه مات فسار الى كرمان فملكها واقام بها بغير منازع ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كثرت الاذيّة من عبد الملك بن محمّد بن عطاء وتطرّق الى بلاد حلوان ونهب وافسد واخذ من الحاجّ فانفذ اليه من بغداد عسكر فنازلوه فى قلاعه وضايقوه ونهبوا امواله واموال اهله حتّى اذعن بالطاعة ولا يعاود اذى الحاجّ ولا غيرهم فعاد عنهم العسكر ، وفيها توفّى مجد الدين ابو بكر ابن الداية وهو رضيع نور الدين وكان اعظم الامرآء منزلةً عنده وله فى اقطاعه حلب وحارم وقلعة جعبر فلمّا توفّى ردّ نور الدين ما كان له الى اخيه شمس الدين علىّ ابن الداية ، وفيها فى شعبان توفّى احمد بن صالح بن شافع[2] ابو الفضل الجيلىّ وهو من مشهورى المحدّثين الجيلىّ بالجيم واليآء تحتها نقطتان ۞

سنة ٥٦٦ ثمّ دخلت سنة ستّ وستّين وخمسمائة ،

ذكر وفاة المستنجد بالله

فى هذه السنة تاسع ربيع الاخر توفّى المستنجد بالله ابو المظفّر يوسف بن المقتفى لامر الله ابى عبد الله محمّد بن المستظهر بالله وقد تقدّم باقى النسب فى غير موضع وامّه امّ ولد اسمها طاووس وقيل نرجس روميّة ومولده مستهلّ ربيع الاخر سنة عشر وخمسمائة وكان اسمر تامّ القامة طويل اللحية وكان سبب موته انّه مرض واشتدّ مرضه وكان قد خافه استاذ الدار عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤسآء وقطب الدين قايماز المقتفوىّ وهو حينئذ اكبر امير ببغداد فلمّا اشتدّ مرض الخليفة اتّفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له ما يؤذيه فوصف له دخول الحمّام فامتنع لضعفه ثمّ انّه دخل واغلق عليه بابه فمات وهكذا سمعت عن غير واحد ممّن يعلم الحال وقيل انّ الخليفة كتب الى وزيره مع طبيبه ابن صفية يامره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين وصلبهما

[1]) C. P. [2]) ساقع

فاجتمع ابن صفية باستاذ الدار واعطاه خطّ الخليفة فقال له تعود وتقول انّنى اوصلتُ الخطّ الى الوزير ففعل ذلك وحضر استاذ الدار قطب الدين ويزدن[1] واخاه تنامش وعرض الخطّ عليهم فاتّفقوا على قتل الخليفة فدخل اليه يزدن[2] وقايماز الحميدىّ فحملاه الى الحمّام وهو يستغيث والقياه واغلقا الباب عليه وهو يصيح الى ان مات رحمه الله ٭ وكان وزيره ابا جعفر ابن البلدىّ وبينه وبين استاذ الدار وبين قطب الدين عداوة مستحكمة لانّ المستنجد بالله كان يامره باشيا تتعلّق بهما فيفعليها فكانا يظنّان انّه هو الذى يسعى بهما فلمّا مرض المستنجد وارجف بموته ركب الوزير ومعه الامرآء والاجناد وغيرهما بالعُدّة فلم يتحقّق عنده خبر موته فارسل اليه عضد الدين يقول انّ امير المومنين قد خفّ ما به من المرض واقبلت العافية فخاف الوزير ان يدخل دار الخلافة بالجند فربّما انكر عليه ذلك فعاد الى داره وتفرّق الناس عنه وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدّا للهرب لمّا ركب الوزير خوفًا منه ان دخل الدار ان ياخذهما فلمّا عاد اغلق استاذ الدار ابواب الدار واظهروا وفاة المستنجد واحضر هو وقطب الدين ابنه ابا محمّد الحسن وبايعاه بالخلافة ولقّباه المستضىً بامر الله وشرطا عليه شروطًا ان يكون عضد الدين وزيرًا وابنه كمال الدين استاذ الدار وقطب الدين امير العسكر فاجابهم الى ذلك ٭ ولم يتولّ الخلافة مَن اسمه الحسن الّا الحسن بن علىّ بن ابى طالب والمستضىً بامر الله واتّفقا فى الكنية والكرم فبايعه اهل بيته البيعة الخاصّة يوم توفّى ابوه وبايعه الناس من الغد فى التاج بيعة عامّة واظهر من العدل اضعاف ما عمل ابوه وفرّق اموالاً جليلة المقدار ٭ وعلم الوزير ابن البلدىّ فسقط فى يده وقرع سنّه ندمًا على ما فرط فى عوده حيث لا ينفعه واتاه مَن يستدعيه للجلوس للعزآء والبيعة للمستضىً فمضى الى دار الخلافة فلمّا دخلها صرف الى موضع وقُتل وقطع قطعًا وانقى فى دجلة رحمه الله واُخذ جميع ما فى داره فرايا فيها خطوط المستنجد بالله يامره فيها بالقبض عليهما وخطّ

[1] وبردن [2] بردن

الوزير قد راجعه فى ذلك وصرفه عنه فلمّا وقفا عليهما عرفا برائتها ممّا كانا يظنّان فيه فندما حيث فرّطا فى قتله ، وكان المستنجد بالله من احسن الخلفاء سيرة مع الرعيّة عادلاً فيهم كثير الرفق بهم واطلق كثير من المكوس ولم يترك بالعراق منها شيا وكان شديدًا على اهل العبث والفساد والسعاية بالناس بلغنى انّه قبض على انسان كان يسعى بالناس فاطال حبسه فشفع فيه بعض اصحابه المختصّين بخدمته وبذل عنه عشرة الاف دينار فقال انا اعطيك عشرة الاف دينار وتحضر لى انسانا اخر مثله لاكفّ شرّه عن الناس ولم يطلقه وردّ كثيرًا من الاموال على اصحابه ايضًا وقبض على القاضى ابن المرخم واخذ منه مالاً كثيرًا فاعاده على اصحابه ايضًا وكان ابن المرخم ظالمًا جايرًا فى احكامه ٭

ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين عليها

لمّا بلغ نور الدين محمود وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف الدين غازى الموصل والبلاد التى كانت لابيه بعد وفاته وقام فخر الدين عبد المسيح بالامر معه وتحكّمه عليه وكان يبغض فخر الدين لما يبلغه عنه من خشونة سياسته فقال انا اولى بتدبير اولاد اخى وملكهم وسار عند انقضاء العزاء جريدة فى قلّة من العسكر وعبر الفراة عند قلعة جعبر مستهلّ المحرّم من هذه السنة وقصد الرقّة فحصرها واخذها ثم سار الى الخابور فملكه جميعه وملك نصيبين واقام بها فجمع العساكر فاتاه بها نور الدين محمّد بن قرارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وكثر جمعه وكان قد ترك اكثر عساكره بالشام لحفظ ثغوره فلمّا اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها ونصب عليها المنجنيقات وملكها وسلّمها الى عماد الدين ابن اخيه قطب الدين وكان قد جاءته كتب الامراء الذين بالموصل سرًّا يبذلون له الطاعة ويحثّونه على الوصول اليهم فسار الى الموصل فاتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقى وسار فنزل شرق الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل ومن العجب انّ يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة ، وكان سيف الدين غازى قد سيّر عزّ الدين مسعود ابن قطب الدين الى اتابك شمس الدين

ايلدكز صاحب همدان وبلد الجبل واذربيجان واصفهان والرىّ وتلك الاعمال يستنجده على عمّه نور الدين فارسل ايلدكز رسولاً الى نور الدين ينهاه عن التعرّض الى الموصل ويقول له انّ هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها فلم يلتفت اليه وقال للرسول قل لصاحبك انا اصلح لاولاد اخى منك فلِمَ تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همدان فانّك قد ملكتَ هذه المملكة العظيمة واهملت الثغور حتّى غلب الكرج عليها وقد بليت انا ولى مثل ربع بلادك بالفرنج وهم اشجع العالم فاخذت معظم بلادهم واسرت ملوكهم ولا يحلّ لى السكوت عنك فانّه يجب علينا القيام بحفظ ما اهملت وازالة الظلم عن المسلمين ، فاقام نور الدين على الموصل فعزم مَن بها من الامرآء على مجاهرة فخر الدين عبد المسيح بالعصيان وتسليم البلد الى نور الدين فعلم ذلك فارسل الى نور الدين فى تسليم البلد اليه على ان يقرّه بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولما له فاجابه الى ذلك وشرط انّ فخر الدين ياخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعًا يرضيه فتسلّم البلد ثالث عشر جمادى الاولى من هذه السنة ودخل القلعة من باب السرّ لانّه لمّا بلغه عصيان عبد المسيح عليه حلف ان لا يدخلها الّا من احصن موضع فيها ولمّا ملكها اطلق ما بها من المكوس وغيرها من ابواب المظالم وكذلك فعل بنصيبين وسنجار والخابور وهكذا كان جميع بلاده من الشام ومصرَ ووصله وهو على الموصل يحاصرها خلعة من الخليفة المستضئ بامر الله فلبسها ولمّا ملك الموصل خلعها على سيف الدين ابن اخيه وامره وهو بالموصل بعمارة الجامع النورىّ وركب هو بنفسه الى موضعه فراه وصعد منارة مسجد ابى حاضر فاشرف منها على موضع الجامع فامر ان يضاف الى الارض التى شاهدها ما يجاورها من الدور والحوانيت وان لا يوخذ منها شئ بغير اختيار اصحابه وولّى الشيخ محمّد الملّا عمارته وكان من الصالحين الاخيار فاشترى الاملاك من اصحابها باوفر الاثمان وعمره فخرج عليه اموال كثيرة وفرغ من عمارته سنة ثمان وستّين وخمسمائة ، وامّا نور الدين فانّه عاد الى الشام واستناب فى قلعة الموصل خصيًّا كان له اسمه كستكين ولقبه سعد الدين وامر

سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل من الامور ولا بكثير وحكمه واقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن اخيه قطب الدين فلمّا فعل ذلك قال كمال الدين ابن الشهرزوريّ هذا شريف الى اذى يحصل ببيت اتابك لانّ عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين [وسيف الدين][1] هو الملك لا يرى الاغضا لعماد الدين فيحصل الخلف ويطمع الاعداء فكان كذلك على ما نذكره سنة سبعين وخمسمائة وكان مقام نور الدين بالموصل اربعة وعشرين يومًا واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وغيّر اسمه فسمّاه عبد الله واقطعه اقطاعًا كبيرًا

ذكر غزو صلاح الدين بلاد الفرنج وفتح ايلة

وفى هذه السنة سار صلاح الدين ايضًا عن مصر الى بلاد الفرنج فاغار على اعمال عسقلان والرملة وهجم على ربض غزّة فنهبه واتاه ملك الفرنج فى قلّة من العسكر مسرعين لردّه عن البلاد فقاتلهم وهزمهم وافلت ملك الفرنج بعد ان اشرف ان يوخذ اسيرًا وعاد الى مصر وعمل مراكب مفصّلة وحملها قطعًا على الجمال فى البرّ وقصد ايلة فجمع قطع المراكب والقاها فى البحر وحصر ايلة برًّا وبحرًا وفتحها فى العشر الاوّل من ربيع الاخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر

ذكر ما اعتمده صلاح الدين بمصر

هذه السنة كان بمصر دار للشحنة تُسمّى دار المعونة يحبس فيها مَن يريد حبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعيّة وازال ما كان فيه من الظلم وبنى دار العدل مدرسة للشافعيّة ايضا وعزل قضاة المصريّين وكانوا شيعة واقام قضيًا شافعيًّا فى مصر فاستناب القضاة الشافعيّة فى جميع البلاد فى العشرين من جمادى الاخرة

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اشترى تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين منازل العز[2] بمصر وبناها مدرسة للشافعيّة وفيها اغار شمس الدولة تورانشاه اخو صلاح الدين على الاعراب الذين بالصعيد وكانوا قد

---

[1]) C. P. et 740.   [2]) C. P. العزّ

افسدوا فى البلاد ومدّوا ايديهم فكفّوا عمّا كانوا يفعلونه ، وفيها مات القاضى ابن الخلال من اعيان الكتّاب المصريّين وفضلآيهم وكان صاحب ديوان الانشآء بها ، وفيها وقع حريق ببغداد فى درب المطبخ وفى خرابة ابن جُرْدَة[1] ، وفيها توفّى الامير نصر ابن المستظهر بالله عمّ المستنجد بالله وحموه وهو اخر مَن مات من اولاد المستظهر بالله وكان موته فى ذى القعدة ودُفن فى الترب بالرصافة ، وفيها جُعل ظهير الدين ابو بكر نصر ابن العطّار صاحب المخزن ببغداد ولُقّب ظهير الدين ، وفيها حجّ بالناس الامير طاشتكين المستنجدىّ وكان نعم الامير رحمه الله ✿

ثم دخلت سنة سبع وستّين وخمسماية ، سنة ٥٦٧

ذكر اقامة الخطبة العباسيّة بمصر وانقراض الدولة العلويّة

فى هذه السنة فى ثانى جمعة من المحرّم قطعت خطبة العاضد لدين الله ابى محمّد الامام عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ابى الميمون عبد المجيد بن ابى القسم محمّد بن المستنصر بالله ابى تميم معدّ بن الظاهر لاعزاز دين الله ابى الحسن علىّ بن الحاكم بامر الله ابى علىّ المنصور بن العزيز بالله ابى منصور بن نزار بن المعزّ لدين الله ابى تميم معدّ بن المنصور بالله ابى الطاهر اسمعيل بن القايم بامر الله ابى القسم محمّد بن المهدى بالله ابى محمّد عبيد الله وهو اوّل العلويّين من هذا البيت الذين خطب لهم بالخلافة وخوطبوا بإمْرة المومنين وكان سبب الخطبة العباسيّة بمصر انّ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب لمّا ثبت قدمه بمصر وازال المخالفين له وضعف امر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونايبه قراقوش وهو خصى كان من اعيان الامرآء الاسديّة كلّهم يرجعون اليه فكتب اليه نور الدين محمود ابن زنكى يامره بقطع الخطبة العاضديّة واقامة الخطبة المستضيّة فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام اهل الديار المصريّة عليهم لميلهم الى العلويّين وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم ويريد بقاهم خوفًا من

---

[1] C. P. خربة ابن جردة :740 حرابه بن جُرْدَه :Ups جودة

نور الدين فانه كان يخافه ان يدخل الى الديار المصرية ياخذها منه فكان يريد يكون العاضد معه حتى ان قصده نور الدين امتنع به وباهل مصر عليه فلمّا اعتذر الى نور الدين بذلك لم يقبل عذره والحّ عليه بقطع خطبته والزمه الزامًا لا فسحة له فى مخالفته وكان على الحقيقة نايب نور الدين واتفق انّ العاضد مرض هذا الوقت مرضًا شديدًا فلمّا عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار امرآه فمنهم من اشار به ولم يفكر فى المصريين ومنهم من خافه الّا انّه ما يمكنه الّا امتثال امر نور الدين ٭ وكانَ قد دخل الى مصر انسانٌ اعجميّ يعرف بالامير العالم رايته انا بالموصل فلمّا راى ما هم فيه من الاحجام وانّ احدًا لا يتجاسر يخطب للعبّاسيّ قال انا ابتدئُ بالخطبة له فلمّا كان اوّل جمعة من المحرّم صعد المنبر قبل الخطيب ودعى للمستضئ ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى ساير بلاد مصر ففعلوا وكان العاضد قد اشتدّ مرضه فلم يُعلمه احد من اهله واصحابه بقطع الخطبة وقالوا ان عوفى فهو يعلم وان توفّى فلا ينبغى ان نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته فتوفّى يوم عاشورآء ولم يعلم بقطع الخطبة ولمّا توفّى جلس صلاح الدين للعزآء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه فحفظه بهآء الدين قراقوش الذى كان قد رتّبه قبل موت العاضد فحمل الجميع الى صلاح الدين وكان من كثرته يخرج عن الاحصآء وفيه من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة ما تخلو الدنيا عن مثله ومن الجواهر التى لم توجد عند غيرهم فمنه الجبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهمًا او سبعة عشر مثقالًا انا لا اشكّ فانى رايتُه ووزنتُه واللؤلؤ الذى لم يوجد مثله ومنه النصاب الزُمرد الذى طوله اربع اصابع فى عرض عقد كبير ووجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد وقد احتاطوا بالحفظ فلمّا راوه ظنّوه عمل لاجل اللعب فيه فسخروا من العاضد فاخذه انسانٌ فضرب به فضرط فتضاحكوا منه ثم اخر كذلك وكان كلّ من ضرب به ضرط فالقاه احدهم فكسره فاذا الطبل لاجل قولنج فندموا على كسره لمّا قيل لهم ذلك وكان فيه من الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يُعدّ فباع جميع ما فيه ونقل اهل العاضد الى موضع من

القصر ووكّل بهم مَن يحفظهم واخرج جميع مَن فيه من أمة وعبد فباع البعض واعتق البعض ووهب البعض وخلى القصر من سُكّانه كان لم يغن بالامس فسبحان الحىّ الدايم الذى لا يزول مُلكه ولا تغيّره الدهور ولا يقرب النقص حماه ، ولمّا اشتدّ مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظنّ ذلك خديعة فلم ينهض اليه فلمّا توفّى علم صدقه فندم على تخلّفه عنه وكان يصفه كثيرًا بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه وانقياده وكان فى نسبه تسع خُطب لهم بالخلافة وهم الحافظ والمستنصر والظاهر والحاكم والعزيز والمعزّ والمنصور والقايم والمهدىّ ومنهم مَن لم يخطب له بالخلافة ابوه يوسف ابن الحافظ وجدّ ابيه وهو الامير ابو القسم محمّد بن المستنصر وبقى مَن خُطب له بالخلافة وليس من ابايه المستعلى والامر والظافر والفايز وجميع مَن خُطب له منهم بالخلافة اربعة عشر خليفة منهم بافريقية المهدى والقايم والمنصور والمعزّ الى ان سار الى مصر ومنهم بمصر المعزّ المذكور وهو اوّل مَن خرج اليها من افريقية والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والامر والحافظ والظافر والفايز والعاضد وجميع مدّة مُلكهم من حين ظهر المهدى بسجلماسة فى ذى الحجّة من سنة تسع وتسعين ومايتين الى ان توفّى العاضد مايتان واثنتان وسبعون سنة وشهرًا تقريبًا ، وهذا دأب الدنيا لم تُعط الّا واستردت ولم تحل الّا وتمرّرت ولم تصف الّا وتكدّرت بل صفوها لا يخلوا من الكدر وكدرها قد يخلوا من الصفو نسأل الله تعالى ان يقبل بقلوبنا اليه ويُريِنا الدنيا حقيقة ويزهدنا فيها ويرغبنا فى الاخرة انّه سميع الدعآء قريب من الاجابة ، ولمّا وصلت البشارة الى بغداد بذلك ضُربت البشاير بها عدّة ايّام وزُيّنت بغداد وظهر من الفرح والجذل ما لا حدّ عليه وسُيّرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواصّ الخدم المقتفويّة والمقدّمين فى الدولة لنور الدين وصلاح الدين فسار صندل الى نور الدين والبسه الخلعة وسيّر الخلعة التى لصلاح الدين وللخطباء بالديار المصريّة والاعلام السود ثمّ انّ هذا صندل صار استاذ دار الخليفة المستضىٔ بامر الله ببغداد وكان يدرى الفقه على مذهب الشافعىّ وسمع الحديث ورواه ويعرف

اشياء حسنة وفيه دين وله معروف كثير وهو من محاسن بغداد ٥٥

ذكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنًا

في هذه السنة جرت امور اوجبت ان تاثر نور الدين من صلاح الدين ولم يظهر ذلك وكان سببه انّ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب سار عن مصر في صفر من هذه السنة الى بلاد الفرنج غازيًا ونازل حصن الشوبك وبينه وبين الكرك يوم وحصره وضيّق على مَن به من الفرنج وادام القتال وطلبوا الامان واستمهلوه عشرة ايّام فاجابهم الى ذلك فلمّا سمع نور الدين بما فعله صلاح الدين سار عن دمشق قصدًا بلاد الفرنج ايضًا ليدخل اليه من جهة اخرى فقيل لصلاح الدين ان دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال انت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق واخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين وان جآء نور الدين اليك وانت هاهنا فلا بُدّ لك من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكم فيك بما شآء ان شآء تركك فقد لا تقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع الى مصر فرحل عن الشوبك عايدًا الى مصر ولم ياخذه من الفرنج وكتب الى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصريّة لامور بلغته عن بعض شيعته العلويّين وانّهم عازمون على الوثوب بها فانّه يخاف عليها من البعد عنها ان يقوم اهلها على مَن تخلّف بها فيخرجوهم وتعود ممتنعة واطال الاعتذار فلم يقبلها نور الدين منه وتغيّر عليه وعزم على [قصد] مصر واخراجه عنها وظهر ذلك فسمع صلاح الدين الخبر فجمع اهله وفيهم ابوه نجم الدين ايّوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم ساير الامرآء واعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته اليه واستشارهم فلم يجبه احدٌ بكلمة واحدة فقام تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فقال اذا جآنا قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من اهلهم فشتمهم نجم الدين ايّوب وانكر ذلك واستعظمه وشتم تقي الدين واقعده وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا خالك شهاب الدين ونحن اكثر محبّة لك من جميع مَن ترى والله لو رايتُ انا وهذا خالك نور الدين لم نمكث الّا ان نقبل بين يديه ولو امرنا ان نضرب

عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنّا نحن هكذا فما ظنّك بغيرنا وكلّ مَن تراه عندك من الامرآء لو راى نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونُوّابه فيها فان اراد سمعنا واطعنا والراى ان تكتب كتاباً مع نجّاب تقول فيه بلغنى انّك تريد الحركة لاجل البلاد فاىّ حاجة الى هذا يرسل المولى نجّاباً يضع فى رقبتى منديلاً وياخذنى اليك وما هاهنا مَن يمتنع ، واقام الامرآء وغيرهم وتفرّقوا على هذا فلمّا خلا به ايّوب قال له باىّ عقل فعلتَ هذا اما تعلم انّ نور الدين اذا سمع عزمنا على منعه ومحاربته جعلنا اهمّ الوجوه اليه وحينئذ لا تقوى به وامّا الان اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار تعمل عملها ووالله لو اراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته انا عليها حتّى امنعه واقتل ففعل صلاح الدين ما اشار به فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره فكان الامر كما ظنّه ايّوب فتوفّى نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وكان هذا من احسن الارآء واجودها ✿

ذكر غزوة الى الفرنج بالشام

وفى هذه السنة خرج مركبان من مصر الى الشام فارسنا بمدينة لاذقية فاخذهما الفرنج وهما مملوتان من الامتعة والتجار وكان بينهم وبين نور الدين هدنة فنكثوا وغدروا فارسل نور الدين اليهم فى المعنى واعادة ما اخذوه من اموال التجار فغالطوه واحتجّوا بامور منها انّ المركبَيْن كانا قد انكسرا ودخلهما المآء وكان الشرط انّ كلّ مركب ينكسر ويدخله المآء ياخذونه فلم يقبل مغالطتهم وجمع العساكر وبثّ السرايا فى بلادهم بعضها نحو انطاكيّة وبعضها نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقة وخرّب ربضه وارسل طايفة من العسكر الى حصن صافيثا وعريمة فاخذهما عنوةً ونهب وخرّب وغنم المسلمون غنايم كثيرة وعادوا اليه وهو بعرقة فسار فى العساكر جميعها الى ان قارب طرابلس ينهب ويخرب ويحرق ويقتل وامّا الذين ساروا الى انطاكيّة ففعلوا فى ولايتها مثل ما فعل فى ولاية طرابلس فراجعه الفرنج وبذلوا جميع ما اخذوه من المركبَيْن وتجديد الهدنة معهم فاجابهم الى ذلك واعادوا ما

اخذوا وهم صاغرون وقد خربت بلادهم وغنمت اموالهم ۞

ذكر وفاة ابن مردنيش[1] ومُلك يوسف ابن عبد المؤمن بلاده

في هذه السنة توفّي الامير محمّد بن سعد ابن مردنيش[1] صاحب البلاد بشرق الاندلس وهى مرسية وبلنسية وغيرهما ووصى اولاده ان يقصدوا بعد موته الامير ابا يعقوب وكان قد اجتاز الى الاندلس في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش[1] فحين رءاهم يوسف فرح بهم وسرّه قدومهم عليه وتسلّم بلادهم وتزوّج اختهم واكرمهم وعظم امرهم ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه ۞

ذكر عبور الخطا جيحون والحرب بينهم وبين خوارزم شاه

في هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون يريدون خوارزم فسمع صاحبها خوارزم شاه ايل[2] ارسلان ابن اتسز[3] فجمع عساكره وسار الى امُوية ليقاتلهم ويصدّهم فرض واقام بها وسيّر بعض جيشه مع امير كبير اليهم فلقيهم فاقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزم الخوارزميّون وأُسر مقدّمهم ورجع به الخطا الى ما وراء النهر وعاد خوارزم شاه الى خوارزم مريضًا ۞.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اتّخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادى وهى التى يقال لها المناسيب وهى تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلاده وسبب ذلك انّه لمّا اتّسعت بلاده وطالت مملكته وعرضت اكنافها وتباعدت اوايلها عن اواخرها ثمّ انّها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربّما نازلوا حصنًا من ثغوره فالى ان يصل الخبر ويصل اليهم قد بلغوا غرضهم منه فامر بالحمام ليصل الخبر اليه في يومه واجرى الجرايات على المرتّبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين ، وفيها عزل الخليفة المستضىء بامر الله وزيره عضد الدين ابا الفرج ابن رئيس الرؤساء لانّ قطب الدين قايماز الزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته ، وفيها مات ابو محمّد عبد الله بن احمد الخشاب اللغوىّ وكان قيّمًا بالعربيّة وسمع الحديث ، وفيها مات البورىّ[4] الفقيه الشافعىّ تفقّه

---

1) مردنيس   2) وايل   3) انسز   4) C. P. 740: البيروى
Ups: السردى

على محمّد[1] ابن يحيى وقدم بغداد ووعظ وكان يذمّ الحنابلة وكثرت اتباعه فاصابه اسهال فمات هو وجماعة من اصحابه فقيل انّ الحنابلة اهدوا له حلوًا فاكل منها فمات وكلّ مَن اكل منها ، وفيها مات القرطبىّ ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الازدىّ الاندلسىّ وكان امامًا فى القراة والنحو وغيره من العلوم زاهدًا عابدًا انتفع به الناس فى كثير من البلاد ولا سيّما اهل الموصل فانّه اقام بها وفيها توفّى رحمه الله ☼

ثم دخلت سنة ثمان وستّين وخمسماية ، سنة ٥٦٨

ذكر وفاة خوارزم شاه [ايل] ارسلان ومُلك ولده سلطان شاه وبعده ولده الاخر تُكش وقتل المؤيّد ومُلك ابنه

فى هذه السنة توفّى خوارزم شاه [ايل] ارسلان ابن انسز[2] ابن محمّد بن انوشتكين قد عاد من قتال الخطا مريضًا فتوفّى وملك بعده سلطان شاه محمود ودبّرت والدته المملكة والعساكر وكان ابنه الاكبر علآء الدين تكش مقيمًا فى الجند قد اقطعه ابوه ايّاها فلمّا بلغه موت ابيه وتولية اخيه الصغير انف من ذلك وقصد ملك الخطا واستمدّه على اخيه واطمعه فى الاموال وذخاير خوارزم فسيّر معه جيشًا كثيفًا مقدّمهم قرما فساروا حتّى قاربوا خوارزم فخرج سلطان شاه وامّه الى المؤيّد اهدى له هديّة جليلة المقدار ووعده اموال خوارزم وذخايرها فاغترّ بقوله وجمع جيوشه وسار معه حتّى بلغ سوبرلى[3] بليدة على عشرين فرسخًا من خوارزم وكان تكش قد عسكر بالقرب منها فتقدّم اليهم فلمّا ترآى الجمعان انهزم عسكر المؤيّد وكُسر المؤيّد وأُخذ اسيرًا وجئ به الى خوارزم شاه تكش فامر بقتله فقُتل بين يديه صبرًا وهرب سلطان شاه والجبال الى دهستان فقصده خوارزم شاه تكش فافتتح المدينة عنوة فهرب سلطان شاه وأُخذت امّه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولمّا عاد المنهزمون/الى نيسابور ملكوا ابنه طغان شاه ابا بكر ابن المؤيّد واتّصل به سلطان شاه ثم سار من هناك الى غياث الدين ملك الغوريّة فاكرمه

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: محمود

[2]) Cfr. Journ. Asiat. 1846, II, 473. انسز

[3]) سورى

وعظّمه واحسن ضيافته ، وامّا علآء الدين تكش فانّه لمّا ثبت قدمه بخوارزم اتّصلت به رسل الخطا بالاقتراحات والتحكّم كعادتهم فاخذته حميّة الملك والدين وقتل احد اقارب الملك وكان قد ورد اليه ومعه جماعة ارسله ملكهم فى مطالبة خوارزم شاه بالمال فامر خوارزم شاه اعيان خوارزم فقتل كلّ واحد منهم رجلاً من الخطا فلم يسلم منهم احد ونبذوا الى ملك الخطا عهده وبلغ ذلك سلطان شاه فسار الى ملك الخطا واغتنم الفرصة بهذه الحال واستنجده على اخيه علآء الدين تكش وزعم له انّ اهل خوارزم معه [illegible] ويختارون مُلكه عليهم ولو راوه لسلّموا البلد اليه فسيّر معه جيشًا كثيرًا من الخطا مع قرما[1] ايضًا فوصلوا الى خوارزم فحصروها فامر خوارزم شاه علآء الدين باجرآء مآء جيحون عليها فكادوا يغرقون فرحلوا ولم يبلغوا منها غرضًا ولحقهم الندم حيث لم ينفعهم ولاموا سلطان شاه وعنّفوه فقال لقرما لو ارسلت معى جيشًا الى مروُ لاستخلصتُها من يد دينار الغُزّى وكان قد استولى عليها من حين كانت فتنة الغزّ الى الآن فسيّر معه جيشا فنزل على سرخس على غرّة من اهلها وهجم على الغزّ فقتل مقتلة عظيمة فلم يتركوا بها احدًا منهم والقى دينار ملكهم نفسه فى خندق القلعة فأخرج منه ودخل القلعة وتحصّن بها وسار سلطان شاه الى مرو فملكها وعاد الخطا الى ما ورآء النهر وجعل سلطان شاه دأبه قتال الغزّ والقتل فيهم والنهب منهم فلمّا عجز دينار عن مقاومته ارسل الى نيسابور الى طغان شاه ابن المؤيّد يقول له ليرسل اليه من يسلّم اليه قلعة سرخس فارسل اليه جيشًا مع امير اسمه قراقوش فسلّم اليه دينار القلعة ولحق بطغان شاه فقصد سلطان شاه سرخس وحصر قلعتها وبلغ ذلك طغان شاه فجمع جيوشه وقصد سرخس فلمّا التقى هو وسلطان[2] شاه فرّ طغان شاه الى نيسابور وذلك سنة ستّ وسبعين وخمسمائة فاخلى قراقوش قلعة سرخس ولحق بصاحبه وملكها سلطان شاه ثمّ اخذ طوس والزام وضيق الامر على طغان شاه بعلوّ همّته وقلّة قراره وحرصه على طلب

---

1) Alii: قوما Ups. h. I: قوم

2) وطغان

الملك وكان طغان شاه يحبّ الدعة ومعاقرة الخمر فلم يزل الحال كذلك الى ان مات طغان شاه سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فى المحرّم وملك ابنه سنجر شاه فغلب عليه مملوك جدّه المؤيّد اسمه منكلى تكين فتفرّق الامرآء انفة من تحكّمه واتّصل اكثرهم بسلطان شاه وسار الملك دينار الى كرمان ومعه الغزّ فلكها واما منكلى تكين فانّه اسآء السيرة فى الرعيّة واخذ اموالهم وقتل بعض الامرآء فسمع خوارزم شاه بذلك فسار اليه فحصره بنيسابور فى ربيع الاوّل سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فحصرها شهرين فلم يظفر بها وعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين الى نيسابور فحصرها وطلبوا منه الامان فامّنهم فسلّموا البلد اليه فقتل منكلى تكين واخذ[1] سنجر شاه واكرمه وانزله بخورزم واحسن اليه فارسل الى نيسابور يستميل اهلها ليعود اليهم فسمع به خوارزم شاه فاخذ سنجر شاه فسمله وكان قد تزوّج بامّه وزوّجه بابنته فماتت فزوّجه باخته وبقى عنده الى ان مات سنة خمس وتسعين[2] وخمسمائة، ذكر هذا ابو الحسن بن ابى القسم البيهقىّ فى كتاب مشارب التجارب وقد ذكر غيره من العلمآء بالتواريخ هذه الحوادث مخالفة لهذا فى بعض الامور مع تقديم وتاخير ونحن نوردها فقال انّ تكش خوارزم شاه ابن ارسلان اخرج اخاه سلطان شاه من خوارزم وكان قد ملكها بعد موت ابيه فجآء الى مرو فلكها وازاح الغزّ عنها فخرجوا ايّاما ثم عادوا عليه فاخرجوه منها وانتهبوا خزانته وقتلوا اكثر رجاله فعبر الى الخطا فاستنجدهم وضمن لهم مالاً وجآء بجيش عظيم فاخرج الغزّ عن مرو وسرخس ونسا وابيورد وملكها وردّ الخطا فلمّا ابعدوا كاتب غياث الدين الغورىّ يطلب منه ان ينزل عن هراة وبوشنج وبادغيس وما ولاها ويتوعّده ان هو لم ينزل عن ذلك فاجابه غياث الدين يطلب منه اقامة الخطبة له بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان فلمّا سمع الرسالة سار عن مرو وشنّ الغارات على بادغيس وبيوار[3] وما والاها وحصر بوسنج ونهب الرساتيق وصادر الرعايا فلمّا سمع غياث الدين ذلك لم يرض

1) C. P. et 740. Ups: واقر 2) وسبعين 3) نموا

لنفسه ان يسير هو بل سيّر ملك سجستان وكاتب ابن اخته بهآء الدين سام صاحب باميان باللحاق به لانّ اخاه شهاب الدين كان بالهند والزمان شتآء فجآء بهآء الدين ابن اخت غياث الدين وملك سجستان ومن معهما من العساكر ووافق ذلك وصول سلطان شاه الى هراة فلمّا علم بوصولهم عاد الى مرو من غير ان يقاتلها واحرق كلّ ما مرّ به من البلاد ونهب واقام بمرو الى الربيع واعاد مراسلة غياث الدين في المعنى فارسل الى اخيه شهاب الدين يعرّفه الحال فنادى في عساكره الرحيل لساعته وعاد الى خراسان واجتمع هو واخوه غياث الدين وملك سجستان وغيرهم من العساكر وقصدوا سلطان شاه فلمّا علم ذلك جمع عساكره واجتمع عليه من الغزّ والمفسدين وقطّاع الطريق ومن عنده طمع خلق كثير فنزل غياث الدين ومن معه في الطالقان ونزل سلطان شاه بمرو الروذ وتقدّم عسكر الغوريّة اليه وتواعدوا للمصافّ وبقوا كذلك شهرين والرسل تتردّد بين غياث الدين وبين سلطان شاه وشهاب الدين يطلب من اخيه غياث الدين الاذن في الحرب فلا يتركه وتقرّر الامر على ان يسلّم غياث الدين الى سلطان شاه بوسنج وبادغيس وقلاع بيوار وكره ذلك شهاب الدين وبهآء الدين صاحب باميان الّا انّهما لم يخالفا غياث الدين وفي اخر الامر حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين وحضر الامرآء ليكتب العهد فقال الرسول انّ سلطان شاه يطلب ان يحضر شهاب الدين وبهآء الدين هذا الامر فارسل غياث الدين اليهما فاعادا الجواب انّنا مماليكك ومهما تفعله لا يمكننا مخالفتك فبينما الناس مجتمعون في تحرير الامر واذ قد اقبل مجد الدين العلوىّ الهروىّ اليه وكان خصيصًا بغياث الدين بحيث يفعل في ملكه ما يختار فلا يخالف فجآء العلوىّ وبده في يد الب غازى ابن اخت غياث الدين وقد كتبوا الكتاب وقد احضر غياث الدين اخاه شهاب الدين وبهآء الدين سام ملك الباميان فجآء العلوىّ كانّه يُسارر غياث الدين ووقف في وسط الحلقة وقال للرسول يا فلان تقول لسلطان شاه قد تمّ لك الصلح من جانب السلطان الاعظم ومن شهاب الدين وبهآء الدين ويقول لك العلوىّ خصمك انا ومولانا الب غازى بيننا وبينك السيف

ثم صرخ صرخة ومزّق ثيابه وحثّ التراب على راسه واقبل على غياث الدين وقال له هذا واحدٌ طرده اخوه واخرجه فريدًا وحيدًا ثم تترك له ما ملكناه باسيافنا من الغزّ والاتراك والسنجريّة فاذا سمع هذا عنّا يجئ اخوه يطلب منّا غزنة والهند وجميع ما بيدك فحرّك غياث الدين راسه ولم يفهْ بكلمة فقال ملكُ سجستان للعلويّ اترك الامر ينصلح فلمّا لم يتكلّم غياث الدين مع العلويّ قال شهاب الدين لجاووشيته نادوا فى العسكر بالتجهّز للحرب والتقدّم الى مرو الروذ وقام وانشد العلويّ بيتًا من الشعر عجميًّا معناه انّ الموت تحت السيوف اسهل من الرضى بالدنيّة فرجع الرسول الى سلطان شاه واعلمه الحال فرتّب عساكره للمصافّ والتقى الفريقان واقتتلوا فصبروا للحرب فانهزم سلطان شاه وعسكره واخذ اكثر اصحابه اسارى فاطلقهم غياث الدين ودخل سلطان شاه مرو فى عشرين فارسًا ولحق به من اصحابه نحو الف وخمسمائة فارس ٭ ولمّا سمع خوارزم شاه تكش بما جرى لاخيه سار من خوارزم فى الفىْ فارس وارسل الى جيحون ثلاثة الاف فارس يقطعون الطريق على اخيه ان اراد الخطا وجدّ فى السير ليقبض على اخيه قبل ان يقوى فاتت الاخبار سلطان شاه بذلك فلم يقدر على عبور جيحون الى الخطا فسار الى غياث الدين وكتب اليه يعلمه قصده اليه فكتب الى هراة وغيرها من بلاده باكرامه واحترامه وحمل الاقامات اليه ففعل به ذلك وقدم على غياث الدين والتقاه واكرمه وانزله معه فى داره وانزل اصحاب سلطان شاه كلّ انسان منهم عند مَن هو فى طبقته فانزل الوزير عند وزيره والعارض عند عارضه وكذلك غيره واقام عنده حتّى انسلخ الشتآء فارسل علآء الدين ابن خوارزم شاه الى غياث الدين يذكره ما صنعه اخوه سلطان شاه من تخريب بلاده وجمع العساكر عليه ويشير بالقبض عليه وردّه اليه فانزل الرسول واذا قد اتى كتاب نايبه بهراة يخبره انّ كتاب خوارزم شاه جآءه يتهدّده فاجابه انّه لا يُظهر لخوارزم شاه انّه اعلمه بالحال واحضر الرسول وقال له يقول لعلآء الدين امّا قولك انّ سلطان شاه اخرب البلاد واراد مُلكها فلعمرى انّه ملكٌ وابن ملك وله همّة عالية واذا اراد الملك مثله اراده وللامور مدبّر يوصلها

الى مستحقّها وقد التجا اليّ وينبغى ان تنتزاح عن بلاده وتعطيه نصيبه ممّا خلّف ابوه ومن الاملاك التى خلّف والاموال واحلف لكما يمينًا على المودّة والمصافاة وتخطب لى بخوارزم وتزوّج اخى شهاب الدين باختك ؛ فلمّا سمع خوارزم شاه الرسالة امتعض لذلك وكتب الى غياث الدين كتابًا يتهدّده بقصد بلاده فجهّز غياث الدين العساكر مع ابن اخت الب غازى وصاحب سجستان وسيّرهما مع سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيّد صاحب نيسابور يستنجده وكان قد صار بينهما مصاهرة زوّج المؤيّد ابنه طغان شاه بابنة غياث الدين فجمع المؤيّد عساكره واقام بظاهر نيسابور على طريق خوارزم ؛ وكان خوارزم شاه قد سار عن خوارزم الى لقآء عسكر الغوريّة الذين مع اخيه سلطان شاه وقد نزلوا بطرف الرمل فبينما هو فى مسيره اتاه خبر المؤيّد انّه قد جمع عساكره وانّه على قصد خوارزم اذ فارقها فوقع فى قلبه وعاد الى خوارزم فاخذ امواله وذخايره وعبر جيحون الى الخطا واخلا خوارزم فوقع بها خبطٌ عظيمٌ فحصر جماعة من اعيانها عند الب غازى وسالوه ارسال امير معهم يضبط البلد فخاف ان تكون مكيدة فلم يفعل ؛ فبينما هم على ذلك توفّى سلطان شاه سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسماية فكتب الب غازى الى غياث الدين يُعلمه الخبر فكتب اليه يامره بالعود اليه فرجع ومعه اصحاب سلطان شاه فامر غياث الدين بان يُستخدموا واقطع الاجناد الاقطاعات الجيّدة وكلّهم قابل احسانه بكفران وسنذكر باقى اخبارهم ؛ ولمّا سمع خوارزم شاه تكش بوفاة اخيه عاد الى خوارزم وارسل الى سرخس ومرو شحنآء فجهّز اليهم امير هراة عمر المرغنىّ[1] جيشًا فاخرجوهم[2] وقال[3] حتّى نستاذن السلطان غياث الدين وارسل خوارزم شاه رسولاً الى غياث الدين يطلب الصلح والمصاهرة وسيّر مع رسوله جماعة من فقهآء خراسان والعلويّين ومعهم وجيه الدين محمّد بن محمود وهو الذى جعل غياث الدين شافعيًّا وكان له عنده منزلة كبيرة فوعظوه وخوّفوه الله تعالى واعلموه انّ خوارزم شاه يراسلهم

---

1) C. P. Ups.: المرعى

2) C. P. Ups.: فاخرجهم

3) C. P. et 740. Ups.: وقالوا

يتهددهم بانه يجئ بالاتراك والخطا ويستبيح حريمهم واموالهم وقالوا له امّا ان تحضر انت بنفسك وتجعل مرو دار مُلكك حتّى ينقطع طمع الكافرين وياس اهلها وامّا ان تصالح خوارزم شاه فاجاب الى الصلح وترك معارضة البلاد ، فلمّا سمع مَن بخراسان من الغزّ بذلك طمعوا فى البلاد فعاودوا النهب والاحراق والتخريب فسمع خوارزم شاه فجمع عساكره وحضر بخراسان ودخل مرو وسرخس ونسا وابيورد وغيرها واصلح البلاد وتطرّق الى طوس وهى للمؤيّد صاحب نيسابور فجمع المؤيّد جيوشه وسار اليه فلمّا سمع خوارزم شاه بمسيره اليه عاد الى خوارزم فلمّا وصل الى الرمل اقام بطرفه فلمّا سمع المؤيّد بعودة خوارزم شاه طمع فيه وتبعه فلمّا سمع خوارزم شاه بذلك ارسل الى المناهل التى فى البريّة فالقى فيها الجيف والتراب بحيث لم يمكن الانتفاع بها فلمّا توسّط المؤيّد البريّة طلب الماء فلم يجده فجاء خوارزم شاه اليه وهو على تلك الحال ومعه الماء على الجمال فاحاط به فامّا عسكره فاستسلموا باسرهم وجئ بالمؤيّد اسيرًا الى خوارزم شاه فامر بضرب عنقه فقال له يا مخنّث هذا فعال الناس فلم يلتفت اليه وقتله وحمل راسه الى خوارزم فلمّا قُتل ملك نيسابور ملك[1] ما كان له ابنه طغان شاه فلمّا كان من قابل جمع خوارزم شاه عساكره وسار الى نيسابور فحاصرها وقاتلها فتبعه طغان شاه واخذه وزوّجه اخته وحمله معه الى خوارزم وملك نيسابور وما كان لطغان شاه وقوى امره ، هذا الذى ذكره فى هذه الرواية مخالف لما تقدّم ولو امكن الجمع بين الروايتين لفعلتُ فان احدهما قد قدّم ما اخّره الاخر فلهذا اوردنا جميع ما قالاه ولبُعد البلاد عنّا لم نعلم اىّ القولَيْن اصحّ لنذكره ونترك الاخر وانّما اوردتُها فى موضع واحد لانّ ايّام سلطان شاه لم تطل له ولاعقابه حتّى تتفرّق على السنين فلهذا اوردتُها متتابعة ❊

ذكر غارة الفرنج على بلد حوران وغارة المسلمين[2] على بلد الفرنج

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل اجتمعت الفرنج وساروا الى بلد حوران من اعمال دمشق للغارة عليه وبلغ الخبر الى نور الدين وكان

---

1) وملك 2) الفرنج ;

قد برز ونزل هو وعسكره بالكُسْوة فسار اليهم مُجِدًّا وقدم بجموعه عليهم فلمّا علموا بقربه منهم دخلوا الى السواد وهو من اعمال دمشق ايضًا ولحقهم المسلمون فتخطّفوا من ساقتهم ونالوا منهم وسار نور الدين فنزل فى عشترا[1] وسيّر منها سريّة الى اعمال طبريّة فشنّوا الغارات عليها فنهبوا وسبوا واحرقوا وخرّبوا فسمع الفرنج ذلك فرحلوا اليهم ليمنعوا عن بلدهم فلمّا وصلوا كان قد فرغ المسلمون من نهبهم وغنيمتهم وعادوا وعبروا النهر وادركهم الفرنج فوقف مقابلهم شجعان المسلمين وحماتهم فقاتلوهم فاشتدّ القتال وصبر الفريقان الفرنج يرومون ان يلحقوا الغنيمة فيردّوها والمسلمون يريدون ان يمنعوهم عنها لينجو بها من قد سار معها فلمّا طال القتال بينهم وابعدت الغنيمة وسلمت مع المسلمين عد الفرنج ولم يقدروا يستردّوا منها شيئًا ❊

ذكر مسير شمس الدولة الى بلد النوبة

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار شمس الدولة تورانشاه ابن ايّوب اخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد النوبة فوصل الى اوّل بلادهم ليتغلّب عليه ويملكه وكان سبب ذلك انّ صلاح الدين واهله كانوا يعلمون انّ نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر فاستقرّ الراى بينهم انّهم يتملّكون امّا بلاد النوبة او بلاد اليمن حتّى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدّوه عن البلاد فان قووا على منعه اقاموا بمصر وان عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها فجهّز شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد النوبة فنازل قلعةً اسمها ابريم فحصرها وقاتله اهلها فلم يكن لهم بقتال العسكر الاسلاميّ قوّة لانّهم ليس لهم جُنّة ان تقيهم السهام وغيرها من آلة الحرب فسلّموها فملكها واقام بها ولم ير للبلاد دخلاً يُرغب فيه وتُحتمل المشقّة لاجله وقوتهم الذرّة فلمّا راى عدم الحاصل وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقّة تركها وعاد الى مصر بما غنم وكان عامّة غنيمتهم العبيد والجوارى ❊

---

[1] عشنر

ذكر ظفر لمليح ابن ليون بالروم

فى هذه السنة فى جمادى الاولى هزم مليح ابن ليون الارمنىّ صاحب بلاد الدروب المجاورة لحلب عسكرَ الروم من القسطنطينيّة وسبب ذلك انّ نور الدين كان قد استخدم مليحًا المذكور واقطعه اقطاعًا سنيًّا وكان ملازم للخدمة لنور الدين ومشاهدًا لحروبه مع الفرنج ومباشرًا لها وكان هذا من جيّد الراى وصايبه فانّ نور الدين لمّا قيل له فى معنى استخدامه واعطايه الاقطاع فى بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل ملّته واريح طايفة من عسكرى تكون بازآيه لتمنعه من الغارة على بلاد المجاورة له، وكان مليح ايضًا يتقوّى بنور الدين على مَن يُجاوره من الارمن والروم وكان مدينة اذنة والمصيصة وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينيّة فاخذها مليح منهم لانّها تجاور بلاده فسيّر اليه ملك الروم جيشًا كثيفًا وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من اقاربه فلقيهم مليح ومعه طايفة من عسكر نور الدين فقاتلهم وصدّقهم القتال وصبرهم فانهزمت الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع امل الروم من تلك البلاد وارسل مليح الى نور الدين كثيرًا من غنايمهم ومن الاسرى ثلاثين رجلًا من مشهوريهم واعيانهم فسيّر نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستضئ بامر الله وكتب يعتدّ بهذا الفتح لان بعض جنده فعلوه ☆

ذكر وفاة ايلدكز

فى هذه السنة توفى اتابك شمس الدين ايلدكز بهمدان وملك بعده ابنه محمّد البهلوان ولم يختلف عليه احد وكان ايلدكز هذا مملوكًا للكمال السُّمَيْرَمىّ[1] وزير السلطان محمود فلمّا قُتل الكمل كما ذكرناه سار[2] ايلدكز الى السلطان محمود فلمّا ولى السلطان مسعود السلطنة ولّاه أرّانيّة فمضى اليها ولم يعُد يحضر عند السلطان مسعود ولا غيره ثم ملك اكثر اذربيجان وبلاد الجبل وهمدان وغيرها واصفهان والرىّ وما والاها من البلاد وخطب بالسلطنة لابن امرأته ارسلان شاه

---

1) C. P. et 740. Ups.: السمرمى   2) وصار

ابن طغرل وكان عسكره خمسين الف فارس سوى الاتباع واتّسع مُلكه
من باب تفليس الى مكران ولم يكن للسلطان ارسلان معه حكم انّما كان
له جراية تصل اليه وبلغ من تحكّمه عليه انّه شرب ليلة فوهب ما
فى خزانته وكان كثيرًا فلمّا سمع ايلدكز بذلك استعاده جميعًا وقال له
متى اخرجتَ المال فى غير وجهه اخذتُه ايضًا من غير وجهه وظلمتَ
الرعيّة وكان ايلدكز عاقلًا حسن السيرة يجلس بنفسه للرعيّة
ويسمع شكاويهم وينصف بعضهم من بعض ✿

ذكر وصول الترك الى افريقية ومُلكهم طرابلس وغيرها

فى هذه السنة سار طايفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش
مملوك تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين يوسف ابن ايّوب الى
جبال نفوسة واجتمع به مسعود ابن زمام المعروف بمسعود البلّاط وهو
من اعيان الامراء هناك وكان خارجًا عن طاعة عبد المومن فاتّفقا وكثر
جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب فحاصراها وضيّقا على اهلها ثم فُتحت
فاستولى عليها قراقوش واسكن اهله قصرها وملك كثيرًا من بلاد افريقية
ما خلا المهديّة وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع
وصار مع قراقوش عسكر كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب
بما جبلت عليه من التخريب والنهب والافساد بقطع الاشجار والثمار
وغير ذلك فجمع بها اموالًا عظيمةً وجعلها بمدينة قابس وقويت نفسه
وحدّثتْه بالاستيلآء على جميع افريقية لبُعد ابى يعقوب ابن عبد المؤمن
صاحبها عنها وكان ما سنذكره ان شآء الله ✿

ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس

فى هذه السنة جمع ابو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن عساكره
وسار من اشبيليّة الى الغزو فقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة رندى
وهى بالقرب من طليطلة شرقًا منها وحصرها واجتمعت الفرنج على ابن
الفنش ملك طليطلة فى جمع كثير فلم يقدموا على لقآء المسلمين فاتّفق
انّ الغلآء اشتدّ على المسلمين وعدمت الاقوات عندهم وهم فى جمع
كثير فاضطرّوا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيليّة واقام يعقوب بها
الى سنة احدى وسبعين وخمسمايّة وهو على ذلك يجهّز العساكر ويسيّرها

الى غزو بلاد الفرنج فى كلّ وقت فكان فيها عدّة وقايع وغزوات ظهر
فيها من العرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب
يبرز بين الصفّين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز
اليه احد ثمّ عاد ابو يعقوب الى مرّاكش ۞

ذكر نهب نهاوند

فى هذه السنة نهب عسكر شملة نهاوند وسبب ذلك انّ شملة
كان ايّام ايلدكز لا يزال يطلب منه نهاوند لكونها مجاورة بلاده ويبذل
فيها الاموال فلا يجيبه الى ذلك فلمّا مات ايلدكز وملك بعده ولده
محمّد البهلوان وسار الى اذربيجان لاصلاحها نفذ شملة ابن اخيه ابن
شنكا لاخذ نهاوند وبلغ اهل البلد الخبر فتحصّنوا وحصرهم وقاتلهم
وقاتلوه وافحشوا فى سبّه فلمّا علم انّه لا طاقة له بهم رجع الى تستر
وهى قريبة منها وارسل اهل نهاوند الى البهلوان يطلبون منه نجدة
فتاخّرت عنهم فلمّا اطمانّوا خرج ابن شنكا من تستر فى خمس مائة
فارس وسار يومًا وليلة فقطع اربعين فرسخًا حتّى وصل الى نهاوند وضرب
البوق واظهر انّه من اصحاب البهلوان لانّه جاءهم من ناحيته ففتح اهل
البلد له الابواب فدخله فلمّا توسّط قبض على القاضى والرؤساء
وصلبهم ونهب البلد وقطع انف الوالى واطلقه وتوجّه نحو
ماسبذان قاصدًا للعراق ۞

ذكر قصد نور الدين بلاد قلج ارسلان

فى هذه السنة سار نور الدين محمود ابن زنكى الى مملكة عزّ الدين
قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهى ملطيّة وسيواس واقصرا وغيرها
ملازمًا على حربه واخذ بلاده منه وكان سبب ذلك انّ ذا النون ابن
دانشمند صاحب ملطيّة وسيواس قصده قلج ارسلان واخذ بلاده واخرجه
عنها طريدًا فريدًا فصار الى نور الدين مستجيرًا به وملتجيًا اليه فاكرم
نزله واحسن اليه وحمل له ما يليق ان يحمل الى الملوك ووعده النصرة
والسعى فى ردّ مُلكه اليه ثمّ انّه ارسل الى قلج ارسلان يتشفّع فى
اعادة مُلكه فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين اليه فابتدا بكيسون

وبهنسى ومرعش ومرزبان فملكها وما بينها وكان مُلكه لمرعش اوايل ذى القعدة والباقى بعدها فلمّا ملكها سيّر طايفة من عسكره الى سيواس فملكوها وكان قلج ارسلان لمّا سار نور الدين الى بلاده قد سار من طرقها التى تلى الشام الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه ويسئله الصلح فتوقّف نور الدين عن قصده رجآء ان ينصلح الامر بغير حرب فاتاه عن الفرنج ما ازعجه فاجابه الى الصلح وشرط عليه ان ينجده بعساكر الى الغزاة وقال له انت مجاور الروم ولا تغزوهم وبيدك قطعة كبيرة من بلاد الاسلام ولا بُدّ من الغزاة معى فاجابه الى ذلك وتبقى سيواس على حالها بيد نُوّاب نور الدين وهى لذى النون فبقى العسكر فى خدمة ذى النون الى ان مات نور الدين فلمّا مات رحل عسكره عنها وعاد قلج ارسلان وملكها وهى بيد اولاده الى الآن سنة نيف وعشرين وستّمايئة ولمّا كان نور الدين فى هذه السفرة جآه رسول كمال الدين ابى الفضل محمّد بن عبد الله بن الشهرزورىّ من بغداد ومعه منشور من الخليفة بالموصل والجزيرة واربل وخلاط والشام وبلاد قلج ارسلان وديار مصر ✿

ذكر رحيل صلاح الدين من مصر الى الكرك وعوده عنها

فى هذه السنة فى شوّال رحل صلاح الدين يوسف ابن ايّوب من مصر بعساكرها جميعها الى بلاد الفرنج يريد حصر الكرك والاجتماع مع نور الدين عليه والاتّفاق على قصد بلاد الفرنج من جهتين كلّ واحد منهما فى جهة بعسكره وسبب ذلك انّ نور الدين لمّا انكر على صلاح الدين عوده من بلاد الفرنج فى العام الماضى واراد نور الدين قصد مصر واخذها منه ارسل يعتذر ويعد من نفسه بالحركة على ما يقرّره نور الدين فاستقرّت القاعدة بينهما انّ صلاح الدين يخرج من مصر ويسير نور الدين من دمشق فايّهما سبق صاحبه يقيم الى ان يصل الاخر اليه وتواعدا على يوم معلوم يكون وصولهما فيه فسار صلاح الدين عن مصر لانّ طريقه ابعد واشقّ ووصل الى الكرك وحصره وامّا نور الدين فانه لمّا وصل اليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر فرّق الاموال وحصّل الازواد وما يحتاج اليه وسار الى الكرك فوصل

الى الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتَيْن فلمّا سمع صلاح الدين بقربه خافه هو وجميع اهله واتّفق رايهم على العود الى مصر وترك الاجتماع بنور الدين لانّهم علموا انّه ان اجتمعا كان عزله على نور الدين سهلاً ، فلمّا عاد ارسل الفقيه عيسى الى نور الدين يعتذر عن رحيله بانّه كان قد استخلف اباه نجم الدين ايّوب على ديار مصر وانّه مريض شديد المرض ويخاف ان يحدث حادث الموت فتخرج البلاد عن ايديهم وارسل معه التحف والهدايا ما يجلّ عن الوصف فجآء الرسول الى نور الدين واعلمه ذلك فعظم عليه وعلم المراد من العود الّا انّه لم يُظهر للرسول تأثّرًا بل قال له حفظ مصر اهمّ عندنا من غيرها ، وسار صلاح الدين الى مصر فوجد اباه قد قضى نحبه ولحق بربّه وكلمة تقول لقايلها دعنى وكان سبب موت نجم الدين انّه ركب يومًا فرسًا بمصر فنفر به الفرس نُفرة كبيرة شديدة فسقط عنه فحُمل الى قصره وقيذًا وبقى ايّامًا ومات فى السابع والعشرين من ذى الحجّة وكان خيّرًا عاقلاً حسن السيرة كريمًا جوادًا كثير الاحسان الى الفقرآء والصوفيّة والمجالسة لهم وقد تقدّم من ذكره وابتدآء امره وامر اخيه شيركوه ما لا حاجة الى اعادته ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة زادت دجلة زيادةً كثيرةً اشرفت بغداد على الغرق فى شعبان وسدّوا ابواب الدروب ووصل المآء الى قبّة احمد ابن حنبل ووصل الى النظاميّة ورباط شيخ الشيوخ واشتغل الناس بالعمل فى القورج ثمّ نقص وكفى الناس شرّه ، وفيها وقعت النار ببغداد من درب بهروز الى باب جامع القصر ومن الجانب الاخر من حجر النحاس الى دار امّ الخليفة ، وفيها اغار بنو حزن من خفاجة على سواد العراق وسبب ذلك انّ الحماية كانت لهم لسواد العراق فلمّا تمكّن يزدن من البلاد وتسلّم الحلّة اخذها منهم وجعلها لبنى كعب من خفاجة واغار بنو حزن على السواد فسار يزدن فى عسكر ومعه الغضبان الخفاجىّ وهو من بنى كعب لقتال بنى حزن فبينما هم سايرون ليلًا رمى بعض الجند الغضبان بسهم فقتله لفساده وكان فى السواد فلمّا قُتل عاد العسكر الى بغداد

واعيدت خفارة السواد الى بنى حزن، وفيها خرج ترجم الايوانى فى جمع من التركمان فى حياة ايلدكز وتطرّق اعمال همذان ونهب الدينور واستباح الحريم وسمع ايلدكز الخبر وهو بنقجوان فسار مُجِدًّا فيمن خفّ من عسكره فقصده فهرب ترجم الى ان قارب بغداد وتبعه ايلدكز فظنّ الخليفة انّها حيلة ليصل الى بغداد فجأةً فشرع فى جمع العساكر وعمل السور فارسل الى ايلدكز الخلع والالقاب الكبيرة فاعتذر انّه لم يقصد الّا كفّ الامير يزدن وهو من اكابر امرآء بغداد وكان يتشيّع فوقع بسببه فتنة بين السنّة والشيعة بواسط لانّ الشيعة جلسوا له للعزآء واظهر السنّة الشماتة به فآل الامر الى القتال فقُتل بينهم جماعة ولمّا مات اقطع اخوه تنامش ما كان لاخيه وهو مدينة واسط ولقب علاء الدين، وفيها ارسل نور الدين محمود ابن زنكى رسولاً الى الخليفة وكان الرسول القاضى كمال الدين ابا الفضل محمد ابن عبد الله الشهرزورىّ قاضى بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحمّله رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفّار وفتح بلادهم ويطلب تقليدًا بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما فى طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلج ارسلان وان يعطى من الاقطاع بسواد العراق ما كان لابيه زنكى وهو صريفين ودرب هرون والتمس ارضًا على شاطى دجلة يبنيها مدرسة للشافعيّة ويوقف عليها صريفين ودرب هرون فاكرم كمال الدين اكرامًا لم يكرمه رسولٌ قبله واجيب الى ما التمسه فمات نور الدين قبل الشروع فى بنـــآء المـــدرســـة رحـــمه الله ❁

ثم دخلت سنة تسع وستّين وخمسمائة،

سنة ٥٦٩

ذكر مُلك شمس الدولة زبيد وغيرها من بلاد اليمن

قد ذكرنا قبلُ انّ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب صاحب مصر واهله كانوا يخافون من نور الدين محمود ان يدخل الى مصر فياخذها منهم فشرعوا فى تحصيل مملكة يقصدونها ويتملّكونها تكون عدّة لهم ان اخرجهم نور الدين من مصر ساروا اليها واقاموا بها فسيّروا شمس

الدولة توران شاه ابن ايّوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى بلد النوبة فكان ما ذكرناه فلمّا عاد الى مصر استاذنوا نور الدين فى ان يسير الى اليمن لقصد عبد النبىّ صاحب زبيد لاجل قطع الخطبة العبّاسيّة فاذن فى ذلك، وكان بمصر شاعر اسمه عمارة من اهل اليمن فكان يحسّن لشمس الدولة قصد اليمن ويصف البلاد له ويعظم ذلك فى عينه فزاده قوله رغبة فيها فشرع يتجهّز ويُعدّ الازواد والروايا والسلاح وغيره من الالات وجنّد الاجناد فجمع وحشد وسار عن مصر مستهلّ رجب فوصل الى مكّة اعزّها الله تعالى ومنها الى زبيد وفيها صاحبها المتغلّب عليها المعروف بعبد النبىّ فلمّا قرب منها رءاه اهلها فاستقلّ مَن معه فقال لهم عبد النبىّ كانّكم بهولآء وقد حمى عليهم الحرّ فهلكوا الّا أكلة رامٍ فخرج اليهم بعسكره فقاتلهم شمس الدولة ومَن معه فلم يثبت اهل زبيد وانهزموا ووصل المصريّون الى سور زبيد فلم يجدوا عليه مَن يمنعهم فنصبوا السلالم وصعدوا السور فملكوا البلد عنوةً ونهبوه واكثروا النهب واخذوا عبد النبىّ اسيرًا وزوجته المدعوة بالحرّة وكانت امراة صالحة كثيرة الصدقة لا سيّما اذا حجّت فانّ فقرآء الحاجّ كانوا يجدون عندها صدقة دارّة وخيرًا كثيرًا ومعروفًا عظيمًا فلمّا اسر شمس الدولة عبد النبىّ [وسلّم شمس الدولة عبد النبىّ][1] الى بعض امرآيه يقال له سيف الدولة مبارك ابن كامل من بنى منقذ اصحاب شيزر وامره ان يستخرج منه الاموال فاعطاه منها شيأً كثيرًا ثمّ انّه دلّهم على قبر كان قد صنعه لوالده وبنى عليه بنية عظيمة وله هناك دفاين كثيرة فاعلمهم بها فاستخرجت الاموال من هناك وكانت جليلة المقدار، وامّا الحرّة فانّها ايضًا كانت تدلّهم على ودايع لها فاخذ منها مالاً كثيرًا، ولمّا ملكوا زبيد واستقرّ الامر لهم بها ودانت اهلها واقيمت فيها الخطبة العبّاسيّة اصلحوا حالها وساروا الى عدن وهى على البحر ولها مَرْسًى عظيم وهى فرضة الهند والزنج والحبشة وعمّان وكرمان وكيش وفارس وغير ذلك وهى من جهة البرّ من امنع البلاد واحصنها وصاحبها انسان

---

[1]) C. P.

اسمه ياسر فلو اقام بها ولم يخرج عنها لعادوا خايبين وانّما حمله جهله وانقضاء مدّته على الخروج اليهم ومباشرة قتالهم فسار اليهم وقاتلهم فانهزم ياسر ومَن معه وسبقهم بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد قبل اهله فملكوه واخذوا صاحبها ياسرًا اسيرًا وارادوا نهب البلد فمنعهم شمس الدولة وقال ما جينا لنخرب البلاد وانّما جينا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها فلم ينهب احد منها شيأً فبقيت على حالها وثبت مُلكه واستقرّ امره ٭ ولمّا مضى الى عدن كان معه عبد النبىّ صاحب زبيد ماسورًا فلمّا دخل الى عدن قال سبحان الله كنتُ قد علمتُ انى ادخل الى عدن فى موكب كبير فانا انتظر ذلك وأُسَرُّ به ولم اكن اعلم انّنى ادخلها على هذا الحال ولمّا فرغ شمس الدولة من امر عدن عاد الى زبيد وحصر ما فى الجبل من الحصون فملك قلعه تَعزّ وهى من احصن القلاع وبها تكون خزاين صاحب زبيد وملك ايضًا قلعة التَعْكر والجَنَد[1] وغيرها من المعاقل والحصون واستناب بعدن عزّ الدين عُثمان ابن الزنجبيلىّ وبزبيد سيف الدولة مبارك ابن منقذ وجعل فى كلّ قلعة نايبًا من اصحابه والقى مُلكهم باليمن جِرانَهُ[2] ودام واحسن شمس الدولة الى اهل البلاد واستصفى طاعتهم بالعدل والاحسان وعادت زبيد الى احسن احوالها من العمارة والامن بعد خرابها ٭

ذكر قتل جماعة من المصريّين ارادوا الوثوب بصلاح الدين

فى هذه السنة ثانى رمضان صلب صلاح الدين يوسف ابن ايّوب جماعة مَن اراد الوثوب به بمصر من اصحاب الخلفاء العلويّين وسبب ذلك انّ جماعة من شيعة منهم عمارة ابن ابى الحسن اليمنىّ الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضى العويرس[3] وداعى الدعاة وغيرهم من جند المصريّين ورجّالتهم السودان وحاشية القصر ووافقهم جماعة من امراء صلاح الدين وجنده واتّفق رايهم على استدعاء الفرنج من صقليّة ومن ساحل الشام الى ديار مصر على شىء يبذلوه لهم من المال والبلاد فاذا قصدوا البلاد فان خرج صلاح الدين بنفسه اليهم ثاروا هم فى القاهرة

---

1) C. P. et 740. Ups: والجند

2) C. P. 740 et Ups.: حرانه

3) Ubique العوريس

ومصر واعادوا الدولة العلويّة وعاد مَن معه من العسكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام مقابل الفرنج وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا به واخذوه اخذًا باليد لعدم الناصر له وقال لهم عمارة وانا قد ابعدتُ اخاه الى اليمن خوفًا ان يسدّ مسدّه وتجتمع الكلمة عليه بعده وارسلوا الى الفرنج بصقليّة والساحل فى ذلك وتقرّرت القاعدة بينهم ولم يبق الّا رحيل الفرنج وكان من لطف الله بالمسلمين انّ الجماعة المصريّين ادخلوا معهم زين الدين علىّ ابن نجا الواعظ والقاضى المعروف بابن نُجيّة[1] ورتّبوا الخليفة والوزير والحاجب والداعى والقضاة الّا انّ بنى رزّيك قالوا يكون الوزير منّا وبنى شاور والقاضى قالوا يكون الوزير منّا فلمّا علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين واعلمه حقيقة الامر فامره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطاتهم على ما يريدون يفعلونه وتعريفه ما يتجدّد اوّلًا باوّل ففعل ذلك وصار يطالعه بكلّ ما عزموا عليه ثم وصل رسول من ملك الفرنج بالساحل بهديّة ورسالة وهو فى الظاهر اليه والباطن الى اوليك الجماعة وكان يرسل اليهم بعض النصارى وتاتيه رسلهم فاتى الخبر الى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجليّة الحال فوضع صلاح الدين على الرسول بعض مَن يثق اليه من النصارى وداخله فاخبره الرسول بالخبر على حقيقته فقبض حينيئذ على المقدّمين فى هذه الحادثة منهم عمارة وعبد الصمد الكاتب والعويرس وغيرهم وصلبهم ٭ وقيل فى كشف امرهم انّ عبد الصمد المذكور كان اذا لقى القاضى الفاضل الصلاحىّ يخدمه ويتقرّب اليه بجهده وطاقته فلقيه يومًا فلم يلتفت اليه فقال القاضى الفاضل ما هذا الّا لسبب وخاف ان يكون قد صار له باطنًا مع صلاح الدين فاحضر علىّ ابن نجا الواعظ واخبره الحال وقال اريد تكشف لى الامر فسعى فى كشفه فلم ير له من جانب صلاح الدين شيأً فعدل الى الجانب الاخر فكشف الحال وحضر عند القاضى الفاضل واعلمه فقال تحضر الساعة عند صلاح الدين وتنهى الحال اليه فحضر عند صلاح الدين وهو فى

---

1) نحيه

الجامع فذكر له الحال فقام واخذ الجاعة وقررهم فاقرّوا فامر بصلبهم ،
وكان عمارة بينه وبين الفاضل عداوة من ايّام العاضد وقبلها فلمّا اراد
صلبه قام القاضى الفاضل وخاطب صلاح الدين فى اطلاقه وظنّ عمارة
انّه يحرّض على هلاكه فقال لصلاح الدين يا مولانا لا تسمع منه فى
حقّى فغضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين لعمارة انّه كان يشفع
فيك فندم ثمّ اخرج عمارة ليصلب فطلب ان يمرّ به على مجلس
الفاضل فاجتازوا به عليه فاغلق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجبْ   انّ الخلاص هو العجبْ

ثمّ صُلب هو والجماعة ونودى فى اجناد المصريّين بالرحيل من ديار مصر
ومفارقتها الى اقاصى الصعيد واحتيط على مَن بالقصر من سلالة العاضد
وغيره من اهله ، وامّا الذين اتفقوا على صلاح الدين من جنده فلم
يعرض لهم ولا اعلمهم انّه علم بحالهم ، وامّا الفرنج فانّ فرنج صقليّة
قصدوا الاسكندريّة على ما نذكره ان شآء الله تعالى لانّهم لم يتّصل
بهم ظهور الخبر عند صلاح الدين وامّا فرنج الساحل الشامىّ فانّهم
لم يتحرّكوا لعلمهم بحقيقة الحال ، وكان عمارة شاعرًا مفلقًا فمن شعره

لو انّ قلبى يوم كاظمة معى   لملكتُه وكظمتُ فيض الادمع
قلب كفاك من الصبابة انّه   لبّى نداآء الظاعنين وما دُعى
ما القلب اوّل غادر فالومه   هى شيمة الايّام مُذ خُلقت معى
ومن الظنون الفاسدات توقّعى   بَعْد اليقين بقاآه فى اضلعى

وله ايضًا

فى هوى الرشأ العذرى اعذار   لم يبق لى مذ اقر الدمع انكار
لى فى القدود وفى لثم الخدود وفى   ضمّ النهود لبانات واوطارُ
هذا اختيارى فوافق ان رضيت به   أَوْلا فدعنى وما اهوى واختار

وله ديوان شعر مشهور فى غاية الحسن والرقّة والملاحة ۞

ذكر وفاة نور الدين محمود ابن زنكى رحمه الله

فى هذه السنة توفّى نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر صاحب
الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعآء حادى عشر شوّال بعلّة الخوانيق
ودُفن بقلعة دمشق ونُقل منها الى المدرسة التى انشاها بدمشق عند

سوق الخوّاصين ومن عجيب الاتّفاق انّه ركب ثانى شوّال والى جانبه بعض الامرآء الاخيار فقال له الامير سبحان مَن يعلم هل نجتمع هنا فى العام المقبل ام لا فقال نور الدين لا تقُل هكذا بل سبحان مَن يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فمات نور الدين رحمه الله بعد احد عشر يومًا ومات الامير قبل الحول فأُخذ كلّ منهما بما قاله وكان قد شرع يتجهّز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين يوسف ابن ايّوب فانّه راى منه فتورًا فى غزو الفرنج من ناحيته وكان يعلم انّه انّما يمنع صلاح الدين من الغزو الخوف منه ومن الاجتماع به فانّه يوثر كون الفرنج فى الطريق ليمتنع بهم على نور الدين فارسل الى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر للغزاة وكان عزمه ان يتركها مع ابن اخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل والشام ويسير هو بعساكره الى مصر فبينما هو يتجهّز لذلك اتاه امر الله الذى لا مردّ له، حكى لى طبيب كان يخدم نور الدين وهو من حُذّاق الاطبّآء قال استدعانى نور الدين فى مرضه الذى توفّى فيه مع غيرى من الاطبّآء فدخلنا اليه وهو فى بيت صغير بقلعة دمشق وقد تمكّنت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبّد فابتدا به المرض فلم ينتقل عنه فلمّا دخلنا وراينا ما به قلتُ له كان ينبغى ان لا توخّر احضارنا الى ان يشتدّ بك المرض الأن وينبغى ان تعجل الانتقال من هذا الموضع الى مكان فسيح مضىً فله اثر فى هذا المرض وشرعنا فى علاجه واشرنا بالفصد فقال ابن ستّين لا يفتصد وامتنع منه فعالجناه بغيره فلم ينجح فيه الدوآء وعظم الدآء ومات رحمه الله ورضى عنه، وكان اسمر طويل القامة ليس له لحية الّا فى حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حُلو العينَيْن وكان قد اتّسع مُلكه جدًّا وخُطب له بالحرمَيْن الشريفَيْن وباليمن لمّا دخلها شمس الدولة ابن ايّوب وملكها وكان مولده سنة احدى عشرة وخمسمايّة وطبّق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعتُ سير الملوك المتقدّمين فلم ار فيها بعد الخلفآء الراشدين وعمر ابن عبد العزيز احسن من سيرته ولا اكثر تحرّيًا

منه للعدل وقد اتينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من اخبار دولتهم ولنذكر هاهنا نبذة لعلّ يقف عليها مَن له حكم فيقتدى به فن ذلك زهده وعبادته وعلمه فانّه كان لا ياكل ولا يلبس [ولا يتصرّف][1] فى الذى يخصّه [الا][2] من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكتْ اليه زوجته من الضايقة فاعطاها ثلاث دكاكين فى حمص كانت له يحصل له فى السنة نحو العشرين دينارًا فلمّا استقلّتها قال ليس لى الّا هذا وجميع ما بيدى انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلّى كثيرًا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربّه　　ما احسن المحراب فى المحراب

وكان عارفًا بالفقه على مذهب ابى حنيفة ليس عنده فيه تعصّب وسمع الحديث واسمعه طلبًا للاجر، واما عدله فانّه لم يترك فى بلاده على سعتها مكسًا ولا عُشرًا بل اطلقها جميعها فى مصر والشام والجزيرة والموصل وكان يعظم الشريعة ويقف عند احكامها واحضره انسان الى مجلس الحكم فمضى معه اليه وارسل الى القاضى كمال الدين ابن الشهرزورىّ يقول قد جيتُ محاكمًا فاسلك معى ما تسلك مع الخصوم وظهر الحقّ له فوهبه للخصم الذى احضره وقال اردتُ ان اترك له ما يدّعيه انّما خفتُ ان يكون الباعث لى على ذلك الكبر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة فحضرتُ ثمّ وهبتُه ما يدعيه، وبنى دار العدل فى بلاده وكان يجلس هو والقاضى فيها ينصف المظلوم ولو انّه يهودىّ من الظالم ولو انّه ولده او اكبر امير عنده، واما شجاعته فاليها النهاية وكان فى الحرب ياخذ قوسَيْن وتركشَيْن ليقاتل بها فقال له القطب النساوىّ الفقيه بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالاسلام فان اصبتَ فى معركة لا يبقى من المسلمين احد الّا اخذه السيف فقال له نور الدين ومن محمودٌ حتّى يقال له هذا من قبلى مَن حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذى لا اله الّا هو، واما ما فعله من المصالح فانّه بنى اسوار

---

1) C. P. et 740.　　2) C. P. et 740.

مدن الشام جميعها وقلاعها فمنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها وبنى المدارس الكثيرة للحنفيّة والشافعيّة وبنى الجامع النوريّ بالموصل وبنى البيمارستانات والخانات فى الطرق وبنى الخانكاهات فى جميع البلاد واوقف على الجميع الوقوف الكثيرة سمعتُ انّ حاصل وقفه كلّ شهر تسعة الاف دينار صوريّ وكان يُكرم العلمآء واهل الدين ويعظمهم ويقوم اليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يردّ لهم قولاً ويكاتبهم بخطّ يده وكان وقورًا مهيبًا مع تواضعه وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب ☆

ذكر مُلك ولده الملك الصالح

لمّا توفّى نور الدين قام ابنه الملك الصالح اسمعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشرة سنة وحلف له الامرآء والمقدّمون بدمشق واقام بها واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكّة باسمه وتولّى تربيته الامير شمس [الدين] محمّد بن عبد الملك المعروف بابن المقدّم وصار مدبّر دولته فقال له كمال الدين صاحب مصر هو من اصحاب نور الدين والمصلحة ان نشاوره فى الذى نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا ويجعل ذلك حجّة علينا وهو اقوى منّا لانّه قد انفرد اليوم بملك مصر، فلم يوافق هذا القول اغراضهم وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجهم فلم يمض غير قليل حتّى وردت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يُعزّيه ويهنّيه بالملك وارسل دنانير مصريّة عليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لابيه فلمّا سار سيف الدين غازى صاحب الموصل وملك البلاد الجزريّة على ما نذكره فارسل صلاح الدين ايضًا الى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده واخذها ليحضر فى خدمته ويكفّ سيف الدين وكتب الى كمال الدين والامرآء يقول لو انّ نور الدين يعلم ان فيكم مَن يقوم مقامى او يثق اليه مثل ثقته الىّ لسلّم اليه مصر التى هى اعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعاجل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمته غيرى واراكم قد تفرّدتم بمولاى وابن مولاى دونى وسوف اصل الى خدمته واجازى انعام والده بخدمة

يظهر اثرها واجازى كلّا منكم على سوء صنيعه فى ترك الذبّ عن بلاده، وتمسّك ابن المقدّم وجماعة الامرآء بالملك الصالح ولم يرسلوه الى حلب خوفًا ان يغلب عليهم شمس الدين علىّ ابن الداية فانّه كان اكبر الامرآء النوريّة وانّما منعه من الاتّصال به والقيام بخدمته مرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وامرها اليهم وعساكرها معهم فى حياة نور الدين وبعده ولمّا عجز عن الحركة ارسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب لتمتنع به البلاد الجزريّة من سيف الدين ابن عمّه قطب الدين فلم يمكّنه الامرآء الذين معه من الانتقال الى حلب لما ذكرناه ❊

ذكر مُلك سيف الدين البلاد الجزريّة

كان نور الدين قبل ان يمرض قد ارسل الى البلاد الشرقيّة الموصل وديار الجزيرة وغيرها يستدعى العساكر منها لحجّة الغزاة والمراد غيرها وقد تقدّم ذكره فسار سيف الدين غازى ابن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل فى عساكره وعلى مقدّمته الخادم سعد الدين كمشتكين الذى كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين فلمّا كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فامّا سعد الدين فانّه كان فى المقدّمة فهرب جريدة وامّا سيف الدين فاخذ كلّ ما كان له من برك وغيره وعاد الى نصيبين فملكها وارسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حرّان فحصرها عدّة ايّام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحرّانىّ فامتنع بها واطاع بعد ذلك على ان تكون حرّان له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه واخذ حرّان منه وسار الى الرها فحصرها وملكها وكان بها خادم خصىٌّ اسود لنور الدين فسلّمها وطلب عوضها قلعة الزعفران من اعمال جزيرة ابن عمر فأعطيها ثمّ أُخذت منه ثمّ صار الى ان يستعطى ما يقوم به ويقوته وسيّر سيف الدين الى الرقّة فملكها وكذلك سروج واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانّها كانت منيعة وسوى راس عين فانّها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرّض اليها وكان شمس الدين علىّ ابن الداية وهو اكبر الامرآء النوريّة بحلب مع عساكرها فلم يقدر على العبور

الى سيف الدين ليمنعه من اخذ البلاد لفالج كان به فارسل الى دمشق يطلب الملك الصالح فلم يرسل اليه لما ذكرناه ولمّا ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد وصل اليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذى اقرّ له الملك بعد ابيه فظنّ انّ سيف الدين يرعى له ذلك فلم يجْن ثمرة ما غرس وكان عنده كبعض الامرآء قال له الراى ان تعبر الى الشام فليس به مانع فقال له اكبر امرآيه وهو اميرٌ يقال له عزّ الدين محمود المعروف بزلفندار قد ملكتَ اكثر ما كان لابيك والمصلحة ان تعود فرجع الى قوله وعاد الى الموصل ليقضى الله امرًا كان مفعولاً ۞

ذكر حصر الفرنج بانياس وعودهم عنها

لمّا مات نور الدين محمود صاحب الشام اجتمعت الفرنج وساروا الى قلعة بانياس من اعمال دمشق فحصروها فجمع شمس الدين محمّد بن عبد الملك بن المقدّم العسكر عنده بدمشق فخرج عنها فراسلهم ولاطفهم ثم اغلظ لهم فى القول وقال لهم ان انتم صالحتمونا وعُدتم عن بانياس فنحن على ما كنّا عليه والّا فنرسل الى سيف الدين صاحب الموصل ونعلمه ونصالحه ونستنجده ونرسل الى صلاح الدين بمصر فنستنجده ونقصد بلادكم من جهاتها كلّها ولا تقومون لنا وانتم تعلمون انّ صلاح الدين كان يخاف ان يجتمع بنور الدين والآن فقد زال ذلك الخوف واذا طلبناه الى بلادكم فلا يمتنع فعلموا صدْقه فصالحوه على شئٍ من المال اخذوه واسرى اطلقوا لهم كانوا عند المسلمين ونقرّرت الهدنة ، فلمّا سمع صلاح الدين بذلك انكره واستعظمه وكتب الى الملك الصالح والامرآء الذين معه يقبّح لهم ما فعلوه وبذل من نفسه قصد بلاد الفرنج ومقارعتهم وازعاجهم عن قصد شئٍ من بلاد الملك الصالح وكان قصده ان يصير له طريق الى بلاد الشام ليتملّك البلاد والامرآء الشاميّون انّما صالحوا الفرنج خوفًا منه ومن سيف الدين غازى صاحب الموصل فانّه كان قد اخذ البلاد الجزريّة وخافوا منه ان يعبر الى الشام فرعاوا صلح الفرنج اصلح من ان يجئ هذا من الغرب وهذا من الشرق وهم مشغولون عن ردّهم ۞

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في المحرّم وقع الحريق ليلًا ببغداد فاحترق اكثر الظفريّة ومواضع غيرها ودام الحريق الى بكرة وطفيت النار، وفيها في شعبان بنى ابن شنكا وهو ابن اخى شملة صاحب خوزستان قلعة بالقرب من الماهكى ليتقوّى بها على الاستيلآء على تلك الاعمال فسيّر اليه الخليفة العساكر من بغداد لمنعه فالتقوا فحمل بنفسه على الميمنة فهزمها واقتتل الناس قتالًا عظيمًا واسر ابن اخى شملة وحمل راسه الى بغداد فعلق بباب النوبى وهدمت القلعة، وفيها في رمضان وكان الزمان ربيعًا تتوالت الامطار في ديار بكر والجزيرة والموصل فدامت اربعين يومًا ما راينا الشمس فيها غير مرّتين كلّ مرّة مقدار لحظة وخربت المساكن وغيرها وكثر الهدم ومات تحته كثير من الناس وزادت دجلة زيادةً عظيمةً وكان اكثرها ببغداد فانّها زادت على كلّ زيادة تقدّمت منذ بُنيت بغداد بذراع وكسر وخاف الناسُ الغرق وفارقوا البلد واقاموا على شاطى دجلة خوفًا من انفتاح القورج[1] وغيره وكانوا كلّما انفتح موضعًا بادروا بسدّه ونبع المآء في البلاليع وخرّب كثيرًا من الدور ودخل المآء الى البيمارستان العضدىّ ودخلت السفن من الشبابيك التى له فانّها كانت قد تقلّعت فمنّ الله تعالى على الناس بنقص المآء بعد ان اشرفوا على الغرق، وفيها في جمادى الاولى كانت الفتنة ببغداد بين قطب الدين قايماز والخليفة وسببها انّ الخليفة امر باعادة عضد الدين ابن رئيس الرؤسآء الى الوزارة فمنع منه قطب الدين واغلق باب النوبى وباب العامّة وبقيت دار الخليفة كالمحاصرة فاجاب الخليفة الى ترك وزارته فقال قطب الدين لا اقنع الّا باخراج عضد الدين من بغداد فأُمر بالخروج منها فالتجى الى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل فاخذه الى رباطه واجاره ونقله الى دار الوزير بقُطُفتا[2] فاقام بها ثمّ عاد الى بيته في جمادى الاخرة، وفيها سقط الامير ابو العبّاس احمد ابن الخليفة وهو الذى صار خليفة من قبّة عالية الى ارض التاج

---

1) العورج 2) بقلغنا

ومعه غلام له اسمه نجاح فالقى نفسه بعده وسلم ابن الخليفة ونجا فقيل لنجاح لِمَ القيتَ نفسك فقال ما كنتُ اريد البقآء بعد مولآءى فرعا له الامير ابو العبّاس ذلك فلمّا صار خليفة جعله شرابيًّا وصارت الدولة جميعها بحكمه ولقّبه الملك الرحيم عزّ الدين وبالغ فى الاحسان اليه والتقديم له وخدمه جميع الامرآء بالعراق والوزرآء وغيرهم ، وفيها فى رمضان وقع ببغداد بَرَدٌ كبار ما راى الناس مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس وكثيرًا من المواشى فوزنت بردة منها فكانت سبعة ارطال وكان عامّته كالنارنج يكسّر الاغصان هكذا ذكره ابو الفرج ابن الجوزىّ فى تاريخه والعهدة عليه ، وفيها كانت وقعة عظيمة بين المؤيّد صاحب نيسابور وبين شاه مازندران قُتل فيها كثير من الطايفتَيْن فانهزم شاه مازندران ودخل المؤيّد بلد الديلم وخرّبها وفتك باهلها وعاد عنها ، وفيها وقعت وقعة كبيرة بين اهل باب البصرة واهل باب الكرخ وسببها انّ المآء لمّا زاد سكّر اهل باب الكرخ سكرًا ردّ المآء عنهم فغرق مسجد فيه شجرة فانقلعت فصاح اهل الكرخ انقلعت الشجرة لعن الله العشرة فقامت الفتنة فتقدّم الخليفة الى علآء الدين تنامش فمال على اهل باب البصرة لانّه كان شيعيًّا واراد دخول المحلّة فمنعه اهلها واغلقوا الابواب ووقفوا على السور واراد احراق الابواب فبلغ ذلك الخليفة فانكره اشدّ انكار وامر باعادة تنامش فعاد ودامت الفتنة اسبوعًا ثم انفصل الحال من غير توسّط سلطان ، وفيها عبر ملك الروم خليج القسطنطينية وقصد بلاد قلج ارسلان فجرى بينهما حرب استظهر فيها المسلمون فلمّا راى ملك الروم عجزه عاد الى بلده وقد قُتل من عسكره وأُسر جماعة كثيرة ، وفيها فى جمادى الاولى مات احمد بن علىّ بن المعمّر بن محمّد بن عبد الله ابو عبد الله العلوىّ الحسينىّ نقيب العلويّين ببغداد وكان يلقّب الطاهر وسمع الحديث الكثير ورواه وكان حسنة اهل بغداد ، وفيها توفّى الحافظ ابو العلآء الحسن ابن احمد بن محمّد العطّار الهمدانىّ سافر الكثير فى طلب الحديث وقرآة القران واللغة وكان من اعيان المحدّثين وكان له قبول عظيم ببلده عند العامّة والخاصّة ☆

٥١

ثم دخلت سنة سبعين وخمسماية ،

ذكر وصول اسطول صقلية الى مدينة الاسكندرية وانهزامهم منها

فى هذه السنة ظفر اهل الاسكندرية وعسكر مصر باسطول الفرنج من صقلية وكان سبب ذلك ما ذكرناه من [ارسال] اهل مصر الى ملك الفرنج بساحل الشام والى صاحب صقلية ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين ويخرجوه من مصر فجهز صاحب صقلية اسطولا كثيرًا عدّته مايتى شينى تحمل الرجالة وستًّا وثلاثين طريدة تحمل الخيل وست مراكب كبارًا تحمل آلة الحرب واربعين مركبًا تحمل الازواد وفيها من الراجل خمسون الفًا ومن الفرسان الف وخمس ماية منها خمس ماية تركبلى[1] وكان المقدّم عليهم ابن عمّ صاحب صقلية وسيّره الى الاسكندرية من ديار مصر فوصلوا اليها فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وستّين على حين غفلة من اهلها وطمانينة فخرج اهل الاسكندرية بسلاحهم وعدّتهم ليمنعوهم من النزول وابعدوا عن البلد فمنعهم الوالى عليهم من ذلك وامرهم بملازمة السور ونزل الفرنج الى البرّ ممّا يلى البحر والمنارة وتقدّموا الى المدينة ونصبوا عليها[2] الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا اشدّ قتال وصبر لهم اهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الّا القليل وراى الفرنج من شجاعة اهل الاسكندرية وحُسن سلاحهم ما راعهم ، وسيّرت الكتب بالحال الى صلاح الدين ويستدعونه لدفع العدوّ عنهم ودام القتال اوّل يوم الى اخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثانى وجدّوا ولازموا الزحف حتّى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية كلّ من كان فى اقطاعه وهو قريب من الاسكندرية فقويت بهم نفوس اهلها واحسنوا القتال والصبر فلمّا كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كلّ جانب وهم غارّون وكثر الصياح من كلّ الجهات فارتاع الفرنج واشتدّ القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فاحرقوها وصبروا للقتال فانزل الله نصره عليهم وظهرت اماراته ولم يزل القتال الى اخر النهار ودخل اهل

---

[1]) 740: تركملى Ups. et C. P. تركلى [2]) على

البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما رءاوا من تباشير الظفر وفوتهم وفشل الفرنج وفتور حربهم وكثرة القتل والجراح فى رجّالتهم ، واما صلاح الدين فانّه لمّا وصله الخبر سار بعساكره وسيّر مملوكًا له ومعه ثلاثة جنايب ليجدّ السير عليها الى الاسكندريّة يبشّر بوصوله وسيّر طايفة من العسكر الى دمياط خوفًا عليها واحتياطًا لها فسار ذلك المملوك فوصل الاسكندريّة من يومه وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى فى البلد بمجئ صلاح الدين والعساكر مسرعين فلمّا سمع الناس ذلك عادوا الى [القتال وقد][1] زال ما بهم من تعب وألم الجراح وكلّ منهم يظنّ انّ صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال مَن يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بقرب صلاح الدين فى عساكره فسقط فى ايديهم وازدادوا تعبًا وفتورًا فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتحملات العظيمة وكثر القتل فى رجّالة الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقرّبوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين فى المآء وخرق بعض شوانى الفرنج فغرقت فخاف الباقون من ذلك فولّوا هاربين واحتمى ثلثمائة من فرسان الفرنج على راس تلّ فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان اضحى النهار فغلبهم اهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل واسير وكفى الله المسلمين شرّهم ✿

ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر

وفى اوّل هذه السنة خالف الكنز بصعيد مصر واجتمع اليه من رعيّة البلاد والسودان والعرب وغيرهم خلق كثير وكان هناك امير من الصلاحيّة فى اقطاعه وهو اخو الامير ابى الهيجاء السمين فقتله الكنز فعظم قتله على اخيه وهو من اكبر الامرآء واشجعهم فسار الى قتال الكنز وسيّر معه صلاح الدين جماعة من الامرآء وكثيرًا من العسكر ووصلوا الى مدينة طود فاحتمت عليهم فقاتلوا مَن بها وظفروا بهم وقتلوا منهم كثيرًا وذلّوا بعد العزّ وقُهروا واستكانوا ثمّ سار العسكر بعد فراغهم

[1]) C. P. et 740.

من تلود الى الكنز وهو فى طغيانه يَعْمه فقاتلوه فقُتل هو ومن معه من الاعراب وغيرهم وأمنت بعده البلاد واطمانّ اهلها ❊

ذكر مُلك صلاح الدين دمشق

فى هذه السنة سلخ ربيع الاوّل ملك صلاح الدين يوسف ابن ايّوب مدينة دمشق وسبب ذلك انّ نور الدين لمّا مات وملك ابنه الملك الصالح بعده كان بدمشق وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازى الى حلب كما ذكرناه فاقام بها عند شمس الدين علىّ ابن الداية فلمّا استولى سيف الدين على البلاد الجزريّة خاف ابن الداية ان يُغير الى حلب فيملكها فارسل سعد الدين الى دمشق ليحضر الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب فلمّا قارب دمشق سيّر اليه شمس الدين محمّد ابن المقدّم عسكرًا فنهبوه وعاد منهزمًا الى حلب فاخلف عليه ابن الداية عوض ما اخذ منه ثم انّ الامراء الذين بدمشق نظروا فى المصلحة فعلموا انّ مسيره الى حلب اصلح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسال سعد الدين لياخذ الملك الصالح فجهّزه وسيّره وعلىّ نَفْسها[1] براقش تجنّى فسار الى دمشق فى المحرّم من هذه السنة واخذ الملك الصالح وعاد الى حلب فلمّا وصلوا اليها قبض سعد الدين على شمس الدين ابن الداية واخوته وعلى رئيس ابن الخشّاب رئيس حلب ومقدّم الاحداث بها ولو لا مرض شمس الدين ابن الداية لم يتمكّن من ذلك واستبدّ سعد الدين بتربية الملك الصالح فخاف ابن المقدّم وغيره من الامراء الذين بدمشق وقالوا ان استقرّ امر حلب اخذ الملك الصالح وسار به الينا وفعل مثل ما فعل بحلب وكاتبوا سيف الدين غازى صاحب الموصل ليعبر الفراة اليهم ليسلّموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفراة ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمّه وعسكر حلب من وراء ظهره فيهلك اشار عليه بهذا زُلفندار عز الدين والجبان يُقدّر البعيد من الشرّ قريبًا ويرى الجبن حزما كما قال

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: دفسها

يرى الجبناء انّ الجبن حزم ... وتلك طبيعة الرجل الجبان

فلمّا اشار عليه بهذا الراى زلفندار قَبِلَهُ وامتنع من قصد دمشق وراسل سعد الدين والملك الصالح وصالحهما على ما اخذه من البلاد فلمّا امتنع عن العبور الى دمشق عظم حزمهم وقالوا حيث صالحهم سيف الدين لم يبق لهم مانع عن المسير الينا فكاتبوا حينئذ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب صاحب مصر واستدعوه ليملّكوه عليهم وكان كبيرهم فى ذلك شمس الدين ابن المقدّم ومن اشبه اباه فما ظلم وقد ذكرنا مُخامرة ابيه فى تسليم سنجار سنة اربع واربعين وخمسماية فلمّا وصلت الرسل الى صلاح الدين بذلك لم يلبث وسار جريدة فى سبع مايئة فارس والفرنج فى طريقه فلم يُبال بهم فلمّا وطى ارض الشام قصد بُصرى وكان [بها] حينئذ صاحبها وهو من جملة مَن كاتبه فخرج ولقيه فلمّا راى قلّة مَن معه خاف على نفسه واجتمع بالقاضى الفاضل وقال ما ارى معكم عسكرًا وهذا بلد عظيم لا يقصد بمثل هذا العسكر ولو منعكم مَن به ساعة من النهار اخذكم اهل السواد فان كان معكم مالٌ سهل الامر فقال هنا مالٌ كثيرٌ يكون خمسين الف دينار فضرب صاحب بُصرى على راسه وقال هلكتم واهلكتمونا وجميع ما كان معهم عشرة الاف دينار، ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج كلّ مَن بها من العسكر اليه فلقوه وخدموه ودخل البلد ونزل فى دار والده المعروفة بدار العقيقى وكانت القلعة بيد خادم اسمه ريحان فاحضر صلاح الدين كمال الدين ابن الشهرزورىّ وهو قاضى البلد والحاكم فى جميع اموره من الديوان والوقف وغير ذلك وارسله الى ريحان ليسلّم القلعة اليه وقال انا مملوك الملك الصالح وما جيئتُ الّا لانصره واخدمه واعيد البلاد التى أُخذت منه اليه وكان يخطب له فى بلاده كلّها فصعد كمال الدين الى ريحان ولم يزل معه حتّى سلّم القلعة فصعد صلاح الدين اليها واخذ ما فيها من الاموال واخرجها واتّسع بها وثبت قدمه وقويت نفسه وهو مع هذا يظهر طاعة الملك الصالح ويخاطبه بالمملوك والخطبة والسكّة باسمه ۞

ذكر مُلك صلاح الدين مدينتَىْ حمص وحماة

لمّا استقرّ مُلك صلاح الدين لدمشق وقرّر امرها استخلف بها اخاه سيف الاسلام طغدكين ابن ايّوب وسار الى مدينة حمص مستهلّ جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بعرين وسلمية وتلّ خالد والرها من بلد الجزيرة فى اقطاع الامير فخر الدين مسعود الزعفرانى فلمّا مات نور الدين لم يمكنه المقام بها لسوء سيرته فى اهلها ولم يكن له فى قلاع هذه البلاد حكم انّما فيها وُلاة لنور الدين وكان بقلعة حمص والٍ يحفظها ٭ فلمّا نزل صلاح الدين على حمص حادى عشر الشهر المذكور راسل مَن فيها بالتسليم فامتنعوا فقاتلهم من الغد فملك البلد وأمّن اهله وامتنعت عليه القلعة وبقيت ممتنعة الى ان عاد من حلب على ما نذكره ان شآء الله وترك بمدينة حمص مَن يحفظها ويمنع مَن بالقلعة من التصرّف وان تصعد اليهم ميرة وسار الى مدينة حماة وهو فى جميع احواله لا يُظهر الّا طاعة الملك الصالح ابن نور الدين وانّه انّما خرج لحفظ بلاد عليه من الفرنج واستعادة ما اخذه سيف الدين غازى صاحب الموصل من البلاد الجزريّة ٭ فلمّا وصل الى حماة ملك المدينة مستهلّ جمادى الاخرة وكان بقلعتها الامير عزّ الدين جُورديك وهو من المماليك النوريّة فامتنع من التسليم الى صلاح الدين فارسل اليه صلاح الدين يعرّفه ما هو عليه من طاعة الملك الصالح وانّما يريد حفظ بلاده عليه فاستحلفه جورديك على ذلك وسيّره الى حلب فى اجتماع الكلمة على طاعة الملك الصالح وفى اطلاق شمس الدين علىّ وحسن وعثمان اولاد الداية من السجن فسار جورديك الى حلب واستخلف بقلعة حماة اخاه ليحفظها فلمّا وصل جورديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه فلمّا علم اخوه بذلك سلّم القلعة الى صلاح الدين فملكها ٭

ذكر حصر صلاح الدين حلب وعوده عنها وملك قلعة حمص وبعلبكّ

لمّا ملك صلاح الدين حماة سار الى حلب فحصرها ثالث جمادى الاخرة فقاتله اهلها وركب الملك الصالح وهو صبىٌّ وعمره اثنا عشرة سنة وجمع اهل حلب وقال لهم قد عرفتم احسان ابى اليكم ومحبّته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جآء هذا الظالم الجاحد احسان والدى اليه ياخذ بلدى ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق وقال من هذا

كثيرًا وبكى فابكى الناس فبذلوا له الاموال والانفس واتّفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده وجدّوا فى القتال وفيهم شجاعة قد الفوا الحرب واعتادوها حيث كان الفرنج بالقرب منهم فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن فلا يقدر على القرب من البلد وارسل سعد الدين الى سنان مقدّم الاسماعيليّة وبذل له اموالًا كثيرةً ليقتلوا صلاح الدين فارسلوا جماعة منهم الى عسكره فلمّا وصلوا رءاهم امير اسمه خمارتكين صاحب قلعة بوقبيس فعرفهم لانّه جارهم فى البلاد كثير الاجتماع بهم والقتال لهم فلمّا رءاهم قال لهم ما الذى اقدمكم وفى اىّ شىءٍ جئتم فجرحوه جراحات مثخنة وحمل احدهم على صلاح الدين ليقتله فقُتل دونه وقاتل الباقون من الاسماعيليّة فقتلوا جماعة ثمّ قُتلوا ٭ وبقى صلاح الدين محاصرًا لحلب الى سلخ جمادى الاخرة ورحل عنها مستهلّ رجب وسبب رحيله انّ القومص الصنجيلى صاحب طرابلس كان قد اسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين وخمسمايةٍ وبقى فى الحبس الى هذه السنة فاطلقه سعد الدين بمايةٍ الف وخمسين الف دينار صوريّة والف اسير فلمّا وصل الى بلده اجتمع الفرنج عليه يهنّونه بالسلامة وكان عظيمًا فيهم من اعيان شياطينهم فاتّفق انّ مرى ملك الفرنج لعنه الله مات اوّل هذه السنة وكان اعظم ملوكهم شجاعة واجودهم رأيًا ومكرًا ومكيدةً فلمّا توفّى خلّف ابنًا مجذومًا عاجزًا عن تدبير الملك فلكه الفرنج صورةً لا معنى تحتها وتولّى القمص ريمند[1] تدبير الملك للحلّ والعقد عن امره يصدرون فأُرسل اليه من حلب يطلبون منه ان يقصد بعض البلاد التى بيد صلاح الدين ليرحل عنهم فسار الى حمص ونازلها سابع رجب فلمّا تجهّز لقصدها سمع صلاح الدين الخبر فرحل عن حلب فوصل الى حماة ثامن رجب بعد نزول الفرنج على حمص بيوم ثمّ رحل الى الرّستن فلمّا سمع الفرنج بقربه رحلوا عن حمص ووصل صلاح الدين اليها فحصر القلعة الى ان ملكها فى الحادى والعشرين من شعبان من السنة فصار اكثر الشام بيده ولمّا ملك حمص سار منها

---

[1]) وبيمند

الى بعلبكّ وبها خادم اسمه يُمن وهو والٍ عليها من ايّام نور الدين فحصرها صلاح الدين فارسل يُمن يطلب الامان له ولمن عنده فامّنهم صلاح الدين وتسلّم القلعة رابع عشر رمضان من السنة المذكورة ۞

ذكر حصر سيف الدين اخاه عماد الدين بسنجار

لمّا ملك صلاح الدين دمشق وحمص وحماة كتب الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين الى ابن عمّه سيف الدين غازى ابن قطب الدين مودود يستنجده على صلاح الدين ويطلب ان يعبر اليه ليقصدوا صلاح الدين وياخذوا البلاد منه، فجمع سيف الدين عساكره وكاتب اخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار ويامره ان ينزل اليه بعساكره ليجتمعوا على المسير الى الشام فامتنع من ذلك وكان صلاح الدين قد كاتب عماد الدين واطمعه فى الملك لانّه هو الكبير فحمله الطمع على الامتناع على اخيه فلمّا راى سيف الدين امتناعه جهّز اخاه عزّ الدين مسعودًا فى عسكر كثير هو معظم عسكره وسيّره الى الشام وجعل المقدّم على العسكر اكبر امير معه يقال له عز الدين محمود ويلقب ايضًا زلفندار وجعله المدبّر للامر وسار سيف الدين الى سنجار فحصرها فى شهر رمضان وقاتلها وجدّ فى القتال وامتنع عماد الدين بها وجدّ فى حفظها والذبّ عنها فدام الحصار عليها فبينما هو يحاصرها اتاه الخبر بانهزام عسكره الذى مع اخيه عز الدين مسعود من صلاح الدين فراسل حينئذٍ اخاه عماد الدين وصالحه على ما بيده ورحل الى الموصل وثبت قدم صلاح الدين بعد هذه الهزيمة وخافه الناس وتردّدت الرسل بينه وبين سيف الدين غازى فى الصلح فلم يستقرّ حال ۞

ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين وحصره مدينة حلب

فى هذه السنة سار عسكر سيف الدين مع اخيه عزّ الدين وعزّ الدين زلفندار الى حلب واجتمع معهما عساكر حلب وصاروا كلّهم الى صلاح الدين ليحاربوه فارسل صلاح الدين الى سيف الدين يبذل تسليم حمص وحماة وان يقرّ بيده مدينة دمشق وهو فيها نايب الملك الصالح فلم يجب الى ذلك وقال لا بدّ من تسليم جميع ما اخذ من بلاد الشام

والعود الى مصر وكان صلاح الدين يجمع عساكره ويتجهّز للحرب فلمّا امتنع سيف الدين من اجابته الى ما بذل سار فى عساكره الى عزّ الدين مسعود وزلفندار فالتقوا تاسع عشر رمضان بالقرب من مدينة حماة بموضع يقال له قُرون حماه وكان زلفندار جاهلًا بالحروب والقتال غير عالم بتدبيرها مع جُبن فيه الّا انّه قد رزق سعادةً وقبولاً من سيف الدين فلمّا التقى الجمعان لم يثبت العسكر السيفىّ وانهزموا لا يلوى اخ على اخيه وثبت عزّ الدين اخو سيف الدين بعد انهزام اصحابه فلمّا راى صلاح الدين ثباته قال امّا انّ هذا اشجع الناس او انّه لا يعرف الحرب وامر اصحابه بالحملة عليه فحملوا فازالوه عن موقفه وتمّت الهزيمة وتبعهم صلاح الدين وعسكره حتّى جازوا معسكرهم وغنموا منهم غنايم كثيرة وآلة وسلاحًا عظيمًا ودوابّ فارهة وعادوا بعد طول البكار مستريحين وعاد المنهزمون الى حلب وتبعهم صلاح الدين فنازلهم بها محاصرًا لها ومقاتلًا وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح ابن نور الدين وازال اسمه عن السكّة فى بلاده ودام محاصرًا لهم فلمّا طال الامر عليهم راسلوه فى الصلح على ان يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بايديهم منها فاجابهم الى ذلك وانتظم الصلح ورحل عن حلب فى العشر الاوّل من شوّال ووصل الى حماة ووصلت اليها بها خلع الخليفة مع رسوله ✿

ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين

فى هذه السنة فى العشر الاخر من شوّال ملك صلاح الدين قلعة بعرين من الشام وكان [صاحبها][1] فخر الدين مسعود ابن الزعفرانىّ وهو من اكابر الامرآء النوريّة فلمّا راى قوّة صلاح الدين نزل منها واتّصل بصلاح الدين وظنّ انّ صلاح الدين يكرمه ويشاركه فى ملكه ولا ينفرد عنه بامر مثل ما كان مع نور الدين فلم ير من ذلك شيأً ففارقه ولم يكن بقى له من اقطاعه الذى كان له فى الايّام النوريّة غير بعرين ونايبه بها فلمّا صالح صلاح الدين الملك الصالح بحلب عاد الى حماة وسار منها الى بعرين وهى قريبة منها فحصرها ونصب عليها المنجنيقات وادام

[1] C. P.

قتالها فسلّمها واليها بالامان فلمّا ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمىّ واقطع حمص ناصر الدين ابن عمّه شيركوه وسار منها الى دمشق فدخلها اواخر شوّال من السنة ۞

ذكر مُلك البهلوان مدينة تبريز

فى هذه السنة ملك البهلوان ابن ايلدكز مدينة تبريز وهى من جملة بلاد اقسنقر الاحمديلى وسبب ذلك انّ البهلوان سار الى مراغة وحصرها وكان ابن اقسنقر الاحمديلى قد مات ووصّى بالمُلك لابنه فلك الدين فقصده البهلوان ونزل على قلعة روبندز وحصرها فامتنعت عليه فتركها وحصر مراغة وسيّر اخاه قزل ارسلان فى جيش الى مدينة تبريز فحصرها ايضًا وكان البهلوان يقاتل اهل مراغة فظفروا بطايفة من عسكره فخلع عليهم صدر الدين قاضى مَراغة واطلقهم فحسن ذلك عند البهلوان وشرع القاضى فى الصلح على ان يسلّموا تبريز الى البهلوان فاجيب الى ذلك واستقرّت القاعدة عليه وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه وتسلّم البهلوان تبريز واعطاها اخاه قزل ارسلان ورحل عن مراغة بعسكره ۞

ذكر وفاة شملة

فى هذه السنة مات شملة التركمانىّ صاحب خوزستان وكان قد كثرت ولايته وعظم شانه وبنَى عدّة حصون وبقى كذلك زيادة على عشرين سنة وكان سبب موته انّه قصد بعض التركمان فعلموا بذلك فاستعانوا بشمس الدين البهلوان ابن ايلدكز صاحب عراق العجم فسيّر اليهم جيشًا فاقتتلوا فاصاب شملة سهم ثمّ أُخذ اسيرًا وولده وابن اخيه وتوفّى بعد يومين وهو من التركمان الافشريّة ولمّا مات ملك ابنه بعده ۞

ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد

فى هذه السنة فى شوّال سيّر علآء الدين تنامش وهو من اكابر الامرآء ببغداد وكان قطب الدين قايماز زوج اخته عسكرًا الى العراق فنهبوا اهله وبالغوا فى اذاهم فجآء منهم جماعة الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا لضعف الخليفة مع قايماز وتنامش وتحكّمهما عليه فقصدوا جامع

القصر واستغاثوا فيه ومنعوا الخطيب وفاتت الصلاة اكثر الناس فانكر الخليفة ما جرى فلم يلتفت قطب الدين وتنامش الى ما فعل واحتقروه فلا جرم لم يمهلهم الله تعالى لاحتقارهم الدعاء وازدرائهم اهله ، فلمّا كان خامس ذى القعدة قصد قطب الدين قايماز أذى ظهير الدين ابن العطّار وكان صاحب المخزن وهو خاصّ للخليفة وله به عناية تامّة فلم يُراعى للخليفة فى صاحبه فارسل اليه يستدعيه ليحضر عنده فهرب فاحرق قطب الدين داره وحالف الامرآء على المساعدة والمظاهرة له وجمعهم وقصد دار الخليفة لعلمه انّ ابن العطّار فيها فلمّا علم الخليفة ذلك ورأى الغلبة صعد الى سطح داره وظهر للعامّة وامر حادمًا فصاح واستغاث وقال للعامّة مال قطب الدين لكم ودمه لى ففصد الخلق كلّهم دار قطب الدين للنهب فلم يمكنه المقام لضيق الشوارع وغلبة العامّة فهرب من داره من باب فتحه فى ظهرها لكثرة الخلق على بابها وخرج من بغداذ ونُهبت دارُه وأُخذ منها من الاموال ما لا يُعدّ ولا يُحْصَى فرُاءى فيها من التنعّم ما ليس لاحد مثله فى جملة ذلك انّ بيت الطهارة الذى كان له فيه سلسلة ذهب من السقف الى محاذى وجه القاعد على الخلا وفى اسفلها كرّة كبيرة ذهب مخرّمة محشوة بالمسك والعنبر ليشمّها اذا قعد فتشبّث انسان وقطعها ودخل بعض الصعاليك فاخذ عدّة اكياس مملوة دنانير وكان الاقويا قد وقفوا على الباب ياخذون ما يخرج به الناس فلمّا اخذ ذلك الصعلوك الاكياس قصد المطبخ فاخذ منه قدرًا مملوّة طبيخًا والقى الاكياس فيها وحملها على راسه والناس يضحكون منه فيقول انا اريد شيئًا اطعمه عيالى اليوم فنجا بما معه فاستغنى بعد ذلك فظهر المال ولم يبق من نعمة قطب الدين فى ساعة واحدة قليل ولا كثير ، ولمّا خرج من البلد تبعه تنامش وجماعة من الامرآء فنُهبت دورهم ايضًا وأُخذت اموالهم واحرق اكثرها وسار قطب الدين الى الحلّة ومعه الامرآء فسيّر الخليفة اليه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ فلم يزل به يخدعه حتّى سار عن الحلّة الى الموصل على البرّ فلحقه ومن معه عطشٌ عظيمٌ فهلك اكثرهم من شدّة الحرّ والعطش

ومات قطب الدين قبل وصوله الى الموصل فحُمل ودُفن بظاهر باب العمادى وقبره مشهور هناك ، وهذا عاقبة عصيان الخليفة وكفران الاحسان والظلم وسوء التدبير فانّه ظلم اهل العراق وكفر احسان الخليفة الذى كان قد غمره ولو اقام بالحلّة وجمع العساكر وعاود بغداد لاستولى على الامور كلّها كما كان فانّ عامّة بغداد كانوا يريدونه وكان قوى بالاحسان على البلاد فاطاعوه ، ولمّا مات فى ذى الحجّة وصل علاء الدين تنامش الى الموصل فاقام مُدَيدة ثمّ امره الخليفة بالقدوم الى بغداد فعاد اليها وبقى بها الى ان مات بغير اقطاع وكان هذا اخر امره ، ولمّا اقام قطب الدين بالحلّة امتنع الحاجّ من السفر فتاخّروا الى ان رحل عنها فدخلوا من الكوفة فى ثمانية عشر يومًا وهذا ما لم يُسمع بمثله وفات كثير منهم الحجّ ، ولمّا هرب قطب الدين خلع الخليفة على عضد الدين الوزير واعيد [الى] الوزارة قال بعض الشعراء فى قطب الدين وتنامش هذه الابيات

ان كنتَ معتبرًا بمُلك زابل	وحوادث عنقيّة الادلاج
فدع العجايب والتواريخ الاولى	وانظر الى قيماز وابن تماج
عطف الزمان عليهما فسقاهما	من كاسه صرفًا بغير مزاج
فتبدّلوا بعد العصور وظلّها	ونعيمها بمهامه وفجاج
فليحذر الباقون من امثالها	نكبات دهر خابن مزعاج

وكان قطب الدين كريمًا طلق الوجه مُحبًّا للعدل والاحسان كثير البذل للمال والذى كان جرى منه انّما كان يحمله عليه تنامش ولم يكن بارادته ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة مات زعيم الدين صاحب المخزن واسمه يحيى بن عبد الله بن محمّد بن المعمّر بن جعفر ابو الفضل وحجّ بالناس عدّة سنين واليه الحكم فى الطريق وتاب عن الوزارة وتنقّل فى هذه الاعمال اكثر من عشرين سنة وكان يحفظ القران ۞

ثمّ دخلت سنة احدى وسبعين وخمسماية ،

سنة ٥٧١

ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين

فى هذه السنة عاشر شوّال كان المصافّ بين سيف الدين غازى

ابن مودود وبين صلاح الدين يوسف ابن ايّوب بتلّ السلطان على مرحلة من حلب على طريق حماة وانهزم سيف الدين وسبب ذلك انّه لمّا انهزم اخوه عزّ الدين مسعود من صلاح الدين فى العام الماضى وصالح سيف الدين اخاه عماد الدين صاحب سنجار عاد [الى] الموصل وجمع عساكر وفرّق فيهم الاموال واستنجد صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما فاجتمعت معه عساكر كثيرة بلغت عدّتهم ستّة الاف فارس فسار الى نصيبين فى ربيع الاوّل من هذه السنة واقام بها فاطال المقام حتّى انقضى الشتآء وهو مقيم فضجر العسكر ونفدت نفقاتهم وصار العود الى بيوتهم مع الهزيمة احبّ اليهم من الظفر لما يتوقّعونه ان ظفروا من طول المقام بالشام بعد هذه المدّة ثمّ سار الى حلب فنزل اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبّر دولة الملك الصالح ومعه عساكر حلب وكان صلاح الدين فى قلّة من العساكر لانّه كان صالح الفرنج فى المحرّم من هذه السنة على ما نذكره ان شآء الله وقد سيّر عساكر الى مصر فارسل يستدعيها فلو عاجلوه لبلغوا غرضهم منه لكنهم تربّثوا وتاخّروا عنه فجآءته عساكره فسار من دمشق الى ناحية حلب ليلقى سيف الدين فالتقى العسكران بتلّ السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلمّا وصل صلاح [الدين] كان وصوله العصر وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فالقوا نفوسهم الى الارض ليس فيهم حركة فاشار على سيف الدين جماعة بقتالهم وهم على هذا الحال فقال زلفندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجى فى هذه الساعة غدا بكرة ناخذهم كلّهم فترك القتال الى الغد فلمّا اصبحوا اصطفّوا للقتال فجعل زلفندار وهو المدبّر للعسكر السيفىّ اعلامهم فى وهدة من الارض لا يراها الّا مَن هو بالقرب منها فلمّا لم يرها الناس ظنّوا انّ السلطان قد انهزم فلم يثبتوا وانهزموا ولم يلو اخٌ على اخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب وترك بها اخاه عزّ الدين مسعودا فى جمع من العسكر ولم يُقم هو وعبر الفراة وسار الى الموصل وهو لا يصدّق أنّه ينجو وظنّ انّ صلاح الدين يعبر الفراة ويقصده بالموصل فاستشار وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قايماز فى مفارقة الموصل

والاعتصام بقلعة عقر[1] الحميديّة فقال له مجاهد الدين ارايت ان ملكت الموصل عليك الفكر ان تمتنع ببعض ابراج الفصيل فقال لا فقال بُرج فى الفصيل خير من العقر وما زال الملوك ينهزمون ويعاودون الحرب واتّفق هو والوزير على شدّ ازره وتقوية قلبه فثبت ثمّ اعرض عن زلفندار وعزله واستعمل مكانه على امارة الجيوش مجاهد الدين قايماز على ما نذكره ان شآء الله وقد ذكر العماد الكاتب فى كتاب البرق الشامىّ فى تاريخ الدولة الصلاحيّة انّ سيف الدين كان عسكره فى هذه الوقعة عشرين الف فارس ولم يكن كذلك انّما كان على التحقيق يزيدون على ستّة الاف فارس اقلّ من خمسمائة فانّى وقفتُ على جريدة العرض وترتيب العسكر للمصافّ ميمنة وميسرة وقلبًا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولّى لذلك والكاتب له اخى مجد الدين ابا السعادات المبارك بن محمّد بن عبد الكريم رحمه الله وانّما قصد العماد ان يعظّم امر صاحبه بانّه هزم بستّة الاف عشرين الفًا والحقّ احقّ ان يتّبع ثمّ يا ليت شعرى كم فى الموصل واعمالها الى الفراة حتّى يكون لها وفيها عشرين الف فارس ❊

ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين

لمّا انهزم سيف الدين وعسكره ووصلوا الى حلب عاد سيف الدين الى الموصل كما ذكرناه وترك بحلب اخاه عزّ الدين مسعودًا فى طايفة من العسكر نجدة للملك الصالح وامّا صلاح الدين فانّه لمّا استولى على اثقال العسكر الموصلىّ هو وعسكره وغنموها واتّسعوا بها وقووا سار الى بزاعة فحصرها وقاتله مَن بالقلعة ثمّ تسلّمها وجعل فيها مَن يحفظها وسار الى مدينة منبج فحصرها اخر شوّال وبها صاحبها قطب الدين ينّال ابن حسّان المنبجىّ وكان شديد العداوة لصلاح الدين والتحريض عليه والاطماع فيه والطعن فيه فصلاح الدين حنقٌ عليه متهدّد له فامّا المدينة فلكها ولم تمتنع عليه وبقى القلعة وبها صاحبها قد جمع اليها الرجال والسلاح والذخاير فحصره صلاح الدين وضيّق عليه وزحف

---

[1] عقد

الى القلعة فوصل النقّابون الى السور فنقبوها وملكوها عنوةً وغنم العسكر الصلاحىّ كلّ ما فيها واخذ صاحبها اسيرًا فاخذ صلاح الدين كلّ ما له واصبح فقيرًا لا يملك نقيرًا ثم اطلقه صلاح الدين فسار الى الموصل فاقطعه سيف الدين غازى مدينة الرقّة ولمّا فرغ صلاح من منبج سار الى قلعة اعزاز فنازلها ثالث ذى القعدة من السنه وهى من احصن القلاع وامنعها فنازلها وحصرها واحاط بها وضيّق على مَن فيها ونصب عليها المنجنيقات وقُتل عليها كثير من العسكر فبينما صلاح الدين يومًا فى خيمة لبعض امرآيه يقال له جاولى وهو مقدّم الطايفة الاسديّة ان وثب عليه باطنىّ فضربه بسكين فى راسه فجرحه فلو لا انّ المغفر الزرد كان تحت القلنسوة لقتله فامسك صلاح الدين يد الباطنىّ بيده الّا انّه لا يقدر على منعه من الضرب بالكلّية انّما يضرب ضربًا ضعيفًا فبقى الباطنىّ يضربه فى رقبته بالسكين وكان عليه كزاغند فكانت الضربات تقع فى زيق الكزاغند فتقطعه والزرديّة تمنعها من الوصول الى رقبته لبُعد اجله فجآء امير من امرآيه اسمه يازكش فامسك السكين بكفّه فجرحه الباطنىّ ولم يطلقها من يده الى ان قُتل الباطنىّ وجآء اخر من الاسماعيليّة فقُتل ايضًا وثالث فقُتل وركب صلاح الدين الى خيمته كالمذعور لا يُصدّق بنجاته ثم اعتبر جنده فمَن انكره ابعده ومَن عرفه اقرّه على خدمته ولازم حصار اعزاز ثمانية وثلاثين يومًا كلّ يوم اشدّ قتالاً ممّا قبله وكثرت النقوب فيها فاذعن مَن بها وسلّموا القلعة اليه فتسلّمها حادى عشر ذى الحجّة ❊

ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب والصلح عليها

لمّا ملك صلاح الدين قلعة اعزاز رحل الى حلب فنازلها منتصف ذى الحجّة وحصرها وبها الملك الصالح ومَن معه من العساكر وقد قام العامّة فى حفظ البلد القيام المرضى بحيث انّهم منعوا صلاح الدين من القرب من البلد لانّه كان اذا تقدّم للقتال خسر هو واصحابه وكثر الجراح فيهم والقتل وكانوا يخرجون ويقاتلونه ظاهر البلد فترك القتال واخلد للمطاولة وانقضت سنة احدى وسبعين ودخلت سنة اثنتين وسبعين وهو محاصرٌ لها ثم ترددت الرسل بينهم فى الصلح فى العشرين

من المحرّم فوقعت الاجابة اليه من الجانبين لانّ اهل حلب خافوا من طول الحصار فانّهم ربّما ضجروا وضعفوا وصلاح الدين راى انّه لا يقدر على الدنوّ من البلد ولا على قتال مَن به فاجاب ايضًا وتقرّرت القاعدة فى الصلح للجميع للملك الصالح ولسيف الدين صاحب الموصل ولصاحب الحصن ولصاحب ماردين وتحالفوا واستقرّت القاعدة ان يكونوا كلّهم عونًا على الناكث الغادر فلمّا انفصل الامر رحل عن حلب بعد ان اعاد قلعة اعزاز الى الملك الصالح فانّه اخرج [الى] صلاح الدين أُخْتًا له صغيرة طفلة فاكرمها صلاح الدين وحمل لها شيأً كثيرًا وقال لها ما تريدين قالت اريد قلعة اعزاز وكانوا قد علّموها ذلك فسلّمها اليهم ورحـل الى بـلـد الاسمـاعـيـلـيّـة ✿

ذكر الفتنة بمكّة وعزل اميرها واقامة غيره

فى هذه السنة فى ذى الحجّة كان بمكّة حرب شديدة بين امير الحاجّ طاشتكين وبين الامير مكثر ابن عيسى امير مكّة وكان الخليفة قد امر امير الحاجّ بعزل مكثر واقامة اخيه داود مقامه وسبب ذلك انّه كان قد بنى قلعة على جبل ابى قبيس فلمّا سار الحاجّ عن عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة وانّما اجتازوا بها فلم يرموا الجمار انّما بعضهم رمى بعضها وهو ساير ونزلوا الابطح فخرج اليهم ناس من اهل مكّة فحاربوهم وقُتل من الفريقَيْن جماعة وصاح الناس الغزاة الى مكّة فهجموا عليها فهرب امير مكّة مكثر فصعد الى القلعة التى بناها على جبل ابى قبيس فحصروه بها ففارقها وسار عن مكّة وولى اخوه داود الامارة ونهب كثيرًا من الحاجّ واخذوا من اموال التجار المقيمين بها شيأً كثيرًا واحرقوا دورًا كثيرةً ومن العجب ما جرى فيها انّ انسانًا زرّاقًا ضرب دارًا بقارورة نفط فاحرقها وكانت لايتام فاحرقت ما فيها ثمّ اخذ قارورة اخرى ليضرب بها مكانًا اخر فاتاه حجر فاصاب القارورة فكسرها فاحترق هو بها فبقى ثـلاثـة ايّام يـعـذّب بالحـريـق[1] ثمّ مات ✿

ذكـر عـدّة حـوادث

---

1) C. P. Ups.: بالحليق

فى هذه السنة فى شهر رمضان انكسفت الشمس جميعها واظلمت الارض حتّى بقى الوقت كانّه ليل مظلم وظهرت الكواكب وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه وكنتُ حينئذ صبيًّا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلمآء اقرأ عليه الحساب فلمّا رايتُ ذلك خفتُ خوفًا شديدًا وتمسّكتُ به فقوّى قلبى وكان عالمًا بالنجوم ايضًا وقال لى الآن ترى هذا جميعه فانصرف سريعًا ٭ وفيها ولّى الخليفة المستضئ بامر الله حجبة الباب ابا طالب نصر ابن علىّ الناقد وكان يلقّب فى صغره قنبرًا فصار يصيحون به ذلك اذا ركب فامر الخليفة ان يركب معه جماعة من الاتراك ويمنعون الناس من ذلك فامتنعوا فلمّا كان قبل العيد خلع عليه ليركب فى الموكب فاشترى جماعة من اهل بغداد من القنابر شيأً كثيرًا وعزموا على ارسالها فى الموكب اذا راوا ابن الناقد فأُنهى ذلك الى الخليفة وقيل له يصير الموكب ضحكة فعزله وولّى ابن المعوّج ٭ وفيها فى ذى الحجّة يوم العيد وقعت فتنة ببغداد بين العامّة وبين الاتراك بسبب اخذ جمال السحر فقُتل بينهم جماعة ونُهب شئ كثير من الاموال ففرّق الخليفة اموالاً جليلة فيمن نُهب ماله ٭ وفيها زلزلت بلاد العجم من جهة العراق الى ما ورآء الرىّ وهلك فيها خلق كثير وتهدّمت دور كثيرة واكثر ذلك كان بالرىّ وقزوين ٭ وفيها فى ربيع الآخر استوزر سيف الدين غازى صاحب الموصل جلال الدين ابا الحسن بن جمال الدين محمّد بن علىّ وكان جمال الدين وزير البيت الاتابكىّ وقد تقدّمت اخباره وهو المشهور بالجود والافضال ولمّا ولى جلال الدين الوزارة ظهرت منه كفاية عظيمة ومعرفة تامّة بقوانين الوزارة وله مكاتبات وعهود حسنة مدوّنة مشهورة وكان جوادًا فاضلًا خيّرًا عمره لمّا ولى الوزارة خمسًا وعشرين سنة ٭ وفيها فى ذى الحجّة استناب سيف الدين ايضًا عنه بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز وفوّض اليه الامور وكان قبل ذلك اليه الامر بمدينة اربل واعمالها وكان رحمه الله من صالحى الامرآء وارباب المعروف بنى كثيرًا من الجوامع والخانات فى الطرق والقناطر على الانهار والربط وغير ذلك من ابواب البرّ وكان دايم الصدقة كثير الاحسان

عادل السيرة رحمه الله ٭ وفيها قبض الخليفة على سنجر المقتفوى استاذ الدار ورقّب مكانه ابا الفضل هبة الله بن علىّ بن هبة الله بن الصاحب ٭ وفيها فى رمضان قدم شمس الدولة توران شاه ابن ايّوب الذى ملك اليمن الى دمشق لمّا سمع انّ اخاه صلاح الدين ملكها حنّ الى الوطن والاتراب ففارق اليمن وسار الى الشام وارسل من الطريق الى اخيه صلاح الدين يعلمه بوصوله وكتب فى الكتاب شعرًا من قول ابن المنجّم المصرى

وإلى صلاح الدين اشكو انّنى ... من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعًا لبُعد الدار منه ولم اكن ... لولا هواه لبعد دار اجزع
فلأركبنّ اليه متن عزايمى ... ويخبّ بى ركب الغرام ويوضع
ولاقطعنّ من النهار هواجرًا ... قلب النهار بحرّها يتقطّع
ولاسرينّ الليل لا يسرى به ... طيف الخيال ولا البروق اللمّع
وأقدّمنّ اليه قلبى مخبرًا ... انى بجسمى من قريب اتبع
حتّى اشارف منه اسعد طلعة ... من افقها صبح السعادة يطلع ٭

وفى هذه السنة فى المحرّم برز صلاح الدين من دمشق وقد عظم شانه بما ملكه من بلاد الشام وبكسره عسكر الموصل فخافه الفرنج وغيرهم وعزم على دخول بلدهم ونهبه والاغارة عليه فارسلوا اليه يطلبون الهُدنة معه فاجابهم اليها وصالحهم فامر العساكر المصريّة بالعود الى مصر والاستراحة الى ان يعاود طلبهم وشرط عليهم انّه متى ارسل يستدعيهم لا يتاخّرون فساروا اليها واقاموا بها الى ان استدعاهم للحرب مع سيف الدين على ما ذكرناه ٭ وفيها مات ابو الحسن علىّ ابن عساكر البطايحىّ المقرى وكان قد سمع الحديث الكثير ورواه وكان نحويًا جيّدًا ٭ وفى ذى الحجّة منها توفّى ابو سعد محمّد بن سعيد بن محمّد بن الرزّاز سمع الحديث ورواه وله شعر جيّد فمن ذلك انّه كتب اليه بعض اصدقايه مكاتبة وضمّنها شعرًا فاجابه

يا مَن اياديه يغنى من يعدّدها ... وليس يحصى مداها مَن لها يصف
عجزتُ عن شكر ما اوليتُ من كرم ... وصرتُ عبدًا ولى فى ذلك الشرف
اهديت منظوم شعر كلّه درر ... فكلّ ناظم عقد عنده يقف

اذا اتيت ببيت منه كان لنا قصرًا ودرّ المعانى فوقه شُرُف
وان اتيتُ انا بيتًا يناقصه اتيت لكن ببيت سقفه يكف
ما كنتُ منه ولا من اهله ابدًا وانّما حين ادنو منه اقتطف ❁

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسماية ؞ سنة ٥٧٢

ذكر نهب صلاح الدين بلد الاسماعيليّة

لمّا رحل صلاح الدين من حلب على ما ذكرناه قبلُ قصد بلاد الاسماعيليّة فى المحرّم ليقاتلهم بما فعلوه من الوثوب عليه وارادة قتله فنهب بلدهم وخرّبه واحرقه وحصر قلعة مصياف وهى اعظم حصونهم واحصن قلاعهم فنصب عليها المنجنيقات وضيّق على مَن بها ولم يزل كذلك فارسل سنانٌ مقدّم الاسماعيليّة الى شهاب الدين الحارمىّ صاحب حماة وهو خال صلاح الدين يسئله ان يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم ويقول له ان لم تفعل قتلناك وجميع اهل صلاح الدين وشفع فيهم وسال الصفح عنهم فاجابه الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم وكان عسكره قد ملّوا من طول البيكار وقد امتلأت ايديهم من غنايم عسكر الموصل ونهب بلد الاسماعيليّة فطلبوا العود الى بلادهم للاستراحة فاذن لهم وسار هو الى مصر مع عسكرها لانّه كان قد طال عهده عنها ولم يمكنه المضى اليها فيما تقدّم خوفًا على بلاد الشام فلمّا انهزم سيف الدين وحصر هو حلب وملك بلادها واصطلحوا أَمِن على البلاد فسار الى مصر وامر ببناء سور على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطّم دوره تسعة وعشرون الف ذراع وثلثماية ذراع بالذراع الهاشمىّ ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين ❁

ذكر ظفر المسلمين بالفرنج وللفرنج بالمسلمين

كان شمس الدين محمّد بن عبد الملك ابن المقدّم صاحب بعلبكّ فاتاه خبرٌ انّ جمعًا من الفرنج قد قصدوا البقاع من اعمال بعلبكّ واغاروا عليها فسار اليهم وكمن لهم فى الشعراء والغياض واوقع بهم وقتل فيهم واكثر واسر نحو مايتىْ رجلٍ منهم وسيّرهم الى صلاح الدين وكان شمس الدولة تورانشاه اخو صلاح الدين وهو الذى

ملك اليمن. قد وصل الى دمشق كما ذكرناه وهو فيها فسمع انّ طايفة من الفرنج قد خرجوا من بلادهم الى اعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم [عند عين الجرفى تلك المروج فلم يثبت لهم وانهزم عنهم فظفروا][1] بجمع من اصحابه فاسروهم[2] منهم سيف الدين ابو بكر ابن السلار وهو من اعيان الجند الدمشقيّين واجترأ الفرنج بعدها وانبسطوا فى تلك الولاية وجبروا الكسر الذى ناله منهم ابن المقدّم ✿

ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين وعوده الى طاعته

فى هذه السنة عصى شهاب الدين محمّد ابن بزان صاحب شهرزور على سيف الدين غازى وكان فى طاعته وتحت حُكمه وكان سبب ذلك انّ مجاهد الدين قايماز كان متولّيا مدينة اربل وكان بينه وبين ابن بزان عداوة محكمة فلمّا استناب سيف الدين مجاهد الدين بالموصل خاف ابن بزان ان يناله منه اذًى فاظهر الامتناع من النزول الى الخدمة فارسل اليه جلال الدين وزير سيف الدين كتابًا يامره بمعاودة الطاعة ويحذّره عاقبة المخالفة وهو من احسن الكتب وابلغها فى هذا المعنى ولو لا خوف التطويل لذكرتُه فليطلب من مكاتباته فلمّا وصل اليه الكتاب والرسول بادر الى حضور الخدمة بالموصل وزال الخلف ✿

ذكر فرج بعد شدّة يتعلّق بالتاريخ

بالقرب من جزيرة ابن عمر حصن منيع من امنع المعاقل اسمه فنك وهو على راس جبل عال وهو للاكراد البشنويّة له بايديهم نحو ثلثمايةً سنة وكان صاحبه هذه السنة امير منهم اسمه ابراهيم وله اخ اسمه عيسى قد اخرج منه وهو لا يزال يسعى فى اخذه من اخيه ابراهيم فاطاعه بعض بطانة ابراهيم وفتح باب السرّ ليلاً واصعد منه الى راس القلعة نيّفًا وعشرين رجلاً فقبضوا على ابراهيم ومَن عنده ولم يكن عنده الّا نفر من خواصّه وهذه قُلّة على صخرة كبيرة مرتفعة عن ساير القلعة ارتفاعًا كثيرًا وبها يسكن الامير واهله وخواصّه وباقى الجند فى القلعة تحت القلّة فلمّا قبضوا ابراهيم جعلوه فى خزانة وضربه بعضهم

---

1) C. P. et 740.

2) C. P. et 740. Ups.: اسروهم

بسيف فى يده على عاتقه فلم يصنع شيئاً فلمّا جُعل فى الخزانة وُكّل به رجلين وصعد الباقون الى سطح القلّة ولا يشكّون انّ القلعة لهم لا مانع عنها ووصل من الغد بكرةً الامير عيسى ليتسلّم القلعة وبينهما دجلة وكانت امراة الامير ابراهيم فى خزانة اخرى وفيها شُبّاك حديد ثقيل يشرف الى القلعة فجذبته بيدها فانقلع وجند زوجها فى القلعة لا يقدرون على شئ. فلمّا قلعت الشُبّاك ارادت ان تدلى حبلاً ترفع به الرجال اليها فلم يكون عندها غير ثياب خام فوصّلت بعضها ببعض ودلّتها الى القلعة وشدّدت طرفيها عندها فى عود فاصعدت اليها عشرة رجال ولم يكن يراهم الذين على السطح وراى الامير عيسى وهو على جانب دجلة الرجال يصعدون فصاح هو ومن معه الى اوليك الذين على السطح ليحذروا وكان كلّما صاحوا صاح اهل القلعة لتختلف الاصوات فلا يفهم الذين على السطح فينزلون ويمنعون من ذلك فلمّا اجتمع عندها عشرة رجال ارسلت مع خادم عندها الى زوجها قدح شراب وامرته ان يقرب منه كانّه يسقيه الشراب ويُعرّفه الحال ففعل ذلك وجلس بين يديه ليسقيه وعرّفه الحال فقال ازدادوا من الرجال فاصعدت عشرين رجلاً وخرجوا من عندها فمدّ ابراهيم يده الى الرجلين الموكّلين به فاخذ شعورهما وامر الخادم بقتلهما وكان عنده فقتلهما بسلاحهما فخرج واجتمع باصحابه وارادوا فتح القلعة ليصعد اليه اصحابه من القلعة فلم يجد المفاتيح كانت مع اوليك الرجال الذين على السطح فاضطرّوا الى الصعود الى سطح القلّة. ليأخذوا اصحاب عيسى فعلموا الحال فجآءوا ووقفوا على راس المرقى فلم يقدر احدٌ يصعد فاخذ بعض اصحاب ابراهيم ترساً وجعله على راسه وحصل فى الدرجة وصعد وقاتل القوم على راس المرقى حتّى صعد اصحابه فقتلوا الجماعة وبقى منهم رجل القى نفسه من السطح فنزل الى اسفل الجبل فتقطّع فلمّا راى عيسى ما حلّ باصحابه عاد خايباً من مّا امله واستقرّ الامير ابراهيم فى قلعته على حاله ❊

ذكر نهب البَنْدنيجَيْن

فى هذه السنة وصل الملك الذى بخوزستان عند شملة وهو ابن ملكشاه بن محمود الى البندنيجَيْن فخرّبها ونهبها وفتك فى الناس وسبى

حريمهم وفعل كلّ قبيح ووصل الخبر الى بغداد فخرج الوزير عضد الدين وعرض العسكر ووصل عسكر الحلّة وواسط مع طاشتكين امير الحاجّ وغزاغلى وساروا نحو العدوّ فلمّا سمع بوصولهم فارق مكانه وعاد وكان معه من التركمان جمعٌ كثير فنهبهم عسكر بغداد ورجعوا من غير امرٍ بالعود فانكر عليهم ذلك وأُمِروا بالعود الى مواقفهم فعادوا لاوايل شهر رمضان وقد رجع الملك فنهب من البندنيجيْن ما كان سلم فى الاوّل ووقعت بينهم وبين الملك وقعة ثمّ افترقوا فمضى الملك وفارق ولاية العراق ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاول اقيمت الصلاة فى الجامع الذى بناه فخر الدولة ابن المطّلب بقصر المامون غربىّ بغداد ❊ وفيها امر صلاح الدين ببناء المدرسة التى على قبر الشافعىّ رضى الله عنه بمصر وعمل بالقاهرة بيمارستان ووقف عليهما الوقوف العظيمة الكبيرة ❊ وفيها رايت بالموصل خروفيْن ببطن واحد وراسيْن ورقبتيْن وظهريْن وثمانى قوايم كانّهما خروفان ببطن واحد وجه احدهما الى وجه الاخر وهذا من العجايب ❊ وفيها انقضّ كوكب اضآت له الارض اضآة كثيرةً وسُمع له صوت عظيم وبقى اثره فى السمآء مقدار ساعة وذهب ❊ وفيها توفّى تاج الدين ابو علىّ الحسن بن عبد الله ابن المظفّر بن رئيس الرؤسآء اخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة ❊ وفيها فى المحرّم توفّى القاضى كمال الدين ابو الفضل محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورىّ قاضى دمشق وجميع الشام واليه الوقوف بها والديوان وكان جوادًا فاضلًا رئيسًا ذا عقل ومعرفة فى تدبير الدول رحمه الله ورضى عنه ❊

ثمّ دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسماية ❊

ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار صلاح الدين يوسف ابن ايّوب من مصر الى ساحل الشام لقصد غزاة بلاد الفرنج وجمع معه عساكره وجنوده فلم يزالوا يجدّون السير حتّى وصلوا الى عسقلان فى الرابع والعشرين منه فنهبوا واسروا وقتلوا واحرقوا وتفرّقوا فى تلك

الاعمال مغيرين فلمّا رءاوا انّ الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم مَن يحمى البلاد من المسلمين طمعوا وانبسطوا وساحوا فى الارض آمنين ووصل صلاح الدين الى الرملة عازمًا على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره فوصل الى نهر فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الّا والفرنج قد اشرفت عليهم باطلابها وابطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لانّ اكثرهم تفرّقوا فى طلب الغنيمة فلمّا رءاهم وقف لهم فيمَن معه وتقدّم بين يديه محمّد ابن اخى صلاح الدين فباشر القتال بنفسه بين يدى عمّه فقُتل من اصحابه جماعة وكذلك من الفرنج وكان لتقى الدين ولد اسمه احمد وهو من احسن الشباب اوّل ما تكاملت لحيته فامر ابوه بالحملة عليهم فحمل عليهم وقاتلهم وعاد سالمًا قد اثّر فيهم اثرًا كثيرًا فامره بالعودة اليهم ثانية فحمل عليهم فقُتل شهيدًا ومضى حميدًا رحمه الله ورضى عنه ، وكان اشدّ الناس قتالاً ذلك اليوم الفقيه عيسى رحمه الله وتمّت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتّى كاد يصل اليه فقُتل الفرنجىّ بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزمًا يسير قليلاً ويقف ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البريّة الى ان مضى فى نفر يسير الى مصر ولقوا فى طريقهم مشقّة شديدة وقلّ عليهم القوت والمآء وهلك كثير من دوابّ العسكر جوعًا وعطشًا وسرعة سيره واما العسكر الذى كانوا دخلوا بلاد الفرنج فى الغارة فانّ اكثرهم ذهب ما بين قتيل واسير وكان من جملة من أُسر الفقيه عيسى الهكّارىّ وهو من اعيان الاسديّة وكان جمع العلم والدين والشجاعة وأُسر ايضًا اخوه الظهير وكانا قد سارا منهزمين فضلّا الطريق فأُخذا ومعهما جماعة من اصحابهما وبقوا سنين فى الاسر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستّين الف دينار وجماعة كثيرة من الاسرى ووصل صلاح الدين الى القاهرة نصف جمادى الاخرة ورايتُ كتابًا كتبه صلاح الدين بخطّ يده الى اخيه شمس الدولة تورانشاه وهو بدمشق يذكر الوقعة وفى اوّله

ذكرتُك والخطّى يخطر بيننا وقد نهلت منّا المثقّفة السمر

ويقول فيه لقد اشرفنا على الهلاك غير مرّة وما انجانا الله سبحانه منه الّا لامر يريد سبحانه وما ثبتت الّا وفى نفسها امرٌ ۞

ذكر حصر الفرنج مدينة حماة

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج ايضًا مدينة حماة وسبب ذلك انّه وصل من البحر الى الساحل الشامىّ كُنْدٌ كبير من الفرنج من اكبر طواغيتهم فراى صلاح الدين بمصر قد عاد منهزمًا فاغتنم خلوّ البلاد لانّ شمس الدولة ابن ايّوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان ايضًا كثير الانهماك فى اللذات مايلًا الى الراحات فجمع ذلك الكند الفرنجىّ مَن بالشام من الفرنج وفرّق فيهم الاموال وسار الى مدينة حماة فحصرها وبها صاحبها شهاب الدين محمود الحارمىّ خال صلاح الدين وهو مريض شديد المرض وكان طايفة من العسكر الصلاحىّ بالقرب منها فدخلوا اليها واغاثوا مَن بها وقاتل الفرنج على البلد قتالًا شديدًا وهجموا بعض الايّام على طرف منه وكادوا يملكون البلد قهرًا وقسرًا فاجتمع اهل البلد مع العسكر الى تلك الناحية واشتدّ القتال وعظم الخطب على الفريقَين واستقتل المسلمون وحاموا عن الانفس والاهل والمال فاخرجوا الفرنج من البلد الى ظاهره ودام القتال ظاهر البلد ليلًا ونهارًا وقويت نفوس المسلمين حين اخرجوهم من البلد وطمعوا فيهم واكثروا فيهم القتل فرحل الفرنج حينيذ خايبين وكفى الله المسلمين شرّهم فساروا الى حارم فحصروها وكان مقامهم على حماة اربعة ايّام ولمّا رحل الفرنج عن حماة مات صاحبها شهاب الدين الحارمىّ وكان له ابنٌ من احسن الناس شبابًا مات قبله بثلاثة ايّام ۞

ذكر قتل كمشتكين وحصر الفرنج حارم

فى هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين وكان المتولّى لامر دولته والحاكم فيها وسبب قبضه انّه كان بحلب انسان من اعيان اهلها يقال له ابو صالح ابن العجمىّ وكان مقدّمًا عند نور الدين محمود فلمّا مات نور الدين تقدّم ايضًا فى دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكّن لكثرة اتباعه بحلب

وصار كلّ مَن كان يحسد كمشتكين انضمّ الى صالح وقوّوا جنانه وكثّروا سواده وكان عنده اقدام وجُرأة فصار واحد الدولة بحلب ومَن يصدر الجماعة عن رايه وامره ، فبينما هو فى بعض الايّام فى الجامع وثب به الباطنيّة فقتلوه ومضى شهيدًا وتمكّن بعده سعد الدين وقوى حاله فلمّا قُتل احال الجماعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنيّة عليه حتّى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح ونسبوه الى العجز وانّه ليس له حكم وانّ سعد الدين قد تحكّم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتّى قبض عليه ، وكانت قلعة حارم لسعد الدين قد اقطعه ايّاها الملك الصالح فامتنع مَن بها بعد قبضه وتحصّنوا فيها فسُيّر سعد الدين اليها تحت الاستظهار ليامر اصحابه بتسليمها الى الملك الصالح فامرهم بذلك فامتنعوا فعذّب كمشتكين واصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات فى العذاب واصرّ اصحابه على الامتناع والعصيان فلمّا راى الفرنج ذلك ساروا الى حارم من حماة فى جمادى الاولى على ما نذكره ظنًّا منهم انّهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبىّ قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها مدّة اربعة اشهر ونصبوا عليها المنجنيقات والسلالم فلم يزالوا كذلك الى ان بذل لهم الملك الصالح مالاً وقال لهم انّ صلاح الدين واصلٌ الى الشام وربّما يسلّم القلعة مَن بها اليه فاجابوا حينئذ الى الرحيل عنها. فلمّا رحلوا عنها سيّر اليها الملك الصالح جيشًا فحصروها وقد بلغ الجهد منهم بحصار الفرنج وصاروا كانّهم طلايع وكان قد قُتل من اهلها وجُرح كثير فسلّموا القلعة الى الملك الصالح فاستناب بها. مملوكًا كان لابيه اسمه سرخك ۞

ذكر عدّة حوادث

— فى هذه السنة فى المحرّم خُطب للسلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه المقيم عند ايلدكز بهمدان وكان ابوه ارسلان قد توفّى ، وفيها سابع شوّال هبّت ببغداد ريح عظيمة فتزلزلت الارض واشتدّ الامر على الناس حتّى ظنّوا انّ القيامة قد قامت فبقى ذلك ساعة ثمّ انجلت وقد وقع كثير من الدور ومات فيها جماعة كثيرة ،

وفيها رابع ذى القعدة قُتل عضد الدين ابو الفرج محمّد بن عبد الله بن هبة الله ابن المظفّر ابن رئيس الروساء ابى القسم بن المسلمة وزير للخليفة وكان قد عزم على الحجّ فعبر دجلة ليسير وعبر معه ارباب مناصب وهو فى موكب عظيم وتقدّم الى اصحابه ان لا يمنعوا عنه احدًا فلمّا وصل الى باب قطفِتا لقيه كهل فقال انا مظلوم وتقدّم ليسمع الوزير كلامه فضربه بسكّين فى خاصرته فصاح الوزير قتلنى ووقع من الدابّة وسقطت عمامته فغطّى راسه بكمّه وضرب الباطنىّ بسيف وعاد الى الوزير فضربه واقبل حاجب الباب ابن المعوّج لينصر الوزير فضربه الباطنىّ بسكّين وقيل بل ضربه رفيق كان للباطنىّ ثمّ قُتل الباطنىّ ورفيقه وكان لهما رفيق ثالث فصاح وبيده سكّين فقُتل ولم يعمل شيأ وأُحرقوا ثلاثتهم وحُمل الوزير الى دار له هناك وحُمل حاجب الباب مجروحًا الى بيته فمات هو والوزير وحُمل الوزير فدُفن عند ابيه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور وكان الوزير قد راى فى المنام انّه معانق عثمان بن [عفّان] وحكى عنه ولده انّه اغتسل قبل خروجه وقال هذا غسل الاسلام وانا مقتول بلا شكّ وكان مولده فى جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان ابوه استاذ دار المقتفى لامر الله فلمّا مات ولى هو مكانه فبقى كذلك الى ان مات المقتفى فاقرّه المستنجد على ذلك ورفع قدره فلمّا ولى المستضىّ استوزره وكان حافظًا للقرآن سمع الحديث وله معروف كثير وكانت داره مجمعًا للعلمآء وخُتمت اعماله بالشهادة وهو على قصد الحجّ ، وفيها كانت فتنة ببغداد وسببها انّه حضر قوم من مسلمى المداين الى بغداد فشكوا من يهودها وقالوا لنا مسجد نؤذن فيه ونصلّى وهو مجاور الكنيسة فقال لنا اليهود قد اذيتمونا بكثرة الاذان فقال المؤذن ما نُبالى بذلك فاختصموا وكانت فتنة استظهر فيها اليهود فجآء المسلمون يشكون منهم فامر ابن العطّار وهو صاحب المخزن بحبسهم ثمّ أُخرجوا فقصدوا جامع القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخفّف الخطيب الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون فاتاهم جماعة من الجند ومنعوهم فلمّا راى العامّة ما فُعل بهم غضبوا نصرة للاسلام فاستغاثوا وقالوا اشياء قبيحة وقلعوا طوابيق الجامع ورجموا الجند فهربوا ثمّ قصدوا

العامّة دكاكين المخلطين لانّ اكثرهم يهود فنهبوها واراد حاجب
الباب منعهم فرجموه فهرب منهم وانقلب البلد وخرّبوا الكنيسة التى
عند دار البساسيرى واحرقوا التوراة وامر الخليفة ان تنقض الكنيسة
التى بالمداين وتجعل مسجدًا ونُصب بالرحبة اخشابٌ ليُصلب عليها
قوم من المفسدين فظنّتها العامّة نُصبت تخويفًا لهم لاجل ما فعلوا فعلّقوا
عليها فى الليل جرذاناً ميتة وأُخرج جماعة من الحبس لصوص فصُلبوا
عليها ، وفيها فى شعبان قبض سيف الدين غازى صاحب الموصل على
وزيره جلال الدين علىّ ابن جمال الدين لغير جرم ولا عجز ولا لتقصير
بل لعجز سيف الدين فانّ جلال الدين كان بينه وبين مجاهد الدين
قايماز مشاحنةٌ فقال مجاهد الدين لسيف الدين لا بُدَّ من قبض
الوزير فقبض عليه كارهًا لذلك ثمّ شفع فيه ابن رئيس آمد لصهورة
بينهما فاخرج وسار الى آمد فمرض بها وعاد الى دُنيسر فمات سنة خمس
وسبعين وعمره سبع وعشرون سنة وحُمل الى مدينة النبىّ صلّعم فدُفن
عند والده فى الرباط الذى بناه بها وكان رحمه الله من محاسن الدنيا
جمع كرمًا وعلمًا ودينًا وعفة وحسن سيرة واستحلفه سيف الدين
انّه لا يمضى الى صلاح الدين لانّه خاف ان يمضى اليه للمودّة التى
كانت بين جمال الدين وبين نجم الدين ايّوب واسد الدين شيركوه
فبلغنى انّ صلاح الدين طلبه فلم يقصده لليمين ، وفيها اجتمع الفرنج
طايفة منهم وقصدوا اعمال حمص فنهبوها وغنموا واسروا وسبوا فسار
ناصر الدين محمّد ابن شيركوه صاحب حمص وسبقهم ووقف على
طريقهم وكمن لهم فلمّا وصلوا اليه خرج اليهم هو والكمين ووضعوا
السيف فيهم فقُتل اكثرهم وأُسر جماعة من مقدّميهم ومن سلم منهم
لم يُفلت الّا وهو مُثخن بالجراح واستردّ منهم جميع ما غنموا فردّه على
اصحابه ، وفيها فى ربيع الاخر توفّى صدقة بن الحسين الحدّاد الذى
ذيّل/تاريخ/الراغونىّ ببغداد ، وفيها فى جمادى الاولى توفّى محمّد بن
احمد بن عبد الجبّار الفقيه الحنفىّ المعروف بالمشطّب ببغداد ❁

سنة ٥٧٤

ثم دخلت سنة اربع وسبعين وخمسمائة

ذكر قصد الفرنج مدينة حماة ايضًا

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار جمع كثير من الفرنج بالشام الى مدينة حماة وكثر جمعهم من الفرسان والرجّالة طمعًا فى النهب والغارة فشنّوا الغارة ونهبوا وخرّبوا القرى واحرقوا واسروا وقتلوا فلمّا سمع العسكر المقيم بحماة ساروا اليهم وهم قليل متوكّلين على الله تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسر فيهم واستردّوا ما غنموه من السواد وكان صلاح الدين قد عاد من مصر الى الشام فى شوّال من السنة المتقدّمة وهو نازل بظاهر حمص فحُملت الرؤس والاسرى والاسلاب اليه فامر بقتل الاسرى فقُتلوا ✿

ذكر عصيان ابن المقدّم على صلاح الدين وحصر بعلبكّ واخذ البلد منه

فى هذه السنة عصى شمس الدين محمّد بن عبد الملك المقدّم على صلاح الدين ببعلبكّ وكانت له قد سلّمها اليه صلاح الدين لمّا فتحها جزآء له حيث سلّم اليه ابن المقدّم دمشق على ما سبق ذكره فلم تزل بيده الى الآن فطلب شمس الدولة محمّد ابن ايّوب اخو صلاح الدين منه بعلبكّ والحّ عليه فى طلبها لانّ تربيّته ومنشاه كان بها وكان يحبّها ويختارها على غيرها من البلاد وكان الاكبر فلم يمكن صلاح الدين مخالفته فامر شمس الدين بتسليمها الى اخيه ليعوضه عنها فلم يُجب الى ذلك وذكّره العهود التى له وما اعتمده معه من تسليم البلاد اليه فلم يصْغ اليه والحّ فى اخذها وسار ابن المقدّم اليها واعتصم بها فوجّه اليه صلاح الدين [عسكرًا] وحصره بها مدّة[1] ثم رحل عنها من غير ان ياخذها وترك عليه عسكرًا يحصره فلمّا طال عليه الحصار ارسل الى صلاح الدين يطلب العوض عنها ليسلّمها اليه فعوّضه عنها وسلّمها فاقطعها صلاح الدين اخاه شمس الدولة ✿

ذكر الغلآء والوبآء العامّ

---

[1]) Ups. addit: فلم

فى هذه السنة انقطعت الامطار بالكلّيه فى ساير البلاد الشاميّة والجزيرة والعراقيّة والديار بكريّة والموصل وبلاد الجبل وخلاط وغير ذلك واشتدّ الغلآء وكان عامًّا فى ساير البلاد فبيعت الغرارة الحنطة بدمشق وهى اربعة عشر مكّوكًا بالموصلىّ بعشرين دينارًا صوريّة عُنف وكان الشعير بالموصل كلّ ثلاث مكاكى بدينار اميرىّ وفى ساير البلاد ما يناسب ذلك واستسقى الناس فى اقطار الارض فلم يُسْقوا وتعذّرت الاقوات واكلت الناس الميتة وما ناسبها ودام كذلك الى اخر سنة خمس وسبعين ثم تبعه بعد ذلك وبآء شديدٌ عامٌّ ايضًا كثر فيه الموت وكان مرض الناس شيأً واحدًا وهو السرسام وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى الّا انّ بعض البلاد كان اشدّ من البعض ثم انّ الله تعالى رحم العباد والبلاد والدوابّ وارسل الامطار وارخص الاسعار ؞ ومن عجيب ما رايتُ انّى قصدتُ رجلاً من العلمآء الصالحين بالجزيرة لاسمع عليه شيأً من حديث النبىّ عمّ فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين والناس فى اشدّ ما كانوا غلآء وقنوطًا من الامطار وقد توسّط الربيع ولم تجى قطرة واحدة من المطر فبينا انا جالس ومعى جماعة ننتظر الشيخ واذ قد اقبل انسان تركمانىّ قد اثّر عليه الجوع وكانّه قد أُخرج من قبر فبكى وشكى الجوع فارسلتُ مَن يشترى له خبزًا فتاخّر احضاره لعدمه وهو يبكى ويتمرّغ على الارض ويشكو الجوع فلم يبق فينا الّا مَن بكى رحمةً له وللناس فتغيّمت السمآء وجآت نقطٌ من المطر متفرّقة فضجّ الناس واستغاثوا ثم جآء الخبز فاكل التركمانىّ بعضه واخذ الباقى ومشى واشتدّ المطر ودام المطر من تلك الليلة ٭

ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين

فى هذه السنة فى ذى القعدة اجتمع الفرنج وساروا الى بلد دمشق مع ملكهم فاغاروا على اعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فارسل صلاح الدين فرخشاه ولد اخيه فى جمع من العسكر اليهم وامره انّه اذا قاربهم يرسل اليه يُخبره على جناح طاير ليسير اليه وتقدّم اليه ان يامر اهل البلاد بالانتزاح من بين يدى الفرنج فسار فرخشاه فى عسكره يطلبهم فلم يشعر الّا والفرنج قد خالطوه فاضطرّ الى القتال

فاقتتلوا اشدّ قتال رءاه الناس والقى فرخشاه نفسه عليهم وغشى الحربْ ولم يكلها الى سواه فانهزم الفرنج ونُصر المسلمون عليهم وقتل من مقدّميهم جماعة ومنهم هنفرى وما ادراك ما هنفرى كان يُضرب به المثل فى الشجاعة والرأى فى الحرب وكان بلآء صبّه الله على المسلمين فاراح الله من شرّه وقتل غيره من اضرابه ولم يبلغ عسكر فرخشاه الف فارس ء وفيها ايضًا اغار البرنس صاحب انطاكيّة ولاذقيّة على جشير المسلمين بشيزر واخذه واغار صاحب طرابلس على جمع كثير من التركمان فاجتاح اموالهم وكان صلاح الدين على بانياس على ما نذكره ان شآء الله فسيّر ولد اخيه تقى الدين عُمر الى حماة وابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه الى حمص وامرهما بحفظ البلاد وحياطة اطرافها من العدوّ دمرهم الله تعالى ✿

ذكر عدّة حوادث

ليلة النصف من ربيع الاخر انكسف القمر نحو ثلث الليل الاخير وغاب مكسفًا ء وفيها ايضًا فى التاسع والعشرين انكسفت الشمس وقت العصر فغربت منكسفة ء وفى هذه السنة فى شعبان توفّى الحيص بيص الشاعر واسمه سعد بن محمّد بن سعد ابو الفوارس وكان قد سمع الحديث ومدح الخلفآء والسلاطين والاكابر وشعره مشهوَر فمنه قوله

كلّما اوسعت حلمى جاهلًا ... اوسع الفحش له فحش المقال
واذا شاردة فُهْتُ بها ... سبقتْ مرّ النعامى والشمال
لا تلُمْنى[1] فى شقآءى بالعُلَى ... رغد العيش لربات الحجال
سيف عِزّ زانه رونقه ... فهْو بالطبع غنىّ عن صقال ء

وفى المحرّم ماتت شهدة بنت احمد بن عمر بن الأبرىّ[2] وسمعت الحديث من السرّاج وطرّاد وغيرهما وعمّرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كثير الحديث لعلوّ اسنادها ✿

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة ء

سنة ٥٧٥

ذكر تخريب الحصن الذى بناه الفرنج عند مخاضة الاحزان

---

[1]) C. P. يلمنى [2]) الابرى

كان الفرنج قد بنوا حصْنًا منيعًا يقارب بانياس عند بيت يعقوب عمّ بمكان يعرف بمخاضة الاحزان فلمّا سمع صلاح الدين بذلك سار من دمشق الى بانياس واقام بها وبثّ الغارات على بلاد الفرنج ثمّ سار الى الحصن وحصره ليخبره ثمّ يعود اليه عند اجتماع العساكر فلمّا نازل الحصن قاتل مَن به من الفرنج ثمّ عاد عنه فلمّا دخلت سنة خمس وسبعين لم يفارق بانياس بل اقام بها وخيله تغير على بلاد العدوّ وارسل جماعة من عسكره مع جالبى الميرة فلم تشعر الّا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فارسلوا الى صلاح الدين يُعرّفونه الخبر [فسار][1] في العساكر مجدًّا [حتّى][2] واقام وهم في القتال فقاتل الفرنج قتالاً شديدًا وحملوا على المسلمين عدّة حملات كادوا يزيلونهم عن مواقفهم ثمّ انزل الله نصره على المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدًا وأُسر منهم كبير منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو اعظم الفرنج محلًّا بعد الملك واسروا ايضًا اخا صاحب جبيل وصاحب طبريّة ومقدّم الداويّة ومقدّم الاسباتاريّة وصاحب جينين وغيرهم من مشاهير فرسانهم وطواغيتهم فامّا ابن بيرزان فانّه فدا نفسه بمائة الف وخمسين الف دينار صوريّة واطلاق الف اسير من المسلمين وكان اكثر العمل في هذه اليوم لعزّ الدين فرخشاه ابن اخى صلاح الدين وحكى عنه قال ذكرتُ في تلك الحال بيتى المتنبىّ وهما

فان تكن الدولات قسمًا فانّها ... لمن يرد الموت الزؤام تؤُول

ومن هوّن الدنيا على النفس ساعة ... وللبيض في هام الكماة صليل

فهان الموت في عينى فالقيتُ نفسى اليه وكان ذلك سبب الظفر ثمّ عاد صلاح الدين الى بانياس من موضع المعركة وتجهّز للدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فسار اليه في ربيع الاوّل واحاط به وقوى طمعه بالهزيمة المذكورة في فتحه وبثّ العساكر في بلد الفرنج للاغارة ففعلوا ذلك وجمعوا من الاخشاب والزرجون شيئًا كثيرًا ليجعله متارس للمنجنيقات فقال له جاولى الاسدىّ وهو مقدّم الاسديّة و[من] اكابر الامرآء الراى انّنا

---

2) C. P. 1) C. P. Ups.: فواقفهم

نجرّبهم بالزحف اوّل مرّة ونذوق قتال مَن به وننظر الحال معهم فان استضعفناهم والّا فنصب المنجنيقات ما يفوت فقبل رايه وامر فنودى بالزحف اليه والجدّ فى قتاله فزحفوا واشتدّ القتال وعظم الامر فصعد انسان من العامّة بقميص خلق فى باشورة الحصن وقاتل على السور لمّا علاه وتبعه غيره من اضرابه ولحق بهم الجند فلكوا الباشورة فصعد الفرنج حينئذ منها الى اسوار الحصن ليحموا نفوسهم وحصنهم الى ان ياتيهم المدد وكان الفرنج قد جمعوا بطبريّة فالحّ المسلمون فى قتال الحصن خوفًا من وصول الفرنج اليهم وازاحتهم عنه وادركهم الليل فامر صلاح الدين بالمبيت بالباشورة الى الغد ففعلوا فلمّا كان الغد اصبحوا نقبوا الحصن وعمّقوا النقب واشعلوا النيران فيه وانتظروا سقوط السور فلم يسقط لعرضه فانّه كان تسعة اذرع بالنجّارى يكون الذراع ذراعًا ونصفًا فانتظروه يومَيْن فلم يسقط فامر صلاح الدين باطفآء النار التى فى النقب فحُمل المآء والقى عليها فطفيت وعاد النقّابون فنقبوا وخرقوا السور والقوا فيه النار فسقط يوم الخميس لستّ بقين من ربيع الاوّل ودخل المسلمون الحصن عنوةً واسروا كلّ مَن فيه واطلقوا مَن كان به من اسارى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرًا من اسرى الفرنج وادخل الباقين الى دمشق فسجنوا واقام صلاح الدين بمكانه حتّى هدم الحصن وعفّى اثره والحقه بالارض وكان قد بذل الفرنج ستّين الف دينار مصريّة ليهدموه بغير قتال فلم يفعلوا ظنًّا منهم انّه اذا فرغوا بناه تمكّنوا به من كثير من بلاد الاسلام وامّا الفرنج فاجتمعوا بطبريّة ليحموا الحصن فلمّا اتاهم الخبر باخذه فتّ فى اعضادهم فتفرّقوا الى بلادهم واكثر الشعرآء فيه فمن ذلك قول صديقنا النَّشو ابن نفادة[1] رحمه الله

هلاك الفرنج اتى عاجلًا وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها لما عمّرت بيت احزانها

وقول على بن محمّد الساعاتى الدمشقى

اتسكن اوطان النبيّين عصبة تمين لدى ايمانها[2] وهى تحلف

---

[1]) C. P. Ups.: نفادة [2]) C. P. Ups.: يمين ارى ايمانها

نصحتُكمُ والنصح للدين واجب   ذروا بيت يعقوب فقد جآء يوسف ❁

ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين وعسكر قلج ارسلان

فى هذه السنة كان الحرب بين عسكر صلاح الدين يوسف ابن ايّوب ومقدّمهم ابن اخيه تقى الدين عُمر بن شاهنشاه بن ايّوب وبين عسكر الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب بلاد قونيّة واقصرا وسببها انّ نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر رحمه الله كان قد اخذ قديمًا من قلج ارسلان حصن رعبان وكان بيد شمس الدين ابن المقدّم الى الآن فطمع فيه قلج ارسلان بسبب انّ الملك الصالح بحلب بينه وبين صلاح الدين فارسل اليه مَن يحصره فاجتمع عليه جمع كثير يقال كانوا عشرين الفًا فارسل اليهم صلاح الدين تقى الدين فى الف فارس فواقعهم وقاتلهم وهزمهم واصلح حال تلك الولاية وعاد الى صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاحزان فكان يفتخر ويقول هزمتُ بالف مقاتل عشرين الفًا ❁

ذكر وفاة المستضئ بامر الله وخلافة الناصر لدين الله

فى هذه السنة فى ثانى ذى القعدة توفّى الامام المستضئ بامر الله امير المومنين ابو محمّد الحسن بن يوسف المستنجد رضى الله عنه وأُمّه امّ ولد ارمنيّة تدعى غضّة وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة اشهر وكان مولده سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة وكان عادلًا حسن السيرة فى الرعيّة كثير البذل للاموال غير مبالغ فى اخذ ما جرت العادة باخذه وكان الناس معه فى امن عامّ واحسان شامل وطمانينة وسكون لم يروا مثله وكان حليمًا قليل المعاقبة على الذنوب محبًّا للعفو والصفح عن المذنبين فعاش حميدًا ومات سعيدًا رضى الله عنه فلقد كانت ايّامه كما قيل

كانّ ايّامه من حُسن سيرته   مواسم الحجّ والاعياد والجمعُ

ووزرآؤه عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الروسآء الى ان قُتل فى ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ولمّا قُتل حكم فى الدولة ظهير الدين ابو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطّار وكان خيّرًا حسن السيرة كثير العطآء وتمكّن تمكّنًا كثيرًا فلمّا مات المستضئ قام ظهير

الدين ابن العطّار في اخذ البيعة لولده الناصر لدين الله امير المومنين
فلمّا تمّت البيعة صار الحاكم في الدولة استاذ الدار مجد الدين ابا
الفضل ابن الصاحب وفي سابع ذي القعدة قبض على ابن العطّار ظهير
الدين ووكّل عليه في داره ثمّ نُقل الى التاج وقُيّد ووكّل به وطُلبت
ودايعه وامواله وفي ليلة الاربعاء ثامن عشر ذي القعدة أُخرج ميّتًا على
راس حمّال سرًّا فغمز به بعض الناس فثار به العامّة فالقوه عن راس
الحمّال وكشفوا سوءته وشدّوا في ذكره حبلاً وسحبوه في البلد وكانوا
يضعوا بيده مغرفة يعني انّها قلم وقد غمسوها في العذرة ويقول وقّع
لنا يا مولانا الى غير هذا من الافعال الشنيعة ثمّ خُلّص من ايديهم
ودُفن هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفّه عن اموالهم
واعراضهم ، وسُيّرت الرسل الى الافاق لاخذ البيعة فسيّر صدر الدين
شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان واصفهان والريّ وغيرها فامتنع
من البيعة فراجعه صدر الدين واغلظ له في القول حتّى انّه قال لعسكره
في حضرته/لهذا عليكم طاعة ما لم يبايع امير المومنين بل يجب عليكم
ان تخلعوه من الامارة وتقاتلوه فاضطرّ الى البيعة والخطبة وارسل الى
رضي الدين القزوينيّ مدرّس النظاميّة الى الموصل لاخذ البيعة فبايع
صاحبها وخطب للخليفة الناصر لدين الله في السنة ✿

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة هبّت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزريّة والعراق
وغيرها وعمّت اكثر البلاد من الظهر الى ان مضى من الليل رُبعه
وبقيت الدنيا مظلمة لا يكاد الانسان يبصر صاحبه وكنتُ حينئذ
بالموصل فصلّينا العصر والمغرب والعشاء الاخرة على الظنّ والتخمين واقبل
الناس على التضرّع والتوبة والاستغفار وظنّوا انّ القيامة قد قامت فلمّا
مضى مقدار ثُلث الليل زال ذلك الظلام والعتمة التي غطت السماء
فنظرنا فراينا النجوم فعلمنا مقدار ما مضى من الليل لانّ الظلام لم
يزدَدْ بدخول الليل وكان كلّ من يصل من جهة من الجهات يخبر بمثل
ذلك ، وفيها في ذي القعدة نزل شمس الدولة اخو صلاح الدين عن
بعلبكّ وطلب عوضًا عنها الاسكندريّة فاجابه صلاح الدين الى ذلك

واقطع بعلبك لعزّ الدين فرخشاه ابن اخيه فسار اليها وحكم اعمالها واغار على بلاد الفرنج حتّى وصل الى قلعة صفد وهى مطلّة على طبرية فسبى واسر وغنم وخرّب وفعل فى الفرنج افاعيل عظيمة ، واما شمس الدولة فانّه سار الى مصر واقام بالاسكندرية واذا اراد الله ان يقبض رجلاً بارض جعل له اليها حاجة فانّه اقام بها الى ان مات بها ، وفيها فرغ الجامع الذى بناه مجاهد الدين قايماز بظاهر الموصل من جهة باب الجسر الفراغ واقيمت فيه الصلوات الخمس والجمعة وهو من احسن الجوامع ، وفيها توفى احمد بن عبد الرحمن الصوفى شيخ رباط الزوزنى وسمع الحديث وكان يصوم الدهر ، وعبد الحقّ بن عبد الخالق ابن يوسف سمع الحديث ورواه وهو من بيت الحديث ، والقاضى عمر بن علىّ بن الخضر ابو الحسن الدمشقى سمع الحديث ورواه وولى قضاء الحريم ، وعلىّ بن احمد اليزدى سمع الحديث الكثير وله وقف كتب كثيرة ببغداد وكان زاهدًا خيّرًا صالحًا. ومحمّد بن علىّ بن حمزة بن علىّ الاقساسى نقيب العلويّين بالكوفة وكان ينشد كثيرًا

رُبَّ قوم فى خلايقهم ... غُرَرٌ قد صُيِّروا غُرَرَا
ستر المال القبيح لهم ... سَتَرَى انْ زال ما سَتَرَا ،

ومحمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الانبارىّ كاتب الانشاء بعد ابيه ، وابو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الدامغانى الفقيه كان مناظرًا حسن المناظرة كثير العبادة ودُفن عند قبر ابى حنيفة ،

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسماية ،

سنة ٥٧٦

ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل وولاية اخيه عزّ الدين بعده

فى هذه السنة ثالث صفر توفّى سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وديار الجزيرة وكان مرضه السلّ وطال به ثم ادركه فى آخره سرسام ومات ومن عجيب ما يُحكى انّ الناس خرجوا سنة خمس وسبعين يستسقون لانقطاع الغيث وشدّة الغلاء وخرج سيف الدين فى موكبه فثار به الناس وقصدوه بالاستغاثة وطلبوا منه ان يامر بالمنع من بيع الخمر فاجابهم الى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا

مساكن الخمّارين وخرّبوا ابوابها ودخلوها ونهبوها واراقوا ما بها من خمور وكسروا الظروف وعملوا ما لا يحلّ فاستغاث اصحاب الدور الى نوّاب السلطان وخصّوا بالشكوى رجلًا من الصالحين يقال له ابو الفرج الدقّاق ولم يكن فى الذى فعله العامّة من النهب وما لا يجوز فعله انّما هو اراق الخمور ونهى العامّة عن الذى يفعلونه فلم يسمعوا منه فلمّا شكا الخمّارون منه احضر بالقلعة وضرب على راسه فسقطت عمامته فلمّا اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الراس فارادوا تغطيته بعمامته فلم يفعل وقال والله لا غطّيتُ راسى حتّى ينتقم الله لى ممّن ظلمنى فلم يمض غير ايّام حتّى توفّى الزردار الذى تولّى اذاه ثمّ بعقبه مرض سيف الدين واستمرّ الى ان مات وعمره حينئذ نحو ثلاثين سنة ، وكانت ولايته عشرة سنين وثلاثة اشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تامّ القامة ابيض اللون وكان عاقلًا وقورًا قليل الالتفات اذا ركب واذا جلس عفيفًا لم يذكر عنه ما يُنافى العفة وكان غيورًا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار فاذا كبر احدهم منعه وكان لا يحبّ سفك الدمآء ولا اخذ الاموال على شحّ فيه وجُبن ولمّا اشتدّ مرضه اراد ان يعهد بالملك لابنه معزّ الدين سنجر شاه وكان عمره حينئذ اثنى عشر سنة فخاف على الدولة من ذلك لانّ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب كان قد تمكّن بالشام وقوى امره وامتنع اخوه عزّ الدين مسعود بن مودود من الاذعان لذلك والاجابة اليه فاشار الامرآء الاكابر ومجاهد الدين قايماز بان يجعل الملك بعده فى عزّ الدين اخيه لما هو عليه من كبر السنّ والشجاعة والعقل وقوّة النفس وان يعطى ابنيه بعض البلاد ويكون مرجعهما الى عزّ الدين عمّهما والمتولّى لامرهما مجاهد الدين قايماز ففعل ذلك وجعل المُلك فى اخيه واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه وقلعة عقر[1] الحميديّة لولده الصغير ناصر الدين كسك[2]، فلمّا توفّى سيف الدين ملك بعده الموصل والبلاد اخوه عزّ الدين وكان المدبّر للدولة مجاهد الدين وهو الحاكم فى الجميع واستمرّت الامور ولم يختلف اثنان ❁

[1]) عقد [2]) C. P. كسك

ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلج ارسلان

فى هذه السنة سار صلاح الدين يوسف ابن ايّوب من الشام الى بلاد قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهى ملطيّة وسيواس وما بينهما وقونيّة ليحاربه وسبب ذلك انّ نور الدين محمّد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر كان قد تزوّج ابنة قلج ارسلان المذكور وبقيت عنده مدّة ثم انّه احبّ مغنّية فتزوّجها ومال اليها وحكمت فى بلاده وخزاينه واعرض عن ابنة قلج ارسلان وتركها نسيًا منسيًا فبلغ اباها الخبر فعزم على قصد نور الدين واخذ بلاده فارسل نور الدين الى صلاح الدين يستجير به ويسأله كفّ يد قلج ارسلان عنه فارسل صلاح الدين الى قلج ارسلان فى المعنى فاعاد الجواب انّى كنتُ قد سلّمتُ الى نور الدين عدّة حصون تجاور بلاده لمّا تزوّج ابنتى فحيث آل الامر معه الى ما يعلمه فانا اريد ان يُعيد الىّ ما اخذه منّى وتردّدت الرسل بينهما فلم يستقرّ حالٌ فيهما فهادن صلاح الدين الفرنج وسار فى عساكره وكان الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين محمود بها فتركها ذات اليسار وسار على تلّ باشر الى رعبان فاتاه بها نور الدين محمّد واقام عنده فلمّا سمع قلج ارسلان بقربه منه ارسل اليه اكبر امير عنده ويقول له انّ هذا الرجل فعل مع ابنتى كذا ولا بُدّ من قصد بلاده وتعريفه محلّ نفسه فلمّا وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادّى الرسالة امتعض صلاح الدين لذلك واغتاظ وقال للرسول قُلْ لصاحبك والله الذى لا اله الّا هو لئن لم يرجع لأسيرنّ الى ملطيّة وبينى وبينها يومان ولا انزل عن فرسى الّا فى البلد ثم اقصد جميع بلاده واخذها منه ، فراى الرسول امرًا شديدًا فقام من عنده وكان قد راى العسكر وما هو عليه من القوّة والتجمّل وكثرة السلاح والدوابّ وغير ذلك ليس عنده ما يقاربه فعلم انّه إن قصدهم اخذ بلادهم فارسل اليه من الغد يطلب ان يجتمع به فاحضره فقال له اريد ان اقول شيأً من عندى ليس رسالة عن صاحبى واحبّ ان تنصفنى فقال له قُلْ قال يا مولانا ما هو قبيح بمثلك وانت من اعظم السلاطين واكبرهم شانًا ان تسمع الناس عنك

انّك صالحتَ الفرنج وتركتَ الغزو ومصالح المملكة واعرضتَ عن كلّ ما فيه صلاح لك ولرعيّتك وللمسلمين عامّة وجمعتَ العساكر من اطراف البلاد البعيدة والقريبة وسرتَ وخسرتَ انت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل قحبة مغنّية ما يكون عذرك عند الله تعالى ثمّ عند الخليفة وملوك الاسلام وكافّة العالم واحسب انّ احدًا ما يواجهك بهذا اما يعلمون انّ الامر هكذا ثمّ احسب انّ قلج ارسلان مات وهذه ابنته قد ارسلتْنى اليك تستجيرك وتسألك ان تنصفها من زوجها فان فعلت فهو الظنّ بك ان تردّها ، فقال والله الحقّ بيدك وانّ الامر كما تقول ولكن هذا الرجل دخل علىّ واستجار بى ويقبح بى تركه لكنّك انت اجتمع به واصلح الحال بينكم على ما تحبّون وانا اعينكم عليه واقبّح فعله ووعد من نفسه بكلّ جميل فاجتمع الرسول بصاحب الحصن وتردّد القول بينهم فاستقرّ انّ صاحب الحصن يخرج المغنّية عنه بعد سنة وان كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته ويكون هو وقلج ارسلان عليه واصطلحوا على ذلك وعاد صلاح الدين عنه الى الشام وعاد نور الدين الى بلاده فلمّا انقضت المدّة اخرج نور الدين المغنّية عنه فتوجّهت الى بغداد واقامت بها الى ان ماتت ۞

ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن لبون الارمنىّ

وفيها قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمنىّ بعد فراغه من امر قلج ارسلان وسبب ذلك انّ ابن لبون الارمنىّ كان قد استمال قوماً من التركمان وبذل لهم الاموال فامرهم ان يرعوا مواشيهم فى بلاده وهى بلاد حصينة كلّها حصون منيعة والدخول اليها صعب لانّها مضايق وجبال وعرة ثمّ غدر بهم وسبا حريمهم واخذ اموالهم واسر رجالهم بعد ان قتل منهم مَن حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الاسود وبثّ الغارات على بلاده فخاف ابن ليون على حصن له على راس جبل ان يوخذ فخرّبه واحرقه فسمع صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخاير واقوات فغنمها وانتفع المسلمون ما غنموه فارسل ابن ليون يبذل اطلاق مَن عنده من الاسرى والسبى واعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فاجابه صلاح الدين الى ذلك

واستقرّ الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى الاخرة ✿

ذكر ملك يوسف ابن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن الى افريقية وملك قفصة وكان سبب ذلك انّ صاحبها علىّ بن المعزّ بن المعتزّ لمّا راى دخول الترك الى افريقية واستيلآئهم على بعضها وانقياد العرب اليهم طمع ايضًا في الاستبداد والانفراد عن يوسف كان في طاعته فاظهر ما في نفسه وخالفه واظهر العصيان ووافقه اهل قفصة فقتلوا كلّ من كان عندهم من الموحّدين اصحاب ابي يعقوب وكان ذلك في شوّال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فارسل والى بجاية الى يوسف ابن عبد المؤمن يخبره باضطراب امور البلاد واجتماع كثير من العرب الى قراقوش التركىّ الذى دخل الى افريقية وقد تقدّم ذكر ذلك وما جرى في قفصة من قتل الموحّدين ومساعدة اهل قفصة صاحبهم على ذلك فشرع في سدّ الثغور التى يخافها بعد مسيره فلمّا فرغ من جميع ذلك تجهّز العسكر وسار الى افريقية سنة خمس وسبعين ونزل على مدينة قفصة وحصرها ثلاثة اشهر وهي بلد حصينة واهلها انجادٌ وقطع شجرها فلمّا اشتدّ الامر على صاحبها واهلها خرج منها مستخفيًا لم يعرف به احدٌ من اهل قفصة ولا من عسكره وسار الى خيمة يوسف وعرّف حاجبه انّه قد حضر الى امير المومنين يوسف فدخل الحاجب واعلم يوسف بوصول صاحب قفصة الى باب خيمته فعجب منه كيف اقدم على الحضور عنده بغير عهد وامر بادخاله عليه فدخل وقبّل يده وقال قد حضرتُ اطلب عفو امير المومنين عنّى وعن اهل بلدى وان يفعل ما هو اهله واعتذر فرقّ له يوسف فعفى عنه وعن اهل البلد وتسلّم المدينة اوّل سنة ستّ وسبعين وسيّر علىّ بن المعزّ صاحبها الى بلاد المغرب فكان فيها مكرّمًا عزيزًا واقطعه ولاية كبيرة ورتّب يوسف لقفصة طايفة من اصحابه الموحّدين وحضر مسعود بن زمام امير العرب عند يوسف ايضًا فعفى عنه وسيّره الى مرّاكش وسار يوسف الى المهديّة فاتاه بها رسول ملك الفرنج صاحب صقليّة يلتمس منه الصلح فهادنه

عشر سنين وكانت بلاد افريقية مجذبة فتعذر على العسكر القوت وعلف الدوابّ فسار الى المغرب مسرعًا والله اعلم ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى شمس الدولة تورانشاه ابن ايّوب اخو صلاح الدين الاكبر بالاسكندريّة وكان قد اخذها من اخيه اقطاعًا فاقام بها فتوفّى وكان له اكثر بلاد اليمن ونوّابه هنالك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل وكان اجود الناس واسخاهم كفًّا يُخرج كلّ ما يحمل اليه من اموال اليمن ودخل الاسكندريّة وحكمه فى بلاد اخيه صلاح الدين وامواله نافذٌ ومع هذا فلمّا مات كان عليه نحو مايتىْ الف دينار مصريّة دين فوفاها اخوه صلاح الدين عنه لمّا دخل الى مصر فانّه لمّا بلغه خبر وفاته سار الى مصر فى شعبان من السنة واستخلف بالشام عزّ الدين فرخشاه ابن اخيه شاهنشاه وكان عاقلًا حازمًا شجاعًا ٭ وفيها توفّى ابو طاهر احمد بن محمّد بن سلفة الاصفهانىّ بالاسكندريّة وكان حافظ الحديث وعالمًا به سافر فى طلب الكثير ٭ وتوفّى ايضًا فى المحرّم علىّ بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوىّ ببغداد وسمع الحديث وكان من اصحاب ابن الجواليقىّ ❁

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسماية ٭

سنة ٥٧٧

ذكر غزاة الى بلد الكرك من الشام

فى هذه السنة سار فرخشاه نايب صلاح الدين بدمشق الى اعمال كرك ونهبها وسبب ذلك انّ البرنس ارناط صاحب الكرك كان من شياطين الفرنج ومردتهم واشدّهم عداوةً للمسلمين فتجهّز وجمع عسكره ومن امكنه الجمع وعزم على المسير فى البرّ الى تَيْمآء ومنها الى مدينة النبىّ صلّعم للاستيلآء على تلك النواحى الشريفة فسمع عزّ الدين فرخشاه ذلك فجمع العساكر الدمشقيّة وسار الى بلده ونهبه وخرّبه وعاد الى طرف بلادهم واقام بها ليمنع البرنس من المسلمين فامتنع من مقصده فلمّا طال مقام كلّ واحد منهما فى مقابلة الاخر علم البرنس انّ المسلمين لا يعودون حتّى تفرّق جمعه وانقطع طمعه من الحركة فعاد فرخشاه الى دمشق وكفى الله المومنين شرّ الكفار ❁

ذكر تلبيس ينبغى ان يحتاط من مثله

كان سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكنانىّ ينوب عن شمس الدولة اخى صلاح الدين باليمن ويحكم فى الاموال والبلاد بعد ان فارقها شمس الدولة كما ذكرنا وكان هواه بالشام لانّه وطنه فارسل الى شمس الدولة يطلب الاذن له فى المجىء اليه فاذن له فى المجىء فاستناب بزبيد اخاه حطان بن كامل بن منقذ الكنانىّ وعاد الى شمس الدولة وكان معه بمصر ومات شمس الدولة وبقى مع صلاح الدين فقيل عنه انّه اخذ اموال اليمن وادّخرها وسعى به اعداؤه فلم يعارضه صلاح الدين فلمّا كان هذه السنة وصلاح الدين بمصر اصطنع سيف الدولة طعامًا وعمل دعوة كبيرة ودعى اليها اعيان الدولة الصلاحيّة بقرية تسمّى العدوية وارسل اصحابه يتجهّزون من البلد ويشترون ما يحتاجون اليه من الاطعمة وغيرها فقيل لصلاح الدين انّ ابن منقذ يريد الهرب واصحابه يتزوّدون له ومتى دخل اليمن اخرجه عن طاعتك فارسل صلاح الدين فاخذه والناس عنده وحبسه فلمّا سمع صلاح الدين جليّة الحال علم انّ الحيلة تمّت لاعدائه فى قبضه فخفّف ما كان عنده وسهل امره وصانعه على ثمانين الف دينار مصريّة سوى ما اخذها من الحمل لاخوة صلاح الدين واصحابه واطلقه واعاده الى منزلته وكان اديبًا شاعرًا ۞

ذكر ارسال صلاح الدين العساكر الى اليمن

فى هذه السنة سيّر صلاح الدين جماعة من امرائه منهم صارم الدين قتلغ ابه والى مصر الى اليمن للاختلاف الواقع بها بين نوّاب اخيه شمس الدولة وهم عزّ الدين عثمان بن الزنجبيلىّ[1] والى عدن وحطان ابن منقذ [والى][2] زبيد وغيرهما فانّه لمّا بلغهم وفاة صاحبهم اختلفوا وجرت بين عزّ الدين عثمان وبين حطان حرب وكلّ واحد منهما يروم ان يغلب الاخر على ما بيده واشتدّ الامر فخاف صلاح الدين ان يطمع اهل البلاد فارسل هؤلاء الامراء اليها واستولى قتلغ ابه على زبيد وازال حطان عنها ثمّ مات قتلغ ابه فعاد حطان الى امارة زبيد واطاعه الناس لجوده وشجاعته ۞

---

2) C. P. et 740. 1) C. P.: الزنجيلى 740: الرحيلى

[ذكر وفاة الملك الصالح وملك ابن عمه عزّ الدين مسعود مدينة حلب [1]

في هذه السنة في رجب توفّي الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة ولمّا اشتدّ مرضه وصف له الاطبّا شرب الخمر للتداوى فقال لا افعل حتّى استفتى الفقهآء فاستفتى فافتاه فقيه من مدرّسى الحنفية بجواز ذلك فقال له ارايتَ ان قدّر الله تعالى يُقرب الاجل ابوخره شرب الخمر فقال [له][2] الفقيه لا فقال والله لا لقيتُ الله سبحانه وقد استعملتُ ما حرمه علىّ ولم يشربه فلمّا ايس من نفسه احضر الامرآء وساير الاجناد ووصاهم بتسليم البلد الى ابن عمّه عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى واستحلفهم على ذلك فقال له بعضهم انّ عماد ابن عمّك ايضًا وهو زوج اختك وكان والدك يحبّه ويوثره وهو تولّى تربيّته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد لكان اصلح وعزّ الدين له [من البلاد][3] من الفرات الى همذان ولا حاجة به الى بلدك، فقال له انّ هذا لم يغب عنّى ولكن قد علمتم انّ صلاح الدين قد تغلّب على عامّة بلاد الشام سوى ما بيدى ومتى سلّمتُ حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها واب[4] ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام وان[4] سلّمتُها الى عزّ الدين امكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا قوله وعجبوا من جودة فطنته[5] مع شدّة مرضه وصغر سنّه، ثمّ مات وكان حليمًا [6] كريمًا عفيف اليد والفرج واللسان ملازمًا للدين لا يعرف له شئٌ ممّا يتعاطاه الملوك والشباب من شرب خمر او غيره حسن السيرة في رعيّته عادلًا فيهم ولمّا قضا نحبه ارسل الامرآء الى اتابك عزّ الدين يستدعونه الى حلب فسار هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات وارسل احضر الامرآء عنده من حلب فحضروا وساروا جميعًا الى حلب ودخلها في العشرين من شعبان وكان صلاح الدين حينئذ بمصر ولولا ذلك لزاحمهم عليها وقاتلهم فلمّا احتاز في طريقه اليها من الفرات كان تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها هاربًا[7] الى

1) Hoc caput, quod in Ups. deest, e C. P. et 740 additum est.
2) 740. 3) 740. 4) 740: ومتى 5) 740: رايه 6) 740: جوادا
7) 740: معارقا

حماة وثار اهل حماة ونادوا بشعار عزّ الدين فاشار عسكر حلب على عزّ الدين بقصد دمشق واطمعوه فيها وفى غيرها من بلاد الشام واعلموه محبّة اهلها له ولاهل بيته فلم يفعل وقال بيننا يمين فلا نغدر به واقام بحلب عدّة شهور ثمّ سار عنها الى الرقّة] ✿

ذكر تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضًا عنها

لمّا دخل عزّ الدين الى الرقّة جآءته رسل اخيه عماد الدين صاحب سنجار بحلب ان يسلّم اليه حلب وياخذ عوضًا عنها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولجّ عماد الدين فى ذلك وقال ان سلّمتم الىّ حلب والّا سلّمتُ انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حينئذٍ جماعة من الامرآء بتسليمها اليه وكان اشدّهم فى ذلك مجاهد الدين قايماز فلم يمكن عزّ الدين مخالفته لتمكّنه فى الدولة وكثرة عساكره وبلاده وانّما حمل مجاهد الدين على ذلك خوفه من عزّ الدين لانّه عظم فى نفسه وكثر معه العسكر وكان الامرآء الحلبيّون لا يلتفتون الى مجاهد الدين ويسلكون معه من الادب ما يفعله عسكر الموصل فاستقرّ الامر على تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضًا عنها فسار عماد الدين فتسلّمها وسلّم سنجار الى اخيه وعاد الى الموصل ، وكان صلاح الدين بمصر قد بلغه خبر مُلك عزّ الدين حلب فعظم الامر عليه وخاف ان يسير منها الى دمشق وغيرها ويملك الجميع وايس من حلب فلمّا بلغه مُلك عماد الدين لها برز من مصر من يومه وسار الى الشام وكان من الوهن على دولة عزّ الدين ما نذكره ان شآء الله ✿

ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة ومصير صاحبها مع صلاح الدين

كانت قلعة البيرة وهى مطلّة على الفرات من ارض الجزيرة لشهاب الدين الارتقىّ وهو ابن عمّ قطب الدين ايلغازى ابن البى ابن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان فى طاعة نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام فمات شهاب الدين وملك القلعة بعده ولده[1] وصار فى طاعة عزّ الدين مسعود صاحب الموصل فلمّا كان هذه السنة

1) Post ولده Cod. 740 et Ups. addunt اسمه cum spatio vacuo.

ارسل صاحب ماردين الى عزّ الدين يطلب منه ان يأذن له فى حصر البيرة واخذها فاذن له فى ذلك فسار فى عسكره الى قلعة سميساط وهى له ونزل بها وسيّر العسكر الى البيرة فحصرها فلم يظفر منها بطايل الّا انّهم لازموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان ينجده ويرحّل العسكر الماردانىّ عنه ويكون هو فى خدمته كما كان ابوه فى خدمة نور الدين فاجابه الى ذلك وارسل رسولاً الى صاحب ماردين يشفع فيه ويطلب ان يرحّل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من الفرنج فلمّا راى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة ولم يبلغوا منها غرضًا امرهم بالرحيل عنها وعاد الى ماردين فسار صاحبها الى صلاح الدين وكان معه حتّى عبر معه الفراة على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كثرت المنكرات ببغداد فاقام حاجب الباب جماعة لاراقة الخمور واخذ المفسدات فبينما امراة منهنّ فى موضع علمت بمجىء اصحاب حاجب الباب فاضطجعت واظهرت انّها مريضة وارتفع انينها فرءاوها على تلك الحال فتركوها وانصرفوا فاجتهدت بعدهم ان تقوم فلم تقدر وجعلت تصيح الكرب الكرب الى ان ماتت وهذا من اعجب ما يُحكَى ، وفيها عاشر ذى الحجّة توفّى الامير همام الدين تتر[1] صاحب قلعة تكريت بالمزدلفة كان قد استخلف الامير عيسى ابن اخى مودود وحجّ فتوفّى ودُفن بالمصلّى مقبرة مكّة ، وفيها فى شعبان توفّى عبد الرحمن ابن محمّد بن ابى سعيد ابو البركات النحوى المعروف بابن الانبارىّ ببغداد وله تصانيف حسنة فى النحو وكان فقيهًا صالحًا ، وفيها توفّى ابراهيم بن محمّد بن مهران الفقيه الشافعىّ بجزيرة ابن عمر وكان فاضلاً كثير الورع ۞

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ،

سنة ٥٧٨

ذكر مسير صلاح الدين الى الشام واغارته على الفرنج

---

1) 740. Ups.: تتر

فى هذه السنة خامس المحرّم سار صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب ما يُحكى من التطيُّر انّه لمّا برز من القاهرة اقام بخيمته حتّى تجتمع العساكر والناس عنده واعيان دولته والعلمآء وارباب الآداب فمن بين مودع له وساير معه وكلّ منهم يقول شيًا فى الوداع والفراق وما هم بصدده من السفر وفى الحاضرين معلّم لبعض اولاده فاخرج راسه من بين الحاضرين وانشد

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار

فانقبض صلاح الدين بعد انبساطه وتطيّر وتنكّد المجلس على الحاضرين فلم يَعُد اليها الى ان مات مع طول المدّة، ثمّ سار عن مصر وتبعه من التجار واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلآء بالشام وغيره عالم كثير فلمّا سار جعل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدّوه عن المسير فلمّا قارب بلادهم سيّر الضعفآء والاثقال مع اخيه تاج الملوك بورى الى دمشق وبقى هو فى العساكر المقاتلة لا غير فشنّ الغارات باطراف بلادهم واكثر ذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا قدم على الدنوّ منه ثمّ سار فاتى دمشق فوصلها حادى عشر صفر من السنة ❊

ذكر مُلك المسلمين شقيفًا من الفرنج

فى هذه السنة ايضًا فى صفر فتح المسلمون بالشام شقيفًا من الفرنج يعرف بحبس جلدك وهو من اعمال طبريّة مطلّ على السواد وسبب فتحه انّ الفرنج لمّا بلغهم مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلّهم ينتهزون فرصةً او يظفرون بنصرة وربّما عاقوا المسلمين عن المسير بان يقفوا على بعض المضايق فلمّا فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاه الخبر فجمع مَن عنده من عساكر الشام ثمّ قصد بلاد الفرنج واغار عليها ونهب دبّوريّة وما يجاورها من القرى واسر الرجال وقتل واكثر وسبى النسآء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف وكان على المسلمين منه اذى شديد ففرح المسلمون بفتحه فرحًا عظيمًا وارسل الى صلاح الدين بالبشارة فلقيه فى الطريق ففتّ ذلك فى عضد الفرنج وانكسرت شوكتهم ❊

ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن وتغلّبه عليه

فى هذه السنة سيّر صلاح الدين اخاه سيف الاسلام طغدكين الى بلاد اليمن وامره بتملّكها وقطع الفتن بها وفوّض اليه امرها وكان بها حطان بن منقذ كما ذكرناه قبل وكتب عزّ الدين عثمان الزنجيلى متولّى عدن الى صلاح الدين يعرّفه باختلال البلاد ويشير بارسال بعض اهله اليها لانّ حطان دان قوى عليه فخافه عثمان فجهّز صلاح الدين اخاه سيف الاسلام وسيّره الى بلاد اليمن فوصل الى زبيد فخافه حطان ابن منقذ واستشعر منه وتحصّن فى بعض القلاع فلم يزل به سيف الاسلام يؤمّنه ويهدى اليه ويتلطّفه حتّى نزل اليه فاحسن صحبته واعتمد معه ما لم يكن يتوقّعه من الاحسان فلم يثق حطان به وطلب منه دستورًا ليقصد الشام فامتنع من اجابته اظهارًا للرغبة فى كونه عنده فلم يزل حطان يراجعه حتّى اذن له فاخرج اثقاله وامواله ودوابّه واهله واصحابه وكلّ ما له وسيّر الجميع بين يديه فلمّا كان الغد دخل الى سيف الاسلام ليودّعه فقبض عليه واسترجع جميع ماله فاخذه عن اخره لم يسلم منه قليل ولا كثير ثمّ سجنه فى بعض القلاع وكان اخر العهد به فقيل انّه قتله، وكان فى جملة ما اخذ منه من الاموال الذهب العين فى سبعين غلاف زرديّة مملوّة ذهبًا عينًا، وامّا عزّ الدين عثمان الزنجيلى فانّه لمّا سمع ما جرى على حطان خاف فسار نحو الشام خايفًا يترقّب وسيّر معظم امواله فى البحر فصادفهم مراكب فيها اصحاب سيف الاسلام فاخذوا كلّ ما لعزّ الدين ولم يبق له الّا ما صحبه فى الطريق وصفت زبيد وعدن وما معهما من البلاد لسيف الاسلام ۞

ذكر اغارة صلاح الدين على الغور وغيره من بلاد الفرنج واعمالها

لمّا وصل صلاح الدين الى دمشق كما ذكرناه اقام ايّامًا يريح ويستريح هو وجنده ثمّ سار الى بلاد الفرنج فى ربيع الاوّل فقصد طبريّة فنزل بالقرب منها وخيّم فى الاقحوانة من الاردن وجآت الفرنج بجموعها فنزلت بطبريّة فسيّر صلاح الدين فرخشاه ابن اخيه الى

ببسان[1] فدخلها قهرًا وغنم ما فيها وقتل وسبى وجحف الغور غارةً شعوآء فعمّ اهله قتلًا واسرًا وجآءت العرب فاغارت على جينين واللجون وتلك الولاية حتّى قاربوا مرج عكّا وسار الفرنج من طبريّة فنزلوا تحت جبل كوكب فتقدّم صلاح الدين اليهم وارسل العساكر عليهم يرمونهم بالنشاب فلم يبرحوا ولم يتحرّكوا لقتال فامر ابنَى اخيه تقى الدين عمر وعزّ الدين فرخشاه فحملا على الفرنج فيمن معهما فتقاتلوا قتالًا شديدًا ثمّ انّ الفرنج انحازوا على حاميتهم[2] فنزلوا غفربلا[3] فلمّا راى صلاح الدين ما قد اثخن فيهم وفى بلادهم عاد عنهم الى دمشق ۞

ذكر حصر بيروت

ثمّ انّه سار عن دمشق الى بيروت فنهب بلدها وكان قد امر الاسطول المصرىّ بالمجىء فى البحر اليها فساروا ونازلوها واغاروا عليها وعلى بلدها وسار صلاح الدين فوافاهم ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدّة ايّام وكان عازمًا على ملازمتها الى ان يفتحها فاتاه الخبر وهو عليها ان البحر قد القى بُطسة للفرنج فيها جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة البيت المقدّس فاسروا مَن بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدّة الاسرى الفا وستمائة وستّ وسبعين اسيرًا فضُربت بذلك البشائر ۞

ذكر عبور صلاح الدين الفراة ومُلكه ديار الجزيرة

فى هذه السنة عبر صلاح الدين الفراة الى الديار الجزريّة وملكها وسبب ذلك انّ مظفّر الدين كوكبرى ابن زين الدين علىّ بن بكتكين وهو مقطع حرّان كان قد اقطعه ايّاها عزّ الدين اتابك المدينة والقلعة تقوية واعتمادًا ارسل الى صلاح الدين وهو يحاصر بيروت يُعلمه انّه معه محبٌّ لدولته ووعده النصرة له اذا عبر الفراة ويطمعه فى البلاد ويحثّه على الوصول فسار صلاح الدين عن بيروت ورسل مظفّر الدين تترى اليه يحثّه على المجىء فجدّ صلاح الدين فى السير مظهرًا انّه يريد حصر حلب تسترًا للحال فلمّا قارب الفراة سار اليه مظفّر الدين

---

[1]) ىىسان [2]) 740: حامىتهم [3]) C. P.: عغربلا 740: عفربلا

فعبر الفراة واجتمع به فقصد البيرة وهي قلعة منيعة على الفراة من الجانب الجزرىّ وكان صاحبها قد سار مع صلاح الدين وفى طاعته وقد ذكرنا سبب ذلك قبلُ فعبر هو وعسكره الفراة على الجسر الذى عند البيرة ٭ وكان عزّ الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لمّا بلغهما وصول صلاح الدين الى الشام قد جمعا العسكر وسارا الى نصيبين ليكونا على اهبّة واجتماع لئلّا يتعرّض صلاح الدين الى حلب ثمّ تقدّما الى دارا[1] فنزلا عندها[2] فجآءهما امر لم يكن فى الحساب فلمّا بلغهما عبور صلاح الدين الفراة عادا الى الموصل وارسلا[3] الى الرهآ عسكرًا يحميها ويمنعها فلمّا سمع صلاح الدين ذلك قوى طمعه فى البلاد ولمّا عبر صلاح الدين الفراة كاتب الملوك اصحاب الاطراف ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فاجابه نور الدين محمّد بن قرا ارسلان صاحب الحصن الى ما طلب منه لقاعدة استقرّت بينهما لمّا كان نور الدين عنده بالشام فانّه استقرّ الحال انّ صلاح الدين يحصر آمد ويملكها ويسلّمها اليه وسار صلاح الدين الى مدينة الرهآ فحصرها فى جمادى الاولى وقاتلها اشدّ قتال ٭ فحدّثنى بعض من كان بها من الجند انّه عدّ فى علاف رمح اربعة عشر خرقًا وقد خرقته السهام ووالى الزحف عليها وكان بها حينئذٍ مقطع وهو الامير فخر الدين مسعود الزعفرانىّ فحيث راى شدّة القتال اذعن الى التسليم وطلب الامان وسلّم البلد وصار فى خدمة صلاح الدين فلمّا ملك المدينة زحف الى القلعة فسلّمها اليه الدزدار الذى بها على مال اخذه فلمّا ملكها سلّمها الى مظفّر الدين مع حرّان ثمّ سار عنها على حرّان الى الرقّة فلمّا وصل اليها كان بها مقطعها قطب الدين ينال بن حسّان المنبجىّ فسار عنها الى عزّ الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور قرقيسيا وماكسين وعرابان فملك جميع ذلك فلمّا استولى على الخابور جميعه سار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وبقيت القلعة فحصرها عدّة ايّام فملكها ايضًا واقام بها ليصلح شانها ثمّ اقطعها اميرًا كان معه يقال له ابو الهيجآء السمين وسار عنها ومعه

---

1) دار 2) عندهما 3) وارسلان

نور الدين صاحب الحصن واتاه الخبر انّ الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القرى ووصلوا الى داريّا وارادوا تخريب جامعها فارسل النايب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان اخربتم الجامع جدّدنا عمارته واخربنا كلّ بيعة لكم فى بلادنا ولا نمكن احدًا من عمارتها فتركوه ولمّا وصل الخبر الى صلاح الدين بذلك اشار عليه مَن يتعصّب لعزّ الدين بالعود فقال يُخرّبون قُرًى ونملك عوضها بلادًا ونعود نعمرها ونقوى على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال ۞

ذكر حصر صلاح الدين الموصل

لمّا ملك صلاح الدين نصيبين جمع امرآءه وارباب المشورة عنده واستشارهم بأىّ البلاد يبدأ وايّها يقصد بالموصل ام بسنجار ام بجزيرة ابن عمر فاختلفت آرآؤهم فقال له مظفّر الدين كوكبرى ابن زين الدين لا ينبغى ان يُبدا بغير الموصل فانّها فى ايدينا لا مانع لها فانّ عزّ الدين ومجاهد الدين متى سمعا بمسيرنا اليها تركاها وسارا عنها الى بعض القلاع الجبليّة ووافقه ناصر الدين محمّد ابن عمّه شيركوه وكان قد بذل لصلاح الدين مالاً كثيرًا ليقطعه الموصل اذا ملكها وقد اجابه صلاح الدين الى ذلك فاشار بهذا الراى لهواه فسار صلاح الدين الى الموصل وكان عزّ الدين صاحبها ومجاهد الدين نايبه قد جمعا بالموصل العساكر الكثيرة ما بين فارس وراجل واظهرا من السلاح والات الحصار ما حارت له الابصار وبذلا الاموال الكثيرة واخرج مجاهد الدين من ماله كثيرًا واصطلى الامور بنفسه فاحسن تدبيرها وشحنوا ما بقى بايديهم من البلاد كالجزيرة وسنجار والموصل واربل وغيرها من البلاد بالرجال والسلاح والاموال ۶ وسار صلاح الدين حتّى قارب الموصل وترك عسكره وانفرد هو ومظفّر الدين وابن عمّه ناصر الدين ابن شيركوه ومعهم نفر من اعيان دولته وقربوا من البلد فلمّا قربوا راه وحقّقه راى ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه فانّه راى بلدًا عظيمًا كبيرًا وراى السور والفصيل قد مليا من الرجال وليس فيها شرّافة الّا وعليها رجل يقاتل سوى مَن عليه من عامّة البلد المتفرّجين فلمّا راى ذلك علم انّه لا يقدر على اخذه وانّه يعود خايبًا فقال لناصر الدين ابن عمّه اذا

رجعنا الى المعسكر فاحمل ما بذلتَ من المال فنحن معك على القول فقال قد رجعتُ عمّا بذلتُ من المال فانّ هذا البلد لا يُرام فقال له ومظفّر الدين غررتماني واطمعتماني فى غير مطمع ولو قصدتُ غيره قبله لكان اسهل اخذًا بالاسم والهيبة التى حصلت لنا ومتى نازلناه وعُدْنا منه ينكسر ناموسنا ويفلّ حدّنا وشوكتنا ثمّ رجع الى معسكره وصبّح البلد وكان نزوله عليه فى رجب فنازله وضايقه ونزل محاذى باب كندة[1] وانزل صاحب الحصن بباب الجسر وانزل اخاه تاج الملوك عند الباب العمادىّ وانشب القتال فلم يظفر وخرج اليه يومًا بعض العامّة فنالوا منه ولم يُمكّن عزّ الدين ومجاهد الدين احدًا من العسكر يخرجوا لقتال بل الزموا الاسوار ثمّ انّ تقى الدين اشار على عمّه صلاح الدين بنصب منجنيق فقال مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق ومتى نصبناه اخذوه ولو خرّبنا بُرجًا وبدنة مَن يقدر على الدخول للبلد وفيه هذا الخلق الكثير فالحّ تقى الدين وقال نجرّبهم به فنصب منجنيقًا فنُصب عليه من البلد تسعة منجنيقات وخرج جماعة من العامّة فاخذوه وجرى عنده قتال كثير فاخذ بعض العامّة لالكة من رجله فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميرًا يقال له جاولى الاسدىّ مقدّم الاسديّة وكبيرهم فاصاب صدره فوجد لذلك ألمًا شديدًا واخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال قد قاتلنا اهل الموصل بحماقات ما راينا بعدُ مثلها والقى اللالكة وحلف انّه لا يعود يقاتل عليها انفة حيث ضُرب بهذه، ثمّ انّ صلاح الدين رحل من قرب البلد ونزل متاخّرًا خوفًا من البيات فانّه لقربه كان لا يامن ذلك وكان سببه ايضًا انّ مجاهد الدين اخرج فى بعض الليالى جماعة من باب السرّ الذى للقلعة ومعهم المشاعل فكان احدهم يخرج من الباب وينزل الى دجلة ممّا يلى عين الكبريت ويطفى المشعل فراى العسكر الناس يخرجون فلم يشكّوا فى الكبسة فحملهم ذلك على الرحيل والتاخّر ليتعذّر البيات على اهل الموصل، وكان صدر الدين شيخ الشيوخ رحمه

---

[1] كنده

الله قد وصل اليه قبل نزوله على الموصل ومعه بشير الخادم وهو من خواصّ الخليفة الناصر لدين الله فى الصلح فاقاما معه على الموصل وتردّدت الرسل الى عزّ الدين ومجاهد الدين فى الصلح فطلب عزّ الدين اعادة البلاد التى أُخذت منهم فاجاب صلاح الدين الى ذلك بشرط ان تُسلَّم اليه حلب فامتنع عزّ الدين ومجاهد الدين ثم نزل عن ذلك واجاب الى تسليم البلاد بشرط ان يتركوا انجاد صاحب حلب عليه فلم يجيبوا الى ذلك ايضًا وقال عزّ الدين هو اخى وله العهود والمواثيق ولا يسعنى انكثها ووصلت ايضًا رسل قزل ارسلان صاحب اذربيجان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط فى المعنى فلم ينتظم امرٌ ولا تمّ صلحٌ ؞ فلمّا راى صلاح الدين انّه لا ينال من الموصل غرضًا ولا يحصل على غير العناء والتعب وانّ مَن بسنجار من العساكر الموصليّة يقطعون طريق مَن يقصدونه من عساكره واصحابه سار من الموصل اليها ۞

ذكر مُلكه مدينة سنجار

لمّا سار صلاح الدين عن الموصل الى سنجار سيّر مجاهد الدين اليها عسكرًا قوّةً لها ونجدةً فسمع بهم صلاح الدين فمنعهم من الوصول اليها واوقع بهم واخذ سلاحهم ودوابّهم وسار اليها ونازلها وكان بها شرف الدين امير اميران هندوا اخو عزّ الدين صاحب الموصل فى عسكر معه فحصر البلد وضايقه والحّ فى قتاله فكاتبه بعض امرآء الاكراد الذين به من الزرزاريّة وخامر معه واشار بقصده من الناحية التى هو بها ليسلّم اليه البلد. فطرقه صلاح الدين ليلاً فسلّم اليه ناحيته وملك الباشورة لا غير فلمّا سمع شرف الدين الخبر استكان وخضع وطلب الامان فأمّن ولو قاتل على تلك الناحية اخرج العسكر الصلاحىّ عنها ولو امتنع بالقلعة لحفظها ومنعها ولكنّه عجز فلمّا طلب الامان اجابه صلاح الدين اليه فامنه وملك البلد وسار شرف الدين ومَن معه الى الموصل واستقرّ جميع ما ملكه صلاح الدين بملك سنجار فانّه كان تصدّد ان يستردّه المواصلة اذا فارقه لانّه لم يكن فيه حصن غير الرها لا غير فلمّا ملك سنجار صارت على الجمع كالسور واستناب بها سعد

الدين ابن معين الدين أنر وكان من اكابر الامرآء واحسنهم صورة ومعنى ۞

ذكر عود صلاح الدين الى حرّان

لمّا ملك صلاح الدين سنجار وقرّر قواعدها سار الى نصيبين فلقيه اهلها شاكين من ابى الهيجاء السمين باكين من ظلمه متاسّفين على دولة عزّ الدين وعَدْله فيهم فلمّا سمع ذلك انكر على ابى الهيجاء ظلمَه وعزله عنهم واخذه معه وسار الى حرّان وفرّق عساكره ليستريحوا وبقى جريدة فى خواصّه وثقات اصحابه وكان وصوله اليها اوايل ذى القعدة من السنة ۞

ذكر اجتماع عزّ الدين وشاه ارمن

فى هذه السنة فى ذى الحجّة اجتمع اتابك عزّ الدين صاحب الموصل وشاه ارمن صاحب خلاط على قتال صلاح الدين وسبب ذلك انّ رسل عزّ الدين تردّدت الى شاه ارمن يستنجده ويستنصره على صلاح الدين فارسل شاه ارمن الى صلاح الدين عدّة رسل فى الشفاعة اليه بالكفّ عن الموصل وما يتعلّق بعزّ الدين فلم يجبه الى ذلك وغالطه فارسل اليه اخيرًا مملوكه سيف الدين بكتمر الذى ملك خلاط بعد شاه ارمن فاتاه وهو يحاصر سنجار يطلب اليه ان يتركها ويرحل عنها وقال له ان رحل عنها والّا فتهدّده بقصده ومحاربته فابلغه بكتمر الشفاعة فسوّفه فى الجواب رجآء ان يفتحها فلمّا راى بكتمر ذلك ابلغه الرسالة بالتهديد وفارقه غضبان ولم يقبل منه خلعة ولا صلة واخبر صاحبه الخبر وخوّفه عاقبة الاهمال والتوانى عن صلاح الدين فسار شاه ارمن من خلاط وكان مخيمًا بظاهرها وسار الى ماردين وصاحبها حينئذ قطب الدين ابن نجم الدين ألبى وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عزّ الدين وحموه لانّ عزّ الدين كان قد زوّج ابنة قطب الدين وحضر مع شاه ارمن دولة شاه صاحب بدليس وارزن وسار اتابك عزّ الدين من الموصل فى عسكره جريدة من الاثقال وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حرّان وفرّق عساكره فلمّا سمع باجتماعهم سيّر الى تقى الدين ابن اخيه وهو بحماه يستدعيه فوصل اليه مُسْرِعًا واشار عليه بالرحيل وحذّره منه اخرون وكان هوى صلاح الدين فى

الرحيل فرحل الى راس عين فلمّا سمعوا برحيله تفرّقوا فعاد شاه ارمن الى خلاط واعتذر بانّه اجمع العساكر واعود ورجع عزّ الدين الى الموصل واقام قطب الدين بماردين وسار صلاح الدين فنزل بجوزم تحت ماردين عدّة أيام ٭

ذكر الظفر بالفرنج فى بحر عيذاب

فى هذه السنة عمل البرنس صاحب الكرك اسطولًا وفرغ منه بالكرك ولم يبق الّا جمع قطعه بعضها الى بعض وحملها الى بحر ايلة وجمعها فى اسرع وقت وفرغ منها وشحنها بالمقاتلة وسيّرها فساروا فى البحر وافترقوا فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه ويمنع اهله من وُرُود المآء فنال اهله شدّة شديدة وضيّق عليهم وامّا الفرقة الثانية فانّهم ساروا نحو عيذاب وافسدوا فى السواحل ونهبوا واخذوا ما وجدوا من المراكب الاسلاميّة ومَن فيها من التجار وبغتوا الناس فى بلادهم على حين غفلة منهم فانّهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيًّا لا تاجرًا ولا محاربًا ٭ وكان بمصر الملك العادل ابو بكر ابن ايّوب ينوب عن اخيه صلاح الدين فعمر اسطولًا وسيّره وفيه جمع كثير من المسلمين ومقدّمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولّى الاسطول بديار مصر وكان مظفّرًا فيه شجاعًا كريمًا فسار لؤلؤ مجدًّا فى طلبهم فابتدا بالذين على ايلة فانقضّ عليهم انقضاض العقاب على صيده فقاتلهم فقتل بعضهم واسر الباقى وسار من وقته بعد الظفر بعضّ اثر الذين قصدوا عيذاب فلم يرهم وكانوا قد اغاروا على ما وجدوه بها وقتلوا مَن لقوه عندها وساروا الى غير ذلك المرسى ليفعلوا كما فعلوا فيه وكانوا عازمين على الدخول الى الحجاز مكّة والمدينة حرسهما الله تعالى واخْذ الحاجّ ومنعهم عن البيت الحرام والدخول بعد ذلك الى اليمن فلمّا وصل لؤلؤ الى عيذاب ولم يرهم سار يقفوا اثرهم فبلغ رابغ وساحل الحوزآء وغيرهما فادركهم بساحل الحوزآء فاوقع بهم هناك فلمّا راوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا الى البرّ واعتصموا ببعض تلك الشعاب فنزل لؤلؤ من مراكبه اليهم وقاتلهم اشدّ قتال واخذ خيلًا من الاعراب الذين هناك فركبها وقاتلهم فُرسانًا ورجّالةً فظفر بهم وقتل اكثرهم واخذ الباقين اسرى وارسل بعضهم الى

منى لينحروا بها عقوبةً لمن رام اخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلعم وعاد بالباقين الى مصر فقُتلوا جميعهم ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفّى عزّ الدين فرخشاه ابن اخى صلاح الدين وكان ينوب عنه بدمشق وهو ثقته من اهله وكان اعتماده عليه اكثر من جميع اهله وامرآيه وكان شجاعًا كريمًا فاضلًا عالمًا بالادب وغيره وله شعر جيّد من بين اشعار الملوك وكان ابتدآء مرضه انّه خرج من دمشق الى غزو الفرنج فمرض وعاد مريضًا فمات ووصل خبر موته الى صلاح الدين وقد عبر الفراة الى الديار الجزريّة فاعاد شمس الدين محمّد بن المقدّم الى دمشق ليكون مقدّمًا على عسكرها ، وفيها مات فخر الدولة ابو المظفّر بن الحسن بن هبة الله بن المطّلب كان ابوه وزير الخليفة واخوه استاذ الدار فتصوّف هو من زمن الصبا وبنى مدرسة ورباطًا ببغداد عند عقد المصطنع وبنى جامعًا بالجانب الغربىّ منها ، وفيها توفّى الامير ابو منصور هاشم ولد المستضى بامر الله ودُفن عند ابيه ، وفيها توفّى ابو العبّاس احمد بن علىّ بن الرفيعى من سواد واسط وكان صالحًا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة ما لا يُحصى ۞

ثمّ دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة ،

سنة ٥٧٩

ذكر مُلك صلاح الدين آمد وتسليمها الى صاحب الحصن

قد ذكرنا نزول صلاح الدين بحوزم تحت ماردين فلم ير لطمعه وجهًا وسار عنها الى آمد على طريق البارعيّة وكان نور الدين محمّد بن قرا ارسلان يطالبه فى كلّ وقت بقصدها واخذها وتسليمها اليه على ما استقرّت القاعدة بينهما فوصل الى آمد سابع عشر ذى الحجّة من سنة ثمان وسبعين ونازلها واقام محاصرها وكان المتوفّى لامرها والحاكم فيها بهآء الدين ابن نيسان وكان صاحبها وليس له من الامر شئٌ مع ابن نيسان فلمّا نازلها صلاح الدين اسآ ابن نيسان التدبير ولم يُعط الناس من الذخاير شيًّا ولا فرّق فيهم دينارًا واحدًا ولا قوتًا وقال لاهل

البلد قاتلوا عن نفوسكم فقال له بعض اصحابه لبس العدوّ بكافر حتى
نقاتلوا عن نفوسهم فلم يفعل شيئًا وقاتلهم صلاح الدين ونصب المنجنيقات
وزحف اليها وهي الغاية في الحصانة والمنعة بها وبسورها يضرب المثل
وابن نيسان على حاله من الشحّ بالمال وتصرّفه تصرّف من ولّت سعادته
وادبرت دولته فلمّا رأى الناس ذلك منه تهاونوا بالقتال وجنحوا
الى السلامة ، وكانت ايّام ابن نيسان قد طالت وثقلت على اهل البلد
لسوء سيرته وضيقته وتضييقه عليهم في مكاسبهم فالناس كارهون لها
محبّون لانقراضها وامر صلاح الدين ان يُكتب على السهام الى اهل
البلد بعدهم الخير والاحسان ان اطاعوه ويتهدّدهم ان قاتلوه فزادهم ذلك
تقاعُدًا وتخاذلًا واحبّوا مُلكه وتركوا القتال فوصل النقّابون الى
السور فنقبوه وعلّقوه فلمّا رأى الجند واهل البلد ذلك طمعوا في ابن
نيسان واشتطّوا في المطلب فحين صارت الحال لذلك اخرج ابن
نيسان نساءه الى القاضي الفاضل وزير صلاح الدين يسأله ان ياخذ
له الامان ولاهله وماله وان يؤخره ثلاثة ايّام حتّى ينقل ما له بالبلد من
الاموال والذخاير فسعى له الفاضل في ذلك فاجابه صلاح الدين اليه
فسلّم البلد في العشر الاوّل من المحرّم هذه السنة واخرج خيمه الى
ظاهر البلد ورام نقل ماله فتعذّر ذلك عليه لزوال حكمه عن اصحابه
واطّراحهم امره ونهيه فارسل الى صلاح الدين يُعرّفه الحال ويساله مساعدته
على ذلك فامر له بالدوابّ والرجال فنُقل البعض وسرق البعض وانقضت
الايّام الثلاث قبل الفراغ فمُنع من الباقي وكانت ابراج المدينة مملوّة من
انواع الذخاير فتركها بحالها ولو اخرج البعض منها لحفظ البلد
وساير نعمه وامواله لكن اذا اراد الله امرًا هيّأ اسبابه ، فلمّا تسلّمها
صلاح الدين سلّمها لصاحب الحصن نور الدين فقيل له قبل تسليمها
ان هذه المدينة فيها من الذخاير ما يزيد على الف الف دينار فلو
اخذتَ ذلك واعطيتَه جندك وسلّمتَ البلد اليه فارغًا لكان راضيًا فانّه
لا يطمع في غيره فامتنع من ذلك وقال ما كنتُ لاعطيه الاصل وابخل
بالفرع ، فلمّا تسلّم نور الدين البلد اصطنع دعوة عظيمة ودعا اليها
صلاح الدين وامراءه ولم يكن دخل البلد وقدّم له ولاصحابه من

التحف والهدايا اشياء كثيرة ٭

ذكر مُلك صلاح الدين تلّ خالد وعين تاب من اعمال الشام

لمّا فرغ صلاح الدين من امر آمد سار الى الشام وقصد تلّ خالد وهو من اعمال حلب فحصرها ورماها بالمنجنيق فنزل اهلها وطلبوا الامان فامّنهم وتسلّمها فى المحرّم ايضًا ٭ ثمّ سار منها الى عين تاب فحصرها وبها ناصر الدين محمّد وهو اخو الشيخ اسمعيل الذى كان خازن نور الدين محمود ابن زنكى وصاحبه وكان قد سلّمها اليه نور الدين فبقيت معه الى الآن فلمّا نازله صلاح الدين ارسل اليه يطلب ان يُقرّ الحصن بيده وينزل الى خدمته ويكون تحت حكمه وطاعته فاجابه صلاح الدين الى ذلك وحلف له عليه فنزل اليه وصار فى خدمته وكان ايضًا فى المحرّم من هذه السنة ٭

ذكر وقعتين مع الفرنج فى البحر والشام

فى هذه السنة فى العاشر من المحرّم سار اسطول المسلمين من مصر فى البحر فلقوا بُطسةً فيها نحو ثلثمائة من الفرنج بالسلاح التامّ ومعهم الاموال والسلاح الى فرنج الساحل فقاتلوهم وصبر الفريقان وكان الظفر للمسلمين واخذوا الفرنج اسرى فقتلوا بعضهم وابقوا بعضهم اسرى وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين ٭ وفيها ايضًا سارت عصابة كبيرة من الفرنج من نواحى الداروم الى نواحى مصر ليغيروا وينهبوا فسمع بهم المسلمون فخرجوا اليهم على طريق صَدَر[1] وايلة فانتزح الفرنج من بين ايديهم فنزلوا بماءٍ يقال له العُسيلة وسبقوا المسلمين اليه فاتاهم المسلمون وهم عطاش قد اشرفوا على الهلاك فرءاوا الفرنج قد ملكوا الماء فانشا الله سبحانه وتعالى بلطفه سحابة عظيمة فُطروا منها حتّى رووا وكان الزمان قيظًا والحرّ شديد فى برّ مُهلك فلمّا رءاوا ذلك قويت نفوسهم ووثقوا بنصر الله لهم وقاتلوا الفرنج فنصرهم الله عليهم فقتلوهم ولم يسلم منهم الّا الشريد الفريد وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ودوابّ وعادوا منصورين قاهرين بفضل الله ٭

---

1) C. P. et 740. Ups. صدر

ذكر مُلك صلاح الدين حلب

وفي هذه السنة سار صلاح الدين من عين تاب الى حلب فنزل عليها في المحرّم ايضًا في الميدان الاخضر واقام به عدّة ايّام ثم انتقل الى جبل جوشن فنزل باعلاه واظهر انّه يريد يبني مساكن له ولاصحابه وعساكره واقام عليها ايّامًا والقتال بين العسكرَيْن كلّ يوم وكان صاحب حلب عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ومعه العسكر النورىّ وهم مجدّون في القتال فلمّا راى كثرة الخرج كانّه شحّ بالمال فحضر يومًا عنده بعض اجناده وطلبوا منه شيًا فاعتذر بقلّة المال عنده فقال له بعضهم من يريد يحفظ مثل حلب يخرج الاموال ولو باع حلىّ نسآيه فمال حينيّذ الى تسليم حلب واخْذ العوض منها وارسل مع الامير طمان الياروقىّ وكان يميل الى صلاح الدين انّه يسلّم حلب وياخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وسروج وجرت اليمين على ذلك وباعها باوكس الاثمان اعطى حصنًا مثل حلب واخذ عوضها قُرًى ومزارع فنزل عنها ثامن عشر صفر وتسلّمها صلاح الدين فعجب الناس كلّهم من ذلك وقبّحوا ما اتى حتّى انّ بعض عامّة حلب احضر اجّانةً وماء وناداه انت لا يصلح لك الملك وانّما يصلح لك ان تغسل الثياب واسمعوه المكروه ، واستقرّ مُلك صلاح الدين بملكها وكان مزلزلًا فثبت قدمه بتسليمها وكان على شفاء جرف هار واذا اراد الله امرًا فلا مردّ له ، وسار عماد الدين الى البلاد التى أُعطيها فتسلّمها واخذ صلاح الدين حلب واستقرّ الحال بينهما انّ عماد الدين يحضر في خدمة صلاح الدين بنفسه وعسكره اذا استدعاه لا يحتاج بحجّة ، ومن الاتّفاقات العجيبة انّ محى الدين ابن الزكى قاضى دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها

وفتحكم حلبًا بالسيف في صفر   مبشّرًا بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى ، وممّا كتبه القاضى الفاضل في المعنى عن صلاح الدين فاعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صَرف في الحقيقة اعطيناه الدراهم ونزلنا عن القُرى واحرزنا العواصم   وكتب ايضًا

اعطيناه ما لم يخرج عن اليد يعنى انّه متى شآء اخذه لعدم حصانته ٫ وكان فى جُملة مَن قُتل على حلب تاج الملوك بورى اخو صلاح الدين الاصغر وكان فارسًا شجاعًا كريمًا حليمًا جامعًا لخصال الخير ومحاسن الاخلاق طُعن فى ركبته فانفكّت فمات منها بعد ان استقرّ الصلح بين عماد الدين وصلاح الدين على تسليم حلب قبل ان يدخلها صلاح الدين فلمّا استقرّ منه الصلح حضر صلاح الدين عند اخيه بعوده وقال له هذه حلب قد اخذناها وهى لك فقال ذلك لو كان وانا حىّ ووالله لقد اخذتَها غالية حيث تفقد مثلى فبكى صلاح الدين وابكى ٫ ولمّا خرج عماد الدين الى صلاح الدين وقد عمل له دُعوة احتفل فيها فبينما هم فى سرور اذ جآء انسان فاسرّ الى صلاح الدين بموت اخيه فلم يُظهر هلعًا ولا جزعًا وامر بتجهيزه سرًّا ولم يعلم عماد الدين ومَن معه فى الدعوة واحتمل الحزن وحده لئلّا يتنكّد ما هم فيه وكان هذا من الصبر الجميل ❊

ذكر فتح صلاح الدين حارم

لمّا ملك صلاح الدين حلب[1] كان بقلعة حارم وهى من اعمال حلب بعض المماليك النوريّة واسمه سَرخك وولّاه عليها الملك الصالح عماد الدين[2] فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح الدين فى التسليم وقال له اطلب من الاقطاع ما اردتَ ووعده الاحسان فاشتطّ فى الطلب وترددت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمى بهم فسمع مَن معه من الاجناد انّه يراسل الفرنج فخافوا ان يسلّمها اليهم فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الامان والانعام فاجابهم الى ما طلبوا وسلّموا اليه الحصن فرتّب به دزدارًا[3] بعض خواصّه ٫ وامّا باقى قلاع حلب فانّ صلاح الدين اقرّ عين تاب بيد صاحبها كما تقدّم واقطع تلّ خالد لامير يقال له داروم الياروقىّ وهو صاحب تلّ باشر ٫ وامّا قلعة اعزاز فانّ عماد الدين اسمعيل كان قد خرّبها فاقطعها صلاح الدين لامير يقال له سليمان بن جندر فعمرها واقام صلاح الدين

---

1) C. P. Ups. حارم 2) Desunt in C. P. et 740 عماد الدين

3) زدارًا

بحلب الى ان فرغ من تقرير قواعدها واحوالها وديوانها واقطع اعمالها وارسل منها جمع العساكر من جميع بلاده ۞

ذكر القبض على مجاهد الدين وما حصل من الضرر بذلك

فى هذه السنة فى جمادى الاولى قبض عزّ الدين مسعود صاحب الموصل على نايبه مجاهد الدين قايماز وكان اليه الحكم فى جميع البلاد واتّبع فى ذلك هوى مَن اراد المصلحة لنفسه ولم ينظر فى مضرّة صاحبه وكان الذى اشار بذلك عزّ الدين محمود زلفندار وشرف الدين احمد بن ابى الخير[1] الذى كان ابوه صاحب الغرّاف وهما من اكابر الامرآء فلمّا اراد القبض عليه لم يقدم على ذلك لقوّة مجاهد الدين فاظهر انّه مريض وانقطع عن الركوب عدّة ايّام فدخل اليه مجاهد الدين وحده وكان خصيًّا لا يمتنع من الدخول على النسآء فلمّا دخل عليه قبض عليه وركب لوقته الى القلعة فاحتوى على الاموال التى لمجاهد الدين وخزاينه وولّى زلفندار قلعة الموصل بعد مجاهد الدين وجعل ابن صاحب الغرّاف امير حاجب وحكّمهما فى دولته وكان تحت حكم مجاهد الدين حينئذ اربل واعمالها ومعه فيها زين الدين يوسف ابن زين الدين علىّ وهو صبىّ صغير ليس له من الحكم شىٔ والحكم والعسكر الى مجاهد الدين وتحت حكمه ايضًا جزيرة ابن عمر وهى لمعزّ الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازى بن مودود وهو ايضًا صبىّ والحكم والنوّاب والعسكر لمجاهد الدين وبيده ايضًا شهرزور واعمالها ونوّابه فيها ودقوقا ونايبه فيها وقلعة عقر[2] الحميديّة ونايبه فيها ولم يبق لعزّ الدين مسعود بعد ان اخذ صلاح الدين [البلاد] الجزريّة سوى الموصل وقلعتها بيد مجاهد الدين وهو على الحقيقة الملك واسمه لعزّ الدين فلمّا قبض عليه امتنع صاحب اربل من طاعة عزّ الدين واستبدّ وكذلك ايضًا صاحب جزيرة ابن عمر وارسل الخليفة الى دقوقا فحصرها واخذها ولم يحصل لعزّ الدين مسعود غير شهرزور والعقر[2] وصارت اربل والجزيرة اضرّ شىٔ على صاحب الموصل وارسل صاحبها

---

1) C. P.: الجبر 2) عقد

الى صلاح الدين بالطاعة له والكون فى خدمته ، وكان الخليفة الناصر لدين الله قد ارسل صدر الدين شيخ الشيوخ ومعه بشير الخادم الخاصّ الى صلاح الدين فى الصلح مع عزّ الدين صاحب الموصل وسيّر عزّ الدين معه القاضى محيى الدين ابا حامد بن الشهرزورىّ فى المعنى فاجاب صلاح الدين الى ذلك وقال ليس لكم مع الجزيرة واربل حديث فامتنع محيى الدين عن ذلك وقال هما لنا فلم يجب صلاح الدين الى الصلح الّا بان تكون اربل والجزيرة معه فلم يتم امره وقوى طمع صلاح الدين فى الموصل بقبض مجاهد الدين فلمّا راى صاحب الموصل الضرر بقبض مجاهد الدين قبض على شرف الدين احمد ابن صاحب الغرّاف وزلفندار عقوبة لهما ثم اخرج مجاهد الدين على ما نذكره ان شآء الله ٭

ذكر غزو بيسان

لمّا فرغ صلاح الدين من امر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازى وهو صبىّ وجعل معه الامير سيف الدين يازكج وكان اكبر الامرآء الاسديّة وسار الى دمشق وتجهّز للغزو ومعه عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وسار الى بلد الفرنج فعبر نهر الاردن تاسع جمادى الاخرة من السنة فراى اهل تلك النواحى قد فارقوها خوفًا فقصد بيسان فاحرقها وخرّبها واغار على ما هناك فاجتمع الفرنج وجآءوا الى قبالته فحين راوا كثرة عساكره لم يقدموا عليه فاقام عليهم وقد استندوا الى جبل هناك وخندقوا عليهم فاحاط بهم وعساكر الاسلام ترميهم بالسهام وتناوشهم القتال فلم يخرجوا واقاموا كذلك خمسة ايّام وعاد المسلمون عنهم سابع عشر الشهر لعلّ الفرنج يطمعون ويخرجون فيستدرجونهم ليبلغوا منهم غرضًا فلمّا راى الفرنج ذلك لم يطمعوا انفسهم فى غير السلامة واغار المسلمون على تلك الاعمال يمينًا وشمالاً ووصلوا فيها الى ما لم يكونوا يطمعون فى الوصول اليه والاقدام عليه فلمّا كثرت الغنائم معهم راوا العود الى بلادهم بما غنموا مع الظفر اولى فعادوا الى بلادهم على عزم الغزو ٭

ذكر غزو الكرك وملك العادل حلب

لمّا عاد صلاح الدين والمسلمون من غزوه ببيسان تجهّزوا لغزو الكرك فسار اليه فى العساكر وكتب الى اخيه العادل ابى بكر ابن

ايّوب وهو نايبه بمصر يامره بالخروج بجميع العساكر الى الكرك وكان العادل قد ارسل الى صلاح الدين يطلب منه مدينة حلب وقلعتها فاجابه الى ذلك وامره ان يخرج معه باهله وماله فوصل صلاح الدين الى الكرك فى رجب ووافاه اخوه العادل فى العسكر المصرىّ وكثر جمعه وتمكّن من حصره [وصعد][1] معه المسلمون الى ربضه وملكه وحصر الحصن من الربض وتحكّم عليه فى القتال ونصب عليه سبع منجنيقات لا تزال ترمى بالحجارة ليلاً ونهاراً وكان مع صلاح الدين انّ الفرنج لا يمكنونه من حصر الكرك وانّهم يبذلون جهدهم فى ردّه عنهم فلم يستصحب معه من الات الحصار ما يكفى لمثل ذلك الحصن العظيم والمعقل المنيع فرحل عنه منتصف شعبان وسيّر تقى الدين ابن اخيه الى مصر نايباً عنه ليتولّى ما كان اخوه العادل يتولّاه واستصحب اخاه العادل معه الى دمشق واعطاه مدينة حلب وقلعتها واعمالها ومدينة منبج وما يتعلّق بها وسيّره اليها فى شهر رمضان من السنة واحضر ولده الظاهر منها الى دمشق ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فُتح الرباط الذى بنته امّ الخليفة بالمامونيّة ؛ وفيها فى ذى الحجّة توفّى مكرم ابن بختيار ابو الخير الزاهد ببغداد روى الحديث وكان كثير البكآء ؛ وفى جمادى الاخرة توفّى محمّد بن بختيار بن عبد الله ابو عبد المولد الشاعر ويعرف بالأَبْلَة فمن جملة شعره

اراق دَمْعى لا بل اراق دمى	ظلمًا بظلم من ريقه الشَّبِم
ذُو قامة كالقضيب ناضرة	وناظر من سقامه سقمى
حصلت من وعده[2] على اصدق	الوعد ومن وصله على التهم ۞

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسماية ؛

سنة ٥٨٠

ذكر اطلاق مجاهد الدين من الحبس وانهزام العجم

فى هذه السنة فى المحرّم اطلق اتابك عزّ الدين صاحب الموصل مجاهدَ الدين قايماز من الحبس بشفاعة شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل وسيّره الى البهلوان واخيه قزل يستنجدهما على

[2]) C. P. ابيتَ من هجره   [1]) C. P. et 740.

صلاح الدين فسار الى قزل أوّلا وهو صاحب اذربيجان فلم يمكنه من المضى الى البهلوان وقال مهما تختاره انا افعله وجهّز معه عسكرًا كثيرًا نحو ثلاثة الاف فارس وساروا نحو اربل ليحصروها فلمّا قاربوها فسدوا فى البلاد وخرّبوها ونهبوا وسبوا واخذوا النسآء قهرًا ولم يقدر مجاهد الدين على منعهم فسار اليهم زين الدين يوسف صاحب اربل فى عسكره فلقيهم وهم متفرّقون فى القرى ينهبون ويحرّقون فانتهز الفرصة فيهم بتفرّقهم والقى بنفسه وعسكره على اوّل مَن لقيه منهم فهزمهم وتمّت الهزيمة على الجميع وغنم الاربليّون اموالهم ودوابّهم وسلاحهم وعاد العجم الى بلادهم منهزمين وعاد صاحب اربل الى بلده مظفّرًا غانمًا وعاد مجاهد الدين الى الموصل فكان يحكى انّى ما زلتُ انتظر العقوبة من الله تعالى على سوء افعال العجم فاننى رايتُ منهم ما لا كنتُ اظنّه يفعله مسلم بمسلم وكنتُ أنهاهم فلا يسمعون حتّى كان من الهزيمة ما كان ۞

ذكر وفاة يوسف ابن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب

فى هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف ابن عبد المومن الى بلاد الاندلس وجاز البحر اليها فى جمع عظيم من عساكر المغرب فانّه جمع وحشد الفارس والراجل فلمّا عبر الخليج قصد غربىّ البلاد فحصر مدينة شنترين وهى للفرنج شهرًا فاصابه بها مرض فمات منه فى ربيع الاوّل وحُمل فى تابوت الى مدينة اشبيليّة من الاندلس وكانت مدّة مُلكه اثنتين وعشرين سنة وشهرًا ومات عن غير وصية بالملك لاحد من اولاده فاتّفق راى قواد الموحّدين واولاد عبد المؤمن [على تمليك ولده ابى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن][1] فملّكوه من الوقت الذى مات فيه ابوه ليئلّا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدوّ فقام فى ذلك احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة فى الناس وكان ديّنًا مقيمًا للحدود فى الخاصّ والعامّ فاستقامت له الدولة وانقادت اليه باسرها مع سعة اقطارها ورتّب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتّب المقاتلة فى ساير بلادها واصلح احوالها وعاد الى مرّاكش وكان ابوه يوسف حسن السيرة وكان طريقه ألْيَن من طريق ابيه مع الناس يحبّ العلماء

1) C. P.

ويقرّبهم ويشاورهم وهم اهل خدمته وخاصّته واحبّه الناسْ ومالوا اليه واطاعه من البلاد ما امتنع على ابيه وسلك فى جباية الاموال ما كان ابوه باخذه ولم يتعدّه الى غيره واستقامت له البلاد بحسن فعله مع اهلها ولم يزل كذلك الى ان توفّى رحمه الله تعالى ❀

ذكر غزو صلاح الدين الكرك

فى هذه السنة فى ربيع الاخر سار صلاح الدين من دمشق يريد الغزو وجمع عساكره فاتته من كلّ ناحية وممّن اتاه نور الدين محمّد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وكتب الى مصر ليحضر عسكرها عنده على الكرك فنازل الكرك وحصره وضيّق على مَن به وامر بنصب المنجنيقات على ربضه واشتدّ القتال فملك المسلمون الربض وبقى الحصن وهو والربض على سطح جبل واحد الّا انّ بينهما خندقًا عظيمًا عمقه نحو ستّين ذراعًا فامر صلاح الدين بالقآء الاحجار والتراب فيه ليُطمّه فلم يقدر احد على الدنوّ منه لكثرة الرمى عليهم بالسهام من الجرخ والقوس والاحجار من المنجنيقات فامر ان يُبْنى بالاخشاب واللبن ما يمكن الرجال يمشون تحت السقايف ويلقون فى الخندق ما يطمّه ومنجنيقات المسلمين مع ذلك ترمى الحصن ليلًا ونهارًا ، وارسل مَن فيه من الفرنج الى ملكهم وفرسانهم يستمدّونهم ويعرّفونهم عجزهم وضعفهم عن حفظ الحصن فاجتمعت الفرنج عن اخرها وساروا الى نجدتهم عجلين فلمّا بلغ الخبر بمسيرهم الى صلاح الدين رحل عن الكرك الى طريقهم ليلقاهم ويصافقهم ويعود بعد ان يهزمهم الى الكرك فقرب منهم وخيّم ونزل ولم يمكنه الدنوّ منهم لخشونة الارض وصعوبة المسلك اليهم وضيقه فاقام ايّامًا ينتظر خروجهم من ذلك المكان ليتمكّن منهم فلم يبرحوا منه خوفًا على نفوسهم فلمّا راى ذلك رحل عنهم عدّة فراسخ وجعل بازائهم من يُعلمه بمسيرهم فساروا ليلًا الى الكرك فلمّا علم صلاح الدين ذلك علم انّه لا يتمكّن حينئذ ولا يبلغ غرضه فسار الى مدينة نابلس ونهب كلّ ما على طريقه من البلاد فلمّا وصل الى نابلس احرقها وخرّبها وقتل فيها واسر وسبى فاكثر وسار عنها الى سبسطيّة وبها مشهد زكرياء عم وبها كنيسة وبها جماعة اسرى من المسلمين فاستنقذهم ورحل الى جينين فنهبها

وخرّبها وعاد الى دمشق ونهب ما على طريقه وخرّبه وبثّ السرايا
في طريقه يمينًا وشمالًا يغنمون ويخرّبون ووصل الى دمشق ❊

ذكر مُلك الملثّمين بجاية وعودها الى اولاد عبد المؤمن

في هذه السنه في شعبان خرج علىّ ابن اسحق المعروف بابن غانية وهو من اعيان الملثّمين الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة الى بجاية فملكها وسبب ذلك انّه لمّا سمع بوفاة يوسف ابن عبد المؤمن عمّر اسطوله فكان عشرين قطعه وسار في جموعه فارسى في ساحل بجايه وخرجت خيله ورجاله من الشوانى فكانوا نحو مائتى فارس من الملثّمين واربعة آلاف راجل فدخل مدينة بجاية بغير قتال لانّه اتّفق انّ واليها سار عنها قبل ذلك بايّام الى مرّاكش ولم يترك فيها جيشًا ولا ممانعًا لعدم عدوّ يحفظها منه فجاءه الملثّم ولم يكن في حسابهم انّه يحدّث نفسه بذلك فارسى بها ووافقه جماعة من بقايا دولة بنى حمّاد وصاروا معه فكثر جمعه بهم وقويت نفسه فسمع خبره والى بجايه فعاد من طريقه ومعه من الموحّدين ثلثمائة فارس فجمع من العرب والقبائل الذين في تلك الجهات نحو الف فارس فسمع بهم الملثّم وبقربهم منه فخرج اليهم وقد صار معه قدر الف فارس وتوافقوا ساعة فانضاف جميع الجموع التى كانت مع والى بجايه الى الملثّم فانهزم حينئذ والى بجاية ومن معه من الموحّدين وساروا الى مرّاكش وعاد الملثّم الى بجاية فجمع جيشه وخرج الى اعمال بجاية فاطاعه جميعها الّا قسطنطينيّة الهوى فحصرها الى ان جاء جيش من الموحّدين من مرّاكش في صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة الى بجاية في البرّ والبحر وكان بها يحيى وعبد الله اخا[1] علىّ ابن اسحق الملثّم فخرجا منها هاربين ولحقا باخيهما فرحل عن القسطنطينيّة وسار الى افريقية وكان سبب ارسال الجيش من مرّاكش انّ والى بجاية وصل الى يعقوب ابن يوسف صاحب المغرب وعرّفه ما جرى بيجاية واستيلاء الملثّمين عليها وخوّفه عاقبة التوانى فجهّز العساكر في البرّ عشرين الف فارس وجهّز الاسطول في البحر في خلق كثير واستعادوها ❊

[1] اخو

ذكر وفاة صاحب ماردين ومُلك ولده

فى هذه السنة مات قطب الدين ايلغازى بن نجم الدين بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وملك بعد ابيه حسام الدين بولق ارسلان وهو طفل وقام بتربيته وتدبير مملكته نظام الدين البقش مملوك ابيه وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم فى دولته وهو رتّب البقش مع ولده وكان البقش دينًا خيّرًا عادلًا حسن السيرة سليمًا فاحسن تربية الولد وتزوّج امّه فلمّا كبر الولد لم يمكّنه النظام من مملكته لخبط وهوج كان فيه كان لهذا نظام الدين مملوك اسمه لؤلؤ قد تحكّم فى دولته وحكم فيها فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد ولم يزل الامر كذلك الى ان مات الولد وله اخ اصغر منه لقبه قطب الدين فرتّبه النظام فى المُلك وليس له منه الّا الاسم والحكم الى النظام ولؤلؤ فبقى كذلك الى سنة احدى وستّمائة فمرض النظام البقش فاتاه قطب الدين يعوده فلمّا خرج من عنده خرج معه لؤلؤ وضربه قطب الدين بسكّين معه فقتله ثم دخل الى النظام وبيده السكّين فقتله ايضًا وخرج وحده ومعه غلام له والقى الراسين الى الاجناد وكانوا كلّهم قد انساهم النظام ولؤلؤ فاذعنوا له بالطاعة فلمّا تمكّن اخرج مَن اراد وترك مَن اراد واستولى على قلعة ماردين واعمالها وقلعة البارعيّة وصور وهو الى الآن حاكم فيها حازم فى افعاله ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ اسمعيل بن شيخ الشيوخ ابى سعيد احمد فى شعبان وكان قد سار فى ديوان الخلافة رسولًا الى صلاح الدين ومعه شهاب الدين بشير الخادم فى معنى الصلح بينه وبين عزّ الدين صاحب الموصل فوصل دمشق وصلاح الدين يحصر الكرك فاقاما الى ان عاد فلم يستقرّ فى الصلح امرٌ ومرضا وطلبا العودة الى العراق فاشار عليهما صلاح الدين بالمقام الى ان يصطلحا فلم يفعلا وساروا فى الحرّ هات بشير بالسخنة[1]

---

[1]) بالسحنة

ومات صدر الدين بالرحبة ودفن بمشهد البوق وكان واحد زمانه قد جمع بين رياسة الدين والدنيا وكان ملجأ لكلّ خايف صالحًا كريمًا حليمًا وله مناقب كثيرة ولم يستعمل في مرضه هذا دواء توكّلًا على الله تعالى، وفيها توفّي عبد اللطيف ابن محمّد بن عبد اللطيف الخجنديّ الفقيه الشافعيّ رئيس اصفهان وكان موته بباب همدان وقد عاد من الحجّ وله شعر فمنه

يا سقى الله الحمى من مربع بالحِمى دارٌ سقاها مدمعى
هل الى وادى الغضى من مرجع ليت شعرى والامانى ضلّة
ما على علوة لو لم تسمع اذنت علوة للواسى بنا
او رعتْ عنّى فما قلبى معى او تحرّت رشدًا فيما وشى

رحمه الله ورضى عنه وارضاه

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وخمسماية،

سنة ٥٨١

ذكر حصر صلاح الدين الموصل ورحيله عنها لوفاة شاه ارمن

في هذه السنة حصر صلاح الدين يوسف ابن ايّوب الموصل مرّة ثانية وكان مسيره من دمشق في ذى القعدة من السنة الماضية فوصل الى حلب واقام بها الى ان خرجت السنة وسار منها فعبر الى ارض الجزيرة فلمّا وصل حرّان قبض على مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين الذى كان سبب مُلكه الديار الجزريّة وسبب قبضه عليه انّ مظفّر الدين كان يراسل صلاح الدين كلّ وقت ويشير عليه بقصد الموصل ويُحسّن له ذلك ويقوّى طمعه حتّى انّه بذل له اذا سار اليها خمسين الف دينار فلمّا وصل صلاح الدين الى حرّان لم يف له بما بذل من المال وانكر ذلك فقبض عليه ووكّل به ثم اطلقه واعاد اليه مدينتَى حرّان والرها وكان قد اخذهما منه وانّما اطلقه لانّه خاف انحراف الناس عنه بالبلاد الجزريّة لانّهم كلّهم علموا ما اعتمده مظفّر الدين معه من تمليك البلاد فاطلقه، وسار صلاح الدين عن حرّان في ربيع الاوّل فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ومعزّ الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة وهو ابن اخى عزّ الدين صاحب الموصل وكان قد فارق طاعة عمّه بعد قبض مجاهد الدين وسار مع صلاح الدين الى الموصل فلمّا وصلوا

الى مدينة بلد سيّر اتابك عزّ الدين والدته الى صلاح الدين ومعها ابنة عمّه نور الدين محمود بن زنكى وغيرهما من النسآء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون منه المصالحة وبذلوا له الموافقة والانجاد بالعساكر ليعود عنهنّ وانّما ارسلهنّ لانّه وكلّ مَن عنده ظنّوا انّهنّ اذا طلبن منه الشام اجابهنّ الى ذلك لاسيّما ومعهنّ ابنة مخدومه وولىّ نعمته نور الدين فلمّا وصَلْنَ اليه انزلهنّ واحضر اصحابه واستشارهم فيما يفعله ويقوله فاشار اكثرهم باجابتهنّ الى ما طلبن منه وقال له الفقيه عيسى وعلىّ ابن احمد المشطوب وهما من بلد الهكّاريّة من اعمال الموصل مثل الموصل لا يترك لامراة فانّ عزّ الدين ما ارسلهن الّا وقد عجز عن حفظ البلد ووافق ذلك هواه فاعادهنّ خايبات واعتذر باعذار غير مقبولة ولم يكن ارسالهنّ عن ضَعْف ووهن انّما ارسلهنّ طلبًا [لدفع][1] للشرّ بالتى هى احسن، فلمّا عُدْن رحل صلاح الدين الى الموصل وهو كالمتيقّن انّه يملك البلد وكان الامر بخلاف ذلك فلمّا قارب البلد نزل على فرسخيْن منه وامتدّ عسكره فى تلك الصحرآء بنواحى المحلّة المَرافيّة وكان يجرى بين العسكريْن مناوشات بظاهر الباب العمادىّ وكنتُ اذذاك بالموصل وبذل العامّة نفوسهم غيظًا وحنقًا لردّه النسآء فراى صلاح الدين ما لم يكن بحسبه فندم على ردّه النسآء ندامة الكُسْعى حيث فاته الذكر ومُلك البلد وعاد على الذين اشاروا بردّهنّ باللوم والتوبيخ وجآته كُتُب القاضى الفاضل وغيره ممّن ليس له هوى فى الموصل يقبّحون فعله وينكرونه، واتاه وهو على الموصل زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل فانزله ومعه اخوه مظفّر الدين كوكبرى وغيرهما من الامرآء بالجانب الشرقىّ من الموصل وسيّر من المنزلة علىّ بن احمد المشطوب الهكارىّ الى قلعة الجزيرة من بلد الهكّاريّة فحصرها واجتمع عليه من الاكراد والهكّاريّة كثير وبقى هناك الى ان رحل صلاح الدين عن الموصل وكان عامّة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقىّ من العسكر ويعودون، ولمّا كان صلاح الدين يحاصر الموصل

[1]) C. P. et 740.

بلغ اتابك عزّ الدين صاحبها انّ نايبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود الى القلعة وعاد يقتدى برای مجاهد الدين وكان قد اخرجه كما ذكرناه ويصدر عن رايه وضبط الامور واصلح ما كان فسد من الاحوال حتّى آل الامر الى الصلح على ما نذكره ان شآء الله وحضر عند صلاح الدين انسان بغدادىّ اقام بالموصل ثمّ خرج الى صلاح الدين فاشار عليه بقطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى وقال انّ دجلة اذا نقلت عن الموصل عطش اهلها فملكناها بغير قتال فظنّ صلاح الدين انّ قوله صدقًا فعزم على ذلك حتّى علم انّه لا يمكن قطعه بالكلّيّه فانّ المدّة تطول والتعب يكثر ولا فايدة ورآه وقبّحه عنده اصحابه فاعرض عنه، واقام بمكانه من اوّل ربيع الاخر الى ان قارب اخره ثمّ رحل عنها الى ميّافارقين وكان سبب ذلك انّ شاه ارمن صاحب خلاط توفّى بها تاسع ربيع الاخر فوصل الخبر بوفاته فى العشرين منه فعزم على الرحيل اليها وتملّكها حيث انّ شاه ارمن لم يخلّف ولدًا ولا احدًا من اهل بيته يملك بلاده بعده وانّما قد استولى عليها مملوك له اسمه بكتمر ولقبه سيف الدين فاستشار صلاح الدين امرآءه ووزرآءه فاختلفوا فامّا مَن هواه بالموصل فيشير بالمقام وملازمه الحصار لها وامّا مَن يكره أذى البيت الاتابكىّ فانّه اشار بالرحيل وقال انّ ولاية خلاط اكبر واعظم وهى سايبة لا حافظ لها وهذه لها سلطان يحفظها ويذبّ عنها واذا ملكنا تلك سهُل امر هذه وغيرها فتردّد فى امره فاتّفق انّه جآءه كُتُب جماعة من اعيان خلاط من اهلها وامرآيها يستدعونه ليسلّموا اليه البلد فسار عن الموصل وكانت مكاتبة مَن كاتبه خديعة ومكرًا فانّ شمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان وتلك المملكة قد قصدهم لياخذ البلاد منهم وكان قبل ذلك قد زوّج شاه ارمن على كبر سنّه بنتًا له ليجعل ذلك طريقًا الى مُلك خلاط واعمالها فلمّا بلغهم مسيره اليهم كاتبوا صلاحَ الدين يستدعونه اليهم ليسلّموا البلد اليه ليدفعوا به البهلوان ويدفعوه بالبهلوان ويبقى البلد بايديهم فسار صلاح الدين وسيّر فى مقدمته ابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه ومظفّر الدين بن زين الدين وغيرهما فساروا الى خلاط ونزلوا بطوانه

بالقرب من خلاط وسار صلاح الدين الى ميّافارقين وامّا البهلوان فانّه سار الى خلاط ونزل قريبًا منها وتردّدت رسل اهل خلاط بينهم وبينه وبين صلاح الدين ثم انّهم اصلحوا امرهم مع البهلوان وصاروا من حزبه وخطبوا له ✿

ذكر وفاة نور الدين صاحب الحصن

فى هذه السنة توفّى نور الدين محمّد بن قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن وآمد لمّا كان صلاح الدين على الموصل وخلّف ابنيْن فملك الاكبر منهما واسمه سقمان ولقبه قطب الدين وتولّى تدبير الامور وزيره القوام بن سماقا الاسعردىّ وكان عماد الدين بن قرا ارسلان قد سيّره اخوه نور الدين فى عساكره الى صلاح الدين وهو يحاصر الموصل وهو معه فلمّا بلغه خبر وفاة اخيه سار ليملك البلاد بعده لصغر اولاده فتعذّر عليه ذلك فسار الى خرت برت فملكها وهى بيد اولاده الى سنة عشرين وستّمائة ولمّا حصر صلاح الدين ميّافارقين حضر عنده ولد نور الدين فاقرّه على مُلك ابيه ومن جملته آمد وكانوا خافوا ان ياخذها منهم فلم يفعل وردّهم الى بلادهم وشرط عليهم ان يراجعوه فيما يفعلونه ويصدرون عن امره ونهيه ورتّب معه اميرًا لقبه صلاح الدين من اصحاب ابيه ✿

ذكر مُلك صلاح الدين ميّافارقين

لمّا سار صلاح الدين الى خلاط جعل طريقه على ميّافارقين مطمع مُلكها حيث كان صاحبه قطب الدين صاحب ماردين قد توفّى كما ذكرنا وملك بعده ابنه وهو طفل وكان حكمها الى شاه ارمن وعسكره فيها فلمّا توفّى طمع فى اخذها فلمّا نازلها رءاها مشحونه بالرجال وبها زوجة قطب الدين المتوفّى ومعها بنات لها منه وهى اخت نور الدين محمّد صاحب الحصن فاقام صلاح الدين عليها يحصرها من اوّل جمادى الاولى وكان المقدّم على اجنادها اميرًا اسمه برنقش [1] ولقبه اسد الدين وكان شجاعًا شهمًا يحفظ البلد فاحسن اليه واشتدّ القتال عليه

---

[1] Variat scriptura in tribus codicibus inter برنعش et برنعش

ونُصبت المنجنيقات والعرادات فلم يصل صلاح الدين الى ما يريد منها فلمّا راى ذلك عدل من القوّة والحرب الى اعمال الحيلة فراسل امراة قطب الدين المقيمة بالبلد يقول لها انّ اسد الدين برنقش قد مال الينا فى تسليم البلد ونحن نرعى حقّ اخيك[1] نور الدين فيك بعد وفاته ونريد يكون لك فى هذا الامر نصيب واما ازوّج بناتك باولادى وتكون ميّافارقين وغيرها لك وبحكمك ووضع مَن ارسل الى الاسد يعرّفه انّ الخاتون قد مالت للمعاربة والانعياد الى السلطان وانّ مَن بخلاط قد كاتبوه ليسلّموا اليه فخُذْ لنفسك واتّفق انّ رسولاً وصله من خلاط يبذلون له الطاعة وقالوا له من الاستدعآء اليهم ما كانوا يقولونه فامر صلاح الدين الرسول فدخل الى ميّافارقين وقال للاسد انت عمّن تقاتل وانا قد جيت فى تسليم خلاط الى صلاح الدين فسقط فى يده وضعفت قوّته وارسل يقترح اقطاعًا ومالاً فاجيب الى ذلك وسلّم البلد سلخ جمادى الاولى وعقد النكاح لبعض اولاده على بعض بنات خاتون وافرّ بيدها قلعة هتّاخ لتكون فيها هى وبناتها ✿

ذكر عود صلاح الدين الى بلد الموصل والصلح بينه وبين اتابك عزّ الدين

لمّا فرغ صلاح الدين من امر ميّافارقين واحكم قواعدها وقرّر اقطاعاتها وولاياتها اجمع على العود الى الموصل فسار نحوها وجعل طريقه على نصيبين فوصل الى كفرزمار والزمان شتآء فنزلها فى عساكره وعزم على المقام بها واقطاع جميع بلاد الموصل وأَخْذ غلّاتها وتَخْلها واضعاف الموصل بذلك اذا علم انّه لا يمكنه التغلّب عليها وكان نزوله فى شعبان واقام بها شعبان ورمضان وتردّدت الرسل بينه وبين عزّ الدين صاحب الموصل وصار مجاهد الدين براسل ويتقرّب وكان قوله مقبولاً عند سائر الملوك لما علموا من صحّته فبينما الرسل تتردّد فى الصلح اذ مرض صلاح الدين وسار من كفرزمار عايدًا الى حرّان فلحقه الرسل بالاجابة الى ما طلب فتقرّر الصلح وحلف على ذلك وكانت القاعدة ان يسلّم اليه عزّ الدين شهرزور واعمالها وولاية القرابلىّ وجميع ما ورآء الزاب

[1] اخوك

من اعمال وان يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكّة فلمّا حلف ارسل رسله فحلّف عزّ الدين له وتسلّم البلاد التى استقرّت القاعدة على تسليمها ؛ ووصل صلاح الدين الى حرّان فاقام بها مريضًا وامنت الدنيا وسكنت الدهماء وانحسمت مادّة الفتن وكان ذلك بتوصّل مجاهد الدين قايماز رحمه الله واما صلاح الدين فانّه طال مرضه بحرّان وكان عنده من اهله اخوه الملك العادل وله حينئذ حلب وولده الملك العزيز عثمان واشتدّ مرضه حتّى ايسوا من عافيته فحلّف الناسَ لاولاده وجعل لكلّ منهم شيأً من البلاد معلومًا وجعل اخاه العادل وصيًّا على الجميع ثم انّه عوفى وعاد الى دمشق فى المحرّم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ؛ ولمّا كان مريضًا بحرّان كان عنده ابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص فاجتاز بحلب واحضر جماعة من الدمشقيّين وواعدهم على تسليم البلد اليه اذا مات صلاح الدين واقام بحمص ينتظر موته ليسير الى دمشق فيملكها فعوفى وبلغه الخبر على جهته فلم يمض غير قليل حتّى مات ابن شيركوه ليلة عيد الاضحى فانّه شرب الخمر واكثر منه فاصبح ميّتًا فذكروا والعهدة عليهم انّ صلاح الدين وضع انسانًا يقال له الناصح بن العميد وهو من دمشق فحضر عنده ونادمه وسقاه سُمًّا فلمّا اصبحوا من الغد لم يروا الناصح فسالوا عنه فقيل انّه سار من ليلته الى صلاح الدين فكان هذا ممّا قوّى الظنّ فلمّا توفّى اعطى اقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتى عشرة سنة وخلّف ناصر الدين من الاموال والخيل والالات شيأً كثيرًا فحضر صلاح الدين فى حمص واستعرض تركته واخذ اكثرها ولم يترك الّا ما لا خير فيه وبلغنى انّ شيركوه بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين بعد موت ابيه بسنة فقال له الى اين بلغتَ من القرآن فقال الى قوله تعالى إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا[1] فعجب صلاح الدين والحاضرون من ذكائه ☆

[1]) Cor. 4. 11.

ذكر الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل

فى هذه السنة ابتدات الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور واذربيجان وقُتل فيها من الخلق ما لا يُحصى ودامت عدّة سنين وتقطّعت الطرق ونُهبت الاموال وأُريقت الدماء وكان سببها انّ امراة من التركمان تزوّجت بانسان تركمانىّ واجتازوا فى طريقهم بقلعة من الزوزان الاكراد فجاء اهلها وطلبوا من التركمان وليمة العُرس فامتنعوا من ذلك وجرى بينهم كلام صاروا منه الى القتال فنزل صاحب تلك القلعة فاخذ الزوج فقتله فهاجت الفتنة وقام التركمان على ساق وقتلوا جمعًا كثيرًا من الاكراد وثار الاكراد فقتلوا من التركمان ايضًا كذلك وتفاقم الشرّ ودام ثم انّ مجاهد الدين قايماز رحمه الله جمع عنده جمعًا من روساء الاكراد والتركمان واصلح بينهم واعطاهم الخلع والثياب وغيرها واخرج عليهم مالاً جمًّا فانقطعت الفتنة وكفى الله شرّها وعادوا الى ما كانوا عليه من الطمانينة والامان ✿

ذكر مُلك الملثّمين والعرب افريقية وعودها الى الموحّدين

قد ذكرنا سنة ثمانين مُلك علىّ بن اسحق الملثّم بجاية وارسال يعقوب بن يوسف بن عبد المومن العساكر واستعادتها فسار الى افريقية فلمّا وصل اليها اجتمع سُليم ورياح[1] ومن هناك من العرب وانضاف اليهم الترك الذين كانوا قد دخلوا من مصر مع شرف الدين قراقوش وقد تقدّم ذكر وصوله اليها ودخل ايضًا من اتراك مصر مملوك لتقى الدين بن اخى صلاح الدين اسمه بوزابه فكثر جمعهم وقويت شوكتهم فلمّا اجتمعوا بلغت عدّتهم مبلغًا كثيرًا وكلّهم كارة لدولة الموحّدين واتّبعوا جميعهم علىّ بن اسحق الملثّم لانّه من بيت المملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقّبوه بامير المسلمين وقصدوا بلاد افريقية فملكوها جميعها شرقًا وغربًا الّا مدينتَين تونس والمهديّة فانّ الموحّدين اقاموا بها وحفظوها على خوف وضيق وشدّة وانضاف الى المفسد الملثّم

[1] ورياح

كلّ مفسد فى تلك الارض ومَن يريد الفتنة والنهب والفساد والشرّ فخرّبوا البلاد والحصون والقُرى وهتكوا الحُرَم وقطعوا الاشجار، وكان الوالى على افريقية حينئذ عبد الواحد ابن عبد الله الهنتاتىّ[1] وهو بمدينة تونس فارسل الى ملك المغرب يعقوب وهو بمرّاكش يُعلمه الحال وقصد الملثّم جزيرة باشرا وهى بقرب تونس تشتمل على قرى كثيرة فنازلها واحاط بها فطلب اهلها منه الامان فامّنهم فلمّا دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الاموال والدوابّ والغلّات وسلبوا الناس حتّى ثيابهم وامتدّت الايدى الى النسآء والصبيان وتركوهم فلكى فقصدوا مدينة تونس فامّا الاقويا فكانوا يخدمون ويعملون ما يقوم بقوّتهم وامّا الضعفآء فكانوا يستعطون ويسئلون الناس ودخل عليهم فصل الشتآء فاهلكهم البرد ووقع فيهم الوبآء فاحصى الموتى منهم فكانوا اثنا عشر الفًا هذا من موضع واحد فما الظنّ بالباقى ولمّا استولى الملثّم على افريقية قطع خطبة اولاد عبد المؤمن وخطب للامام الناصر لدين الله الخليفة العبّاسىّ وارسل اليه يطلب الخلع والاعلام السود، وقصد فى سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فحصرها فاخرج اهلها الموحّدين من عساكر ولد عبد المؤمن وسلّموها الى الملثّم فرتّب فيها جندًا من الملثّمين والاتراك وحصّنها بالرجال مع حصانتها فى البنآء، وامّا يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فانّه لمّا وصله الخبر اختار من عساكره عشرين الف فارس من الموحّدين وقصد قلّة العسكر لعلّة القوت فى البلاد ولما جرى فيها من التخريب والاذى وسار فى صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فوصل الى مدينة تونس وارسل ستّة الاف فارس مع ابن اخيه فساروا الى على بن اسحق الملثّم ليقاتلوه وكان بقفصة فوافَوْه وكان مع الموحّدين جماعة من الترك فخامروا عليهم فانهزم الموحّدون وقُتل جماعة من مقدّميهم وكان ذلك فى ربيع الاوّل سنة ثلاث وثمانين، فلمّا بلغ يعقوبَ الخبر اقام بمدينة تونس الى نصف رجب من السنة ثمّ خرج فيمن معه من العساكر بطلب الملثّم والاتراك فوصل اليهم فالتقوا بالقرب من مدينة

---

[1] الهنتاتى

قابس واقتتلوا فانهزم الملثم ومن معه فاكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفنونهم فلم ينج منهم الا القليل فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه الى قابس ففتحها واخذ منها اهل قراقوش واولاده وحملهم الى مراكش وتوجه الى مدينة قفصة فحصرها ثلاثة اشهر وقطع اشجارها وخرب ما حولها فارسل اليه الترك الذين فيها يطلبون الامان لانفسهم ولاهل البلد فاجابهم الى ذلك وخرج الاتراك منها سالمين وسير الاتراك الى الثغور لما راى من شجاعتهم ونكايتهم فى العدو وتسلم يعقوب البلد وقتل من فيه من الملثمين وهدم اسواره وترك المدينة مثل قرية وظهر ما انذر به المهدى بن تومرت فانه قال انها تخرب اسوارها وتقطع اشجارها وقد تقدم ذكر ذلك، فلما فرغ يعقوب من امر قفصة واستقامت افريقية عاد الى مراكش وكان وصوله اليها سنة اربع وثمانين وخمسماية ☆

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة فارق الرضى ابو الخير اسمعيل القزوينى الفقيه الشافعى بغداد وكان مدرس النظامية بها وعاد الى قزوين ودرس فيها بعده الشيخ ابو طالب المبارك صاحب ابن الخل وكان من العلماء الصالحين، وفيها كان بين اهل الكرخ ببغداد وبين اهل باب البصرة فتنة عظيمة جرح فيها كثير منهم وقتل ثم اصلح النقيب الطاهر بينهم، وفيها توفى الفقيه مهذب الدين عبد الله ابن اسعد الموصلى وكان عالما بمذهب الشافعى وله نظم ونثر اجاد فيه وكان من محاسن الدنيا وكانت وفاته بحمص ☆

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسماية،

سنة ٥٨٢

ذكر نقل العادل من حلب والملك العزيز الى مصر واخراج الافضل من مصر الى دمشق واقطاعه اياها

فى هذه السنة اخرج صلاح الدين ولده الافضل عليا من مصر الى دمشق واقطعها له واخذ حلب من اخيه العادل وسيره مع ولده العزيز عثمن الى مصر وجعله نائبا عنه واستدعى تقى الدين منها وسبب ذلك انه كان قد استناب تقى الدين بمصر كما ذكرناه

وجعل معه ولده الاكبر الافضل علىّ فارسل تقى الدين يشكو من الافضل ويذكر انّه قد حجر من جباية الخراج معه لانّه كان حليمًا كريمًا اذا اراد تقى الدين معاقبة احد منعه فاحضر ولدَه الافضل وقال لتقى الدين لا تحتجّ فى الخراج وغيره بحجّة وتغيّر عليه بذلك وظنّ انّه يريد اخراج ولده الافضل لينفرد بمصر حتّى يملكها اذا مات صلاح الدين فلمّا قوى هذا الخاطر عنده احضر اخاه العادل من حلب وسيّره الى مصر ومعه ولده العزيز عثمن واستدعى تقى الدين الى الشام فامتنع من الحضور وجمع الاجناد والعساكر ليسير الى المغرب الى مملوكه قراقوش وكان قد استولى على جبال نفوسة وبرقة وغيرها وقد كتب اليه يرغبه فى تلك [البلاد] فتجهّز للسفر اليه واستصحب معه اجناد العسكر واكثر منهم ، فلمّا سمع ذلك صلاح الدين ساءه وعلم انّه ان ارسل اليه يمنعه لم يُجبه فارسل اليه يقول له اريد ان تحضر عندى لاودّعك واوصيك بما تفعله فلمّا حضر عنده منعه وزاد فى اقطاعه فصار اقطاعه حماة ومنبج والمعرّة وكفرطاب وميّافارقين وجبل جور بجميع اعمالها وكان تقى الدين قد سيّر فى مقدّمته مملوكه بوزابة فاتّصل بقراقوش وكان منهم ما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، وقد بلغنى من خبير باحوال صلاح الدين انّه انّما حمله على اخذ حلب من العادل واعادة تقى الدين الى الشام انّ صلاح الدين لمّا مرض بحرّان على ما ذكرناه ارجف بمصر انّه قد مات فجرى من تقى الدين حركات مَن يريد يستبدّ بالملك فلمّا عوفى صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكّارىّ وكان كبير القدر عنده مطاعًا فى الجند الى مصر وامره باخراج تقى الدين والمقام بمصر فسار مجدًّا فلم يشعر تقى الدين الّا وقد دخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وارسل اليه يامره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهّز فلم يفعل وقال تقيم خارج [المدينة] وتتجهّز فخرج واظهر انّه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئتَ فلمّا سمع صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فسار الى الشام فاحسن اليه ولم يُظهر له شيئًا ممّا

كان لانّه كان حليمًا كريمًا صبورًا رحمه الله ٭ واما اخذ حلب من العادل فانّ السبب فيه انّه كان من جملة جندها اميرٌ كبيرٌ اسمه سليمان بن جندر بينه وبين صلاح الدين صحبة قديمة قبل المُلك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلًا ذا مكر ودهآء فاتّفق انّ الملك العادل لمّا كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنّه وقدّم غيره عليه فتاثّر بذلك فلمّا مرض صلاح الدين وعوفى سار الى الشام فسايره يومًا سليمان بن جندر فجرى حديث مرضه فقال له سليمان باىّ راى كنتَ تظنّ انّك توصى الى الصيد فلا يخالفونك بالله ما تستحى يكون الطاير أهْدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا اراد الطاير ان يعمل عشًّا لفراخه قصد اعالى الشجر ليحمى فراخه وانت سلّمتَ الحصونَ الى اهلك وجعلت اولادك على الارض هذه حلب بيد اخيك وحماة بيد تقى الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقى الدين بمصر يُخرجه اىّ وقت اراد وهذا ابنك الاخر مع اخيك فى خيمه يفعل به ما اراد فقال له صدقتَ واكتم هذا الامر ثم اخذ حلب من اخيه واخرج تقى الدين من مصر ثم اعطى اخاه العادل حرّان والرها وميّافارقين ليخرجه من الشام ومصر لتبقى لاولاده فلم ينفعه ما فعل لمّا اراد الله تعالى نقْل الملك عن اولاده على ما نذكره ٭

ذكر وفاة البهلوان ومُلك اخيه قزل

فى هذه السنة فى اوّلها توفّى البهلوان محمّد بن ايلدكز صاحب بلد الجبل والرىّ واصفهان واذربيجان واراّنيه وغيرها من البلاد وكان عادلًا حسنَ السيرة عاقلًا حليمًا ذا سياسة حسنة للمُلك وكانت تلك البلادُ فى ايّامه آمنةً والرعايا مطمينةً فلمّا مات جرى باصفهان بين الشافعيّة والحنفيّة من الحروب والقتل والاحراق والنهب ما يجلّ عن الوصف وكان قاضى البلد راس الحنفيّة وابن الخجندى[1] راس الشافعيّة وكان بمدينة الرىّ ايضًا فتنة عظيمة بين السُنّه والشيعة وتفرّق اهلها

---

1) الخحندى

وقُتل منهم وخربت المدينة وغيرها من البلاد ولمّا مات البهلوان ملك اخوه قزل ارسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه مع البهلوان والخطبة له فى البلاد بالسلطنة وليس له من الامر شىءٌ وانّما البلاد والامرآء والاموال بحكم البهلوان فلمّا مات البهلوان خرج طغرل عن حكم قزل ولحق به جماعة من الامراء والجند فاستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب نذكرها ان شآء الله تعالى ☆

[ذكر اختلاف الفرنج بالشام وانحياز القمص صاحب طرابلس الى صلاح الدين][1]

كان القمص صاحب طرابلس واسمه ريمند بن ريمند الصنجيلىّ قد تزوّج بالقومصة صاحبة طبريّة وانتقل اليها واقام عندها بطبريّة ومات الملك الفرنجى بالشام وكان مجذومًا واوصى بالملك الى ابن اخت له وكان صغيرًا فكفله القمص وقام بسياسة الملك وتدبيره لانّه لم يكن للفرنج ذلك الوقت اكبر منه شانًا ولا اشجع ولا اجود رايًا منه فطمع فى المُلك بسبب هذا الصغير فاتّفق انّ الصغير توفّى فانتقل الملك الى امّه فبطل ما كان القمص يحدّث نفسه ثمّ انّ هذه الملكة هويت رجلًا من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كى فتزوّجتْه ونقلتْ الملك اليه وجعلتْ التاج على راسه واحضرتْ البطرك والقسوس والرهبان والاسبتاريّة والداويّة والبارونيّة[2] واعلمتْهم انّها قد ردّت المُلك اليه واشهدتْهم عليها بذلك فاطاعوه ودانوا له فعظم ذلك على القمص وسقط فى يديه وطولب بحساب ما جبى من الاموال مدّة ولاية الصبىّ فادّعى انّه انفقه عليه وزاده ذلك نفورًا وجاهر بالمشاققة والمباينة وراسل صلاحَ الدين وانتمى اليه واعتضد به وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج ففرح صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعده النصرة والسعى له فى كلّ ما يريد وضمن له انّه يجعله ملكًا مستقلًا للفرنج قاطبةً وكان عنده جماعة من فرسان القمص فاطلقهم فحلّ ذلك عنده

[1]) C. P. et 740. [2]) البارونية

اعظم محلّ واظهر طاعة صلاح الدين ووافقه على ما فعل جماعة من الفرنج فاختلفت كلمتهم وتفرّق شملهم وكان ذلك من اعظم الاسباب الموجبة لفتح بلادهم واستنقاذ البيت المقدّس منهم على ما نذكره ان شآء الله ، وسيّر صلاح الدين السرايا من ناحية طبريّة فشنّت الغارات على بلاد الفرنج وخرجت سالمة غانمة فوهن الفرنج بذلك وضعفوا وتجرّا المسلمون عليهم وطمعوا فيهم ۞

ذكر غدر البرنس ارناط

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من اعظم الفرنج واخبثهم واشدّهم عداوة للمسلمين واعظمهم ضررًا عليهم فلمّا راى صلاح الدين ذلك منه قصده بالحصر مرّة بعد مرّة وبالغارة على بلاده كرّة بعد اخرى فذلّ وخضع وطلب الصلح من صلاح الدين فاجابه الى ذلك وهادنه وتحالفا وتردّدت القوافل من الشام الى مصر ومن مصر الى الشام فلمّا كان هذه السنة اجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة صالحة من الجند فغدر اللعين بهم واخذهم عن اخرهم وغنم اموالهم ودوابّهم وسلاحهم واودع السجون مَن اسره منهم فارسل اليه صلاح الدين يلومه ويقبّح فعله وغدره ويتوعده ان لم يطلق الاسرى والاموال فلم يجب الى ذلك واصرّ على الامتناع فنذر صلاح الدين نذرًا ان يقتله ان ظفر فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر عدّة حوادث

كان المنجّمون قديمًا وحديثًا قد حكموا انّ هذه السنة التاسع والعشرين من جمادى الاخرة تجتمع الكواكب الخمسة فى برج الميزان ويحدث باقترانها رياح شديدة فلم يكن لذلك صحّة ولم يهبّ من الرياح شئ البتّة حتى انّ الغلال الحنطة والشعير تاخّر نجازها لعدم الهوى الذى يذرّى به الفلّاحون فاكذب الله احدوثة المنجّمين واخزاهم ، وفيها توفّى عبد الله بن برّى بن عبد الجبّار ابن برّى النحوىّ المصرىّ وكان امامًا فى النحو رحمه الله تعالى ۞

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسماية ، سنة ٥٨٣

اتفق اوّل هذه السنة يوم السبت وهو يوم النوروز السلطانى ورابع عشر اذار سنة الف واربع مايّة وثمان وتسعين اسكندريّة وكان القمر والشمس فى الحمل واتّفق اوّل سنة العرب واوّل سنة الفرس التى جدّدوها اخيرًا واوّل سنة الروم والشمس والقمر فى اوّل البروج وهذا يبعد وقوع مثله ؞

ذكر حصر صلاح الدين الكرك

فى هذه السنة كتب صلاح الدين الى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد وكتب الى الموصل وديار الجزيرة واربل وغيرها من بلاد الشرق والى مصر وساير بلاد الشام يدعوهم الى الجهاد ويحثّهم عليه ويامرهم بالتجهّز له بغاية الامكان ثم خرج من دمشق اواخر المحرّم فى عسكرها وحلقتها الخاصّ فسار الى راس الماء وتلاحقت به العساكر الشاميّة فلمّا اجتمعوا جعل[1] عليهم ولدَه الملك الافضل عليًّا ليجتمع اليه مَن يرد اليه منها وسار هو الى بُصْرى جريدة وكان سبب مسيره وقصده اليها انّه اتته الاخبار انّ البرنس ارناط صاحب الكرك يريد ان يقصد الحجاج لياخذهم من طريقهم واظهر انّه اذا فرغ من اخذ الحجاج يرجع الى طريق العسكر المصرىّ يصدّهم عن الوصول الى صلاح الدين فسار الى بُصْرى ليمنع البرنس ارناط من طلب الحجاج ويلزم بلده[2] خوفًا عليه وكان من الحجاج جماعة من اقاربه منهم محمّد بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين وغيره فلمّا سمع ارناط بقرب صلاح الدين من بلده لم يفارقه وانقطع عمّا طمع فيه فوصل الحاجّ سالمين فلمّا وصلوا وفرغ سرّه من جهتهم سار الى الكرك وبثّ سراياه من هناك على ولاية الكرك والشوبك وغيرهما فنهبوا وخرّبوا واحرقوا والبرنس محصور لا يقدر على المنع عن بلده وساير الفرنج قد لزموا طرق بلادهم خوفًا من العسكر الذى مع ولده الافضل فتمكّن من الحصر والنهب والحريق والتخريب هذا فعل صلاح الدين ؞

---

1) وجعل 2) ولده

ذكر الغارة على بلد عكا

ارسل صلاح الدين الى ولده الافضل يامره ان يرسل قطعةً صالحةً من الجيش الى بلد عكا ينهبونه ويخرّبونه فسيّر مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين وهو صاحب حرّان والرها واضاف اليه قايماز النجميّ ودلدرم الياقوتيّ وهما من اكابر الامرآء وغيرهما فساروا ليلاً وصبّحوا صفوريّة اواخر صفر فخرج اليهم الفرنج فى جمع من الداويّة والاسبتاريّة وغيرهما فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود ثم انزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الفرنج وقُتل منهم جماعة وأُسر الباقون وفيمن قُتل مقدّم الاسبتاريّة وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمة فى المسلمين ونهب المسلمون ما جاورهم من البلاد وغنموا وسبوا وعادوا سالمين وكان عودهم على طبريّة وبها القمص فلم ينكر ذلك فكان فتحًا كثيرًا فانّ الداويّة والاسبتاريّة هم جمرة الفرنج وسُيّرت البشاير الى البلاد بذلك ۞

ذكر عود صلاح الدين الى عسكره ودخوله الى الفرنج

لمّا اتت صلاحَ الدين البشارة بهزيمة الاسبتاريّة والداويّة وقَتْل من قُتل منهم وأَسْر مَن أُسر منهم عاد عن الكرك الى العسكر الذى مع ولده الملك الافضل وقد تلاحقت ساير الامرآء والعساكر واجتمع بهم وساروا جميعًا وعرض العسكر فبلغت عدّتهم اثنى عشر الف فارس ممّن له الاقطاع والجامكيّة سوى المتطوّعة فعبّا عسكره قلبًا وجناحيْن وميمنة وميسرة وجالشيّة وساقة وعرف كلّ منهم موضعه وموقفه وامره بملازمته وسار على تعبيّة فنزل بالاقحوانة بقرب طبريّة وكان القمص قد انتمى الى صلاح الدين كما ذكرنا وكُتبه متّصلة اليه يعده النصرة ويمنيه المعاضدة وما يعدهم الشيطان الّا غرورًا فلمّا راى الفرنج العساكر الاسلاميّة وتصميم العزم على قصد بلادهم ارسلوا الى القمص البطرك والقسوس والرهبان وكثيرًا من الفرسان فانكروا عليه انتمآءه الى صلاح الدين وقالوا له لا شكّ اسلمتَ والّا لم تصبر على فعل المسلمين امس بالفرنج يقتلون الداويّة والاسبتاريّة وياسرونهم ويجتازون بهم عليك وانت لا تنكر ذلك ولا تمنع عنه ووافقهم على ذلك مَن عنده من

عسكر طبريّة وطرابلس وتهدّد البطرك انّه يحرّمه ويفسخ عليه نكاح زوجته الى غير ذلك من التهديد فلمّا راى القمص شدّة الامر عليه خاف فاعتذر وتنصّل وتاب فقبلوا عذره وغفروا زلّته وطلبوا منه المواقفة على المسلمين والموازرة على حفظ بلادهم فاجابهم الى المصالحة والانضمام اليهم والاجتماع بهم وسار معهم الى ملك الفرنج واجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم ولم تغن عنهم من الله شيئًا وجمعوا فارسهم وراجلهم ثمّ ساروا من عكّا الى صفوريّه وهم يقدّمون رجلًا ويوخّرون اخرى قد مليت قلوبهم رعبًا ۞

ذكر فتح صلاح الدين طبريّة

لمّا اجتمع الفرنج وساروا الى صفوريّة جمع صلاح الدين امراءه واستشارهم فاشار اكثرهم عليه بترك اللقآء وان نُضْعف الفرنج بشنّ الغارات واخراب الولايات مرّة بعد مرّة فقال له بعض امرآئه الراى عندى اننا نجوس بلادهم وننهب ونخرّب ونحرق ونسبى فان وقف احد من عسكر الفرنج بين ايدينا لقيناه فانّ الناس بالمشرق يلعنوننا ويقولون ترك قتال الكفّار واقبل يريد قتال المسلمين والراى ان نفعل فعلًا نُعذر فيه ونكفّ الالسنة عنّا فقال صلاح الدين الراى عندى ان نلقى بجمع المسلمين جمع الكفّار فانّ الامور لا تجرى بحكم الانسان ولا نعلم[1] قدر الباقى من اعمارنا ولا ينبغى ان نفرّق هذا الجمع الّا بعد الجدّ فى الجهاد ٭ ثمّ رحل من الاقحوانة اليوم الخامس من نزوله بها وهو يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الاخر فسار حتّى خلّف طبريّة ورآء ظهره وصعد جبلها وتقدّم حتّى قارب الفرنج فلم ير منهم احدًا ولا فارقوا خيامهم فنزل وامر العسكر بالنزول فلمّا جنّه الليل جعل فى مقابل الفرنج مَن يمنعهم من القتال ونزل جريدة الى طبريّة وقاتلها ونقب بعض ابراجها واخذ المدينة عنوة فى ليلة ولجا مَن بها الى القلعة التى لها فامتنعوا بها وفيها صاحبتها ومعها اولادها فنهب المدينة واحرقها ٭ فلمّا سمع الفرنج نزول صلاح الدين الى طبريّة وملكه المدينة

---

[1] بعلم

واخذ ما فيها واحراقها واحراق ما تخلّف ممّا لا يُحمل اجتمعوا للمشورة فاشار بعضهم بالتقدّم الى المسلمين وقتالهم ومنعهم عن طبريّة فقال القمص انّ طبريّة لى ولزوجتى وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل وبقى القلعة وفيها زوجتى وقد رضيت ان ياخذ القلعة وزوجتى وما لنا بها ويعود فوالله لقد رايتُ عساكر الاسلام قديمًا وحديثًا ما رايتُ مثل هذا العسكر الذى مع صلاح الدين كثرةً وقوّةً واذا اخذ طبريّة لا يمكنه المقام بها فى فارقها وعاد عنها اخذناها وان اقام بها لا يقدر على المقام بها الّا بجميع عساكره ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن اوطانهم واهليهم فيضطرّ الى تركها ونفتك مّن اسر منّا فقال له برنس ارناط صاحب الكرك قد اطلتَ فى التخويف من المسلمين ولا شكّ انّك تريدهم وتميل اليهم والّا ما كنتَ تقول هذا وامّا قولك انّهم كثيرون فانّ النار لا يضرّها كثرة الحطب فقال انا واحد منكم ان تقدّمتم تقدّمتُ وان تاخّرتم تاخّرتُ وسترون ما يكون ۞ فقوى عزمهم على التقدّم الى المسلمين وقتالهم فرحلوا من معسكرهم الذى لزموه وقربوا من عساكر الاسلام ۞ فلمّا سمع صلاح الدين بذلك عاد عن طبريّة الى عسكره وكان قريبًا منه وانّما كان قصده بمحاصرة طبريّة ان يفارق الفرنج مكانهم ليتمكّن من قتالهم وكان المسلمون قد نزلوا على المآء والزمان قيظًا شديد الحرّ فوجد الفرنج العطش ولم يتمكّنوا من الوصول الى ذلك المآء من المسلمين وكانوا قد افنوا ما هناك من مآء الصهاريج ولم يتمكّنوا من الرجوع خوفًا من المسلمين فبقوا على حالهم الى الغد وهو يوم السبت وقد اخذ العطش منهم وامّا المسلمون فانّهم طمعوا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم فباتوا يحرّض بعضهم بعضًا وقد وجدوا ريح النصر والظفر وكلّ ما راوا حال الفرنج خلاف عادتهم ممّا ركبهم من الخذلان زاد طمعهم وجرأتهم فاكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم ورتّب السلطان تلك الليلة الجاليشيّة وفرّق فيهم النشاب ۞

ذكر انهزام الفرنج بحطّين

اصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الاخر فركبوا وتقدّموا الى الفرنج فركب الفرنج ودنا بعضهم من

بعض الّا انّ الفرنج قد اشتدّ بهم العطش واتخذلوا فاقتتلوا واشتدّ القتال وصبر الفريقان ورمى جاليشيّة المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر فقتلوا من خيول الفرنج كثيرًا هذا القتال بينهم والفرنج قد جمعوا نفوسهم براجلهم وهم يقاتلون سائرون نحو طبريّة لعلّهم يردون الماء فلمّا علم صلاح الدين مقصدهم صدّهم عن مرادهم ووقف بالعسكر في وجوههم وطاف بنفسه على المسلمين يحرّضهم ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم عمّا يضرّهم والناس يأتمرون لقوله ويقفون عند نهيه فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على صفّ الفرنج فقاتل قتالاً تعجب منه الناس ثم تكاثر الفرنج عليه فقتلوه فحين قُتل حمل المسلمون حملة منكرة فضعضعوا الكفّار وقتل منهم كثيرًا فلمّا راى القمص شدّة الامر علم انّهم لا طاقة لهم بالمسلمين فاتّفق هو وجماعته وحملوا على مَن يليهم وكان المقدّم من المسلمين في تلك الناحية تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فلمّا راى حملة الفرنج حملة مكروب علم انّه لا سبيل الى الوقوف في وجوههم فامر اصحابه ان يفتحوا لهم طريقًا يخرجون منه وكان بعض المتطوّعة قد القى في تلك الارض نارًا وكان الحشيش كثيرًا فاحترق وكانت الريح فحملت حرّ النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحرّ الزمان وحرّ النار والدخان وحرّ القتال فلمّا انهزم القمص سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا انّهم لا ينجيهم من الموت الّا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم لو لا لطف الله بهم الّا انّ الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الّا وقد قُتل منهم فوهنوا لذلك وهنًا عظيمًا فاحاط بهم المسلمون احاطة الدايرة بقطرها فارتفع مَن بقي من الفرنج الى تلّ بناحية حطّين وارادوا ان ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم به فاشتدّ القتال عليهم من ساير الجهات ومنعوهم عمّا ارادوا ولم يتمكّنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم لا غير واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يُسمّونه صليب الصلبوت ويذكرون انّ فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عم برعمهم فكان اخذه عندهم من اعظم المصايب عليهم وايقنوا بعده

بالقتل والهلاك هذا والقتل والاسر يعملان فى فرسانهم ورجّالتهم فبقى الملك على التلّ فى مقدار مائة وخمسين فارسًا من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين فحكى لى عن الملك الافضل ولد صلاح الدين قال كنتُ الى جانب ابى فى ذلك المصافّ وهو اوّل مصافّ شاهدتُه فلمّا صار ملك الفرنج على التلّ فى تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على مَن بازائهم من المسلمين حتّى الحقوهم بوالدى قال فنظرتُ اليه وقد علته كآبة واربدّ لونه وامسك بلحيته وتقدّم وهو يصيح كذب الشيطان قال فعاد المسلمون على الفرنج فرجعوا فصعدوا الى التلّ فلمّا رايتُ الفرنج قد عادوا والمسلمون يتبعونهم صحتُ من فرحى هزمناهم فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الاولى الحقوا المسلمين بوالدى وفعل مثل ما فعل اوّلًا وعطف المسلمون عليهم فالحقوهم بالتلّ فصحتُ انا ايضًا هزمناهم فالتفت والدى الىّ وقال اسكت ما نهزمهم حتّى تسقط تلك الخيمة قال فهو يقول لى واذ الخيمة قد سقطت فنزل السلطان وسجد شكرًا لله تعالى فبكى من فرحه وكان سبب سقوطها انّ الفرنج لمّا حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشًا وقد كانوا يرجون الخلاص فى بعض تلك الحملات ممّا هم فيه فلم يجدوا الى الخلاص طريقًا فنزلوا عن دوابّهم وجلسوا على الارض فصعد المسلمون اليهم فالقوا خيمة الملك واسروهم عن بكرة ابيهم وفيهم الملك واخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك ولم يكن للفرنج اشدّ منه عداوةً للمسلمين واسروا ايضًا صاحب جُبيل وابن هنفرى ومقدّم الداويّة وكان من اعظم الفرنج شانًا وأُسروا ايضًا جماعة من الداويّة وجماعة من الاسبتاريّة وكثر القتل والاسر فيهم فكان مَن يرى القتلى لا يظنّ انّهم اسروا واحدًا ومن يرى الاسرى لا يظنّ انّهم قتلوا احدًا وما اصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احد وتسعين واربعمائة الى الآن مثل هذه الوقعة، فلمّا فرغ المسلمون منهم نزل صلاح الدين فى خيمته واحضر ملك الفرنج عنده وبرنس صاحب الكرك واجلس الملك الى جانبه وقد اهلكه العطش فسقاه ماء مثلوجًا فشرب واعطى فضله برنس صاحب الكرك فشرب فقال صلاح الدين انّ هذا الملعون لم يشرب الماء باذنى فينال امانى ثمّ كلّم البرنس وقرعه بذنوبه وعدّد عليه غدراته

وقام اليه بنفسه فضرب رقبته وقال كنت نذرت دفعتين ان اقتله ان ظفرت به احداهما لمّا اراد المسير الى مكّة والمدينة والثانية لمّا اخذ القفل غدرًا فلمّا قتله وسحب واخرج ارتعدت فرايص الملك فسكّن جأشه وامّنه واما القمص صاحب طرابلس فانه لمّا نجا من المعركة كما ذكرناه وصل الى صور ثمّ قصد طرابلس ولم يلبث الّا ايامًا قلايل حتّى مات غيظًا وحنقًا ممّا جرى على الفرنج خاصّةً وعلى دين النصرانيّة عامّةً ۞

ذكر عود صلاح الدين الى طبريّة وملك قلعتها مع المدينة

لمّا فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج اقام بموضعه باقي يومه واصبح يوم الاحد عاد الى طبريّة ونازلها فارسلت صاحبتها تطلب الامان لها ولاولادها واصحابها ومالها فاجابها الى ذلك فخرجت بالجميع فوفى لها فسارت آمنة ثمّ امر بالملك وجماعة من اعيان الاسرى فارسلوا الى دمشق وامر بمن اسر من الداويّة والاسبتاريّة ان يجمعوا ليقتلهم ثمّ علم انّ مَن عنده اسير لا يسمح به لما يرجوا من فدآئه فبذل في كلّ اسير من هذين الصنفين خمسين دينارًا مصريّة فاحضر عنده في الحال مايتَا اسير منهم فامر بهم فضربت اعناقهم وانّما خصّ هولآء بالقتل لانّهم اشدّ شوكة من جميع الفرنج فاراح الناس من شرّهم وكتب الى نايبه بدمشق ليقتل مَن دخل البلد منهم سوآء كان له او لغيره ففعل ذلك ولقد اجتزتُ بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرايتُ الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المفترق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع في تلك الآكام والوهاد ۞

ذكر فتح مدينة عكّا

لمّا فرغ صلاح الدين من طبريّة سار عنها يوم الثلاثآء ووصل الى عكّا يوم الاربعاء وقد صعد اهلها على سورها يظهرون الامتناع والحفظ فعجب هو والناس من ذلك لانّهم علموا انّ عساكرهم من فارس وراجل بين قتيل واسير وانّهم لم يسلم منهم الّا القليل الّا انّه نزل يومه وركب يوم الخميس وقد صمّم على الزحف الى البلد وقتاله فبينما هو ينظر من اين يزحف ويقاتل اذ خرج كثير من اهلها يضرعون ويطلبون

الامان فاجابهم الى ذلك وامّنهم على انفسهم واموالهم وخيّرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل خوفًا من المسلمين وساروا عنها متفرّقين وحملوا ما امكنهم حمله من اموالهم وتركوا الباقى على حاله ودخل المسلمون اليها يوم الجمعة مستهلّ جمادى الاولى وصلّوا بها الجمعة فى جامع كان للمسلمين قديمًا ثم جعله الفرنج بيعة ثم جعله صلاح الدين جامعًا وهذه الجمعة اوّل جمعة اقيمت بالساحل الشامىّ بعد ان ملكه الفرنج ٭ وسلّم البلد الى ولده الافضل واعطى جميع ما كان فيه للداويّة[1] من اقطاع وضياع وغير ذلك للفقيه عيسى وغنم المسلمون ما بقى ممّا لم يُطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصآء عنه فرأوا فيها من الذهب والجوهر والسقلاط والبندقى والسُّكّر والسلاح وغير ذلك من انواع الامتعة كثيرًا فانّها كانت مقصدًا للتجار الفرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وادناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله ففرّق صلاح الدين وابنه الافضل ذلك جميعه على اصحابهما واكثر ذلك فعله الافضل لانّه كان مقيمًا بالبلد وكانت شيمته فى الكرم معروفة واقام صلاح الدين بعكّا عدّة ايّام لاصلاح حالها وتقرير قواعدها ٭

ذكر فتح مجدل اليابا

لمّا هزم صلاح الدين الفرنج ارسل الى اخيه العادل بمصر يبشّره بذلك ويامره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر بمَنْ بقى عنده من العسكر ومحاصرة ما يليه منها فسارع الى ذلك وسار عن مصر فنازل حصن مجدل يابا وحصره وغنم ما فيه وورد كتابه بذلك الى صلاح الدين وكانت بشارة كبيرة ٭

ذكر فتح عدّة حصون

فى مدّة مقام صلاح الدين بعكّا تفرّق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكّا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نسآءها واطفالها وقدموا من

[1] الداويّة

ذلك بما سد العضآء وسيّر تقى الدين فنزل على تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور وسيّر حسام الدين عمر بن لاجين فى عسكر الى نابلس فاتى سبصطيّة وبها قبر زكريآء فاخذه من ايدى النصارى وسلّمه الى المسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل مّن فيها بالامان وتسلّم القلعة واقام اهل البلد به واقرّهم على املاكهم واموالهم ✿

ذكـــر فـــتـــح يافا

لمّا خرج العادل من مصر وفتح مجدل يابا كما ذكرنا سار الى مدينة يافا وهى على الساحل فحصرها وملكها عنوةً ونهبها واسر الرجال وسبى الحريم وجرى على اهلها ما لم يجر على احد من اهل تلك البلاد وكان عندى جارية من اهلها وانا بحلب ومعها طفل عمره نحو سنة فسقط من يدها فانسلخ وجهه فبكت عليه كثيرًا فسكّنتُها واعلمتُها انّه ليس بولدها ما يوجب البكآء فقالت ما له ابكى انّما ابكى لما جرى علينا كان لى ستّة اخوة كلّهم هلكوا جميعهم وزوجٌ واختان لا اعلم ما كان منهم هذا من امراة واحدة والباقى بالنسبة ، ورايتُ بحلب امراة فرنجيّة قد جآت مع سيدها الى باب فطرقه سيدها فخرج صاحب البيت فكلّمهم ثم اخرج امراة فرنجيّة فحين رءاتها الاخرى صاحتا واعتنقتا وهما يصرخان ويبكيان وسقطتا الى الارض ثم قعدتا يتحدّثان واذ هما اختان وكان لهما عدّة من الاهل ليس لهما علم من احد منهم ✿

ذكر فتح تبنين وصيدا وجُبيل وبيروت

فامّا تبنين فقد ذكرنا انفاذ صلاح الدين تقى الدين ابن اخيه الى تبنين فلمّا وصلها نازلها واقام عليها فراى حصرها لا يتمّ الّا بوصول عمّه صلاح الدين اليه فارسل اليه يعلمه الحال ويحثّه على الوصول اليه فرحل ثامن جمادى الاولى ونزل عليه حادى عشرهُ فحصرها وضايقها وقاتلها بالزحف وهى من القلاع المنيعة على جبل فلمّا ضاق عليهم الامر واشتدّ الحصر اطلقوا مّن عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة رجل فلمّا دخلوا العسكر احضرهم صلاح الدين وكساهم واعطاهم نفقةً وسيّرهم الى اهليهم وبقى الفرنج كذلك خمسة ايّام ثم ارسلوا يطلبون الامان فامّنهم على انفسهم فسلّموها اليه ووفى لهم وسيّرهم الى مامنهم ،

واما صيدا فانّ صلاح الدين لما فرغ من تبنين رحل عنها الى صيدا فاجتاز فى طريقه بصرفند فاخذها صفوًا عفوًا بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهى من مدن الساحل المعروفة فلمّا سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلمّا وصلها صلاح الدين تسلّمها ساعة وصوله وكان مُلكها لتسع بقين من جمادى الاولى ، وامّا بيروت فهى من احصن مدن الساحل وانزهها واطيبها فلمّا فتح صلاح الدين صيدا سار عنها من يومه نحو بيروت ووصل اليها من الغد فراى اهلها قد صعدوا على سورها واظهروا القوّة والجلد والعدد وقاتلوا على سورها قتالاً شديدًا واغترّوا بحصانة البلد وظنّوا انّهم قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرّة بعد مرّة فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة فاتاهم مَن اخبرهم انّ البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى قهرًا وغلبة فارسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحّة فارادوا تسكين مَن به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلمّا خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فامّنهم على انفسهم واموالهم وتسلّمها فى التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة فكان مدّة حصرها ثمانية ايّام ، واما جُبَيْل فانّ صاحبها كان من جملة الاسرى الذين سُيّروا الى دمشق مع ملكهم فتحدّث مع نائب صلاح الدين بدمشق فى تسليم جُبَيْل على شرط اطلاقه فعرّف صلاحَ الدين بذلك فاحضره مقيّدًا عنده تحت الاستظهار والاحتياط وكان العسكر حينئذ على بيروت فسلّم حصنه واطلق اسرى المسلمين الذين به واطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جُبيل من اعيان الفرنج واصحاب الراى والمكر والشرّ به يُضرب المثل بينهم وكان للمسلمين منه عدوًّا ازرق وكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ما ياتى بيانه ❊

ذكر خروج المركيش الى صور

لمّا انهزم القمّص صاحب طرابلس من حطّين الى مدينة صور فاقام بها وهى اعظم بلاد الشام حصانةً واشدّ امتناعاً على مَن رامها فلمّا راى السلطان قد ملك تبنين وصيدا وبيروت خاف ان يقصد صلاح الدين

صور وهى فارغة ممّن يقاتل فيها ويحميها ويمنعها فلا يقوى على حفظها
وتركها وسار الى مدينة طرابلس فبقيت صور شاغرة لا مانع لها ولا
عاصم من المسلمين فلو بدا بها صلاح الدين قبل تبنين وغيرها لاخذها
بغير مشقّة لكنّه استعظمها لحصانتها فاراد ان يُفرّغ باله ممّا يجاورها من
نواحيها ليسهل اخذها فكان ذلك سبب حفظها وكان امر الله قدراً مقدوراً
واتّفق انّ انساناً من الفرنج الذين داخل البحر يقال له المركيش
لعنه الله خرج فى البحر بمال كثير للزيارة والتجارة ولم يشعر بما كان من
الفرنج فارسى بعكّا وقد رابه ما راى من ترك عوايد الفرنج عند وصول
المراكب من الفرح وضرْب الاجراس وغير ذلك وما راى ايضًا من زىّ
اهل البلد فوقف ولم يدر ما الخبر وكانت الريح قد ركدت فارسل
الملك الافضل اليه بعض اصحابه فى سفينة يبصر مَن هو وما يريد فاتاه
القاصد فساله المركيش عن الاخبار لما انكره فاخبره بكسره الفرنج
واخذ عكّا وغيرها واعلمه انّ صور بيد الفرنج وعسقلان وغيرها وحكى
الامر له على وجهه فلم يمكنه الحركة لعدم الريح فردّ الرسول يطلب
الامان ليدخل البلد بما معه من متاع ومال فاجيب الى ذلك فردّده
مرارًا كلّ مرّة يطلب شياً لم يطلبه فى المرّة الاولى وهو يفعل ذلك انتظارًا
لهبوب الهوى ليسير به فبينما هو فى مراجعاته اذ هبّت الريح فسار
نحو صور وسيّر الملك الافضل الشوانى فى طلبه فلم يدركوه فاتى صور
وقد اجتمع بها من الفرنج خلق كثير لانّ صلاح الدين كان كلّما
فتح مدينة من عكّا وبيروت وغيرهما ممّا ذكرنا اعطى اهلها الامان
فساروا كلّهم الى صور وكثر الجمع بها الّا انّهم ليس لهم راس يجمعهم ولا
مقدّم يقاتل بهم وليسوا اهل حرب وهم عازمون على مراسلة صلاح الدين
وتسليم البلد اليه فاتاهم المركيش وهم على ذلك العزم فردّهم عنه وقوّى
نفوسهم وضمن لهم حفظ المدينة وبذل ما معه من الاموال وشرط عليهم
ان يكون المدينة واعمالها له دون غيره فاجابوه الى ذلك فاخذ ايمانهم
عليه واقام عندهم ودبّر احوالهم وكان من شياطين الانس حسن التدبير
والحفظ وله شجاعة عظيمة وشرع فى تحصينها فجدّد حفر خنادقها وعمل
اسوارها وزاد فى حصانتها واتّفق مَن بها على الحفظ والقتال دونها ۞

ذكر فتح عسقلان وما يجاورها

لمّا ملك صلاح الدين بيروت وجُبيل وغيرها كان امر عسقلان والقدس اهمّ عنده لاسباب انّهما على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار ان تتّصل الولايات له ليسهل خروج العسكر منها ودخولهم اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجميل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع باخيه العادل ومَن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وكان صلاح الدين قد احضر ملك الفرنج ومقدّم الداويّة اليه من دمشق وقال لهما ان سلّمتما البلاد اليّ فلكما الامان فارسلا الى مَن بعسقلان من الفرنج يامرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا امرهما وردّوا عليهما اقبح ردّ وجبهوهما بما يسوءهما فلمّا راى السلطان ذلك جدّ في قتال المدينة ونصب المنجنيقات عليها وزحف مرّةً بعد اخرى وتقدّم النقّابون الى السور فنالوا من باشورته شيئاً هذا وملكهم يكرّر المراسلات اليهم بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم انّه اذا اطلق من الاسر اضرم البلاد على المسلمين نارًا واستنجد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجْل من اقاصى بلاد الفرنج وادانيها وهم لا يجيبون الى ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولمّا راوا انّهم كلّ يوم يزدادون ضُعفًا ووهنًا واذا قُتل منهم الرجل لا يجدون له عوضًا ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين في تسليم البلد على شروط اقترحوها فاجابهم صلاح الدين اليها وكانوا قتلوا في الحصار اميرًا كبيرًا من المهرانيّة فخافوا عند مفارقة البلد ان عشيرته يقتلون منهم بثاره فاحتاطوا فيما اشترطوا لانفسهم فأُجيبوا الى ذلك جميعه وسلّموا المدينة سلخ جمادى الآخرة من السنة وكانت مدّة الحصار اربعة عشر يومًا وسيّرهم صلاح الدين ونساءهم واموالهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان ٭

ذكر فتح البلاد والحصون المجاورة لعسقلان

لمّا فتح صلاح الدين عسقلان اقام بظاهرها وبثّ السرايا في اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزّة ومشهد ابرهيم

الخليل عمّ وبنى[1] وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكلّ ما كان للداويّة ۞

ذكر فتح البيت المقدّس

لمّا فرغ صلاح الدين من امر عسقلان وما يجاورها من البلاد على ما تقدّم وكان قد ارسل الى مصر اخرج الاسطول الذى[2] بها فى جمع من المقاتلة ومقدّمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة ويمن النقيبة فاقاموا فى البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلّما راوا لهم مركبًا غنموه وشانيًا اخذوه فحين وصل الاسطول وخلا سرّه من تلك الناحية سار عن عسقلان الى البيت المقدّس وكان به البطرك المعظّم عندهم وهو اعظم شأنًا من ملكهم وبه ايضًا باليان بن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضًا مَن خلص من فرسانهم من حطّين وقد جمعوا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحى عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير من الخلق كلّهم يرى الموت ايسر عليه من ان يملك المسلمون البيت المقدّس ويأخذوه منهم ويرى انّ بذل نفسه وماله واولاده بعض ما يجب عليه من حفظه وحصّنوه تلك الايّام بما وجدوا اليه سبيلًا وصعدوا على سوره بحدّهم وحديدهم مجتمعين على حفظه والذبّ عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناصلة دونه بحسب استطاعتهم ونصبوا المنجنيقات ليمنعوا مَن يريد الدنوّ منه والنزول عليه ولمّا قرب صلاح الدين منه تقدّم امير فى جماعة من اصحابه غير محتاط ولا حذر فلقيه جمع من الفرنج قد خرجوا من القدس ليكونوا يزكًا فقاتلوه وقاتلهم فقتلوه وقتلوا جماعة ممّن معه فاهمّ المسلمين قتله وفجعوا بفقده وساروا حتّى نزلوا على القدس منتصف رجب فلمّا نزلوا عليه راى المسلمون على سوره من الرجال ما هالهم وسمعوا لاهله من الغلبة والضجيج من وسط المدينة ما استدلّوا به على كثرة الجمع وبقى صلاح الدين خمسة ايّام يطوف حول المدينة لينظر من اين يقاتله لانّه فى غاية الحصانة والامتناع فلم يجد

---

1) وبنى 2) الذين

عليه موضع قتال الّا من جهة الشمال نحو باب عمودا وكنيسة صهيون فانتقل الى هذه الناحية فى العشرين من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها وقوتلوا اشدّ قتال رءاه احد من الناس كلّ واحد من الفريقين يرى ذلك دينًا وحتمًا واجبًا فلا يحتاج فيه الى باعث سلطانىّ بل كانوا يَمنعون ولا يمتنعون ويُزجرون ولا ينزجرون وكان خيّالة الفرنج كلّ يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيُقتل من الفريقين وممّن استشهد من المسلمين الامير عزّ الدين عيسى بن مالك وهو من اكابر الامرآء وكان ابوه صاحب قلعة جعبر وكان يصطلى القتال بنفسه كلّ يوم فقُتل الى رحمة الله تعالى وكان محبوبًا الى الخاصّ والعامّ فلمّا راى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك واخذ من قلوبهم فحملوا حملة رجل واحد فازالوا الفرنج عن مواقفهم فادخلوهم بلدهم ووصلوا المسلمون الى الخندق فجاروه والتصقوا الى السور فنقبوه وزحف الرماة يحمونهم والمنجنيقات توالى الرمى لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكّن المسلمون من النقب فلمّا نقبوه حشوه بما جرت به العادة فلمّا راى الفرنج شدّة قتال المسلمين وتحكّم المنجنيقات بالرمى المتدارك وتمكّن النقّابين من النقب وانّهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدّموهم يتشاورون فيما ياتون ويذرون فاتّفق رايهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدّس الى صلاح الدين فارسلوا جماعة من كبرايهم واعيانهم فى طلب الامان فلمّا ذكروا ذلك للسلطان امتنع من اجابتهم وقال لا افعل بكم الّا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة اثنتين وتسعين واربعمائة من القتل والسبى واجرآء السيّئة بمثلها فلمّا رجع الرسل خائبين محرومين ارسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين فى هذا الامر وتحريره فاجيب الى ذلك وحضر عنده ورغب فى الامان وسال فيه فلم يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلمّا ايس من ذلك قال له ايّها السلطان اعلم انّنا فى هذه المدينة فى خلق كثير لا يعلمهم الّا الله تعالى وانّما يفترون عن القتال رجآء الامان ظنًّا

منهم انّك تجيبهم اليه كما اجبت غيرّهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا راينا الموت لا بدّ منه فوالله لنقتلنّ ابناءنا ونساءنا ونحرق اموالنا وامتعتنا ولا نتركّكم تغنمون منها دينارًا واحدًا ولا درهمًا ولا تسبون وتاسرون رجلًا ولا امراة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل مَن عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة الاف اسير ولا نترك لنا دابّةً ولا حيوانًا الّا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلّنا قاتلناكم قتال مَن يريد يحمى دمَه ونفسَه وحينئذ لا يقتل الرجل حتّى يقتل امثاله ونموت اعزّاء او نظفر كرامًا ، فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدرى عاقبة الامر فيه عن اىّ شئ تنجلى ونحسب انّهم اسارى بايدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقرّ بيننا وبينهم فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقرّ انّ من الرجل عشرة دنانير يستوى فيه الغنى والفقير ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين وتزن المراة خمسة دنانير فمن ادّى ذلك الى اربعين يومًا فقد نجا ومَن انقضت الاربعون يومًا عنه ولم يؤدّ ما عليه فقد صار مملوكًا فبذل باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فأجيب الى ذلك وسُلّمت المدينة يومَ الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان يومًا مشهودًا وَرُفعت الاعلام الاسلاميّة على اسواره ورتّب صلاح الدين على ابواب البلد في كلّ باب امينًا من الامراء لياخذوا من اهله ما استقرّ عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدّوا فيه امانة واقتسم الامناء الاموال وتفرّقت ايدى سبا ولو ادّيت فيه الامانة لملأ الخزائن وعمّ الناس فانّه كان فيه على الضبط ستّين الف رجل ما بين فارس وراجل سوى مَن يتبعهم من النساء والولدان ولا يعجب السامع من ذلك فانّ البلد كبير واجتمع اليه من تلك النواحى من عسقلان وغيرها والداروم والرملة وغزّة وغيرها من القرى بحيث امتلات الطرق والكنائس وكان الانسان لا يقدر ان يمشى ومن الدليل على كثرة الخلق انّ اكثرهم وزن ما استقرّ من القطيعة واطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشر الف رجل وزن عنهم ثلاثين الف دينار وبقى بعد هذا جميعه مَن لم يكن

معه ما يُعطى وأخذ اسيرًا ستّة عشر الف ادمى ما بين رجل وامراة وصبى هذا بالضبط واليقين ثمّ انّ جماعة من الامرآء ادّعى كلّ واحد منهم انّ جماعة من رعيّة اقطاعه مقيمون بالبيت المقدّس فيطلقهم وياخذ هو قطيعتهم وكان جماعة من الامرآء يلبسون الفرنج زىّ الجند المسلمين ويخرجونهم وياخذون منهم قطيعة قرّروها واستوهب جماعة من صلاح الدين عددًا من الفرنج فوهبهم لهم فاخذوا قطيعتهم وبالجملة فلم يصل الى خزاينه الّا القليل، وكان بالقدس بعض نسآء الملوك من الروم وقد ترهّبت واقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجوار خلق كثير ولها من الاموال والجواهر النفيسة شىء عظيم فطلبت الامان لنفسها ومن معها فامّنها وسيّرها وكذلك ايضًا اطلق ملكة القدس التى كان زوجها الذى اسره صلاح الدين قد ملك الفرنج بسببها ونيابة عنها كان يقوم بالملك واطلق ما لها وحشمها واستاذنته فى المصير الى زوجها وكان حينيذ محبوسًا بقلعة نابلس فاذن لها فاتته واقامت عنده وانته ايضًا امراة للبرنس ارناط صاحب الكرك وهو الذى قتله صلاح الدين بيده يومَ المصافّ بحطّين فشفعت فى ولد لها ماسور فقال لها صلاح الدين ان سلّمتِ الكرك اطلقته فسارت الى الكرك فلم يسمع منها الفرنج ولم يسلّموه فلم يطلق ولدها ولكنّه اطلق مالها ومن تبعها وخرج البطرك الكبير الذى للفرنج ومعه من اموال البيع منها الصخرة والاقصى وقمامة وغيرها ما لا يعلمه الّا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين فقيل له لياخذ ما معه يقوّى به المسلمين فقال لا اغدر به ولم ياخذ منه غير عشرة دنانير وسيّر الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور، وكان على راس قبّة الصخرة صليب كبير مذهّب فلمّا دخل المسلمون البلد يومَ الجمعة تسلّق جماعة منهم الى اعلى القبّة ليقلعوا الصليب فحين صعدوا صاح الناس كلّهم صوتًا واحدًا من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج امّا المسلمون فكبّروا فرحًا وامّا الفرنج فصاحوا تفجّعًا وتوجّعًا فسمع الناس صيحة كادت الارض ان تميد بهم لعظمها وشدّتها فلمّا ملك البلد وفارقه الكفّار امر صلاح الدين باعادة الابنية الى حالها القديم فانّ الداوية بنوا غربىّ الاقصى

ابنية ليسكنوها وعملوا فيها ما يحتاجون اليه من هرى ومستراح وغير ذلك وادخلوا بعض الاقصى فى ابنيتهم فاعيد الى الاوّل وامر بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار والانجاس ففُعل ذلك اجمع ولمّا كان الجمعة الاخرى رابع شعبان صلّى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلّى فى قبّة الصخرة وكان الخطيب والامام محيى الدين بن الزكى قاضى دمشق ثم رتّب فيه صلاح الدين خطيبًا واماما برسم الصلوات الخمس وامر ان يُعمل له منبرٌ فقيل له انّ نور الدين محمودًا كان قد عمل بحلب منبرًا امر الصنّاع بالمبالغة فى تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدّس فعمله النجّارون فى عدّة سنين لم يُعمل فى الاسلام مثله فامر باحضاره فحُمل من حلب ونُصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنةً وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ، ولمّا فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدّم بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع فى تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه فاحضروا من الرخام الذى لا يوجد ومن الفصّ المذهّب القسطنطينىّ وغير ذلك ممّا يحتاجون اليه قد ادّخر على طول السنين فشرعوا فى عمارته ومحوا ما كان فى تلك الابنية من الصور وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيّبوها فامر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالفرش انّ القسيسين باعوا كثيرًا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهبًا رجآء بركتها وكان احدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعل فى مذبحها فخاف بعض ملوكهم ان تفنى فامر بها ففرش فوقها حفظًا لها فلمّا كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيّدة ورتّب القرّآء وادرّ عليهم الوظايف الكثيرة فعاد الاسلام هناك غضًّا طريًّا وهذه المكرمة من فتح البيت المقدّس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه غير صلاح الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرًا وشرفًا ، وامّا الفرنج من اهله فانّهم اقاموا وشرعوا فى بيع ما لا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخايرهم واموالهم وما لا يطيقون حمله وباعوا ذلك بارخص الثمن فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى

من اهل القدس الذين ليسوا من الفرنج فانّهم تطلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام فى مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فاجابهم الى ذلك فاستقرّوا فاشتروا حينئذ من اموال الفرنج وترك الفرنج ايضًا اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرّة والصناديق والنبيات وغير ذلك وتركوا ايضًا من الرخام الذى لا يوجد مثله من الاساطين والالواح والفصّ وغيره شيئًا كثيرًا ثمّ ساروا ۞

ذكر رحيل صلاح الدين الى صور ومحاصرتها

لمّا فتح صلاح الدين البيت المقدّس اقام بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان ثم يرتّب امور البلد واحواله وتقدّم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاسبتار مدرسة للشافعيّة وهى فى غاية ما يكون من الحسن فلمّا فرغ من امر البلد سار الى مدينة صور وكانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المركيس صاحبها والحاكم فيها وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ فى تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكّا واقام بها ايّامًا فلمّا سمع المركيس بوصوله اليها جدّ فى عمل سور صور وخنادقها وتعميقها ووصلها من البحر الى البحر من الجانب الاخر فصارت المدينة كالجزيرة فى وسط المآء لا يمكن الوصول اليها ولا الدنوّ منها ثم رحل صلاح الدين من عكّا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب البلد بحيث يراه حتّى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار فى الثانى والعشرين من رمضان فنزل على تلّ يقارب سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كلّ جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون منه بحيث ان يتّصل القتال على اهل البلد على انّ الموضع الذى يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من اهل البلد لحفظه وعليه الخنادق التى قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليها فانّ المدينة كالكفّ فى البحر والساعد متّصل بالبرّ والبحر من جانبَىْ الساعد والقتال انّما هو فى الساعد فزحف المسلمون مرّة بالمنجنيقات والعرّادات والجروخ والدبّابات وكان اهل صلاح الدين يتناوبون القتال مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازى واخيه العادل بن ايّوب وابن اخيه تقى الدين وكذلك ساير الامرآء وكان

للفرنج شوانى وحرّاقات يركبون فيها فى البحر ويقفون من جانبَى الموضع الذى يقاتل المسلمون منه اهل البلد فيرمون المسلمين من جانبهم بالحروخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم عليهم لانّ اهل البلد يقاتلونهم من بين ايديهم واصحاب الشوانى يقاتلونهم من جانبيهم فكانت سهامهم تنفذ من احد الجانبيْن الى الجانب الاخر لضيق الموضع فكثر الجراحات فى المسلمين والقتل ولم يتمكّنوا من الدنوّ الى البلد فارسل صلاح الدين الى الشوانى التى جآته من مصر وهى عشر قطع وكانت بعكّا فاحضرها برجالها ومقاتلتها وعُدّتها وكانت فى البحر تمنع شوانى اهل صور من الخروج الى قتال المسلمين فتمكّن المسلمون حينئذٍ من القرب من البلد ومن قتاله فقاتلوه برًّا وبحرًا وضايقوا حتّى كادوا يظفرون فجآت الاقدار بما لم يكن فى الحساب وذلك انّ خمس قطع من شوانى المسلمين باتت فى بعض تلك الليالى مقابل مينا صور ليمنعوا من الخروج منه والدخول اليه فباتوا ليلتهم يحرسون وكان مقدّمهم عبد السلام المغربىّ الموصوف بالحذق فى صناعته وشجاعته فلمّا كان وقت السحر امنوا فناموا فما شعروا الّا بشوانى الفرنج قد نازلتهم وضايقتهم فاوقعت بهم فقتلوا مَن ارادوا قتله واخذوا الباقين بمراكبهم وادخلوهم مينا صور والمسلمون فى البرّ ينظرون اليهم ورمى جماعة من المسلمين انفسهم من الشوانى فى البحر فمنهم مَن سبح فنجا ومنهم مَن غرق وتقدّم السلطان الى الشوانى الباقية بالمسير الى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلّتها فسارت فتبعها شوانى الفرنج فحين راى مَن فى شوانى المسلمين الفرنج مجدّين فى طلبهم القوا نفوسهم فى شوانيهم الى البرّ فنجوا وتركوها فاخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور فى البرّ وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفى بعض الايّام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين من ورآء خنادقهم فاشتدّ القتال بين الفريقيْن ودام الى اخر النهار وكان خروجهم قبل العصر وأُسر منهم فارس كبير مشهورٌ بعد ان كثر القتال والقتل عليه من الفريقيْن لمّا سقط فلمّا أُسر قُتل وبقوا كذلك عدّة ايّام ۞

ذكر الرحيل عن صور الى عكّا وتفريق العساكر

لمّا راى صلاح الدين انّ امر صور يطول رحل عنها وهذه كانت عادته متى ثبت البلد بين يديه ضجر منه ومن حصاره فرحل عنه وكان هذه السنة لم يطل مقامه على مدينة بل فتح الجميع فى الايّام العربية كما ذكرناه بغير تعب ولا مشقّة فلمّا راى هو واصحابه شدّة امر صور ملّوها وطلبوا الانتقال عنها ولم يكن لاحد ذنب فى امرها غير صلاح الدين فانّه هو جهّز اليها جنود الفرنج وامدّها بالرجال والاموال من اهل عكّا وعسقلان والقدس وغير ذلك كما سبق ذكره كان يعطيهم الامان ويرسلهم الى صور فصار فيها من فرسان الفرنج بالساحل باموالهم واموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدّونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصرة وامروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلتجؤون اليها فزادهم ذلك حرصًا على حفظهم والذبّ عنها وسنذكر ان شآء الله ما صار اليه الامر بعد ذلك ليُعلم ان الملك لا ينبغى ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلأن يعجز حازمًا خير له من ان يظفر مفرطًا مضيعًا للحزم واعذر له عند الناس ، ولمّا اراد الرحيل استشار امرآءه فاختلفوا فجماعة يقولون الراى ان نرحل فقد جُرح الرجال وقُتلوا وملّوا وفنيت النفقات وهذا الشتآء قد حضر والشوط بطين فنُريح ونستريح فى هذا البرد فاذا جآء الربيع اجتمعنا وعاودناها وغيرها وكان هذا قول الاغنيآء منهم وكانّهم خافوا انّ السلطان يقترض منهم ما ينفقه فى العسكر اذا اقام لخلوّ الخزاين وبيوت الاموال من الدرهم والدينار فانّه كان يخرج كلّ ما يحمل اليه منها ، وقالت الطايفة الاخرى الراى ان نصابر البلد ونضايقه فهو الذى يعتمدون عليه من حصونهم ومتى اخذناه منهم انقطع طمع من داخل البحر من هذا الجانب واخذنا باقى البلاد صفوًا عفوًا فبقى صلاح الدين متردّدًا بين الرحيل والاقامة فلمّا راى مَن يرى الرحيل اقامته أخلّ بما رُدّ اليه من المحاربة والرمى بالمنجنيق واعتذروا بجراح رجالهم وانّهم قد ارسلوا بعضهم ليحضروا نفقاتهم والعلوفات لدوابّهم والاقوات لهم الى ذلك من الاعذار فصاروا مقيمين بغير قتال

فاضطرّ الى الرحيل فرحل عنها اخر شوّال وكان اوّل كانون الاوّل الى عكّا فاذن العساكر جميعها بالعود الى اوطانهم والاستراحة فى الشتآء والعود فى الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام وعساكر مصر وبقى حلقته الخاصّ مقيم بعكّا فنزل بقلعتها وردّ امر البلد الى عزّ الدين جورديك وهو من اكابر المماليك النوريّة جمع الديانة والشجاعة وحسن السيرة ❁

ذكر فتح هونين

لمّا فتح صلاح الدين تبنين امتنع مَن بهونين من تسليمها وهى من احصن القلاع وامنع فلم ير التعريج عليها ولا الاشتغال بمحاصرتها بل سيّر اليها جماعة من العسكر والامرآء يحصروها ومنعوا من حمل الميرة اليها واشتغل بما تقدّم ذكره من فتح عسقلان والبيت المقدّس وغير ذلك فلمّا كان يحاصر مدينة صور ارسل مَن فيها يطلبون الامان فامّنهم فسلّموا ونزلوا منها فوفى لهم بامانهم ❁

ذكر حصر صفد وكوكب والكرك

لمّا سار صلاح الدين الى عسقلان جعل على قلعة كوكب وهى مطلّة على الاردن من يحصرها ويحفظ الطريق للمجتازين لئلّا ينزل مَن به من الفرنج يقطعونه وسيّر طايفة اخرى من العسكر ايضًا الى قلعة صفد فحصروها وهى مطلّة على مدينة طبريّة وكان حصن كوكب للاسبتار وحصن صفد للداويّة وهما قريبان من حطّين موضع المصافّ فلجأ اليهما جمع ممّن سلم من الداويّة والاسبتار فحموهما فلمّا حصرهما المسلمون استراح الناس من شرّ مَن فيهما واتّصلت الطرق حتى كان يسير فيها المنفرد فلا يخاف وكان مقدّم الجماعة الذين يحصرون قلعة كوكب اميرًا يقال له سيف الدين وهو اخو جاولى الاسدىّ وكان شهمًا شجاعًا يرجع الى دين وعبادة فاقام عليه الى اخر شوّال وكان اصحابه يحرسون نوبا مرتبة فلمّا كان اخر ليلة من شوّال غفل الذين كانت نوبتهم فى الحراسة وكان قد صلّى ورده من الليل الى السحر وكانت ليلة كثيرة الرعد والبرق والريح والمطر فلم يشعر المسلمون وهم نازلون

الّا والفرنج قد خالطوهم بالسيوف ووضعوا السلاح فيهم فقتلوهم اجمعين واخذوا ما كان عندهم من طعام وسلاح وغيره وعادوا الى قلعتهم فقووا بذلك قوّة عظيمة امكنهم ان يحفظوا قلعتهم الى ان أُخذت اواخر سنة اربع وثمانين على ما سنذكره ان شآء الله واتى الخبر الى صلاح الدين بذلك عند رحيله عن صور فعظم ذلك عليه مضافًا الى ما ناله من اخذ شوانيه ومَن فيها ورحيله عن صور ثم رتّب على حصن كوكب[1] الاميرَ قايماز النجميّ في جماعة اخرى من الاجناد فحصروها ❊

ذكر الفتنة بعرفات وقتل ابن المقدّم

في هذه السنة يوم عرفة قُتل شمس الدين محمّد بن عبد الملك المعروف بابن المقدّم بعرفات وهو اكبر الامرآء الصلاحيّة وقد تقدّم من ذكره ما فيه كفاية وسبب قتله انّه لمّا فتح المسلمون البيت المقدّس طلب اذنًا من صلاح الدين ليحجّ ويحرم من القدس ويجمع في سنته بين الجهاد والحجّ وزيارة الخليل عم ومَن بالشام من مشاهد الانبيآء وبين زيارة رسول الله صلّعم اجمعين فاذن له وكان قد اجتمع تلك السنة من الحجاج بالشام الخلق العظيم من البلاد والعراق والموصل وديار الجزيرة وخلاط وبلاد الروم ومصر وغيرها ليجمعوا بين زيارة بيت المقدّس ومكّة فجعل ابن المقدّم اميرًا عليهم فساروا حتّى وصلوا الى عرفات سالمين ووقفوا في تلك المشاعر وادّوا الواجب والسنّة فلمّا كان عشية عرفة تجهّز هو واصحابه ليسيروا من عرفات فامر بضرب كوساته التى هي امارة الرحيل فضربها اصحابه فارسل اليه امير الحاجّ العراقيّ وهو مجير الدين طاش تكين ينهاه عن الافاضة من عرفات قبله ويامره بكفّ اصحابه عن ضرب كوساته فارسل اليه [يقول] انى ليس لى معك تعلّق انت امير الحاجّ العراقيّ وانا امير الحاج الشاميّ وكلّ منّا يفعل ما يراه ويختاره وسار ولم يقف ولم يسمع قوله فلمّا راى طاش تكين اصراره على مخالفته ركب في اصحابه واجناده وتبعه من غوغآء الحاجّ العراقيّ وبطّالتهم وطمّاعتهم العالم الكثير. والجمّ الغفير وقصدوا حاجّ الشام مهولين عليهم فلمّا

[1]) C. P. et 740. Ups.: صور

قربوا منهم خرج الامر من الضبط وعجزوا عن تلافيه فهجم طمّاعة العراق على حاجّ الشام وفتكوا فيهم وقتلوا جماعة ونهبت اموالهم وسبيت جماعة من نسآيهم الّا انّهنّ رددن عليهم وجُرح ابن المقدّم عدّة جروح وكان يكفّ اصحابه من القتال ولو اذن لهم لانتصف منهم وزاد لكنّه راقب الله تعالى وحرمة المكان واليوم فلمّا اثخن بالجراحات اخذه طاش تكين الى خيمته وانزله عنده ليمرّضه ويستدرك الغارط فى حقّه وساروا تلك الليلة من عرفات فلمّا كان الغد مات بمنى ودُفن بمقبرة المعلى ورُزق الشهادة بعد الجهاد وشهود فتح البيت المقدّس رحمه الله تعالى ❊

ذكر قوّة السلطان طغرل على قزل

فى هذه السنة قوى امر السلطان طغرل وكثر جمعه وملك كثيرًا من البلاد فارسل قزل الى الخليفة يستنجده ويخوّفه من طغرل ويبذل من نفسه الطاعة والتصرّف على ما يختارونه وارسل طغرل رسولًا الى بغداد يقول اريد ان يتقدّم الديوان بعمارة [دار] السلطنة لاسكنها اذا وصلتُ فاكرم رسول قزل ووعده بالنجدة وردّ رسول السلطان طغرل بغير جواب وامر الخليفة بنقض دار السلطنة فهدمت الى الارض وعفى اثرها ❊

ذكر ملك شرسى[1] من الهند وانهزام المسلمين بعدها

فى اخر هذه السنة سار شهاب الدين الغورىّ ملك غزنة الى بلاد الهند وقصد بلاد اجمير[2] وتعرف بولاية السوالك واسم ملكهم كولة وكان شجاعًا شهمًا فلمّا دخل المسلمون بلاده ملكوا مدينة تبرندة[3] وهى حصن منيع عامرٌ وملكوا شرسى[1] وملكوا كوة رام[4]، فلمّا سمع ملكهم جمع العساكر فاكثر وسار الى المسلمين فالتقوا وقامت الحرب على ساق وكان مع الهند اربعة عشر فيلًا فلمّا اشتدّت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم فقال لشهاب الدين بعض خواصّه قد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك لا يهلك المسلمون فاخذ شهاب الدين الرمح وحمل على الهنود فوصل الى الفيلة فطعن فيلًا منها فى كتفه وجُرح الفيل لا يندمل فلمّا وصل شهاب الدين الى الفيلة زرقه بعض الهنود

---

1) C. P. et 740: سرسى
2) C. P. et 740: احمير Ups: حمير.
3) C. P. et 740: تبرنده
4) C. P. اكوم رام 740: اكوه دام

بحربة فوقعت الحربة فى ساعده فنفذت الحربة من الجانب الاخر فوقع حينئذ الى الارض فقاتل عليه اصحابه ليخلصوه وحرصت الهنود على اخذه وكان عنده حرب لم يسمع بمثله واخذه اصحابه فركبوه فرسه وعادوا به منهزمين فلم يتبعهم الهنود فلمّا ابعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ اغمى على شهاب الدين من كثرة خروج الدم فحمله الرجال على اكتافهم فى محفة البد اربعة وعشرين فرسخًا فلمّا وصل الى لهاوور[1] اخذ الامرآء الغوريّة وهم الذين انهزموا ولم يثبتوا وعلّق على كلّ واحد منهم عليق شعير وقال انتم دوابّ ما انتم امرآء وسار الى غزنة وامر بعضهم يمشى اليها ماشيًا فلمّا وصل الى غزنة اقام بها ليستريح الناس ونذكر ما فعله ملك الهند الذى هزمه سنة ثمان وثمانين ان شآء الله تعالى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل قُتل مجد الدين ابو الفضل بن الصاحب وهو استاذ دار الخليفة امر الخليفة بقتله وكان متحكّمًا فى الدولة ليس للخليفة معه حكم وكان هو القيم بالبيعة له وظهر له اموال عظيمة اخذ جميعها وكان حسن السيرة عفيفًا عن الاموال وكان الذى سعى به انسان من اصحابه وصنايعه يقال له عبيد الله بن يونس فسعى به الى الخليفة وقبّح اثاره فقبض عليه وقتله ٭ وفيها فى ربيع الاخر وقع حريق فى الخطاير ببغداد احترقت احطاب كثيرة وسببه انّ فقيهًا بالمدرسة النظاميّة كان يطبخ طعامًا ياكله فغفل عن النار والطبيخ فعلقت النار واتّصلت فاحترقت جميعها واحترق درب السلسلة وغيره ممّا يجاوره وفيها فى شوّال استوزر الخليفة الناصر لدين الله ابا المظفّر عبيد الله ابن يونس ولقّبه جلال الدين ومشى ارباب الدولة فى ركابه حتّى قاضى القضاة وكان ابن يونس من شهوده وكان يمشى ويقول لعن الله طول العمر ٭ وفيها فى المحرّم توفّى عبد المغيث ابن زهير الحربّى ببغداد وكان من اعيان الحنابلة قد سمع الحديث الكثير وصنّف كتابًا فى فضائل

[1] لهاوور (

يزيد بن معوية الى فيه بالعجايب وقد ردّ عليه ابو الفرج بن الجوزىّ
وكان بينهما عداوة ، وفيها توفّى قاضى القضاة ابو الحسن ابن الدامغانىّ
وولى القضاء للمقتفى بعد موت الزينبىّ ثم للمستنجد بالله ثم عُزل ثم
أُعيد الى المستضئ بامر الله ، وفيها توفّى علىّ بن خطاب بن ظفر الشيخ
الصالح من جزيرة ابن عمر وكان من الاولياء ارباب الكرامات وصحبتُه انا
مُدّةً فلم ار مثله حسن خلق وسمت وكرم وعبادة رحمه الله ، وفيها
ولدت امراة من سواد بغداد بنتًا لها اسنان ، وفيها توفّى نصر بن فتيان
بن مطر ابو الفتح بن المنّى الفقيه الحنبلىّ لم يكن لهم مثله رحمه الله ٭

تم المجلد الحادى عشر

Pag. ۱۳۸ l. 1: حوص C. P. L. 2: حرمًا Ib. L. 3.: بنسف السيل الربى Ib.

Pag. ۱۴۴ lin. 5 infra: + فولّاها اخاه

Pag. ۱۴۵ lin. 6 hemist. poster.: الّا تناهيا C. P. Lin. 13: لفظ معوّق C. P. Lin. 17: وقربك منهم جوفة تنابيا Ib.

Pag. ۱۵۹ lin. 3 inf.: ولا نغدر به P. ۱۶۰ lin. 4 et 5: + الاسلام على من

Pag. ۱۶۴ lin. 12 et 13 inf., deleas cum C. P. verba: عليها usque ad داخل السور

Pag. ۱۷۱ lin. 3: + الى اجنحته Pag. ۱۷۷ lin. 9: + يطمعه

Pag. ۱۸۱ lin. 7 inf.: الا ان بدين C. P. Lin. 5 inf.: الندى بالناس Ib. Lin. 3 inf.: اننا و الحلم Ib.

Pag. ۱۸۳ lin. 11 inf.: تُخالِسُك C. P. Hemist. post.: الانعصا Ib.

Pag. ۱۹۰ lin. 9 inf.: + يصلّى

Pag. ۱۹۱ lin. 12 inf.: [امارات] وظهرت عليهم

Pag. ۱۹۹ lin. 7: فلا C. P. Lin. 9: بالى Ib. Lin. 10: مُحال

Pag. ۱۹۸ lin. 2 inf.: اخذتم لاردى الافرنج Hemist. post.: على يدى

Pag. ۲۱۰ lin. 4: + ونعسم Pag. ۲۱۳ lin. 3 inf.: + على

Pag. ۲۱۴ lin. 9: + انهزمنا Pag. ۲۲۴ lin. 12: + اعلموا

Pag. ۲۲۹ lin. 1: + الخطر

Pag. ۲۲۹ lin. 10: + اخراجه Lin. 18: + فتغيرت بواطن

Pag. ۲۳۰ lin. 11: بابن السبيبىّ C. P. Lin. 12: inf.: آلسى Ib. Lin. 8 inf.: والباس Ib.

Pag. ۲۳۵ lin. 2 inf.: + واستنقذوا Pag. ۲۳۷ lin. 7: + فيفعلها

Pag. ۲۳۸ lin. 1: + برآته Lin. 15: + اولى

Pag. ۲۴۵ lin. 4: + تعول Pag. ۲۴۸ lin. 11: + عليهم

Pag. ۲۶۴ lin. 13: inf.: لو ان صبرى بوم كاظمة et in hem. post. وكظمت C. P. Lin. 10: بعاوه Ib. Lin. 8: لى و هوى Ib. Lin. 7. لى فى العدود Ib.

Pag. ۲۶۹ lin. 7 inf.: + فعلوه وبيذل Lin. 5 inf.: + طريف

Pag. ۲۷۳ lin. 2 inf.: + الى اخر

Pag. ۲۸۳ lin. 12 inf.: بعد الفصور C. P.

Pag. ۲۸۷ lin. 10 inf.: جلال الدين

Pag. ۲۸۸ lin. 14: حتّى اشاهدَ C. P. Lin. 3 inf.: تغنى C. P.

Pag. ۲۹۰ lin. 3: + عين الجو فى Lin. 3 inf.: + ارتفاعًا

Pag. ۲۹۱ l. 11 inf.: + واجتمع

Pag. ۳۰۳ lin. 11: + ذراعًا Pag. ۳۰۹ lin. 9: الدزدار

Pag. ۳۱۳ lin. 10: + عماد الدين Lin. 16: + وان ملكها

Pag. ۳۴۴ lin. 14: + ودُفن Pag. ۳۴۹ lin. 6 infra: + الجزريّة

Pag. ۳۵۱ lin. 5 infra: + ونزل

Addenda et Corrigenda.

Signum + errores notat typothetarum.

Pag. ۴ lin. 15: اسوار C. P.
Pag. ٥ lin. 11: والاشتغال بامر احزنه C. P.
Pag. ٧ lin. 5: + الكعرتوثى Nota 1). + الكفرتونى

Pag. ١٠ lin. 9: وهّى سجّاى et hemist. poster. والعاذل بالملام قد سجّاى C. P. Lin. 11: ببعاد بينهم Ib. Lin. 14: ينسف الجبال Ib. Lin. 16: صار صغار فى Ib.

Pag. ٢٣ lin. 7 infra: البندبيانجيْن
Pag. ٢٧ lin. 3: البقشلامى C. P.
Pag. ٢٩ lin. 11 infra et pag. ٣١ lin. 3 الدركريى

Pag. ٣۴ lin. 2 infra: انطاليّه

Pag. ٣٩ lin. 7: نطبّف C. P.
Pag. ۴٢ lin. 1: C. P. verba ويلبس سراويل فتوة منه omittit et pro اليه habet عليه

Pag. ۴۴ lin. 4: بعبر عناه C. P. Pag. ۴٨ lin. 10: الى دمشق
Pag. ٥٢ lin. 9: طعول Pag. ٥٩ lin. 16: تنر C. P.

Pag. ٦۴ lin. 9: + مهاجرًا Lin. 14: خرنًا C. P. Lin. 16: مما تكتب Ib.
Pag. ٧٠ lin. 8: وباحه Pag. ٧۴ lin. 11 infra. بلد
Pag. ٩١ lin. 4 infra: وقد تحلت C. P.

Pag. ٩٥ lin. 4 et 6: اتّب Lin. 20: راجعة C. P.

Pag. ٩٧ lin. 2: تطّلعت C. P.
Pag. ٩٨ lin. 8 infra: طابت نجومك فوقها ولربما C. P. Lin. 6 infra. تستعلى C. P.
Pag. ١٠٥ lin. 10 infra: + عليه

Pag. ١٠٦ lin. 4: طغا وبغا عدوا على علوآنه فاوبعه C. P. Lin. 7: لا قلّ C. P.
Pag. ١٠٧ lin. 12 فسوح الدى C. P. Lin. 13: فواطات يا حبذا حدمها ـ ابدارها C. P. Lin. 14: وانصار رايك انصارها C. P. Lin. 16: كذلك ـ بالسوع Lin. 17. + اذابت
Pag. ١٠٨ lin. 10: فاخذوه بغير قتال C. P. et 740
Pag. ١١٣ lin. 3 infra: + فلكاها

Pag. ١١٧ lin. 14: لابرشهر ومصباحًا لداجيه C. P. Lin. 18: + تنهبه

Pag. ١٣٠ lin. 14: أبق ابن
Pag. ١٣٢ lin. 9 infra: ولى الخليفة C. P.
Pag. ١٣٧ lin. 5 infra: ما زلت تمسكه بمناد ـ عوده بالمناد C. P. Lin. 4 infra: عددا C. P.

LIBERO BARONI

CONSTANTINO D'OHSSON

INCLYTO MONGOLORUM HISTORIÆ SCRIPTORI

gratum et venerabundum animum testaturus

d. d. d.

C. J. TORNBERG.

IBN-EL-ATHIRI

CHRONICON

QUOD PERFECTISSIMUM INSCRIBITUR.

VOLUMEN UNDECIMUM, ANNOS H. 527 — 583 CONTINENS,

AD FIDEM CODICIS UPSALIENSIS, COLLATIS PASSIM PARISINIS

EDIDIT

CAROLUS JOHANNES TORNBERG

L. L. O. O. PROFESSOR R. ET O. LUNDENSIS
REG. ACAD. LITT. HUMM. HISTORIÆ ET ANTIQUITT. HOLM., REG. SOC. SCIENT. UPSAL.
SOC. PHYSIOGR. LUND., REG. SOC. SCIENT. NORVEG., SOC. ASIAT. PAR.
ET SOC. ORIENT. GERM. MEMBRUM.

PUBLICO SUMTU

UPSALIÆ 1851

EXCUDEBAT C. A. LEFFLER.

PROSTAT APUD T. O. WEIGEL LIPSIÆ.

كتاب

كامل التواريخ

تاليف الشيخ العلّامة عزّ الدين ابى الحسن علىّ ابى الكرم محمد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانىّ المعروف

بابن الاثير

الجزو الثانى عشر

طبع فى مدينة اوبسالة المحروسة بالمطبع المدرسىّ
سنة ١٨٥٣ المسيحية

كتاب

كامل التواريخ



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسّر خيرًا

سنة ٥٨٤ ذكر حصر صلاح الدين كوكب

فى هذه السنة فى المحرّم انحسر الشتآء فسار صلاح الدين من عكّا فيمن تخلّف عنده من العسكر الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها ظنًّا منه انّ مُلكها سهلًا وانّ اخذها [عجلًا] وهو فى قلّة من العسكر متيسّر فلمّا رءاها عالية منيفة والوصول اليها متعذّر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لانّ البلاد الساحليّة من عكّا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها ما عدا هذه الحصون وكان يختار ان لا يبقى فى وسطها ما يُشغل قلبه ويقسّم همّه ويحتاج الى حفظه ولئلّا ينال الرعايا والمجتازين منهم الضرر العظيم فلمّا حصر كوكب ورءاها منيعة بطئ مُلكها واخذها رحل عنها وجعل عليها قايماز النجمىّ مستديمًا لحصاره وكان رحيله عنها فى ربيع الاوّل واتاه رسل الملك قلج ارسلان وقزل ارسلان وغيرهما يهنّونه بالفتح والظفر وسار من كوكب الى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى البلاد جميعًا باجتماع العساكر بها واقام بها الى ان سار الى الساحل بالبلاد الشامية ۞

ذكر رحيل صلاح الدين الى بلد الفرنج

لمّا اراد صلاح الدين المسير عن دمشق حضر عنده القاضى الفاضل مودّعًا له ومستشيرًا وكان مريضًا وودّعه وسار عن دمشق منتصف ربيع الاوّل الى حمص فنزل على بحيرة قدس غربىّ حمص وجآءته العساكر فاوّل مَن اتاه من اصحاب الاطراف عماد الدين زنكى بن مودود بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور وتلاحقت العساكر من الموصل

ودبار الجزيرة وعيرها فاجتمعت عليه وكثرت عنده فسار حتّى نزل تحت حصن الاكراد من الجانب الشرقيّ وكنتُ معه حينئذٍ فاقام يومَين وسار جريدة وترك اثقال العسكر موضعها تحت الحصن ودخل الى بلد الفرنج فاغار على صافيثا والعريمة ويحمور وغيرها من البلاد والولايات ووصل الى قريب طرابلس وابصر البلاد وعرف من ابن يأتيها وابن يسلك منها ثمّ عاد الى معسكره سالمًا وقد غنم العسكر من الدوابّ على اختلاف انواعها ما لا حدّ عليه واقام تحت حصن الاكراد الى اخر ربيع الاخر

ذكر فتح جبلة

لمّا اقام صلاح الدين تحت حصن الاكراد اتاه قاضى جبلة وهو منصور بن نبيل يستدعيه اليه ليسلّمها اليه وكان هذا القاضى عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها على ما يتعلّق بالبيمند فحملته الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفّل له بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشماليّة فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الاولى فنزل بانطرطوس سادسه فراى الفرنج قد اخلوا المدينة واحتموا فى برجين حصينين كلّ واحد منهما قلعة حصينة ومعقل منيع فخرّب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخائرهم وكان الداوية باحد البرجين فحصرهما صلاح الدين فنزل اليه مَن فى احد البرجين بامان وسلّموه فامّنهم وخرّب البرج والقى حجارته فى البحر وبقى الذى فيه الداوية لم يسلّموه وكان معهم مقدّمهم الذى اسره صلاح الدين يوم المصافّ وكان قد اطلقه لمّا ملك البيت المقدّس فهو الذى حفظ هذا الحصن فخرّب صلاح الدين ولاية انطرطوس ورحل عنها واتى مرقية وقد اخلاها اهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهى من حصونهم التى لا ترام ولا تحدّث احدا نفسه بملكه لعلوّه وامتناعه وهو للاسبتار والطريق تحته فيكون الحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره والطريق مضيق لا يسلكه الّا الواحد بعد الواحد فاتّفق أنّ صاحب صقلية من الفرنج قد سيّر نجدة الى فرنج الساحل

فى ستّين قطعة من الشوانى وكانوا بطرابلس فلمّا سمعوا بمسير صلاح الدين
جآوا ووقفوا فى البحر تحت المرقب فى شوانيهم ليمنعوا من يجتاز بالسهام
فلمّا راى صلاح الدين ذلك امر بالطارقيات والجنبيات فصُفّت على الطريق
ممّا يلى البحر من اوّل المضيق الى اخره وجعل ورآءها الرماة فمنعوا
الفرنج من الدنوّ اليهم فاجتاز المسلمون عن اخرهم حتّى عبروا المضيق
ووصلوا الى جبلة ثامن عشر جمادى الاولى وتسلّمها وقت وصوله وكان
قاضيها قد سبق اليها ودخل فلمّا وصل صلاح الدين رفع اعلامه على
سورها وسلّمها اليه وتحصّن الفرنج الذين كانوا بها تحصّنًا واحتموا
بقلعتها فما زال قاضى جبلة يخوّفهم ويرغّبهم حتّى استنزلهم بشرط الامان
وان ياخذ رهاينهم يكونون عنده الى ان يطلق الفرنج رهاينهم من
المسلمين من اهل جبلة وكان بيمند صاحبها قد اخذ رهاين القاضى
ومسلمين جبلة وتركهم عنده بانطاكية فاخذ القاضى رهاين الفرنج
وجآء روسآء اهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة اهله وهو من امنع الجبال
واشقّها مسلكًا وفيه حصن يعرف ببكسرايل بين جبلة ومدينة حماة
فلكه المسلمون وصار الطريق فى هذا الوقت عليه من بلاد الاسلام الى
العسكر وكان الناس يلقون شدّة فى سلوكه وقرّر صلاح الدين
احوال جبلة وجعل فيها لحفظها الامير سابق الدين عثمان بن
الداية صاحب شيزر وسار عنها ۞

ذكر فتح لاذقيّة

لمّا فرغ السلطان من امر جبلة وسار عنها الى لاذقيّة فوصل اليها
فى الرابع والعشرين من جمادى الاولى فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن
حفظها وصعدوا الى حصنين لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون
المدينة وحصروا القلعتين اللتين فيهما الفرنج وزحفوا اليهما ونقبوا
الاسوار ستّين ذراعًا وعلّقوه وعظم القتال واشتدّ الامر عند الوصول الى
السور فلمّا ايقن الفرنج بالعطب ودخل اليهم قاضى جبلة فخوّفهم من
المسلمين فطلبوا الامان فامّنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلاميّة الى
الحصنين وكان ذلك فى اليوم الثالث من النزول عليها وكانت عمارة
اللاذقيّة من احسن الابنية واكثرها زخرفة مملوّة بالرخام على اختلاف

انواعه فخرّب المسلمون كثيرًا منها ونقلوا رخامها وشعّثوا كثيرًا من بيعها التى قد غرم على كلّ واحدة منها الاموال الجليلة المقدار وسلّمها الى ابن اخيه تقى الدين عمر فعمّرها وحصّن قلعتها حتّى اذا رءاها اليوم مَن رءاها ينكرها فلا يظنّ انّ هذه تلك وكان عظيم الهمّة فى تحصين القلاع والغرامة الوافرة عليها كما فعل بقلعة حماة ۞

ذكر حال اسطول صقلّيّة

لمّا نازل صلاح الدين لاذقيّة [وصل اسطول صقليّة] الذى تقدّم ذكره فوقف بازآء مينا لاذقيّة فلمّا سلّمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل هذا الاسطول على اخذ مَن يخرج منها من اهلها غيظًا وحنقًا حيث سلّموها سريعًا فسمع بذلك اهل لاذقيّة فاقاموا وبذلوا الجزية وكان سبب مقامهم ثمّ انّ مقدّم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فامّنه وحضر [وقبّل] الارض بين يديه وقال ما معناه انّك سلطان رحيم كريم وقد فعلتَ بالفرنج ما فعلتَ فذلّوا فاتركهم يكونون مماليكك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وتردّ عليهم بلادهم والّا جاءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتدّ الحال فاجابهم صلاح الدين بنحو من كلامه من اظهار القوّة والاستهانة بكلّ مَن يجئ من البحر وانّهم ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل والاسر فصلّب على وجهه ورجع الى اصحابه ۞

ذكر فتح صهيون وعدّة من الحصون

ثمّ رحل صلاح الدين عن لاذقيّة فى السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهى قلعة منيعة شاهقة فى الهوآء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها وادٍ عميقٌ فيه ضيق فى بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الّا انّ الجبل متّصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقًا عميقًا لا يرى قعره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونُصبت عليه المنجنيقات ورماها وتقدّم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضًا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيّين كثير وهم فى الشجاعة بالمنزلة

المشهورة ودام رشق السهام من قسىّ اليد والجرخ والزنبورك والزيار فجرح اكثر مَن بالحصن وهم يُظهرون التجلّد والامتناع وزحف المسلمون اليهم ثانى جمادى الاخرة فتعلّقوا بحزنة من ذلك الجبل قد اغفل الفرنج احكامها فتسلّقوا منها بين الصخور حتّى التحقوا بالسور الاوّل فملكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها من ابقار ودوابّ وذخاير وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلّة التى للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرّروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدّس وتسلّم الحصن وسلّمه الى امير يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابى قُبيس فحصّنه وجعله من احصن الحصون ولمّا ملك المسلمون صهيون تفرّقوا فى تلك النواحى فملكوا حصن بلاطنوس كان مَن به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفًا ورعبًا وملك ايضًا حصن العيدو[1] وحصن الجماهرتين فاتّسقت المملكة الاسلاميّة بتلك الناحية الّا انّ الطريق اليها من البلاد الاسلاميّة على عقبة بكسرائيل شاقّ[3] شديد لانّ الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لانّ بعضها بيد الاسماعيليّة وبعضها بيد الفرنج ☆

ذكر فتح حصن بكاس والشُغر

ثمّ سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الاخرة فوصل الى قلعة بكاس [فراى الفرنج قد اخلوها وتحصّنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس][2] بغير قتال وتقدّم الى قلعة الشغر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقيّة وجبلة والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلاميّة فلمّا نازلها رءاها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الّا انّه امر بمزاحفتهم ونصب منجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من الحجارة الى القلعة شىٌ الّا القليل الذى لا يُوذى فبقى المسلمون عليه ايّامًا لا يرون فيه طمعًا واهله غير مهتمّين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرّق اليهم وبلآء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم فى ذكر القلعة

[2]) C. P. [1]) C. P.: العدو 740: العيدو

واعمال الحيلة فى الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فَمَا ٱسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا[1] فقال صلاح الدين او ياتى الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم فى هذا الحديث واذ قد اشرف عليهم فرنجىّ ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فاجيب الى ذلك ونزل رسول وسال انتظارهم ثلاثة ايّام فان جاءهم من يمنعهم والّا سلّموا القلعة بما فيه من ذخاير ودوابّ وغير ذلك فاجابهم اليه واخذ رهاينهم على الوفآء به فلمّا كان اليوم الثالث سلّموها اليه واتّفق يوم الجمعة سادس عشر جمادى الاخرة، وكان سبب استمهالهم انّهم ارسلوا الى البيمند صاحب انطاكيّة وكان هذا الحصن له يعرّفونه انّهم محصورون ويطلبون منه ان يرحّل عنهم المسلمين فان فعل والّا سلّموها وانّما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى فى قلوبهم والّا فلو اقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضًا، فلمّا تسلّم صلاح الدين الحصن سلّمه الى امير يقال له قلج وامره بعمارته ورحل عنه ۞

ذكر فتح سرمينيّة

لمّا كان صلاح الدين مشغولاً بهذه القلاع والحصون سيّر ولده الظاهر غازى صاحب حلب فحصر سرمينيّة وضيّق على اهله واستنزلهم على قطيعة قرّرها عليهم فلمّا انزلهم واخذ منهم المقاطعة هدم الحصن وعفى اثره وعالى[2] بنيانه وكان فيه وفى هذه الحصون من اسارى المسلمين الجمّ الغفير فاطلقوا وأُعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الاخرة واتّفق انّ فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة الى سرمينيّة مع كثرتها كان فى ستّ جُمع مع انّها فى ايدى اشجع الناس واشدّهم عداوةً للمسلمين فسبحان مَن اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهى جميعها من اعمال انطاكيّة ولم يبق لها سوى القُصير وبغراس ودرب ساك وسياتى ذكرها ان شآء الله تعالى فى مكانه ۞

ذكر فتح برزية

لمّا رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكانت قد وُصفتْ له وهى تقابل حصن افامية وتناصفها فى اعمالها وبينهما

[2]) C. P. et 740; at in C. P. deest: اثره Ups.: وعلى لى [1]) Cor. 48, 96.

بحيرة تجتمع من ماء العاصى وعيون تتفجر من جبل بهرية وغيره وكان اهلها اضرّ شئ على المسلمين يقطعون الطريق ويبالغون فى الاذى فلمّا وصل اليها نزل شرقيّها فى الرابع والعشرين من جمادى الاخرة ثمّ ركب من الغد وطاف عليها لينظر موضعًا يقاتلها منه فلم يجده الّا من جهة الغرب فنصب له هناك [خيمة][1] صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن ان تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتّة فانّها لا يقدر احد يصعد جبلها من هاتينْ الجهتينْ وامّا الجانب الشرقىّ فيمكن الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوّه وصعوبته وامّا جهة الغرب فانّ الوادى المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعًا كثيرًا حتّى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزله المسلمون ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب اهل القلعة عليها منجنيقًا بطّلها ورايتُ انا من راس جبل عالٍ يشرف على القلعة لكنّه لا يصل منه شئ اليها امراة ترمى من القلعة عن المنجنيق وهى التى بطّلت منجنيق المسلمين فلمّا راى صلاح الدين انّ المنجنيق لا ينتفعون به عزم على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة اقسام يزحف قسم فاذا تعبوا وكلّوا عادوا وزحف القسم الثانى فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثمّ يدور الدور مرّة بعد اخرى حتّى يتعب الفرنج وينصبوا فانّهم لم يكن عندهم من الكثرة ما يتقسّمون كذلك فاذا تعبوا واعيوا سلّموا القلعة • فلمّا كان الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة تقدّم احد الاقسام وكان المقدّم عليهم عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم على فصيلهم ورماهم المسلمون بالسهام من وراء الجفتيات والجنويّات والطارقيات ومشوا اليهم حتّى قربوا الى الجبل فلمّا قاربوا الفرنج عجزوا عن الدنوّ منهم لخشونة المرتقى وتسلّط الفرنج عليهم لعلوّ مكانهم بالنشاب والحجارة فانّهم كانوا يُلقون الحجارة الكبار فتتدحرج الى اسفل الجبل فلا يقوم لها شئ فلمّا تعب هذا القسم

---

[1]) C. P. et 740.

انحدروا وصعد القسم الثانى وكانوا جلوسًا ينتظرونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاصّ فقاتلوا قتالًا شديدًا وكان الزمان حرًّا شديدًا فاشتدّ الكرب على الناس وصلاح الدين فى سلاحه يطوف عليهم ويحرّضهم وكان تقى الدين ابن اخيه كذلك فقاتلوهم الى قرب الظهر ثمّ تعبوا ورجعوا فلمّا رءاهم صلاح الدين قد عادوا تقدّم اليهم وبيده جمانى يردّهم وصاح فى القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا مُلبّين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجاءَ الفرنج ما لا قبل لهم به وكان اصحاب عماد الدين قد استراحوا فقاموا ايضًا معهم فحينئذٍ اشتدّ الامر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتدّ تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدّة الحرّ وانقطع فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طائفة قليلة فى الخيام شرقىّ الحصن فراوا الفرنج قد اهملوا ذلك الجانب لانّهم لا يروا فيه مقاتلًا وليكثروا فى الجهة التى فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطايفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا ايضًا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فملكوا الحصن عنوةً وقهرًا ودخل الفرنج القلّة التى للحصن واحاط بها المسلمون وارادوا نقبها وكان الفرنج قد رفعوا مَن عندهم من اسرى المسلمين الى سطح القلّة وارجلهم فى القيود والخشب المنقوب فلمّا سمعوا تكبير المسلمين فى نواحى القلعة كبّروا فى سطح القلّة وظنّ[1] الفرنج انّ المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا والقوا بايديهم الى الاسر فملكها المسلمون عنوةً ونهبوا ما فيها واسروا وسبوا مَن فيها واخذوا صاحبها واهله وامسَتْ خالية لا ديار بها والقى المسلمون النار فى بعض بيوتهم فاحترقتْ ، ومن العجب ما يُحكى من السلامة انّى رايتُ رجلًا من المسلمين على هذا قد جاءَ من طائفة من المومنين شمالىّ القلعة الى طائفة اخرى من المسلمين جنوبىّ القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضًا فالعبتْ عليه الحجارة وجاءته حجر كبيرة لو نالته لبعجتْه فنزلت عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت

---

1) طن

ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجآءت الحجر اليه فلمّا قاربته وهو منبطح على وجهه لقيها حجر اخر نابتة في الارض فوق الرجل فضربتها المنحدرة فارتفعت عن الارض وجازت الرجل ثمّ عادت الى الارض من جانبه الاخر لم يمله منها اذى ولا ضرر وقام يعدو حتى لحق باصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست امّ الجبان ، واما صاحب برزية فانّه اسر هو واصحابه وامراته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرّقهم العسكر فارسل صلاح الدين في الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلمّا قارب انطاكيّة اطلقهم وسيّرهم اليها وكانت امراة صاحب برزية اخت امراة بيمند صاحب انطاكيّة وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتُعلمه كثيرًا من الاحوال التى تؤثر فاطلق هؤلآء لاجلها ۞ .

ذكر فتح دربساك

لمّا فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فاتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكيّة فاقام عليه حتى وافاه مَن تخلّف عنه من عسكره ثمّ سار عنه الى قلعة دربساك فنزل عليها ثامن رجب وهى من معاقل الداويّة الحصينة وقلاعهم التى يدّخرونها لحماياتهم عند نزول الشدائد فلمّا نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها شيئًا يسيرًا فلم يبال مَن فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدّم النقّابون فنقبوا منها برجًا وعلّقوه فسقط واتّسع المكان الذى تريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثمّ باكروا الزحف من الغد وكان مَن فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكيّة يستنجدونه فصبروا واظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه امّا بانجادهم واراحة المسلمين عنهم وامّا بالتخلّى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلمّا علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فامّنهم على شرط [ان] لا يخرج احد الّا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابّة ولا شئ ممّا بها ثمّ اخرجهم منه وسيّرهم الى انطاكيّة وكان فتحه تاسع عشر رجب ۞

ذكر فتح بغراس

ثمّ سار عن درب ساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف اصحابه في حصرها فمنهم مَن اشار به ومنهم مَن نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكيّة ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر في اليزك مقابل انطاكيّة فاذا كان الامر كذلك قلّ المقاتلون عليها وتتعذّر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكًا مقابل انطاكيّة يُغيرون على اعمالها وكانوا حذرين من الخوف من اهلها ان غفلوا لقربهم منها وصلاح الدين في بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم يؤثر فيها شيئًا لعلوّها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذّر فتحها وتاخّر مُلكها وشقّ على المسلمين قلّة المآء عندهم الّا انّ صلاح الدين نصب الحياض وامر بحمل المآء اليها فخفّف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال واذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فاجيب الى ذلك فاذن له في الحضور فحضر وطلب الامان لمن في الحصن حتّى يسلّموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فاجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلاميّة فرفعت على راس القلعة ونزل مَن فيها وتسلّم المسلمون القلعة بما فيها من ذخاير واموال وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخُرّب وكان ذلك مضرّة عظيمة على المسلمين فانّ ابن ليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدّد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتتاذّى بهم السواد الذى لحلب وهو الى الآن بايديهم ۞

ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكيّة

لمّا فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجّه الى انطاكيّة وحصرها فخاف البيمند صاحبها من ذلك واشفق منه فارسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كلّ اسير عنده من المسلمين فاستشار مَن عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فاشار اكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحون ويجدّدون ما يحتاجون اليه فاجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر اوّلها اوّل تشرين الاوّل واخرها اخر ايار وسيّر

رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكية فى هذا الوقت اعظم الفرنج شانًا واكثرهم مُلكًا فانّه كان الفرنج قد سلّموا اليه طرابلس بعد موت القمص وجميع اعمالها مضافًا الى ما كان له لانّ القمص لم يخلّف ولدًا فلمّا سُلّمت اليه طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نائبًا عنه، وامّا صلاح الدين فانّه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرّق العساكر الشرقيّة كعماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح ابا زكريّاء المغربىّ وكان مقيمًا هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الامير عزّ الدين ابو الفليتة قاسم بن المهنّا العلوىّ الحسينىّ وهو امير مدينة النبىّ صلّعم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبارك برؤيته وتيمّن بصحبته وكان يُكرمه كثيرًا وينبسط معه ويرجع الى قوله فى اعماله كلّها ودخل دمشق اوّل شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال انّ العمر قصير والاجل غير مامون وقد بقى بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بدّ من الفراغ منها فانّها فى وسط بلاد الاسلام ولا يومن شرّ اهلها وان اغفلناهم ندمنا فيما بعد والله اعلم

ذكر فتح الكرك وما يجاوره

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرًا يحصره فلازموا الحصار هذه المدّة الطويلة حتّى فنيت ازواد الفرنج وذخائرهم واكلوا دوابّهم وصبروا حتّى لم يبق للصبر مجالٌ فراسلوا الملك العادل اخا صلاح الدين وكان جعله صلاح الدين على قلعة الكرك فى جمع من العسكر يحصرها ويكون مطلعًا على هذه الناحية من البلاد لمّا ابعد هو الى درب ساك وبغراس فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وارسل الى مقدّم العسكر الذى يحصرها فى المعنى فتسلّم القلعة منهم وامّنهم وتسلّم ايضًا ما يقاربه من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرّغ القلب من تلك الناحية

والعى الاسلام هناك جرانه وامنت قلوب من فى ذلك السقع من البلاد كالقدس وغيره فانّهم كانوا ممّن بتلك الحصون وجلبن ومن شرّهم مشفقين ۞

ذكر فتح قلعة صفد

لمّا وصل صلاح الدين الى دمشق واشير عليه بتفريق العساكر وقال لا بدّ من الفرنج من صفد وكوكب وغيرها اقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وادام الرمى اليها ليلًا ونهارًا بالحجارة والسهام وكان اهلها قد قارب ذخايرهم وازوادهم ان تفنى فى المدّة التى كانوا فيها محاصرين فانّ عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم كما ذكرناه فلمّا راى اهله جدّ صلاح الدين فى قتالهم خافوا ان يقيم الى ان يفنى ما بقى معهم من اقواتهم وكانت قليلة وياخذهم عنوة ويهلكهم او انّهم يضعفون عن مقاومته قبل فناء ما عندهم من القوت فياخذهم فارسلوا يطلبون الامان فامّنهم وتسلّمها منهم فخرجوا عنها وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرّهم فانّهم كانوا وسط البلاد الاسلاميّة ۞

ذكر فتح كوكب

لمّا كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع من بصور من الفرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد لم تبق كوكب ولو انّها معلّقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتّفق رايهم على انفاذ نجدة لها سرًّا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مايتى رجل من شجعان الفرنج واجلادهم فساروا الليل مستخفين واقاموا النهار مكمنين فاتّفق من قدر الله تعالى انّ رجلًا من المسلمين الذين يحاصرون كوكب خرج متصيّدًا فلقى رجلًا من تلك النجدة فاستغربه بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذى اقدمه الى هناك فاقرّ بالحال ودلّه على اصحابه فعاد الجندىّ المسلم الى قايماز النجمىّ وهو مقدّم ذلك العسكر فاعلمه الخبر والفرنجىّ معه فركب فى طايفة من العسكر الى الموضع الذى قد اختفى فيه الفرنج فكبسهم فاخذهم وتتبّعهم فى الشعاب والكهوف فلم تفلت منهم احدٌ فكان معهم مقدّمان من فرسان الاسبتار فحُملوا الى صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما وكانت عادته

فقتل الداويّة والاسبتاريّة لشدّة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم فلمّا امر بقتلهما قال له احدهما ما اظنّ ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان رحمه الله كثير العفو يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه فيعفو ويصفح فلمّا سمع كلامهما لم يقتلهما وامر بهما فسُجنا ء ولمّا فتح صفد سار عنها الى كوكب ونازلها وحصرها وارسل الى مَن بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلّموا ويتهدّدهم بالقتل والسبى والنهب ان امتنعوا فلم يسمعوا قوله واصرّوا على الامتناع فجدّ فى قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع رمى الاحجار اليهم وزحف مرّة بعد مرّة وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلًا ولا نهارًا فلم يتمكّن المسلمون من القتال على الوجه الذى يريدونه وطال مقامهم عليها وفى اخر الامر زحف اليها دفعات متناوبة فى يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقّابون والرماة يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر احد منهم ان يخرج راسه من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدّموا الى السور الاعلى فلمّا راى الفرنج ذلك اذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فامّنهم وتسلّم الحصن منهم منتصف ذى القعدة وسيّرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كلّ صنديد فاشتدّت شوكتهم وحميت جمرتهم وتابعوا الرسل الى مَن بالاندلس وصقليّة وغيرها من جزائر البحر يستغيثون ويستنجدون والامداد كلّ قليل تاتيهم وكان ذلك كلّه بتفريط صلاح الدين فى اطلاق كلّ من حصره حتّى عضّ بنانه ندمًا واسفًا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حدّ ايلة الى اقصى اعمال بيروت لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكيّة سوى القُصير ولمّا ملك صلاح الدين صفد سار الى البيت المقدّس فعيّد فيه عيد الاضحى ثمّ سار منه الى عكّا فاقام بها حتّى انسلخت السنة ۞

ذكر ظهور طايفة من الشيعة بمصر

فى هذه السنة ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدّتهم اثنا عشر رجلًا ليلًا ونادوا بشعار العلويّين يال علىّ يال علىّ وسلكوا الدروب ينادون ظنًّا منهم انّ رعيّة البلد يلبّون دعوتهم ويخرجون معهم فيعيدون

الدولة العلوية ويخرجون بعض من بالقصر محبوسًا منهم ويملكون البلد فلم يلتفت احد منهم اليهم ولا اعارهم سمعه فلمّا راوا ذلك تعرّفوا خايفين فأُخذوا وكُتب بذلك الى صلاح الدين فاهمّه امرهم وازعجه فدخل عليه القاضى الفاضل فاخبره الخبر فقال القاضى الفاضل ينبغى ان تفرح بذلك ولا تحزن ولا تهتمّ حيث علمتَ من بواطن رعيّتك المحبّه لك والنصح وترك الميل الى عدوّك ولو وضعت جماعة يفعلون مثل هذه الحالة لتعلم بواطن اصحابك ورعيّتك وخسرت الاموال الجليلة عليهم لكان قليلًا فسرى عنه وكان هذا القاضى الفاضل صاحب دولة صلاح الدين واكبر مَن بها وسنانى مناقبه عند وفاته ما تراه ۞

ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل

فى هذه السنة جهّز الخليفه الناصر لدين الله عسكرًا كثيرًا وجعل المقدّم عليهم وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس وسيّرهم الى مساعدة قزل ليكفّ الناس طغرل عن البلاد فسار العسكر ثالث صفر الى ان قارب همدان فلم يصل قزل اليهم واقبل طغرل اليهم فالتقوا ثامن ربيع الاوّل بداى مرج عند همدان واقتتلوا فلم يثبت عسكر بغداد بل انهزموا وتفرّقوا وثبت الوزير قايمًا ومعه مصحف وسيف فاتاه من عسكر طغرل مَن اسره واخذ ما معه من خزانة وسلاح ودوابّ وغير ذلك وعاد العسكر الى بغداد متفرّقين وكنتُ حينئذ بالشام فى عسكر صلاح الدين يريد الغزاة فاتاه الخبر مع النجابين بمسير العسكر البغدادىّ فقال كانّكم وقد وصل الخبر بانهزامهم فقال له بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لا شكّ انّ اصحابى واهلى اعرف بالحرب من الوزير واطوع فى العسكر منه ومع هذا فما ارسل احدًا منهم فى سريّة للحرب الّا واخاف عليه وهذا الوزير فغير عارف بالحرب وقريبُ العهد بالولاية ولا يراه الامرآء اهلًا ان يُطاع وفى مقابله سلطان شجاع قد باشر الحرب بنفسه ومَن معه بطبيعه وكان الامر كذلك ووصل الخبر اليه بانهزامهم فقال لاصحابه كنتُ اخبرتُكم بكذا وكذا وقد وصل الخبر بذلك ، ولمّا عادت عساكر بغداد منهزمة قال بعض الشعرآء وهو احمد بن الواثق بالله

أُتركونا من جايحات الجريمة طلعةٌ ضلعةٌ تكون وخيمةْ

بركات الوزير قد شملتنا فلهذا امورنا مستقيمه
خرجت جندنا تريد خراسان جمعا بابّهات عظيمه
بخيول وعدّة وعديد وسيوف محرّبات قديمه
ووزير وطاق طنب ونعش وخيول معدّه للهزيمه
ثمّ رأوا غرّة العدو قد[1] اقبل ولواء واحلّ عقد العزيمه
واتونا ولا تحقّى بوجوه سود قباح ذميمه
لو راى صاحب الزمان ولو عاين افعالهم وقبح الجريمه
قابل الكلّ بالنكال وناهيك بها سبّة عليهم عظيمه

كان ينبغى ان تتقدّم هذه الحادثة وانّما اخّرتها لنتبع الحوادث المتقدّمه بعضها بعضًا لتتعلق كلّ واحدة منها بالاخرى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى شيخنا ابو محمّد عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن سويدة التكريتىّ كان عالمًا بالحديث وله تصانيف حسنة ، وفيها توفّيت سلجوقة خاتون بنت قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة وكانت قبله زوجة نور الدين محمّد بن قرا ارسلان صاحب الحصن فلمّا توفّى عنها تزوّجها الخليفة ووجد الخليفة عليها وجدًا عظيمًا ظهر للناس كلّهم وبنى على قبرها تربةً بالجانب الغربىّ والى جانب التربة رباطه المشهور بالزملة ، وفيها توفّى علاء الدين تنامش وحمل تابوته الى مشهد الحسين عم ، وفيها توفّى خادم الخليفة وكان اكبر امير ببغداد ، ومات ابو الفرج بن النفور[2] العدل ببغداد وسمع الحديث الكثير وهو من بيت الحديث رحمه الله ۞

ثمّ دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة ،

سنة ٥٨٥

ذكر فتح شقيف ارنوم

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار صلاح الدين الى شقيف ارنوم وهو من امنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من اعظم الناس دهآء ومكرًا

[1]) وقد
[2]) C. P. 740: النعور Ups.: النعور

فدخل اليه واجتمع به واظهر له الطاعة والمودّة وقال له انا محبّ لك ومعترف باحسانك واخاف ان يعرف المركيس ما بينى وبينك فينال اولادى واهلى منه اذّى فانّهم عنده فاشتهى ان تمهلنى حتّى انوصّل فى تخليصهم من عنده وحينئذ احضر انا وهم عندك ونسلّم لحصن اليك واكون انا وهم فى خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظنّ صلاح الدين صدقه فاجابه الى ما سال فاستقرّ الامر بينهما ان ينسلّم الشقيف فى جمادى الآخرة واقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلق مفكّر لقرب انقضاء مدّة الهدنة بينه وبين البيمند صاحب انطاكيّة فامر تقى الدين ابن اخيه ان يسير فى من معه من عساكره ومن ياتى من بلاد المشرق ويكون مقابل انطاكيّة لئلّا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة ، وكان ايضًا منزعج الخاطر كثير الهمّ لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتّصل بهم من الامداد فى البحر وانّ ملك الفرنج الذى كان قد اسره صلاح الدين واطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو والمركيس بعد اختلاف كان بينهما وانّهم قد اجتمعوا فى خلق لا تُحصى فانّهم قد خرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا واشباهه ممّا يزعجه ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدّم الى صور وفيها الجموع المتوافرة فتنقطع الميرة عنه الّا انّه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع ارناط صاحب الشقيف وكان ارناط فى مدّة الهدنة يشترى الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك ممّا يُحصّن به شقيفه وكان صلاح الدين يُحسّن الظنّ واذا قيل له عنه ممّا هو فيه من المكر وانّ قصده المطاولة الى ان يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدى فضيحته ويظهر مخالفته لا يقبل فيه فلمّا قارب انقضاء الهدنة تقدّم صلاح الدين من معسكره الى القرب من شقيف ارنوم واحضر عنده ارناط وقد بقى من الاجل ثلاثة ايّام فقال له فى معنى تسليم الشقيف فاعتذر باولاده واهله وانّ المركيس لم يمكنهم من المجئ اليه وطلب التاخير مدّة اخرى فحينئذ علم السلطان مكره وخداعه فاخذه وحبسه وامره بتسليم الشقيف فطلب قسّيسًا ذكره

ليحمل رسالة الى من بالشقيف ليسلّموه فاحضروه عنده فسارّه بما لم يعلموا فمضى ذلك القسيس الى الشقيف فاظهر اهله العصيان فسيّر صلاح الدين ارناط الى دمشق وسجنه وتقدّم الى الشقيف فحصره وضيّق عليه وجعل عليه من يحفظه ويمنع عن الذخيرة والرجال ❊

ذكر وقعة اليَزَك مع الفرنج

لمّا كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف جاءته كُتُب من اصحابه الذين جعلهم يَزَكًا فى مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها انّ الفرنج قد اجمعوا على عبور الجسر الذى لصور وعزموا على حصار صيْدا فسار صلاح الدين جريدة فى شجعان اصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك انّ الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنها لمقصدهم فلقيهم اليَزَك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديدة تشيب لها الوليد واسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقُتل من المسلمين ايضًا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من اشجع الناس فحمل وحده على صفّ الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينًا وشمالًا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ثمّ انّ الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيْدا فعادوا الى مكانهم ❊

ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوّعة

لمّا وصل صلاح الدين الى اليزك وقد فاتته تلك الوقعة اقام عندهم فى خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم وياخذ بثار من قتلوه من المسلمين فركب فى بعض الايّام فى عدّة يسيرة على ان ينظر الى مخيّم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده وظنّ من هناك من غزاة العجم والعرب المتطوّعة انّه على قصد المصافّ والحرب فساروا مجدّين واوغلوا فى ارض العدوّ مبعدين وفارقوا الحزم وخلّفوا السلطان وراء ظهورهم وقاربوا الفرنج فارسل صلاح الدين عدّة من الامراء يردّونهم ويحمونهم الى ان يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا انّ وراءهم كمينًا فلم يقدموا عليهم فارسلوا من ينظر حقيقة الامر فاتاهم الخبر انّهم منقطعون عن المسلمين وليس وراءهم ما يُخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا ان اناموهم وقُتل معهم جماعة من

المعروفين وشقّ على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم فى حقّ انفسهم رحمهم الله ورضى عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الاولى فلمّا راى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم فى عسكره فحملوا على الفرنج فالحقوهم الى الجسر وقد اخذوا طريقهم فالقوا انفسهم فى الماء فغرق منهم نحو مائة دارع سوى مَن قُتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلمّا راى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلمّا عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثمّ الى عكّا ينظر حالها ثمّ عاد الى العسكر والمخيّم ✿

ذكر وقعة ثالثة

لمّا عاد صلاح الدين الى العسكر اتاه الخبر انّ الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متبدّدين فكتب الى مَن بعكّا من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن جمادى الاخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتّب كمناء فى مواضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وامرهم انّهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئاً من قتال ثمّ تطاردوا لهم واروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج فاستجرّوهم الى ان يجوزوا موضع الكمين ثمّ يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلمّا ترآى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين ان يظهر منهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض واشتدّ القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمناء الانتظار فخافوا على اصحابهم فخرجوا من مكامنهم نحوهم مسرعين والمهم قاصدين فاتوهم وهم فى شدّة الحرب فازداد الامر شدّة على شدّة وكان فيهم اربعة امراء من ربيعة طيّ وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك اصحابهم فسلكوا الوادى ظنّاً منهم انّه يخرج بهم الى اصحابهم وتبعهم بعض مماليك صلاح الدين فلمّا رآهم الفرنج بالوادى علموا انّهم جاهلون فاتوهم وقاتلوهم وامّا المملوك فانّه نزل عن فرسه وجلس على صخرة واخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط فاتوه وهو باخر رمق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتاً ثمّ انّ المسلمين جاؤا من الغد الى موضعهم فراوا القتلى وراوا المملوك حيّاً فحملوه

في كسآء وهو لا يكاد يُعرف من الجراحات فايسوا من حياته واعرضوا عليه الشهادة وبشّروه بالشهادة فتركوه ثمّ عادوا اليه فراوه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه بمشروب فعوفى ثمّ كان بعد ذلك لا يحضر مشهدًا الّا كان له فيه الاثر العظيم ❁

ذكر مسير الفرنج الى عكّا ومحاصرتها

لمّا كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه من انّ صلاح الدين كان كلّما فتح مدينة او قلعة اعطى اهلها الامان وسيّرهم اليها باموالهم ونسآيهم واولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يُعدّ ولا يُحصى ومن الاموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة ثمّ انّ الرهبان والقسوس وخلقًا كثيرًا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد واظهروا الحزن على خروج البيت المقدّس من ايديهم واخذهم البترك الذى كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعًا ويستنجدون اهلها ويستجيرون بهم ويحثّونهم على الاخذ بثار البيت المقدّس وصوّروا المسيح عم وجعلوا صورة رجل عربىّ والعربىّ يضربه وقد جعلوا الدمآء[1] على صورة المسيح عم وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمّد نبىّ المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتّى النسآء فانّهم كان معهم على عكّا عدّة من النسآء يبارزون الاقران على ما نذكره ان شآء الله تعالى ومن لم يستطع الخروج استاجر مَن يخرج عوضه او يعطيهم مالًا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والاموال ما لا يتطرّق اليه الاحصآء ولقد حدّثنى بعض المسلمين المقيمين بحصن الاكراد وهو من اجناد اصحابه الذين سلّموه الى الفرنج قديمًا وكان هذا الرجل قد ندم على ما كان منه موافقة الفرنج فى الغارة على بلاد الاسلام والقتال معهم والسعى معهم وكان سبب اجتماعى به ما اذكره سنة تسعين وخمسمايّة ان شآء الله تعالى قال لى هذا الرجل انّه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الاكراد الى البلاد البحريّة التى للفرنج والروم فى اربع شوانى يستنجدون قال فانتهى بنا التطواف الى روميّة الكبرى فخرجنا منها وقد ملانا الشوانى

---

[1] الرماد

نقره ، وحدّثني بعض الاسرى منهم انّه له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهّزته بثمنه وسيّرته لاستنقاذ البيت المقدّس فأُخذ اسيرًا وكان عند الفرنج من الباعث الدينيّ والنفسانيّ ما هذا حدّه فخرجوا على الصعب والذلول برًّا وبحرًا من كلّ فجّ عميق ولو لا الله تعالى لطف بالمسلمين واهلك ملك الالمان لمّا خرج على ما نذكره عند خروجه الى الشام والّا كان يقال انّ الشام ومصر كانتا للمسلمين ، فهذا كان سبب خروجهم فلمّا اجتمعوا بصور تموّج بعضهم في بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدّهم بالاقوات والذخاير والعدد والرجال من بلادهم فضاقت عليهم صور باطنها وظاهرها فارادوا قصد صيدا وكان ما ذكرناه فعادوا واتّفقوا على قصد عكّا ومحاصرتها ومصابرتها فساروا اليها بفارسهم وراجلهم وقضّهم وقضيضهم ولزموا البحر في مسيرهم لا يفارقونه في السهل والوعر الضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم في البحر فيها سلاحهم وذخايرهم ولتكون عدّة لهم ان جاءهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا وكان رحيلهم ثامن رجب ونزولهم على عكّا في منتصفه ولمّا كانوا سايرين كان يزك المسلمين يتخطّفونهم وياخذون المنفرد منهم ، ولمّا رحلوا جاءَ الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتّى قاربهم ثمّ جمع امراءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سايرون او يكون في غير الطريق التي سلكوها فقالوا لا حاجة بنا الى احتمال المشقّة في مسايرتهم فانّ الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ما نريده منهم والراى اننّا نسير في الطريق المهيع ونجتمع عليهم عند عكّا فنفرّقهم ونمزّقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجّلة فوافقهم وكان رايه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سايرون وقال انّ الفرنج اذا نزلوا لصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والراى قتالهم قبل الوصول الى عكّا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق كفركنّا فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل في مقابل الفرنج جماعة من الامراء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطّفونهم ولم يقدم الفرنج عليهم مع قلّتهم فلو انّ العساكر اتبعت راى صلاح الدين في مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكّا لكان بلغ غرضه وصدّهم عنها ولكن اذا اراد الله امرًا هيّأ اسبابه ، ولمّا

وصل صلاح الدين الى عكّا راى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الاخر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تلّ كيسان وامتدّت ميمنته الى تلّ الغياضيّة وميسرته الى النهر الجارى ونزلت الاثقال بصفّورية وسيّر الكتب الى الاطراف باستدعآء العساكر فاتاه عسكر الموصل وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة واتاه تقى الدين ابن اخيه واتاه مظفّر الدين بن زين الدين وهو صاحب حرّان والرّها وكانت الامداد تاتى المسلمين فى البرّ وتاتى الفرنج فى البحر وكان بين الفريقين مدّة مقامهم على عكّا حروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة منها اليوم المشهور ومنها ما هو دون ذلك ولانّ ما عداها كان قتالًا يسيرًا من بعضهم مع بعض فلا حاجة الى ذكره ٭ ولمّا نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكّا حتى انسلخ رجب ثمّ قاتلهم مستهلّ شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبيّة فلمّا كان الغد باكرهم القتال بحدّه وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرًا حار له مَن رءاه فلمّا كان وقت الظهر حمل عليهم تقى الدين حملة منكرة من الميمنة على مَن يليه منهم فازاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضًا لا يلوى اخٌ على اخ والتجأوا الى مَن يليهم من اصحابهم واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقى الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما اخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتّصلت الطرق وزال الحصر عمّن فيه وادخل صلاح الدين اليه مَن اراد من الرجال وما اراد من الذخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو انّ المسلمين لزموا قتالهم الى الليل فبلغوا ما ارادوه فانّ للصدمة الاولى روعة لكنّهم لمّا نالوا منهم هذا القدر اخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدًا ونقطع دابرهم وكان فى جملة مَن ادخله صلاح الدين الى عكّا من جملة الامرآء حسام الدين ابو الهيجآء السمين وهو من اكابر امرآء عسكره وهو من الاكراد الحكميّة من بلد اربل وقُتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة ٭

ذكر وقعة اخرى ووقعة العرب

ثمّ انّ المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان

عازمين على بذل جهدهم واستنفاد وُسعهم فى استيصالهم فتقدّموا على تعبّيتهم فراوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرّطوا فيه بالامس وهُم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا فى حفر خندق يمنع من الوصول اليهم فالحّ المسلمون عليهم فى القتال فلم تتقدّم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلمّا راى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثمّ انّ جماعة من العرب بلغهم انّ الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من اشغالهم فكمنوا لهم فى معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلمّا خرج جمع من الفرنج على عادتهم حملت عليهم العرب فقتلوهم عن اخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فاحسن اليهم واعطاهم الخلع ❁

ذكر الوقعة الكبرى على عكّا

لمّا كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقى المسلمون الى العشرين من شعبان كلّ يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثمّ انّ الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا انّ عسكر مصر لم يحضر والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضرت والراى انّنا نلقى المسلمين غدًا لعلّنا نظفر بهم قبل اجتماع العساكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غايبًا عنه بعضها مقابل انطاكيّة ليردّوا غائلة البيمند صاحبها عن اعمال حلب وبعضها فى حمص مقابل طرابلس لتحفظ ذلك الثغر ايضًا وعسكر فى مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكون بثغر دمياط والاسكندريّة وغيرها والذى بقى من عسكر مصر كانوا لم يصلوا لطول بيكارهم كما ذكرناه قبل وكان هذا ممّا اطمع الفرنج فى الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم مَن يتقدّم الى القتال ومنهم مَن هو فى خيمته ومنهم مَن قد توجّه فى حاجته من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو واصحابه ودوابّه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كانّهم الجراد المنتشر يدبّون على وجه الارض قد ملوها طولًا وعرضًا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقى الدين عمر بن اخى صلاح الدين فلمّا راى انّ الفرنج نحوه قاصدين حذر هو واصحابه فتقدّموا اليه فلمّا قربوا

منه تاخّر عنهم فلمّا راى صلاح الدين الحال وهو فى القلب امدّ تقى
الدين برجال من عنده ليتقوّى بهم وكان عسكر ديار بكر وبعض الشرقيّين
فى جناح القلب فلمّا راى الفرنج قلّة الرجال فى القلب وانّ كثيرًا منهم
قد سار نحو الميمنة مددًا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد
فاندفعت العساكر بين ايديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة
منهم كالامير مجلى بن مروان والظهير اخو الفقيه عيسى وكان والى
البيت المقدّس قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين وكالحاجب خليل
الهكّارىّ وغيرهم من الشجعان الصابرين فى مواطن الحرب ولم يقف بين
ايديهم فى القلب من يردّهم فقصدوا التلّ الذى عليه خيمة صلاح الدين
فقتلوا من مرّوا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم
شيخنا جمال الدين ابو علىّ بن رواحة الحموىّ وهو من اهل العلم وله
شعر حسن وما ورث الشهادة من بعيد فانّ جدّه عبد الله بن رواحة
صاحب رسول الله صلّعم قتله الروم يوم موتة وهذا قتله الفرنج يوم
عكّا وقتلوا غيره وانحدروا الى الجانب الاخر من التلّ فوضعوا السيف فيمن
لقوه وكان من لطف الله تعالى بالمسلمين انّ الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح
الدين ولو القوها لعلم الناس وصولهم اليها وانهزام العساكر بين ايديهم
فكانوا انهزموا اجمعين ء ثمّ انّ الفرنج نظروا وراءهم فراوا امدادهم قد
انقطعت عنهم فرجعوا خوفًا ان ينقطعوا عن اصحابهم وكان سبب انقطاعهم
انّ الميمنة وقفت مقابلتهم فاحتاج بعضهم يقف مقابلها وحملت ميسرة
المسلمين على الفرنج فاشتغل المدد بقتال من بها عن الاتّصال باصحابهم
وعادوا الى طرف خنادقهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة
صلاح الدين صادفوهم وهم راجعون فقاتلوهم وثار بهم غلمان العسكر ء وكان
صلاح الدين لمّا انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويامرهم بالكرّة ومعاودة
القتال فاجتمع معه منهم جماعة صالحة فحمل بهم على الفرنج من وراء
ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فاخذتهم سيوف الله من كلّ جانب
فلم يفلت منهم احدٌ بل قُتل اكثرهم وأُخذ الباقون اسرى وفى جملة
من أُسر مقدّم الداويّة الذى كان قد اسره صلاح الدين واطلقه فلمّا
ظفر به الآن قتله وكانت عدّة القتلى سوى من كان الى جانب البحر نحو

عشرة الاف قتيل فامر بهم فألقوا فى النهر الذى يشرب الفرنج منه وكان عامّة القتلى من فرسان الفرنج فانّ الرجّالة لم يلحقوهم وكان فى جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيّات كنّ يقاتلن على الخيل فلمّا أُسرن والقى عنهنّ السلاح عُرفن انّهنّ نسآء ، وامّا المنهزمون من المسلمين فمنهم مَن رجع من طبريّة ومنهم مَن جاوز الاردن وعاد ومنهم مَن بلغ دمشق ولو لا انّ العساكر تفرّقت فى الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستيصال والاهلاك مرادَهم على انّ الباقين بذلوا جُهدهم وجدّوا فى القتال وصمّموا على الدخول مع الفرنج فى معسكرهم لعلّهم يفرعون منهم فجآءهم الصريخ بانّ رحالهم واموالهم قد نُهبت وكان سبب هذا النهب انّ الناس لمّا راوا الهزيمة حملوا اثقالهم على الدوابّ فثار بهم اوباش العسكر وغلمانه فنهبوه واتوا عليه وكان فى عزم صلاح الدين ان يباكرهم القتال والزحف فراى اشتغال الناس بما ذهب من اموالهم وهم يسعون فى جمعها وتحصيلها فامر بالندآء باحضار ما أُخذ فأُحضر منه ما ملأ الارض من المعارش والعيب المملوة والثياب والسلاح وغير ذلك فردّ الجميع على اصحابه ففاته ذلك اليوم ما اراد فسكن روع الفرنج واصلحوا شان الباقين منهم ✿

ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكّنهم من حصر عكّا

لمّا قُتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهوآء والجوّ وحدثت الامزجة فسادًا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامرآء واشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسّنوه له وقالوا قد ضيّقنا على الفرنج ولو ارادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والراى انّنا نبعد عنهم بحيث يتمكّنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرّهم وكفوا شرّنا وان اقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثمّ انّ مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والراى على كلّ تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطبّآء على ذلك فاجابهم اليه الى ما يريد الله يفعله وإِذَا أَرَادَ ٱللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ،[1]

---

[1]) Cor. 13, 12.

فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وامر مَن بعكّا من المسلمين بحفظها واغلاق ابوابها والاحتياط واعلمهم بسبب رحيله ، فلمّا رحل هو وعساكرَ امن الفرنج وانبسطوا فى تلك الارض وعادوا حصروا عكّا واحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم ايضاً فى البحر تحصرها وشرعوا فى حفر الخندق وعمل السور من التراب الذى يخرجونه من الخندق وجآؤا بما لم يكن فى الحساب وكان اليزك كلّ يوم يواقعهم وهم لا يقاتلون ولا يتحرّكون انّما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصّنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر راى المشيرين بالرحيل وكان اليزك كلّ يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب واشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليها ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلّف هو عنهم فقال اذا لم احضر معهم لا يفعلون شيأً وربّما كان من الشرّ اضعاف ما نرجوه من الخير فتاخّر الامر الى ان عوفى فتمكّن الفرنج وعملوا ما ارادوا واحكموا امورهم وحصّنوا نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان مَن بعكّا يخرجون اليهم كلّ يوم ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر البلد ❁

ذكر وصول عسكر مصر والاسطول المصرىّ فى البحر

فى منتصف شوّال وصلت العساكر المصريّة ومقدّمها الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايّوب فلمّا وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه واشتدّت ظهورهم واحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيّات والنشاب والاقواس شيأً كثيراً ومعهم من الرجّالة الجمّ الغفير وجمع صلاح الدين من البلاد الشاميّة راجلًا كثيراً وهو على عزم الزحف اليهم بالفارس والراجل ووصل بعده الاسطول المصرىّ ومقدّمه الامير لؤلؤ وكان شهمًا شجاعاً مقدامًا خبيراً بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة فوصل بغتة فوقع على بُطْسة كبيرة للفرنج فغنمها واخذ منها اموالا كثيرة وميرة عظيمة فادخلها الى عكّا فسكنت نفوس مَن بها بوصول الاسطول وقوى جنانهم ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى صفر خُطب لولىّ العهد ابى نصر محمّد ابن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وارسل الى البلاد فى اقامة

الخطبة ففعل ذلك ، وفيها فى شوّال ملك الخليفة تكريت وسبب ذلك انّ صاحبها وهو الامير عيسى قتله اخوته وملكوا القلعة بعده فسيّر الخليفة اليهم عسكرًا فحصروها وتسلّموها ودخل اصحابه الى بغداد فاعطوا اقطاعًا ، وفيها فى صفر فُتح الرباط الذى بناه الخليفة بالجانب الغربىّ من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يومًا مشهودًا ، وفى هذه السنة فى رمضان مات شرف الدين ابو سعد عبد الله بن محمّد بن هبة الله بن ابى عصرون الفقيه الشافعىّ بدمشق وكان قاضيها واضرّ وولى القضآء بعده ابنه وكان الشيخ من اعيان الفقهآء الشافعيّة ، وفيها فى ذى القعدة توفّى الفقيه ضيآء الدين عيسى الهكّارىّ بالخروبة مع صلاح الدين وهو من اعيان امرآء عسكره ومن قدمآء الاسديّة وكان فقيهًا جنديًّا شجاعًا كريمًا ذا عصبيّة ومروّة وهو من اصحاب الشيخ الامام ابى القسم بن البَرْزىّ تفقه عليه بجزيرة ابن عمر ثمّ اتّصل باسد الدين شيركوه فصار امامًا له فراى من شجاعته ما جعل له اقطاعًا وتقدّم عند صلاح الدين تقدّمًا عظيمًا ، وفيها فى صفر توفّى شيخنا ابو العبّاس احمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن افضل الزمان بمكّة وكان رحمه الله عالمًا متبحّرًا فى علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه والاصولَيْن والحساب والفرايض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم اعماله بالزهد ولبس الخشن واقام بمكّة حرسها الله تعالى مجاورًا فتوفّى بها وكان من احسن الناس صُحبةً وخُلُقًا ، وفيها فى ذى القعدة مات ابو طالب المبارك بن المبارك الكرخىّ مدرّس النظاميّة وكان من اصحاب ابى الحسن بن الخلّ وكان صالحًا خيّرًا له عند الخليفة والعامّة حُرمة عظيمة وجاهٌ عريضٌ وكان حسن الخطّ يضرب به المثل ☆

ثم دخلت سنة ستّ وثمانين وخمسماية ، سنة ٥٨٦

ذكر وقعة الفرنج واليزك وعود صلاح الدين الى منازلة الفرنج

قد ذكرنا رحيل صلاح الدين عن عكّا الى الخروبة[1] لمرض فلمّا برأ اقام بمكانه الى ان ذهب الشتآء وفى مدّة مقامه بالخروبة[2] كان يزكه[3] وطلايعه لا تنقطع عن الفرنج فلمّا دخل صفر من سنة ستّ وثمانين

---

1) الخرونه 2) الخرونه 3) بركه

وخمسمائة سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد ورأى العسكر الذى فى اليزك عندهم قليلًا وانّ الوحل الذى فى مرج عكّا كثير يمنع من سلوكه من اراد ان ينجد اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا انفسهم بالنشاب واحجم الفرنج عنهم حتّى فنى نشابهم فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتدّ القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انّه لا ينجيهم الّا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى ان جآء الليل وقُتل من الفريقَيْن جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ٭ ولمّا عاد صلاح الدين الى المعسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فاتاه الخبر انّ الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثمّ انّه راى الشتآء قد ذهب وجآءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماة وغيرها فتقدّم من الخروبة[1] نحو عكّا فنزل بتلّ كيسان وقاتل الفرنجَ كلّ يوم ليشغلهم عن قتال من بعكّا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتَيْن ولا يسأمون ٭

ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول

كان الفرنج فى مدّة مقامهم على عكّا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب عالية جدًّا طول كلّ برج منها فى السمآء ستّون ذراعًا وعملوا كلّ برج منها خمس طبقات كلّ طبقة مملوّة من المقاتلة وقد جمع اخشابها من الجزائر فانّ مثل هذه الابراج العظيمة لا يصلح لها من الخشب الّا القليل النادر وغشوها بالجلود والخلّ والطين والادوية التى تمنع النار من احراقها واصلحوا الطرق لها وقدّموها نحو مدينة عكّا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين من ربيع الاوّل فاشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا وشرعوا فى طمّ خندقها فاشرف البلد على ان يملك عنوةً وقهرًا فارسل اهله الى صلاح الدين انسانًا سبح فى البحر فاعلمه ما هم فيه من الضيق وما قد اشرفوا عليه من اخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدّموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالًا عظيمًا دايمًا يشغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتَيْن فرقة

---

1) الخرونه

تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكّا الّا انّ الامر قد خفّ عن مَن بالبلد ودام القتال ثمانية ايّام متتابعة اخرها الثامن والعشرين من الشهر وسَئِم الفريقان القتال وملّوا منه لملازمته ليلًا ونهارًا والمسلمون قد تيقّنوا استيلآء الفرنج على البلد لما راوا من عجز مَن فيه عن دفع الابراج فانّهم لم يتركوا حيلة الّا وعملوها فلم يُفِد ذلك ولم يُغنِ عنهم شيئًا وتابعوا رمى النفط الطيار عليها فلم يوثر فيها فايقنوا بالبوار والهلاك فاتاهم الله بنصر من عنده واذِنَ من احراق الابراج وكان سبب ذلك انّ انسانًا من اهل دمشق كان مولعًا بجمع آلات النفّاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان مَن يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباشرها بنفسى انّما اشتهى معرفتها وكان بعكّا لامر يريده الله فلمّا راى الابراج قد نُصبت على عكّا شرع فى عمل ما يعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شئ من الطين والخلّ وغيرهما فلمّا فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولّى الامور بعكّا والحاكم فيها وقال له يأمر المنجنيقىّ أن يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج ما اعطيه حتّى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومَن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظًا بقوله وحَرِد عليه فقال له قد بالغ اهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يُفلحوا فقال له مَن حضر لعلّ الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرّنا ان نوافقه على قوله فاجابه الى ذلك وامر المنجنيقىّ بامتثال امره فرمى عدّة قدور نفطًا وادوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا راوا القدر لا يحرق شيئًا يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتّى عُلم انّ الذى القاه قد تمكّن من البرج القى قدرًا مملوّة وجعل فيها النار فاشتعل البرج والقى قدرًا ثانية وثالثة فاضطرمت النار فى نواحى البرج واعجلت مَن فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومَن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شئ كثير وكان طمع الفرنج بما راوا انّ القدور الاولى لا تعمل يحملهم على الطمانينة وترك السعى فى الخلاص حتّى عجّل الله لهم النار فى الدنيا قبل الاخرة فلمّا احترق البرج الاوّل انتقل الى الثانى وقد هرب مَن فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يومًا مشهودًا لم ير

الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون وقد اسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحًا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانّهم ليس فيهم احد الّا وله في البلد امّا نسيب وامّا صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثير فلم يقبل منه الحبّة الفرد وقال انّما عملته لله تعالى ولا اريد الجزآء الّا منه وسيّرت الكتب الى البلاد بالبشاير وارسل يطلب العساكر الشرقيّة فاوّل من اتاه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة ثمّ اتاه علآء الدين ولد عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى سيّره ابوه مقدّمًا على عسكره وهو صاحب الموصل ثمّ وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كلّ منهم اذا وصل يتقدّم الى الفرنج بعسكره وينضمّ اليه غيرهم ويقاتلونهم ثمّ ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلمّا سمع الفرنج بقربه جهّزوا الى طريقه اسطولاً ليلقاه ويقاتله فركب صلاح الدين في العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكّن من دخول عكّا فلم يشتغلوا عن قصده بشىّ فكان القتال بين الفريقين برًّا وبحرًا وكان يومًا مشهودًا لم يورّخ مثله واخذ المسلمون من الفرنج مركبًا فيه من الرجال والسلاح واخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الّا انّ القتل في الفرنج كان اكثر منه في المسلمين ووصل الاسطول الاسلامىّ سالمًا ❊

ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته

في هذه السنة خرج ملك الالمان من بلاده وهو نوع من الفرنج من اكثرهم عددًا واشدّهم باسًا وكان قد ازعجه ملك الاسلام البيت المقدّس فجمع عساكره وازاح علّتهم وسار عن بلاده وطريقه على القسطنطينيّة فارسل ملك الروم بهذا الى صلاح الدين يعرّفه الخبر ويعد انّه لا يمكنه من العبور في بلاده فلمّا وصل ملك الالمان الى القسطنطينيّة عجز ملكه عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنّه منع عنهم الميرة ولم يمكّن احدًا من رعيّته من حمل ما يريدونه اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتّى عبروا خليج القسطنطينيّة وصاروا على ارض بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن قتلمش بن سلجق فلمّا وصلوا الى اوايلها ثار بهم التركمان الاوج فما زالوا يسايرونهم ويقتلون

مَن انفرد ويسرقون ما قدروا عليه وكان الزمان شتآءً والبرد يكون فى تلك البلاد شديدًا والثلج متراكمًا فاهلكهم البرد والجوع والتركمان فقلّ عددهم فلمّا قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوّة فعاد الى قونيه وبها ابوه قد حجر ولده المذكور عليه وتفرّق اولاده فى بلاده وتغلّب كلّ واحد منهم على ناحية منها فلمّا عاد عنهم قطب الدين اسرعوا السير فى اثره فنازلوا قونية وارسلوا الى قلج ارسلان هديّة وقالوا له ما قصدْنا بلادك ولا اردناها وانّما قصدنا البيت المقدّس وطلبوا منه ان يأذن لرعيّته فى اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فاذن فى ذلك فاتاهم ما يريدون فشبعوا وتزوّدوا وساروا ثمّ طلبوا من قطب الدين ان يامر رعيّته بالكفّ عنهم وان يسلّم اليهم جماعة من امرآئه رهاين وكان يخافهم فسلّم اليهم نيّفًا وعشرين اميرًا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من قصدهم والتعرّض اليهم فقبض ملك الالمان وقيّدهم فنهم مَن هلك فى اسره ومنهم مَن فدَى نفسه وسار ملك الالمان حتّى اتىٰ بلاد الارمن وصاحبها لافون بن اصطفانة ابن ليون فامدّهم بالاقوات والعلوفات وحكّمهم فى بلاده واظهر الطاعة لهم ، ثمّ ساروا نحو انطاكيّة وكان فى طريقهم نهرٌ فنزلوا عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق فى مكان منه لا يبلغ المآء وسط الرجل وكفى الله شرّه وكان معه ولد له فصار ملكًا بعده وسار الى انطاكيّة فاختلف اصحابه عليه فاحبّ بعضهم العود الى بلاده فتخلّف عنه وبعضهم مال الى تمليك اخٍ له فعاد ايضًا وسار فيمَن صحّت نيّته له فعرضهم وكانت نيّفًا واربعين الفًا ووقع فيهم الوبآء والموت فوصلوا الى انطاكيّة وكانّهم قد نُبشوا من القبور فتبرّم بهم صاحبها وحسّن لهم المسير الى الفرنج على عكّا فساروا على جبلة ولاذقيّة وغيرهما من البلاد التى ملكها المسلمون وخرج اهل حلب وغيرها اليهم واخذوا منهم خلقًا كثيرًا ومات اكثر مَن أُخذ فبلغوا طرابلس واقاموا بها ايّامًا فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الّا نحو الف رجل فركبوا فى البحر الى الفرنج الذين على عكّا ولمّا وصلوا وراوا ما نالهم فى طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا الى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم احدٌ ، وكان الملك قلج ارسلان

يكاتب صلاح الدين باخبارهم ويعده انّه يمنعهم من العبور فى بلاده فلمّا عبروها وخلفوها ارسل يعتذر بالعجز عنهم لانّ اولاده حكموا عليه وحجروا عليه وتفرّقوا عنه وخرجوا عن طاعته ، وامّا صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الالمان فانّه استشار اصحابه فاشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل ان يتّصلوا بمن على عكّا فقال بل نقيم الى ان يقربوا منّا وحينئذ نفعل ذلك لئلّا يستسلم مَن بعكّا من عساكرنا ، لكنّه سيّر مَن عنده من العساكر منها عسكر حلب وجبلة ولاذقيّة وشيزر وغير ذلك الى اعمال حلب ليكونوا من اطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله عزّ وجلّ اذْ جَآءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَاِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ ٱلظُّنُونَا هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُوْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا[1] فكفى الله شرّهم وردّ كيدهم فى نحرهم ومن شدّة خوفهم انّ بعض امرآء صلاح الدين كان له ببلد الموصل قرية وكان اخى رحمه الله يتولّاها فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن فارسل اليه فى بيع الغلّة فوصل كتابه يقول لا تبع الحبّة الفرد واستكثر لنا من التبن ثمّ بعد ذلك وصل كتابه يقول تبيع الطعام ما بنا حاجة اليه ثمّ انّ ذلك الامير قدم الموصل فسالناه عن المنع من بيع الغلّة ثمّ الاذن فيها بعد مدّة يسيرة فقال لمّا وصلتْ الاخبار بوصول ملك الالمان ايقنّا انّنا ليس لنا بالشام مقام فكتبتُ بالمنع من بيع الغلّة لتكون ذخيرة لنا اذا جئنا اليكم فلمّا اهلكهم الله تعالى واغنى عنها كتبتُ ببيعها والانتفاع بثمنها ❊

ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكّا

وفى هذه السنة فى العشرين من جمادى الاخرة خرجت الفرنج فارسها وراجلها من ورآء خنادقهم وتقدّموا الى المسلمين وهم كثير لا يحصى عددهم وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدّمهم الملك العادل ابو بكر بن ايّوب وكان المصريّون قد ركبوا واصطفّوا للقآء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالًا شديدًا فانحاز المصريّون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا اموالهم

---

[1]) Cor. 33, 10 11.

فعطف المصريّون عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فاخرجوهم عنها وتوجّهت طايفة من المصريّين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن اصحابهم الذين خرجوا وكانوا متّصلين كالنمل فلمّا انقطعت امدادهم القوا بايديهم واخذتْهم السيوف من كلّ ناحية فلم ينج منهم الّا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة الاف قتيل ، وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر مصر وكان مقدّمهم علآء الدين خرمشاه بن عزّ الدين مسعود صاحب الموصل فحملوا ايضًا على الفرنج وبالغوا فى قتالهم ونالوا منهم نيلًا كثيرًا هذا جميعه ولم يباشر القتال احد من الحلقة الخاصّ التى مع صلاح الدين ولا احدٌ من الميسرة وكان بها عماد الدين زنكى صاحب سنجار وعسكر اربل وغيرهم ولمّا جرى على الفرنج هذه الحادثة خمدت جمرتهم ولانتْ عريكتهم واشار المسلمون على صلاح الدين بمباكرتهم القتال ومناجزتهم وهم على هذه الحال من الهلع والجزع فاتّفق انّه وصله من الغد كتاب من حلب يخبر فيه بموت ملك الالمان وما اصاب اصحابه من الموت والقتل والاسر وما صار امرهم اليه من القلّة والذلّة واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال مَن بازايهم وظنّوا انّ الفرنج اذا بلغهم هذا الخبر ازدادوا وهنًا على وهنهم وخوفًا على خوفهم فلمّا كان بعد يومَيْن اتت الفرنج امداد فى البحر مع كند من الكنود البحريّة يقال له الكند هرى ابن اخى ملك افرنسيس لابيه وابن اخى ملك انكلتار[1] لامّه ووصل معه من الاموال شىّ كثير يفوق الاحصآء فوصل الى الفرنج فجنّد الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قويت واطمانّت واخبرهم انّ الامداد واصلة اليهم تتلوا بعضها بعضًا فتماسكوا وحفظوا مكانهم ثمّ اظهروا انّهم يريدون الخروج الى لقآء المسلمين وقتالهم فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة[2] فى السابع والعشرين من جمادى الاخرة ليتّسع المجال وكانت المنزلة قد انتنتْ بريح القتلى ، ثمّ انّ الكند هرى نصب منجنيقًا ودبّابات وعرّادات فخرج مَن بعكّا من المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرًا من الفرنج ثمّ انّ الكند هرى بعد اخذ منجنيقاته اراد ان ينصب منجنيقًا فلم

---

1) انكليار 2) الخزونة

يتمكّن من ذلك لانّ المسلمين بعكّا كانوا يمنعون من عمل ستابر يستتر بها من يرمى من المنجنيق فعمل تلًّا من تراب بالبعد من البلد ثمّ انّ الفرنج كانوا ينقلون التلّ الى البلد بالتدريج ويستترون به ويقرّبونه الى البلد فلمّا صار من البلد بحيث يصل من عنده حجر منجنيق ونصبوا وراءه منجنيقين وصار التلّ سترة لها وكانت الميرة قد قلّت بعكّا فارسل صلاح الدين الى الاسكندريّة يامرهم بانفاذ الاقوات واللحوم وغير ذلك فى المراكب الى عكّا فتاخّر انفاذها فسيّر الى نايبه بمدينة بيروت فى ذلك فسيّر بُطسة عظيمة مملوّة من كلّ ما يريدونه وامر من بها فلبسوا ملبس الفرنج وتشبّهوا بهم ورفعوا عليها الصلبان فلمّا وصلوا الى عكّا لم يشكّ الفرنج انّها لهم فلم يتعرّضوا لها فلمّا حاذت مينا عكّا ادخلها من بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم وتبلّغوا بما فيها الى ان اتتهم الميرة من الاسكندريّة وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر فى نحو الف مقاتل فأُخذت بنواحى الاسكندريّة وأُخذ من معها ثمّ انّ الفرنج وصلهم كتاب من البابا وهو كبيرهم الذى يصدرون عن امره وقوله عندهم كقول النبيّين لا يُخالَف والمحرّم عندهم من حرّمه والمقرّب من قرّبه وهو صاحب روميّة الكبرى يامرهم بملازمة ما هم بصدده ويُعلمهم انّه قد ارسل الى جميع الفرنج يامرهم بالمسير الى نجدتهم برًّا وبحرًا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوّة وطمعًا ❁

ذكر خروج الفرنج من خنادقهم

لمّا تتابعت الامداد الى الفرنج وجنّد لهم الكندهرى جمعًا كثيرًا بالاموال التى وصلت معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكّا من يحصرها ويقاتل اهلها وخرجوا حادى عشر شوّال فى عدد كالرمل كثرةً وكالنار جمرةً ، فلمّا راى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى قيمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكّا وكان قد عاد اليه من فرّق من عساكره لمّا هلك ملك الالمان ولقى الفرنج على تعبية حسنة وكان اولاده الافضل علىّ والظاهر غازى والظافر ممّا يلى القلب واخوه العادل ابو بكر فى الميمنة ومعه عساكر مصر ومن انضمّ اليه وكان فى الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز

الدين سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من امرآيه واتّفق ان صلاح الدين اخذه مغس كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تلّ مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقيّ نهر هناك حتّى وصلوا الى راس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشيّة وامطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلمّا راوا ذلك تحوّلوا الى غربيّ النهر ولزمهم الجالشيّة يقاتلونهم والفرنج قد تجمّعوا ولزم بعضهم بعضًا وكان غرض الجالشيّة ان تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلمّا كان الغد عادوا نحو عكّا ليعتصموا بخنادقهم والجالشيّة فى اكنافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلّما قُتل من الفرنج قتيل اخذوه معهم لئلّا يعلم المسلمون ما اصابهم فلو لا ذلك الامر الذى حدث بصلاح الدين لكانت هى الفصل وانّما لله امرٌ هو بالغه ، فلمّا بلغ الفرنج خنادقهم ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقًا كثيرًا ، وفى الثالث والعشرين من شوّال ايضًا كمن جماعة من المسلمين وتعرّض للفرنج جماعة اخرى فخرج اليهم اربع مائة فارس فقاتلهم المسلمون شيأً من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج حتّى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم احد واشتدّ الغلآء على الفرنج حتّى بلغت الغرارة الحنطة اكثر من مائة دينار صوريّ فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون اليهم الطعام من البلدان منهم الامير اسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين علىّ بن احمد المعروف بالمشطوب كان يحمل من صيدا ايضًا اليهم وكذلك من عسقلان وغيرها ولو لا ذلك لهلكوا جوعًا خصوصًا فى الشتآء عند انقطاع مراكبهم عنهم لهيج البحر ❊

ذكر تسيير البدل الى عكّا والتفريط فيه حتّى أُخذت

لمّا هجم الشتآء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التى عندهم لانّها لم تمكّن من المينا فسيّروها الى بلادهم صور والجزاير فانفتح الطريق الى عكّا فى البحر فارسل اهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر

والملالة والسآمة وكان بها الامير حسام الدين ابو الهيجآ السمين مقدّمًا على جندها فامر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج مَن فيها وامر اخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وكلّما جآءه جماعة من العسكر سيّرهم اليها وأخرج عوضهم فدخل اليها عشرون اميرًا وكان بها ستّون اميرًا فكان الذين دخلوا قليلًا بالنسبة الى الذين خرجوا واهمل نوّاب صلاح الدين تجنيد الرجال وانعاذهم وكان على خزانة ماله قوم من النصارى وكانوا اذا جآءهم جماعة قد جُنّدوا تعنّتوهم بانواع شتّى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرّق بهذا السبب خلق كثير وانضاف الى ذلك توانى صلاح الدين ووثوقه بنوّابه واهمال النوّاب فانحسر الشتآء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج الى عكّا وانقطع الطريق الّا من سابح ياتى بكتاب وكان من جملة الامرآء الذين دخلوا الى عكّا سيف الدين علىّ بن احمد المشطوب وعزّ الدين ارسل مقدّم الاسديّة بعد جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكّا اوّل سنة سبع وثمانين وكان قد اشار جماعة على صلاح الدين بان يرسل الى مَن بعكّا النفقات الواسعة والذخائر والاقوات الكثيرة ويامرهم بالمقام فانّهم قد جرّبوا وتدرّبوا واطمأنّت نفوسهم على ما هم فيه فلم يفعل وظنّ فيهم الضجر والملل وانّ ذلك يحملهم على الضجر والفشل فكان الامر بالضدّ ✿

ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل ومسير اخيه مظفّر الدين اليها

كان زين الدين يوسف ابن زين الدين علىّ صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعساكره فمرض ومات ثامن عشر شهر رمضان وذكر العماد الكاتب فى كتابه البرق الشامىّ قال جينا الى مظفّر الدين نعزّيه باخيه وظننّا به للحزن وليس له اخ غيره ولا ولد يشغله عنه فاذا هو فى شغل شاغل عن العزآء مهتمّ بالاحتياط على ما خلفه وهو جالس فى خيام اخيه المتوفّى وقد قبض على جماعة من امرآئه واعتقلهم [وتحمل عليهم][1] وما اغفلهم منهم بُلداجى[2] صاحب قلعة خُفتيذكان[3] وارسل

[1]) C. P. et 740.

[2]) C. P. 740: بلد اخى Ups.: بلد اخو

[3]) C. P. et 740. Ups.: خنتيه كان

الى صلاح الدين بطلب منه اربل لينزل عن حرّان والرها فاقطعه ايّاها واضاف اليها شهرزور واعمالها ودربند قرابلى[1] وبنى قفجاق ولمّا مات زين الدين كاتب مَن كان باربل مجاهدَ الدين قايماز لهواهم فيه وحسن سيرته كانت فيهم وطلبوه اليهم ليملّكوه فلم يجسر هو ولا صاحبه عزّ الدين اتابك مسعود بن مودود على ذلك خوفًا من صلاح الدين وكان اعظم الاسباب فى تركها انّ عزّ الدين كان قد قبض على مجاهد الدين فتمكّن زين الدين من اربل ثمّ انّ عزّ الدين اخرج مجاهد الدين من القبض وولّاه نيابته وقد ذكرنا ذلك اجمع فلمّا ولّاه النيابة عنه لم يمكّنه وجعل معه انسانًا كان من بعض غلمان مجاهد الدين فكان يشاركه فى الحكم ويحلّ عليه ما يعقده فلحق مجاهد الدين من ذلك غيظ شديد فلمّا طُلب الى اربل قال لمن يثق اليه لا افعل ليلّا يحكم فيها فلان ويكفّ يدىّ عنها فجآء مظفّر الدين اليها وملكها وبقى غصّة فى حلق البيت الاتابكىّ لا يقدرون على اساعتها وسنذكر ما اعتمده معهم مرّة بعد اخرى ان شآء الله تعالى

ذكر مُلك الفرنج مدينة شلب وعودها الى المسلمين

فى هذه السنة ملك ابن الريك وهو من ملوك الفرنج غرب بلاد الاندلس مدينة شلب وهى من كبار مدن المسلمين بالاندلس واستولى عليها فوصل الخبر بذلك الى الامير ابى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب والاندلس فتجهّز فى العساكر الكثيرة وسار الى الاندلس وعبر المجاز وسيّر طايفة كثيرة من عسكره فى البحر ونازلها وحصرها وقاتل مَن بها قتالًا شديدًا حتّى ذلّوا وسالوا الامان فامّنهم وسلّموا البلد وعادوا الى بلادهم وسيّر جيشًا من الموحّدين ومعهم جمع كثير من العرب ففتحوا اربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك باربعين سنة وفتكوا فى الفرنج فخافهم ملك طليطلة من الفرنج وارسل يطلب الصلح فصالحه خمس سنين وعاد ابو يوسف الى مرّاكش وامتنع من هذه الهدنة طايفة من الفرنج لم يرضوها ولا امكنهم اظهار الخلاف فبقوا متوقّفين حتّى دخلت

---

[1] قرابلى

سنة احدى وتسعين وخمسمائة فتحركوا وسنذكر خبرهم هناك ان شآء الله تعالى ✿

ذكر الحرب بين غياث[1] الدين وسلطان شاه بخراسان

كان سلطان شاه اخو خوارزم شاه قد تعرّض الى بلاد غياث الدين ومعزّ الدين ملكَىْ الغوريّة من خراسان فتجهّز غياث الدين وخرج من فيروزكوه الى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسمائة فبقى يتردّد بين بلاد الطالقان وبَنْجده[2] ومرو وغيرها يريد حرب سلطان شاه فلم يزل كذلك الى ان دخلت سنة ستّ وثمانين جمع سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين فتصافّا واقتتلا فانهزم سلطان شاه واخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد الى غزنة ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل تسلّم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سيّر اليها جيشًا حصروها سنة خمس وثمانين فقاتلوا عليها قتالًا شديدًا ودام الحصار وقُتل من الفريقَيْن خلق كثير فلمّا ضاقت عليهم الاقوات سلّموها على اقطاع عيّنوها ووصل صاحبها واهلها الى بغداد واعطوا اقطاعًا ثمّ تفرّقوا فى البلاد واشتدّت الحاجة بهم حتّى رايتُ بعضهم وانّه يتعرّض بالسؤال الى بعض خدم الناس فنعوذ بالله من زوال نعمته وتحوّل عافيته ، وفى هذه السنة توفّى مسعود بن البادر وكان مكثرًا من الحديث حسن الخطّ خيّرًا ثقة ، وفيها توفّى ابو حامد محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورىّ بالموصل كان قاضيًا وقبلها ولى قضآء حلب وجميع الاعمال وكان رئيسًا جوادًا ذا مروّة عظيمة يرجع الى دين واخلاق ✿

ثمّ دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ،

سنة ٥٨٧

ذكر حصر عزّ الدين صاحب الموصل الجزيرة

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر فحصرها وكان بها صاحبها

---

[1]) C. P.: شهاب

[2]) C. P. 740: بنجده Up.s: بنجده

سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود وهو ابن اخى عزّ الدين وكان سبب حصره انّ سنجر شاه كان كثير الاذى لعمّه عزّ الدين والشناعة عليه والمراسلة الى صلاح الدين فى حقّه تارة يقول انّه يريد قصد بلادك وتارة يقول انّه يكاتب اعدآءك ويحثّهم على قصدك الى غير ذلك من الامور الموذية وعزّ الدين يصبر على ما يكره لامور تارة للرحم وتارة خوفًا من تسليمها الى صلاح الدين؛ فلمّا كان فى السنة الماضية سار صاحبها الى صلاح الدين وهو على عكّا فى جملة مَن سار من اصحاب الاطراف واقام عنده قليلًا وطلب دستورًا للعود الى بلده فقال له صلاح الدين عندنا من اصحاب الاطراف جماعة منهم عماد الدين صاحب سنجار وغيرها وهو اكبر منك ومنهم ابن عمّك عزّ الدين وهو اصغر منك وغيرهم ومتى فتحتَ هذا الباب اقتدى بك غيرُك فلم يلتفت الى قوله واصرّ على ذلك وكان عند صلاح الدين جماعة من اهل الجزيرة يستغيثون على سنجر شاه لانّه ظلمهم واخذ اموالهم واملاكهم فكان يخافه لهذا ولم يزل فى طلب الاذن فى العود الى البلد الى عيد الفطر من سنة ستّ وثمانين فركب تلك الليلة سنجر [شاه] وجآء الى خيمة صلاح الدين واذن لاصحابه فى المسير فساروا بالانتقال وبقى حريدة فلمّا وصل الى خيمة صلاح الدين ارسل يطلب الاذن وكان صلاح الدين قد بات محمومًا وقد عرق فلم يمكن ان ياذن له فبقى كذلك متردّدًا على باب خيمته الى ان اذن له فلمّا دخل عليه هنّاه بالعيد واكبّ عليه يودّعه فقال له ما علمنا بصحّة عزمك على الحركة فتصبر علينا حتّى نرسل ما جرت به العادة فما يجوز ان تنصرف عنّا بعد مقامك عندنا على هذا الوجه فلم يرجع وودّعه وانصرف وكان تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين قد اقبل من بلده حماه فى عسكره فكتب اليه صلاح الدين يامره باعادة سنجر شاه طوعًا او كرهًا؛ فحكى لى عن تقى الدين انّه قال ما رايتُ مثل سنجر شاه لقيتُه بعقبة فيق فسالتُه عن سبب انصرافه فغالطنى فقلتُ له سمعتُ بالحال ولا يليق ان تنصرف بغير تشريف السلطان وهديته فيضيع تعبك وسالتُه العود فلم يَصْغ الى قولى فكلّمنى كانّنى بعض

[مماليكه][1] فلمّا رايتَ ذلك منه قلتَ له ان رجعتَ بالتى هى احسن والّا اعدتّك كارهًا فنزل عن دابّته واخذ ذيلى وقال قد استجرتُ بك وجعل يبكى فعجبتُ من حماقته اوّلًا وذلّته ثانيًا فعاد معى فلمّا عاد بقى عند صلاح الدين عشرة ايّام وكتب صلاح الدين الى عزّ الدين اتابك يامره بقصد الجزيرة ومحاصرتها واخذها وانّه يرسل الى طريق سنجر شاه ليقبض عليه اذا عاد فخاف عزّ الدين انّ صلاح الدين قد فعل ذلك مكيدة ليشنع عليه بنكث العهد فلم يفعل شيًّا من ذلك بل ارسل اليه يقول اريد خطّك بذلك ومنشورًا منك بالجزيرة فتردّدت الرسل فى ذلك الى ان انقضت سنة ستّ وثمانين فاستقرّت القاعدة بينهما فسار عزّ الدين الى الجزيرة فحصرها اربعة اشهر وايّامًا اخرها شعبان ولم يملكها بل استقرّت القاعدة بينه وبين سنجر شاه على يد رسول صلاح الدين فانّه كان قد ارسل بعد قصدها يقول انّ صاحب سنجار وصاحب اربل وغيرهما قد شفعا فى سنجر شاه فاستقرّ الصلح على ان لعزّ الدين نصف اعمال الجزيرة ولسنجر [شاه] نصفها وتكون الجزيرة بيد سنجر شاه من جملة النصف وعاد عزّ الدين الى الموصل وكان صلاح الدين بعد ذلك يقول ما قيل لى عن احد شئ من الشرّ فرايته الّا كان دون ما يقال فيه الّا سنجر شاه فانّه كان يقال لى عنه اشياء استعظمتُها فلمّا رايتُه صغر فى عينى ما قيل ✿

ذكر عبور تقى الدين الفراة ومُلكه حرّان وغيرها من البلاد الجزريّة ومسيره الى خلاط وموته

فى هذه السنة فى صفر سار تقى الدين من الشام الى البلاد الجزريّة حرّان والرّها كان قد اقطعه ايّاها عمّه صلاح الدين بعد اخذها من مظفّر الدين مضافًا الى ما كان له بالشام وقرّر معه انّه يُقطع البلاد للجند ويعود وهم معه ليتقوّى بهم على الفرنج فلمّا عبر الفراة واصلح حال البلاد سار الى ميّافارقين وكانت له فلمّا بلغها تجدّد له طمع فى غيرها من البلاد المجاورة لها فقصد مدينة حانى[2] من ديار بكر فحصرها وملكها

[1]) C. P. et 740.

[2]) حانى

وكان فى سبع مائة فارس فلمّا سمع سيف الدين بكتمر صاحب خلاط ملكه حانى[1] جمع عساكره وسار اليه فاجتمعت عساكره اربعة الاف فارس فلمّا التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خلاط لنفى الدين بل انهزموا وتبعهم نفى الدين ودخل بلادهم وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين ابن رشيق وزير صاحبه شاه ارمن وسجنه فى قلعة هناك فلمّا انهزم كتب الى مستحفظ القلعة يامره بقتل ابن رشيق فوصل القاصد ونفى الدين قد نازل القلعة فاخذ الكتاب وملك القلعة واطلق ابن رشيق وسار الى خلاط فحصرها ولم يكن فى كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضًا فعاد عنها وقصد ملازكرد وحصرها وضيّق على من بها وطال[2] مقامه عليها [فلما ضاق عليهم الامر طلبوا منه المهلة ايامًا ذكروها فاجابهم اليها][3] ومرض نفى الدين فمات قبل انقضاء الاجل بيومين وتفرّقت العساكر عنها وحمله ابنه واصحابه ميتًا الى ميافارقين وعاد بكتمر فقوى امره وثبت مُلكه بعد ان اشرف على الزوال وهذه الحادثة من الفرج بعد الشدّة فانّ ابن رشيق نجا من القتل وبكتمر نجا من ان يوخذ *

ذكر وصول الفرنج من الغرب فى البحر الى عكّا

وفى هذه السنة وصلت امداد الفرنج فى البحر الى الفرنج الذين على عكّا وكان اوّل مَن وصل منهم الملك فلب[4] ملك افرنسيس وهو من اشرف ملوكهم نسبًا وان كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله اليها ثانى عشر ربيع الاوّل ولم يكن فى الكثرة التى ظنّوها وانّما كان معه ستّ بُطس كبار عظيمة فقويت به نفوس مَن على عكّا منهم ولجوا فى قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم[5] فكان يركب كلّ يوم ويقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وارسل الى الامير اسامة مستحفظ بيروت يامره بتجهيز ما عنده من الشوانى والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها فى البحر ليمنع الفرنج من الخروج الى عكّا ففعل ذلك وسيّر الشوانى فى البحر فصادفت خمسة مراكب مملوّة رجالًا من اصحاب ملك انكلتار[6] الفرنج كان قد سيّرهم بين يديه وتاخّر هو بجزيرة قبرس ليملكها

[1] حانى [2] C. P. Ups.: وكان [3] C. P. [4] فلس [5] شفرعم [6] انكتار

واقتتلت شوانى المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم
واخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال واسروا الرجال وكتب
ايضًا صلاح الدين الى مَن بالغرب من النوّاب له يامرهم بمثل ذلك ففعلوا ٭
وامّا الفرنج الذين على عكّا فانّهم لازموا قتال مَن بها ونصبوا عليها سبع
منجنيقات رابع جمادى الاولى [فلمّا راى صلاح الدين ذلك تحوّل من
شفرعم[1] ونزل عليهم ليلًا يتعب[2] العسكر كلّ يوم فى المجئ اليهم والعود
عنهم فقرب منهم وكانوا كلّما تحرّكوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء
خندقهم فكانوا يشتغلون بقتاله[3] فيخفّ القتال عمّن بالبلد ثمّ وصل
ملك انكلتار ثالث عشر جمادى الاولى][4] وكان قد استولى فى طريقه على
جزيرة قبرس واخذها من الروم فانّه لمّا وصل اليها غدر بصاحبها وملكها
جميعًا فكان ذلك زيادة فى مُلكه وقوّة للفرنج فلمّا فرغ منها سار عنها
الى مَن على عكّا من الفرنج فوصل اليهم فى خمس وعشرين قطعةً كبارًا
مملوةً رجالًا واموالًا فعظم به شرّ الفرنج واشتدّت نكايتهم فى المسلمين
وكان رجل زمانه شجاعة ومكرًا وجلدًا وصبرًا وبُلى المسلمون منه بالداهية
التى لا مثل لها ولمّا وردت الاخبار بوصوله امر صلاح الدين بتجهيز
بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعُدد والاقوات فجهّزت وسُيّرت من بيروت
وفيها سبع مائة مقاتل فلقيها ملك انكلتار[5] مصادفة فقاتلها وصبر مَن فيها
على قتالها فلمّا ايسوا من الخلاص نزل مقدّم مَن بها الى اسفلها وهو
يعقوب الحلبىّ مقدّم الجنداريّة يعرف بغلام ابن شقمس[6] فخرقها خرقًا واسعًا
لِئلّا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخائر فغرق جميع ما فيها
وكانت عكّا محتاجة الى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثمّ انّ الفرنج
عملوا دبّابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد واخذوا تلك
الكباش فلمّا راى الفرنج انّ ذلك جميعه لا ينفعهم عملوا تلًّا كبيرًا من
التراب مستطيلًا وما زالوا يقرّبونه الى البلد ويقاتلون من ورائه لا ينالهم
من البلد اذًى حتّى صار على نصف غلوة فكانوا يستظلّون به ويقاتلون

---

[1]) 740: سفرعم C. P. شفرعم   [2]) 740: تتبع   [3]) 740: بقتاله
[4]) C. P. et 740.   [5]) انكتار   [6]) Verba يعرف — شقمس desunt in C. P. et 740.

من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت المصيبة على من بعكّا من المسلمين فارسلوا الى صلاح الدين يعرّفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع ۞

ذكر مُلك الفرنج عكّا

فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكّا وكان اوّل وهن دخل على من بالبلد انّ الامير سيف الدين علىّ ابن احمد الهكّارىّ المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدّة من الامرآء كان هو امثلهم واكبرهم خرج الى ملك افرنسيس وبذل له تسليم البلد بما فيه على ان يُطلق المسلمين الذين فيه ويمكّنهم من اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد علىّ ابن احمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتخاذلوا واهمّتهم انفسهم ثمّ انّ اميرين ممّن كان بعكّا لمّا راوا ما فعلوا بالمشطوب وانّ الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتّخذوا الليل جملًا وركبوا فى شينىّ صغير وخرجوا سرًّا من اصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم عزّ الدين ارسل الاسدىّ وابن عزّ الدين جاولى وسنقر الوشاقى ومعهم غيرهم فلمّا اصبح الناس وراوا ذلك ازدادوا وهنًا الى وهنهم وضعفًا الى ضعفهم وايقنوا بالعطب ثمّ انّ الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين فى معنى تسليم البلد فاجابهم الى ذلك والشرط بينهم ان يُطلق من اسراهم بعدد من فى البلد ليطلقوا هم من بعكّا وان يسلّم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فارسل الى من بعكّا من المسلمين يامرهم ان يخرجوا من عكّا يدًا واحدة ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم انّه يتقدّم الى تلك الجهة التى يخرجون منها بعساكره ويقاتل الفرنج فيها ليلحقوا به فشرعوا فى ذلك واشتغل كلّ منهم باستصحاب ما يملكه فما فرغوا من اشغالهم حتّى اسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره فلمّا عجز الناس من حفظ البلد وزحف اليهم الفرنج بحدّهم وحديدهم فظهر من بالبلد على سوره يحرّكون اعلامهم ليراها المسلمون وكانت هى العلامة اذا اخذهم امر فلمّا راى المسلمون ذلك ضجّوا بالبكآء والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم ظنًّا منهم انّ الفرنج يشتغلون عن الذين بعكّا وصلاح الدين تحرّضهم وهو فى اوّلهم وكان الفرنج قد حفّوا عن خنادقهم ومالوا

الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا في مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلمّا راى المشطوب انّ صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرًّا خرج الى الفرنج وقرّر معهم تسليم البلد وخروج من فيه باموالهم وانفسهم وبذل لهم عن ذلك مائتىْ الف دينار وخمسمائة اسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون مدّة تحصيل المال والاسرى الى شهرين فلمّا حلفوا له سلّم البلد اليهم ودخلوه سلمًا فلمّا ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم واظهروا انّهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين في ارسال المال والاسرى والصليب حتّى يُطلقوا من عندهم فشرع في جمع المال وكان هو الامان له انّما يخرج ما يصل اليه من دخل البلاد اوّلًا باوّل فلمّا اجتمع عنده من المال مائة الف دينار جمع الامراء واستشارهم فاشاروا بان لا يرسل شيئًا حتّى يعاود يستحلفهم على اطلاق اصحابه وان يضمن الداوية ذلك لانّهم اهل دين يرون الوفاء فراسلهم صلاح الدين في ذلك فقال الداويّة لا نحلف ولا نضمن لانّنا نخاف غدر من عندنا وقال ملوكهم اذا سلّمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيئًا واعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلّم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنًا على الباقي وتطلقون اصحابنا وتضمن الداويّة الرهن ويحلفون على الوفاء لهم فقالوا لا نحلف انّما ترسل الينا المائة الف دينار التى حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد حتّى يجئ باقى المال فعلم الناس حينئذ غدرهم وانّما يُطلقون غلمان العسكر والفقراء والاكراد ومن لا سوية له ويمسكون عندهم الامراء وارباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم يجبهم السلطان الى ذلك ‹ فلمّا كان اليوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذا اكثر من كان عندهم من

المسلمين فتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الامرآء والمقدّمين ومَن كان له مال وقتلوا مَن سواهم من سوادهم واصحابهم ومَن لا مال له فلمّا راى صلاح الدين ذلك تصرّف فى المال الذى كان جمعه وسيّر الاسرى والصليب الى دمشق ۞

ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان وتخريبها

لمّا فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح امر عكّا برزوا منها فى الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهلّ شعبان نحو حيفا[1] مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلمّا سمع صلاح الدين برحيلهم نادى فى عسكر بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين ايازكوش وعزّ الدين جورديك وعدّة من شجعان الامرآء فضايقوا الفرنج فى مسيرهم وارسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة واسروا جماعة وارسل الافضل الى والده يستمدّه ويعرّفه الحال فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بانّهم ما ركبوا باهبّة الحرب وانّما كانوا على عزم المسير لا غير فبطل المدد وعاد ملك الانكلتار[2] الى ساقة الفرنج فحماها وجمعهم وساروا حتّى اتوا حيفا[1] فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون[3] قريبة بالقرب منهم واحضر الفرنج من عكّا عوض مَن قُتل منهم وأُسر ذلك اليوم وعوض ما هلك من الخيل ثمّ ساروا الى قيساريّة والمسلمون يسايرونهم ويتخطّفون منهم مَن قدروا عليه فيقتلونه لانّ صلاح الدين كان قد اقسم انّه لا يظفر باحد منهم الّا قتله بمن قتلوا ممّن كان بعكّا فلمّا قاربوا قيساريّة لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشدّ قتال فنالوا منهم نيلًا كثيرًا ونزل الفرنج بها وبات المسلمون قريبًا منهم فلمّا نزلوا خرج من الفرنج جماعة فابعدوا عن جماعتهم فاوقع بهم المسلمون الذين كانوا فى اليزك فقتلوا منهم واسروا منهم ثمّ ساروا من قيساريّة الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلمّا وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة الحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقُتل منهم كثير فلمّا

[1] خيفا [2] الانكلمار [3] بعمون

راى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيّالة على المسلمين حملة رجل واحد فولّوا منهزمين لا يلوى احدٌ على احد وكان كثير من الخيّالة والسوقة قد القوا الخيام وفت الحرب قريبًا من المعركة فلمّا كان ذلك اليوم كانوا على حالهم فلمّا انهزم المسلمون عنهم قُتل منهم كثير والتجا المنهزمون الى الغلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انّها هزيمة لتبعهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون لكنّ كان بالقرب من المسلمين شعرة كثيرة الشجر فدخلوها وظنّها الفرنج مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقُتل من الفرنج كند كبير من طواغيتهم وقُتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه اياز الطويل وهو من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن فى زمانه مثله فلمّا نزل الفرنج نزل المسلمون واعنّة خيلهم بايديهم ثمّ سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها احد من المسلمين فملكوها ولمّا كان من المسلمين بارسوف من الهزيمة ما ذكرناه سار صلاح الدين عنهم الى الرملة واجتمع باثقاله بها وجمع الامرآء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له قد رايت ما كان منّا بالامس واذا جآء الفرنج الى عسقلان ووقفنا فى وجوههم نصدّهم عنها فهم لا شكّ يقاتلونا لننزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عُدْنا الى مثل ما كنّا عليه على عكّا ويعظم الامر علينا لانّ العدوّ قد قوى باخذ عكّا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن ايدينا ولم تطُل المدّة حتى نستجدّ غيرها فلم تسمح نفسهٗ بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه احد الى ذلك وقالوا ان اردتَ حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والّا فما يدخلها منّا احد لئلّا يصيبنا ما اصاب اهل عكّا ٭ فلمّا راى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان والقى حجارتها فى البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التى للسلطان والرعيّة ما لا يمكن حصره وعفّى اثرها حتى لا يبقى للفرنج فى قصدها مطمع ٭ ولمّا سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس لعنه الله لمّا اخذ الفرنج عكّا قد احسّ من ملك انكلتار بالغدر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهى له وبيده وكان رجل الفرنج رأيًا وشجاعة وكلّ هذه الحروب هو اثارها

فلمّا خربت عسقلان أرسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغى ان يكون ملكًا ويتقدّم على الجيوش تسمع أنّ صلاح الدين قد خرّب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لمّا بلغك انّه قد شرع فى تخريبها كنت سرت اليه مجدًّا فرحّلته وملكتها صفوًا عفوًا بغير قتال ولا حصار فانّه لا خرّبها الّا وهو عاجز عن حفظها وحقّ المسيح لو انّنى معك كانت عسقلان اليوم بايدينا لم تخرب منها غير برج واحد ، فلمّا خرّبت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثانى شهر رمضان ومضى الى الرملة فخرّب حصنها وخرّب كنيسة لدّ وفى مدّة مقامه لتخريب عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل ابى بكر بن ايّوب تُجَاهَ الفرنج ثمّ سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره وما فيه من سلاح وذخائر وقرّر قواعده واسبابه وما يحتاج اليه وعاد الى المخيّم ثامن رمضان وفى هذه الايّام خرج ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالاً شديدًا وكاد ملك انكلتار يؤسر ففداه بعض اصحابه بنفسه فتخلّص الملك وأُسر ذلك الرجل ، وفيها ايضًا كانت وقعة بين طايفة من المسلمين وطايفة من الفرنج انتصر المسلمون ۞

ذكر رحيل الفرنج الى نطرون

لمّا راى صلاح الدين انّ الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا فى عمارتها رحل من منزلته الى النطرون ثالث عشر رمضان وخيّم به فراسله ملك انكلتار يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردّد الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب اخى صلاح الدين فاستقرّت القاعدة انّ انكلتار يُزوّج اخته من العادل ويكون القدس وما بايدى المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون عكّا وما بيد الفرنج من البلاد لاخت انكلتار مُضافًا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتْها من زوجها وان يرضى الداويّة بما يقع الاتّفاق عليه فعرض العادل ذلك على صلاح الدين فاجاب اليه فلمّا ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى اخت انكلتار وانكروا عليها فامتنعت من الاجابة وقيل كان المانع منه غير ذلك والله اعلم وكان العادل وملك انكلتار يجتمعون بعد ذلك ويتجاريان حديث الصلح وطلب من العادل ان يُسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنّية

تضرب بالجنك فغنّت له فاستحسن ذلك ولم يتمّ بينهما صلح وكان ملك انكلتار يفعل ذلك خديعةً ومكرًا ، ثمّ انّ الفرنج اظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة جريدة وترك الاثقال بالنطرون وقرب من الفرنج وبقى عشرين يومًا ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطايفتيْن مدّة المقام عدّة وقعات فى كلّها ينتصر المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى النطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصد البيت المقدّس فقرب بعضهم من بعض فعظم الخطب واشتدّ الحذر فكان كلّ ساعة يقع الصوت فى العسكرَيْن باللقاء فلقوا من ذلك شدّة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما ۞

ذكر مسير صلاح الدين الى القدس

لمّا راى صلاح الدين انّ الشتاء قد هجم والامطار متوالية متتابعة والناس منها فى ضنك وحرج ومن شدّة البرد ولبس السلاح والسهر فى تعب دايم وكان كثير من العساكر قد طال بيكارها فاذن لهم فى العود الى بلادهم للاستراحة والاراحة وسار هو الى البيت المقدّس فيمن بقى معه فنزلوا جميعًا داخل البلد فاستراحوا ممّا كانوا فيه ونزل هو بدار الاقصى مجاور بيعة قمامة وقدم اليه عسكر مصر مقدّمهم الامير ابو الهيجاء السمين فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذى الحجّة على عزم قصد القدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات أسر المسلمون فى وقعة منها نيّفًا وخمسين فارسًا من مشهورى الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لمّا دخل القدس امر بعمارة سوره وتجديد ما رثّ منه فاحكم الموضع الذى مُلك البلد منه واتقنه وامر بحفر خندق خارج الفصيل وسلّم كلّ برج الى امير يتولّى عمله فعمل ولده الافضل من ناحية باب عمود الى باب الرحمة وارسل اتابك عزّ الدين مسعود صاحب الموصل جماعة من الحصّارين لهم فى قطع الصخر اليدُ الطولى فعملوا له هناك برجًا وبدنة وكذلك جميع الامراء ثمّ انّ الحجارة قلّت عند العمّالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابّته من الامكنة البعيدة فيقتدى به العسكر فكان يجمع عنده من العمّالين فى اليوم الواحد يعملون قدر عدّة ايّام ۞

ذكر عود الفرنج الى الرمله

فى العشرين من ذى الحجّة عاد الفرنج الى الرمله وكان سبب عودهم انّهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلمّا ابعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على مَن يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم ثمّ انّ ملك انكلتار قال لمن معه من الفرنج الساميّين صوّروا الىّ مدينة القدس فانّى ما رايتها فصوّروها له فراى الوادى يحيط بها ما عدا موضع يسير من جهة الشمال فسأل عن الوادى وعن عمقه فاخبر انّه عميق وعرُ المسلك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرُها مهما صلاح الدين حىّ وكلمة المسلمين مجتمعة لانّنا ان نزلنا فى الجانب الذى يلى المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال والذخاير وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادى وبعضنا من الجانب الاخر جمع صلاح الدين اصحابه وواقع احدى الطايفتَيْن ولم يمكن الطايفة الاخرى انجاد اصحابهم لانّهم ان فارقوا مكانهم خرج مَن بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه مَن يحفظه وساروا نحو اصحابهم فالى ان يتخلّصوا من الوادى ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذّر علينا من ايصال ما يحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلمّا قال لهم ذلك علموا صدقه وراوا قلّة الميرة عندهم وما يجرى للجالبين لها من المسلمين فاشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خايبين خاسرين ۞

ذكر قتل قزل ارسلان

فى شعبان من هذه السنة قُتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن ايلدكز وقد ذكرنا انّه ملك البلاد بعد وفاة اخيه البهلوان ملك ارّان واذربيجان وهمذان واصفهان والرىّ وما بينهما واطاعه صاحب فارس وخوزستان واستولى على السلطان طغرل فاعتقله فى بعض القلاع ودانت له البلاد وفى اخر امره سار الى اصفهان والفتن بها متّصلة من لدن توفّى البهلوان الى ذلك الوقت فتعصّب على الشافعيّة واخذ جماعة من اعيانهم فصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثمّ انّه دخل ليلةً قُبل الى منزله لينام وتفرّق اصحابه فدخل اليه مَن قتله على فراشه ولم

نعرف قاتله فاخذ اصحابه صاحب بابه طنّا وخمسا، وكان كريمًا حسن الاخلاق يحبّ العدل ويوثره ويرجع الى حلم وقلّة عقوبة ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قدم معزّ الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على صلاح الدين فى رمضان وكان سبب قدومه انّ والد عزّ الدين قلج ارسلان فرق مملكته على اولاده واعطى ولده هذا ملطيّة واعطى ولده قطب الدين ملك شاه سيواس فاستولى قطب الدين على ابيه وحجر عليه وازال حكمه والزمه ان ياخذ ملطيّة من هذا اخيه وسلّمها اليه فخاف معزّ الدين فسار الى صلاح الدين ملتجئًا اليه معتضدًا به فاكرمه صلاح الدين وزوّجه بابنة اخيه الملك العادل فامتنع قطب الدين من قصده وعاد معزّ الدين الى ملطيّة فى ذى القعدة، وحدّثنى من اثق به قال رايتُ صلاح الدين وقد ركب ليودّع هذا معزّ الدين فترجّل له معزّ الدين وترجّل صلاح الدين وودّعه راجلاً فلمّا اراد الركوب عضده هذا معزّ الدين وركب وسوّى ثيابه علآء الدين خرمشاه بن عزّ الدين صاحب الموصل قال فتعجبتُ من ذلك وقلتُ ما تبالى يا ابن ايّوب اىّ موتة تموت يركّبك ملك سلجوقىّ وابن اتابك زنكى، وفيها توفّى حسام الدين محمّد بن عمر بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين، وعلم الدين سليمان بن حيدر[1] وهو من اكابر امرآء صلاح الدين ايضًا، وفى رجب توفّى الصفى بن القابض وكان متولّى دمشق لصلاح الدين بحكم فى جميع بلاده ✿

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

سنة ٥٨٨

ذكر عمارة الفرنج عسقلان

فى هذه السنة فى المحرّم رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا فى عمارتها وكان صلاح الدين بالقدس فسار ملك انكلتار جريدة من عسقلان الى يزك المسلمين فواقعهم وجرى بين الطايفتين قتال شديد انتصف بعضهم من بعض وفى مدّة مقام صلاح الدين بالقدس ما برحت سراياه تقصد الفرنج

[1]) حيدر

فتارة تواقع شائعة منهم وتارة يقطع المبرة عنهم ومن جملتها سريّة كان مقدّمها فارس الدين ميمون القصريّ وهو من مقدّمي المماليك الصلاحيّة خرج على قافلة كبيرة للفرنج فاخذها وغنم ما فيها ۞

ذكر قتل المركيس وملك الكند هري

في هذه السنة في ثالث عشر ربيع الاخر قُتل المركيس الفرنجيّ لعنه الله صاحب صور وهو اكبر شياطين الفرنج وكان سبب قتله انّ صلاح الدين راسل مقدّم الاسماعيليّة وهو سنان ان ارسل من يقتل ملك انكلتار وان قتل المركيس فله عشرة الاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يره سنان مصلحة لهم لئلّا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرّغ لهم وشَرِهَ في اخذ المال فعدل الى قتل المركيس فارسل رجلين في زيّ الرهبان واتّصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة[1] وكانا مع المركيس بصور فاقاما معهما ستّة اشهر يظهران العبادة فانس بهما المركيس ووثق اليهما فلمّا كان بعد التاريخ عمل الاسقف بصور دعوة للمركيس فحضرها واكل طعامه وشرب مُدامه وخرج من عنده فوثب عليه الباطنيّان المذكوران فجرحاه جراحًا وثيقة وهرب احدهما ودخل كنيسة يختفي فيها فاتّفق انّ المركيس حُمل اليها ليشدّ جراحه فوثب عليه ذلك الباطنيّ فقتله وقُتل الباطنيّان بعده ونسب الفرنج قتله الى وضع من ملك انكلتار ليتفرد بملك الساحل الشاميّ فلمّا قُتل ولي بعده مدينة صور كند من الفرنج من داخل البحر يقال له الكند هري وتزوّج بالملكة في ليلته ودخل بها وهي حامل وليس الحمل عندهم ممّا يمنع النكاح وهذا الكند هري هو ابن اخت ملك افرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلتار من امّه وملك هذا كند هري بلاد الفرنج بالساحل بعد عود ملك انكلتار وعاش الى سنة اربع وتسعين وخمسمائة فسقط من سطح فمات وكان عاقلًا كثير المداراة والاحتمال ولمّا رحل ملك انكلتار الى بلاده ارسل هذا كند هري الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله ويطلب منه خلعة وقال انت تعلم انّ لبس القباء والشربوش عندنا عيب وانا البسهما

[1]) C. P. et 740. Ups.: صانه

منك محبة لك فانفذ اليه خلعة سنية منها القباء والشربوش فلبسهما بعكا ☆

ذكر نهب بنى عامر البصرة[1]

فى هذه السنة فى صفر اجتمع بنو عامر فى خلق كثير واميرهم عميرة وقصدوا البصرة وكان الامير بها اسمه محمد بن اسمعيل ينوب عن مقطعها الامير طغرل مملوك الخليفة الناصر لدين الله فوصلوا اليها يوم السبت سادس صفر فخرج اليهم الامير محمد فيمن معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الخريبة[2] ودام القتال الى اخر النهار فلمّا جآء الليل ثلم العرب فى السور عدّة ثلم ودخلوا البلد من الغد فقاتلهم اهل البلد فقتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقين ونهبت العرب الخانات بالشاطئ وبعض محالّ البصرة وعبر اهلها الى شاطئ الملاحين وفارق العرب البلد فى يومهم وعاد اهله اليه وكان سبب سرعة العرب فى مفارقة البلد انّهم بلغهم انّ خفاجة والمنتفق قد قاربوهم فساروا اليهم وقاتلوهم اشدّ قتال فظفرت عامر وغنمت اموال خفاجة والمنتفق وعادوا الى البصرة بكرة الاثنين وكان الامير قد جمع من اهل البصرة والسواد جمعًا كثيرًا فلمّا عادت عامر قاتلهم اهل البصرة ومن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها وفارق البصرة اهلها ونُهبت اموالهم وجرت امور عظيمة ونُهبت القسامل[3] وغيرها يومين وفارقها العرب وعاد اهلها اليها وقد رايتُ هذه القصّة بعينها فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة والله اعلم ☆

ذكر ما كان من ملك انكلتار

فى تاسع جمادى الاولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخرّبوه ثمّ ساروا الى البيت المقدّس وصلاح الدين فيه فبلغوا بيت نوبة[4] وكان سبب طمعهم انّ صلاح الدين فرّق عساكره الشرقيّة وغيرها لاجل الشتاء وليستريحوا وليحضر البدل عوضهم وسار بعضهم مع ولده الافضل واخيه العادل الى البلاد الجزريّة لما نذكره ان شآء الله تعالى وبقى من حلقته الخاصّ وبعض العساكر المصريّة فظنّوا انّهم ينالون غرضًا ،

[1]) In C. P. et 740 hoc caput proxime antecedenti præmissum est.
[2]) C. P. الحربية Ups الحريبة [3]) C. P. et 740. Ups. نهب اهل [4]) نوبة

فلمّا سمع صلاح الدين بقربهم منه فرّق ابراج البلد على الامراء وسار الفرنج من بيت نوبة[1] الى قلونية سلخ الشهر وهى فرسخين من القدس فصبّ المسلمون عليهم البلآء وتابعوا ارسال السرايا قِبَل الفرنج منهم بما لا قِبَل لهم به وعلموا انّهم اذا نازلوا القدس كان الشرّ المهم اسرع والتسلّط عليهم امكن فرجعوا القهقرى وركب المسلمون اكتافهم بالرماح والسهام ولمّا بَعُد الفرنج عن يافا سيّر صلاح الدين سريّة من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم واسروا وغنموا وكان ذلك اخر جمادى الاولى ✿

ذكر استيلآء الفرنج على عسكر للمسلمين وقفل

فى تاسع جمادى الاخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ومعهم قفل كبير ومقدّم العسكر فلك الدين سليمان اخو العادل لامّه ومعه عدّة من الامرآء فاسرى الفرنج اليهم فواقعوهم بنواحى الخليل فانهزم الجند ولم يُقتل منهم احد من المشهورين انّما قُتل من الغلمان والاصحاب وغنم الفرنج خيامهم وآلاتهم واما القفل فانّه أُخذ بعضه وصعد من نجا جبل الخليل فلم يقدم الفرنج على اتباعهم ولو اتّبعوهم نصف فرسخ لاتوا عليهم وتمزّق من نجا من القفل وتقطّعوا ولقوا شدّة الى ان اجتمعوا ✿ حكى لى بعض اصحابنا وكنّا قد سيّرنا معه شيأً للتجارة الى مصر وكان قد خرج فى هذا القفل قال لمّا وقع الفرنج علينا كنّا قد رفعنا احمالنا للسير فحملوا علينا واوقعوا بنا فضربتُ جمالى وصعدتُ الجبل ومعى عدّة اجمال لغيرى فلحقنا قوم من الفرنج فاخذوا الاحمال التى فى صحبتى وكنتُ بين ايديهم بمقدار رمية سهم فلم يصلوا الىّ فنجوتُ بما معى وسرتُ لا ادرى اين اقصد واذ قد لاح لى بنآء كبير على جبل فسالتُ عنه فقيل لى هذا الكرك فوصلتُ اليه ثمّ عُدْتُ منه الى القدس سالمًا وسار هذا الرجل من القدس سالمًا فلمّا بلغ بُزاعة عند حلب اخذه الحرامية فنجا من القتل وهلك عند ظنّه السلامة ✿

ذكر سير الافضل والعادل الى بلاد الجزيرة

---

[1] نوبة (

قد تقدّم ذكر موت تقى الدين عمر ابن صلاح الدين واستيلاء ولده ناصر الدين محمّد على بلاد الجزيرة فلمّا استولى عليها ارسل الى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه مضافًا الى ما كان لابيه بالشام فلم ير صلاح الدين انّ مثل تلك البلاد تُسلّم الى صبىّ فما اجابه الى ذلك فحدث نفسه بالامتناع على صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج فطلب الافضل علىٌّ ابن صلاح الدين من ابيه ان يُقطعه ما كان لتقى الدين وينزل عن دمشق فاجابه الى ذلك وامره بالمسير اليها فسار الى حلب فى جماعة من العسكر وكتب صلاح الدين الى اصحاب البلاد الشرقيّة مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها يامرهم بانفاذ العساكر الى ولده الافضل فلمّا راى ولد تقى الدين ذلك علم انّه لا قوّة له بهم فراسل الملك العادل عمّ ابيه يساله اصلاح حاله مع صلاح الدين فانهى ذلك الى صلاح الدين واصلح حاله وقرّر قاعدته بان يقرّر له ما كان لابيه بالشام وتوخذ منه البلاد الجزريّة واستقرّت القاعدة على ذلك واقطع صلاح الدين البلاد الجزريّة وهى حرّان والرها وسميساط وميّافارقين وحانى العادل وسيّره الى ابن تقى الدين ليتسلّم منه البلاد ويُسيره الى صلاح الدين ويُعيد الملك الافضل ابن ادركه فسار العادل فلحق الافضل بحلب فاعاده الى ابيه وعبر العادل الفراة وتسلّم البلاد من ابن تقى الدين وجعل نوّابه فيها واستصحب ابن تقى الدين معه وعاد الى صلاح الدين بالعساكر وكان عوده فى جمادى الاخرة من هذه السنة ✿

ذكر عود الفرنج الى عكّا

لمّا عاد الملك الافضل فيمن معه وعاد الملك العادل وابن تقى الدين فيمن معهما من عساكرهما وجمعتهم العساكر الشرقيّة عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجار وغير ذلك من البلاد واجتمعت العساكر بدمشق ايقن الفرنج انّهم لا طاقة لهم بها اذا فارقوا البحر فعادوا نحو عكّا يُظهرون العزم على قصد بيروت ومحاصرتها فامر صلاح الدين ولده الافضل ان يسير اليها فى عسكره والعساكر الشرقيّة جميعها معارضًا للفرنج فى مسيرهم نحوها فسار الى مرج العيون واجتمعت العساكر معه فاقام هنالك ينتظر مسير الفرنج فلمّا بلغهم ذلك اقاموا بعكّا ولم يفارقوها ✿

ذكر ملك صلاح الدين يافا

لمّا رحل الفرنج نحو عكّا كان قد اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب وغيره فسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل مَن بها منهم وملكها في العشرين من رجب بالسيف عنوةً ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج واسروا كثيرًا وكان بها اكثر ما اخذوه من عسكر مصر والقفل الذى كان معهم وقد ذُكر ذلك وكان جماعة من المماليك الصلاحيّة قد وقفوا على ابواب المدينة وكلّ مَن خرج من الجند ومعه شيءٌ من الغنيمة اخذوه منه فان امتنع ضربوه واخذوا ما معه قهرًا ثمّ رجعت العساكر الى القلعة فقاتلوا عليها اخر النهار وكادوا ياخذونها فطلب مَن بالقلعة الامان على انفسهم وخرج البترك الكبير الذى لهم ومعه عدّة من اكابر الفرنج في ذلك وتردّدوا وكان قصدهم منع المسلمين عن القتال فادركهم الليل وواعدوا المسلمين ان ينزلوا بكرة غد ويسلّموا القلعة فلمّا اصبح الناس طالبهم صلاح الدين بالنزول عن الحصن فامتنعوا واذ قد وصلهم نجدة من عكّا وادركهم ملك انكلتار فاخرج مَن بيافا من المسلمين واتاه المدد من عكّا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدّم اليه احد فوقف بين الصفّين واستدعى طعامًا من المسلمين ونزل اكل فامر صلاح الدين عسكره بالحملة عليهم والجدّ في قتالهم فتقدّم اليه بعض امرائه يعرف بالجناح وهو اخو المشطوب بن علىّ ابن احمد الهكّارىّ فقال له يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين اخذوا امس الغنيمة وضربوا الناس بالجماقات يتقدّمون فيقاتلون اذا كان القتال فنحن واذا كانت الغنيمة فلهم فغضب صلاح الدين من كلامه وعاد عن الفرنج وكان رحمه الله حليمًا كريمًا لمقدرة ونزل في خيامه واقام حتّى اجتمعت العساكر وجاء اليه ابنه الافضل واخوه العادل وعساكر الشرق فدخل بهم الى الرملة لينظر ما يكون منه ومن الفرنج فلزم الفرنج يافا ولم يبرحوا منها ۞

ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين الى دمشق

في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج لمدّة ثلاث سنين وثمانية اشهر اوّلها هذا التاريخ وافق اوّل ايلول وسبب

الصلح انّ ملك انكلتار لمّا راى احتماع العساكر وانّه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل للمسلمين بلد يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين فى الصلح واظهر من ذلك ضدّ ما كان يظهره اوّلاً فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنًّا منه انّه يفعل ذلك خديعةً ومكرًا وارسل يطلب منه المصافّ والحرب فاعاد الفرنجىّ رسله مرّة بعد مرّة وترك تتمّة عمارة عسقلان وعن غزّة والداروم والرمله وارسل الى الملك العادل فى تقرير هذه القاعدة فاشار هو وجماعه الامرآء بالاجابة الى الصلح وعرّفوه ما عند العسكر من الضجر والملل وما قد هلك من اسلحتهم ودوابّهم ونفد من نفقاتهم وقالوا انّ هذا الفرنجىّ انّما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تاخّرت اجابته الى ان يجيئ الشتآء وينقطع الركوب فى البحر نحتاج نبقى ههنا سنة اخرى وحينئذٍ يعظم الضرر على المسلمين واكثروا القول له فى هذا المعنى فاجاب حينئذٍ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان فى جملة مَن حضر عند صلاح الدين باليان بن بارزان[1] الذى كان صاحب الرمله ونابلس فلمّا حلف صلاح الدين قال له ما عمل احد فى الاسلام ما عملتَ ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدّة فانّنا احصينا مَن خرج الينا فى البحر من المقاتلة فكانوا ستّمائة الف رجل ما عاد منهم الى بلادهم من كلّ عشرة واحد بعضهم قتلتَهم انت وبعضهم مات وبعضهم غرق ۶ ولمّا انفصل امر الهدنه اذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت المقدس فزاروه وتفرّقوا وعادتْ كلّ طائفة الى بلادها واقام بالساحل الشامىّ ملكًا على الفرنج والبلاد التى بايديهم الكند هرى وكان حسن الطبع قليل الشرّ رفيقًا بالمسلمين محبًّا لهم وتزوّج بالملكة التى كانت تملك بلاد الفرنج قبل ان يملكها صلاح الدين كما ذكرناه ۶ وامّا صلاح الدين فانّه بعد تمام الهدنة سار الى البيت المقدّس وامر باحكام سوره وعَمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها الوقوف وصام رمضان بالقدس وعزم على الحجّ والاحرام منه

[1]) باليان بن بارزان

فلم يمكنه ذلك فسار عنه خامس شوال نحو دمشق واستناب بالقدس اميرًا اسمه جوردبك وهو من المماليك النوريّة ولمّا سار عنه جعل طريقه على الثغور الاسلاميّة كنابلس وطبريّة وصفد وتبنين وبيروت وتعهّد هذه البلاد وامر باحكامها فلمّا كان في بيروت اتاه بيمند صاحب انطاكيّة واعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلده فلمّا عاد رحل صلاح الدين الى دمشق فدخلها في الخامس والعشرين من شوّال وكان يوم دخوله اليها يومًا مشهودًا وفرح الناس به فرحًا عظيمًا لطول غيبته وذهاب العدوّ عن بلاد الاسلام ۞

ذكر وفاة قلج ارسلان

في هذه السنة منتصف شعبان توفّي الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق السلجوقي بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية واعمالها واقصرا وسيواس وملطيه وغير ذلك من البلاد وكانت مدّة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم فلمّا كبر فرّق بلاده على اولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين وكان قلج ارسلان قد استناب في مدينة مُلكه رجلًا يُعرف باختيار الدين حسن فلمّا غلب قطب الدين على الامر قتل حسنًا ثمّ اخذ والده وسار به الى قيساريّة لياخذها من اخيه الذي سلّمها اليه ابوه فحصرها مدّة فوجد والده قلج ارسلان فرصة فهرب ودخل قيساريّة وحده فلمّا علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا فملكهما ولم يزل قلج ارسلان يتحوّل من ولد الى ولد وكلّ منهم يتبرّم به حتّى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلوا فلمّا رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو معه الى قونية فملكها وسار الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فمرض ابوه فعاد به الى قونية فتوفّي بها ودُفن هناك وبقي ولده غياث الدين في قونية مالكًا لها حتّى اخذها منه اخوه ركن الدين سليمان على ما نذكره ان شآء الله تعالى وقد حدّثني بعض من اثق اليه من اهل العلم بما يحكيه وكان قد وصل تلك البلاد

بغير هذا ونحن نذكره قال انّ قلج ارسلان قسم بلاده بين اولاده فى حياته فسلّم دوقاط الى ابنه ركن الدين سليمان وسلّم قونية الى ولده كيخسروا غياث الدين وسلّم انقرة وهى التى تسمّى انكشوريّة الى ولده محيى الدين وسلّم ملطيّة الى ولده معزّ الدين قيصر شاه وسلّم ابلستين الى ولده مغيث الدين وسلّم قيسارية الى ولده نور الدين محمود وسلّم سيواس واقصرا الى ولده قطب الدين وسلّم نكسار[1] الى ولد اخر[2] وسلّم اماسيا الى ولد اخيه هذه امّهات البلاد وينضاف الى كلّ بلد من هذه ما يجاورها من البلاد الصغار التى ليست مثل هذه ثمّ انّه ندم على ذلك واراد ان يجمع الجميع لولده الاكبر قطب الدين وخطب له ابنة صلاح الدين يوسف صاحب مصر والشام ليتقوى به فلمّا سمع باقى اولاده بذلك امتنعوا عليه وخرجوا عن طاعته وزال حكمه عنهم فسار يتردّد بينهم على سبيل الزيارة فيقيم عند كلّ واحد منهم مدّة وينتقل الى الاخر ثمّ انّه مضى الى ولده كيخسروا صاحب قونية على عادته فخرج اليه ولقيه وقبّل الارض بين يديه وسلّم قونية اليه وتصرّف عن امره فقال لكيخسروا[3] اريد اسير الى ولدى الملعون محمود وهو صاحب قيساريّة وتجيء انت معى لاخذها منه فتجهّز وسار معه وحصر محمودًا بقيساريّة فمرض قلج ارسلان وتوفّى عليها فعاد كيخسروا وبقى كلّ واحد من الاولاد على البلد التى بيده وكان قطب الدين صاحب اقصرا وسيواس اذا اراد ان يسير من احدى المدينتين الى الاخرى يجعل طريقه على قيساريّة وبها اخوه نور الدين محمود وليست على طريقه انّما كان يقصدها ليظهر المودّة لاخيه والمحبّة له وفى نفسه الغدر فكان اخوه محمود يقصده ويجتمع به ففى بعض المرّات نزل بظاهر البلد على عادته وحضر اخوه محمود عنده غير محتاط فقتله قطب الدين والقى راسه الى اصحابه واراد اخذ البلد فامتنع من به من اصحاب اخيه عليه ثمّ انّهم سلّموه اليه على قاعدة استقرّت بينهم وكان عند محمود امير كبير وكان يحذّره من اخيه قطب الدين ويخوّفه فلم يصغ اليه وكان جوادًا كثير الخير والتقدّم فى

---

[1]) 740 بكمسار Ups. بكسار [2]) 740. Ups.: اخيه [3]) كيخسروا

الدولة عند نور الدين فلمّا قتل قطب الدين اخاه/قتل حسنًا معه والقاه على الطريق فجآء كلب ياكل من لحمه فثار الناس وقالوا لا سمعًا ولا طاعة هذا رجل مسلم وله هاهنا مدرسة وتربة وصدقات دارّة وافعال حسنة لا نتركه تاكله الكلاب فامر به فدفن في مدرسته ٭ وبقى اولاد قلج ارسلان على حالهم ثمّ ان قطب [الدين] مرض ومات فسار[1] اخوه ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى سيواس وهى تجاوره فملكها ثمّ سار منها الى قيسارية واحصرا ثمّ بقى مديدة وسار الى قونية وبها اخوه غياث الدين فحصره بها وملكها ففارقها غياث الدين الى الشام ثمّ الى بلد الروم وكان من امره ما نذكره ان شآء الله تعالى ثمّ سار بعد ذلك/ الى/ ركن الدين الى نكسار[2] واماسيا فملكها وسار الى ملطية سنة سبع وتسعين وخمسمائة فملكها وفارقها اخوه معزّ الدين الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب وكان هذا معزّ الدين تزوّج ابنة العادل فاقام عنده واجتمع لركن الدين ملك جميع الاخوة ما عدا انقرة فانّها منيعة لا يوصل اليها فجعل عليها عسكرًا يحصرها صيفًا وشتآء ثلاث سنين فتسلّمها سنة احدى وستّمائة ووضع على اخيه الذى كان بها من يقتله اذا فارقها فلمّا سار عنها قتل وتوفّى ركن الدين فى تلك الايّام ولم يسمع خبر قتل اخيه بل عاجله الله تعالى لقطع رحمه ٭ وانّما اوردنا هذه الحادثة هاهنا لنتبع بعضًا بعضًا ولانى لم اعلم تواريخ كلّ حادثة منها لاثبتنه فيه ٭

ذكر ملك شهاب الدين اجمير[3] وغيرها من الهند

قد ذكرنا سنة ثلاث وثمانين غزوة شهاب الدين الغورىّ الى بلد الهند وانهزامه وبقى الى الآن وفى نفسه الحقد العظيم على الجند الغوريّة الذين انهزموا وما الزمهم من الهوان فلمّا كان هذه السنة خرج من غزنة وقد جمع عساكره وسار فيها بطلب غزوة الهند الذى هزمه تلك النوبة فلمّا وصل الى برساوور تقدّم اليه شيخ من الغوريّة كان يدلّ عليه فقال له قد قربنا من العدوّ وما نعلم احد اين يمضى ولا من نقصد ولا تردّ على الامرآء سلامًا وهذا لا يجوز فعله فقال له السلطان اعلم

---

1) فسار C. P. et 740: (2 نكسار (3 اجمير Upo.: تميير (

انّی منذ هزمنی هذا الکافر ما نمتُ مع زوجتی ولا غیّرتُ ثیاب البیاض عنّی وانا سایر الی عدوّی ومعتمد علی الله تعالی لا علی الغوریّة ولا علی غیرهم فان نصرنی الله سبحانه نصر دینه فمن فضله وکرمه وان انهزمنا فلا تطلبونی فما انهزمتُ ولو هلکتُ تحت حوافر الخیل فقال له الشیخ سوف تری بنی عمّك من الغوریّة ما یفعلون فینبغی ان تکلّمهم وتردّ سلامهم ففعل ذلك وبقی امرآء الغوریّة یتضرّعون ویقولون سوف تری ما نفعل وسار الی ان وُصل الی موضع المصافّ الاوّل وجازه مسیرة اربعة ایّام واخذ عدّة مواضع من بلاد العدوّ فلمّا سمع الهندیّ تجهّز وجمع عساکره وسار یطلب المسلمین فلمّا بقی بین الطایفتیْن مرحلة عاد شهاب الدین ورآءه والکافر فی اعقابه اربع منازل فارسل الکافر الیه یقول له اعطنی یدك انّك تصافقنی فی باب غزنة حتّی اجیٔ ورآءك والّا فنحن متقلین ومثلك لا یدخل البلاد شبیه اللصوص ثمّ یخرج هاربًا ما هذا فعل السلاطین فاعاد الجواب انّی لا اقدر علی حربك وتمّ علی حاله عایدًا الی ان بقی بینه وبین بلاد الاسلام ثلاثة ایّام والکافر فی اثره تتبعه حتّی لحقه قریبًا من مرندة[1] فجرد شهاب الدین من عسکره سبعین الفًا وقال ارید هذه اللیلة تدورون حتّی تکونوا ورآء عسکر العدوّ وعند صلاة الصبح تاتون انتم من تلك الناحیة وانا من هذه الناحیة ففعلوا ذلك وطلع الفجر ومن عادة الهنود انّهم لا یبرحون من مضاجعهم الی ان تطلع الشمس فلمّا اصبحوا حمل علیهم عسکر المسلمین من کلّ جانب وضربت الکوسات فلم یلتفت ملك الهند الی ذلك وقال مَن یقدم علیّ انا هذا والقتل قد کثر فی الهنود والنصر قد ظهر للمسلمین فلمّا رای ملك الهند ذلك احضر فرسًا له سابقًا ورکب لیهرب فقال له اعیان اصحابه انّك حلفتَ لنا انّك لا تخلینا وتهرب فنزل عن الفرس ورکب الفیل ووقف موضعه والقتال شدید والقتل قد کثر فی اصحابه فانتهی المسلمون الیه واخذوه اسیرًا وحینیٔذ عظم القتل والاسر فی الهنود ولم ینج منهم الّا القلیل وأُحضر الهندیّ بین یدی شهاب الدین فلم یخدمه فاخذ

[1]) C. P.: مرندة 740: مرنده Ups.: تریره

بعض الحجاب بلحيته وجذبه الى الارض حتّى اصابها جبينه واقعده بين يدى شهاب الدين فقال له شهاب الدين لو استاسرتنى ما كنتَ تفعل بى فقال الكافر قد استعملتُ لك قيدًا من ذهب اقيدك به فقال شهاب الدين بل نحن ما نجعل لك من القدر ما نقيدك وغنم المسلمون من الهنود اموالاً كثيرة وامتعة عظيمة وفى جملة ذلك اربعة عشر فيلاً من جملتها الفيل الذى جرح شهاب[1] الدين فى تلك الوقعة وقال ملك الهند لشهاب الدين ان كنتَ طالب بلاد فما بقى فيها مَن يحفظها وان كنتَ طالب مال فعندى اموال تحمل اجمالك كلّها ٭ فسار شهاب الدين وهو معه الى الحصن الذى له يعوّل عليه وهو اجمير[2] فاخذه واخذ جميع البلاد التى تقاربه واقطع الجميع البلاد لمملوكه قطب الدين ايبك وعاد الى غزنة وقتل ملك الهند ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قُبض على امير الحاجّ طاشتكين ببغداد وكان نعم الامير عادلاً فى الحاجّ رفيقًا بهم محبًّا لهم له اورادٌ كثيرة من صلوات وصيام وكان كثير الصدقة لا جرم وقفت اعماله بين يديه فخلص من السجن على ما نذكره ان شآء الله تعالى ٭ وفيها خرج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل من الحبس بعد موت قزل ارسلان بن ايلدكز والتقى هو وقتلغ اينانج[3] ابن البهلوان بن ايلدكز فانهزم اينانج[3] الى الرىّ على ما نذكره ان شآء الله تعالى سنة تسعين وخمسمائة ٭ وفيها فى رجب توفّى الامير السيد علىّ بن المرتضى العلوىّ الحنفىّ مدرّس جامع السلطان ببغداد وفى شعبان منها توفّى ابو علىّ الحسن بن هبة الله ابن البُوقىّ الفقيه الشافعىّ الواسطىّ وكان عالمًا بالمذهب انتفع به الناس ٭

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسماية ٭

سنة ٥٨٩

ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته

فى هذه السنة فى صفر توفّى صلاح الدين يوسف بن ايّوب بن شاذى صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بدمشق ومولده بتكريت وقد

---

1) صلاح 2) حمير 3) قتلغ ادماج

ذكرنا سبب انتقالهم منها وملكهم مصر سنة اربع وستين وخمسماية وكان سبب مرضه ان خرج يتلقّى الحاجّ فعاد ومرض من يومه مرضًا حادًّا بقى به ثمانية ايّام وتوفّى رحمه الله وكان قبل مرضه قد احضر ولده الافضل عليًّا واخاه الملك العادل ابا بكر واستشارهما فيما يفعل وقال قد تفرّغنا من الفرنج وليس لنا فى هذه البلاد شاغل فاىّ جهة نقصد فاشار عليه اخوه العادل بقصد خلاط لانّه كان قد وعده اذا اخذها ان يسلّمها اليه واشار ولده الافضل بقصد بلد الروم التى بيد اولاد قلج ارسلان وقال هى اكثر بلادًا وعسكرًا ومالاً واسرع مأخذًا وهى ايضًا طريق الفرنج اذا خرجوا على البرّ فاذا ملكناها منعناهم من العبور فيها فقال كلاكما مقصّر ناقص الهمّة بل اقصد انا بلد الروم وقال لاخيه تاخذ انت بعض اولادى وبعض العسكر وتقصد خلاط فاذا فرغتُ انا من بلد الروم جيتُ اليكم وندخل منها اذربيجان ونتّصل ببلاد العجم ما فيها مَن يمنع عنها ثمّ اذن لاخيه العادل فى المضى الى الكرك وكان له وقال له تجهّز واحضر لنسير فلمّا سار الى الكرك مرض صلاح الدين وتوفّى قبل عوده ٭ وكان رحمه الله كريمًا حليمًا حسن الاخلاق متواضعًا صبورًا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يُعلمه بذلك ولا يتغيّر عليه وبلغنى انّه كان يومًا جالسًا وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضًا بسرموز فاخطاته ووصلت الى صلاح الدين فاخطاته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى يكلّم جليسه ليتغافل عنها ٭ وطلب مرّة المآء فلم يحضر وعاود الطلب فى مجلس واحد خمس مرّات فلم يحضر فقال يا اصحابنا والله قد قتلنى العطش فاحضر المآء فشربه ولم ينكر التوانى فى احضاره ٭ وكان مرّة قد مرض مرضًا شديدًا ارجف عليه بالموت فلمّا برئ منه وادخل الحمام كان المآء حارًّا فطلب مآء باردًا فاحضره الذى يخدمه فسقط من المآء شئ على الارض فناله منه شئ فتالّم له لضعفه ثمّ طلب البارد ايضًا فاحضر فلمّا قاربه سقطت الطاسة على الارض فوقع المآء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للغلام ان كنتَ تريد قتلى فعرّفنى فاعتذر اليه فسكت عنه ٭ وامّا كرمه فانّه كان كثير البذل لا يقف فى شئ يخرجه ويكفى

دليلاً على كرمه انه لما مات لم تخلف فى خزاينه غير دينار واحد صورى واربعين درهمًا ناصرية وبلغنى انّه اخرج فى مدّة مقامه على عكّا قبالة الفرنج ثمانية عشر الف دابّة من فرس وبغل سوى الجمال وامّا العين والثياب والسلاح فانّه لا يدخل تحت الحصر ولمّا انقرضت الدولة العلويّة بمصر اخذ من ذخايرهم من ساير الانواع ما يفوت الاحصآء ففرّقه جميعه ۶ وامّا تواضعه فانّه كان ظاهرًا لم يتكبّر على احد من اصحابه وكان يعيب الملوك المتكبّرين بذلك وكان يحضر عنده الفقرآء والصوفيّة ويعمل لهم السماع فاذا قام احدهم لرقص او سماع يقوم له فلا يقعد حتّى يفرغ الفقير ولم يلبس شيأً ممّا ينكره الشرع وكان عنده علم ومعرفة وسمع الحديث واسمعه وبالجملة فكان نادرًا فى عسكره كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد فى الكفّار وفتوحه تدلّ على ذلك وخلّف سبعة عشر ولدًا ذكرًا ✿

ذكر حال اهله واولاده بعده

لمّا مات صلاح الدين بدمشق كان معه بها ولده الاكبر الافضل نور الدين علىّ وكان قد حلّف له العساكر جميعها غير مرّة فى حياته فلمّا مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدّس وبعلبكّ وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين[1] وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقرّ مُلكه بها وكان ولده الظاهر غازى بحلب فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها مثل حارم وتلّ باشر واعزاز وبرزية[2] ودرب ساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماة محمود بن تقى الدين عمّه فاطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمّد بن شيركوه فاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بالكرك قد سار اليه كما ذكرنا فامتنع فيه ولم يحضر عند احد من اولاد اخيه فارسل اليه الملك الافضل يستدعيه ليحضر عنده فوعده ولم يفعل فاعاد مراسلته وخوّفه من الملك العزيز صاحب مصر ومن اتابك عزّ الدين صاحب الموصل فانّه كان قد سار عنها الى بلاد العادل الجزرية على ما نذكره ويقول له ان حضرتَ جهّزتُ العساكر وسرتُ الى بلادك حفظتُها وان اقمتَ قَصَدَك اخى الملك

---

[1] تونين (1   [2] برزيه (2

العزيز لما بينهما من العداوة واذا ملك عزّ الدين بلادك فليس له دون الشام مانع وقال لرسوله ان حضر معك والّا فقُلْ له قد امرنى ان سرتَ اليه بدمشق عُدْتُ معك وان لم تفعل اسير الى الملك العزيز احالفه على ما يختار فلمّا حضر الرسول عنده وعده بالمجئ فلمّا راى ان ليس معه منه شئ غير الوعد أَبلغَه ما قيل له فى معنى موافقة العزيز فحينئذ سار الى دمشق وجهّز الافضل معه عسكرًا من عنده وارسل الى صاحب حمص وصاحب حماه والى اخيه الملك الظاهر[1] بحلب يحثّهم على انفاذ العساكر مع العادل الى البلاد الجزريّة ليمنعها من صاحب الموصل ويخوّفهم ان هم لم يفعلوا وممّا قال لاخيه الظاهر قد عرفتَ محبّة اهل الشام لبيت اتابك فوالله لئن ملك عزّ الدين حرّان ليقومنّ اهل حلب عليك ولتخرجنّ منها وانت لا تعقل وكذلك يفعل فى اهل دمشق فاتّفقت كلمتهم على تسيير العساكر معه فجهّزوا عساكرهم وسيّروها الى العادل وقد عبر الفراة فعسكر عساكرهم بنواحى الرها بمرج الريحان وسنذكر ما كان منه ان شآء الله تعالى ۞

ذكر مسير اتابك عزّ الدين الى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه

لمّا بلغ اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وفاة صلاح الدين جمع اهل الراى من اصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدّم على كلّ مَن فيها وهو نايبه فيهم واستشارهم فيما يفعل فسكتوا فقال له بعضهم وهو اخى مجد الدين ابو السعادات المبارك انا ارى انّك تخرج مسرعًا جريدة فيمن خفّ من اصحابك وحلقتك الخاصّ وتتقدّم الى الباقين باللحاق بك وتعطى مَن هو محتاج الى شئ ما يتجهّز به ويلحق بك الى نصيبين وتكاتب اصحاب الاطراف مثل مظفّر الدين ابن زين الدين صاحب اربل وسنجر شاه ابن اخيك صاحب جزيرة ابن عمر واخاك عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين تعرّفهم انّك قد سرْتَ وتطلب منهم المساعدة وتبذل لهم اليمين على ما يلتمسونه فمتى رأوك قد سرْتَ خافوك وان اجابك اخوك صاحب سنجار ونصيبين الى الموافقة والّا بدأتَ

[1] الظاهر (

بنصيبين اخذتُها وتركتُ فيها من يحفظها ثمّ سرتُ نحو الخابور وهو
له ايضًا فاقطعه[1] وتركتُ عسكره مقابل اخيك يمنعه من الحركة ان
ارادها او قصدتُ الرقّة فلا تمنع نفسها وتاتى حرّان والرها فليس فيها
مَن يحفظهما لا صاحبٌ ولا عسكرٌ ولا ذخيرة فانّ العادل اخذهما من ابن
تقى الدين ولم يقم فيهما ليصلح حالهما وكان القوم يتكلّمون على قوّتهم
فلم يظنّوا هذا الحادث فاذا فرغتَ من ذلك الطرف عُدْتَ الى مَن امتنع
من طاعتك فقاتلته وليس وراءك ما تخاف عليه فانّ بلدك عظيم لا تبالى
بكلّ مَن وراءك ، فقال مجاهد الدين المصلحة انّنا نكاتب اصحاب الاطراف
وناخذ رأيهم فى الحركة ونستميلهم فقال له اخى ان اشاروا بترك الحركة
تقبلون منهم قال لا قال فانّهم لا يشيرون الّا بتركها لانّهم لا
يرون ان يقوى هذا السلطان خوفًا منه وكانّى بهم يغالطونكم مهما البلاد
الجزريّة فارغة من صاحب وعسكر فاذا جاءَ اليها مَن يحفظها جاهروكم
بالعداوة ، ولم يمكنه اكثر من هذا القول خوفًا من مجاهد الدين حيث
راى ميله الى ما تكلّم به فانفصلوا على ان يكاتبوا اصحاب الاطراف فكاتبوهم
فكلّ اشار بترك الحركة الى ان ننظر ما يكون من اولاد صلاح الدين
وعمّهم فنتثبّط ، ثمّ انّ مجاهد الدين كرّر المراسلات الى عماد الدين صاحب
سنجار يعده ويستميله فبينما هم على ذلك اذ جاءَهم كتاب الملك العادل
من المناخ بالقرب من دمشق وقد سار عن دمشق الى بلاده يذكر
فيه موت اخيه وانّ البلاد قد استقرّت لولده الملك الافضل والناس متّفقون
على طاعته وانّه هو المدبّر لدولة الافضل وقد سيّره فى عسكر جمّ كثير
العدد لقصد ماردين لمّا بلغه انّ صاحبها تعرّض الى بعض القرى التى
له وذكر من هذا النحو شيئًا كثيرًا فظنّوه حقًّا وامّا قوله لا ريب فيه
ففتروا عن الحركة وذلك الراى فسيّروا الجواسيس فاتتهم الاخبار بانّه فى
ظاهر حرّان من نحو مائتى خيمة لا غير فعادوا تحرّكوا فالى ان تقرّرت
القواعد بينهم وبين صاحب سنجار واقبلت العساكر الشاميّة التى سيّرها
الافضل وغيره الى العادل فامتنع بها وسار اتابك عزّ الدين عن الموصل

---

[1]) 740: فاقطعته

الى نصيبين واجتمع هو واخوه عماد الدين بها وساروا على سنجار نحو الرها وكان العادل قد عسكر قريبًا منها بمرج الريحان فخافهم خوفًا عظيمًا فلمّا وصل اتابك عزّ الدين الى تلّ موزن[1] مرض بالاسهال فاقام عدّة ايّام فضعُفت من الحركة وكثر مجئ الدم منه فخاف الهلاك فترك العساكر مع اخيه عماد الدين وعاد جريدة فى مائتى فارس ومعه مجاهد الدين واخى مجد الدين فلمّا وصل الى دنيسر استولى عليه الضعف فاحضر اخى وكتب وصيّته ثمّ سار فدخل الموصل وهو مريض اوّل رجب ۞

ذكر وفاة اتابك عزّ الدين وشئٍ من سيرته

فى هذه السنة توفّى اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن اق سنقر صاحب الموصل بالموصل وقد ذكرنا عوده اليها مريضًا فبقى فى مرضه الى التاسع والعشرين من شعبان فتوفّى رحمه الله ودُفن بالمدرسة التى انشاها مقابل دار المملكة وكان قد بقى ما يزيد على عشرة ايّام لا يتكلّم الّا بالشهادتيْن وتلاوة القران واذا تكلّم بغيرها استغفر الله ثمّ عاد الى ما كان عليه فرُزق خاتمة خير رضى الله عنه وكان رحمه الله خيّر الطبع كثير الخير والاحسان لا سيّما الى شيوخ قد خدموا اباه فانّه كان يتعهّدهم بالبرّ والاحسان والصلة والاكرام ويرجع الى قولهم ويزور الصالحين ويقرّبهم ويشفعهم وكان حليمًا قليل المعاقبة كثير الحياء لم يكلّم جليسًا له الّا وهو مطرق وما قال فى شئ يُسئله لا حياءً وكرم طبع وكان قد حجّ ولبس بمكّة حرسها الله خرقة التصوّف وكان يلبس تلك الخرقة كلّ ليلة ويخرج الى مسجد قد بناه فى داره ويصلّى فيه نحو ثُلث الليل وكان رقيق القلب شفيقًا على الرعيّة بلغنى عنه انّه قال بعض الايّام انّى سهرت الليلة كثيرًا وسبب ذلك انى سمعتُ صوت نايحة فظننتُ انّ ولد فلان قد مات وكان قد سمع انّه مريض قال فضاق صدرى وقُمْتُ من فراسى ادور فى السطح فلمّا طال علىّ الامرُ ارسلتُ خادمًا الى الجانداريّة فارسل منهم واحدًا يستعلم الخبر فعاد وذكر انسانًا لا اعرفه فسكن بعض ما عندى فنمتُ ولم يكن الرجل الذى ظنّ انّ ابنه مات

---

[1] موزن (

من اصحابه انما كان من رعيته ، كان ينبغى ان تتاخر وفاته وانّما قدّمناها لتتبع اخباره بعضها بعضًا ٭

ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط

فى هذه السنة اوّل جمادى الاولى قُتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران فانّه اسرف فى اظهار الشماتة بموت صلاح الدين فلم يمهله الله تعالى ولمّا بلغه موت صلاح الدين فرح فرحًا كثيرًا وعمل تختًا جلس عليه ولقّب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين وكان لقبه سيف الدين فغيّره وسمّى نفسه عبد العزيز وظهر منه اختلال وتخليط وتجهّز ليقصد ميّافارقين يحصرها فادركته منيته ، وكان سبب قتله انّ هزار دينارى وهو ايضًا من مماليك شاه ارمن ظهير الدين كان قد قوى وكثر جمعه وتزوّج ابنة بكتمر فطمع فى الملك فوضع عليه مَن قتله فلمّا قُتل ملك بعده هزار دينارى بلاد خلاط واعمالها ، وكان بكتمر ديّنًا خيّرًا صالحًا كثير الخير والصلاح والصدقة محبًّا لاهل الدين والصوفيّة كثير الاحسان اليهم قريبًا منهم ومن سائر رعيّته محبوبًا اليهم عادلاً فيهم وكان جوادًا شجاعًا عادلاً فى رعيّته حسن السيرة فيهم ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة شتّى شهاب الدين ملك غزنة فى برشاوور[1] وجهّز مملوكه ايبك فى عساكر كثيرة فادخله بلاد الهند يغنم ويسبى ويفتح من البلاد ما يمكنه فدخلها وعاد خرج هو وعساكره سالمًا قد ملؤا ايديهم من الغنائم ، وفيها فى رمضان توفّى سلطان شاه صاحب مرو وغيرها من خراسان وملك اخوه علآء الدين تكش بلاده وسنذكره سنة تسعين ان شآء الله ، وفيها امر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظاميّة ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة أُلُوفًا لا يوجد مثلها ، وفيها فى ربيع الاوّل فُرغ من عمارة الرباط الذى امر بانشآئه الخليفة ايضًا بالحريم الطاهرىّ غربىّ بغداد على دجلة وهو من احسن الربط

1) شاوور

ونعل اليه كتبًا كثيرة من احسن الكتب ، وفيها ملك الخليفة قلعة من بلاد خوزستان وسبب ذلك انّ صاحبها سوسبان[1] بن شملة جعل فيها دزدارًا فاسآء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله ونادوا بشعار الخليفة فارسل اليها وملكها ، وفيها انقضّ كوكبان عظيمان وسمع صوت هدّة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر وغلب ضوءهما القمر وضوء النهار ، وفيها مات الامير داود بن عيسى بن محمّد بن ابى هاشم امير مكّة وما زالت مكّة تكون له تارة ولاخيه مكثر تارة الى ان مات ✿

سنة ٥٩٠ ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة ،

ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندىّ

كان شهاب الدين الغورىّ ملك غزنة قد جهّز مملوكه قطب الدين وسيّره الى بلد الهند للغزاة فدخلها فقتل فيها وسبى وغنم وعاد فلمّا سمع به ملك بنارس وهو اكبر ملك فى الهند ولايته من حدّ الصين الى بلاد ملاوا طولاً ومن البحر الى مسيرة عشرة ايّام من لهاوور[2] عرضًا وهو ملك عظيم فعندها جمع جيوشه وحشرها وسار يطلب بلاد الاسلام ودخلت سنة تسعين فسار شهاب الدين الغورىّ من غزنة بعساكره نحوه فالتقى العسكران على ماخون وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل وكان مع الهندىّ سبع مائة فيل ومن العسكر على ما قيل الف الف رجل ومن جملة عسكره عدّة امرآء مسلمين كانوا فى تلك البلاد ابٌ عن جدّ من ايّام السلطان محمود بن سبكتكين يلازمون شريعة الاسلام ويواظبون على الصلوات وافعال الخير فلمّا التقى المسلمون والهنود اقتتلوا فصبر الكفّار لكثرتهم وصبر المسلمون لشجاعتهم فانهزم الكفّار ونُصر المسلمون وكثر القتل فى الهنود حتّى امتلات الارض وجافت وكانوا لا ياخذون الّا الصبيان والجوارى وامّا الرجال فيقتلون واخذ منهم تسعين فيلاً وباقى الفيلة قُتل بعضها وانهزم بعضها وقتل ملك الهند ولم يعرفه احدٌ الّا انّه كانت اسنانه قد ضعفت اصولُها فامسكوها بشريط الذهب فلذلك عرفوه فلمّا انهزم الهنود دخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزائنها

[1]) Cod. 740. Ups.: يسان [2]) لهاوون

على الف واربع مايّة جمل وعاد الى غزنة ومعه الفيلة التى اخذها من جملتها فيلٌ ابيض حدّثنى مَن رءاه لمّا أُخذت الفيلة وقدمت الى شهاب الدين وأُمرت بالخدمة فخدمت جميعها الّا الابيض فانّه لم يخدم ولا يعجب احدٌ من قولنا الفيلة تخدم فانّها تفهم ما يُقال لها ولقد شاهدتُ فيلاً بالموصل وفيّاله يحدّثه فيفعل ما يقول له ✿

ذكر قتل السلطان طغرل ومُلك خوارزم شاه الرىّ ووفاة اخيه سلطان شاه

قد ذكرنا سنة ثمان وثمانين خروج السلطان طغرل بن البب ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه بن البب ارسلان السلجقىّ من الحبس ومُلكه همذان وغيرها وكان قد جرى بينه وبين قتلغ اينانج[1] بن البهلوان صاحب البلاد حرب انهزم فيها قتلغ اينانج[2] وتحصّن بالرىّ وسار طغرل الى همذان وارسل قتلغ اينانج[2] الى خوارزم شاه علآء الدين تكش يستنجده فسار اليه فى سنة ثمان وثمانين فلمّا تقاربا ندم قتلغ اينانج[2] على استدعآء خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصّن فى قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الرىّ وملكها وحصر قلعة طبرك[3] ففتحها فى يومَيْن وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الرىّ فى يد خوارزم شاه فرتّب فيها عسكرًا يحفظها وعاد الى خوارزم لانّه بلغه انّ اخاه سلطان [شاه] قد قصد خوارزم فجدّ فى السير خوفًا عليها فاتاه الخبر وهو فى الطريق انّ اهل خوارزم منعوا سلطان شاه عنها ولم يقدر على القرب منها وعاد عنها خايبًا فشتّى خوارزم شاه بخوارزم فلمّا انقضى الشتآء سار الى مرو لقصد اخيه سنة تسع وثمانين فتردّدت الرسل بينهما فى الصلح فبينما هم فى تقرير الصلح واذ قد ورد على خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلّم اليه القلعة لانّه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار خوارزم شاه اليه مجدًّا فتسلّم القلعة وصار معه وبلغ ذلك سلطان شاه ففتّ ذلك فى عضده وتزايد كمده فمات سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمايّة فلمّا سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو فتسلّمها وتسلّم مملكة اخيه سلطان شاه

1) اسانج   2) قلع اسانج   3) C. P. Ups.: طغرك

جميعها وخزانته وارسل الى ابنه علآء الدين محمّد وكان يلقب حينئذ قطب الدين وهو بخوارزم فاحضره فولّاه نيسابور وولّى ابنه الكبير ملكشاه مروّ وذلك فى ذى الحجّة سنة تسع وثمانين ‹ فلمّا دخلت سنة تسعين وخمسمائة قصد السلطان طغرل بلد الرىّ فاغار على مَن به من اصحاب خوارزم شاه [ففرّ منه قتلغ اينانج بن البلوان وارسل الى خوارزم شاه][1] يعتذر ويسال انجاده مرّة ثانية ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكوا من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرىّ فلقاه قتلغ اينانج[2] ومَن معه بالطاعة وساروا معه فلمّا سمع السلطان طغرل بوصوله كانت عساكره متفرّقة فلم يقف ليجمعها بل سار اليه فيمن معه فقيل له انّ الذى يفعله ليس براى والمصلحة ان تجمع العساكر فلم يقبل وكان فيه شجاعة بل تمّم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الرى فحمل طغرل بنفسه فى وسط عسكر خوارزم شاه فاحاطوا به والقوه عن فرسه وقتلوه فى الرابع العشرين من شهر ربيع الاوّل وحمل راسه الى خوارزم شاه فسيّره من يومه الى بغداد فنُصب بها بباب النوبى[3] عدّة ايّام وسار خوارزم شاه الى همدان وملك تلك البلاد جميعها ‹ وكان الخليفة الناصر لدين الله قد سيّر عسكرًا الى نجدة خوارزم شاه وسيّر له الخلع السلطانيّة مع وزيره مؤيّد الدين ابن القصّاب فنزل على فرسخ من همدان فارسل اليه خوارزم شاه يطلبه اليه فقال مؤيّد الدين ينبغى ان تحضر انت وتلبس الخلعة من خيمى وتردّدت الرسل بينهما فى ذلك فقيل لخوارزم شاه انّها حيلة عليك حتّى تحضر عنده ويقبض عليك فدخل خوارزم شاه اليه قصدًا لاخذه فاندفع بين يديه الى بعض الجبال فامتنع به فرجع خوارزم شاه الى همدان ولمّا ملك همدان وتلك البلاد سلّمها الى قتلغ اينانج[4] واقطع كثيرًا منها لمماليكه وجعل المقدّم عليهم مياجق[5] وعاد الى خوارزم ۞

ذكر مسير وزير الخليفة الى خوزستان ومُلكها

فى هذه السنة فى شعبان خلع الخليفة الناصر لدين الله على النايب

1) C. P. 2) قتلغ ايناج 3) النوبى 4) بلغ ىنانج 5) مىاحق

فى الوزارة مؤيّد الدين ابى عبد الله محمّد بن علىّ المعروف بابن القصّاب خلع الوزارة وحُكّم فى الولاية وبرز فى رمضان وسار الى بلاد خوزستان وولى الاعمال بها وصار له فيها اصحاب واصدقآء ومعارف وعرف البلاد ومن اىّ وجه يمكن الدخول اليها والاستيلآء عليها فلمّا ولى ببغداد نيابة الوزارة اشار على الخليفة بان يرسله فى عسكر اليها ليملكها له وكان عزمه انّه اذا ملك البلاد واستقرّ فيها اقام مظهرًا للطاعة مستقلًّا بالحكم فيها لياس على نفسه فاتّفق انّ صاحبها ابن شمله توفّى واختلف اولاده بعده فراسل بعضهم مؤيّد الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة فقوى الطمع فى البلاد فجُهّزت العساكر وسيّرت معه الى خوزستان فوصلها سنة احدى وتسعين وجرى بينه وبين اصحاب البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا عنها وملك مدينه تستر فى المحرّم وملك غيرها من البلاد وملك القلاع منها قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة الاموج وغيرها من الحصون والقلاع وانفذ بنى شمله اصحاب بلاد خوزستان الى بغداد فوصلوا فى ربيع الاوّل ۞

ذكر حصر العزيز مدينة دمشق

فى هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينه دمشق فحصرها وبها اخوه الاكبر الملك الافضل علىّ بن صلاح الدين وكنتُ حينئذ بدمشق فنزل بنواحى ميدان الحصى فارسل الافضل الى عمّه الملك العادل ابى بكر بن ايّوب وهو صاحب الديار الجزريّة يستنجده وكان الافضل غاية الواثق به والمعتمد عليه وقد سبق ما يدلّ على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمّد بن تقى الدين صاحب حماة واسد الدين شيركوه بن محمّد بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كلّ هؤلآء اجتمعوا بدمشق واتّفقوا على حفظها علمًا منهم انّ العزيز ان ملكها اخذ بلادهم فلمّا راى العزيز اجتماعهم علم انّه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ فى الصلح فاستقرّت القاعدة على ان يكون البيت المقدّس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبريّة واعمالها الغور للافضل على ما كانت عليه وان يعطى الافضل اخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقيّة وان يكون للعادل بمصر اقطاعه

الاوّل واتّفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كلّ واحد من الملوك الى بلده ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كانت زلزلة فى ربيع الاوّل بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد سقطت منها الجبّانة التى عند مشهد امير المومنين علىّ عم ٬ وفيها فى جمادى الاخرة اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبىّ صلّعم فخرج اليهم هاشم بن قاسم اخو امير المدينة فقاتلهم فقُتل هاشم وكان امير المدينة قد توجّه الى الشام فلهذا طمعت العرب فيه ٬ وفيها توفّى القاضى ابو الحسن احمد بن محمّد بن عبد الصمد الطَّرَسُوسىّ الحلبىّ بها فى شعبان وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى ❁

ثمّ دخلت سنة احدى وتسعين وخمسماية ٬ سنة ٥٩١

ذكر مُلك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم

قد ذكرنا مُلك مؤيّد الدين بن القصّاب بلاد خوزستان فلمّا ملكها سار منها الى ميسان[1] من اعمال خوزستان فوصل اليه قتلغ اينانج[2] بن البهلوان صاحب البلاد وقد تقدّم ذكر تغلّب خوارزم شاه عليها ومعه جماعة من الامرآء فاكرمه وزير الخليفة واحسن اليه وكان سبب مجيئه انّه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدّمهم مياجق[3] مصاف عند زنجان[4] واقتتلوا فانهزم قتلغ اينانج[2] عسكره وقصد عسكر الخليفة ملتجيًا الى مؤيّد الدين الوزير فاعطاه الوزير الخيل والخيام وغير ذلك ممّا يحتاج اليه وخلع عليه وعلى مَن معه من الامرآء ورحلوا الى كرمانشاه[5] ورحل منها الى همذان وكان بها ولد خوارزم شاه ومياجق[6] والعسكر الذى معهما فلمّا قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميّون وتوجّهوا الى الرىّ واستولى الوزير على همذان فى شوّال من هذه السنة ثمّ رحل هو وقتلغ اينانج[7] خلفهم فاستولوا على كلّ بلد جازوا به منها خرّقان ومزدغان وساوة وآوة وساروا الى الرىّ ففارقها الخوارزميّون الى خُوار[8] الرىّ فسيّر الوزير خلفهم عسكرًا ففارقها الخوارزميّون الى دامغان وبسطام وجرجان فعاد عسكر

1) C. P. Ups.: دىسار 2) قتلغ ىنالج 3) مياحق 4) Cfr. J. As. 1847, I, 470. لحان 5) كرهاشاهان 6) ومياحق 7) قتلغ اىالج 8) جوار

الخليفة الى الرىّ فاقاموا بها فاتّفق قتلغ اينانج ومَن معه من الامرآء على الخلاف على الوزير وعسكر الخليفة لانّهم راوا البلاد قد خلت من عسكر خوارزم شاه فطمعوا فيها فدخلوا الرىّ فحصرها وزير الخليفة ففارقها قتلغ اينانج وملكها الوزير ونهبها العسكر فامر الوزير بالندآء بالكفّ عن النهب وسار قتلغ اينانج ومَن معه من الامرآء الى مدينة آوه وبها شحنة الوزير فمنعهم من دخولها فساروا عنها ورحل الوزير فى اثرهم نحو همذان فبلغه وهو فى الطريق انّ قتلغ اينانج قد اجتمع معه عسكر وقصد مدينة كرج وقد نزل على دربند هناك فطلبهم الوزير فلمّا قاربهم التقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزم قتلغ اينانج ونجا بنفسه ورحل الوزير من موضع المصافّ الى همذان فنزل بظاهرها فاقام نحو ثلاثة اشهر فوصله رسول خوارزم شاه تكش وكان قد قصدهم منكرًا اخذه البلاد من عسكره ويطلب اعادتها وتقرير قواعدها والصلح فلم يجب الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه مجدًّا الى همذان وكان الوزير مؤيّد الدين [ابن] القصّاب قد توفّى فى اوائل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصافّ نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فقُتل بينهم كثير من العسكرين وانهزم عسكر الخليفة وغنم الخوارزميّون منهم شيأً كثيرًا وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزير من قبره وقطع راسه وسيّره الى خوارزم واظهروا انّه قتله فى المعركة ثمّ انّ خوارزم شاه اتاه من خراسان ما اوجب ان يعود اليها فترك البلاد وعاد الى خراسان ❁

ذكر غزو [ابن] عبد المؤمن الفرنج بالاندلس

فى هذه السنة فى شعبان غزا ابو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب والاندلس بلاد الفرنج بالاندلس وسبب ذلك انّ الفنش ملك الفرنج بها ومقرّ ملكه مدينة طليطلة كتب الى يعقوب كتابًا نسخته باسمك اللهمّ فاطر السموات والارض امّا بعد ايّها الامير فانّه لا يخفى على كلّ ذى عقل لازب ولا ذى لبّ ثاقب انّك امير الملّة الحنيفيّة كما انا امير الملّة النصرانيّة وانّك مَن لا يخفى عليه ما هم عليه روساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعيّة واشتغالهم على الراحات وانا اسومهم الخسف

واخلى الديار واسبى الذرارى وامثل بالكهول واقتل الشباب ولا عذر لك فى التخلّف عن نصرتهم وقد امكنتك يد القدرة وانتم تعتقدون انّ الله فرض عليكم قتال عشرة منّا بواحد منكم والآن خفّفَ الله عنكم وعلم انّ فيكم ضعفًا فقد فرض عليكم قتال اثنين منّا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عددًا منكم بواحد منّا ولا تقدرون دفاعًا ولا تستطيعون امتناعًا ثمّ حُكى لى عنك انّك اخذتَ فى الاحتفال واشرفتَ على ربوة القتال وتمطل نفسك عامًا بعد عام تقدّم رجلًا وتؤخّر اخرى ولا ادرى الجبن ابطأ بك ام التكذيب بما انزل عليك ثمّ حُكى لى عنك انّك لا تجد سبيلًا للحرب لعلّك ما يسوغ لك التقحّم فيها فها انا اقول لك ما فيه واعتذر عنك ولك ان توفينى بالعهود والمواثيق والأيمان ان تتوجّه بجملة مَن عندك فى المراكب والشوانى واجوز اليك بجملتى وابارزك فى اعزّ الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققتُ امارة الملّتين والتقدّم على العدوّتين والله يسهّل الارادة ويوفّق السعادة بمنّه لا ربّ غيره ولا خيرَ الّا خيره ، فلمّا وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب فى اعلاه هذه الاية ارْجِعْ اِلَيْهِمْ فَلَنَاتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ [1] واعاده اليه وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز الى الاندلس ، وقد كان سبب عبوره الى الاندلس انّ يعقوب لمّا قاتل الفرنج سنة ستّ وثمانين وصالحهم بقى طايفة من الفرنج لم ترض الصلح كما ذكرناه فلمّا كان الآن جمعت تلك الطايفة جمعًا من الفرنج وخرجوا الى بلاد الاسلام فقتلوا وسبوا وغنموا واسروا وعاثوا فيها عيثًا شديدًا فانتهى ذلك الى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس فى جيش يضيق عنه الفضاء ، فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم واقبلوا اليه مجدّين على قتاله واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالىّ قرطبة عند قلعة رباح [2] بمكان يعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالًا شديدًا فكانت الدايرة اولًا على المسلمين ثمّ عادت على الفرنج فانهزموا اقبح هزيمة

[1]) Cor. 27, 37. [2]) رباح

وانتصر المسلمون عليهم وَجَعَلَ ٱللَّهُ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى ٱلسُّفْلَى وَكَلِمَتَهُ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[1] وكان عدد من قُتل من الفرنج مائة الف وستّة واربعين الفا وأُسر ثلاثة عشر الفا وغنم المسلمون منهم شياً عظيمًا فمن الخيام مائة الف وثلاثة واربعون الفا ومن الخيل ستّة واربعون الفا ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وكان يعقوب قد نادى فى عسكره مَن غنم شيًّا فهو له سوى السلاح واحصى ما حُمل اليه منه فكان زيادة على سبعين الف لبس وقُتل من المسلمين نحو عشرين الفًا ولمّا انهزم الفرنج اتّبعهم ابو يوسف فرآهم قد اخذوا قلعة رباح وساروا عنها من الرعب والخوف فملكها وجعل فيها واليًا وجندًا يحفظونها وعاد الى مدينة اشبيليّة ، وامّا الفنش فانّه لمّا انهزم حلق راسه ونكس صليبه وركب حمارًا واقسم ان لا يركب فرسًا ولا بغلًا حتّى تُنصر النصرانيّة فجمع جموعًا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى يعقوب فارسل الى بلاد الغرب مرّاكش وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه فاتاه من المتطوّعة والمرتزقين جمع عظيم فالتقوا فى ربيع الاوّل سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدوابّ وغيرها وتوجّه الى مدينة طليطلة فحصرها وقاتلها قتالًا شديدًا وقطع اشجارها وشنّ الغارة على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدّة حصون فقتل رجالها وسبى حريمها وخرّب دورها وهدم اسوارها فضعفت النصرانيّة حينئذ وعظم امر الاسلام بالاندلس وعاد يعقوب الى اشبيليّة فاقام بها فلمّا دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها الى بلاد الفرنج وذلّوا واجتمع ملوكهم وارسلوا يطلبون الصلح فاجابهم اليه بعد ان كان عازمًا على الامتناع مُريد الملازمة للجهاد الى ان يفرغ منهم فاتاه خبر علىّ بن اسحق الملثّم الميورقىّ انّه فعل بافريقية ما نذكره من الافاعيل الشنيعة فترك عزمه وصالحهم مدّة خمس سنين وعاد الى مرّاكش اخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ۞

ذكر فعله الملثّم بافريقية

لمّا عبر ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب الى الاندلس كما ذكرنا

[1]) Cor. 9, 40.

واقام مجاهدًا ثلاث سنين انقطعت اخباره عن افريقية فقوى طمع على بن اسحق الملثّم الميورقىّ وكان بالبرّيّة مع العرب فعاود قصد افريقية فانبثّ جنوده فى البلاد فخربوها واكثروا الفساد فيها فمحيت آثار تلك البلاد وتغيّرت وصارت خالية من الانيس خاوية على عروشها واراد المسير الى بجاية ومحاصرتها لاشتغال يعقوب بالجهاد واظهر انّه اذا استولى على بجاية سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج على ما ذكرناه وعاد الى مرّاكش عازمًا على قصده واخراجه من البلاد كما فعله سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه ۞

ذكر مُلك عسكر الخليفة اصفهان

فى هذه السنة جهّز الخليفة الناصر لدين الله جيشا وسيّره الى اصفهان ومقدّمهم سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف من العراق وكان باصفهان عسكر لخوارزم شاه مع ولده وكان اهل اصفهان يكرهونهم فكاتب صدر الدين الخجندىّ رئيس الشافعيّة باصفهان الديوانَ ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد الى مَن يصل من الديوان من العساكر وكان بعدّ الحاكم باصفهان على جميع اهلها فسيّرت العساكر فوصلوا الى اصفهان ونزلوا بظاهر البلد وفارقه عسكر خوارزم شاه وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتخطّفوا منهم واخذوا من ساقة العسكر مَن قدروا عليه ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكوها ۞

ذكر ابتداء حال كوكجه ومُلكه بلد الرىّ وهمذان وغيرها

لمّا عاد خوارزم شاه الى خراسان كما ذكرنا ثمّ انّ المماليك الذين للبهلوان والامرآء اتّفقوا وقدّموا على انفسهم كوكجه وهو من اعيان البهلوانيّة واستولوا على الرىّ وما جاورها من البلاد وساروا الى اصفهان لاخراج الخوارزميّة منها فلمّا قاربوها سمعوا بعسكر الخليفة عندها فارسل الى مملوك الخليفة سيف الدين طغرل يعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية وانّه انّما قصد اصفهان فى طلب العساكر الخوارزميّة وحيث رءاهم فارقوا اصفهان وسار فى طلبهم فلم يدركهم وسار عسكر الخليفة من اصفهان الى همذان ، وامّا كوكجه فانّه تبع الخوارزميّة الى طبس وهى من بلاد الاسماعليّة وعاد فقصد اصفهان وملكها وارسل الى بغداد يطلب ان يكون له الرىّ

وخوار[1] الرىّ وساوة وقمّ وقاجان وما ينضمّ اليها فى حدّ مزدغان وبكون اصفهان وهمذان وزنجان[2] وقزوين لديوان الخليفة فاجيب الى ذلك وكتب له منشور بما طلب وأُرسلت له الخلع فعظم شانه وقوى امره وكثرت عساكره وتعظّم على اصحابه ❁

ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها

وفى هذه السنة ايضًا خرج الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر فى عساكره الى دمشق يريد حصرها فعاد عنها منهزمًا وسبب ذلك انّ مَن عنده من مماليك ابيه والمعروفون بالصلاحيّة فخر الدين جركس وسرا سنقر وقراجا وغيرهم كانوا منحرفين عن الافضل علىّ بن صلاح الدين لانّه كان قد اخرج مَن عنده منهم مثل ميمون القصرىّ وسنقر الكبير وايبك وغيرهم فكانوا لا يزالون يخوّفون العزيز من اخيه ويقولون انّ الاكراد والمماليك الاسديّة من عسكر مصر يريدون اخاك ويخاف ان يميلهم اليه ويخرجوك من البلاد والمصلحة ان تاخذ دمشق، فخرج فى العام الماضى وعاد كما ذكرناه فتجهّز هذه السنة ليخرج فبلغ الخبر الى الافضل فسار من دمشق الى عمّه الملك العادل فاجتمع به بقلعة جعبر ودعاه الى نصرته وسار من عنده الى حلب الى اخيه الملك الظاهر غازى فاستنجد به وسار الملك العادل من قلعة جعبر الى دمشق فسبق الافضلَ اليها ودخلها وكان الافضل لثقته به قد امر نوّابه بادخاله الى القلعة ثمّ عاد الافضل من حلب الى دمشق، فارسل مقدّم الاسديّة وهو سيف الدين ايازكوش وغيره منهم ومن الاكراد ابو الهيجاء السمين وغيره الى الافضل والعادل بالانحياز اليهما والكون معهما ويامرهما بالاتّفاق على العزيز والخروج من دمشق ليسلّموه اليهما وكان سبب الانحراف عن العزيز وميلهم الى الافضل انّ العزيز لمّا ملك مصر مال الى المماليك الناصريّة وقدّمهم ووثق بهم ولم يلتفت الى هولآء الامرآء فانفوا من ذلك ومالوا الى اخيه فلمّا ارسلوا الى الافضل والعادل فاتفقا على ذلك واستقرّت القاعدة بحضور رسل الامرآء انّ الافضل يملك الديار المصريّة ويسلّم دمشق الى عمّه الملك

---

[1] جوار [2] زنجان

العادل وخرجا من دمشق فانحاز اليهما مَن ذكرنا فلم يمكن العزيز المقام بل عاد منهزمًا يطوى المراحل خوف الطلب ولا يصدّق بالنجاة وتساقط اصحابه عنه الى ان وصل الى مصر • وامّا العادل والافضل فانّهما ارسلا الى القدس وفيه نايب العزيز فسلّمه اليهما وسارا فيمَنْ معهما من الاسديّة والاكراد الى مصر فراى العادل انضمامة العساكر الى الافضل واجتماعهم عليه فخاف انّه ياخذ مصر ولا يسلّم اليه دمشق فارسل حينئذ سرًّا الى العزيز يامره بالثبات وان يجعل بمدينة بلبيس مَن يحفظها وتكفّل بانّه يمنع الافضل وغيره من مقاتلة مَن بها فجعل العزيز الناصريّة ومقدّمهم فخر الدين جركس بها ومعهم غيرهم ووصل العادل والافضل الى بلبيس فنازلوا مَن بها من الناصريّة واراد الافضل مناجزتهم او تركهم بها والرحيل الى مصر فمنعه العادل من الامرَيْن وقال هذه عساكر الاسلام فاذا اقتتلوا فى الحرب فمَن يردّ العدوّ الكافر وما بها حاجة الى هذا فانّ البلاد لك وبحكمك ومتى قصدتَّ مصر والقاهرة واخذتَهما قهرًا زالت هيبة البلاد وطمع فيها الاعداء وليس فيها مَن يمنعك عنها وسلك معه مثال هذا فطاولت الايّام وارسل الى العزيز سرًّا يامره بارسال القاضى الفاضل وكان مطاعًا عند البيت الصلاحىّ لعلوّ منزلته كانت عند صلاح الدين فحضر عندهما واجرى ذكر الصلح وزاد القول ونقص وانفسخت العزايم واستقرّ الامر على ان يكون للافضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبريّة والاردن وجميع ما بيده ويكون للعادل اقطاعه الذى كان قديمًا ويكون مقيمًا بمصر عند العزيز وانّما اختار ذلك لانّ الاسديّة والاكراد لا يريدون العزيز فهم يجتمعون معه فلا يقدر العزيز على منعه عمّا يريد فلمّا استقرّ الامر على ذلك وتعاهدوا عاد الافضل الى دمشق وبقى العادل بمصر عند العزيز ۞

ذكر عدّة حوادث

فى ذى القعدة تاسع عشره وقع حريق عظيم ببغداد بعقد المصطنع فاحترقت المربعة التى بين يديه ودكان ابن البخيل الهرّاس وقيل كان ابتداؤها من دار ابن البخيل ۞

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ‎ س ٥٩٢

ذكر ملك شهاب الدين بهنكر[1] وغيرها من بلد الهند

فى هذه السنة سار شهاب الدين الغورى صاحب غزنة الى بلد الهند وحصر قلعة بهنكر[1] وهى قلعة عظيمة منيعة فحصرها فطلب اهلها منه الامان على ان يسلّموا اليه فامّنهم وتسلّمها واقام عندها عشرة ايّام حتّى رتّب جندها واحوالها وسار عنها الى قلعة كواليير[2] وبينهما مسيرة خمسة ايّام وفى الطريق نهر فجازه ووصل الى كواليير[2] وهى قلعة منيعة حصينة على جبل لا يصل اليها حجر منجنيق ولا نشاب وهى كبيرة فاقام عليها صفرًا جميعه يحاصرها فلم يبلغ منها غرضًا فراسله مَن بها فى الصلح فاجابهم اليه على ان تُقرّ القلعة بايديهم على مال يحملونه اليه فحملوا اليه فيلًا حمله ذهب فرحل عنها الى بلاد آى وسور[3] فاغار عليها ونهبها وسبى وأَسر ما يعجز العادّ حصره ثمّ عاد الى غزنة سالمًا ۞

ذكر ملك العادل مدينة دمشق من الافضل

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من رجب ملك الملك العادل ابو بكر ابن ايّوب مدينة دمشق من ابن اخيه الافضل علىّ ابن صلاح الدين وكان ابلغ الاسباب فى ذلك وثوق الافضل بالعادل وانّه بلغ من وثوقه انّه ادخله بلده وهو غايب عنه ولقد ارسل اليه اخوه الظاهر غازى صاحب حلب يقول له اخرج عمّنا من بيننا فانّه لا يجئ علينا منه خير ونحن ندخل لك تحت كلّ ما تريد وانا اعرف به منك واقرب اليه فانّه عمّى مثل ما هو عمّك وانا زوج ابنته ولو علمتُ انه يريد لنا خيرًا لكنتُ انا اولى به منك فقال له الافضل انت سيّئ الظنّ فى كلّ احد اىّ مصلحة لعمّنا فى ان يوذينا ونحن اذا اجتمعت كلمتنا وسيّرنا معه العساكر من عندنا كلّنا ملك من البلاد اكثر من بلادنا ونربح سوء الذكر وهذا كان ابلغ الاسباب ولا يعلمها كلّ احد وامّا غير هذا فقد ذكرنا مسير العادل والافضل الى مصر وحصارهم بلبيس وصلحهم مع الملك العزيز ابن صلاح الدين ومقام العادل معه بمصر فلمّا

---

1) C. P.. نهنكر ‎ 2) 740. C. P. et Ups.: كواكير ‎ 3) C. P.: اصى وسور ‎ 740: الصى وصور

أقام عنده استماله وقرّر معه انّه يخرج معه الى دمشق وياخذها من اخيه ويسلّمها اليه فسار معه من مصر الى دمشق وحصروها واستمالوا اميرًا من امرآء الافضل يقال له العزيز [ابن] ابى غالب الحمصىّ وكان الافضل كثير الاحسان اليه والاعتماد عليه والوثوق به فسلّم اليه بابًا من ابواب دمشق يُعرف بالباب الشرقىّ ليحفظه فمال الى العزيز والعادل ووعدهما انّه يفتح لهما الباب ويدخل العسكر منه الى البلد غفلةً فصبحه اليوم السابع والعشرين من رجب وقت العصر وادخل الملك العادل منه ومعه جماعة من اصحابه فلم يشعر الافضل الّا وعمّه معه فى دمشق وركب الملك العزيز ووقف بالميدان الاخضر غربىّ دمشق فلمّا راى الافضل انّ البلد قد مُلك خرج الى اخيه وقت المغرب واجتمع به ودخلا كلاهما البلد واجتمعا بالعادل وقد نزل فى دار اسد الدين شيركوه وتحادثوا فاتّفق العادل والعزيز على ان اوهما الافضل انّهما يبقيان عليه البلد خوفًا انّه ربّما جمع مَن عنده من العسكر وثار بهما ومعه العامّة فاخرجهم من البلد لانّ العادل لم يكن فى كثرة واعاد الافضل الى القلعة وبات العادل فى دار شيركوه وخرج العزيز الى الخيم فبات فيها وخرج العادل من الغد الى جوسقه فاقام به وعساكره فى البلد وفى كلّ يوم يخرج الافضل اليهما ويجتمع بهما فبقوا كذلك ايّامًا ثمّ ارسلا اليه واقرّاه بمفارقة القلعة وتسليم البلد على قاعدة ان يُعطى قلعة صرخد له ويُسلّم جميع اعمال دمشق فخرج الافضل ونزل فى جُوسق بظاهر البلد غربىّ دمشق وتسلّم العزيز القلعة ودخلها واقام بها ايّامًا فجلس يومًا فى مجلس شرابه فلمّا اخذت منه الخمر جرى على لسانه انّه يعيد البلد الى الافضل فنقل ذلك الى العادل فى وقته فحضر المجلس فى ساعته والعزيز سكران فلم يزل به حتّى سلّم البلد اليه وخرج منه وعاد الى مصر وسار الافضل الى صرخد وكان العادل يذكر انّ الافضل سعى فى قتله فلهذا اخذ البلد منه وكان الافضل ينكر ذلك ويتبرّأ منه وَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[1] ✿

[1]) Cor. 2, 107.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة هبّت ريح شديدة بالعراق واسودّت لها الدنيا ووقع رمل احمر واستعظم الناس ذلك وكبّروا واشتعلت الاضوآء بالنهار ، وفيها قُتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمّد بن ثابت[1] الخجندىّ رئيس الشافعيّة باصفهان قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة اصفهان بها وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة واستوطنها وولى النظر فى المدرسة النظاميّة ببغداد ولمّا سار مؤيّد الدين ابن القصّاب الى خوزستان سار فى صحبته فلمّا ملك الوزير اصفهان اقام ابن الخجندىّ بها فى بيته وملكه ومنصبه فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة اصفهان للخليفة منافرة فقتله سنقر ، وفى رمضان درّس مجير الدين ابو القاسم محمود بن المبارك البغدادىّ الفقيه الشافعىّ بالمدرسة النظاميّة ببغداد ، وفى شوّال منها اثبت نصير الدين ناصر بن مهدى العلوىّ الرازىّ فى الوزارة ببغداد وكان قد توجّه الى بغداد لمّا ملك ابن القصّاب الرىّ ، وفيها ولى ابو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الانشآء ببغداد وكان كاتبًا مُفلقًا وله شعر جيّد ، وفى صفر منها توفّى الفاخر محمود بن علىّ القُوفانىّ[2] الفقيه الشافعىّ بالكوفة عائدًا من الحجّ وكان من اعيان اصحاب محمّد بن يحيى ، وفى رجب منها توفّى ابو الغنائم محمّد بن علىّ بن المعلّم الشاعر الهُرثىّ والهرث بضمّ الهآء والثآء المثلثة قرية من اعمال واسط عن احدى وتسعين سنة ، وفى رابع شعبان منها توفّى الوزير مؤيّد الدين ابو الفضل محمّد بن علىّ ابن القصّاب بهمدان وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية ۞

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

سنة ٥٩٣

ذكر ارسال الامير ابى الهيجاء الى همدان وما فعله

وصل الى بغداد امير كبير من امرآء مصر اسمه ابو الهيجاء ويُعرف بالسمين لانّه كان كثير السمن وكان من اكابر امرآء مصر وكان فى اقطاعه اخيرًا البيت المقدّس وغيره ممّا يجاوره فلمّا ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الافضل اخذ القدس منه ففارق الشام وعبر الفرات الى الموصل

---

1) ثابت 2) القوفانى

ثمّ انحدر الى بغداد لانّه تُطلب من ديوان الخلافة فلمّا وصل اليها اكرم اكرامًا كثيرًا ثمّ امر بالتجهيز والمسير الى همذان مقدّمًا على العساكر البغداديّة فسار اليها والتقى عندها بالملك اوزبك بن البهلوان واميرِ علم وابنه وابن سطمش وغيرهم وهم قد كاتبوا الخليفة بالطاعة فلمّا اجتمع بهم ووثقوا اليه ولم يحذروه قبض على اوزبك وابن سطمش وابن قرا بموافقة من امير علم فلمّا وصل الخبر بذلك الى بغداد انكرت هذه الحال على ابى الهيجاء وامر بالافراج عن الجماعة وسُيّرت لهم الخلع من بغداد تطييبًا لقلوبهم فلم يسكنوا بعد هذه الحادثة ولا امنوا ففارقوا ابا الهيجاء السمين فخاف الديوان فلم يرجع اليه ولم يمكنه ايضًا المقام فعاد يريد اربل لانّه من بلدها هو فتوفّى قبل وصوله اليها وهو من الاكراد الحكميّة من بلد اربل ¤

ذكر مُلك العادل يافا من الفرنج ومُلك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها

فى هذه السنة فى شوّال ملك العادل ابو بكر بن ايّوب مدينة يافا من الساحل الشامىّ هو بيد الفرنج لعنهم الله وسبب ذلك انّ الفرنج كان قد ملكهم الكند هرى على ما ذكرناه قبلُ وكان الصلح قد استقرّ بين المسلمين والفرنج ايّام صلاح الدين يوسف بن ايّوب رحمه الله تعالى فلمّا توفّى وملك اولاده بعده كما ذكرناه جدّد الملك العزيز الهدنة مع الكند هرى وزاد فى مدّة الهدنة وبقى ذلك الى الآن وكان بمدينة بيروت امير يُعرف باسامة وهو مقطعها فكان يرسل الشوانى تقطع الطريق على الفرنج فاشتكا الفرنج من ذلك غير مرّة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والّا اخذ المسلمون البلاد فامدّهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان اكثرهم من ملك الالمان وكان المقدّم عليهم قسّ يعرف بالخنصلير[1] فلمّا سمع العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب العساكر وارسل الى ديار

1) بالخصكير

الجزيرة والموصل بطلب العساكر فجآءته الامرآء واجتمعوا على عين الجالوت فاقاموا شهر رمضان وبعض شوّال ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع مَن بها بالقلعة التى لها فخرّب المسلمون المدينة[1] وحصروا القلعة فملكوها عنوةً وقهرًا بالسيف فى يومها وهو يوم الجمعة واخذ كلّ ما بها غنيمة واسرًا وسبْيًا ووصل الفرنج من عكّا الى قيسارتة ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بها بملكها فعادوا وكان سبب تاخّرهم انّ ملكهم الكند هرى سقط من موضع عالٍ بعكّا فمات فاختلفت احوالهم فتاخّروا لذلك ، وعاد المسلمون الى عين الجالوت فوصلهم الخبر بانّ الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر فى ذى القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار اليها جمع من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذى الحجّة وشرعوا فى تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفّل بحفظها ، ورحل الفرنج من عكّا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا الفرنج بنواحى صيدا وجرى بينهم مناوشة فقُتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج تاسع ذى الحجّة فوصلوا الى بيروت فلمّا قاربوها هرب منها اسامة وجميع مَن معه من المسلمين فملكوها صفوًا عفوًا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة ، فارسل العادل الى صيدا مَن خرّب ما كان بقى منها فانّ صلاح الدين كان قد خرّب اكثرها وسافرت العساكر الاسلاميّة الى صور فقطعوا اشجارها وخرّبوا ما لها من قُرًى وابراج ، فلمّا سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين واذن للعساكر الشرقيّة بالعود ظنًّا منه انّ الفرنج يقيمون ببلادهم واراد ان يعطى العساكر المصريّة دستورًا بالعود فاتاه الخبر منتصف المحرّم انّ الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسيّر العادل اليه عسكرًا يحمونه ويمنعون عنه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين اوّل صفر سنة اربع وتسعين وقاتلوا مَن به وجدّوا فى القتال ونقبوه من جهاتهم فلمّا علم العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب منه ان يحضر هو بنفسه ويقول له ان حضرتَ والّا فلا يمكن حفظ هذا

---

1) القلعة

الثغر فسار العزيز مجدّا فيمن بقى معه من العساكر وامّا من تحصّن بتبنين فانّهم لمّا رءاوا النقوب قد خرّبت تلّ القلعة ولم يبق الاّ ان يملكوها بالسيف نزل بعض من فيها الى الفرنج يطلب الامان على انفسهم واموالهم ليسلّموا القلعة وكان المرجع الى القسيس الخنصلير[1] من اصحاب ملك الالمان فقال لهولآء المسلمين بعض الفرنج الذين من ساحل الشام ان سلّمتم الحصن استاسركم هذا وقتلكم فاحفظوا نفوسكم فعادوا كانّهم يراجعون من فى القلعة ليسلّموا فلمّا صعدوا اليها صرّوا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمى نفسه فحموها الى ان وصل الملك العزيز الى عسقلان فى ربيع الاوّل فلما سمع الفرنج بوصوله واجتماع المسلمين وانّ الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم وان امرهم الى امراة وهى الملكة فاتّفقوا وارسلوا الى ملك قبرس واسمه هيمرى فاحضروه وهو اخو الملك الذى أُسر بحطّين كما ذكرناه فزوّجه بالملكة زوجة الكند هرى وكان رجلًا عاقلًا يحبّ السلامة والعافية فلمّا ملكهم لم يعد الى الزحف على الحصن ولا قاتل واتّفق وصول العزيز اوّل شهر ربيع الاخر ورحل هو والعساكر الى جبل الخليل الذى يعرف بجبل عاملة فاقاموا ايّامًا والامطار متداولة فبقى الى ثالث عشر الشهر ثمّ سار وقارب الفرنج وارسل رُماة النشاب فرموهم ساعة وعادوا ورتّب العساكر ليزحف الى الفرنج ويجدّ فى قتالهم فرحلوا الى صور خامس عشر الشهر المذكور ليلًا ثمّ رحلوا الى عكّا فسار المسلمون فنزلوا اللجون وتراسلوا فى الصلح وتطاول الامر فعاد العزيز الى مصر قبل انفصال الحال وسببُ رحيله انّ جماعة من الامرآء وهم ميمون القصرى واسامة وسراسنقر والحجاف وابن المشطوب وغيرهم قد عزموا على الفتك به وبفخر الدين جركس مدبّر دولته والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك فلمّا سمع بذلك سار الى مصر وبقى العادل وتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فى شعبان سنة اربع وتسعين فلمّا انتظم الصلح عاد العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين من ارض الجزيرة فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ❊

---

[1] الخمصكبير

ذكر وفاة سيف الاسلام ومَلك ولده

فى شوّال من هذه السنة توفّى سيف الاسلام طغتكين ابن ايّوب اخو صلاح الدين وهو صاحب اليمن بزبيد وقد ذكرنا كيف ملك وكان شديد السيرة مُضيّقًا على رعيّته يشترى اموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شآء واراد مُلك مكّة حرسها الله تعالى فارسل الخليفة الناصر لدين الله الى اخيه صلاح الدين فى المعنى فمنعه من ذلك وجمع من الاموال ما لا يُحصى حتّى انّه من كثرته كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدّخره، ولمّا توفّى ملك بعده ابنه اسمعيل وكان اهوج كثير التخليط بحيث انّه ادّعى انّه قرشيّ من بنى أُميّة وخطب لنفسه بالخلافة وتلقّب بالهادى فلمّا سمع عمّه الملك العادل ذلك سآءه واهمّه وكتب اليه يلومه ويُوبّخه ويامره بالعود الى نسبه الصحيح وبترك ما ارتكبه ممّا يضحك الناس منه فلم يلتفت اليه ولم يرجع وانضاف الى ذلك انّه اساء السيرة مع اجناده وامرآئه فوثبوا عليه فقتلوه وملّكوا بعده اميرًا من مماليك ابيه ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاخر توفّى ابو بكر عبد الله بن منصور ابن عمران الباقلّانىّ المقرى الواسطىّ بها عن ثلاث وسبعين سنة وثلاثة اشهر وايّام وهو اخر مَن بقى من اصحاب القلانسىّ، وفى جمادى الاخرة توفّى قاضى القُضاة ابو طالب علىّ بن البُخارىّ ببغداد ودُفن بتربته فى مشهد باب التين[1]، وفيها فى ربيع الاخر توفّى ملكشاه بن خوارزم شاه تكش بنيسابور وكان ابوه قد جعله فيها واضاف اليه عساكر جميع بلاده التى بخراسان وجعله ولىّ عهده فى المُلك وخلف ولدًا اسمه هندوخان فلمّا مات جعل فيها ابوه خوارزم شاه بعده ولده الاخر قطب الدين محمّدًا وهو الذى ملك بعد ابيه وكان بين الاخوين عداوة مستحكمة أفْضَتْ الى انّ محمّدًا لمّا ملك بعد ابيه هرب هندوخان بن ملكشاه منه على ما نذكره، وفيها توفّى شيخنا ابو القاسم يعيش بن صدقة بن علىّ العراتىّ[2] الضرير الفقيه الشافعىّ كان امامًا فى الفقه مدرّسًا صالحًا

---

[1] السن. [2] العرانى

كثير الصلاح سمعتُ عليه كثيرًا لم ار مثله رحمه الله تعالى ولقد شاهدتُ منه عجبًا يدلّ على دينه وارادته بعمله وجه الله تعالى وذلك انّى كنتُ اسمع عليه ببغداد سنن ابى عبد الرحمان النسائىّ وهو كتاب كبير والوقت ضيّق لانى كنتُ مع الحجاج قد عُدْنا من مكّة حرسها الله فبينما نحن نسمع عليه مع اخى الاكبر مجد الدين ابى السعادات واذ قد اتاه انسان من اعيان بغداد وقال له قد برز الامر لتحضر لامر كذا فقال انا مشغول بسماع هولآء الساده وقوم نعوت والذى يُراد منّى لا يفوت فقال انا لا احسن اذكر هذا فى مقابل امر الخليفة فقال لا عليك قُلْ قال ابو القاسم لا احضر حتّى يفرغ السماع فسالناه ليمشى معه فلم يفعل ذلك وقال اقرؤا فقرأنا فلمّا كان الغد واذ قد حضر غلام لنا وذكر انّ امير الحاجّ الموصلىّ قد رحل فعظم الامر علينا فقال ولِمَ يعظم عليكم العود الى اهلكم وبلدكم فقلنا لاجل فراغ هذا الكتاب فقال اذا رحلتم استعير دابّة واركبها فاسير معكم وانتم تقرؤن فاذا فرغتم عُدْتُ فمضى الغلام ليتروّد ونحن نقرأ فعاد وذكر انّ الحاجّ لم يرحلوا ففرغنا من الكتاب فانظر الى هذا الدين المتين يردّ امر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ويريد يسير معنا ونحن غربآء لا يخافنا ولا يرجونا ❊

سنة ٥٩٤ ثم دخلت سنة اربع وتسعين وخمسمائة ؛

ذكر وفاة عماد الدين ومُلك ولده قطب الدين محمّد

فى هذه السنة فى المحرّم توفّى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وقد تقدّم ذكره كيف ملكها سنة تسع وسبعين وكان رحمه الله عادلاً حسن السيرة فى رعيّته عفيفًا عن اموالهم واملاكهم متواضعًا يحبّ اهل العلم والدين ويحترمهم ويجلس معهم ويرجع الى اقوالهم الّا انّه كان بخيلًا شديد البُخل وملك بعده ابنه قطب الدين محمّد وتولّى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك ابيه وكان ديّنًا خيّرًا عادلاً حسن السيرة كثير البرّ والاحسان الى الفقرآء وكان رحمه الله شديد التعصّب على مذهب الحنفيّة[1] كثير الذمّ

---

1) الشافعى

للشافعية فى تعصبه انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط ان يكون النظر للحنفيّة من اولاده دون الشافعيّة وشرط ان يكون البوّاب والفرّاش على مذهب ابى حنيفة وشرط للفقهاء طبيخًا يُطبخ ذلك كلّ يوم وهـذا نـظـر حـسـن رحـمـه الله ❁

ذكر مُلك نور الدين نصيبين

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل الى مدينة نصيبين فملكها واخذها من ابنَ عمّه قطب الدين محمّد وسبب ذلك انّ عمّه عماد الدين كان له نصيبين فتطاول نوّابه بها واستولوا على عدّة قُرًى من اعمال بين النهرَيْن من ولاية الموصل وهى تجاور نصيبين فبلغ الخبر مجاهدَ الدين قايماز القايم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل كلّها والمرجوع اليه فيها فلم يعلم مخدومه بذلك لما علم من قلّة صبره على احتمال مثل هذا وخاف ان يجرى خلف بينهم فارسل من عنده رسولاً الى عماد الدين فى المعنى وقبّح هذا الفعل الذى فعله النوّاب بغير امره وقال انّى ما اعلمتُ نور الدين بالحال لئلّا يخرج عن يدك فانّه ليس كوالده واخاف ان يبدوا منه ما يخرج الامر فيه عن يدىّ فاعاد الجواب انّهم لم يفعلوا الّا ما امرتُهم به وهذه القرى من اعمال نصيبين فترددت الرسل بينهما فلم يرجع عماد الدين عن اخذها فحينئذ اعلم مجاهدُ الدين نورَ الدين بالحال فارسل نور الدين رسولاً من مشايخ دولته ممّن خدم جدّهم الشهيد زنكى ومن بعده وحمله رسالة فيها بعض الخشونة فمضى الرسول فلحق عماد الدين قد مرض فلمّا سمع الرسالة لم يلتفت وقال لا اعيد ملكى فاشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بترك ونسليم ما اخذه وحذّره عاقبة ذلك فاغلظ عليه عماد الدين القول وعرّض بذمّ نور الدين واحتقاره فعاد الرسول وحكى لنور الدين جليّة الحال فغضب نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين واخذها من عمّه فاتّفق انّ عمّه مات وملك بعده ابنه فقوى طمعه فمنعه مجاهد الدين فلم يمتنع وتجهّز وسار اليها فلمّا سمع قطب الدين صاحبها سار اليها من سنجار فى عسكره ونزل عليها ليمنع نور الدين عنها فوصل نور الدين وتقدّم

الى البلد وكان بينهما نهر فجازه بعض امرآيه وقاتل من بازآيه فلم يثبتوا
له فعبر جميع العسكر النورى وتمت الهزيمة على قطب الدين فصعد
هو ونايبه مجاهد الدين يرنقش[1] الى قلعة نصيبين وادركهم الليل فخرجوا.
منها هاربين الى حرّان وراسلوا الملك العادل ابا بكر بن ايّوب صاحب
حرّان وغيرها وهو بدمشق وبذلوا له الاموال الكثيرة ليستنجدهم ويبعد
نصيبين اليهم واقام نور الدين بنصيبين مالكها فتضعضع عسكره بكثرة
الامراض وعودهم الى الموصل وموت كثير منهم ووصل العادل الى الدبار الجزرية
فحينئذ فارق نور الدين نصيبين وعاد الى الموصل فى شهر رمضان فلمّا
فارقها تسلّمها قطب الدين ؞ وممّن توفّى من امرآء الموصل عزّ الدين
جورديك وشمس الدين عبد الله ابن ابرهيم وفخر الدين عبد الله بن
عيسى المهرانىّ ومجاهد الدين قايماز وظهير الدين بولق بن بلنكرى[2]
وجمال الدين محاسن وغيرهم ولمّا عاد نور الدين الى الموصل قصد العادل
قلعة ماردين فحصرها وضيّق على اهلها على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر مُلك الغوريّة مدينة بلخ من الخطا الكافر

فى هذه السنة ملك بهآء الدين سام بن محمّد بن مسعود وهو
ابن اخت غياث الدين [وشهاب الدين] صاحبَىْ غزنة وغيرها وله باميان
مدينةَ بلخ وكان صاحبها تُركيًّا اسمه اربه وكان يحمل الخراج كلّ سنة
الى الخطا مما ورآء النهر فتوفّى هذه السنة فسار بهآء الدين سام الى
المدينة فملكها وتمكّن منها وقطع الحمل الى الخطا وخطب لغياث الدين
وصارت من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت فى طاعة الكافر ۞

ذكر انهزام الخطا من الغوريّة

وفى هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون الى ناحية خراسان فعاثوا
فى البلاد وافسدوا فلقيهم عسكر غياث الدين الغورىّ وقاتلهم فانهزم الخطا ؞
وكان سبب ذلك انّ خوارزم شاه تكش كان قد سار الى بلد الرىّ
وهمذان واصفهان وما بينهما من البلاد وملكها وتعرّض الى عساكر الخليفة
واظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد فارسل الخليفة الى غياث الدين

[1] برنقس
[2] برلف بن بلنكرى

ملك الغور وغزنة [بامره][1] بقصد بلاد خوارزم شاه [لبعود عن قصد العراق وكان خوارزم شاه][2] قد عاد الى خوارزم فراسله غياث الدين دفبّح له فعله وبنهدّده بقصد بلاده واخذها فارسل خوارزم شاه الى الخطا يشكوا اليهم من غياث الدين ويقول ان لم تدركوه بانفاذ العساكر والّا اخذ غياث الدين بلاده كما اخذ مدينة بلخ وقصد بعد ذلك بلادهم ويتعذّر عليهم منعه ويعاجزون عنه ويضعفون عن ردّه عن ما وراء النهر فجهّز ملك الخطا جيشًا كثيفًا وجعل مقدّمهم المعروف بطاينكوا وهو كالوزير فساروا وعبروا جيحون في جمادى الاخرة وكان الزمان شتآء وكان شهاب الدين الغوريّ اخو غياث الدين ببلاد الهند والعساكر معه وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه من الحركة انّما يحمل في محفة والذى يقود الجيش ويباشر الحروب اخوه شهاب الدين فلمّا وصل الخطا الى جيحون سار خوارزم شاه الى طوس عازمًا على قصد هراة ومحاصرتها وعبر الخطا النهر ووصلوا الى بلاد الغور مثل كرزبان وشبرقان وغيرهما وقتلوا واسروا ونهبوا وسبوا كثيرًا لا يُحصى واستغاث الناس بغياث الدين فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها فارسل الخطا بهآء الدين سام ملك باميان يامرونه بالافراج عن بلخ او انّه يحمل ما كان مَن قبله يحمله من المال فلم يجبهم الى ذلك وعظمت المصيبة على المسلمين مما فعله الخطا فانتدب الامير محمّد بن حربك[3] الغوريّ وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعًا وكاتب الحسين بن خرميل[4] وكان بقلعة كرزبان واجتمع معهما الامير حرّوس[5] الغوريّ وساروا بعساكرهم الى الخطا فبيّتوهم وكبسوهم ليلًا ومن عادة الخطا انّهم لا يخرجون من خيامهم ليلًا ولا يفارقونها فاتاهم هولآء الغوريّة وقاتلوهم واكثروا القتل في الخطا وانهزم مَن سلم منهم من القتل واين ينهزمون والعسكر الغوريّ خلفهم وجيحون بين ايديهم وظنّ الخطا انّ غياث الدين قد قصدهم في عساكره فلمّا اصبحوا وعرفوا مَن قاتلهم وعلموا انّ غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا عامّةَ نهارهم فقُتل من الفريقَيْن خلق

[1]) C. P. et 740. [2]) C. P. et 740. [3]) جرديك [4]) بدمىل

[5]) حرّوس

عظم ولحقت المنطوّعة بالغوريّين واتاهم مدد من غياث الدين وهم فى الحرب فنبت المسلمون وعظمت نكايتهم فى الكفّار وحمل الامير حرّوش على قلب الخطا وكان شيخًا كبيرًا فاصابه جراحة توفّى منها ثمّ انّ محمود بن جربك[1] وابن خرميل حملا فى اصحابهما وتنادوا الّا يرمى احد بقوس ولا يطعن برمح واخذوا اللتوت وحملوا على الخطا فهزموهم ولحقوهم بجيحون فمن صبر قُتل ومن القى نفسه فى المآء غرق ووصل الخبر الى ملك الخطا فعظم عليه وارسل الى خوارزم شاه يقول له انت قتلتَ رجالى واريد عن كلّ قتيل عشرة الاف دينار وكان القتلى اثنا عشر الفًا وانفذ اليه من ردّه الى خوارزم والزموه بالحصور عنده فارسل حينئذ خوارزم شاه الى غياث الدين يُعرّفه حاله مع الخطا ويشكوا اليه ويستعطفه غير مرّة فاعاد الجواب يامره بطاعة الخليفة واعادة ما اخذه الخطا من بلاد الاسلام فلم ينـفـصـل بـيـنـهـمـا حـال ✿

ذكر مُلك خوارزم شاه مدينة بخارى

لمّا ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه اعاد الجواب انّ عسكرك انّما قصد انتزاع بلخ ولم ياتوا الى نُصرتى ولا اجتمعتُ بهم ولا امرتُهم بالعبور وان كنت فعلت ذلك فانا مقيم بالمال المطلوب متى ولكن حيث تجزتم انتم عن الغوريّة عُذْتم علىّ بهذا القول وهذا المطلب وامّا انا فقد اصلحتُ الغوريّة ودخلتُ فى طاعتهم ولا طاعة لكم عندى فعاد الرسول بالجواب فجهّز ملك الخطا جيشًا عظيمًا وسيّره الى خوارزم فحصرها فكان خوارزم شاه يخرج اليهم كلّ ليلة ويقتل منهم خلقًا عظيمًا واتاه من المنطوّعة خلق كثير فلم يزل هذا فعله بهم حتّى اتى على اكثرهم فدخل الباقون الى بلادهم ورحل خوارزم شاه فى اثارهم وقصد بخارى فنازلها وحصرها وامتنع اهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتّى انّهم اخذوا كلبًا اعور والبسوه قبا وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه لانّه كان اعور وطافوا به على السور ثمّ القوه فى منجنيق [الى] العسكر وقالوا هذا سلطانكم وكان الخوارزميّون يسبّونهم ويقولون يا اجناد الكفّار انتم قد ارتددتم عن الاسلام فلم يزل

---

1) جرنك

هذا دأبهم حتّى ملك خوارزم شاه البلد بعد ايّام يسيرة عنوةً وعفا عن اهله واحسن اليهم وفرّق فيهم مالاً كثيرًا واقام بها مدّة ثمّ عاد الى خوارزم ٭

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في ذى الحجّة توفّى ابو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة كاتب الانشآء بديوان الخليفة وكان عالمًا فاضلاً له كتابة حسنة وكان رجلًا عاقلًا خيّرًا كثير النفع للناس وله شعر جيّد ، وفيها حصر الملك العادل ابو بكر بن ايّوب قلعة ماردين في شهر رمضان وقاتل مَن بها وكان صاحبها حسام الدين يولق[1] ارسلان بن ايلغازى بن البى ابن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق كلّ هؤلآء ملوك ماردين وقد تقدّم من اخبارهم ما يعلم به محلّهم وكان صبيًّا والحاكم في بلده ودولته مملوك ابيه النظام يرنقش وليس لصاحبه معه حكم البتّة في شيء من الامور ولمّا حصر العادل ماردين ودام عليها سلّم اليه بعض اهلها الربض بمخامرة منهم فنهب العسكر اهله نهبًا قبيحًا وفعلوا بهم افعالا عظيمة لم يسمع بمثلها فلمّا تسلّم الربض تمكّن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقى عليها الى ان رحل عنها سنة خمس وتسعين على ما نذكره ان شآء الله ، وفيها توفّى الشيخ ابو علىّ الحسن بن مسلم بن ابى الحسن القادسىّ الزاهد المقيم ببغداد والقادسيّة التى ينسب اليها قرية بنهر عيسى من اعمال بغداد وكان من عباد الله الصالحين العاملين ودُفن بقريته ، وابو الماجد علىّ بن ابى الحسن علىّ بن الناصر بن محمّد العقيه الحنفىّ مدرّس اصحاب ابى حنيفة ببغداد وكان من اولاد محمّد بن الحنفيّة ابن امير المومنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه ٭

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة

سنة ٥٩٥

ذكر وفاة الملك العزيز وملك اخيه الافضل ديار مصر

في هذه السنة في العشرين من المحرّم توفّى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب صاحب ديار مصر وكان سبب موته انّه خرج الى الصيد فوصل الى الفيّوم متصيّدًا فراى ذئبًا فركض فرسه في

[1] يولف

طلبه فعثر الفرس فسقط عنه فى الارض ولحقته حمى فعاد الى القاهرة مريضًا فبقى كذلك الى ان توفى فلمّا مات كان الغالب على امره مملوك والده فخر الدين جهاركس[1] وهو الحاكم فى بلده فاحضر انسانًا كان عندهم من اصحاب الملك العادل ابى بكر بن ايّوب واراه العزيز ميّتًا وسيّره الى العادل وهو يحاصر ماردين كما ذكرناه ويستدعيه ليملّكه البلاد فسار القاصد مجدًّا فلمّا كان بالشام راى بعض اصحاب الافضل علىّ بن صلاح الدين فقال له قل لصاحبك انّ اخاه العزيز توفّى وليس فى البلاد مَن يمنعها فليسر اليها فليس دونها مانع وكان الافضل محبوبًا الى الناس يريدونه فلم يلتفت الافضل الى هذا القول واذ قد وصله رسل الامرآء من مصر يدعونه اليهم ليملّكوه وكان السبب فى ذلك انّ الامير سيف الدين يازكج[2] مقدّم الاسديّة والفرقة الاسديّة والامرآء الاكراد يريدونه ويميلون اليه وكان المماليك الناصريّة الذين هم مماليك ابيه يكرهونه فاجتمع سيف الدين مقدّم الاسديّة وفخر الدين جهاركس[3] مقدم الناصريّة ليتّفقوا على مَن يولّونه الملك فقال فخر الدين نولّى ابن الملك العزيز فقال سيف الدين انّه طفل وهذه البلاد ثغر الاسلام ولا بدّ من قيّم بالملك يجمع العساكر ويقاتل بها والراى انّنا نجعل الملك فى هذا الطفل الصغير ونجعل معه بعض اولاد صلاح الدين يدبّره الى ان يكبر فانّ العساكر لا تطيع غيرهم ولا تنقاد لامير فاتّفقا على هذا فقال جهاركس[4] فمن يتولّى هذا فاشار يازكج بغير الافضل فجرى بينه وبين جهاركس[4] منازعة لئلّا يتمّ وينفر جهاركس عنه فامتنع من ولايته فلم يزل يذكر من اولاد صلاح الدين واحدًا بعد أخر الى ان ذكر اخرهم الافضل فقال جهاركس[4] هو بعيد عنّا وكان بصرخد مقيمًا فيها من حين أُخذت منه دمشق فقال يازكج نرسل اليه مَن يطلبه مجدًّا فاخذ جهاركس[4] يغالطه فقال يازكج نمضى الى القاضى الفاضل وناخذ رايه فاتّفقا على ذلك وارسل يازكج يعرّفه ذلك ويشير بتمليك الافضل فلمّا اجتمعا عنده وعرّفاه صورة الحال اشار بالافضل فارسل يازكج فى الحال القصّاد ورآءه فسار عن صرخد لليلتين

1) اياس جركس 2) ابازكوش 3) اياز جركس 4) جركس

بقينا من صفر متنكّرًا فى تسعة عشر نفسًا لانّ البلاد كانت للعادل وبضبط نوّابه الطرق لئلّا يجوز الى مصر ليجىّ العادل ويملكها ولمّا قارب الافضل القدس وقد عدل عن الطريق المؤدّى اليه لقيه فارسان قد ارسلا اليه من القدس فاخبراه انّ مَن بالقدس قد صار فى طاعته وجدّ فى السير فوصل الى بلبيس خامس ربيع الاوّل ولقيه اخوته وجماعة الامراء المصريّة وجميع الاعيان فاتّفق انّ اخاه الملك المؤيّد مسعودًا صنع له طعامًا وصنع له فخر الدين مملوك ابيه طعامًا فابتدا بطعام اخيه ليمين حلفها اخوه انّه يبدا به فظنّ جهاركس[1] انّه فعل هذا انحرافًا عنه وسوّ اعتقاد فيه فتغيّرت نيّته وعزم على الهرب فحضر عند الافضل وقال انّ طائفةً من العرب قد اقتتلوا ولئن لم تمض اليهم تصلح بينهم يؤدّى ذلك الى فساد فاذن له الافضل فى المضى اليهم ففارقه وسار مجدًّا حتّى وصل الى البيت المقدّس ودخله وتغلّب عليه ولحقه جماعة من الناصريّة منهم قراجة الزره كش[2] وسراسنقر واحضروا عندهم ميمون القصرىّ صاحب نابلس وهو ايضًا من المماليك الناصريّة فقويت شوكتهم به واجتمعت كلمتهم على خلاف الافضل وارسلوا الى الملك العادل وهو على ماردين يطلبونه اليهم ليدخلوا معه الى مصر ليملكوها فلم يسر اليهم لانّه كانت اطماعه قد قويت فى اخذ ماردين وقد عجز مَن بها عن حفظها وانّه باخذها والذى يريدونه لا يفوته وامّا الافضل فانّه دخل الى القاهرة سابع ربيع الاوّل وسمع بهرب جهاركس[1] فاهمّه ذلك وترددت الرسل بينه وبينهم ليعودوا اليه فلم يزدادوا الّا بُعدًا ولحق بهم جماعة من الناصريّة ايضًا فاستوحش الافضل من الباقين فقبض عليهم وهم شقيرة[3] وايبك[4] فطيس والبكى الفارس وكلّ هولاء بطلٌ مشهور ومقدّم مذكور سوى من ليس مثلهم فى التقدّم وعُلُوّ القدر واقام الافضل بالقاهرة واصلح الامور وقرّر القواعد والمرجع فى جميع الامور الى سيف الدين يازكج ✿

ذكر حصر الافضل مدينة دمشق وعوده عنها

لمّا ملك الافضل مصر واستقرّ بها ومعه ابن اخيه الملك العزيز اسم

---

1) جركس   2) C. P. et 740. Ups. الركرمش   3) 740: شغير
4) Ups. repetit: وايبك   C. P.: سَنغر

الملك له لصغره واجتمعت الكلمة على الافضل بها وصل اليه رسول اخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ورسل ابن عمّه اسد الدين شيركوه بن محمّد بن شيركوه صاحب حمص بحثّانه على الخروج الى دمشق واغتنام الفرصة بغيبة العادل عنها وبذلا له المساعده بالمال والنفس والرجال فبرز من مصر منتصف جمادى الاولى من السنة على عزم المسير الى دمشق واقام بظاهر القاهرة الى ثالث رجب ورحل فيه وتعوّق فى مسيره ولو بادر وعجّل المسير لملك دمشق لكنه تاخّر فوصل الى دمشق ثالث عشر شعبان فنزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق وكان العادل قد ارسل اليه نوّابه بدمشق يعرّفونه قصد الافضل لهم ففارق ماردين وخلّف ولده الكامل محمّدًا فى جميع العساكر على حصارها وسار جريدة فجدّ فى السير فسبق الافضل فدخل دمشق قبل الافضل بيومَيْن وامّا الافضل فانّه تقدّم الى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ودخل ذلك اليوم بعينه طايفة يسيرة من عسقلان الى دمشق من باب السلامة وسبب دخولهم انّ قومًا من اجناده ممّن بيوتهم مجاورة الباب اجتمعوا بالامير مجد الدين اخى الفقيه عيسى الهكّارىّ وتحدّثوا معه فى ان يقصد هو والعسكر باب السلامة ليفتحوه لهم فاراد مجد الدين ان يختصّ بفتح الباب وحده فلم يُعْلم الافضل ولا اخذ معه احدًا من الامرآء بل سار وحده بمفرده ومعه نحو خمسين فارسًا من اصحابه ففُتح له الباب فدخله هو ومن معه فلمّا رءاهم عامّة البلد نادوا بشعار الافضل واستسلم مَن به من الجند ونزلوا عن الاسوار وبلغ الخبر الى الملك العادل فكاد يستسلم وتماسك وامّا الذين دخلوا البلد فانّهم وصلوا الى باب البريد فلمّا راى عسكر العادل بدمشق قلّة عددهم وانقطاع مددهم وثبوا بهم واخرجوهم منه وكان الافضل قد نصب خيمه بالميدان الاخضر وقارب عسكره الباب الجديد وهو من ابواب القلعة فقدّر الله تعالى ان اشير على الافضل بالانتقال الى ميدان الحصى ففعل ذلك فقويت نفوس مَن فيه وضعفت نفوس العسكر المصرىّ ثمّ انّ الامرآء الاكراد منهم تخالفوا فصاروا يدًا واحدةً يغضبون لغضب احدهم ويرضون لرضى احدهم فظنّ الافضل وباقى الاسديّة انّهم فعلوا بمواعدة بينهم وبين الدمشقيّين فرحلوا من موضعهم وتاخّروا فى العشرين من

شعبان ووصل اسد الدين شيركوه صاحب حمص الى الافضل لخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ثانى عشر شهر رمضان وارادوا الزحف الى دمشق فمنعهم الملك الظاهر مكرًا باخيه وحسدًا له ولم يشعر اخوه الافضل بذلك ء واما الملك العادل فانّه لمّا راى كثرة العساكر وتتابع الامداد الى الافضل عظم عليه فارسل الى المماليك الناصريّة بالبيت المقدّس يستدعيهم اليه فساروا سلخ شعبان فوصل خبرهم الى الافضل فسيّر اسد الدين صاحب حمص ومعه جماعة من الامرآء الى طريقهم ليمنعوهم فسلكوا غير طريقهم فجآء اولئك ودخلوا دمشق خامس رمضان فقوى العادل بهم قوّة عظيمة وايس الافضل ومن معه من دمشق وخرج عسكر دمشق فى شوّال فكبسوا العسكر المصرىّ فوجدوهم قد حذروهم فعادوا عنهم خاسرين واقام العسكر على دمشق ما بين قوّة وضعف وانتصار وتخاذل حتّى ارسل الملك العادل خلف ولده الملك الكامل محمّد وكان قد رحل عن ماردين على ما نذكره ان شآء الله تعالى وهو بحرّان فاستدعاه اليه بعسكره فسار على طريق البرّ فدخل الى دمشق ثانى عشر صفر سنة ستّ وتسعين وخمسمائة فعند ذلك رحل العسكر عن دمشق الى ذيل جبل الكسوة سابع عشر صفر واستقرّ ان يقيموا بحوران حتى يخرج الشتآء فرحلوا الى راس المآء وهو موضع شديد البرد فتغيّر العزم عن المقام واتّفقوا على ان يعود كلّ منهم الى بلده فعاد الظاهر صاحب حلب واسد الدين صاحب حمص الى بلادهما وعاد الافضل الى مصر فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمّد

فى هذه [السنة] ثامن عشر ربيع الاخر وقيل جمادى الاولى توفّى ابو يوسف يعقوب بن ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكان قد سار اليها من مرّاكش وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا وسمّاها المهديّة من احسن البلاد وانزهها فسار اليها يشاهدها فتوفّى بها وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان ذا جهاد للعدوّ ودين وحسن سيرة وكان يتظاهر بمذهب الظاهريّة واعرض عن مذهب مالك فعظم امر الظاهريّة فى ايّامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزميّة

منسوبون الى ابن محمّد بن جرم رئيس الظاهريّة الّا انّهم مغمورون بالمالكيّة ففى ايّامه ظهروا وانتشروا ثمّ فى اخر ايّامه استقصى الشافعيّة على بعض البلاد ومال اليهم ☆

ذكر عصيان اهل المهديّة على يعقوب وطاعتها لولده محمّد

كان ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب لمّا عاد من افريقية كما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة استعمل ابا سعيد عثمان وابا علىّ يونس بنى عمر اينتى[1] وهما وابوهما من اعيان الدولة فولّى عثمان مدينة تونس وولّى اخاه المهديّة وجعل قائد الجيش بالمهديّة محمّد بن عبد الكريم وهو شجاع مشهور فعظمت نكايته فى العرب فلم يبق منهم الّا من يخافه فاتّفق انّه اتاه الخبر بانّ طائفة من عوف نازلين بمكان فخرج اليهم وعدل عنهم حتّى جازهم ثمّ اقبل عائدًا يطلبهم واتاهم الخبر بخروجه اليهم فهربوا من بين يديه فلقيهم امامهم فهربوا وتركوا المال والعيال من غير قتال فاخذ الجميع ورجع الى المهديّة وسلّم العيال الى الوالى واخذ من الاسلاب والغنيمة ما شاء وسلّم الباقى الى الوالى والى الجند ثمّ انّ العرب من بنى عوف قصدوا ابا سعيد بن عمر اينتى[1] فوحّدوا وصاروا من حزب الموحّدين واستجاروا به فى ردّ عيالهم واموالهم فاحضر محمّد بن عبد الكريم وامره باعادة ما اخذ لهم من النعم فقال اخذه الجند ولا اقدر على ردّه فاغلظ له فى القول واراد ان يبطش به فاستمهله الى ان يرجع الى المهديّة ويستردّ من الجند ما يجده عندهم وما عدم منه غرم العوض عنه من ماله فامهله فعاد الى المهديّة وهو خائف فلمّا وصلها جمع اصحابه واعلمهم ما كان من ابى سعيد وحالفهم على موافقته فحلفوا له فقبض على ابى علىّ يونس وتغلّب على المهديّة وملكها فارسل اليه ابو سعيد فى معنى اطلاق اخيه يونس فاطلعه على اثنا عشر الف دينار فلمّا ارسلها اليه ابو سعيد فرّقها فى الجند واطلق يونس وجمع ابو سعيد العساكر واراد قصد محاصرته فارسل محمّد بن عبد الكريم الى علىّ بن اسحق الملثّم فحالفه واعتضد به فامتنع ابو سعيد من قصده ومات يعقوب وولى ابنه محمّد فسيّر عسكرًا

---

1) نبتى

مع عمّه فى البحر وعسكرًا اخر فى البرّ مع ابن عمّه لحسن ابن ابى حفص بن عبد المؤمن فلمّا وصل عسكر البحر الى بجاية وعسكر البرّ الى قسنطينة الهوى هرب الملثّم ومَن معه من العرب من بلاد افريقية الى الصحرآء ووصل الاسطول الى المهديّة فشكا محمّد بن عبد الكريم ما لقى من ابى سعيد وقال انا على طاعة امير المومنين محمّد ولا اسلمها الى ابى سعيد وانّما اسلمها الى من [يرسله] امير المومنين فارسل محمّد مَن يتسلّمها منه وعاد الى الطاعة ۞

ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين

فى هذه السنة زال الحصار عن ماردين ورحل عسكر الملك العادل عنها مع ولده الملك الكامل وسبب ذلك انّ الملك العادل لمّا حصر[1] ماردين عظم ذلك على نور الدين صاحب الموصل وغيره من ملوك ديار بكر والجزيرة وخافوا ان ملكها لا يُبقى عليهم الّا انّ العجز عن منعه [حملهم][2] على طاعته فلمّا توفّى العزيز صاحب مصر وملك الافضل مصر كما ذكرناه وبينه وبين العادل اختلافٌ فارسل اخذ عسكر مصر من عنده وارسل الى نور الدين صاحب الموصل وغيره من الملوك يدعوهم الى موافقته فاجابوه الى ذلك فلمّا رحل الملك العادل عن ماردين الى دمشق كما ذكرناه برز نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عنها ثانى شعبان وسار الى دنيسر فنزل عليها ووافقه ابن عمّه قطب الدين محمّد بن زنكى بن مودود صاحب سنجار وابن عمّه الاخر سنجر شاه بن غازى بن مودود صاحب جزيرة ابن عمر فاجتمعوا كلّهم بدنيسر الى ان عيّدوا عيد الفطر ثمّ ساروا عنها سادس شوّال ونزلوا بحَرْزَم[3] وتقدّم العسكر الى تحت الجبل ليرتادوا موضعًا للنزول وكان اهل ماردين قد عدمت الاقوات عندهم وكثرت الامراض فيهم حتّى انّ كثيرًا منهم كان لا يطيق القيام فلمّا راى النظام وهو الحاكم فى دولة صاحبها ذلك ارسل الى ابن العادل فى تسليم القلعة اليه الى اجل معلوم ذكره على شرط ان يتركهم يدخل اليهم من الميرة ما يقوتهم حسبُ فاجابهم الى ذلك وتحالفوا عليه ورفعوا اعلامهم الى راس القلعة وجعل ولد العادل بباب القلعة اميرًا لا

---

1) حصر 2) C. P. 3) C. P. 740 بحرزم Ups.: بحريرم

نترك يدخلها من الاتبعة الّا ما يكفيهم يومًا بيوم فاعطى مَن بالقلعة ذلك الامير شيأً مقدّمهم من ادخال الذخاير الكثيره فبينما هم كذلك اذ اتاهم خبر وصول نور الدين صاحب الموصل ففويت نفوسهم وعزموا على الامتناع فلمّا تقدّم عسكره الى ذيل جبل ماردين قدّر الله تعالى انّ الملك الكامل بن العادل نزل بعسكر من ربض ماردين الى لقآء نور الدين وقتاله ولو اقاموا بالربض لم يمكن نور الدين ولا غيره الصعود اليهم ولا ازالتهم لكن نزلوا ليقضى الله امرًا كان مفعولًا فلمّا انحدروا من الجبل اقتتلوا وكان من عجيب الاتّفاق انّ قطب الدين صاحب سنجار وكان قد واعد العسكر العادليّ ان ينهزم اذا التقوا ولم يُعلم بذلك احدًا من العسكر فقدّر الله تعالى انّه لمّا نزل العسكر العادليّ واصطفّت العساكر للقتال لجت قطب الدين الضروره بالرحمة الى ان وقف فى سفح بجبل ماردين ليس اليه طريق للعسكر العادليّ ولا يرى الحرب الواقعة بينهم وبين نور الدين ففاته ما اراده من الانهزام ، فلمّا التقى العسكران واقتتلوا حمل ذلك اليوم نور الدين بنفسه واصطلى الحرب الناس انغمسهم بين يديه فانهزم العسكر العادليّ وصعدوا فى الجبل الى الربض وأُسر منهم كثير فحُملوا الى بين يدى نور الدين فاحسن اليهم ووعدهم الاطلاق اذا انفصلوا ولم يظنّ انّ الملك الكامل ومَن معه يرحلون عن ماردين سريعًا فجآءهم امرٌ لم يكن فى الحساب فانّ الملك الكامل لمّا صعد الى الربض راى اهل القلعه قد نزلوا الى الذين جعلوهم بالربض من العسكر فقاتلوهم ونالوا منهم ونهبوا فالقى الله الرعب فى قلوب الجميع فاعملوا رايهم على مفارقة الربض ليلًا فرحلوا ليله الاثنين سابع شوّال وتركوا كثيرًا من اثقالهم ورحالهم وما اعدّوه فاخذه اهل القلعه ولو ثبت العسكر العادلى مكانه لم يمكن احد ان يقرب منهم ولمّا رحلوا نزل صاحب ماردين حسام الدين يولق بن ايلغازى[1] الى نور الدين ثمّ عاد الى حصنه وعاد اتابك الى دنيسر ورحل عنها الى راس عين على عزم قصد حرّان وحصرها فاتاه رسولٌ من الملك الظاهر يطلب الخطبة والسكّة وغير ذلك فتغيّرت نيّة نور الدين وفتر عزمه عن حصرها

1) يولق بن ايلغاى

فعزم على العود الى الموصل فهو بعدّتم الى العود رجْلًا وبوخّر اخرى ان اصابه مرض فتحقّق عزم العود الى الموصل فعاد اليها وارسل رسولًا الى الملك الافضل والملك الظاهر يعتذر عن عوده بمرضه فوصل الرسول ثانى ذى الحجّة اليهم وهم على دمشق وكان عود نور الدين من سعادة الملك العادل فانّه كان هو وكلّ مَن عنده ينتظرون ما يجىء من اخباره فانّ مَن بحرّان استسلموا فقدّر الله تعالى انّه عاد فلمّا عاد جآء الملك الكامل الى حرّان وكان قد سار على ماردين الى ميّافارقين فلمّا رجع نور الدين سار الكامل الى حرّان وسار الى ابيه بدمشق على ما ذكرناه فازداد به قوّة والافضل ومَن معه ضُعْفًا ۞

ذكر الفتنة بفيروزكوه من خراسان

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة وهو بفيروزكوه عمّت الرعيّة والملوك والامرآء وسببها انّ الفخر محمّد بن عمر بن الحسن الرازىّ الامام المشهور الفقيه الشافعىّ كان قدم الى غياث الدين مفارقًا لبهاء الدين سام[1] صاحب باميان وهو ابن اخت غياث الدين فاكرمه غياث الدين واحترمه وبالغ فى اكرامه وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصده الفقهآء من البلاد فعظم ذلك على الكراميّة وهم كثيرون بهراة واما الغوريّة فكلّهم كراميّة وكرهوه وكان اشدّ الناس عليه الملك ضيآء الدين وهو ابن عمّ غياث الدين وزوج ابنته فاتّفق ان حضر الفقهآء من الكراميّة والحنفيّة والشافعيّة عند غياث الدين بفيروزكوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازىّ والقاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر[2] المعروف بالقدوة وهو من الكراميّة الهيصميّة[3] وله عندهم محلٌّ كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلّم الرازىّ فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر وسبّه وشتمه وبالغ فى اذاه وابن القدوة لا يزيد على ان يقول لا يفعل مولانا الّا[4] واخذك الله استغفر الله فانفصلوا على هذا وقام ضيآء الدين فى هذه الحادثة وشكى الى غياث الدين وذمّ الفخر ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ

1) بامه 2) عم 3) الهيصميه 4) لا

عبات الدين اليه فلمّا كان الغد وعظ ابن عمر[1] المجد بن القدوة بالجامع فلمّا صعد المنبر قال بعد ان حمد الله وصلّى على النبىّ صلّعم لا اله الّا الله ربّنا امنّا بما انزلتَ واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، ايّها الناس انّا لا نقول الّا ما صحّ عندنا عن رسول الله صلّعم وامّا علم ارسطاطاليس وكفريّات ابن سينا وفلسفة الفارابىّ فلا نعلمها فلاىّ حال يُشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام ويذبّ عن دين الله وعن سنّة نبيّه وبكى وضجّ الناس وبكى الكراميّة واستغاثوا واعانهم من يوثر بُعد الفخر الرازىّ عن السلطان وثار الناس من كلّ جانب وامتلأ البلد فتنةً وكادوا يقتتلون ويجرى ما يهلك فيه خلق كثير فبلغ ذلك السلطانَ فارسل جماعة من عنده الى الناس وسكّنهم ووعدهم باخراج الفخر من عندهم وتقدّم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها ☆

ذكر مسير خوارزم شاه الى الرىّ

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الرىّ وغيرها من بلاد الجبل لانّه بلغه انّ نايبه بها مياجق قد تغيّر عن طاعته فسار اليه فخافه مياجق فجعل يفرّ من بين يديه وخوارزم شاه فى طلبه يدعوه الى الحضور عنده وهو يمتنع فاستامن اكثر اصحابه الى خوارزم شاه وهرب هو فحصل بقلعة من اعمال مازندران[2] فامتنع بها فسارت العساكر فى طلبه فأُخذ منها واحضر بين يدى خوارزم شاه فامر بحبسه بشفاعة اخيه اقچة ، وسُيّرت الخلع من الخليفة لخوارزم شاه ولولده قطب الدين محمّد وتقليد بما بيده من البلاد فلبس الخلعة واشتغل بقتال الملاحدة فافتتح قلعة على باب قزوين تسمّى ارسلان كشاه[3] وانتقل الى حصار أَلَمُوْت فقُتل عليها صدر الدين محمّد بن الوزان رئيس الشافعيّة بالرىّ وكان قد تقدّم عنده تقدّمًا عظيمًا قتله الملاحدة وعاد خوارزم شاه الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام المُلك مسعود بن علىّ فقتلوه فى جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين فامر تكش ولده قطب الدين بقصد الملاحدة فقصد قلعة ترشيش[4] وهى من قلاعهم فحصرها فاذعنوا له

---

[1]) عم [2]) مازندران [3]) C. P. 740: كساه Ups.: شاه
[4]) C. P. 740: برسسس Ups.. برسيس

بالطاعة وصالحوه على مائة الف دينار ففارقها وانّما صالحهم لانّه بلغه خبر مرض ابيه وكانوا يراسلونه بالصلح فلا يفعل فلمّا سمع مرض ابيه لم يرحل حتّى صالحهم على المال المذكور والطاعة ورحل *

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل توفّى مجاهد الدين قايماز رحمه الله بقلعة الموصل وهو الحاكم فى دولة نور الدين والمرجوع اليه فيها وكان ابتداء ولايته قلعة الموصل فى ذى الحجّة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وولى اربل سنة تسع [وخمسين] وخمسماية فلمّا مات زين الدين علىّ كوچك سنة ثلاث وستّين بقى هو الحاكم فيها ومعه من يختاره من اولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم وكان عاقلًا اديبًا خبيرًا فاضلًا يعرف الفقه على مذهب ابى حنيفة ويحفظ من التاريخ والاشعار والحكايات شيئًا كثيرًا وكان كثير الصوم يصوم من كلّ سنة نحو اربعة اشهر وله اوراد كثيرة حسنة كلّ ليلة ويكثر الصدقة وكان له فراسة حسنة فيمن يستحقّ الصدقة ويعرف الفقير المستحقّ ويبرّهم وبنى عدّة جوامع منها الجامع الذى بظاهر الموصل بباب الجسر وبنى الرُّبط والمدارس والخانات فى الطرف وله من المعروف شىء كثير رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ، وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكراميّة وصار شافعىّ المذهب وكان سبب ذلك انّه كان عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسيّة متفنّنًا فى كثير من العلوم فاوصل الى غياث الدين الشيخ وحيد الدين ابا الفتح محمّد بن محمود المروروذىّ[1] الفقيه الشافعىّ فاوضح له مذهب الشافعىّ وبيّن له فساد مذهب الكراميّة فصار شافعيًّا وبنى المدارس للشافعيّة وبنى بغزنة مسجدًا لهم ايضًا واكثر مراعاتهم فسعى الكراميّة فى اذى وحيد الدين فلم يقدّرهم الله تعالى على ذلك ، وقيل انّ غياث الدين واخاه شهاب الدين لمّا ملكا فى خراسان قيل لهما انّ الناس فى جميع البلاد يزرون على الكراميّة ويحتقرونهم والراى ان تفارقوا مذاهبهم فصارا شافعيّين وقيل انّ شهاب الدين كان حنفيًّا والله

---

1) المرودى

اعلم، وفى هذه السنة توفّى ابو القاسم يحيى بن علىّ بن فضلان الفقيه الشافعىّ وكان اماما فاضلا ودرّس ببغداد وكان من اعيان اصحاب [محمّد بن يحيى][1] نجى النيسابورىّ ☆

ثمّ دخلت سنة ستّ وتسعين وخمسمائة،

سنة ٥٩٦

ذكر مُلك العادل الديار المصريّة

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين حصر الافضل والظاهر ولدى صلاح الدين دمشق ورحيلهما الى راس المآء على عزم المقام بحوران الى ان يخرج الشتآء فلمّا اقاموا براس المآء وجد العسكر بردا شديدا لانّ البرد فى ذلك المكان فى الصيف موجود فكيف فى الشتآء فتغيّر العزم على المقام واتّفقوا على ان يعود كلّ انسان منهم الى بلده ويعودوا الى الاجتماع فتفرّقوا تاسع ربيع الاوّل فعاد الظاهر وصاحب حمص الى بلادهما وسار الافضل الى مصر فوصل بلبيس فاقام بها ووصلته الاخبار بانّ عمّه الملك العادل قد سار من دمشق قاصدا مصر ومعه المماليك الناصريّة وقد حلّفوه على ان يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد وهو المدبّر للملك الى ان يكبر فساروا على هذا وكان عسكره بمصر قد تفرّق عن الافضل من الخشىّ فسار كلّ منهم الى اقطاعه ليربعوا دوابّهم فرام الافضل جمعهم من اطراف البلاد فاعجله الامر عن ذلك ولم يجتمع منهم الّا طائفة يسيرة ممّن قرب اقطاعه ووصل العادل فاشار بعض الناس على الافضل ان يخرّب سور بلبيس ويعتصم بالقاهرة واشار غيرهم بالتقدّم الى اطراف البلاد ففعل ذلك فسار عن بلبيس ونزل موضعا يقال له السايح فى طرف البلاد والتقى هو والعادل سابع ربيع الاخر فانهزم الافضل ودخل القاهرة ليلا وفى تلك الليلة توفّى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علىّ البيسانىّ كاتب الانشآء لصلاح الدين ووزيره فحضر الافضل الصلاة عليه، وسار العادل فنزل على القاهرة وحصرها فجمع الافضل من عنده من الامرآء واستشارهم فراى منهم تخاذلا فارسل رسولا الى عمّه فى الصلح وتسليم البلاد اليه واخذ العوض عنها وطلب دمشق فلم يجبه العادل فنزل عنها [الى] حرّان

---

[1]) 740.

والرُّها فلم تجبه فنزل الى ميّافارقين وحانى وجبل جور فاجابه الى ذلك وتحالفوا عليه وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الاخر واجتمع بالعادل وسار الى صرخد ودخل العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الاخر ولمّا وصل الافضل الى صرخد ارسل مَن تسلّم ميّافارقين وحانى وجبل جور فامتنع نجم الدين ايّوب بن الملك العادل من تسليم ميّافارقين وسلّم ما عداها فترددت الرسل بين الافضل والعادل فى ذلك والعادل يزعم انّ ابنه عصاه فامسك عن المراسلة فى ذلك لعلمه انّ هذا فعل بامر العادل ، ولمّا ثبت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور بن الملك العزيز فى شوّال من السنة وخطب لنفسه وحاقق الجند فى اقطاعاتهم واعترضهم فى اصحابهم ومن عليهم من العسكر المقرّر فتغيّرت لذلك نيّاتهم فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين ان شآء الله ☆

ذكر وفاة خوارزم شاه

فى هذه السنة فى العشرين من رمضان توفّى خوارزم شاه تكش بن ايل[1] ارسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان والرىّ وغيرها من البلاد الجبالية بشهرستانة بين نيسابور وخوارزم وكان قد سار من خوارزم الى خراسان وكان به خوانيق فاشار عليه الاطبّآء بترك الحركة فامتنع وسار فلمّا بلغ شهرستانة اشتدّ مرضه ومات ولمّا اشتدّ مرضه ارسلوا الى ابنه قطب الدين محمّد يستدعونه ويعرّفونه شدّة مرض ابيه فسار اليهم وقد مات ابوه فولى الملك بعده ولقّب علآء الدين لقب ابيه وكان لقبه قطب الدين وأمر فحمل ابوه ودفن بخوارزم فى تربة عملها فى مدرسة بناها كبيرة عظيمة وكان عادلًا حسن السيرة له معرفة حسنة وعلم يعرف الفقه على مذهب ابى حنيفة ويعرف الاصول ، وكان ولده علىّ شاه باصفهان فارسل اليه اخوه خوارزم شاه محمّد يستدعيه فسار اليه فنهب اهل اصفهان خزائنه ورحله فلمّا وصل الى اخيه ولّاه حرب خراسان والمقدّم على جندها وسلّم اليه نيسابور وكان هندوخان ملكشاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمّه محمّدًا فهرب منه ونهب شيئًا من خزائن جدّه تكش لمّا مات وكان

---

1) البب

معه وسار الى مرو ولمّا سمع غياث الدين ملك غزنة وفاة خوارزم شاه
امر ان لا تضرب نوبته ثلاثة ايّام وجلس للعزآء على ما بينهما من العداوة
والمحاربة فعل ذلك عقلاً منه ومروّة ، ثمّ انّ هندوخان جمع جمعًا كثيرًا
بخراسان فسيّر اليه عمّه خوارزم شاه جيشًا مقدّمهم جقر التركيّ فلمّا
سمع هندوخان بمسيرهم هرب عن خراسان وسار الى غياث الدين يستنجده
على عمّه فاكرم لقآءه وانزاله واقطعه ووعده النصرة فاقام عنده ودخل
جقر مدينة مرو وبها والدة هندوخان واولاده فاستظهر عليهم واعلم صاحبه
فامره بارسالهم الى خوارزم مكرمين فلمّا سمع غياث الدين ذلك ارسل الى
محمّد بن جربك[1] صاحب الطالقان يامره ان يرسل جقر يتهدّده ففعل
وسار من الطالقان فاخذ مرو الروذ[2] والخمس قُرى وتسمّى بالفارسيّة بنج ده
وارسل الى جقر يامره باقامة الخطبة بمرو لغياث الدين او يفارق البلد
فاعاد الجواب يتهدّد ابن جربك[1] ويتوعّده وكتب اليه سرًّا يساله ان
ياخذ له امانًا من غياث الدين ليحضر خدمته فكتب الى غياث الدين
بذلك فلمّا قرأ كتابه علم انّ خوارزم شاه ليس له قوّة فلهذا تلك
جقر الاخبار اليه فقوى طمعه في البلاد وكتب الى اخيه شهاب الدين
يامره بالخروج الى خراسان ليتّفقا على اخذ بلاد خوارزم شاه محمّد ٭

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في جمادى الاخرة وثب الملاحدة الاسماعيليّة على نظام
الملك مسعود بن عليّ وزير خوارزم شاه تكش فقتلوه وكان صالحًا كثير
الخير حسن السيرة شافعيّ المذهب بنى للشافعيّة بمرو جامعًا مشرفًا على
جامع الحنفيّة[3] فتعصّب شيخ الاسلام وهو مقدّم الحنابلة بها فيهم والرياسة
وجمع الاوباش فاحرقه[4] فانفذ خوارزم شاه فاحضر شيخ الاسلام وجماعة ممّن
سعى في ذلك فاغرمهم مالاً كثيرًا وبنى الوزير ايضًا مدرسة عظيمة بخوارزم
وجامعًا وجعل فيها خزانة كتب وله اثار حسنة بخراسان باقية ولمّا مات
خلف ولدًا صغيرًا فاستوزره خوارزم شاه رعايةً لحقّ ابيه فاشير عليه ان
يستعفي فارسل يقول انّى صبيّ لا اصلح لهذا المنصب الجليل فيولي السلطان

1) حربك 2) 740 addit: وده الروذ et Ups.. ودره
3) 740. Ups.: الجامعة 4) باجرقه

فيه من يصلح له الى ان اكبر فان كنتَ اصلح فانا المملوك
خوارزم شاه لستُ اعفيك وانا وزيرك فكن راجعى فى الامور فانّه لا يقف
منها شئ فاستحسن الناس هذا ثمّ انّ الصبىّ لم تطلْ ايّامه فتوفّى قبل
خوارزم شاه بيسير ؟ وفى هذه السنة فى ربيع الاوّل توفّى شيخنا ابو
الفرج عبد المنعم بن عبد الوهّاب ابن كليب الحرّانىّ المقيم ببغداد وله
ستّ وتسعون سنة وشهران وكان عالى الاسناد فى الحديث وكان ثقة صحيح
السماع ؟ وفى ربيع الاخر منها توفّى القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانىّ
الكاتب لم يكن فى زمانه احسن كتابة منه ودُفن بظاهر مصر بالقرافة
وكان ديّنًا كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفكّ الاسارى
وكان يكثر الحجّ والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان وكان السلطان صلاح
الدين يُعظمه ويحترمه ويكرمه ويرجع الى قوله رحمهما الله ☆

## ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة ؟ 	سنة ٥٩٧

ذكر مُلك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو واخوه الافضل مدينة دمشق وعودهما عنها

قد ذكرنا قبلُ مُلك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور
ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب وانّه لمّا فعل
ذلك لم يرضه الامرآء المصريّون وخبثت نيّاتهم فى طاعته فراسلوا اخوته
الظاهر بحلب والافضل بصرخد وتكرّرت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما
الى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فاذا خرج اليهم [من]
مصر اسلموه وصاروا معهما فيملكا البلاد وكثر ذلك حتّى فشا الخبر
واتّصل بالملك العادل وانضاف الى ذلك انّ النيل لم يزد بمصر الزيادة التى
تركب الارض ليزرع الناس فكثر الغلآء فضعفت قوّة الجند وكان فخر
الدين جهاركس قد فارق مصر الى الشام هو وجماعة من المماليك الناصريّة
لحصار بانياس لياخذها لنفسه بامر العادل وكانت لامير كبير تركىّ اسمه
بشارة قد اتّهمه العادل فامر جهاركس بذلك وكان امير من امرآء العادل
يعرف بعزّ الدين اسامة قد حجّ هذه السنة فلمّا عاد من الحجّ وقارب
صرخد نزل الملك الافضل فلقيه واكرمه ودعاه الى نفسه فاجابه وحلف له

وعرّفه الافضل جليّة الحال وكان اسامة من بطانة العادل وانّما حلف لينكشف له الامر فلمّا فارق الافضل ارسل الى العادل وهو بمصر نُعرّفه الخبر جميعه فارسل الى ولده الذى بدمشق يامره بحصر الافضل بصرخد وكتب الى اياس جركس وميمون العصرىّ صاحب بلبيس وغيرهما من الناصريّة يامرهم بالاجتماع مع ولده على حصر الافضل ٥ وسمع الافضل الخبر فسار الى اخيه الظاهر بحلب مستهلّ جمادى الاولى من السنة ووصل الى حلب عاشر الشهر وكان الظاهر قد ارسل اميرًا كبيرًا من امرآيه الى عمّه العادل فمنعه العادل من الوصول اليه وامره بان يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فتحرّك الظاهر لذلك وجمع عسكره وقصد منبج فملكها للسادس والعشرين من رجب وسار الى قلعة نجم وحصرها فتسلّمها سلخ رجب ٥ واما الملك المُعظم عيسى بن العادل المقيم بدمشق فانّه سار الى بُصرى وارسل الى جهاركس ومَن معه وهم على بانياس يحصرونها يدعوهم اليه فلم يجيبوه الى ذلك بل غالطوه فلمّا طال مقامه على بُصرى عاد الى دمشق وارسل الامير اسامة اليهم يدعوهم الى مساعدته فاتّفق انّه جرى بينه وبين البكآء الفارس بعض المماليك الكبار الناصريّة منافرة اغلظ له البكآء القول وتعدّى الى الفعل باليد وثار العسكر جميعه على اسامة فاستدمّ ميمون فامّنه واعاده الى دمشق واجتمعوا كلّهم عند الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وانزلوه من صرخد وارسلوا الى الملك الظاهر والافضل يحثّونهما على الوصول اليهم والملك الظاهر يتربّص ويتعوّق فوصل من منبج الى حماه فى عشرين يومًا واقام على حماة يحصرها وبها صاحبها ناصر الدين محمّد بن تقى الدين الى تاسع عشر شهر رمضان فاصطلحا وحمل له ابن تقى الدين ثلاثين الف دينار صوريّة وساروا عنها الى حمص وسار منها الى دمشق على طريق بعلبكّ فنزلوا عليها عند مسجد القدم فلمّا نزلوا على دمشق اتاهم المماليك الناصريّة مع الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وكانت القاعدة استقرّت بين الظاهر واخيه الافضل انّهم اذا ملكوا دمشق تكون بيد الافضل ويسيرون الى مصر فاذا ملكوها تسلّم الظاهر دمشق فيبقى الشام جميعه له وتبقى مصر للافضل وسلّم الافضل صرخد الى زين الدين قراجة مملوك والده ليحصر فى خدمته وانزل والدته واهله منها وسيّرهم الى حمص فاقاموا عند اسد

الدين شيركوه صاحبها وكان الملك العادل قد سار من مصر الى الشام فنزل [على] مدينه نابلس وسيّر جمعًا من العسكر الى دمشق ليحفظها فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وحصر فخر الدين جهاركس وغيره من الناصريّة فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وزحفوا الى دمشق وقاتلوها رابع عشر ذى القعدة واشتدّ القتال عليها فالصق الرجال بالسور فادركهم الليل فعادوا وقد قوى الطمع فى اخذها ثمّ زحفوا اليها مرّة ثانية وثالثة فلم يبق الّا مُلكها لانّ العسكر صعد الى سطح خان ابن المقدّم وهو ملاصق السور فلو لم يدركهم الليل لملكوا البلد فلمّا ادركهم الليل وهم عازمون على الزحف بكرة ولبس لهم عن البلد مانع حسد الظاهر اخاه الافضل فارسل اليه يقول له يكون دمشق له وبيده وتُسيّر العساكر معه الى مصر فقال له الافضل قد علمتُ انّ والدتى واهلى وهم اهلك ايضًا على الارض ليس لهم موضع ياوون اليه فاحسب انّ هذا البلد لك تعيرنا هو ليسكنه اهلى هذه المدّة الى ان تملك مصر فلم يجبه الظاهر فى ذلك ولجّ فلمّا راى الافضل ذلك الحال قال للناصريّة وكلّ من جاء اليهم من الجند ان كنتم جئتم الىّ فقد اذنتُ لكم فى العود الى العادل وان كنتم جيئتم الى اخى الظاهر فانتم وهو اخبرُ وكان الناس كلّهم يريدون الافضل فقالوا ما نريد سواك والعادل احبّ الينا من اخيك فاذن لهم فى العود فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجة الذى اعطاه الافضل صرخد فنهم مَن دخل دمشق ومنهم مَن عاد الى اقطاعه فلمّا انفسخ الامر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فتردّدت الرسل بينهم واستقرّ الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وقُرى معيّنة من المعرّة ويكون للافضل سميساط وسروج وراس العين وجملين ورحلوا عن دمشق اوّل المحرّم سنة ثمان وتسعين فقصد الافضل حمص فاقام بها وسار الظاهر الى حلب ووصل العادل الى دمشق تاسع المحرّم وسار الافضل اليه من حمص فاجتمع به بظاهر دمشق وعاد من عنده الى حمص وسار منها ليتسلّم سميساط فتسلّمها وتسلّم باقى ما استقرّ له براس العين وسروج وغيرها ✿

ذكر مُلك غياث الدين واخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان

قد ذكرنا مسير محمّد بن خرميل[1] من الطالقان واستيلاءه على مروروذ وسؤال جقر التركىّ نائب علاء الدين محمّد خوارزم شاه بمرو ان يكون فى جملة عسكر غياث الدين ولمّا وصل كتاب ابن خرميل[1] الى غياث الدين فى معنى جقر علم انّ هذا انّما دعاه الى الانتماء اليهم ضعف صاحبه فارسل الى اخيه شهاب الدين يستدعيه الى خراسان فسار من غزنة فى عساكره وجنوده وعدّته وما يحتاج اليه ، وكان بهراة الامير عمر بن محمّد المرغنىّ[2] نائبًا عن غياث الدين وكان يكره خروج غياث الدين الى خراسان فاحضره غياث الدين واستشاره فاشار بالكفّ عن قصدها وترك المسير اليها فانكر عليه ذلك واراد ابعاده عنه ثمّ تركه ووصل شهاب الدين فى عساكره وعساكر سجستان وغيرها فى جمادى الاولى من هذه السنة فلمّا وصلوا الى ميمنة وهى قرية بين الطالقان وكرزبان[3] وصل الى شهاب الدين كتاب جقر مستحفظ مرو يطلبه ليسلّمها اليه فاستاذن اخاه غياث الدين فاذن له فسار اليها فخرج اهلها مع العسكر الخوارزمىّ وقاتلوه فامر اصحابه بالحملة عليهم والجدّ فى قتالهم فحملوا عليهم فادخلوهم البلد وزحفوا بالفيلة الى ان قاربوا السور فطلب اهل البلد الامان فامّنهم وكفّ الناس عن التعرّض اليهم وخرج جقر الى شهاب الدين فوعده الجميل ثمّ حضر غياث الدين الى مرو بعد فتحها فاخذ جقر وسيّره الى هراة مكرمًا وسلّم مرو الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش وقد ذكرنا هربه من عمّه خوارزم شاه محمّد بن تكش الى غياث الدين ووصّاه بالاحسان الى اهلها ثمّ سار غياث الدين الى مدينة سرخس فاخذها صلحًا وسلّمها الى الامير زنكى بن مسعود وهو من اولاد عمّه واقطعه معها نَسا وابيورد ثمّ سار بالعساكر الى طوس فاراد الامير الذى بها ان يمتنع فيها ولا يسلّمها فاغلق باب البلد ثلاثة ايّام فبلغ الخبز ثلاثة أمنًا بدينار ركنىّ فضجّ اهل البلد عليه فارسل الى غياث الدين يطلب الامان فامّنه فخرج اليه فخلع عليه وسيّره الى هراة ولمّا ملكها ارسل الى علىّ شاه بن خوارزم شاه تكش وهو نائب اخيه علاء الدين محمّد

[1]) حرميل [2]) المرعى [3]) وحرربان

بنيسابور بأمره بمفارقة البلد ويحذّره ان اقام سطوة اخيه شهاب الدين وكان مع علىّ شاه عسكر من خوارزم شاه فاتّفقوا على الامتناع من تسليم البلد وحصره وخرّبوا ما بظاهره من العمارة وقطعوا الاشجار وسار غياث الدين الى نيسابور فوصل اليها اوايل رجب وتقدّم عسكر اخيه شهاب الدين الى القتال فلمّا راى غياث الدين ذلك قال لولده محمود قد سبقنا عسكر غزنة بفتح مرو وهم يريدون يفتحون نيسابور فيحصلون بالاسم فاحمل الى البلد ولا ترجع حتّى تصل السور فحمل وحمل معه وجوه الغوريّة فلم يردّهم احد من السور حتّى اصعدوا عَلَم غياث الدين اليه فلمّا راى شهاب الدين عَلَم اخيه على السور قال لاصحابه اقصدوا بنا هذه الناحية واصعدوا السور من هاهنا واشار الى مكان فيه فسقط السور منهدمًا فضجّ الناس بالتكبير وذهل الخوارزميّون واهل البلد ودخل الغوريّة البلد وملكوه عنوةً ونهبوه ساعة من نهار فبلغ الخبر الى غياث الدين فامر بالنداء مَن نهب مالاً او اتى احدًا فدمه حلال فاعاد الناس ما نهبوه عن اخره ، ولقد حدّثنى بعض اصدقآئنا من التجار وكان بنيسابور فى هذه الحادثة نُهب من متاعى شئٌ من جملته سكر فلمّا سمع العسكر الندآء ردّوا جميع ما اخذوا منّى وبقى لى بساط وشئٌ من السكر مع جماعة فطلبتُه منهم فقالوا امّا السكر فاكلناه فنسالك ألّا يسمع احد وان اردتَ ثمنه اعطيناك ، فقلتُ انتم فى حلّ منه ولم يكن البساط مع اولئك قال فمشيتُ الى باب البلد مع النظارة فرايتُ البساط الذى لى قد أُلقى عند باب البلد لم يجسر احد ياخذه فاخذتُه وقلتُ هذا لى فطلبوا منّى مَن يشهد به فاحضرتُ مَن شهد لى واخذتُه ، ثمّ انّ الخوارزميّين تحصّنوا بالجامع فاخرجهم اهل البلد فاخذهم الغوريّة ونهبوا ما لهم وأُخذ علىّ شاه بن خوارزم شاه وأُحضر عند غياث الدين راجلًا فانكر ذلك على من احضره وعظم الامر فيه وحضرت دابّة كانت لعلىّ شاه وقال لغياث الدين اهكذا يُفعل باولاد الملوك فقال لا بل هكذا واخذ بيده واقعده معه على السرير وطيّب نفسه وسيّر جماعة الامرآء الخوارزميّة الى هراة تحت الاستظهار واحضر غياث الدين ابن عمّه وصهره على ابنته ضيآء الدين محمّد بن آبى الغورىّ وولّاه حرب خراسان وخراجها ولقّبه علآء

الدين وجعل معه وجوه الغورية ورحل الى هراة وسلم على شاه الى اخيه شهاب الدين واحسن الى اهل نيسابور وفرّق فيهم مالًا كثيرًا ثمّ رحل بعده شهاب الدين الى ناحية قهستان فوصل الى قرية فذُكر له انّ اهلها اسماعيليّة فامر بقتل المقاتلة ونهب الاموال وسبى الذرارى وخرّب القرية فجعلها خاوية على عروشها ثمّ سار الى كناباد[1] وهى من المدن التى جميع اهلها اسماعيليّة فنزل عليها وحصرها فارسل صاحب قهستان الى غياث الدين يشكوا اخاه شهاب الدين ويقول بيننا عهدٌ فما الذى بدا منّا حتّى يحاصر بلدى واشتدّ خوف الاسماعيليّة الذين بالمدينة من شهاب الدين فطلبوا الامان ليخرجوا منه فامّنهم واخرجهم وملك المدينة وسلّمها الى بعض الغوريّة فاقام بها الصلوات وشعار الاسلام ورحل شهاب الدين فنزل على حصن اخر للاسماعيليّة فوصل اليه رسول اخيه غياث الدين فقال الرسول معى تقدّمٌ من السلطان فلا يجرى حردٌ ان فعلتَه فقال لا ارحل قال اذن افعل ما امرنى قال افعل فسلّ سيفه وقطع اطناب سرادق شهاب الدين وقال ارحل بتقدّم السلطان فرحل شهاب الدين والعسكر وهو كاره الى بلد الهند ولم يُقم بغزنة غضبًا لما فعله اخوه معه ✿

ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما

فى هذه السنة ايضًا تجهّز نور الدين ارسلان صاحب الموصل وجمع عساكره وسار الى بلاد الملك العادل بالجزيرة حرّان والرُّها وكان سبب حركته انّ الملك العادل لمّا ملك مصر على ما ذكرناه قبلُ اتّفق نور الدين والملك الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وغيرها على ان يكونوا يدًا واحدة متّفقين على منع العادل عن قصد احدهم فلمّا تجدّد حركة الافضل والظاهر ارسلان الى نور الدين ليقصد البلاد الجزريّة فسار عن الموصل فى شعبان من هذه السنة وسار معه ابن عمّه قطب الدين محمّد بن عماد الدين زنكى صاحب سنجار ونصيبين وصاحب ماردين ووصل الى راس العين وكان الزمان قيظًا فكثرت الامراض فى عسكره وكان بحرّان ولدُ العادل يُلقّب بالملك الفايز ومعه عسكر يحفظ البلاد فلمّا وصل نور

---

[1]) C. P.: كناباد 740: كناباد Ups.: كعاباد

الدين الى راس العين جآءت رسل القاهر ومن معه من اكابر الامرآء يطلبون الصلح ويرغبون فيه وكان نور الدين قد سمع بانّ الصلح بدا يتمّ بين الملك العادل والملك الظاهر والافضل وانضاف الى ذلك كثرة الامراض في عسكره فاجاب اليه وحلّف الملك القاهر ومن عنده من اكابر الامرآء على القاعدة التى استقرّت وحلفوا انّهم يحلّفون الملك العادل له فان امتنع كانوا معه عليه وحلف هو للملك العادل وسارت الرسل من عنده ومن عند ولده في طلب اليمين من العادل فاجاب الى ذلك وحلف له واستقرّت القاعده وامنت البلاد وعاد نور الدين الى الموصل في ذى القعدة من السنة ۞

ذكر مُلك شهاب الدين نهرواله[1]

لمّا سار شهاب الدين من خراسان على ما ذكرناه لم يُقم بغزنة وقصد بلاد الهند وارسل مملوكه قطب الدين ايبك الى نهرواله[1] فوصلها سنة ثمان وتسعين فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالاً شديدًا فهزمهم ايبك واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدوابّ وغيرها وتقدّم الى نهرواله[1] فملكها عنوة وهرب ملكها فجمع وحشد فكثر جمعه وعلم شهاب الدين انّه لا يقدر على حفظها الّا بان يقيم هو فيها ويخليها من اهلها ويتعذّر عليه ذلك فانّ البلد عظيم هو اعظم بلاد الهند واكثرهم اهلاً فصالح صاحبها على مال يؤدّيه اليه عاجلاً وآجلاً واعاد عساكره عنها وسلّمها الى صاحبها ۞

ذكر مُلك ركن[2] الدين ملطيّة من اخيه وارزن الروم

في هذه السنة في شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطيّة وكانت لاخيه معزّ الدين قيصر شاه فسار اليه وحصره ايّامًا وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك بن محمّد بن صليق وهم بيتٌ قد ملكوا هذه ارزن الروم مدّة طويلة فلمّا سار اليها وقاربها خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرّر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده واخذ البلد وكان هذا اخر اهل بيته ملكوا فتبارك الله الحيّ القيوم الذى لا يزول ملكه ابدًا سرمدًا ۞

1) 740. C. P.: نهرواره Ups.: نهرواكه   2) نور

ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك اخيه محمود

فى هذه السنة توفّى قطب الدين سقمان بن محمّد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لهذا اخيه والنفور عنه قد ابعده وانزله حصن منصور فى اخر بلادهم واتّخذ مملوكًا اسمه اياس فزوّجه اخته واحبّه حُبًّا شديدًا وجعله ولىّ عهده فلمّا توفّى ملك بعده عدّة ايّام وتهدّد وزيرًا كان لقطب الدين وغيره من امرآء الدولة فارسلوا الى اخيه محمود سرًّا يستدعونه فسار مجدًّا فوصل الى آمد وقد سبقه اليها اياس مملوك اخيه فلم يقدم على الامتناع فتسلّم محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك فبقى مدّة محبوسًا ثمّ شفع له صاحب بلاد الروم فأُطلق من الحبس وسار الى الروم فصار اميرًا من امرآء الدولة ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اشتدّ الغلآء بالبلاد المصريّة لعدم زيادة النيل وتعذّرت الاقوات حتّى اكل الناس الميتة واكل بعضهم بعضًا ثمّ لحقهم عليه وبآء وموت كثير افنى الناس ٭ وفى شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة كلّها والشام ومصر وغيرها فاثّرت فى الشام اثارًا قبيحة وخرّبت كثيرًا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بُصرى واثّرت فى الساحل الشامىّ اثرًا كثيرًا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكّا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة الى بلد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورًا ٭ وفيها ولد ببغداد طفل له راسان وذلك انّ جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل ٭ وفى هذه السنة فى شهر رمضان توفّى ابو الفرج عبد الرحمن بن علىّ بن الجوزىّ الحنبلىّ الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة فى الناس لا سيّما فى العلمآء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة ٭ وفيه ايضًا توفّى عيسى بن نُصير النميرىّ الشاعر وكان حسن الشعر وله ادب وفضل وكان موته ببغداد ٭ وفيها توفّى العماد ابو عبد الله محمّد بن محمّد بن حامد بن محمّد اوّله باللام المشدّدة وهو العماد الكاتب الاصفهانىّ كتب لنور الدين محمود بن زنكى ولصلاح الدين يوسف بن ايّوب رضى الله عنهما

وكان كاتبًا مفلقًا قادرًا على القول ، وفيها جمع عبد الله بن حمزه العلوىّ المتغلّب على جبال اليمن جموعًا كثيرة فيها اثنا عشر الف فارس ومن الرجّالة ما لا يحصى كثرةً وكان قد انضاف اليه من جند المعزّ بن اسمعيل بن سيف الاسلام طغدكين بن ايّوب صاحب اليمن خوفًا منه وابغضوا مُلك البلاد واقتسموها وخافهم ابن سيف الاسلام خوفًا عظيمًا فاجتمع قوّاد عسكر ابن حمزه ليلًا ليتّفقوا على راى يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثنى عشر قايدًا فنزلت عليهم صاعقة اهلكتهم جميعهم فاتى الخبر ابن سيف الاسلام فى باقى الليلة بذلك فسار اليهم مجدًّا فاوقع بالعسكر المجتمع فلم يثبتوا له وانهزموا بين يديه ووضع السيف فيهم وقُتل منهم ستّة الاف قتيل او اكثر من ذلك وثبت مُلكه واستقرّ امره ، وفيها وقع فى بنى عنزة بارض الشراة بين الحجاز واليمن وبآء عظيم وكانوا يسكنون فى عشرين قرية فوقع الوبآء فى ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم احد وكان الانسان اذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقى ابلهم واغنامهم لا مانع لها وامّا القريتان الاخريان فلم يمت فيها احد ولا احسّوا بشىٓ ممّا كان فيه اولىك ✿

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسماية ، سنة ٥٩٨

ذكر مُلك خوارزم شاه ما كان اخذه الغوريّة من بلاده

قد ذكرنا فى سنة سبع وتسعين مُلك غياث الدين واخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمّد بن تكش بخراسان مرو ونيسابور وغيرهما وعودهما عنها بعد ان اقطعا البلاد ومسير شهاب الدين الى الهند فلمّا اتّصل بخوارزم شاه علآء الدين محمّد بن تكش عود العساكر الغوريّة عن خراسان ودخول شهاب الدين الهند ارسل الى غياث الدين يعاتبه ويقول كنتُ اعتقد ان يحلف علىّ بعد ابى وأن تنصرنى على الخطا وتردّهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا اقلّ من ان لا تؤذينى وتاخذ بلادى والذى اريده ان تعيد ما اخذته منّى الىّ والّا انتصرتُ عليك بالخطا وغيرهم من الاتراك ان عجزت عن اخذ بلادى فانّنى انّما شغلنى عن منعكم عنها الاشتغال بعزآء والدى وتقرير امر بلادى والّا فما انا بعاجز عنكم

وعن اخذ بلادك خراسان وغيرها ، فعالطه غياث الدين فى الجواب ليمهّد الايّام بالمراسلات ويخرج اخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر فانّ غياث الدين كان عاجزًا باستيلاءِ النقرس عليه ، فلمّا وقف خوارزم شاه على رسالة غياث الدين ارسل الى علاء الدين الغوريّ نايب غياث الدين بخراسان يامره بالرحيل عن نيسابور ويتهدّده ان لم يفعل فكتب علاء الدين الى غياث الدين بذلك ويعرّفه ميل اهل البلد الى الخوارزميّين فاعاد غياث الدين جوابه يقوّى قلبه ويَعِده النصرة والمنع عنه ، وجمع خوارزم شاه عساكره وسار عن خوارزم نصف ذى الحجّة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلمّا قارب نسا وابيورد هرب هندوخان بن اخى ملكشاه من مروَ الى غياث الدين بفيروزكوه وملك خوارزم شاه مدينة مرو وسار الى نيسابور وبها علاء الدين فحصره وقاتله قتالاً شديدًا وطال مقامه عليها وراسله غير مرّة فى تسليم البلد اليه وهو لا يجيب الى ذلك انتظارًا للمدد من غياث الدين فبقى نحو شهرَيْن فلمّا ابطا عليه النجدة ارسل الى خوارزم شاه يطلب الامان لنفسه ولمن معه من الغوريّة وانّه لا يتعرّض اليهم بحبس ولا غيره من الاذى فاجابه الى ذلك وحلف لهم وخرجوا من البلد واحسن خوارزم شاه اليهم ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة وطلب من علاء الدين ان يسعى فى الصلح بينه وبين غياث الدين واخيه فاجابه الى ذلك وسار الى هراة وفيها اقطاعه ولم يمض الى غياث الدين تجنّبًا عليه لتاخّر امداده ولمّا خرج الغوريّة من نيسابور احسن خوارزم شاه الى الحسين بن خرميل وهو من اعيان امرآئهم زيادةً على غيره وبالغ فى اكرامه فقيل ان من ذلك اليوم استحلفه لنفسه وان يكون معه بعد غياث الدين واخيه شهاب الدين ، ثمّ سار خوارزم شاه الى سرخس وبها الامير زنكى فحصره اربعين يومًا وجرى بين الفريقَيْن حروبٌ كثيرة فضاقت الميرة على اهل البلد لا سيّما الحطب فارسل زنكى الى خوارزم شاه يطلب منه ان يتاخّر عن باب البلد حتّى يخرج هو واصحابه ويترك البلد له فراسله خوارزم شاه فى الاجتماع به ليُحسن اليه والى مَن معه فلم يُجبه الى ذلك واحتجّ بقرب نسبه من غياث الدين فابعد خوارزم شاه عن باب البلد بعساكره فخرج زنكى فاخذ من الغلّات وغيرها التى فى المعسكر ما اراد

لا سيّما من الحلب وعاد الى البلد واخرج منه مَن كان قد صار بيده
الامر وكتب الى خوارزم شاه العود اجمد فندم حيث لم ينفعه الندم
ورحل عن البلد وترك عليه جماعة من الامراء يحصرونه، فلمّا ابعد
خوارزم شاه سار محمّد بن جربك[1] من الطالقان وهو من امراء الغوريّة
وارسل الى زنكى امير سرخس يُعرّفه انّه يريد يكبس الخوارزميّين لئلّا ينزعج
اذا سمع الغلبة وسمع الخوارزميّون الخبر ففارقوا سرخس وخرج زنكى ولقى
محمّد بن جربك[2] وعسكرًا فى مرو الروذ واخذ خراجها وما يجاورها فسيّر
اليهم خوارزم شاه عسكرًا مع حاله فلقيهم محمّد بن جربك[1] وقاتلهم وحمل
بلْتّ فى يده على صاحب علم الخوارزميّة فصرعه فقتله والقى علمهم وكسر
كوساتهم فانقطع صوتها عن العسكر ولم يروا اعلامهم فانهزموا وركبهم الغوريّة
قتلًا واسرًا نحو فرسخين فكانوا ثلاثة آلاف فارس وابن جربك[3] فى تسع
مائة فارس وغنم جميع معسكرهم فلمّا سمع خوارزم شاه ذلك عاد الى
خوارزم وارسل الى غياث الدين فى الصلح فاجابه عن رسالة مع امير
كبير من الغوريّة يقال له الحسين بن محمّد المرغنيّ ومرغن من قُرى
الغور فقبض عليه خوارزم شاه ❁

ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها

لمّا ارسل خوارزم شاه الى غياث الدين فى الصلح واجابه عن رسالته
مع الحسين المرغنيّ مغالطًا قبض خوارزم شاه على الحسين وسار الى هراة
ليحاصرها فكتب الحسين الى اخيه عمر بن محمّد المرغنيّ امير هراة يخبره
بذلك فاستعدّ للحصار، وكان سبب قصد خوارزم شاه حصار هراة انّ
رجلين اخوين ممّن كان يخدم محمّدًا سلطان شاه اتّصلا بغياث الدين
بعد وفاة سلطان شاه فاكرمهما غياث الدين واحسن اليهما يقال لاحدهما
الامير الحاجّى فكتبا خوارزم شاه واطمعاه فى البلد وضمنا له تسليمه اليه
فسار لذلك ونازل المدينة وحصرها فسلّم الامير عمر المرغنيّ امير البلد
مفاتيح الابواب اليهما وجعلهما على القتال ثقةً منه بهما وظنًّا منه انّهما
عدوّا خوارزم شاه تكش وابنه محمّد بعده فاتّفق انّ بعض الخوارزميّة

1) تربك 2) حرنك 3) حرنك

اخبر الحسين المرغنىّ عند خوارزم شاه بحال الرجلَين وانّهما هما اللذان يدبّران خوارزم شاه ويامرانه بما يفعل فلم يصدّقه واتاه بخطّ الامير حاجّى فاخذه وارسله الى اخيه عمر امير هراة فاخذهما واعتقلهما واخذ اصحابهما ٭ ثمّ انّ الب غازى وهو ابن اخت غياث الدين جآء فى عسكر من الغوريّة فنزل على خمسة فراسخ من هراة فكان يمنع الميرة عن عسكر خوارزم شاه ثمّ انّ خوارزم شاه سيّر عسكرًا الى اعمال الطالقان للغارة عليها فلقيهم الحسن بن جربك[1] فقاتلهم فظفر بهم فلم يُفلت منهم احد وسار غياث الدين عن فيروزكوه الى هراة فى عسكره فنزل برباط زربن بالقرب من هراة ولم يقدم على خوارزم شاه لقلّة عسكره لانّ اكثر عساكره كانت مع اخيه بالهند وغزنة فاقام خوارزم شاه على هراة اربعين يومًا وعزم على الرحيل لانّه بلغه انهزام اصحابه بالطالقان وقرْب غياث الدين وكذلك ايضًا قرْب الب غازى وسمع ايضًا انّ شهاب الدين قد خرج من الهند الى غزنة وكان وصوله اليها فى رجب من هذه السنة فخاف ان يصل بعساكره فلا يمكنه المقام على البلد فارسل الى امير البلد عمر المرغنىّ فصالحه على مال حمله اليه وارتحل عن البلد ٭ وامّا شهاب الدين فانّه لمّا وصل الى غزنة بلغه الخبر بما فعله خوارزم شاه بخراسان ومُلكه لها فسار الى خراسان فوصل الى بلخ ومنها الى باميان[2] ثمّ الى مرو عازمًا على حرب خوارزم شاه وكان نازلًا هناك فالتقت اوايل عسكريهما واقتتلوا قتالًا شديدًا فقُتل من الفريقَين خلق كثير ثمّ انّ خوارزم شاه ارتحل عن مكانه شبْه المنهزم وقطع القناطر وقتل الامير سنجر صاحب نيسابور لانّه اتّهمه بالمخامرة عليه وتوجّه شهاب الدين الى طوس فاقام بها تلك الشتوة على عزم المسير الى خوارزم ليحصرها فاتاه الخبر بوفاة اخيه غياث الدين فقصد هراة وترك ذلك العزم ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة درّس مجد الدين ابو علىّ يحيى بن الربيع الفقيه الشافعىّ بالنظاميّة ببغداد فى ربيع الاوّل ٭ وفيها توفّيت بنفشه جارية الخليفة

---

[1] حرنك (
[2] ناميان (

المستنصر بامر الله وكان كثير الميل اليها والمحبّة لها وكانت كثيرة المعروف والاحسان والصدقة، وفيها ايضًا توفّى الخطيب عبد الملك بن زيد الدَّوْلَعِىّ خطيب دمشق وكان فقيهًا شافعيًّا والدولعيّة قرية من اعمال الموصل ۞

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسماية، سنة ٥٩٩

ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها

فى هذه السنة فى المحرّم سيّر الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب دمشق ومصر عسكرًا مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وشحنوا على اعمالها وانضاف اليه عسكر الموصل وسنجار وغيرهما ونزلوا بحَرْزَم[1] تحت ماردين ونزل عسكر من قلعة البارعيّة[2] وهى لصاحب ماردين يقطعون الميرة عن العسكر العادلىّ فسار اليهم طايفة من العسكر العادلىّ فاقتتلوا فانهزم عسكر البارعيّة[2] وثار التركمان وقطعوا الطريق فى تلك الناحية واكثروا الفساد فتعذّر سلوك الطريق الّا لجماعة من ارباب السلاح فسار طايفة من العسكر العادلىّ الى راس العين لاصلاح الطرق وكفّ عادية الفساد واقام ولد العادل ولم يحصل له غرض فدخل الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب فى الصلح بينهم وارسل الى عمّه العادل فى ذلك فاجاب اليه على قاعدة ان يحمل له صاحب ماردين مائة وخمسين الف دينار فجاء صرف الدينار احد عشر قيراطًا من اميرى ويخطب له ببلاده ويضرب اسمه على السكّة ويكون عسكره فى خدمته اىّ وقت طلبه واخذ الظاهر عشرين الف دينار من النقد المذكور وقرية القرادىّ من اعمال شبختان[3] فرحل ولد العادل عن ماردين ۞

ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشىء من سيرته

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفّى غياث الدين ابو الفتح محمّد بن سام الغورىّ صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها واخفيت وفاته وكان اخوه شهاب الدين بطوس عازمًا على قصد خوارزم شاه فاتاه الخبر بوفاة اخيه فسار الى هراة فلمّا وصل اليها جلس للعزآء باخيه فى رجب واظهر وفاته حينئذ وخلّف غياث الدين من الولد ابنًا اسمه محمود لُقّب بعد

[1] C. P.: حرزم Ups.: سحمار [2] C. P. Ups.: البارعيه [3] C. P. نشنحسان

موت ابيه غياث الدين وسنورد من اخباره كثيرًا، ولمّا سار شهاب الدين
من طوس استخلف بمرو الامير محمّد بن جربك[1] فسار اليه جماعة من
الامرآء الخوارزميّة فخرج اليهم محمّد ليلًا وبيّتهم فلم ينج منهم الّا القليل
وانفذ الاسرى والرؤس الى هراة وامر شهاب الدين بالاستعداد لقصد خوارزم
على طريق الرمل وجهّز خوارزم شاه جبشًا وسيّرهم مع برفور[2] التركيّ
الى قتال محمّد بن حربك[3] فسمع بهم فخرج اليهم ولقيهم على عشرة فراسخ
من مرو فاقتتلوا قتالًا شديدًا قُتل بين الفريقين خلق كثير وانهزم الغوريّة
ودخل محمّد بن حربك[3] مروَ فى عشرة فرسان وجآء الخوارزميّون فحصروه
خمسة عشر يومًا فضعُف عن الحفظ فارسل فى طلب الامان فحلفوا له
ان خرج اليهم على حكمهم انّهم لا يقتلونه فخرج اليهم فقتلوه واخذوا كلّ
ما معه، وسمع شهاب الدين الخبر فعظم عليه وتردّدت الرسل بينه وبين
خوارزم شاه فلم يستقرّ الصلح واراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة
ابن اخيه الب غازى وفلك الملك علآء الدين محمّد بن آبى علىّ الغورىّ
على مدينة فيروزكوه وجعل اليه حرب خراسان وامر كلّ ما يتعلّق
بالمملكة واتاه محمود بن اخيه غياث الدين فولّاه مدينة بُست واسفرار وتلك
الناحية وجعله بمعزل من المُلك جميعه ولم يحسن الخلافة عليه بعد ابيه
ولا على غيره من اهله فى حمله فعله انّ غياث الدين كانت له زوجة
كانت مغنّية فهويها وتزوّجها فلمّا مات غياث الدين قبض عليها وضربها
ضربًا مُبرّحًا وضرب ولدها غياث الدين وزوّج اختها واخذ اموالهم واملاكهم
وسيّرهم الى بلد الهند فكانوا فى اقبح صورة وكانت قد بنَتْ مدرسة
ودفنت فيها اباها وامّها واخاها فهدمها ونبش قبور الموتى ورمى بعظامهم
منها، وامّا سيرة غياث الدين واخلاقه فانّه كان مُظفّرًا منصورًا فى حروبه
لم تنهزم له رايةٌ قطّ وكان قليل المباشرة للحروب وانّما كان له دهآء ومكرٌ
وكان جوادًا حسن الاعتقاد كثير الصدقات والوقوف بخراسان بنى المساجد
والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعىّ وبنى الخانكاهات فى الطرق واسقط المكوس
ولم يتعرّض الى مال احد من الناس ومن مات ببلده يسلّم ماله الى اهل

---

1) حربك 2) ىمعور 3) حربك

بلده من التجار فان لم يجد احدًا يسلّمه الى القاضى ويختم عليه الى ان يصل من ياخذه بمقتضى الشرع وكان اذا وصل الى بلد عمّ احسانه اهله والفقهآء واهل الفضل يخلع عليهم ويفرض لهم الاعطيات كلّ سنة من خزائنه ويفرق الاموال فى الفقرآء وكان يراعى كلّ مَن وصل الى حضرته من العلويّين والشعرآء وغيرهم وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خطّ وبلاغة وكان رحمه الله ينسخ المصاحف بخطّه ويوقفها فى المدارس التى بناها ولم يظهر منه تعصّبٌ على مذهب ويقول التعصّب فى المذاهب من الملك قبيحٌ الّا انّه كان شافعىّ المذهب فهو يميل الى الشافعيّه من غير ان يطمعهم فى غيرهم ولا اعطاهم ما ليس لهم ۞

ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل

فى هذه السنه اخذ الظاهر غازى قلعة نجم من اخيه الافضل وكانت فى جملة ما اخذ من العادل لمّا صالحه سنه سبع وتسعين فلمّا كان هذه السنة اخذ العادل من الافضل سَروج وحملين وراس العين وبقى بيده سميساط وقلعة نجم فارسل الظاهر اليه يطلب منه قلعة نجم وضمن له انّه يشفع الى عمّه العادل فى اعاده ما اخذ منه فلم يُعْطه فتهدّده بان يكون إلبًا عليه ولم تزل الرسل تتردّد حتّى سلّمها اليه فى شعبان وطلب منه ان يعوّضه قُرًى او مالًا فلم يفعل وكان هذا من اقبح ما سُمع عن ملك يراحم اخاه فى مثل قلعة نجم مع خسّتها وحقارتها وكثرة بلاده هو وعدمها لاخيه ، وامّا العادل فانّه لمّا اخذ سَروج وراس العين من الافضل ارسل والدتَه اليه لتسال فى ردّها فلم يشفّعها وردّها خايبة ولقد عوقب البيت الصلاحىّ بما فعله ابوهم مع البيت الاتابكىّ فانّه لمّا قصد حصار الموصل سنة ثمانين وخمسماية ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عمّ نور الدين اليه يسالانه ان يعود فلم يشفّعهما فجرى لاولاده هذا ورُدّت زوجتُه خايبة كما فعل ، ولمّا راى الافضل عمّه واخاه قد اخذا ما كان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب ملطيّة وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون فى خدمته ويخطب له ببلده ويضرب السكّة باسمه فاجابه ركن الدين الى ذلك وارسل له خلعة فلبسها الافضل وخطب له بسميساط فى سنة ستّمأيه وصار فى جملته ۞

ذكر ملك الكرج مدينة دوين

فى هذه السنة استولى الكرج على مدينة دوين من اذربيجان ونهبوها واستباحوها واكثروا القتل فى اهلها وكانت هى وجميع بلاد اذربيجان للامير ابى بكر بن البهلوان وكان على عادته مشغولًا بالشرب ليلًا ونهارًا لا يفيق ولا يصحوا ولا ينظر فى امر مملكته ورعيّته وجنده قد القى الجميع عن قلبه وسلك طريق مَن ليس له علاقة وكان اهل تلك البلاد قد اكثرت الاستغاثة اليه واعلامه بقصد الكرج بلادهم بالغارة مرّة بعد اخرى فكانّهم ينادون صخرة صمّآء فلمّا حصر الكرج هذه السنة مدينة دوين سار منهم جماعة يستغيثون فلم يُغثهم وخوّفه جماعة من امرآئه عاقبة اهماله وتوانيه واصراره على ما هو فيه فلم يصْغ اليهم فلمّا طال الامر على اهلها ضعفوا وعجزوا واخذهم الكرج عنوةً بالسيف وفعلوا ما ذكرنا ثمّ انّ الكرج بعد ان استقرّ امرهم بها احسنوا الى مَن بقى من اهلها فالله تعالى ينظر الى المسلمين ويسهّل لثغورهم مَن يحفظها ويحميها فانّها مستباحة لا سيّما هذه الناحية فانّا لله وانّا اليه راجعون فلقد بلغنا من فعل الكرج باهل دوين من القتل والسبى والامر ما تقشعرّ منه الجلود ۞

ذكـــر عـــدّة حـــوادث

فى هذه السنة احضر الملك العادل محمّدًا ولد العزيز صاحب مصر الى الرّها وذلك انّه لمّا قطع خُطبته من مصر سنة ستّ وتسعين كما ذكرناه خاف شيعة ابيه ان يجتمعوا عليه ويصير له معهم فتنة فاخرجه سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثمّ نقله هذه السنة الى الرّها فاقام بها ومعه جميع اخوته واخواته ووالدته ومَن يخصّه ۞ وفيها فى رجب توفّى الشيخ وجيه الدين محمّد بن محمود المروروذىّ الفقيه الشافعىّ وهذا الذى كان السبب فى ان صار غياث الدين شافعيًّا ۞ وفى ربيع الاوّل منها توفّى ابو الفتح عبيد الله بن ابى المعمّر الفقيه الشافعىّ المعروف بالمُسْتَمْلى ببغداد وله خطّ حسن ۞ وفى ربيع الاخر توفّيت زمرّد خاتون امّ الخليفة الناصر لدين الله وأُخرجت جنازتها ظاهرة وصلّى الخلف الكثير عليها ودُفنت فى التربة التى بنتْها لنفسها وكانت كثيرة المعروف ۞

ثم دخلت سنة ستّماية

سنة ٦٠٠

ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية

في هذه السنة اوّل رجب وصل خوارزم شاه محمّد الى مدينة هراة فحصرها وبها البب غازى ابن اخت شهاب الدين الغورىّ ملك غزنة بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين في الصلح فلم يتمّ وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاوور[1] عازمًا على غزو الهند فاقام خوارزم شاه على حصار هراة الى سلخ شعبان وكان القتال دايمًا والقتل من الفريقين كثيرًا وممّن قُتل رئيس خراسان وكان كبير القدر يقيم بمشهد طوس ، وكان الحسين[2] ابن خرميل[3] بكرزبان[4] وهي اقطاعه فارسل الى خوارزم شاه يقول له ارسل الىّ عسكرًا لُسلّم اليهم الفيله وخزانة شهاب الدين فارسل اليه الف فارس من اعيان عسكره الى كرزبان[5] فخرج عليه هو والحسين بن محمّد المرغنىّ فقتلوهم الّا القليل فبلغ الخبر الى خوارزم شاه فسقط ما في يديه وندم على انفاذ العسكر وارسل الى البب غازى يطلب منه ان يخرج اليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانيّة ليرحل عنه فلم يجبه الى ذلك فاتّفق انّ البب غازى مرض واشتدّ مرضه فخاف ان يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد فاجاب الى ما طلب منه واستحلفه على الصلح واهدى له هدية جليلة وخرج من البلد ليخدمه فسقط الى الارض ميّتًا ولم يشعر احدٌ بذلك وارتحل خوارزم شاه عن البلد واحرق[6] المجانيق وسار الى سرخس فاقام بها ☆

ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا

في هذه السنة في رمضان عاد شهاب الدين الغورىّ الى خراسان من قصد الهند وسبب ذلك انّه بلغه حصر خوارزم شاه هراة وموت البب غازى نايبه بها فعاد حنقًا على خوارزم شاه فلمّا بلغ ميمند[7] عدل على طريق اخرى قاصدًا الى خوارزم فارسل خوارزم شاه يقول له ارجع الىّ لاحاربك والّا سرتُ الى هراة ومنها الى غزنة وكان خوارزم شاه قد سار

---

1) لهاووز 2) لحسن 3) خرمبل 4) سحرزبان
5) حرزبان 6) C. P. Ups.: واخرج 7) ممنه

من سرخس الى مرو فاقام بظاهرها فاعاد اليه شهاب الدين جوابه لعلّك تنهزم كما فعلتَ تلك الدفعة لكنّ خوارزم تجمعنا ففرّق خوارزم شاه عساكره واحرق ما جمعه من العلف ورحل يسابق شهاب الدين الى خوارزم فسبقه اليها فقطع الطريق واجرى المياه فيها فتعذّر على شهاب الدين سلوكها واقام اربعين يومًا يصلحها حتّى امكنه الوصول الى خوارزم والتقى العسكران بسوبرا ومعناه المآء الاسود فجرى بينهم قتال شديد كثر القتلى فيه بين الفريقَين وممّن قُتل من الغوريّة الحسين المرغنيّ وغيره وأُسر جماعة من الخوارزميّة فامر شهاب الدين بقتلهم فقُتلوا ٭ وارسل خوارزم شاه الى الاتراك الخطا يستنجدهم وهم حينئذ اصحاب ما ورآء النهر فاستعدّوا وساروا الى بلاد الغوريّة ٭ فلمّا بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم فلقى اوايلهم فى صحرآء اندخوى اوّل صفر سنة احدى وستّمائة فقتل فيهم واسر كثيرًا فلمّا كان اليوم الثانى دهمه من الخطا ما لا طاقة له بهم فانهزم المسلمون هزيمة قبيحة وبقى شهاب الدين فى نفر يسير وقتل بيده اربعة افيال له لانّها اعيت واخذ الكفّار فيلَين ودخل شهاب الدين اندخوى فيمن معه وحصره الكفّار ثمّ صالحوه على ان يُعطيهم فيلًا اخر ففعل وخلص ووقع الخبر فى جميع بلاده بانّه قد عُدم وكثرت الاراجيف بذلك ثمّ وصل الى الطالقان فى سبعة نفر وقد قُتل اكثر عسكره ونُهبت خزاينه جميعها فلم يبق منها شىٌ فاخرج له الحسين بن خرميل صاحب الطالقان خيامًا وجميع ما يحتاج اليه وسار الى غزنة واخذ معه الحسين بن خرميل لانّه قيل له عنه انّه شديد الخوف لانهزامه وانّه قال اذا سار السلطان هربتُ الى خوارزم شاه فاخذه معه وجعله امير حاجب ٭ ولمّا شاع الخبر بقتل شهاب الدين جمع تاج الدين الدز وهو مملوك اشتراه شهاب الدين اصحابه وقصد قلعة غزنة ليصعد اليها فمنعه مستحفظها فعاد الى داره فاقام بها وافسد الخلج وساير المفسدين فى البلاد وقطع الطرق وقتلوا كثيرًا فلمّا عاد شهاب الدين الى غزنة بلغه ما فعله الدز فاراد قتله فشفع فيه ساير المماليك فاطلقه ثمّ اعتذر وسار شهاب الدين فى البلاد فقتل من المفسدين من تلك الامم نفرًا كثيرًا ٭ وكان له ايضًا مملوك اخر اسمه

ابك بال تر[1] فسلم من المعركة ولحق بالهند ودخل المولتان[2] وقتل نائب
السلطان بها وملك البلد واخذ الاموال السلطانيّة واسآء السيرة فى الرعيّة
واخذ اموالهم وقال قُتل السلطان واما السلطان وكان يحمله على ذلك
ويُحسّنه له انسان اسمه عمر بن برّان[3] وكان زنديقًا ففعل ما امره وجمع
المفسدين واخذ الاموال فاخاف الطريق فبلغ خبره الى شهاب الدين فسار
الى الهند وارسل اليه عسكرًا فاخذوه ومعه عمر بن [برّان] فقتلهما اقبح
قتلة وقتل مَن وافقهما فى جمادى الاخرة من سنة احدى وستّمائة ولمّا
رءاهم قتلى قرأ إِنَّمَا جَزَآءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوٓا أَوْ يُصَلَّبُوا الاية[4]، وامر شهاب الدين فى جميع بلاده
بالتجهّز لقتال الخطا وغزوهم والاخذ بثارهم ، وقيل كان سبب انهزامه انّه لمّا
عاد الى الخطا من خوارزم فرّق عسكره فى المفازة التى فى طريقه لقلّة المآء
وكان الخطا قد نزلوا على طرف المفازة فكلّما خرج من اصحابه طايفة فتكوا
فيهم بالقتل والاسر ومَن سلم من عسكره انهزم نحو البلاد ولم يرجع اليه
احد يُعلم الحال وجآء شهاب الدين فى ساقة العسكر فى عشرين الف
فارس ولم يَعلم الحال فلمّا خرج من البرّيّة لقيه الخطا مستريحين وهو ومَن
معه قد تعبوا واعيوا وكان الخطا اضعاف اصحابه فقاتلهم عامّة نهاره وحمى
نفسه منهم وحصروه فى اندخوى[5] فجرى بينهم فى عدّة ايّام اربعة عشر
مصافًّا منها مصافّ واحد كان من العصر الى الغد بكرة ثمّ انّه بعد
ذلك سيّر طايفة من عسكره ليلًا سرًّا وامرهم ان يرجعوا اليه بكرة كانّهم
قد اتوه مددًا من بلاده فلمّا فعلوا ذلك خافه الخطا وقال لهم صاحب
سمرقند وكان مسلمًا وهو فى طاعة الخطا وقد خاف على الاسلام والمسلمين
إن هم ظفروا بشهاب الدين فقال لهم انّ هذا الرجل لا تجده قطّ اضعف
منه لمّا خرج من المفازة ومع ضعفه وتعبه وقلّة مَن معه لم نظفر به والامداد
اتته وكانّكم بعساكره وقد اقبلت من كلّ طريق وحينئذ نطلب الخلاص
منه فلا نقدر عليه والراى لنا الصلح معه فاجابوا الى ذلك فارسلوا اليه
فى الصلح وكان صاحب سمرقند قد ارسل اليه وعرّفه الحال سرًّا وامره

1) C. P.: باك بر 2) المولتان 3) C. P.: برّان 4) Cor. 5, 37.
5) اندخرى

باظهار الامتناع من الصلح اوّلاً والاجابة اليه اخيرًا فلمّا اتته الرسل امتنع واظهر القوّة بانتظار الامداد وطال الكلام فاصطلحوا على انّ الخطا لا يعبرون النهر الى بلاده ولا يعبر الى بلادهم ورجعوا عنه وخلص هو وعاد الى بلاده والباقى نحو ما تقدّم ٭

ذكر قتل طائفة من الاسماعيليّة بخراسان

فى هذه السنة وصل رسول الى شهاب الدين الغوريّ من عند مقدّم الاسماعيليّة بخراسان برسالة انكرها فامر علآء الدين محمّد ابن ابى علىّ متولّى بلاد الغوريّة بالمسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار فى عساكر كثيرة الى قهستان وسمع به صاحب زوزن فقصده وسار معه وفارق خدمة خوارزم شاه ونزل علآء الدين على مدينة قاين[1] وهى للاسماعيليّة وحصرها وضيّق على اهلها ووصل خبر قتل شهاب الدين على ما نذكره فصالح اهلها على ستّين الف دينار ركنيّة ورحل عنهم وقصد حصن كاخك فاخذه وقتل المقاتلة وسبى الذرّيّة ورحل الى هراة ومنها[2] [الى][3] فيروزكوه ٭

ذكر مُلك القسطنطينيّة من الروم

فى هذه السنة فى شعبان ملك الفرنج مدينة القسطنطينيّة من الروم وازالوا مُلك الروم عنها وكان سبب ذلك انّ ملك الروم بها تزوّج اخت ملك افرنسيس وهو من اكبر ملوك الفرنج فرُزق منها ولدًا ذكرًا ثمّ وثب على الملك اخٌ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينَيْه وسجنه فهرب ولده ومضى الى خاله مستنصرًا به على عمّه فاتّفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدّس فاخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينيّة قصدًا لاصلاح الحال بينه وبين عمّه ولم يكن له طمع فى سوى ذلك فلمّا وصلوا خرج عمّه فى عساكر الروم محاربًا لهم فوقع القتال بينهم فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل انّ ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانّما حصروه فيها وكان بالقسطنطينيّة من الروم مَن يريد الصبىّ

---

1) قاين C. P. 2) C. P. Ups.: وقبها 3) C. P.

فالقوا النار فى البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابًا من ابواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربًا وجعل الفرنج المُلك فى ذلك الصبىّ وليس له من الحكم شىءٌ واخرجوا اباه من السجن انّما الفرنج هم الحكّام فى البلد فثقّلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم اموالاً عجزوا عنها واخذوا اموال البيَع وما فيها من ذهب ونقرة وغير ذلك حتّى ما على الصلبان وما هو على صورة المسيح عمّ والحواريّين وما على الاناجيل من ذلك ايضًا فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطبًا عظيمًا فعمدوا الى ذلك الصبىّ الملك فقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك فى جمادى الاولى سنة ستّمائة فاقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلاً ونهارًا وكان الروم قد ضعفوا ضعفًا كثيرًا فارسلوا الى السلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلاً وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين الفًا ولعظم البلد لا يظهر امرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه والقوا النار مرّة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايّام وفتكوا بالروم قتلاً ونهبًا فاصبح الروم كلّهم ما بين قتيل او فقير لا يملك شيئًا ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التى تُدْعَا سوفيا فجآء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسّلون بها الى الفرنج ليُبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة وكانوا ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحريّة وفى مراكبه ركبوا الى القسطنطينيّة وهو شيخ أعْمَى اذا ركب تُقاد فرسه والاخر يقال له المركيس وهو مقدّم الافرنسيس والاخر يقال له كند افلند وهو اكثرهم عددًا فلمّا استولى على القسطنطينيّة اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كند افلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملّكوه والله يؤتى مُلكه من يشآء وينزعه ممّن يشآء فلمّا خرجت القرعة عليه ملّكوه عليها وعلى ما يجاورها وتكون لدوقس البنادقة الجزائر البحريّة مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون لمركيس الافرنسيس البلاد التى هى شرقىّ الخليج مثل ازنيق ولاذيق

فلم يحصل لاحد منهم شئ غير الذى اخذ القسطنطينيّة واما الباقى فلم يسلم من به من الروم واما البلاد التى كانت لملك القسطنطينيّة شرقىّ الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان ومن جملتها ازنيق ولاذيق فانّها تغلّب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه لشكرى[1] وهى بيده الى ان توفّى ✿

ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادليّة

فى هذه السنة فى العشرين من شوّال انهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل من العساكر العادليّة وسبب ذلك انّ نور الدين كان بينه وبين عمّه قطب الدين محمّد بن زنكى صاحب سنجار وحشة مستحكمة اوّلا ثمّ اتّفقا وسار معه الى ميّافارقين سنة خمس وتسعين وقد ذكرناه فلمّا كان الآن ارسل الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب مصر ودمشق وبلاد الجزيرة الى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له لمّا سمع نور الدين ذلك سار الى مدينة نصيبين سلخ شعبان وهى لقطب الدين فحصرها وملك المدينة وبقيت القلعة فحصرها عدّة ايّام فبينما هو يحاصرها وقد اشرف على ان يتسلّمها اتاه الخبر انّ مظفّر الدين كوكبرى[2] بن زين الدين علىّ صاحب اربل قد قصد اعمال الموصل فنهب نينوى واحرق غلاتها فلمّا بلغه ذلك من نائبه المرتّب بالموصل يحفظها سار عن نصيبين الى الموصل على عزم العبور الى بلد اربل ونهبه جزآء بما فعل صاحبها ببلده فوصل الى مدينة بلد وعاد مظفّر الدين الى بلده وتحقّق نور الدين انّ الذى قيل له وقع فيه زيادة فسار الى تلّ اعفر من بلد وهى لصاحب سنجار وحصرها واخذها ورتّب امورها واقام عليها سبعة عشر يوما وكان الملك الاشرف موسى بن الملك العادل بن ايّوب قد سار من مدينة حرّان الى راس عين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين وقد اتّفق هو ومظفّر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على ذلك وعلى منع نور الدين من اخذ شئ من بلاده وكلّهم خائفون منه ولم يمكنهم الاجتماع

---

1) لشكرى 2) كوكبرى

وهو على نصيبين فلمّا فارقها نور الدين سار الاشرف الى حرّان واتاه اخوه نجم الدين صاحب ميّافارقين وصاحب الحصن وصاحب الجزيرة وصاحب دارا وساروا عن نصيبين نحو بلد البقعا قريبًا من بوشزى وسار نور الدين من تلّ اعفر الى كفر زمّار[1] وعزم على المطاولة ليتفرّقوا فاتاه كتاب من بعض مماليكه يسمّى جرديك[2] وقد ارسله يتجسّس اخبارهم فيعلّمهم في عدّته وبطمعه فيهم ويقول ان اذنت لى لقيتهم بمن معى[3] فسار حينئذ نور الدين الى بوشزى[4] فوصل اليها من الغد الظهر وقد تعبت دوابّه واصحابه ولقوا شدّة من الحرّ فنزل بالقرب منهم اقلّ من ساعة واتاه الخبر انّ عساكر الخصم قد ركبوا فركب هو واصحابه وساروا نحوهم فلم يروا لهم اثرًا فعاد الى خيامه ونزل هو وعساكره وتفرّق كثير منهم في القرى لتحصيل العلوفات وما يحتاجون اليه فجاءه من اخبره بحركة الخصم وقصده فركب نور الدين وعسكره وتقدّموا اليهم وبينهم نحو فرسخين فوصلوا وقد ازداد تعبهم والخصم مستريح فالتقوا واقتتلوا فلم تطل الحرب بينهم حتّى انهزم عسكر نور الدين وانهزم هو ايضًا وطلب الموصل فوصل اليها في اربعة انفس وتلاحق الناس واتى الاشرف ومن معه فنزلوا في كفر زمّار[1] ونهبوا البلاد نهبًا قبيحًا واهلكوا ما لم يصلح لهم لا سيّما مدينة بلد فانّهم احتشوا في نهبها ومن اعجب ما سمعنا انّ امراة كانت تطبخ فرات [النهب][5] فالقت سوارين كانا في يديها في النار وهربت فجاء بعض الجند ونهب ما في البيت فراى فيه بيضًا فاخذه وجعله في النار لياكله فحرّكه فراى السوارين فيها فاخذهما ٭ وطال مقامهم والرسل تتردّد في الصلح فوقع الامر على اعادة تلّ اعفر ويكون الصلح على القاعدة الاوّلة وتوقّف نور الدين في اعادة تلّ اعفر فلمّا طال الامر سلّمها اليهم واصطلحوا اوائل سنة احدى وستّمائة وتفرّقت العساكر من البلاد ٭

ذكر خروج الفرنج بالشام الى بلد الاسلام والصلح معهم

في هذه السنة خرج كثير من الفرنج في البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك لملكهم قسطنطينيّة وارسوا بعكّا وعزموا على قصد البيت

---

[1] زمار [2] C. P.: خردبك [3] C. P. Ups.: بجمعرد‌مى
[4] نوسرى [5] C. P.

المقدّس حرسها الله واستنقاذه من المسلمين فلما استراحوا بعكّا ساروا
فنهبوا كثيرًا من بلاد الاسلام بنواحى الاردنّ وسبوا وقتلوا فى المسلمين
وكان الملك العادل بدمشق فارسل فى جمع العساكر من بلاد الشام ومصر
وسار فنزل عند الطور بالقرب من عكّا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام
ونزل الفرنج بمرج عكّا واغاروا على كفركنّا فاخذوا كلّ من بها واموالهم
والامرآء يحثّون العادل على قصد بلادهم ونهبها فلم يفعل فبقوا كذلك
الى ان انقضت السنة وذلك سنة احدى وستمائة فاصطلح هو والفرنج
على دمشق واعمالها وما بيد العادل من الشام ونزل لهم عن كثير من
المناصفات فى الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصريّة .
فقصد الفرنج مدينة حماة فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمّد بن تقى
الدين عمر بن شاهنشاه بن ايّوب فقاتلهم وكان فى قلّة فهزموه الى البلد
فخرج العامّة الى قتالهم فقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج ۞

ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية ايتغمش

قد ذكرنا قبل تغلّب كوكجة مملوك البهلوان على الرىّ وهمذان
وبلد الجبل وبقى الآن وكان قد اصطنع مملوكًا آخر كان للبهلوان اسمه
ايتغمش وقدّمه واحسن اليه ووثق به فجمع ايتغمش الجموع من المماليك
وغيرهم ثمّ قصد كوكجة فنصافّا واقتتل الفريقان فقتل كوكجة فى الحرب
واستولى ايتغمش على البلاد واخذ معه اوزبك بن البهلوان له اسم الملك
وايتغمش هو المدبّر له والقيّم بامر المملكة وكان شهمًا شجاعًا ظالمًا وكان
كوكجة عادلًا حسن السيرة رحمه الله ۞

ذكر وفاة ركن[1] الدين بن قلج ارسلان وملك ابنه بعده

وفى هذه السنة سادس ذى القعدة توفّى ركن الدين سليمان
بن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش
بن سلجوق صاحب ديار الروم ما بين ملطية وقونية وكان موته بمرض
القولنج فى سبعة ايّام وكان قبل مرضه بخمسة ايّام قد غدر باخيه صاحب
انكورية وتسمّى ايضًا انقرة وهى مدينة منيعة وكان مشاققًا لركن الدين

---

1) نور

فحصره عدّة سنين حتّى ضعف وقلّت الاقوات عنده فاذعن بالتسليم على عوض ياخذه فعوّضه قلعة فى اطراف بلده وحلف له عليها فنزل اخوه عن مدينة انقرة وسلّمها ومعه ولدان له فوضع ركن الدين عليه مَن اخذه واخذ اولادَه معه فعتله فلم يمض غير خمسة ايّام حتّى اصابه القولنج فمات واجتمع الناس بعده على ولده قلج ارسلان وكان صغيرًا فبقى فى المُلك الى بعض سنة احدى وستمايةٌ وأُخذ منه على ما نذكره هناك وكان ركن الدين شديدًا على الاعدآء قيّمًا بامر المُلك الّا انّ الناس كانوا ينسبونه الى فساد الاعتقاد كان يقال انّه يعتقد انّ مذهبه مذهب الفلاسفة وكان كلّ من يُرمى بهذا المذهب ياوى اليه ولهذه الطايفة منه احسان كبير الّا انّه كان عاقلاً يحبّ ستر هذا المذهب لئلّا ينفر الناس عنه حُكى لى عنه انّه كان عنده انسان وكان يُرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب منه فحضر يومًا عنده فقيه فناظرا فاظهر شيًّا من اعتقاد الفلاسفة فقام الفقيه اليه ولطمه وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه فقال لركن الدين يجرى علىّ مثل هذا فى حضرتك ولا تنكره فقال لو تكلّمتُ لقُتلنا جميعًا ولا يمكن اظهار ما تريده انت ۞

ذكر قتل الباطنيّة بواسط

فى هذه السنة فى رمضان قُتل الباطنيّة بواسط وسبب كونهم بها انّه ورد اليها رجل يعرف بالركم محمّد بن طالب بن عُصَيّة واصله من العاروب من قرى واسط وكان باطنيًّا مُلحدًا ونزل مجاورًا لدور بنى الهروى وغشيه الناس وكثُر اتباعه وكان ممّن يغشاه رجل يعرف بحسن الصابونىّ واتّفق انّه اجتاز بالسويقة فكلّمه رجل نجّارٌ فى مذهبهم فردّ عليه الصابونىّ ردًّا غليظًا فقام اليه النجّار وقتله وتسامع الناس بذلك فوثبوا وقتلوا مَن وجدوا ممّن ينتسب الى هذا المذهب وقصدوا دار ابن عُصَيّة وقد اجتمع اليه خلق من اصحابه واغلقوا الباب وصعدوا الى سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعدوا اليهم من بعض الدور من على السطح وتحصّن مَن بقى فى الدار باغلاق الابواب والمارق فكسروها ونزلوا فقتلوا مَن

وجدوا فى الدار واحرقوا وقُتل ابن عصبّة وفُتح الباب وهرب منهم فقُتلوا وبلغ الخبر الى بغداد وانحدر فخر الدين ابو البدر بن أمسينا الواسطىّ لاصلاح الحال وتسكين الفتنة ۞

ذكر استيلاء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت

فى هذه السنة استولى انسانٌ اسمه محمود بن محمّد الحميرىّ على مدينة مرباط وظفار وغيرهما من حضرموت وانّ ابتداء امره انّه له مركب يكريه فى البحر للتجار ثمّ وزر لصاحب مرباط وفيه كرم وشجاعة وحسن سيرة فلمّا توفّى صاحب مرباط ملك المدينة بعده واطاعه الناس محبّةً له لكرمه وسيرته ودامت ايّامه بها فلمّا كان سنة تسع عشرة وستّمائة خرّب مرباطًا وظفارًا وبنى مدينة جديدة على ساحل البحر بالقرب من مرباط وعندها عين عذبة كبيرة اجراها الى المدينة وعمل عليها سورًا وخندقًا وحصّنها وسمّاها الاحمديّة وكان يحبّ الشعر ويكثر الجايزة عليه ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة خرج اسطول من الفرنج الى الديار المصريّة فنهبوا مدينة فوّه واقاموا خمسة ايّام يسبون وينهبون وعسكر مصر مقابلهم بينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانّهم لم تكن لهم سفنٌ ، وفيها كانت زلزلة عظيمة عمّت اكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقليّة وقبرس ووصلت الى الموصل والعراق وغيرها وخرّبت من مدينة صور سورها واثّرت فى كثير من الشام ، وفيها فى رجب اجتمع جماعة من الصوفيّة برباط شيخ الشيوخ ببغداد وفيهم صوفىّ اسمه احمد بن ابراهيم الدارىّ من اصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحيم ابن اسمعيل رحمهم الله ومعهم مُغنٍّ يغنّى بقول الشعر

اعاذلتى اقصرى كفّى بمشيبى عذلْ   شباب كأنْ لمْ يكن وشيب كأنْ لم يزلْ
وحقّ لياليّ الوصال وآخِرِها والاوّلْ   وصُفرة لون المحبّ عند استماع العذلْ
لئن عاد عَتبى [1] بكم حلى العيش لى واتّصلْ

فحرّك الجماعة عادة الصوفيّة فى السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد

---

1) 740: شملى

ثمّ سقط مغشيًّا عليه فحرّكوه فاذ هو ميّت فصُلّى عليه ودُفن وكان رجلاً صالحًا ، وفيها توفّى ابو الفتوح اسعد بن محمود العِجْلىّ الفقيه الشافعىّ باصفهان فى صفر وكان امامًا فاضلاً ، وفى رمضان منها توفّى قاضى هراة عمدة الدين الفضل بن محمود بن صاعد الساوىّ وولى بعده ابنه صاعدٌ ☆

ثم دخلت سنة احدى وستّمايه ، سنة ٦٠١

ذكر ملك كيخسرو ابن قلج ارسلان بلاد الروم من ابن اخيه

فى هذه السنة فى رجب ملك غياث الدين كيخسرو ابن قلج ارسلان بلاد الروم التى كانت بيد اخيه ركن الدين سليمان وكان سبب مُلك غياث الدين لها انّ ركن الدين كان قد اخذ ما كان لاخيه غياث الدين وهو مدينة قونيه فهرب غياث الدين منه وقصد الشام الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب فلم يجد عنده قبولاً وقصّر به فسار من عنده وتقلّب فى البلاد الى ان وصل الى القسطنطينيّه فاحسن اليه ملك الروم واقطعه واكرمه فاقام عنده وتزوّج بابنه بعض البطارقه الكبار وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينيّه فلمّا ملك الفرنج القسطنطينيّة هرب غياث الدين الى حَمْيه وهو بقلعته فانزله عنده وقال له نشترك فى هذه القلعة ونقنع بدخلها فاقام عنده فلمّا مات اخوه سنه ستّمايه كما ذكرناه واجتمع الامرآء[1] على ولده وخالفهم الاتراك الاوج[2] وهم كثير بتلك البلاد وأنِف من اتباعهم وارسل الى غياث الدين يستدعيه اليه ليملّكه البلاد فسار اليه فوصل فى جمادى الاولى واجتمع به وكثُر جمعه وقصد مدينة قونية ليحصرها وكان ولد ركن الدين والعساكر بها فاخرجوا اليه طايفة من العسكر فلقوه فهزموه فبقى حيران لا يدرى اين يتوجّه فقصد بلدة صغيره يقال لها اوكرم بالقرب من قونية فقدّر الله تعالى انّ اهل مدينة اقصرا وثبوا على الوالى فاخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين فلمّا سمع اهل قونية بما فعله اهل اقصرا قالوا نحن اولى مَن فعل هذا لانّه كان حسن السيره فيهم لمّا كان مالكهم فنادوا باسمه ايضًا واخرجوا مَن عندهم واستدعوه فحضر عندهم وملك المدينة

---

[1]) C. P. Ups.: الامر [2]) C. P. Ups.: وخالفهم الامير وهو من الاتراك الاوج

وقبض ابن اخيه ومَن معه واتاه الله الملك وجمع له البلاد جميعها فى ساعة واحدة فسبحان مَن اذا اراد امرًا هيّأ اسبابه وكان اخوه قيصر شاه الذى كان صاحب ملطيّة لمّا اخذها ركن الدين منه سنه سبع وتسعين تخرج منها وقصد الملك العادل ابا بكر بن ايّوب لانّه كان زوج ابنته مستنصرًا به فامره بالمقام بمدينة الرُّها فاقام بها فلمّا سمع بمُلك اخيه غياث الدين سار اليه فلم يجد عنده قبولًا انّما اعطاه شيئًا وامره بمفارقه البلاد فعاد الى الرُّها واقام بها فلمّا استقرّ ملك [غياث الدين سار اليه الافضل صاحب][1] سميساط فلقيه بمدينة قيساريّة وقصده ايضًا نظام الدين صاحب خرت برت وصار معه فعظم شانه وقوى امره ✿

ذكر حصر صاحب آمد خرت برت ورجوعه عنها

كانت خرت برت لعماد الدين بن قرا ارسلان فمات وملكها بعده ابنه نظام الدين ابو بكر والتجا الى ركن الدين ابن قلج ارسلان وبعده الى اخيه غياث الدين ليمتنع به من ابن عمّه ناصر الدين محمود بن محمّد بن قرا ارسلان فامتنع به وكان صاحب آمد ملتجيًا الى الملك العادل وفى طاعته وحضر مع ابنه الملك الاشرف قتال صاحب الموصل على شرط انّه يسيّر معه عساكره ويأخذ له خرت برت وانّما طمع فيها بموت ركن الدين فلمّا دخلت هذه السنة طلب ما كان استقرّ الامر عليه فسار معه الملك الاشرف وعساكر ديار الجزيرة من سنجار وجزيرة ابن عمر والموصل وغيرها وكان نزولهم عليها فى شعبان وفى رمضان تسلّموا ربضها وكان صاحبها قد اجتمع بغياث الدين بعد ان ملك البلاد الروميّة وصار معه فى طاعته فلمّا نزل صاحب آمد على خرت برت خاطب صاحبها لغياث الدين بنجده بعسكر يرحّلهم عنه فجهّز عسكرًا كثيرًا عدّتهم ستّة الاف فارس وسيّرهم [مع] الملك الافضل صاحب سميساط فلمّا وصل العسكر الى ملطيّة فارق صاحب آمد ومَن معه من خرت برت ونزلوا الى الصحراء وحصروا الحصرة المعروفة ببحيرة سهنين وبها حصنان احدهما لصاحب آمد والاخر لصاحب خرت برت فحصره وزاحفه ففتحه

---

[1]) C. P.

[2]) Desunt in C. P.: فلقيه بمدينة قيساريّة

ثانى ذى الحجّة ووصل صاحب خرت برت مع العسكر الرومىّ الى خرت برت فرحل صاحب آمد عن الجبيرة[1] وقوّى الحصن الذى فتحه فيها فازاح علّته ورحل الى خلف مرحلة ونزل وتردّدت الرسل والعسكر الرومىّ يطلب اعادة الجبيرة وصاحب آمد يمتنع من ذلك فلمّا طال الامر بقى الحصن بيد صاحب آمد وانفصل العسكران وعاد كلّ فريق الى بلاده ۞

ذكر الفتن ببغداد

فى سابع عشر شعبان جرت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج واهل المامونيّة وسببها انّ اهل باب الازج قتلوا سبعًا وارادوا ان يطوفوا به فمنعهم اهل المامونيّة فوقعت الفتنة بينهما عند البستان الكبير فجُرح[2] منهم خلق كثير وقُتل جماعة وركب صاحب الباب لتسكين الفتنة فجرح فرسُه فعاد فلمّا كان الغد سار اهل المامونيّة الى باب الازج فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتالٌ بالسيوف والنشاب واشتدّ الامر فنُهبت الدور القريبة منهم وسعى الركن ابن عبد القادر ويوسف فى تسكين الناس وركب الاتراك فصاروا يبيتون تحت المنظرة فامتنع اهل الفتنة من الاجتماع فسكنوا ، وفى العشرين منه جرت فتنة بين اهل قطفتا والقرية من محالّ الجانب الغربىّ بسبب قتل سُبُع ايضًا اراد اهل قطفتا ان يجتمعوا ويطوفوا به فمنعهم اهل القرية ان يجوزوا به عندهم فاقتتلوا وقُتل بينهم عدّة قتلى فأُرسل اليهم عسكر من الديوان لتلافى الامر ومَنْع الناس عن الفتنة فامتنعوا ، وفى تاسع رمضان كانت فتنة بين اهل سوق السلطان والجعفريّة منشاها انّ رجلَيْن من المحلّتَيْن اختصما وتوعّد كلّ واحد منهما صاحبه فاجتمع اهل المحلّتين واقتتلوا فى مقبرة الجعفريّة فسُيّر اليهم من الديوان مَن تلافى الامرَ وسكّنه فلمّا كثرت الفتن رتّب امير كبير من مماليك الخليفة ومعه جماعة كبيرة فطاف فى البلد وقتل جماعة ممّن فيه شبهة فسكن الناس ۞

ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام

فى هذه السنة اغارت الكُرج على بلاد الاسلام من ناحية اذربيجان فاكثروا القتل والفساد والنهب والسبى ثمّ اغاروا على ناحية خلاط من

---

[1] الجوبرة [2] فخرج

ارمينية فاوغلوا فى البلاد حتّى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم احد من المسلمين يمنعهم فجاسوا خلال البلاد ينهبون ويأسرون وكلّما [تعدّموا][1] تاخّرت عساكر المسلمين منهم ثمّ انّهم رجعوا فالله تعالى ينظر الى الاسلام واهله وييسّر لهم مَن يحمى بلادهم ويحفظ ثغورهم ويغزوا اعدآءهم ٭ وفيها غارت الكُرج الى بلاد خلاط فاتوا الى ارجيش[2] ونواحيها فنهبوا وسبوا وخرّبوا البلاد وساروا الى حصن النين من اعمال خلاط وهو مجاور ارزن الروم فجمع صاحب خلاط عسكره وسار الى طغل شاه[3] ولد قلج ارسلان صاحب ارزن الروم فاستنجده على الكُرج فسيّر عسكره جمعه معه فتوجّهوا نحو الكُرج فلقوهم وتصافّوا واقتتلوا فانهزمت الكُرج وقتل زكرى الصغير وهو من اكابر مقدّميهم وهو الذى كان مقدّم هذا العسكر من الكُرج والمقاتل بهم وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والكراع وغير ذلك وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا واسروا كذلك وعاد الى بلاده ٭

ذكر الحرب بين امير مكّة وامير المدينة

وفى هذه السنة ايضًا كانت الحرب بين الامير قتادة الحسنىّ امير مكّة وبين الامير سالم بن قاسم الحسينىّ امير المدينة ومع كلّ واحد منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالًا شديدًا وكانت الحرب بذى الحُلَيْفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها فلقيه سالم بعد ان قصد الحجرة على ساكنها الصلاة والسلام فصلّى عندها ودعا وسار فلقيه فانهزم قتادة وتبعه سالم الى مكّة يحصره بها فارسل قتاده الى مَن مع سالم من الامرآء فافسدهم عليه فمالوا اليه وحالفوه فلمّا راى سالم ذلك رحل عنه عائدًا الى المدينة وعاد امر قتادة قوى ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى يوم الجمعة رابع عشر جمادى الاخرة قُطعت خطبة ولىّ العهد واظهر خطّ قرئ بدار الوزير نصير الدين بن مهدى الرازىّ وانّ هو خطّ ولىّ العهد الامير ابى نصر بن الخليفة الى ابيه الناصر لدين الله امير المؤمنين يتضمّن العجز عن القيام بولاية العهد ويطلب الاقالة

---

[1]) C. P. [2]) ارخيش [3]) طغرلشاه

وشهد عدلان انّه خطّه وانّ الخليفة اقاله وعُمل بذلك محضر[3] شهد فيه القضاة والعدول والفقهاء ، وفى هذه السنة ولدت امراة ببغداد ولدًا له راسان واربع ارجُل ويدان ومات فى يومه ، وفيها[1] ايضًا وقع الحريق فى خزانة السلاح التى للخليفة فاحترق فيها منه شىّ كثير وبقيت النار يومَيْن وسار ذكر هذا الحريق فى البلدان فحمل الملوك من السلاح الى بغداد شيأً كثيرًا ، وفى هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة اسبوعًا كاملاً فلمّا سكن جاء بعده سيل من الجبل من باب سرا خرّب كثيرًا من البلد ورمى من حصنه قطعة عظيمة وجاء بعده بردٌ شديدٌ اهلك الثمار فلم يكن بها تلك السنة شىٌ الّا اليسير ، وفيها فى شعبان خرج عسكر من الغوريّة مقدّمهم الامير زنكى بن مسعود الى مدينة مرو فلقيهم نايب خوارزم شاه بمدينة سرخس وهو الامير جغر وكمن لهم كمينًا فلمّا وصلوا اليه هزمهم واخذ وجوه الغوريّة اسرى فلم يُفلت منهم الّا القليل واخذ اميرهم زنكى اسيرًا فقُتل صبرًا وعلقت روسهم بمرو ايّامًا ، وفيها فى ذى القعدة سار الامير عماد الدين عمر بن الحسين الغورىّ صاحب بلخ الى مدينة ترمذ وهى للاتراك الخطا فافتتحها عنوة وجعل بها ولده الاكبر وقُتل مَن بها من الخطا ونقل العلويّين منها الى [بلخ][2] وصارت ترمذ دار اسلام وهى من امنع الحصون واقواها ، وفيها توفّى صدر الدين السجزىّ[3] شيخ خانكاه السلطان بهراه ، وفيها فى صفر توفّى ابو علىّ الحسن بن محمّد بن عبدوس الشاعر الواسطىّ وهو من الشعراء المجيدين واجتمعتُ به بالموصل ورَدَها مادحًا لصاحبها نور الدين ارسلان شاه وغيره من المقدّمين وكان نعم الرجل حسن الصحبة والعشرة ، وفيها اجتمع ببغداد رجلان اعميان على رجل اعمى ايضًا وقتلاه بمسجد طمعا ان ياخذا منه شيأً فلم يجدا معه ما ياخذانه وادركهما الصباح فهربا من الخوف بريدان الموصل ورُيى الرجل مقتولًا ولم يُعلم قاتله فاتّفق انّ بعض اصحاب الشحنة اجتاز من الحريم فى خصومة جرت فراى الرجلَيْن الضريرَيْن فقال لمن معه هولاء الذين قتلوا الاعمى بقوله مزحًا فقال احدهما هذا والله قتله فقال

---

[1]) وفيه [2]) C. P. [3]) السجزى

الآخر بل انت قتلته فأُخذا الى صاحب الباب فاقرّا فقُتل احدهما وصُلب الآخر على باب المسجد الذى قتلا فيه الرجل ۞

ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة

سنة ٦٠٢

ذكر الفتنة بهراة

فى هذه السنة فى المحرّم ثار العامّة بهراة وجرت فيه فتنة عظيمة بين اهل السوقَيْن الحدّادين والصفّارين قُتل فيها جماعة ونُهبت الاموال وخُرّبت الديار فخرج امير البلد ليكفّهم فضربه بعض العامّة بحجر نالَه منه أَلَمٌ شديد واجتمع الغوغآء عليه فرُفع الى القصر الفيروزىّ واختفى ايّامًا الى ان سكنت الفتنة ثمّ ظهر ۞

ذكر قتال شهاب الدين الغورىّ بنى كوكر

قد ذكرنا انهزام شهاب الدين محمّد بن سام[1] الغورىّ صاحب غزنة من الخطا الكفّار وانّ الخبر ظهر ببلاده انّه عُدم من المعركة لم يقف اصحابه له على خبر فلمّا اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون فى اطراف البلاد وكان ممّن افسد دانيال صاحب جبل الجودى فانّه كان قد اسلم فلمّا بلغه الخبر ارتدّ عن الاسلام وتابع بنى كوكر ومساكنهم فى جبال بين لهاوور والمولتان[2] حصينة منيعة وكانوا قد اطاعوا شهاب الدين وحملوا له الخراج فلمّا بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرهم واطاعهم صاحب جبل الجودى وغيره من القاطنين بتلك الجبال ومنعوا الطريق من لهاوور وغيرها الى غزنة فلمّا فرغ شهاب الدين من قتل مملوكه ايبك بال وقد ذكرناه ارسل الى نائبه بلهاوور والمولتان وهو محمّد بن ابى علىّ يامره بحمل المال لسنة ستّمائة وسنة احدى وستّمائة ليتجهّز به لحربِ الخطا فاجاب انّ اولاد كوكر قد قطعوا الطريق ولا يمكنه ارسال المال وحصر جماعة من التجار وذكروا انّ قفلًا كبيرًا اخذه اولاد كوكر ولم ينج منه الّا القليل فامر شهاب الدين مملوكه ايبك مقدّم عساكر الهند ان يُراسل بنى كوكر يدعوهم الى الطاعة ويتهدّدهم ان لم يجيبوا ففعل ذلك فقال ابن كوكر لاىّ معنى لم يرسل السلطان

---

[1] سامة [2] والمولتان

البنا رسولاً فقال له الرسول وما قدركم انتم حتّى يرسل اليكم وانّما مملوكه يحضركم رشدكم ويهدّدكم فقال ابن كوكر لو كان شهاب الدين حيًّا لراسلنا وقد كنّا ندفع الاموال اليه فحيث عُدم فقل لابيك يترك لنا لهاوور وما والاها وفرشابور ونحن نصالحه فقال الرسول نفّذ انت جاسوسًا تثق اليه ياتيك بخبر شهاب الدين من فرشابور[1] فلم يصْغ الى قوله فردّه فعاد واخبر بما سمع ورأى فامر شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك بالعود الى بلاده وجمْع العساكر وقتال بنى كوكر فعاد الى دهلى وامر عساكره بالاستعداد فاقام شهاب الدين فى فرشابور الى نصف شعبان من سنة احدى وستّمائة ثم عد الى غزنة فوصلها اوّل رمضان وامر بالنداء فى العساكر بالتجهّز لقتال الخطا وانّ المسير يكون اوّل شوّال فتجهّزوا لذلك فاتّفق انّ الشكاباب[2] كثرت من بنى كوكر وما يعتمدونه من اخافة السبل[3] وانّهم قد انفذوا شحنة الى البلاد ووافقهم اكثر الهنود وخرجوا من طاعة امير لهاوور والمولتان وغيرهما ووصل كتاب الوالى بذكر ما قد دهمه منهم وانّ عُمّاله قد اخرجهم بنو كوكر وجبوا الخراج وانّ ابن كوكر مقدّمهم ارسل اليه ليترك له لهاوور والبلاد والّا قتله ويقول ان لم يحضر السلطان شهاب الدين بنفسه ومعه العساكر والّا خرجت البلاد من يده وحدّث الناس بكثرة مَن معهم من الجموع وما لهم من القوّة فتغيّر عزم شهاب الدين حينئذٍ عن غزو الخطا واخرج خيامه وسار عن غزنة خامس ربيع الاوّل سنة اثنتين وستّمائة فلمّا سار وابعد انقطعت اخباره عن الناس بغزنة وفرشابور حتّى ارجف الناس بانهزامه وكان شهاب الدين لمّا سار عن فرشابور اتاه خبر ابن كوكر انّه نازل فى عساكره ما بين جيلم وسودرة فجدّ السير اليه فدهمه قبل الوقت الذى كان يقدّر وصوله فيه فاقتتلوا قتالاً شديدًا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخر من بكرة الى العصر واشتدّ القتال فبينما هم فى القتال واذ قد اقبل قطب الدين ايبك فى عساكره فنادوا بشعار الاسلام وحملوا حملة صادقة فانهزم الكوكريّة ومن انضمّ اليهم وقُتلوا بكلّ

---

[1] فراشابور [2] C. P. Ups.: السلغاباب [3] C. P. Ups.: السبيل

مكان وقصدوا أَجْمَةً هناك فاحتموا بها واضرموا نارًا فكان احدهم يقول لصاحبه لا نترك المسلمين يقتلونك ثمّ يلقى نفسه فى النار فيلقى صاحبه نفسه بعده فيها فعمّهم الفناء قتلًا وحرقًا فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ[1] وكان اهلهم واموالهم معهم لم يفارقوها فغنم المسلمون منهم ما لم يُسمع بمثله حتّى انّ المماليك كانوا يُباعون كلّ خمسة بدينار ركنىّ ونحوه وهرب ابن كوكر بعد ان قتل اخوته واهله وامّا ابن دانيال[2] صاحب جبل الجودى فانّه جآء ليلًا الى قطب الدين ايبك فاستجار به فاجاره وشفع فيه الى شهاب الدين فشفّعه فيه واخذ منه قلعة الجودى فلمّا فرغ منهم سار نحو لهاوور ليامن اهلها ويسكن روعهم وامر الناس بالرجوع الى بلادهم والتجهيز لحرب الخطا واقام شهاب الدين بلهاوور الى سادس عشر رجب وعاد نحو غزنة وارسل الى بهآء الدين سام صاحب باميان ليتجهّز للمسير الى سمرقند ويعمل جسرًا ليعبر هو وعساكره عليه ۞

ذكر الظفر بالتيراهيّة

كان من جملة الخارجين المفسدين ايضًا على شهاب الدين التيراهيّة فانّهم خرجوا الى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين فاوقع بهم نائب تاج الدين الدز[3] مملوك شهاب الدين بتلك الناحية ويعرف بالخليجى وقتل منهم خلقًا كثيرًا وحمل رؤس المعروفين فعُلّقت ببلاد الاسلام وكانت فتنة هولآء التيراهيّة على بلاد الاسلام عظيمةً قديمًا وحديثًا وكان اذا وقع بايديهم اسير من المسلمين عذّبوه بانواع العذاب وكان اهل فرشابور معهم فى ضرّ شديد لانّهم[4] يحيطون بتلك الولاية من جوانبها لا سيّما اخر ايّام سُبكتكين فانّ الملوك ضعفوا وقوى هولآء عليهم وكانوا يغيرون على اطراف البلاد وكانوا كفّارًا لا دين لهم يرجعون اليه ولا مذهب يعتمدون عليه الّا انّهم كانوا اذا وُلد لاحدهم بنت وقف على باب داره ونادى من يتزوّج هذه مَن يحملها فان اجابه احد تركها والّا قتلها ويكون للمراة عدّة ازواج فاذا كان احدهم عندها جعل مداسه على الباب فاذا جآء غيره من ازواجها وراى مداسه عاد ولم يزالوا كذلك حتّى اسلم طآيفة منهم

[1]) Cor. 11, 46. [2]) دانيال [3]) الدكر [4]) لا

اخر ايّام شهاب الدين الغوريّ فكفّوا عن البلاد وسبب اسلامهم انهم اسروا انسانًا من فرشابور فعذّبوه فلم يمُتْ ودامت اقامة عندهم فاحضره يومًا مقدّمهم وساله عن بلاد الاسلام وقال له لو حضرتُ انا عند شهاب الدين ما ذا كان يُعطيني فقال له المعلّم كان يُعطيك الاموال والاقطاع ويردّ اليك حكم جميع البلاد التي لكم فارسله الى شهاب الدين في الدخول في الاسلام فعاد ومعه رسول بالخلع والمنشور بالاقطاع فلمّا وصل اليه الرسول سار هو وجماعة من اهله الى شهاب الدين فاسلموا وعادوا وكان للناس بهم راحة فلمّا كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد نزل اكثرهم من الجبال فلم يكن لهذه الطايفة بهم قدرة ليمنعوهم فافسدوا واعملوا ما ذكرناه ✿

ذكر قتل شهاب الدين الغوريّ

في هذه السنة اوّل ليلة من شعبان قُتل شهاب الدين ابو المظفّر محمّد بن سام الغوريّ ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دميك[1] وقت صلاة العشاء وكان سبب قتله انّ نفرًا من الكفّار الكوكريّة لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من القتل والاسر والسبي فلمّا كان هذه الليلة تفرّق عنه اصحابه وكان قد عاد ومعه من الاموال ما لا يُحدّ فانّه كان عازمًا على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وقد امر عساكره بالهند باللحاق به وامر عساكره الخراسانيّة بالتجهّز الى ان يصل اليهم فاتاه الله من حيث لم يحتسب ولم يُغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال لكن كان على نيّة صالحة من قتال الكفّار فلمّا تفرّق عنه اصحابه وبقي وحده في خركاه ثار اولئك النفر فقتل احدهم بعض الحرس بباب سرادق شهاب الدين فلمّا قتلوه صاح فثار اصحابه من حول السرادق لينظروا ما بصاحبهم فاخلوا مواقفهم وكثُر الزحام فاغتنم الكوكريّة غفلتهم عن الحفظ فدخلوا على شهاب الدين وهو في الخركاه فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه فدخل عليه اصحابه فوجدوه على مصلّاه قتيلًا وهو ساجد فاخذوا اولئك الكفّار فقتلوهم وكان فيهم اثنان مختونان وقيل انّما قتله الاسماعيليّة

---

1) دميل

لانّهم خافوا خروجه الى خراسان وكان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم على ما ذكرناه ، فلمّا قُتل اجتمع الامرآء عند وزيره مؤيّد الملك[1] بن خواجا سجستان فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة الى ان يظهر مَن يتولّاه واجلسوا شهاب الدين وخيّطوا جراحه وجعلوه فى المحفّة وساروا به ورتّب الوزير الامور وسكّن الناس بحيث لم تُرَق محاجمة دم ولم يوجد فى احد شئ وكانت المحفّة محفوفة بالحشم والوزير والعسكر والشمسة على حاله فى حيانه وتقدّم الوزير الى امير دار العسكر باقامة السياسة وضبط العسكر وكانت الخزانة التى فى صحبته الفىْ حمل ومأتىْ حمل وشغب الغلمان الاتراك الصغار لينهبوا المال فمنعهم الوزير والامرآء الكبار من المماليك وهو صونج[2] صهر الدز وغيره وامروا كلّ مَن له اقطاعٌ عند قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ببلاد الهند بالعود اليه وفرّقوا فيهم اموالًا كثيرة فعادوا وسار الوزير ومعه مَن له اقطاعٌ واهلٌ بغزنة وعلموا انّه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث الدين اخى شهاب الدين الاكبر وبين بهآء الدين صاحب باميان وهو ابن اخت شهاب الدين حروب شديدة وكان ميل الوزير والاتراك وغيرهم الى غياث الدين محمود وكان الامرآء الغوريّة يميلون الى بهآء الدين سام صاحب باميان فارسل كلّ طائفة الى من يميلون اليه يعرّفونه قتل شهاب الدين وجليّة الامور وجآء بعض المفسدين من اهل غزنة فقال للمماليك انّ فخر الدين الرازىّ قتل مولاكم لانّه هو اوصل من قتله فوضع من خوارزم شاه فثاروا به ليقتلوه فهرب وقصد مؤيّد الملك الوزير فاعلمه الحال فسيّره سرًّا الى مأمنه ولمّا وصل العسكر والوزير الى فرشابور اختلفوا فالغوريّة يقولون نسير الى غزنة على طريق مكرهان وكان غرضهم ان يقربوا من باميان ليخرج صاحبها بهآء الدين سام فيملك الخزانة قال الاتراك بل نسير على طريق سوران وكان مقصودهم ان يكونوا قريبًا من تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين وهو صاحب كرمان مدينة بين غزنة ولهاوور وليست بكرمان التى تجاور بلاد فارس ليحفظ الدز الخزانة ويرسلون من كرمان الى غياث الدين

---

1) الدين   2) صونج

يستدعونه الى غزنة ويملكونه وكثر بينهم الاختلاف حتى كادوا يختلفون فتوصّل موّيد الملك مع الغوريّة حتى اذنوا له وللاتراك باخذ الخزانة والمحفّة التى فيها شهاب الدين والمسير على كرمان وساروا ثم على طريق مكرهان ولقى الوزير ومن معه مشقّة عظيمة وخرج عليهم الامم الذين فى تلك الجبال التيراهيّة واوغان وغيرهم فنالوا من اطراف العسكر الى ان وصلوا الى كرمان فخرج اليهم تاج الدين الدز يستقبلهم فلمّا عاين المحفّة وفيها شهاب الدين ميّتًا نزل وقبّل الارض على عادته فى حياة شهاب الدين وكشف عنه فلمّا رءاه ميّتًا مزّق ثيابه وصاح وبكى فابكى الناس وكان يومًا مشهودًا ۞

ذكر ما فعله الدز

كان الدز من اوّل مماليك شهاب الدين واكبرهم واقدمهم واكبرهم محلًّا عنده بحيث انّ اهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه فى اشغالهم فلمّا قُتل صاحبه طمع ان يملك غزنة فاوّل ما عمل انّه سال الوزير موّيد الملك عن الاموال والسلاح والدوابّ فاخبره بما خرج من ذلك وبالباقى معه فانكر الحال واساء ادبه فى الجواب وقال انّ الغوريّة قد كاتبوا بهاء الدين سام[1] صاحب باميان[2] ليُملكوه غزنة وقد كتب الىّ غياث الدين محمود وهو مولاى يامرنى انّنى لا اترك احدًا يعرب من غزنة وقد جعلنى نايبه فيها وفى ساير الولاية المجاورة لها لانّه مشتغلٌ بامر خراسان وقال للوزير انّه قد امرنى ايضًا ان اتسلّم الخزانة منك فلم يقدر على الامتناع لميل الاتراك اليه فسلّمها اليه وسار بالمحفّة والمماليك والوزير الى غزنة فدفن شهاب الدين فى التربة بالمدرسة التى انشاها ودفن ابنته فيها وكان وصوله اليها فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة ۞

ذكر بعض سيرة شهاب الدين

كان رحمه الله شجاعًا مقدامًا كثير الغزو الى بلاد الهند عادلًا فى رعيّته حسن السيرة فيهم حاكمًا بينهم بما يوجبه الشرع المطهّر وكان القاضى بغزنة يحضر داره كلّ اسبوع السبت والاحد والاثنين والثلاثاء ويحضر

---

1) سامة 2) باميان

معه امير حاجب وامير دار وصاحب التربة فيحكم القاضى واصحاب السلطان ينفذّون احكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع وان طلب احد الخصوم للحضور عنده احضره وسمع كلامه وامضى عليه او له حكم الشرع فكانت الامور جارية على احسن نظام ء حُكى عنه انّه لقيه صبىّ علوىّ عمره نحو خمس سنين فدعا له وقال لى خمسة ايّام ما اكلتُ شيئًا فعاد من الركوب لوقته ومعه الصبىّ فنزل فى داره واطعم العلوىّ اطيب الطعام بحضرته ثمّ اعطاه مالاً بعد ان احضر اباه وسلّمه اليه وفرّق فى ساير العلويّين مالاً عظيمًا ء وحُكى انّ تاجرًا من مراغة كان بغزنة وله على بعض مماليك شهاب الدين دينٌ مبلغه عشرة الاف دينار فقُتل المملوك فى حرب كانت له فرفع التاجر حاله فامر بان يقرّ اقطاع المملوك بيد التاجر الى ان يستوفى دينه ففُعلَ ذلك ء وحُكى عنه انّه كان يحضر العلمآء بحضرته فيتكلّمون من المسايل الفقهيّة وغيرها وكان فخر الدين الرازىّ يعظ فى داره فحضر يومًا فوعظ وقال فى اخر كلامه يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازىّ وانّ مردّنا الى الله فبكى شهاب الدين حتّى رحمه الناس لكثرة بكآيه وكان رقيق القلب وكان شافعىّ المذهب مثل اخيه فيل وكان حنفيًّا والله اعلم ❊

ذكر مسير بهآء الدين سام الى غزنة وموته

لمّا ملك غياث الدين ابو الفتح محمّد بن سام باميان اقطعها ابن عمّه شمس الدين محمّد بن مسعود وزوّجه اخته فاتاه منها ولدٌ اسمه سام فبقى فيها الى ان توفّى وملك بعده ابنه الاكبر واسمه عبّاس وامّه تركيّة فغضب غياث الدين واخوه شهاب الدين فى ذلك وارسلا مَن احضر عبّاسًا عندهما فاخذا الملك منه وجعلا ابن اختهما سام ملكًا على باميان وتلقّب بهآء الدين[1] وعظم شانه ومحلّه وجمع الاموال ليملك البلاد بعد خاله واحبّه امرآء الغوريّة حُبًّا شديدًا وعظّموه فلمّا قُتل خاله شهاب الدين سار بعض الامرآء الغوريّة الى بهآء الدين سام فاخبره بذلك فلمّا بلغه قتله كتب الى مَن بغزنة من الامرآء الغوريّة يامرهم

---

1) الدولة

يحفظ البلد ويعرّفهم انّه على الطريق سائر اليهم وكان والى قلعة غزنة ويعرف بامير دار قد ارسل ولدَه الى بهآء الدين سام يستدعيه الى غزنة فاتاه جوابه انّه تجهّز ويصل اليه ويعده الجميل والاحسان وكتب بهآء الدين الى علآء الدين محمّد بن ابى علىّ ملك الغور يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود بن غياث الدين والى ابن خرميل[2] والى هراة يامرهما باقامة الخطبة له وحفظ ما بايديهما من الاعمال ولم يظنّ انّ احدًا يخالفه فاما اهل غزنة ينتظرون وصوله او وصول غياث الدين محمود والاتراك ويقولون لا نترك غيرَ ابن سيدنا يعنون غياث الدين يدخل غزنة والغوريّة يتظاهرون بالميل الى بهآء الدين ومنع غيره فسار من باميان الى غزنة فى عساكره ومعه ولداه علآء الدين محمود وجلال الدين فلمّا سار عن باميان مرحلتَيْن وجد صُداعًا فنزل يستريح ينتظر خفّته عنه فازداد الصداع وعظم الامر عليه فايقن بالموت فاحضر ولدَيْه وعهد الى علآء الدين وامرهما بقصد غزنة وحفظ مشايخ الغوريّة وضبط الملك والرفق بالرعايا وبذل الاموال وامرهما ان يصالحا غياث الدين على ان يكون له خراسان وبلاد الغور ويكون لهما غزنة وبلاد الهند ۞

ذكر مُلك علآء الدين غزنة واخذها منه

لمّا فرغ بهآء الدين من وصيّته توفّى فسارا ولداه الى غزنة فخرج امرآء الغوريّة واهل البلد فلقوهما وخرج الاتراك معهم على كرهٍ منهم ودخلوا البلد وملكوه ونزل علآء الدين وجلال الدين دار السلطنة مستهلّ رمضان وكانوا قد وصلوا فى ضرٍّ وقلّة من العسكر واراد الاتراك منعهم فنهاهم مؤيّد المُلك وزير شهاب الدين لقلّتهم ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل[1] والى هراة على ما نذكره فلم يرجعوا ولمّا استقرّا بالقلعة ونزلا بدار السلطانيّة راسلهما الاتراك بان يخرجا من الدار والّا قاتلوهما ففرّقا فيهم اموالًا كثيرة واستحلفاهم فحلفوا واستثنوا[2] غياث الدين محمود وانفذا خلعًا الى تاج الدين الدُز وهو باقطاعه مع رسول وطلباه الى طاعتهما ووعداه بالاموال والزيادة فى الاقطاع وامارة الجيش والحكم فى جميع الممالك فاتاه الرسول

---

1) حرميل 2) واسمنوا

فلقيه وقد سار عن كرمان فى جيش كثير عن الترك والخلج والغزّ وغيرهم فابلغه الرسالة فلم يلتفت اليه وقال قل لهما يعودان الى باميان وفيها كفاية فانى قد امرنى مولاى غياث الدين ان اسير الى غزنة وامنعهما عنها فان عادا الى بلدهما والّا فعلتُ بهما ومن معهما ما يكرهون ورد ما معهما من الهدايا والخلع ولم يكن قصد الدز بهذا حفظ بيت صاحبه وانّما اراد ان يجعل هذا طريقًا الى مُلك غزنه لنفسه ؞ فعاد الرسول وابلغ علآء الدين رسالة الدُز فارسل وزيره وكان قبله وزير ابيه الى باميان وبلخ وترمذ وغيرها من بلادهم ليجمع العساكر ويعود اليه فارسل الدُز الى الاتراك الذين بغزنة يعرّفهم انّ غياث الدين امره ان يقصد غزنة ويُخرج علآء الدين واخاه منها فحصروا عند وزير علآء الدين وطلبوا منه سلاحًا ففتح خزانة السلاح فهرب ابن الوزير الى علآء الدين وقال له قد كان كذا وكذا فلم يقدر يفعل شيئًا وسمع مؤيّد الملك وزير شهاب الدين فركب وانكر على الخازن تسليم المفاتيح وامره واسترد ما نهبه الترك جميعه لانّه كان مطاعًا فيهم ؞ ووصل الدز الى غزنة فاخرج اليه علآء الدين جماعة من الغوريّة ومن الاتراك وفيهم صونج[1] صهر الدُز فاشار عليه اصحابه ان لا يفعل وينتظر العسكر مع وزيره فلم يقبل منهم وسيّر العساكر فالتقوا خامس رمضان فلمّا لقوه خدمه الاتراك وعادوا معه على عسكر علآء الدين له فقاتلوهم فهزموهم واسروا مقدّمهم وهو محمّد بن علىّ بن حردون ودخل عسكر الدُز المدينة فنهبوا بيوت الغوريّة والباميانيّة وحصر الدُز القلعة فخرج جلال الدين منها فى عشرين فارسًا وسار عن غزنة فقالت له امراة تستهزى به الى اين تمضى خذ الجتر[2] والشمسة معك ما اقبح خروج السلاطين هكذا فقال لها انّك سترين ذلك اليوم وافعل بكم ما تعرّون به بالسلطنة لى وكان قد قال لاخيه احفظ القلعة الى ان اتيك بالعساكر ؞ فبقى الدُز يحاصرها واراد مَن مع الدُز نهب البلد فنهاهم عن ذلك وارسل الى علآء الدين يامره بالخروج من القلعة وتهدّده ان لم يخرج منها وتردّدت الرسل بينهما فى ذلك

---

[1] صونجر [2] الجتر

فاجاب الى مفارقتها والعود الى بلده وارسل مَن حلّف له الدُز ان لا يوثبه ولا يعترض اليه ولا الى احد ممّن يحلف له وسار عن غزنة ء فلمّا رءاه الدُز وقد نزل من القلعة عدل الى تربة شهاب الدين مولاه ونزل اليها ونهب الاتراك ما كان مع علآء الدين والقوم عن فرسه واخذوا ثيابه وتركوه عريانًا بسروبله فلمّا سمع الدُز ذلك ارسل اليه بدوابّ وثياب ومال واعتذر اليه فاخذ ما لبسه وترك الباقى فلمّا وصل الى باميان لبس ثياب سواد وركب حمارًا فاخرجوا له مراكب ملوكيّة وملابس جميلة فلم يركب ولم يلبس وقال اريد يرانى الناس وما صنع بى اهل غزنه حتّى اذا عُدتُ اليها خرّبتُها ونهبتُها لا يلومنى احد ودخل دار الامارة وشرع فى جمع العساكر ٭

ذكر مُلك الدُز غزنة

قد ذكرنا استيلآء الدُز على الاموال والسلاح والدوابّ وغير ذلك ممّا كان صحبة شهاب الدين واخذه من الوزير موٴيّد الملك[1] فجمع به العساكر من انواع الناس الاتراك والخلج والغُزّ وغيرهم وسار الى غزنة وجرى له مع علآء الدين ما ذكرنا فلمّا خرج علآء الدين من غزنه اقام الدُز بداره اربعة ايّام يُظهر طاعة غياث الدين الّا انّه لم يامر الخطيب بالخطبة له ولا لغيره وانّما يخطب للخليفة ويترحّم على شهاب الدين الشهيد حسبُ ء فلمّا كان فى اليوم الرابع احضر مقدّمى الغوريّة والاتراك وذمّ مَن كاتب علآء الدين واخاه وقبض على امير دار والى غزنة فلمّا كان الغد وهو سادس عشر رمضان احضر القضاة والفقهآء والمقدّمين واحضر ايضًا رسول الخليفة وهو الشيخ مجد الدين ابو علىّ بن الربيع الفقيه الشافعىّ مُدرّس النظاميّة ببغداد وكان قد ورد الى غزنه رسولاً الى شهاب الدين فقُتل شهاب الدين وهو بغزنه فارسل اليه والى قاضى غزنة يقول له انّنى اريد انتقل الى دار السلطانيّة وان اخاطب بالملك ولا بُدّ من حضورك والمقصود من هذا ان نستقرّ امور الناس فحضر عنده فركب الدُز والناس فى خدمته وعليه ثياب الحزن وجلس فى الدار فى غير

---

[1] الدين

مجلس الذى كان يجلس فيه شهاب الدين فتغيّرت لذلك نيّات كثير من الاتراك لانّهم كانوا يطيعونه ظنًّا منهم انّه يريد الملك لغياث الدين فحيث رءاوه يريد الانفراد تغيّروا عن طاعته حتّى انّ بعضهم بكى غيظًا من فعله واقطع الاقطاعات الكثيرة وفرّق الاموال الجليلة وكان عند شهاب الدين جماعة من اولاد ملوك الغور وسمرقند وغيرهم فالتمسوا من خدمة الدُز وطلبوا منه ان يقصد خدمة غياث الدين واخيه صاحبَىْ باميان وارسل غياث الدين الى الدُز يشكره ويثنى عليه لاخراج اولاد بهآء الدين من غزنة وسيّر له الخلع وطلب منه الخطبة والسكّة فلم يفعل واعاد الجواب فغالطه وطلب منه ان يخاطبه بالملك وان يعتقه من الرقّ لانّ غياث الدين ابن اخى سيده لا وارث له سواه وان يزوّج ابنه بابنة الدُز فلم يجبه الى ذلك واتّفق انّ جماعة من الغوريّين من عسكر صاحب باميان اغاروا على اعمال كرمان وسوران وهى اقطاع الدُز القديمة فغنموا وقتلوا فارسل صهره صونج[1] فى عسكر فلقوا عسكر الباميان فظفر بهم وقتل منهم كثيرًا وانفذ رؤسهم الى غزنة فنُصبت بها واجرى الدُز فى غزنة رسوم شهاب الدين وفرّق فى اهلها اموالًا جليلة المقدار والزم مؤيّد الملك ان يكون وزيرًا له فامتنع من ذلك فالحّ عليه فاجابه على كُرْهٍ منه فدخل على مؤيّد الملك صديقٌ له يهنّيه فقال بما ذا تهنّينى من بعد ركوب الجواد بالحمار وانشد

وَمَن ركب الثور بعد الجواد انكر اطلافه والغبب

بينا الدُز يأتى الى بابى الف مرّة حتّى اذن له فى الدخول اصبح على بابه ولو حفظ النفس مع هؤلآء الاتراك لكان لى حكمٌ اخر ۞

ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمّه

وامّا غياث الدين محمود بن غياث الدين فانّه كان فى اقطاعه وهو بُست واسفرار[2] وكان الملك علآء الدين بن محمّد بن ابى علىّ قد ولّاه شهاب الدين بلاد الغور وغيرها من ارض الداون فلمّا بلغه قتله سار الى فيروزكوه خوفًا ان يسبقه اليها غياث الدين فيملك البلد

1) صونج 2) اسفزار

وياخذ الخزاين التى بها وكان علاء الدين حسن السيرة من اكابر بيوت
الغوريّة الّا انّ الناس كرهوه لميلهم الى غياث الدين وابا الامراء من
خدمته مع وجود ولد غياث الدين سلطانهم ولانّه كان كراميًّا مغاليًا
فى مذهبه واهل فيروزكوه شافعيّة والزمهم ان يجعلوا الاقامة مثنى فلمّا
وصل الى فيروزكوه احضر جماعة من الامراء منهم محمّد المرغنىّ واخوه
ومحمّد بن عثمان وهم من اكابر الامراء وحلّفهم على مساعدته على قتال
خوارزم شاه وبهاء الدين صاحب باميان ولم يذكر غياث الدين احتقارًا
له فحلفوا له ولولده من بعده وكان غياث الدين بمدينة بُست لم
يتحرّك فى شىء انتظارًا لما يكون من صاحب باميان لانّهما كانا قد تعاهدا
ايّام شهاب الدين ان تكون خراسان لغياث الدين وغزنة والهند لبهاء
الدين وكان بهاء الدين اقوى فلهذا لم يفعل شيئًا فلمّا بلغه خبر
موت بهاء الدين جلس على التخت وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان
وحلّف الامراء الذين قصدوه وهم اسمعيل الخلجىّ وسونج امير اشكار[1]
وزنكى ابن خرجوم[2] وحسين الغورىّ صاحب تكياباذ[3] وغيرهم وتلقّب
بالقاب ابيه غياث الدين وكتب الى علاء الدين محمّد بن ابى علىّ
وهو بفيروزكوه يستدعيه اليه ويستعطفه ليصدّه عن رايه ويسلّم مملكته
اليه وكتب الى الحسين بن خرميل[4] والى هراة مثل ذلك ايضًا ووعده
الزيادة فى الاقطاع ، فامّا علاء الدين فاغلظ له فى الجواب وكتب الى
الامراء الذين معه يتهدّدهم فرحل غياث الدين الى فيروزكوه فارسل
علاء الدين عسكرًا مع ولده وفرّق فيهم مالًا كثيرًا وخلع عليهم ليمنعوا
غياث الدين فلقوه قريبًا من فيروزكوه فلمّا تراءى الجمعان كشف اسمعيل
الخلجىّ المغفر عن وجهه وقال الحمد لله اذ الاتراك الذين لا يعرفون
اباهم لم يضيّعوا حقّ التربية وردّوا ابن ملك باميان وانتم مشايخ الغوريّة
الذين انعم عليكم والد هذا السلطان وربّاكم واحسن اليكم كفرتم
الاحسان وجئتم تقاتلون ولده اهذا فعل الاحرار فقال محمّد المرغنىّ
وهو مقدّم العسكر الذين يصدرون عن رايه لا والله ثمّ ترجّل عن

---

[1]) C. P. 740: سكار شكا   [2]) C. P. 740: بن حرجوم   Ups.: حرجوم
[3]) *Defrémery*. Codd. تكباباد   [4]) جرميل

فرسه والقى سلاحه وقصد غياث الدين وقبّل الارض بين يديه وبكى بصوت عالٍ وفعل ساير الامرآء كذلك فانهزم اصحاب علآء الدين مع ولده ، فلمّا بلغه الخبر خرج عن فيروزكوه هاربًا نحو الغور وهو يقول انا امشى اجاور بمكّة فانفذ غياث الدين خلعه من ردّه اليه فاخذه وحبسه وملك فيروزكوه وفرح به اهل البلد وقبض غياث الدين على جماعة من اصحاب علآء الدين الكراميّة وقتل بعضهم ولمّا دخل غياث الدين فيروزكوه ابتدا بالجامع فصلّى فيه ثمّ ركب الى دار ابيه فسكنها واعاد رسوم ابيه واستخدم حاشيته وقدم عليه عبد الجبّار بن محمّد الكيرانىّ وزير ابيه واستوزره وسلك طريق ابيه فى الاحسان والعدل ولمّا فرغ غياث الدين من علآء الدين لم يكن له همّة الّا ابن خرميل بهراة واجتذابه الى طاعته فكاتبه وراسله واتّخذه ابًا واستدعاه اليه وكان ابن خرميل قد بلغه موت شهاب الدين ثامن رمضان فجمع اعيان الناس منهم قاضى هراة صاعد بن الفضل النيسابورىّ وعلىّ بن عبد الخلّاق بن زياد مدرّس النظاميّة بهراة وشيخ الاسلام رئيس هراة ونقيب العلويّين ومقدّمى المحالّ وقال لهم قد بلغنى وفاة السلطان شهاب الدين وانا فى نحر خوارزم شاه واخاف الحصار واريد ان تحلفوا لى على المساعدة على كلّ من نازعنى فاجابه القاضى وابن زياد بانّنا نحلف على كلّ الناس الّا ولد غياث الدين فحقد عليهما فلمّا وصل كتاب غياث الدين خاف ميل الناس اليه فغالطه فى الجواب وكان ابن خرميل قد كاتب خوارزم شاه يطلب منه ان يرسل اليه عسكرًا ليعتبر فى طاعته ويمتنع به على الغوريّة فطلب منه خوارزم شاه انفاذ ولده رهينةً ويرسل اليه عسكرًا فسيّر ولده الى خوارزم شاه فكتب خوارزم شاه الى عسكره الذين بنيسابور وغيرها من بلاد خراسان يامرهم بالتوجّه الى هراة وان يكونوا يتصرّفون بامر ابن خرميل ويمتثلون امره هذا وغياث الدين يُتابع الكتب الى ابن خرميل وهو يحتجّ بشىٍّ بعد شىٍّ انتظارًا لعسكر خوارزم شاه ولا يؤيّسه من طاعته ولا يخطب له وبطيعه طاعة غير مستوية ثمّ ان الامير علىّ بن ابى علىّ صاحب كالوين اطلع غياث الدين على حال ابن خرميل فعزم غياث الدين على التوجّه الى هراة فثبّطه بعض الامرآء الذين معه واشاروا

عليه بانتظار اخر امره وترك محاقفته ، واستشار ابن خرميل القاضى فى امر غياث الدين فقال له على بن عبد الخلاق ابن زياد مدرّس النظاميّة بهراة وهو متولّى وقوف خراسان التى بيده للغوريّة جميعها ينبغى ان تخطب للسلطان غياث الدين وتترك المغالطة انّى إخاف على نفسى فامض انت وتوثّق لى منه وكان قصده ان يُبْعده عن نفسه فمضى برسالته الى غياث الدين واطلعه على ما يريد ابن خرميل بفعله من الغدر به والميل الى خوارزم شاه وحثّه على قصد هراة وقال له انا اسلّمها اليك ساعة تصل اليها ووافقه بعض الامرآء وخالفه غيرهم وقال ينبغى ان لا تترك له حجّة فترسل اليه تقليداً بولاية هراة ففعل ذلك وسيّره مع ابن زياد وبعض اصحابه ، ثمّ انّ غياث الدين كاتب اميران بن قيصر صاحب الطالقان يستدعيه اليه فتوقّف وارسل الى صاحب مرو ليسير اليه فتوقّف ايضًا فقال له اهل البلد ان لم تُسلم البلد الى غياث الدين وتتوجّه والّا سلّمناك وقيّدناك وارسلناك اليه فاضطرّ الى المجئ الى فيروزكوه فخلع عليه غياث الدين واقطعه اقطاعات شتّى واقطع الطالقان سونج مملوك ابيه المعروف بامير اشكار ۞

ذكر استيلآء خوارزم شاه على بلاد الغوريّة بخراسان

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خرميل والى هراة خوارزم شاه ومراسلته فى الانتمآء اليه والطاعة له وترك طاعة الغوريّة وخداعه لغياث الدين ومغالطته له بالخطبة له والطاعة انتظارَ الوصول عسكر خوارزم شاه ووصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخطبة فقال يوم الجمعة تخطب له فاتّفق قرب عسكر خوارزم شاه منهم فلمّا كان يوم الجمعة قيل له فى معنى الخطبة فقال نحن فى شغل اهمّ منها بوصول هذا العدوّ فطالت المجادلات بينهم فى ذلك وهو مُصِرّ على الامتناع منها ووصل عسكر خوارزم شاه فلقيهم ابن خرميل وانزلهم على باب البلد فقالوا له قد أَمَرَنا خوارزم شاه انّنا لا نخالف لك امرًا فشكرهم على ذلك وكان يخرج اليهم كلّ يوم واقام لهم الوظايف الكثيرة واتاه الخبر انّ خوارزم شاه نزل على بلخ يحاصرها فلقيه صاحبها وقاتله بظاهر البلد فلم ينزل بالقرب منها فنزل على اربعة فراسخ فندم ابن خرميل على طاعة خوارزم شاه وقال لخواصّه لقد اخطانا حيث

صرنا مع هذا الرجل فانّى اراه عاجزًا وشرع فى اعادة العسكر فقال
للامرآء انّ خوارزم شاه قد ارسل الى غياث الدين يقول له انّنى على
العهد الذى بيننا وانا اترك ما كان لابيك بخراسان والمصلحة ان ترجعوا
حتّى ننظر ما يكون فعادوا وارسل اليهم الهدايا الكثيرة وكان غياث
الدين حيث اتّصل به وصول عسكر خوارزم شاه الى هراة فاخذ اقطاع
ابن خرميل وارسل الى كرزبان[1] واخذ كلّ ما له بها من مال واولاد ودوابّ
وغير ذلك واخذ اصحابه فى القيود واتاه كتب من يميل اليه من الغوريّة
يقولون له ان رءاك غياث الدين قتلك، ولمّا سمع اهل هراة بما فعل
غياث الدين باهل ابن خرميل وما له عزموا على قبضه والمكاتبة الى
غياث الدين بانفاذ مَن يتسلّم البلد وكتب القاضى صاعد قاضى هراة
وابن زياد الى غياث الدين بذلك، فلمّا سمع ابن خرميل بما فعله غياث
الدين باهله وبما عزم عليه اهل هراة خاف ان يعاجلوه بالقبض فحضر
عند القاضى واحضر اعيان البلد وألان لهم القول وتقرّب اليهم واظهر
طاعة غياث الدين وقال قد رددتُ عسكر خوارزم شاه واريد ارسل رسولاً
الى غياث الدين بطاعتى والذى اوثره منكم ان تكتبوا معه كتابًا بطاعتى
فاستحسنوا قوله وكتبوا له بما طلب وسيّر رسوله الى فيروزكوه وامره
اذا جنّه الليل ان يرجع على طريق نيسابور ويلحق عسكر خوارزم شاه
ويجدّ السير فاذا لحقهم ردّهم اليه ففعل الرسول ما امره ولحق العسكر
على يومَيْن من هراة فامرهم بالعود فعادوا فلمّا كان اليوم الرابع من سير
الرسول وصلوا الى هراة والرسول بين ايديهم فلقيهم ابن خرميل وادخلهم
البلد والطبول تضرب بين ايديهم فلمّا دخلوا اخذ ابن زياد الفقيه فسمله
واخرج القاضى صاعدًا من البلد فسار الى غياث الدين بفيروزكوه واخرج
مَن عنده من الغوريّة وكلّ مَن يعلم انّه يريدهم وسلّم ابواب البلد الى
الخوارزميّة، وامّا غياث الدين فانّه برز [من] فيروزكوه نحو هراة وارسل
عسكرًا فاخذوا حشيرًا كان لاهل هراة يخرج للخوارزميّة فشنّوا الغارة على
هراة الروذ وغيره فامر غياث الدين عسكره بالتقدّم الى هراة وجعل المقدّم

1) Semper كرزدان

عليهم علىّ بن ابى علىّ واقام هو بفيروزكوه لمّا بلغه انّ خوارزم شاه على بلخ فسار العسكر وعلى تركه الامير اميران بن قيصر الذى كان صاحب الطالقان فارسل الى ابن خرميل يعرّفه انّه على الترك ويامره بالمجىّ اليه فانّه لا يمنعه وحلف له على ذلك فسار ابن خرميل فى عسكره فكبس عسكر غياث الدين فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتّى خالطوهم فقتلوا فيهم فكفّ ابن خرميل اصحابه عن الغوريّة خوفًا ان يهلكوا وغنم واسر اسمعيل الخلجىّ واقام بمكانه وارسل عسكره فشنّوا الغارة على البلاد بادغيس وغيرها ، وعظم الامر على غياث الدين فعزم على المسير الى هراة بنفسه فاتاه الخبر انّ علآء الدين صاحب باميان قد عاد الى غزنة على ما نذكره فاقام ينتظر ما يكون منهم ومن الذز ، وامّا بلخ فانّ خوارزم شاه لمّا بلغه قتل شهاب الدين اخرج مَن كان عنده من الغوريّين الذين كان اسرهم فى المصافّ على باب خوارزم فخلع عليهم واحسن اليهم واعطاهم الاموال وقال انّ غياث الدين اخى ولا فرق بينى وبينه فمن احبّ منكم المقام عندى فليقم ومَن احبّ ان يسير اليه فانّنى اسيّره ولو اراد منّى مهما اراد نزلتُ له عنه وعهد الى محمّد بن علىّ بن بشير وهو من اكابر الامرآء الغوريّة فاحسن اليه واقطعه استمالة للغوريّة وجعله سفيرًا بينه وبين صاحب بلخ فسيّر اخاه علىّ شاه بين يديه فى عسكره الى بلخ فلمّا قاربها خرج اليه عماد الدين عمر بن الحسين الغورىّ اميرها فدفعه عن النزول عليها فنزل على اربعة فراسخ عنها فارسل الى اخيه خوارزم شاه يُعلمه قوّتهم فسار اليها فى ذى القعدة من السنة فلمّا وصل الى بلخ خرج صاحبها فقاتلهم فلم يقوَ بهم لكثرتهم فنزلوا فصار يوقع بهم ليلًا فكانوا معه على اقبح صورة فاقام صاحب بلخ محاصرًا وهو ينتظر المدد من اصحابه اولاد بهآء الدين صاحب باميان وكانوا قد اشتغلوا عنه بغزنة على ما ذكرناه وعلى ما نذكره ان شآء الله تعالى فاقام خوارزم شاه على بلخ اربعين يومًا كلّ يوم يركب الى الحرب فيُقتل من اصحابه كثير ولا يظفر بشىء فراسل صاحبها عماد الدين مع محمّد ابن علىّ بن بشير الغورىّ وبذل له بذلًا كثيرًا ليُسلم اليه البلد فلم يُجبه الى ذلك وقال لا اسلم البلد الّا الى اصحابه فعزم على المسير الى

هراة فلمّا سار اصحابه اولاد بهآء الدين صاحب باميان الى غزنة المرة الثانية على ما نذكره ان شآء الله تعالى واسرهم تاج الدين الذز عاد عن ذلك العزم وارسل محمّد بن علىّ بن بشير الى عماد الدين نائبه يعرّفه حال اصحابه واسرهم وانّه لا يبقى عليه حجّة ولا له فى التاخّر عنه عذر فدخل اليه ولم يزل يخدعه تارة يرغّبه وتارة يرهّبه حتّى اجاب الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له وذكر اسمه على السكّة وقال انا اعلم انّه لا يفى له وارسل مَن يستحلفه على ما اراد فتمّ الصلح وخرج الى خوارزم شاه فخلع عليه واعاده الى بلده وكان سلخ ربيع الاوّل سنة ثلاث وستّمائة ثمّ سار خوارزم شاه الى كرزبان ليحاصرها وبها علىّ بن ابى علىّ وارسل الى غياث الدين يقول انّ هذه كان قد اقطعها عمّك لابن خرميل فتنزل عنها فامتنع وقال بينى وبينكم السيف فارسل اليه خوارزم شاه مع محمّد بن علىّ بن بشير فرغّبه وايّسه من نجدة غياث الدين ولم يزل به حتّى نزل عنها وسلّمها وعاد الى فيروزكوه فامر غياث الدين بقتله فشفع فيه الامرآء فتركه وسلّم خوارزم شاه كرزبان الى ابن خرميل ثمّ ارسل الى عماد الدين صاحب بلخ يطلبه اليه ويقول قد حضر مهمّ ولا غنى عن حضورك فانت اليوم من اخصّ اوليآئنا فحضر عنده فقبض عليه وسيّره الى خوارزم ومضى هو الى بلخ فاخذها واستناب بها جعفر التركىّ ٭

ذكر مُلك خوارزم شاه ترمذ وتسليمها الى الخطا

لمّا اخذ خوارزم شاه مدينة بلخ سار عنها الى مدينة ترمذ مجدًّا وبها ولد عماد الدين الذى كان صاحب بلخ فارسل اليه محمّد بن علىّ بن بشير يقول له انّ اباك قد صار من اخصّ اصحابى واكابر امرآء دولتى وقد سلّم الىّ بلخ وانّما ظهر لى منه ما انكرته فسيّرته الى خوارزم مكرّمًا محترمًا وامّا انت فتكون عندى اخًا ووعده واقطعه الكثير فخدعه محمّد بن علىّ فراى صاحبها انّ خوارزم شاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب اخر واصحابه قد اسرهم الذز بغزنة فضعفت نفسه وارسل مَن يستحلف له خوارزم شاه فحلف له وتسلّم منه ترمذ وسلّمها الى الخطا فلقد اكتسب بها خوارزم شاه مسبّة عظيمة وذكرًا

قبيحًا فى عاجل الامر ثمّ ظهر للناس بعد ذلك انّه انّما سلّمها اليهم
ليتمكّن بذلك من مُلك خراسان ثمّ يعود اليهم فياخذها وغيرها منهم
لانّه لمّا ملك خراسان وقصد بلاد الخطا واخذها وافناهم [ظهر] على الناس
انّه فعل ذلك خديعةً ومكرًا غفر الله له ❁

ذكر عود اصحاب باميان الى غزنة

قد ذكرنا قبلُ وصول الدز التركىّ الى غزنة واخراجه علآء الدين
وجلال الدين ولدَىْ بهآء الدين سام صاحب باميان منها بعد ان ملكها
واقام هو فى غزنة من عاشر رمضان سنة اثنتين وستّماية الى خامس ذى
القعدة من السنة يحسن السيرة ويعدل فى الرعيّة واقطع البلاد للاجناد
فبعضهم اقام وبعضهم سار الى غياث الدين ولم يخطب لاحد ولا لنفسه
وكان يَعِد الناس بانّ رسولى عند مولاى غياث الدين فاذا عاد خطبتُ له
ففرح الناس بقوله وكان يفعل ذلك مكرًا وخديعةً بهم وبغياث الدين
لانّه لو لم يُظهر ذلك لفارقه اكثر الاتراك وساير الرعايا وكان حينئذ
يضعُف عن مقاومة صاحب باميان فكان يستخدم الاتراك وغيرهم بهذا
القول واشباهه فلمّا ظفر بصاحب باميان على ما نذكره اظهر ما كان
يُضمره ۞ فبينما هو فى هذا[1] اتاه الخبر بقرب علآء الدين وجلال الدين
ولدَىْ بهآء الدين صاحب باميان فى العساكر الكثيرة وانّهم قد عزموا
على نهب غزنة واستباحة الاموال والانفس فخاف الناس خوفًا شديدًا وجهّز
الدُز كثيرًا من عسكره وسيّرهم الى طريقهم فلقوا اوايل[2] العسكر فقتل من
الاتراك وادركهم العسكر فلم يكن لهم قوّة بهم فانهزموا وتبعهم عسكر علآء
الدين يقتلون ويأسرون فوصل المنهزمون الى غزنة فخرج عنها الدز منهزمًا
يطلب بلده كرمان فادركه بعض عسكر باميان نحو ثلاثة الاف فارس
فقاتلهم قتالًا شديدًا فردّهم عنه واحضر من كرمان مالًا كثيرًا وسلاحًا
ففرّقه فى العسكر ۞ واما علآء الدين واخوه فانّهما تركا غزنة لم يدخلاها
وسارا فى اثر الدُز فسمع بهم فسار عن كرمان فنهب الناس بعضهم بعضًا
وملك علآء الدين كرمان وامّنوا اهلها وعزموا على العود الى غزنة ونَهْبها

1) هذان   2) ولبك

فسمع اهلها بذلك فقصدوا القاضى سعد بن مسعود وشكوا اليه حالهم فمشى الى وزير علآء الدين المعروف بالصاحب واخبره بحال الناس فطيّب قلوبهم واخبرهم غيره ممّن يثقون اليه انّهم مجمعون على النهب فاستعدّوا وضبّقوا ابواب الدروب والشوارع واعدّوا الغرادات والاحجار وجآءت التجار من العراق والموصل والشام وغيرها وشكوا الى اصحاب السلطان فلم يُسكّنهم احد فقصدوا دار مجد الدين بن الربيع رسول الخليفة واستغاثوا به فسكّنهم ووعدهم الشفاعة فيهم وفى اهل البلد فارسل الى امير كبير من الغوريّة يقال له سليمان بن سيسر وكان شيخًا كبيرًا يرجعون الى قوله يُعرّفه الحال ويقول له يكتب الى علآء الدين واخيه بتشفّع فى الناس ففعل وبالغ فى الشفاعة وخوّفهم من اهل البلد إن اصرّوا على النهب فاجابوه الى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة وكانوا قد وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة فعوّضوهم من الخزانة فسكن الناس وعاد العسكر الى غزنة اواخر ذى القعدة ومعهم الخزانة التى اخذها الدز من مؤيّد الملك لمّا عاد ومعه شهاب الدين قتيلًا فكانت مع ما اضيف اليها من الثياب والعين تسع مائة حمل ومن جملة ما كان فيها من الثياب الممزّج المنسوج بالذهب اثنا عشر الف ثوب وعزم علآء الدين بستوزر مؤيّد الملك فسمع اخوه جلال الدين فاحضره وخلع عليه على كراهة منه للخلعة واستوزره فلمّا سمع علآء الدين بذلك قبض على مؤيّد الملك وقيّده وحبسه فتغيّرت نيّات الناس واختلفوا ثمّ انّ علآء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة وجرى بينهما من المشاحنة فى القسمة ما لا يجرى بين التجار فاستدلّ بذلك الناس على انّهما لا يستقيم لهما حال لبخلهما واختلافهما وندم الامرآء على ميلهم اليهما وتركهم غياث الدين مع ما ظهر من كرمه واحسانه ثمّ انّ جلال الدين وعمّه عبّاسًا سارا فى بعض العسكر الى باميان وبقى علآء الدين بغزنة فاسآء وزيره عماد الملك السيرة مع الاجناد والرعيّة ونهب اموال الاتراك حتّى انّهم باعوا امّهات اولادهم وهنّ يبكين ويصرخن ولا يلتفت اليهنّ ۞

ذكر عود الدُز الى غزنة

لمّا سار جلال الدين عن غزنة واقام بها اخوه علآء الدين جمع

الدز ومن معه من الاتراك عسكرا كثيرا وعادوا الى غزنة فوصلوا الى كلوا[1] فملكوها وقتلوا جماعة من الغورية ووصل المنهزمون الى كرمان فسار الدز اليهم وجعل على مقدمته مملوكا كبيرا من مماليك شهاب الدين اسمه اى دكز التتر[2] فى الفى فارس من الخلج والاتراك والغز والغورية وغيرهم وكان بكرمان عسكر لعلاء الدين مع امير يقال له ابن المؤيد ومعه جماعة من الامراء منهم ابو على بن سليمان بن سيسر وهو وابوه من اعيان الغورية وكانا مشتغلين باللعب واللهو والشرب لا يفتران عن ذلك فقيل لهما ان عسكر الاتراك قد قربوا منكم فلم يلتفتا الى ذلك ولا تركا ما كانا عليه فهجم عليهم اى دكز التتر[2] ومن معه من الاتراك فلم يمهلهم يركبون خيولهم فقتلوا عن اخرهم منهم من قتل فى المعركة ومنهم من قتل صبرا ولم ينج الا من تركه الاتراك عمدا ، ولما وصل الدز فراى امراء الغورية كلهم قتلى قال كل هولاء قاتلونا فقال اى دكز التتر لا بل قتلناهم صبرا فلامه على ذلك ووبخه واحضر راس ابن المؤيد بين يديه فسجد شكرا لله تعالى وامر بالمقتولين فغسلوا ودفنوا وكان فى جملة القتلى ابو على بن سليمان بن سيسر ووصل الخبر الى غزنة فى العشرين من ذى الحجة من هذه السنة فصلب علاء الدين الذى جاء بالخبر فتغيمت السماء وجاء مطر شديد خرب بعض غزنة وجاء بعده برد كبار مثل بيض الدجاج فضج الناس الى علاء الدين بانزال المصلوب فانزله اخر النهار فانكشفت الظلمة وسكن ما كانوا فيه ، وملك الدز كرمان واحسن الى اهلها وكانوا فى ضر شديد مع اولئك ، ولما صح الخبر عند علاء الدين ارسل وزيره الصاحب الى اخيه جلال الدين فى باميان يخبره بحال الدز ويستنجده وكان قد اعد العساكر ليسير الى بلخ ترحل عنها خوارزم شاه فلما اتاه هذا الخبر ترك بلخ وسار الى غزنة وكان اكثر عسكره من الغورية قد فارقوه وفارقوا اخاه وقصدوا غياث الدين فلما كان اواخر ذى الحجة وصل الدز الى غزنة ونزل هو وعسكره بازاء قلعة غزنة وحصر علاء الدين وجرى بينهم قتال شديد وامر الدز فنودى فى البلد

[2]) C. P. et 740. Ups: اى دكن البتر

[1]) 740: غرنه

بالامان وتسكين الناس من اهل البلد والغوريّة وعسكر باميان واقام الدز محاصرًا للقلعة فوصل جلال الدين فى اربعة الاف من عسكر باميان وغيرهم فرحل الدز الى طريقهم وكان مقامه الى ان سار اليهم اربعين يومًا فلمّا سار الدز سيّر علآء الدين مَن كان عنده من العسكر وامرهم ان يأتوا الدز من خلفه ويكون اخوه من بين يديه فلا يسلم من عسكره احد فلمّا خرجوا من القلعة سار سليمان بن سيسر الغوريّ الى غياث الدين بفيروزكوه فلمّا وصل اكرمه وعظّمه وجعله امير دار فيروزكوه وكان ذلك فى صفر سنة ثلاث وستّمائة ، وامّا الدز فانّه سار الى طريق جلال الدين فالتقوا بقرية بَلَق[1] فاقتتلوا قتالاً صبروا فيه فانهزم جلال الدين وعسكره وأُخذ جلال الدين اسيرًا واتى به الى الدز فلمّا رآه ترجّل وقبّل يده وامر بالاحتياط عليه وعاد الى غزنة وجلال الدين معه اسير والف اسير من الباميانيّة وغنم اصحابه اموالهم ولمّا عاد الى غزنة ارسل الى علآء الدين يقول له ليسلّم القلعة اليه والاّ قتل مَن عنده من الاسرى فلم يسلّمها فقتل منهم اربع مائة اسير بازآء القلعة فلمّا راى علآء الدين ذلك ارسل مؤيّد الملك يطلب الامان فامّنه الدز فلمّا خرج قبض عليه ووكّل به وباخيه مَن يحفظهما وقبض على وزيره لسوء سيرته وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش مع علآء الدين بقلعة غزنة فلمّا خرج منها قبض عليه ايضًا وكتب الى غياث الدين بالفتح وارسل اليه الاعلام وبعض الاسرى ۞

ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب اربل اذربيجان

فى هذه السنة اتّفق صاحب مراغة وهو علآء الدين هو ومظفّر الدين كوكبرى صاحب اربل على قصد اذربيجان واخذها من صاحبها ابى بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلاً ونهارًا وتركه النظر فى احوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا فسار صاحب اربل الى مراغة واجتمع هو وصاحبها علآء الدين وتقدّما نحو تبريز فلمّا علم صاحبها ابو بكر ارسل الى ايتغمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان والرىّ وما بينهما من البلاد

[1]) 740. بلق Ups.: بلق

وهو مملوك ابيه البهلوان وهو فى طاعة ابى بكر الّا انّه قد غلب على البلاد فلا يلتفت الى ابى بكر فارسل اليه ابو بكر يستنجده ويعرّفه الحال وكان حينيّذ ببلد الاسماعيليّة فلمّا اتاه الخبر سار اليه فى العساكر الكثيرة فلمّا حضر عنده ارسل الى صاحب اربل يقول له انّنا كنّا نسمع عنك انّك تحبّ اهل العلم والخير وتحسن اليهم فكنّا نعتقد فيك الخير والدين فلمّا كان الآن ظهر لنا منك ضدّ ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب اموالهم واثارة الفتنة فاذا كنت كذلك فما لك عقل تجيء الينا وانت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان الى خلاط والى اربل واحسب انّك هزمت هذا اما تعلم ان له مماليك انا احدهم ولو اخذ من كلّ قرية شحنة او من كلّ مدينة عشرة رجال لاجتمع له اضعاف عسكرك فالمصلحة انّك ترجع الى بلدك وانّما اقول لك هذا ابقاء عليك ٭ ثمّ سار نحوه عقيب هذه الرسالة فلمّا سمعها مظفّر الدين وبلغه مسير اينغمش عزم على العود فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم مكانه ويسلّم عسكره اليه وقال له انّنى قد كاتبنى جميع امرآيه ليكونوا معى اذا قصدتهم فلم يقبل مظفّر الدين من قوله وعاد الى بلده وسلك الطريق الشاقّة والمضايق الصعبة والعقاب الشاهقة خوفًا من الطلب ثمّ انّ ابا بكر وايتغمش قصدا مراغة وحصراها فصالحهما صاحبها على تسليم قلعة من حصونه الى ابى بكر هى كانت سبب الاختلاف واقطعه ابو بكر مدينتى استنوا[1] وارمية وعاد عنه ٭

ذكر ايقاع ايتغمش بالاسماعيليّة

وفى هذه السنة سار ايتغمش الى بلاد الاسماعيليّة المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع وصمّم العزم على حصر الموت واستيصال اهلها فاتّفق ما ذكرنا من حركة صاحب مراغة وصاحب اربل واستدعاه الامير ابو بكر ففارق بلادهم وسار الى ابى بكر كما ذكرناه ٭

[1]) Fortasse اشنه legendum. Cfr *Journ. Asiat.* 1847, I, p. 460.

ذكر وصول عسكر خوارزم الى بلد الجبل وما كان منهم

وفى هذه السنة سار من عسكر خوارزم طايفة كبيرة نحو عشرة الاف فارس باهليهم واولادهم فوصلوا الى زنكان وكان ابنغمش صاحبها مشغولاً مع صاحب اربل وصاحب مراغة واغتنموا خلوّ البلاد فلمّا عاد مظفر الدين الى بلده وانفصل الحال بين ابتغمش وصاحب مراغة سار ابتغمش نحو الخوارزمية فلقيهم وقاتلهم فاشتدّ القتال بين الطايفتين ثمّ انهزم الخوارزميّون واخذهم السيف فقُتل منهم وأُسر خلق كثير ولم ينج منهم الّا الشريد وسُبى سبآؤهم وغنمت اموالهم وكانوا قد افسدوا فى البلاد بالنهب والقتل فلقوا عقبة فعلهم ☆

ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال حلب

وفى هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الارمنىّ صاحب الدروب على ولاية حلب فنهب وحرّق واسر وسبى فجمع الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيراً من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل فى طرف بلاده ممّا يلى بلد حلب فليس اليه طريق لانّ جميع بلاده لا طريق اليها الّا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لا سيّما من ناحية حلب فانّ الطريق منها متعذّر جدًّا فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدّمته جماعة من عسكره مع امير كبير من مماليك ابيه يُعرف بميمون القصرىّ يُنسب الى قصر الخلفآء العلويّين بمصر لانّ اباه منهم اخذه فانفذ الظاهر ميرة وسلاحًا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وانفذ الى ميمون ليرسل طايفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها الى دربساك ففعل ذلك وسيّر جماعة كثيرة من عسكره وبقى فى قلّة فبلغ الخبر الى ابن ليون فجدّ فوافاه وهو مخفّ من العسكر فقاتله واشتدّ القتال بينهم فارسل ميمون الى الظاهر يعرّفه وكان بعيدًا عنه فطالت الحربُ بينهم وحمى ميمون نفسه واثقاله على قلّة من المسلمين وكثرة من الارمن فانهزم المسلمون ونال العدوّ منهم فقتل واسر وكذلك ايضًا فعل المسلمون بالارمن من كثرة القتل وظفر الارمن باثقال المسلمين

فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخاير الى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يَرُعْهم الّا العدوّ وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا اشدّ قتال ثمّ انهزم المسلمون ايضًا وعاد الارمن الى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم ۞

ذكر نهب الكرج ارمينيّة

في هذه السنة قصدت الكرج في جموعها ولاية خلاط من ارمينيّة ونهبوا وقتلوا واسروا وسبوا اهلها كثيرًا وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج اليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا منصرّفين في النهب والسبى والبلاد شاغرة لا مانع لها لانّ صاحبها صبىّ[1] والمدبّر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجُند فلمّا اشتدّ البلآء على الناس تذامروا وحرّض بعضهم بعضًا واجتمعت العساكر الاسلاميّة التى بتلك الولاية جميعها وانضاف اليهم من المتطوّعة كثير فساروا جميعهم نحو الكُرج وهم خايفون فراى بعض الصوفيّة الاخيار الشيخَ محمّد البُستىّ وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفىّ اراك هاهنا فقال جيتُ لمساعدة المسلمين على عدوّهم فاستيقظ فرحًا بمحلّ البُستىّ من الاسلام واتى الى مدبّر العسكر والقيّم بامره وقصّ عليه رؤياه ففرح بذلك وقوى عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر اليهم فنزل منزلًا فوصلت الاخبار الى الكرج فعزموا على كبس المسلمين فانتقلوا من موضعهم بالوادى الى اعلاه فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين اذا اظلم الليل فاتى المسلمين الخبر فقصدوا الكرج وامسكوا عليهم راس الوادى واسفله وهو وادٍ ليس اليه غير هذه الطريقَيْن فلمّا راى الكرج ذلك ايقنوا بالهلاك وسقط ما في ايديهم وطمع المسلمون فيهم وضايقوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم كثيرًا واسروا مثلهم ولم يُفلت من الكرج الّا القليل وكفى الله المسلمين شرّهم بعد ان كانوا اشرفوا على الهلاك ۞

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في جمادى الاخرة توفّى الامير طاشتكين مجير الدين امير الحاجّ بتُسْتَر وكان قد ولّاه الخليفة على جميع خوزستان وكان اميرًا

---

1) 740 addit. ولا مدبر له

على الحاجّ سنين كثيرة وكان خيّرًا صالحًا حسن السيرة كثير العبادة يتشيّع ولمّا مات ولّى الخليفة على خورستان مملوكه سنجر وهو صهر طاشتكين زوج ابنته ؛ وفيها قُتل سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش امير عبادة بالعراق وكان سبب قتله انّه سعى بابيه مقلد الى الخليفة الناصر لدين الله فامر بالتوكيل على ابيه فبقى مدّة ثمّ اطلقه الخليفة ثمّ انّ سنجرًا قتل اخا له اسمه[1] فاوغر بهذه الاسباب صدور اهله واخوته فلمّا كان هذه السنة فى شعبان نزل بارض المعشوق وركب فى بعض الايّام ومعه اخوته وغيرهم من اصحابه فلمّا انفرد عن اصحابه ضربه اخوه علىّ بن مقلد بالسيف فسقط الى الارض فنزل اخوته اليه فقتلوه ؛ وفيها تجهّز غياث الدين خسرو شاه صاحب مدينة الروم الى مدينة طرابزون[2] وحصر صاحبها لانّه كان قد خرج عن طاعته فضيّق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس وقفجاق وغيرها برًّا وبحرًا ولم يخرج منهم احدٌ الى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس لانّهم كانوا يتّجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير بحيث لم ينفتح الطريق تاذّوا اذًى كثيرًا فكان السعيد منهم مَن عاد الى راس ماله ؛ وفيها تزوّج ابو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بابنة ملك الكرج وسبب ذلك انّ الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما راوا من عجزه وانهماكه فى الشرب واللعب وما جانسهما واعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما راى هو ايضًا ذلك ولم يكن عنده من الحميّة والانفة من هذه المناحس ما يترك ما هو مُصرٌّ عليه وانّه لا يقدر على الذبّ عن البلاد عدل الى الذبّ عنها بأيره فخطب ابنة ملكهم فتزوّجها فكفّ الكرج عن النهب والاغارة والقتل فكان كما قيل اغمد سيفه وسلّ أيره ؛ وفيها حُمل الى ازبك خروف وجهه صورة ادمىّ وبدنه بدن خروف وكان هذا من العجايب ؛ وفيها توفّى القاضى ابو محمّد بن محمّد المانداىّ الواسطىّ بها ؛ وفيها فى شوّال توفّى فخر الدين

1) Sic quoque in 740.   2) طرابرون

مبارك شاه بن الحسن المروروذيّ[1] وكان حسن الشعر بالفارسيّة والعربيّة وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كُتب وشطرنج فالعلمآء يطالعون الكتب والجهّال يلعبون بالشطرنج ، وفيها في ذى الحجّة توفّى ابو الحسن علىّ بن علىّ بن سعادة الفارقىّ الفقيه الشافعىّ ببغداد وبقى مدّة طويلة معيدًا بالنظاميّة وصار مدرّسًا بالمدرسة التى احدثتها امّ الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحًا طلب للنيابة فى القضآء ببغداد فامتنع فأُلزم بذلك فوليه يسيرًا ثمّ فى بعض الايّام مشى الى جامع ابن المطّلب فنزل ولبس مئزر صوف غليظ وغيّر ثيابه وامر الوكلآء وغيرهم بالانصراف واقام به حتّى سكن الطلب عنه وعاد الى [داره] بغير ولاية ، وفيها وقع الشيخ ابو موسى المكّىّ المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلًا صالحًا كثير العبادة ، وفيها ايضًا توفّى العفيف ابو المكارم عرفة بن علىّ بن بصلا البندنيجىّ ببغداد وكان رجلًا صالحًا منقطعًا الى العبادة رحمه الله ۞

ثمّ دخلت سنة ثلاث وستّمائة

سنة ٦٠٣

ذكر مُلك عبّاس باميان وعودها الى ابن اخيه

فى هذه السنة ملك عبّاس باميان من علآء الدين وجلال الدين ولدَىْ اخيه بهآء الدين وسبب ذلك انّ عسكر باميان لمّا انهزموا من الذز وعادوا اليها اخبروا انّ علآء الدين وجلال الدين أُسروا وانّ الذز ومَن معه غنموا ما فى ايديهما فاخذ وزير ابيهما المعروف بالصاحب من الاموال كثيرًا ومن الجواهر وغيرها من التحف واخذ فيلًا وسار الى خوارزم شاه يستنجده على الذز ليسيّر معه عسكرًا يستخلص به صاحبَيْه فلمّا فارق باميان راى عمّهما عبّاس خلوّ البلد منه ومن ابنَىْ اخيه جمع اصحابه وقام فى البلد فملكه وصعد الى القلعة فملكها واخرج اصحاب ابنَىْ اخيه علآء الدين وجلال الدين منها فبلغ الخبر الى الوزير السائر الى خوارزم شاه فعاد الى باميان وجمع الجموع الكثيرة وحصر عبّاسًا فى القلعة وكان مطاعًا فى جميع ممالك بهآء الدين وولدَيْه من بعده واقام محاصرًا

1) المرورذى

الّا انّه لم يكن معه من المال ما يقوم بما يحتاج اليه انّما كان معه ما احذه ليحمله الى خوارزم شاه   فلمّا خلص جلال الدين من اسر الذز على ما نذكره وسار الى باميان فوصل الى ارصف وهى مدينة باميان وجاء اليه وزير ابيه الصاحب واجتمع به وسار الى القلاع وراسلوا عبّاسًا المتغلّب عليها ولاطفوه فسلّم الجميع الى جلال الدين وقال انّما حفظتُها خوفًا ان ياخذها خوارزم شاه فاستحسن فعله وعاد الى مُلكه ٭

ذكر مُلك خوارزم شاه الطالقان

لمّا سلّم خوارزم شاه ترمذ الى الخطا سار عنها الى ميمنه[1] واندخوى [وكتب][2] الى سونج امير اشكار[3] نائب غياث الدين محمود بالطالقان يستميله فعاد الرسول خائبًا لم يجبه سونج الى ما اراد منه وجمع عسكره وخرج يحارب خوارزم شاه فالتقوا بالقرب من الطالقان فلمّا تقابل العسكران حمل سونج وحده مُجدًّا حتّى قارب عسكر خوارزم شاه فالقى نفسه الى الارض ورمى سلاحه عنه وقبّل الارض وسأل العفو فظنّ خوارزم شاه انّه سكران فلمّا علم انّه صاحٍ ذمّه وسبّه وقال مَن يثق الى هذا واشباهه ولم يلتفت اليه واخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودوابّ وانفذه الى غياث الدين مع رسول وحمّله رسالة تتضمّن التقرّب اليه والملاطفة له واستناب بالطالقان بعض اصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار فخرج اليه حسام الدين علىّ بن ابى علىّ صاحب كالوين وقاتله على رؤس الجبال فارسل اليه خوارزم شاه يتهدّده ان لم يسلّم اليه فقال امّا انا فمملوك وهذه الحصون وهى امانة بيدى ولا اسلّمها الّا الى صاحبها   فاستحسن خوارزم شاه منه هذا واثنى عليه وذمّ سونج   ولمّا بلغ غياث الدين خبر سونج وتسليم الطالقان الى خوارزم شاه عظم عنده وشقّ عليه فسلّاه اصحابه وهوّنوا الامر   ولمّا فرغ خوارزم شاه من الطالقان سار الى هراة فنزل بظاهرها ولم يمكن ابن حرميل احدًا من الخوارزميّين ان يتطرّق بالاذى الى اهلها وانّما كانوا يجتمع منهم الجماعة بعد الجماعة فيقطعون الطريق وهذه عادة للخوارزميّين ووصل رسول غياث الدين الى خوارزم شاه

[3]) C. P.: شكار [2]) C. P. et 740. [1]) C. P.: ميمند 740.: ممنه

بالهدايا وراى الناس عجبًا وذلك انّ الخوارزميّين لا يذكرون غياث الدين الكبير والد هذا غياثُ الدين ولا يذكرون ايضًا شهاب الدين اخاه وهما حيّان الّا بالغوريّ وصاحب غزنة وكان وزير خوارزم شاه الآن مع عظم شانه وقلّة هذا غياث الدين لا يذكره الّا بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلّة بلاده واما ابن خرميل فانّه سار من هراة فى جمع من عسكر خوارزم شاه فنزل على اسعرار[1] فى صفر وكان صاحبها قد توجّه الى غياث الدين فحصرها وارسل الى مَن بها يقسم بالله لئن سلّموها ان يؤمّنهم وان امتنعوا اقام عليهم الى ان ياخذهم فاذا اخذهم قهرًا لا يُبقى على كثير ولا صغير فخافوا فسلّموها فى ربيع الاوّل فامّنهم ولم يتعرّض الى اهلها بسوء فلمّا اخذها ارسل الى حرب بن محمّد[2] صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده فاجابه الى ذلك وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك فى الخطبة والدخول فى طاعته فغالطه ولم يجبه الى ما طلب ، ولمّا كان خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضى صاعد بن الفضل الذى كان ابن خرميل قد اخرجه من هراة فى العام الماضى وسار الى غياث الدين فعاد الآن من عنده فلمّا وصل قال ابن خرميل لخوارزم شاه انّ هذا يميل الى الغوريّة ويريد دولتهم ووقع فيه فسجنه خوارزم شاه بقلعة زوزن وولّى القضآء بهراة الصفى ابا بكر بن محمّد السرخسيّ وكان ينوب عن صاعد وابنه فى القضآء بهراة ❁

ذكر حال غياث الدين مع الدز وايبك

لمّا عاد الدز الى غزنة واسر علآء الدين واخاه جلال الدين كما ذكرناه وكتب اليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له فاجابه فى هذه المدّة اشدّ منه فيما تقدّم فاعاد غياث الدين اليه يقول امّا ان تخطب لنا وامّا ان تعرّفنا ما فى نفسك فلمّا وصل الرسول بهذا احضر خطيب غزنة وامره يخطب لنفسه بعد الترحّم على شهاب الدين فخطب لتاج الدين الدز بغزنه فلمّا سمع الناس ذلك سآءهم وتغيّرت نيّاتهم ونيّات الاتراك الذين معه ولم يروه اهلًا ان يخدموه وانّما كانوا يُطيعونه ظنًّا

---

[1] اسفراز
[2] محمد بن

منهم انّه ينصر دولة غياث الدين فلمّا خطب لنفسه ارسل الى غياث الدين يقول له بما ذا تشنطّ علىّ وتتحكّم هذه الخزانة نحن جمعناها باسيافنا وهذا الملك قد اخذته وانت قد اجتمع عندك الذين اساس الفتنة واقطعتهم الاقطاعات ووعدتنى بامور لم تقف[1] عليها فان انت اعتقتنى خطبتُ لك وحضرتُ خدمتك فلمّا وصل الرسول اجابه غياث الدين الى عتق الدز بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزم شاه على ما يريد وقصد غزنة ومحاربته بها فلمّا اجابه الى العتق اشهد عليه به واشهد عليه ايضًا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند وارسل الى كلّ واحد منهما الف قباء والف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفًا كثيرة وجترين ومائة راس من الخيل وارسل الى كلّ واحد منهما رسولاً فقبل الدز الخلع وردّ الجتر وقال نحن عبيد ومماليك والجتر له اصحاب وسار رسول ايبك اليه وكان بفرشابور قد ضبط المملكة وحفظ البلاد ومنع المفسدين من الفساد والاذى والناس معه فى أمن فلمّا قرب الرسول منه لقيه على بُعد وترجّل وقبّل حافر الفرس ولبس الخلعة وقال امّا الجتر فلا يصلح للمماليك وامّا العتق فمقبول وسوف أُجازيه بعبوديّة الابد، وامّا خوارزم شاه فانّه ارسل الى غياث الدين يطلب منه ان يتصاهرا ويطلب منه ابن خرميل صاحب هراة الى طاعته ويسير معه فى العساكر الى غزنة فاذا ملكها من الدز اقتسموا المال اثلاثًا ثلثًا لخوارزم شاه وثلثًا لغياث الدين وثلثًا للعسكر فاجابه الى ذلك ولم يبق الّا الصلح فوصل الخبر الى خوارزم شاه بموت صاحب مازندران فسار عن هراة الى مرو وسمع الدز بالصلح فجزع لذلك جزعًا عظيمًا ظهر اثر عليه وارسل الى غياث الدين [يقول له] ما حملك على هذا فقال حملنى عليه عصيانك وخلافك علىّ فسار الدز الى تكيناباذ[2] فاخذها والى بُست وتلك الاعمال فملكها وقطع خطبة غياث الدين منها وارسل الى صاحب سجستان يامره باعادة الترحّم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه وارسل الى ابن خرميل صاحب هراة بمثل ذلك وتهدّدهما بقصد بلادهما فخافه الناس ثمّ انّ الدز اخرج جلال الدين صاحب باميان من اسره وسيّر معه خمسة الاف فارس مع اى دكز التتر[3] مملوك

---

1) تعف 2) تكناباذ Vid. pag. ۱۴۷ 3) البد

شهاب الدين الى باميان لتعيدوه الى ملكه ويزيلون ابن عمّه عنه وزوّجه ابنته وسار ومعه اى دكز فلمّا خلا به لامه على لبسه خلعة الدز وقال انتم ما رضيتم تلبسون خلعة غياث الدين وهو اكبر سنًّا منكم واشرف بيتًا تلبس خلعة هذا المأبون يعنى الدز ودعاه الى العود معه الى غزنة واعلمه انّ الاتراك كلّهم مجمعون على خلاف الدز فلم يجبه الى ذلك فقال اى دكز فاتّنى لا اسير معك وعاد الى كابل وهى اقطاعه فلمّا وصل اى دكز الى كابل لقيه رسول من قطب الدين ايبك الى الدز يقبّح له فعله ويامره باقامة خطبة غياث الدين ويخبره انّه قد خطب له فى بلاده ويقول له ان لم تخطب له هو ايضًا بغزنة ويعود الى طاعته والّا قصده وحاربه فلمّا علم اى دكز ذلك قويت نفسه على محاربة الدز وصمّم العزم على قصد غزنة ووصل ايضًا رسول ايبك الى غياث الدين بالهدايا والتحف ويشير باجابة خوارزم شاه الى ما طلب الآن وعند الفراغ من امر غزنة تسهل امور خوارزم شاه وغيره وانفذ له ذهبًا عليه اسمه فكتب اى دُكز الى ايبك يُعرّفه عصيان الدز على غياث الدين وما فعله فى البلاد وانّه على عزم مشاقّة الدز وهو ينتظر امره فاعاد ايبك جوابه يامره بقصد غزنة فان حصلت له القلعة اقام بها الى ان ياتيه وان لم تحصل له القلعة وقصده الدز انحاز اليه او الى غياث الدين او يعود الى كابل ، فسار الى غزنة وكان جلال الدين قد كتب الى الدز يخبره خبر اى دكز وما عزم عليه فكتب الدز الى نوّابه بقلعة غزنة يامرهم بالاحتياط منه فوصلها اى دكز اوّل رجب من السنة وقد حذره فلم يسلّموا اليه القلعة ومنعوه عنها فامر اصحابه بنهب البلد فنهبوا عدّة مواضع منه فتوسّط القاضى الحال بان سلّم اليه من الخزانة خمسين الف دينار ركنيّة واخذ له من التجار شيئًا اخر وخطب اى دُكز بغزنة لغياث الدين وقطع خطبة الدز ففرح الناس بذلك ، وكان مؤيّد الملك ينوب عن الدز بالقلعة ووصل الخبر الى الدز بوصول اى دكز الى غزنة ووصول رسول ايبك اليه فعتّ فى عضده وخطب لغياث الدين فى تكيباباذ[1] واسقط اسمه من الخطبة فخطب له ورحل الى

[1] تكناباذ

غزنة فلمّا قاربها رحل اى دكر عنها الى بلد الغور فاقام فى تمران وكتب الى غياث الدين يخبره بحاله وانفذ اليه المال الذى اخذه من الخزانة ومن اموال الناس فارسل اليه خلعًا واعتقه وخاطبه بملك الامرآء وردّ عليه المال الذى كان اخذه من الخزانه وقال له امّا مال الخزانه فقد اعدناه اليك لتُخرجه وامّا اموال التجار واهل البلد فقد ارسلنُه مع رسولى ليُعاد الى اربابه لِئلّا تفتضح دولتنا بالظلم وقد عوّضنُك عنه ضعفه وارسل اموال الناس الى غزنه الى قاضى غزنة وامره أن يردّ المال المنفّذ على اربابه ء فانهى القاضى الحال الى الدز واسار عليه بالخطبة لغياث الدين وقال انا اسعى فى الوصلة بينكما والصلح فامره بذلك فبلغ الخبر الى غياث الدين فارسل الى القاضى ينهاه عن المجئ اليه وقال لا تسأل فى عبد ابق قد بان فساده واتّضح عنادُه فاقام بغزنة هو والدز وسيّر غياث الدين عسكرًا الى اى دكر النمر[1] فاقاموا معه وسيّر الدز عسكرًا الى روين كان[2] وهى لغياث الدين وقد اقطعها لبعض الامرآء فهجموا على صاحبها فنهبوا ماله واخذوا اولاده فنجا وحده الى غياث الدين فاقتضى الحال ان سار غياث الدين الى بُست وتلك الولاية فاستردّها واحسن الى اهلها واطلق لهم خراج سنة لما نالهم من الدز من الاذى ✿

ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين اولاده

فى هذه السنة توفّى حُسام الدين اردشير صاحب مازندران وخلّف ثلاثة اولاد فملك بعده ابنه الاكبر واخرج اخاه الاوسط من البلاد فقصد جرجان وبها الملك علىّ شاه بن خوارزم شاه تكش اخو خوارزم شاه محمّد وهو ينوب عن اخيه فيها فشكى اليه ما صنع به اخوه من اخراجه من البلاد وطلب منه ان ينجده عليه وياخذ له البلاد ليكون فى طاعته فكتب علىّ شاه الى اخيه خوارزم شاه فى ذلك فامره بالمسير معه الى مازندران وأخْذ البلاد له واقامة الخطبة لخوارزم شاه فيها فساروا من جرجان فاتّفق انّ حُسام الدين صاحب مازندران مات فى ذلك الوقت وملك البلاد بعده اخوه الاصغر واستولى على القلاع والاموال فوصل

[1]) البمر [2]) C. P.: روزكان 740: روين‌كان Ups.: رونركان

علىّ شاه البلاد ومعه صاحب مازندران فنهبوها وخرّبوها وامتنع منهم الاخ الصغير بالقلاع واقام بقلعة كورا وهى التى فيها الاموال والذخاير وحصره فيها بعد ان ملكوا اسامة البلاد مثل سارية وآمل وغيرها من البلاد والحصون وخُطب لخوارزم شاه فيها جميعها فصارت فى طاعته وعاد علىّ شاه الى جرجان[1] واقام ابن ملك مازندران فى البلاد مالكها جميعها سوى القلعة التى فيها اخوه الاصغر وهو يراسله ويستميله ويستعطفه واخوه لا يردّ جوابًا ولا ينزل عن حصنه ۞

ذكر مُلك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاليّة[2]

فى هذه السنة ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونيه وبلد الروم مدينة انطاليّة[2] بالامان وهى للروم على ساحل البحر وسبب ذلك انّه كان حصرها قبل هذا التاريخ واطال المقام عليها وهدم عدّة ابراج من سورها ولم يبق الّا فتحها عنوة فارسل مَن [بها من] الروم الى الفرنج الذين بجزيرة قبرس وهى قريبة منها فاستنجدوهم فوصل اليها جماعة منهم فعند ذلك يئس غياث الدين منها ورحل عنها وترك طائفة من عسكره بالقرب منها بالجبال التى بينها وبين بلاده وامرهم بقطع الميرة منها فاستمرّ الحال على ذلك مدّة حتّى ضاق باهل البلد واشتدّ الامر عليهم فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مضايقتهم فظنّ الفرنج انّ الروم يريدون اخراجهم من المدينة بهذا السبب فوقع الخلف بينهم فاقتتلوا فارسل الروم الى المسلمين وطلبوهم ليسلّموا اليهم البلد فوصلوا اليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به فارسل المسلمون يطلبون غياث الدين وهو بمدينة قونية فسار اليهم مُجدًّا فى طائفة من عسكره فوصلها فى ثالث شعبان وتقرّر الحال بينه وبين الروم وتسلّم المدينة ثالثه وحصر الحصن الذى فيه الفرنج وتسلّمه وقتل كلّ من كان به من الفرنج ۞

ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط ومُلك بلبان ومسير صاحب ماردين الى خلاط وعوده

1) خراسان 2) انطاكية

وفى هذه السنة قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه ارمن بن سكمان وكتب اهل خلاط الى ناصر الدين ارتق بن ابلغازى بن البى بن تمرتاش بن ابلغازى بن ارتق يستدعونه اليها وسبب ذلك انّ ولد بكتمر كان صبيًّا جاهلاً فقبض على الامير شجاع الدين قتلغ مملوك من مماليك شاه ارمن وهو كان اتابكه ومُدبّر بلاده وكان حسن السيرة مع الجند والرعيّة فلمّا قتله اختلفت الكلمة عليه من الجند والعامّة واشتغل هو باللهو واللعب وادمان الشرب فكاتب جماعة من [اهل] خلاط وجماعة من الجند ناصرَ الدين صاحب ماردين يستدعونه اليهم وانّما كاتبوه دون غيره من الملوك لانّ اباه قطب الدين ايلغازى كان ابن اخت شاه ارمن بن سكمان وكان شاه ارمن قد حلّف له الناس فى حياته لانّه لم يكن له ولد فلمّا تجدّدت بعده هذه الحادثة تذاكروا تلك الايمان وقالوا نستدعيه ونملّكه فانّه من اهل شاه ارمن فكاتبوه وطلبوه اليهم ، ثمّ انّ بعض مماليك شاه ارمن اسمه بلبان وكان قد جاهر ولد بكتمر بالعداوة والعصيان سار من خلاط الى بلاد ملازكرد وملكها واجتمع الاجناد عليه وكثر جمعه وسار الى خلاط فملكها واتّفق وصولُ صاحب ماردين اليها وهو يظنّ انّ احدًا لا يمتنع عليه ويسلّمون اليه المدينة فنزل قريبًا من خلاط عدّة ايّام فارسل اليه بلبان يقول له انّ اهل خلاط قد اتّهمونى بالميل اليك وهم ينفرون من العرب والراى انّك ترحل عايدًا مرحلة واحدة وتقيم فاذا تسلّمتُ البلد سلّمته اليك لانّنى لا يمكننى ان املكه انا ففعل صاحب ماردين ذلك فلمّا ابعد عن خلاط ارسل اليه يقول له تعود الى بلدك والّا جيتُ اليك واوقعتُ بك وبمن معك وكان فى قلّة من الجيش فعاد الى ماردين ، وكان الملك الاشرف موسى بن العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب حرّان وديار الجزيرة قد ارسل الى صاحب ماردين لمّا سمع انّه يريد قصد خلاط يقول له ان سرتَ الى خلاط قصدتُ بلدك وانّما خاف ان يملك خلاط فيقوى عليهم فلمّا سار الى خلاط جمع الاشرف العساكر وسار الى ولاية ماردين فاخذ دخلها واقام بدنيسر حتّى تجبى الاموال اليه فلمّا فرغ منه عاد الى حرّان فكان مثل صاحب ماردين كما قيل خرجت نطلب قرنين

عادت بلا اذنَيْن ، وامّا بلبان فانّه جمع العسكر وحشد وحصر خلاط
وضيّق على اهلها وبها ولد بكتمر فجمع مَن عنده بالبلد من الاجناد
والعامّة وخرج اليه فالتقوا فانهزم بلبان ومَن معه من بين يديه وعاد الى
الذى بيده من البلاد وهو ملازكرد وارجيش وغيرهما من الحصون وجمع
العساكر واستكثر منها وعاود حصار خلاط وضيّق على اهلها فاضطرّهم
الى خذلان ولد بكتمر لصغره وجهله بالملك واشتغاله بلهوه ولعبه ثمّ قبضوا
عليه فى القلعة وارسلوا الى بلبان وحلّفوه على ما ارادوا وسلّموا اليه البلد
وابن بكتمر واستولى على جميع اعمال خلاط وسجن ابن بكتمر فى قلعة
هناك واستقرّ مُلكه فسبحان مَن اذا اراد امرًا هيّأ اسبابه بالامس يقصدها
شمس الدين محمّد بن البهلوان وصلاح الدين يوسف بن ايّوب فلم
يقدر احدهما عليها والآن يظهر هذا المملوك العاجز القاصر عن الرجال
والبلاد والاموال فيملكها صفوًا عفوًا ، ثمّ انّ نجم الدين ايّوب بن العادل
صاحب ميّافارقين سار نحو ولاية خلاط وكان قد استولى [على] عدّة
حصون من اعمالها منها حصن موسى ومدينته فلمّا قارب خلاط اظهر
له بلبان العجز عن مقابلته فطمع واوغل فى القرب فاخذ عليه بلبان الطريق
وقاتله فهزمه ولم يُفلت من اصحابه الّا القليل وهم جَرْحَى وعاد الى ميّافارقين ❊

ذكر مُلك الكُرج مدينة قرس وموت ملكة الكرج

فى هذه السنة ملك الكرج حصن قرس من اعمال خلاط وكانوا
قد حصروه مدّة طويلة وضيّقوا على مَن فيه واخذوا دَخْل الولاية عدّة
سنين وكلّ من نزل خلاط لا ينجدهم ولا يسعى فى راحة تصل اليهم
وكان الوالى بها يواصل رسله فى طلب النجدة وازاحة مَن عليه من الكرج
فلا يُجاب له دعآءٌ فلمّا طال الامر عليه ورأى ان لا ناصر له صالح الكرج
على تسليم القلعة على مال كثير واقطاع ياخذه منهم وصارت دار شِرك
بعد ان كانت دار توحيد فانّا لله وانّا اليه راجعون ونسأل الله ان
يُسهل للاسلام واهله نصرًا من عنده فانّ ملوك زماننا قد اشتغلوا
بلهوهم ولعبهم وظلمهم عن سدّ الثغور وحفظ البلاد ثمّ انّ الله تعالى
نظر الى قلّة ناصر الاسلام فتولّاه فماتت ملكة الكرج واختلفوا فيما بينهم
وكفى الله شرّهم الى اخر السنة ❊

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان

فى هذه السنة فى رمضان سار عسكر الخليفة من خوزستان مع مملوكه سنجر وهو كان المتولّى لتلك الاعمال وليها بعد موت طاشتكين امير الحاجّ لانّه زوّج ابنة طاشتكين الى جبال كرستان وصاحبها يُعرف بابى طاهر وهى جبال منيعة بين فارس واصبهان وخوزستان فقاتلوا اهلها وعادوا منهزمين وسبب ذلك انّ مملوكًا للخليفة الناصر لدين الله اسمه قشتمر من اكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصير رءاه من الوزير نصير الدين العلوى الرازىّ واجتاز بخورستان واخذ منها ما امكنه ولحق بابى طاهر صاحب كرستان فاكرمه وعظّمه وزوّجه ابنته ثمّ توفّى ابو طاهر فقوى امر قشتمر واطاعه اهل تلك الولاية فامر سنجر بجمع العساكر وقصده وقتاله ففعل سنجر ما امر به وجمع العساكر وسار اليه فارسل قشتمر يعتذر ويسال ان لا يقصده ويخرج الى الخروج عن العبوديّة فلم يقبل عذره فجمع اهل تلك الاعمال ونزل الى العسكر فلقيهم فهزمهم وارسل [الى] صاحب فارس بن دكلا وشمس الدين ايتغمش صاحب اصبهان وهمدان والرىّ يُعرّفهما الحال ويقول انّنى لا قوة لى بعسكر الخليفة ولمّا أُضيف اليهم عساكر اخرى من بغداد وعادوا الى حربى وحينئذ لا اقدر بهم وطلب منهما النجدة وخوّفهما من عسكر الخليفة ان ملك تلك الجبال فاجاباه الى ما طلب فقوى جنانه واستمرّ على حاله ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قتل صبىّ صبيًّا اخر ببغداد وكانا يتعاشران وعمر كلّ واحد منهما يقارب عشرين سنة فقال احدهما للاخر الساعة اضربك بهذه السكين يمازحه بذلك واهوى نحوه بها فدخلت فى جوفه فمات فهرب القاتل ثمّ أُخذ وأُمر به ليقتل فلمّا ارادوا قتله طلب دواة وبيضاء وكتب فيها من قوله

قدمتُ على الكريم بغير زادٍ ... من الاعمال بل قلب سليم
وسوُ الظنّ ان تعتدّ زادًا ... اذا كان القدوم على كريم ٭

وفيها حجّ برهان الدين صدر جهان محمّد بن احمد بن عبد العزيز بن مازة البخارىّ رئيس الحنفيّة ببخارا وهو كان صاحبها على الحقيقة يؤدّى الخراج الى الخطا وينوب عنهم فى البلد فلمّا حجّ لم تحمد سيرته

فى الطريق ولم يصنع معروفًا وكان قد اكرم ببغداد عند قدومه
بخارا فلمّا عاد لم يُلتفت اليه لسوء سيرته مع الحاجّ وسمّاه الحجاج كلب
جهنّم ، وفيها فى شوّال مات شيخنا ابو الحرم مكى بن ربان[1] ابن شبه
النحوى المقرى بالموصل وكان عارفًا بالنحو واللغة والقرآآت لم يكن فى زمانه
مثله وكان ضريرًا وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير
ذلك معرفة حسنة وكان من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع لا
يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة الى الليل ، وفيها فارق امير الحاجّ
مظفّر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبُع الحاجّ بموضع يقال له
المرخوم ومضى فى طايفة من اصحابه الى الشام وسار الحاجّ ومعهم الجند
فوصلوا سالمين ووصل هو الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب فاقطعه اقطاعًا
كثيرًا بمصر واقام عنده الى ان عاد الى بغداد سنة ثمان وستّمايةَ فى جمادى
الاولى فانّه لمّا قُبض الوزير امن على نفسه وارسل يطلب العود فأُجيب
اليه فلمّا وصل اكرمه الخليفة واقطعه الكوفة ، وفيها فى جمادى الآخرة
توفّى ابو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندرانىّ المعروف بابن
السطروىّ فى مارستان بغداد وكان قد مضى الى المايورقىّ[2] فى رسالة بافريقية
فحصل له منه عشرة الاف دينار مغربيّة فرّقها جميعها فى بلده على
معارفه واصدقايه وكان فاضلًا خيّرًا نعم الرجل رحمه الله وله شعر حسن
وكان قيّمًا بعلم الادب واقام بالموصل مدّة واشتغل على الشيخ ابى الحرم
واجتمعتُ به كثيرًا عند الشيخ ابى الحرم رحمه الله ✿

ثم دخلت سنة اربع وستّمايةَ ،

سنة ٦٠٤

ذكر ملك خوارزم شاه ما وراء النهر وما كان بخراسان من الفتن واصلاحها

فى هذه السنة عبر علاء الدين محمّد بن خوارزم شاه نهر جيحون
لقتال الخطا وسبب ذلك انّ الخطا كانوا قد طالت ايّامهم ببلاد تركستان
وما وراء النهر وثقلت وطأتهم على اهلها ولهم فى كلّ مدينة نايبٌ يجبى
اليهم الاموال وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل ان يملكوا وكان مقامهم
بنواحى اوزكند وبلاساغون وكاشغر وتلك النواحى فاتّفق انّ سلطان

[1]) C. P. 740.: ملى بن ربان Ups.: سكى بن ربان [2]) المايرروقى

سمرقند وبخارى ويلقّب خان خانان يعنى سلطان السلاطين وهو من اولاد الخانيّة عريق النسب فى الاسلام والملك أنِف وضجر من تحكّم الكفّار على المسلمين فارسل الى خوارزم شاه يقول له انّ الله عزّ وجلّ قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدى الكفّار وتخلّصهم ممّا يجرى عليهم من التحكّم فى الاموال والابشار ونحن نتّفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك فى الخطبة وعلى السكّة فاجابه الى ذلك وقال اخاف انّكم لا تفون لى فسيّر اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بُخارى وسمرقند بعد ان حلّفوا صاحبهم على الوفآء بما تضمّنه وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل وجعلوا عنده رهاين فشرع فى اصلاح امر خراسان وتقرير قواعدها فولّى اخاه علىّ شاه طبرستان مضافة الى جرجان وامره بالحفظ والاحتياط وولّى الامير كزلك خان وهو من اقارب امّه واعيان دولته بنيسابور وجعل معه عسكرًا وولّى الامير جلدك مدينة الجام وولّى الامير امين الدين ابا بكر مدينة زوزن وكان هذا امين الدين حمّالاً ثمّ صار اكبر الامرآء وهو الذى ملك كرمان على ما نذكره ان شآء الله تعالى واقرّ الامير الحسين على هراة وجعل معه فيها الف فارس من الخوارزميّة وصالح غياث الدين محمودًا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير واستناب فى مرو وسرخس وغيرهما من خراسان نوّابًا وامرهم بحسن السياسة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار الى خوارزم وتجهّز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند وسمع الخطا فحشدوا وجمعوا وجآءوا اليه فجرى بينهم وقعات كثيرة ومغاورات فتارة له وتارة عليه ۞

ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة واسر خوارزم شاه وخلاصه

ثمّ انّ ابن خرميل صاحب هراة راى سوء معاملة عسكر خوارزم شاه للرعيّة وتعدّيهم الى الاموال فقبض عليهم وحبسهم وبعث رسولاً الى خوارزم شاه يعتذر ويعرّفه ما صنعوا فعظم عليه ولم يمكنه مخاقفته لاشتغاله بقتال الخطا فكتب اليه يستحسن فعله ويامره بانفاذ الجند الذين قبض عليهم لحاجته اليهم وقال له انّى قد امرتُ عزّ الدين جلدك بن طغرل صاحب الجام ان يكون عندك لما اعلمه من عقله وحسن سيرته وارسل

الى جلدك يامره بالمسير الى هراة واسرّ اليه ان يحتال فى القبض على حسين بن خرميل ولو اوّل ساعة يلقاه فسار جلدك فى الفىْ فارس وكان ابوه طغرل ايّام السلطان سنجر واليًا بهراة فهو اليها بالاشواق يختارها على جميع خراسان فلمّا قارب هراة امر ابن خرميل الناس بالخروج بتلقيه وكان للحسين وزير يُعرف بخواجه الصاحب وكان كثيرًا قد حنّكتْه التجارب فقال لابن خرميل لا تخرج الى لقآئه ودعه يدخل اليك منفردًا فانّى اخاف ان يغدر بك وان يكون خوارزم شاه امر بذلك فقال لا يجوز ان يقدم مثل هذا الامير ولا التقيه واخاف ان يصطغن ذلك علىّ خوارزم شاه وما اظنّه يتجاسر علىّ فخرج اليه الحسين بن خرميل فلمّا بصر كلّ واحد منهما بصاحبه ترجّل للالتقآء وكان جلدك قد امر اصحابه بالقبض عليه فاختلطوا بهما وحالوا بين ابن خرميل واصحابه وقبضوا عليه فانهزم اصحابه ودخلوا المدينة واخبروا الوزير بالحال فامر باغلاق الباب والطلوع الى الاسوار واستعدّ للحصار ونزل جلدك على البلد وارسل الى الوزير يبذل له الامان ويتهدّده ان لم يسلّم البلد بقتل ابن خرميل فنادى الوزير بشعار غياث الدين محمود الغورىّ وقال لجلدك لا اسلّم البلد اليك ولا الى الغادر ابن خرميل وانّما هو لغياث الدين ولابيه قبله فقدّموا ابن خرميل الى السور فخاطب الوزير وامره بالتسليم فلم يفعل فقُتل ابن خرميل وهذه عاقبة الغدر فقد تقدّم من اخباره عند شهاب الدين الغورىّ ما يدلّ على غدره وكفرانه الاحسان ممّن احسن اليه ؞ فلمّا قُتل ابن خرميل كتب جلدك الى خوارزم شاه بجليّة الحال فانفذ خوارزم شاه الى كزلك خان والى نيسابور والى امين الدين ابى بكر صاحب زوزن يامرهما بالمسير الى هراة وحصارها واخذها فسارا فى عشرة الاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير بالتسليم فلم يلتفت اليهم وقال ليس لكم من المحلّ ما يسلم اليكم مثل هراة لكن اذا وصل السلطان خوارزم شاه سلّمتها اليه فقاتلوه وجدّوا فى قتاله فلم يقدروا عليه وكان ابن خرميل قد حصّن هراة وعمل لها اربعة اسوار محكمة وحفر خندقها وشحنها بالميرة فلمّا فرغ من كلّ ما اراد قال بقيتُ اخاف على هذه المدينة شيئًا واحدًا وهو ان تُسكَّر المياه التى لها ايّامًا كثيرة ثمّ تُرسل

دفعة واحدة فتخرق اسوارها   فلمّا حصرها هولآء سمعوا قول ابن خرميل فسكروا المياه حتّى اجتمعت كثيرًا ثمّ اطلقوها على هراة فاحاطت بها ولم تصل الى السور لانّ ارض المدينة مرتفعة فامتلأ الخندق مآء وصار حولها وَحْلًا فانتقل العسكر عنهم ولم يمكنهم القتال لبعدهم عن المدينة وهذا كان قصد ابن خرميل ان يملى الخندق مآء ويمنع الوحل من القرب من المدينة فاقاموا مدّة حتّى نشف المآء فكان قول ابن خرميل من احسن الحيل ، ونعود الى قتال خوارزم شاه الخطا واسره واما خوارزم شاه فانّه دام القتال بينه وبين الخطا فى بعض الايّام اقتتلوا واشتدّ القتال ودام بينهم ثمّ انهزم المسلمون هزيمة قبيحة وأُسر كثير منهم وقُتل كثير وكان من جملة الاسرى خوارزم شاه وأُسر معه امير كبير يقال له فلان بن شهاب الدين [مسعود] اسرهما رجل واحد ووصلت العساكر الاسلاميّة الى خوارزم ولم يروا السلطان معهم فارسلت اخت كرلك خان صاحب نيسابور وهو يحاصر هراة واعلمته الحال فلمّا اتاه الخبر سار عن هراة ليلًا الى نيسابور واحسّ به الامير امين الدين ابو بكر صاحب زوزن فاراد هو ومَن عنده من الامرآء منعه مخافة ان يجرى بينهم حرب يطمع بسببها اهل هراة فيهم فيخرجون اليهم فيبلغون منهم ما يريدونه فامسكوا عن معارضته ، وكان خوارزم شاه قد خرّب سور نيسابور لمّا ملكها من الغوريّة فشرع كرلك خان يعمره وادخل اليها الميرة واستكثر من الجند وعزم على الاستيلآء على خراسان ان صحّ فقدُ السلطان   وبلغ خبر عدم السلطان الى اخيه علىّ شاه وهو بطبرستان فدعا الى نفسه وقطع خطبة اخيه واستعدّ لطلب السلطنة واختلطت خراسان اختلاطًا عظيمًا ، واما السلطان خوارزم شاه فانّه لمّا أُسر قال له ابن شهاب الدين مسعود يجب ان تَدَع السلطنة فى هذه الايّام وتصير خادمًا لعلّى احتال فى خلاصك فشرع يخدم ابن مسعود ويقدّم له الطعام ويخلعه ثيابه وخُفّه ويعظّمه فقال الرجل الذى اسرهما لابن مسعود ارى هذا الرجل يعظّمك فمن انت فقال انا فلان وهذا غلامى فقام اليه واكرمه وقال لو لا انّ القوم عرفوا بمكانك عندى لاطلقتُك ثمّ تركه ايّامًا فقال له ابن مسعود انى اخاف ان يرجع المنهزمون فلا يرانى اهلى معهم فيظنّون انى قُتلتُ فيعملون

العزآء والمانم وتضييف صدورهم لذلك ثمّ يقتسمون مالى فاهلك واحبّ ان تقرّر علىّ شيئاً من المال حتّى احمله اليك فقرّر عليه مالاً وقال له اريد ان تأمر رجلاً عاقلاً يذهب بكتابى الى اهلى ويخبرهم بعافيتى ويحضر معه من يحمل المال ثمّ قال انّ اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامى اثق به ويصدّقه اهلى فاذن له الخطابىّ بانفاذه فسيّره وارسل معه الخطابىّ فرسًا وعدّة من الفرسان يحمونه فساروا حتّى قاربوا خوارزم وعاد الفرسان عن خوارزم شاه ووصل خوارزم شاه الى خوارزم فاستبشر به الناس وضربت البشاير وزيّنوا البلد واتته الاخبار بما صنع كزلك بنيسابور وبما صنع اخوه علىّ شاه بطبرستان ❊

ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان

لمّا وصل خوارزم شاه الى خوارزم اتته الاخبار بما فعله كزلك خان واخوه علىّ شاه وغيرهم فسار الى خراسان[1] وتبعته العساكر فتقطّعت ووصل هو اليها فى اليوم السادس ومعه ستّة فرسان وبلغ كزلك خان وصوله فاخذ امواله وعساكره وهرب نحو العراق وبلغ اخاه علىّ شاه فخافه وسار على طريق قهستان ملتجيًا الى غياث الدين محمود الغورىّ صاحب فيروزكوه فلقاه واكرمه وانزله عنده ، واما خوارزم شاه فانّه دخل نيسابور واصلح امرها وجعل فيها نايبًا وسار الى هراة فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه واحسن الى اولئك الامرآء ووثق بهم لانّهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيّروا ولم يبلغوا من هراة غرضًا بحسن تدبير ذلك الوزير فارسل خوارزم شاه الى الوزير يقول له انّك وعدتَ عسكرى انّك تسلّم المدينة اذا حضرتُ وقد حضرتُ فسلّم فقال لا افعل لانّى اعرف انّكم غدّارون لا تبقون على احد ولا اسلّم البلد الّا الى غياث الدين محمود فغضب خوارزم شاه من ذلك وزحف اليه بعساكره فلم يكن فيه حيلة فاتّفق جماعة من اهل هراة وقالوا هلك الناس من الجوع والقلّة وقد تعطّلت علينا معايشنا وقد مضى سنة وشهر وكان الوزير يَعِد بتسليم البلد الى خوارزم شاه اذا وصل اليه وقد حضر خوارزم شاه ولم يسلم ويجب ان نحتال فى تسليم البلد والخلاص من هذه الشدّة التى نحن

1) خوارزم

فيها   فانتهى ذلك الى الوزير فبعث اليهم جماعة من عسكره وامرهم بالقبض عليهم فعصى الجند اليهم فثارت فتنة فى البلد عظم خطبها فاحتاج الوزير الى تداركها بنفسه فعصى لذلك فكُتب من البلد الى خوارزم شاه بالخبر وزحف الى البلد واهله مختلطون فخربوا برجَيْن من السور ودخلوا البلد فملكوه وقبضوا على الوزير فقتله خوارزم شاه وملك البلد وذلك سنة خمس وستّماية واصلح حاله وسلّمه الى خاله امير ملك وهو من اعيان امرآبه فلم تزل بيده حتّى هلك خوارزم شاه ، وامّا ابن شهاب الدين مسعود فانّه اقام عند الخطا مُدَيْدةً فقال له الذى استاسره يومًا انّ خوارزم شاه قد عدم فايش عندك [من خبره فقال له اما تعرفه قال لا قال هو اسيرك الذى كان عندك فقال][1] لِمَ لا عرّفتنى حتّى كنتُ اخدمه واسير بين يديه الى مملكته قال خفتُكم عليه فقال الخطايىُّ سِرْ بنا اليه فسارا اليه فاكرمهما واحسن اليهما وبالغ فى ذلك ۞

ذكر قتل غياث الدين محمود

لمّا سلّم خوارزم شاه هراة الى خاله امير ملك وسار الى خوارزم امره ان يقصد غياث الدين محمود بن غياث الدين محمّد بن سام الغورىّ صاحب الغور وفيروزكوه وان يقبض عليه وعلى اخيه علىّ شاه بن خوارزم شاه وياخذ فيروزكوه من غياث الدين   فسار امير ملك الى فيروزكوه وبلغ ذلك الى محمود فارسل يبذل الطاعة وتطلب الامان فاعطاه ذلك فنزل اليه محمود فقبض عليه امير ملك وعلى علىّ شاه اخى خوارزم شاه فسألاه ان يحملهما الى خوارزم شاه ليرى فيهما رايه فارسل الى خوارزم شاه يعرّفه الخبر فامره بقتلهما فقُتلا فى يوم واحد واستقامت خراسان كلّها لخوارزم شاه وذلك سنة خمس وستّماية ايضًا ، وهذا غياث الدين هو اخر ملوك الغورية ولقد كانت دولتهم من احسن الدول سيرة واعدلها واكثرها جهادًا وكان هذا محمود عادلًا حليمًا كريمًا من اكرم الملوك اخلاقًا رحمه الله تعالى ۞

ذكر عود خوارزم شاه الى الخطا

لمّا استقرّ امر خراسان لمحمّد خوارزم شاه وعبر نهر جيحون فجمع له الخطا جمعًا عظيمًا وساروا اليه والمقدّم عليهم شيخ دولتهم العايم مقام

[1]) 740.

الملك فيهم المعروف بطاينكوه وكان عمره قد جاوز مائة سنة ولقى حروبًا كثيرة وكان مظفّرًا حسن التدبير والعقل واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند وتصافّوا هم والخطا سنة ستّ وستّمائة فجرت حروب لم يكن مثلها شدّة وصبرًا فانهزم الخطا هزيمة منكرة وقُتل منهم وأُسر خلق لا يحصى وكان فيمن أُسر طاينكوه مقدّمهم وجيء به الى خوارزم شاه فاكرمه واجلسه على سريره وسيّره الى خوارزم ثمّ قصد خوارزم شاه الى بلاد ما ورآء النهر فملكها مدينةً مدينةً وناحيةً ناحيةً حتّى بلغ اوزكند وجعل نوّابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه سلطان سمرقند وكان من احسن الناس صورة فكان اهل خوارزم يجتمعون حتّى ينظرون اليه فزوّجه خوارزم شاه بابنته وردّه الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان رسم الخطا ❊

ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميّين

لمّا عاد صاحب سمرقند اليها ومعه شحنة لخوارزم شاه اقام معه نحو سنة فراى سوء سيرة الخوارزميّين وقبح معاملتهم ما ندم على مفارقة الخطا فارسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند ليسلّمها اليه ويعود الى طاعته وامر بقتل كلّ مَن فى سمرقند من الخوارزميّة ممّن سكنها قديمًا وحديثًا واخذ اصحاب خوارزم شاه وكان يجعل الرجل منهم قطعتَيْن ويُعلقهم فى الاسواق كما يُعلق القصّاب اللحم واسآء غاية الاسآءة ومضى الى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزم شاه فاغلقت الابواب ووقفت بجواريها تمنعه وارسلت اليه تقول انا امراة وقتل مثلى قبيح ولم يكن منّى اليك ما استوجب به هذا منك ولعلّ تركى احمد عاقبة فاتّق الله فىّ فتركها ووكّل بها من يمنعها التصرّف فى نفسها ❊ ووصل الخبر الى خوارزم شاه فقامت قيامته وغضب غضبًا شديدًا وامر بقتل كلّ مَن بخوارزم من الغربآء فنعته امّه عن ذلك وقالت انّ هذا البلد قد اتاه الناس من اقطار الارض ولم يرض كلّهم بما كان من هذا الرجل فامر بقتل اهل سمرقند فنهَتْه امّه فانتهى وامر عساكره بالتجهيز الى ما ورآء النهر وسيّرهم ارسالاً كلّما تجهّز جماعة عبروا جيحون فعبر منهم خلق كثير لا يحصى ثمّ عبر هو بنفسه فى اخرهم ونزل على سمرقند وانفذ الى صاحبها يقول له قد فعلتَ ما لم

يفعله مسلم واستحللت من دمآء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا
كافر وقد عفى الله عمّا سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت
فقال لا اخرج وافعل ما بدا لك فامر عساكره بالزحف فاشار عليه
بعض مَن معه بان يامر بعض الامرآء اذا فتحوا البلد ان يقصدوا الدرب
الذى يسكنه التجار فيمنع من نهبه والتطرّق اليهم بسوء فانّهم غربآء وكلّهم
كارهون لهذا الفعل فامر بعض الامرآء بذلك وزحف ونصب السلاليم
على السور فلم يكن باسرعَ من ان اخذوا البلد واذن لعسكره بالنهب
وقتل من يجدونه من اهل سمرقند فنُهب البلد وقُتل اهله ثلاثة ايّام
فيقال انّهم قتلوا منهم مايتى الف انسان وسلم ذلك الدرب الذى فيه
الغربآء فلم يعدم منهم العرق ولا الآدمى الواحد ثمّ امر بالكفّ عن
النهب والقتل ثمّ زحف الى القلعة فراى صاحبها ما ملأ قلبه هيبةً وخوفًا
فارسل يطلب الامان فقال لا امان لك عندى فزحفوا عليها فملكوها
واسروا صاحبها واحضروه عند خوارزم شاه فقبّل الارض فطلب العفو
فلم يعف عنه وامر بقتله فقُتل صبرًا وقُتل معه جماعة من اقاربه ولم
يترك احدًا ممّن ينسب الى الخانيّة ورتّب فيها وفى ساير البلاد نوّابه
ولم يبق لاحد معه فى البلاد حكم ۞

ذكر الوقعة التى افنت الخطا

لمّا فعل خوارزم شاه بالخطا ما ذكرناه مضى مَن سلم منهم الى
ملكهم فانّه لم يحضر الحرب فاجتمعوا عنده وكان طايفة عظيمة من التتر
قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديمًا ونزلوا ورآء بلاد تركستان
وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلمّا سمعوا بما فعله خوارزم شاه
بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلى خان فلمّا راى ملك الخطا ذلك ارسل
الى خوارزم شاه يقول له امّا ما كان منك من أَخْذ بلادنا وقَتْل رجالنا
فعفوٌ عنه وقد اتى من هذا العدوّ مَن لا قبل لنا به وانّهم ان انتصروا
علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة ان تسير الينا بعساكرك
وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك انّنا اذا ظفرنا بهم لا نعترض الى
ما اخذتَ من البلاد ونقنع بما فى ايدينا ء وارسل اليه كشلى خان
ملك التتر [يقول] انّ هؤلآء الخطا اعداوك واعدا ابآيك واعداونا فساعدنا

عليهم ويحلف انّنا اذا انتصرنا عليهم لا نعرب بلادك ونقنع بالمواضع التى ينزلونها فاجاب كلّا منهما انّى معك ومعاضدك على خصمك وسار بعساكره الى ان نزل قريبًا من الموضع الذى تصافّوا فيه فلم يخالطهم بحالة يعلم بها انّه من احدهما فكانت كلّ طايفة منهم تظنّ انّه معها وتواقع الخطا والتتر فانهزم الخطا هزيمة عظيمة فمال حينيذٍ خوارزم شاه وجعل يقتل ويأسر وينهب ولم يترك احدًا ينجوا منهم فلم يَسْلم منهم الّا طايفة يسيرة مع ملكهم فى موضع من نواحى الترك يحيط به جبال ليس اليه طريق الّا من جهة واحدة تحصّنوا فيه وانضمّ الى خوارزم شاه منهم طايفة وساروا فى عسكره وانفذ خوارزم شاه الى كشلى خان ملك التتر يمتّ عليه بانّه حضر لمساعدته ولولاه ما تمكّن من الخطا فاعترف له كشلى خان بذلك مدّةً ثمّ ارسل اليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا وقال كما انّنا اتّفقنا على ابادتهم ينبغى ان نقتسم بلادهم فقال ليس لك عندى الّا غير السيف ولستم باقوى من الخطا شوكة ولا اعزّ ملكًا فان قنعتَ بالمساكنة والّا سرتُ اليك وفعلتُ بك شرًّا ممّا فعلتُ بهم وتجهّز وسار حتّى نزل قريبًا منهم وعلم خوارزم شاه انّه لا طاقة له به فكان يراوغه فاذا سار الى موضع قصد خوارزم شاه اهله واثقالهم . فنهبها واذا سمع انّ طايفة سارت عن موطنهم سار اليها فاوقع بها فارسل اليه كشلى خان يقول له ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص والّا ان كنتَ سلطانًا كما تقول فيجب ان نلتقى فامّا ان تهزمنى وتملك البلاد التى بيدى وامّا ان افعل انا بك ذلك فكان يُغالطه ولا يجيبه الى ما طلب لكنّه امر اهل الشاش[1] وفرغانة واسفيجاب[2] وكاسان وما حولها من المدن التى لم يكن فى الدنيا انزه منها ولا احسن عمارة بالجلا منها واللحاق ببلاد الاسلام ثمّ خرّبها جميعها خوفًا من التتر ان يملكوها ثمّ اتّفق خروج هولآء التتر الاخر الذين خرّبوا الدنيا وملكهم جنكزخان التمرجى على كشلى خان التتر الاوّل فاشتغل بهم كشلى خان عن خوارزم شاه فخلا وجهه فعبر النهر الى خراسان ❁

1) الشاس 2) واسحان

ذكر مُلك نجمَ الدين بن الملك العادل خلاط

فى هذه السنة ملك الملك الاوحد نجم الدين ايّوب بن الملك العادل
ابى بكر بن ايّوب مدينة خلاط وسبب ذلك انّه كان بمدينة ميّافارقين
من جهة ابيه فلمّا كان من ملك بلبان خلاط ما ذكرناه قصد هو
مدينة مُوش وحصرها واخذها واخذ غيرها مما يجاورها وكان بلبان لم
تثبت قدمه حتّى يمنعه فلمّا ملكها طمع فى خلاط فسار اليها فهزمه
بلبان كما ذكرناه ايضًا فعاد الى بلده وجمع وحشد وسيّر اليه ابوه
جيشًا فقصد خلاط فسار اليه بلبان فتصافّا واقتتلا فانهزم بلبان وتمكّن
نجم الدين من البلاد وازداد منها ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وارسل
رسولًا الى مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان وهو صاحب ارزن
الروم يستنجده على نجم الدين فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعا وهزما
نجم الدين وحصرا موش فاشرف الحصار على ان تملك فغدر ابن قلج
ارسلان بصاحب خلاط وقتله طمعًا فى البلاد فلمّا قتله سار الى خلاط
فمنعه اهلها عنها فسار الى ملازكرد فردّه اهلها ايضًا وامتنعوا عليه فلمّا
لم يجد فى شئ من البلاد مطمعًا عاد الى بلده فارسل اهل خلاط الى
نجم الدين يستدعونه اليهم ليُملكوه فحضر عندهم وملك خلاط واعمالها
سوى اليسير منها وكره الملوك المجاورون له مُلكه لها خوفًا من ابيه
وكذلك ايضًا خافه الكرج وكرهوه فتتابعوا الغارات على اعمال خلاط
وبلادها ونجم الدين مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها فلقى المسلمون
من ذلك اذًى شديدًا واعتزل جماعة من عسكر خلاط واستولوا على
حصن وان وهو من اعظم الحصون وامنعها وعصوا على نجم الدين واجتمع
اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش فارسل نجم الدين الى ابيه
الملك العادل يعرّفه الحال ويطلب منه نجدة وان يمدّه بعسكر فسيّر اليه
اخاه الملك الاشرف موسى بن العادل فى عسكر فاجتمعا فى عسكر كثير
وحصرا قلعة وان وبها الخلاطيّة وجدّوا فى قتالهم فضعُف اولئك عن
مقاومتهم فسلّموها صلحًا وخرجوا منها وتسلّمها نجم الدين واستقرّ
مُلكه بخلاط واعمالها وعاد اخوه الاشرف الى بلده حرّان والرُّها ✿

ذكر غارات الفرنج بالشام

وفي هذه السنة كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد واكثروا الاغارة على بلد حمص وولاياتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرًا فلم يكن لصاحبها اسد الدين شيركوه بن محمّد ابن شيركوه بهم قوّة ولا يقدر على دفعهم ومنعهم فاستنجد الظاهر غازي صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده احدٌ الّا الظاهر فانّه سيّر له عسكرًا اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثمّ انّ الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكّا فصالحه صاحبها الفرنجيّ على قاعدة استقرّت من اطلاق اسرى من المسلمين وغير ذلك ثمّ سار الى حمص فنزل على بُحيرة قدس وجآته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل الى بلاد طرابلس حاصر موضعًا يسمّى العليقات واخذه صلحًا واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دوابّ وسلاح وخرّبه وتقدّم الى طرابلس فنهب واحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح فلم تستقرّ قاعدة ودخل الشتآء وطلبت العساكر الشرقيّة العود الى بلادهم قبل البرد فنزل طايفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتّى بها وعادت عساكر ديار الجزيرة الى اماكنها وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر انّ اهل قبرس الفرنج اخذوا عدّة قطع من اسطول مصر واسروا مَن فيها فارسل العادل الى صاحب عكّا في ردّ ما اخذوا ويقول نحن صُلحٌ فَلِمَ غدرتم باصحابنا فاعتذر بانّ اهل قبرس ليس لي عليهم حكم وانّ مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينيّة ثمّ انّ اهل قبرس ساروا الى القسطنطينيّة بسبب غلآء كان عندهم تعذّرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكّا واعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حالٌ فخرج بالعساكر وفعل بعكّا ما ذكرنا فاجابه حينئذ صاحبها الى ما طلب وارسل الاسرى ٭

ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من اهلها

لمّا تمّ ملك خلاط واعمالها للملك الاوحد نجم الدين ابن العادل سار عنها الى ملازكرد ليقرّر قواعدها ايضًا ويفعل ما ينبغي ان يفعله فيها فلمّا فارق خلاط وثب اهلها على مَن بها من العسكر فاخرجوه من

عندهم وعصوا وحصروا القلعة وبها اصحاب الاوحد ونادوا بشعار شاه ارمن وان كان ميّتًا يعنون بذلك ردّ الملك الى اصحابه ومماليكه فبلغ الخبر الى الملك الاوحد فعاد اليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحصر خلاط فاختلف اهلها فمال اليه بعضهم حسدًا للاخرين فملكها وقتل بها خلقًا كثيرًا من اهلها واسر جماعة من الاعيان فسيّرهم الى ميّافارقين وكان كلّ يوم يرسل اليهم فيقتل منهم جماعة فلم تسلم الّا القليل وذلّ اهل خلاط بعد هذه الواقعة وتفرّقت كلمة الفتيان[1] وكان الحكم اليهم وكفى الناس شرّهم فانّهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكًا ويقتلون اخر والسلطنة عندهم لا حكم لها وانّما الحكم لهم واليهم ❊

ذكر مُلك ابى بكر بن البهلوان مراغة

فى هذه السنة ملك الامير نصرة الدين ابو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان مدينة مراغة وسبب ذلك انّ صاحبها علآء الدين قراسنقر مات هذه السنة وولى بعده ابن له طفلٌ وقام بتدبير دولته وتربيته خادم كان لابيه فعصى عليه اميرٌ كان مع ابيه وجمع جمعًا كثيرًا فارسل اليه الخادم مَن عنده من العسكر فقاتلهم ذلك الامير فانهزموا واستقرّ ملك ولد علآء الدين الّا انّه لم تطُل ايّامه حتّى توفّى فى اوّل سنة خمس وستّمائة وانقرض اهل بيته ولم يبق منهم احد فلمّا توفّى سار نصرة الدين ابو بكر من تبريز الى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قراسنقر ما عدا قلعة روبين دز[2] فانّها اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخاير فامتنع بها على الامير ابى بكر ❊

ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة

كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدى العلوىّ من اهل الرىّ من بيت كبير فقدم بغداد لمّا ملك مؤيّد الدين ابن القصّاب وزير الخليفة الرىّ ولقى من الخليفة قبولًا فجعله نائب الوزارة ثمّ جعله وزيرًا وحكم ابنه صاحب المخزن ، فلمّا كان فى الثانى والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة عُزل واغلق بابه وكان سبب عزله انّه اساء السيرة مع

[1]) العيان [2]) C. P. 740.: روىدر Ups.: زوىدر

اكابر مماليك الخليفة فنهم امير الحاجّ مظفّر الدين سنقر المعروف بوجه السبُع فانّه هرب من يده الى الشام سنة ثلاث وستّمائة فارق الحاجّ بالمرخوم وارسل يعتذر ويقول انّ الوزير يريد ان لا يبقى فى خدمة الخليفة احدًا من مماليكه لا شكّ يريد يدّعى الخلافة وقال الناس فى ذلك فاكثروا وقالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم

الّا مبلغ عنى الخليفة احمدًا   اتَوَقَّ وقيت السُوءَ ما انت صانع
وزيرك هذا بين امرَيْن فيهما   فِعَالك يا خير البريّة صايع
فان كان حقًّا من سُلالة احمد   فهذا وزير فى الخلافة طامع
وان كان فيما يدّعى غير صادق   فاضيع ما كانت لديه الصنايع

فعزله وقيل فى سبب ذلك غيره ولمّا عُزل ارسل الى الخليفة يقول انّى قدمتُ الى هاهنا وليس لى دينار ولا درهم وقد حصل لى من الاموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة آلاف دينار ويسال ان يوخذ منه الجميع ويمكّن من المقام بالمشهد اسْوَةً ببعض العلويّين فاجابه انّنا ما انعمنا عليك بشئٍ فنوينا اعادته ولو كان ملئ الارض ذهبًا ونفسك فى امان الله واماننا ولم يبلغنا عنك ما تستوجب به ذلك غير انّ الاعداء قد اكثروا فيك فاختر لنفسك موضعًا تنتقل اليه موفّرًا محترمًا فاختار ان يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلّا يتمكّن منه العدوّ فنذهب نفسه ففُعل به ذلك وكان حسن السيرة قريبًا الى الناس حسن اللقآء لهم والانبساط معهم عفيفًا عن اموالهم غيرُ ظالم لهم فلمّا قبض عاد امير الحاجّ من مصر فى الخدمة العادليّة وعاد ايضًا فشتمر واقيم فى النيابة فى الوزارة فخر الدين ابو البدر محمّد بن احمد ابن أمْسينا الواسطىّ الّا انّه لم يكن متحكّما

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ليلة الاربعآء لخمس بقين من رجب زلزلت الارض وقت السحر وكنتُ حينئذ بالموصل ولم تكن بها شديدة وجآءت الاخبار من كثير من البلاد بانّها زلزلت ولم تكن بالقويّة، وفيها اطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حقّ البيع وما يوخذ من ارباب الامتعة من المكوس من ساير المبيعات وكان مبلغًا كثيرًا وكان سبب ذلك انّ

بنتًا لعزّ الدين نجاح شرابيّ الخليفة توفّيت فاشترى لها بقر لتذبح وبتصدّق بلحمها عنها فرفعوا فى حساب ثمنها مونة البقر فكانت كثيرة فوقف الخليفة على ذلك وامر باطلاق المونة جميعها، وفيها فى شهر رمضان امر الخليفة ببناء دور فى المحالّ ببغداد ليفطّر فيها الفقرآء وسمّيت دور الضيافة يطبخ فيها اللحم الضان والخبز الجيّد عمل ذلك فى جانبَىْ بغداد وجعل فى كلّ دار مَن يوثق بامانته وكان يعطى كلّ انسان قدحًا مملوًّا من الطبيخ واللحم ومنًّا من الخبز فكان يفطر كلّ ليلة على طعامه خلق لا يُحصون كثرة، وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل المآء فى خندق بغداد من ناحية باب كَلْواذى فخيف على البلد من الغرق فاهتم الخليفة بسدّ الخندق وركب فخر الدين نايب الوزارة وعزّ الدين الشرابى ووقفا ظاهر البلد فلم يبرحا حتى سدّ الخندق، وفيها توفّى الشيخ حنبل بن عبد الله بن الفرج المكبر بجامع الرصافة وكان عالى الاسناد روى عن ابن الحصين مسند احمد بن حنبل وله اسناد حسنٌ وقدم الموصل وحدّث بها وبغيرها ❁

سنة ٦٠٥

ثم دخلت سنة خمس وستّمائة،

ذكر ملك الكرج ارجيش وعودهم عنها

فى هذه السنة سارت الكرج فى جموعها الى ولاية خلاط وقصدوا مدينة ارجيش فحصروها وملكوها عنوةً ونهبوا جميع ما بها من الاموال والامتعة وغيرها واسروا وسبَوا اهلها واحرقوها وخرّبوها بالكلّيّة ولم يبق بها من اهلها احدٌ اصبحت خاوية على عروشها كانْ لم تغن بالامس، وكان نجم الدين ايّوب صاحب ارمينيّة بمدينة خلاط وعنده كثير من العساكر فلم يقدم على الكرج لاسباب منها كثرتهم وخوفه من اهل خلاط لما كان اسلف اليهم من القتل والاذى خاف ان يخرج منها فلا يمكّن من العود اليها، فلمّا لم يخرج الى قتال الكفار عادوا الى بلادهم سالمين لم يذعرهم ذاعرٌ وهذا جميعه وان كان عظيمًا شديدًا على الاسلام واهله فانّه يسير بالنسبة الى ما كان ممّا نذكره سنة اربع عشرة الى سنة سبع عشرة وستّمائة ❁

ذكر قتل سنجر شاه ومَلك ابنه محمود

في هذه السنة قُتل سنجر شاه ابن غازى بن مودود بن زنكى
بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وهو ابن عمّ نور الدين صاحب
الموصل قتله ابنه غازى ولقد سلك ابنه في قتله طريقًا عجيبًا يدلّ على
مكر ودهآء وسبب ذلك انّ سنجرًا كان سيّئ السيرة مع الناس كلّهم
من الرعيّة والجند والحرم والاولاد وبلغ من قبح فعله مع اولاده انّه سيّر
ابنيْه محمودًا ومودودًا الى قلعة فرح من بلد الزوزان واخرج ابنه هذا
الى دار بالمدينة اسكنه فيها ووكّل به مَن يمنعه من الخروج وكانت الدار
الى جانب بستان لبعض الرعيّة فكان يدخل اليه منها الحيّات والعقارب
وغيرهما من الحيوان المؤذى ففى بعض الايّام اصطاد حيّة وسيّرها في منديل
الى ابيه لعلّه يرقّ له فلم يعطف عليه فاعمل الحيلة حتّى نزل من الدار
التى كان بها واختفى ووضع انسانًا كان يخدمه فخرج من الجزيرة وقصد
الموصل واظهر انّه غازى بن سنجر فلمّا سمع نور الدين بقربه منها
ارسل نفقة وثيابًا وخيلًا وامره بالعود وقال انّ اباك يتجنّى لنا الذنوب
التى لم نعملها ويقبّح ذكرنا فاذا صرتَ عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات
والشفاعات ونقع معه في صداع لا ينادى وليده فسار الى الشام ، وامّا
غازى بن سنجر فانّه تسلّق الى دار ابيه واختفى عند بعض سراريه
وعلم به اكثر من بالدار فسترن عليه بغضًا لابيه وتوقّعًا للخلاص منه
لشدّته عليهنّ فبقى كذلك وترك ابوه الطلب له ظنًّا منه انّه بالشام
[فاتّفق] انّ اباه في بعض الايّام شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمآئه فكان
يقترح على المغنّين ان يغنّوا في الفراق وما شاكل ذلك ويبكى ويُظهر في
قوله قرب الاجل ودنوّ الموت وزوال ما هو فيه فلم يزل كذلك الى اخر النهار
وعاد الى داره وسكر عند بعض حظاياه ففى الليل دخل الخلآء وكان ابنه
عند تلك الحظيّة فدخل اليه فضربه بالسكّين اربع عشرة ضربة ثمّ ذبحه
وتركه ملقًى ودخل الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو فتح باب الدار
واحضر الجند واستحلفهم لملك البلد لكنّه امن واطمأنّ ولم يشكّ في المُلك ،
فاتّفق انّ بعض الخدم الصغار خرج الى الباب واعلم استاد دار سنجر

الخبر فاحضر اعيان الدولة وعرّفهم ذلك واغلق الابواب على غازى واستحلف الناس لمحمود بن سنجر شاه وارسل اليه احضره من فرح ومعه اخوه مودود فلمّا حلف الناس وسكنوا فتحوا باب الدار على غازى ودخلوا عليه لياخذوه فمانعهم عن نفسه فقتلوه والقوه على باب الدار فاكلت الكلاب بعض لحمه ثمّ دُفن باقيه ، ووصل محمود الى البلد وملكه ولعب بمعز الدين لعب ابيه فلمّا استقرّ اخذ كثيرًا من الجوارى اللواتى لابيه فغرّقهنّ فى دجلة ، ولقد حدّثنى صديق لنا انّه راى بدجلة فى مقدار غلوة سهم سبع جوارى مغرّقات منهنّ ثلاث قد احرقت وجوههنّ بالنار فلم اعلم سبب ذلك الحريق حتى حدّثنى جارية اشتريتُها بالموصل من جواريه انّ محمودًا كان ياخذ الجارية فيجعل وجهها فى النار فاذا احترقت القاها فى دجلة وباع من لم يغرّقه منهنّ فتفرّق اهل تلك الدار ايدى سبا ، وكان سنجر شاه قبيح السيرة ظالمًا غاشمًا كثير المخاتلة والمواربة والنظر فى دقيق الامور وجليلها لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيّته وغيرهم من اخذ الاموال والاملاك والقتل والاهانة وسلك معهم طريقًا وَعْرًا من قطع الالسنة والانوف والاذان وامّا اللحا فانّه حلق منها ما لا يحصى وكان جُل فكره فى ظُلم يفعله وبلغ من شدّة ظلمه انّه كان اذا استدعى انسانًا ليُحسن اليه لا يصل الّا وقد قارب الموت من شدّة الخوف واستعلى فى ايّامه السفهآء ونفقت سوق الاشرار والساعين بالناس فخرب البلد وتفرّق اهله لا جرم سلّط الله عليه اقرب الخلق اليه فقتله ثمّ قتل ولده غازى وبعد قليل قتل ولده محمود اخاه مودودًا وجرى فى داره من التحريق والتغريق ما ذكرنا بعضه ولو رُمنا شرح قبيح سيرته لطال والله تعالى بالمرصاد كلّ ظالم ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ثانى المحرّم توفّى ابو الحسن ورام ابن ابى فراس الزاهد بالحلّة السيفيّة وهو منها وكان صالحًا ، وفى صفر توفّى الشيخ مصدق ابن شبيب النحوى وهو من اهل واسط ، وفى شعبان توفّى القاضى محمّد بن احمد ابن المندائى الواسطىّ بها وكان كثير الرواية للحديث وله اسناد عالٍ وهو اخر من حدّث بمسند احمد بن حنبل على ابن الحصين ،

وفيه توفى العوام ابو فراس نصر بن ناصر بن مكى المدابنى صاحب المخزن ببغداد وكان اديبًا فاضلاً كامل المروّة يحبّ الادب واهله ويحبّ الشعر ويُحسن الجوايز عليه ولمّا توفى ولى بعده ابو الفتوح المبارك بن الوزير عضد الدين ابى الفرج بن رئيس الروسآء واكرم وأُعلى محلّه فبقى متولّيًا الى سابع ذى القعدة وعزل لعجزه ، وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان وكان اشدّها بنيسابور وخرج اهلها الى الصحرآء ايّامًا حتّى سكنت وعادوا الى مساكنهم ❊

ثم دخلت سنة ستّ وستمائة ، سنة ٦٠٦

ذكر مُلك العادل الخابور ونصيبين وحصر سنجار وعوده عنها واتّفاق نور الدين ارسلان شاه ومظفر الدين

فى هذه السنة ملك العادل ابو بكر بن ايّوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهو بيد قطب الدين محمّد بن زنكى بن مودود وسبب ذلك انّ قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمّه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وقد تقدّم ذكر ذلك فلمّا كان سنة خمس وستّمائة حصلت مصاهرة بين نور الدين والعادل فانّ ولد العادل تزوّج بابنة لنور الدين وكان لنور الدين وزرآء يحبّون ان يشتغل عنهم فحسّنوا له مراسلة العادل والاتّفاق معه على ان يقتسما بالبلاد التى لقطب الدين وبالولاية التى لولد سنجر شاه بن غازى بن مودود وهى جزيرة ابن عمر واعمالها فيكون ملك قطب الدين للعادل وتكون الجزيرة لنور الدين فوافق هذا القول هَوَى نور الدين فارسل الى العادل فى المعنى فاجابه الى ذلك مستبشرًا وجآءه ما لم يكن يرجوه لانّه علم انّه متى ملك هذه البلاد اخذ الموصل وغيرها واطمع نور الدين ايضًا فى ان يعطى هذه البلاد اذا ملكها لولده الذى هو زوج ابنة نور الدين ويكون مقامه فى خدمته بالموصل واستقرّت القاعدة على ذلك وتحالفا عليها فبادر العادل الى المسير من دمشق الى الفرات فى عساكره وقصد الخابور فاخذه فلمّا سمع نور الدين بوصوله كانّه خاف واستشعر فاحضر من يرجع

الى رايهم وقولهم وعرّفهم وصول العادل واستشارهم فيما يفعله فامّا مَن اشار
عليه فسكتوا وكان فيهم من لم يعلم هذه الحال فعظّم الامر واشار بالاستعداد
للحصار وجمع الرجال وتحصيل الذخاير وما يحتاج اليه فقال نور الدين
نحن فعلنا ذلك وخبّره الخبر فقال بايّ راى تجيّ الى عدوّ لك هو اقوى
منك واكثر جمعًا وهو بعيد منك متى تحرّك لقصدك تعلم به فلا يصل
الّا وقد فرغت من جميع ما تريده تسعى حتّى يصير قريبًا منك ويزداد
قوّة الى قوّته ثمّ انّ الذى استقرّ بينكما انّه له يملكه اوّلًا بغير تعب
ولا مشقّة وتبقى انت لا يمكنك ان تفارق الموصل الى الجزيرة وتحصرها
والعادل هاهنا هذا ان وَفَى لك بما استقرّت القاعدة عليه لا يجوز ان
تفارق الموصل وان عاد الى الشام لانّه قد صار له ملك خلاط وبعض
ديار بكر وديار الجزيرة جميعها والجميع بيد اولاده فى سرت عن الموصل
امكنهم ان يحولوا بينك وبينها فما زدت على ان اذيتَ نفسك وابن
عمّك وقوّيتَ عدوّك وجعلته شعارك وقد فات الامر وليس يجوز الّا ان
تقف معه على ما استقرّ بينكما لئلّا يجعل لك حجّة ويبتدى بك ۞
هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين وسار الى سنجار يحصرها وكان
فى عزم صاحبها قطب الدين ان يسلّمها الى العادل بعوض ياخذه عنها
فمنعه من ذلك اميرٌ كان معه اسمه احمد بن برنقش مملوك ابيه زنكى
وقام بحفظ المدينة والذبّ عنها وجهّز نور الدين عسكرًا مع ولده الملك
القاهر ليسيروا الى الملك العادل فبينما الامر على ذلك اذ جاءهم امرٌ لم
يكن لهم فى حساب وهو انّ مظفّر الدين كوكبرى صاحب اربل ارسل
وزيره [الى] نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع العادل عن
سنجار وانّ الاتّفاق معه على ما يريده فوصل الرسول ليلًا فوقف مقابل
دار نور الدين وصاح فعبر اليه سفينة عبر فيها واجتمع بنور الدين
ليلًا وابلغه الرسالة فاجاب نور الدين الى ما طلب من الموافقة وحلف
له على ذلك وعاد الوزير من ليلته فسار مظفّر الدين واجتمع هو ونور
الدين ونزلا بعساكرهما بظاهر الموصل ۞ وكان سبب ما فعله مظفّر الدين
انّ صاحب سنجار ارسل ولده الى مظفّر الدين يستشفع به الى العادل
ليبقى عليه سنجارًا وكان مظفّر الدين يظنّ انّه لو شفع فى نصف مُلك

العادل لشفّعه لاثره الجميل فى خدمته وقيامه فى الذبّ عن ملكه غير مرّة كما تقدّم فشفع اليه فلم يشفّعه العادل ظنًّا منه انّه بعد اتّفاقه مع نور الدين لا يبالى بمظفّر الدين فلمّا ردّه العادل فى شفاعته راسل نور الدين فى الموافقة عليه ولمّا وصل الى الموصل واجتمع بنور الدين ارسلا الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين وهو صاحب حلب والى كيخسرو ابن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم بالاتّفاق معهما فكلاهما اجاب الى ذلك وتداعوا على الحركة وقصد بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وارسلا ايضًا الى الخليفة الناصر لدين الله ليرسل رسولاً الى العادل فى الصلح ايضًا فقويت حينئذ نفس صاحب سنجار على الامتناع ووصلت رسل الخليفة وهو هبة الله بن المبارك بن الضحّاك استاذ الدار والامير اى باس وهو من خواصّ مماليك الخليفة وكبارهم فوصلا الى الموصل وسارا منها الى العادل وهو محاصر سنجارًا وكان مَن معه لا يناصحونه فى القتال لا سيّما اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانّه كان يُدخل اليها الاغنام وغيرها من الاقوات ظاهرًا ولا يقاتل عليها وكذلك غيره فلمّا وصل رسول الخليفة الى العادل اجاب اوّلاً الى الرحيل ثمّ امتنع عن ذلك وغالط وأطال الامر لعلّه يبلغ منها غرضًا فلم ينل منها ما امّله واجاب الى الصلح على ان له ما اخذ وتبقى سنجار لصاحبها واستقرّت القاعدة على ذلك وتحالفوا على هذا كلّهم وعلى ان يكونوا يدًا واحدة على الناكث منهم ورحل العادل عن سنجار الى حرّان وعاد مظفّر الدين الى اربل وبقى كلّ واحد من الملوك فى بلده وكان مظفّر الدين عند مقامه بالموصل قد زوّج ابنتَيْن له بولدَيْن لنور الدين وهما عزّ الدين مسعود وعماد الدين زنكى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل عُزل فخر الدين بن امسينا عن نيابة الوزارة للخليفة وألزم بيته ثمّ نُقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولى بعده نيابة الوزارة مكين الدين محمّد بن محمّد بن بَرز[1]

[1]) C. P. 740 et Ups.: برز

القمّى كاتب الانشآء ولقب مؤيد الدين ونقل الى دار الوزارة مقابل باب النوبى ، وفيها فى شوّال توفّى مجد الدين يحيى بن الربيع الفقيه الشافعىّ مدرّس النظاميّة ببغداد ، وفيها توفّى فخر الدين ابو الفضل محمّد بن عمر بن خطيب الرىّ الفقيه الشافعىّ صاحب التصانيف المشهورة فى الفقه والاصولَيْن وغيرهما وكان امام الدنيا فى عصره وبلغنى انّ مولده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ، وفيها سلخ ذى الحجّة توفّى اخى مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمّد بن عبد الكريم الكاتب مولده فى احد الربيعَيْن سنة اربع واربعين وكان عالمًا فى عدّة علوم منها الفقه والاصولَيْن والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة فى التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث وله رسائل مدوّنة وكان كاتبًا مفلقًا يُضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضى عنه فلقد كان من محاسن الزمان ولعلّ من يقف على ما ذكرتُه يتّهمنى فى قولى ومَن عرفه من اهل عصرنا يعلم انّى مقصر ، وفيها توفّى المجد المطرزىّ النحوىّ الخوارزمىّ وكان امامًا فى النحو له فيه تصانيف حسنة ، وفيها توفّى المؤيّد بن عبد الرحيم ابن الاخوة باصفهان وهو من اهل الحديث رحمه الله ۞

ثم دخلت سنة سبع وستّمائة ،

سنة ٦٠٧

ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر اليه

كان قطب الدين سنجر مملوك الخليفة الناصر لدين الله قد ولّاه الخليفة خوزستان بعد طاشتكين امير الحاجّ كما ذكرناه فلمّا كان سنة ستّ وستّمائة بدا منه تغيّر عن الطاعة فروسل فى القدوم الى بغداد فغالط ولم يحضر وكان يظهر الطاعة ويبطن التغلّب على البلاد فبقى الامر كذلك الى ربيع الاوّل من هذه السنة فتقدّم الخليفة الى مؤيّد الدين نائب الوزارة والى عزّ الدين بن نجاح الشرابى خاصّ الخليفة بالمسير بالعساكر اليه بخوزستان واخراجه عنها فسارا فى عساكر كثيرة فلمّا تحقّق سنجر قصدهم اليه فارق البلاد ولحق بصاحب شيراز وهو اتابك عزّ الدين سعد بن دكلا ملتجئًا اليه فاكرمه وقام دونه ووصل عسكر الخليفة الى خوزستان فى ربيع الاخر بغير ممانعة فلمّا استقرّوا فى البلاد

وراسلوا سنجرًا يدعونه الى الطاعة فلم يُجب الى ذلك فساروا الى ارّجان عازمين على قصد صاحب شيراز فادركهم الشتآء فاقاموا شهورًا والرسل مترددة بينهم وبين صاحب شيراز[1] فلم يجبهم الى تسليمه فلمّا دخل شوّال رحلوا يريدون شيراز فحينئذ ارسل صاحبها الى الوزير والشرابى يشفع فيه ويطلب العهد له على ان لا يؤذى فأُجيب الى ذلك وسلّمه اليهم هو وماله واهله فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار وولّى الخليفة بلاد خوزستان مملوكه ياقوت امير الحاجّ ووصل الوزير الى بغداد فى المحرّم سنة ثمان وستّمائة هو والشرابى والعساكر وخرج اهل بغداد الى تلقّيهم فدخلوها وسنجر معهم راكبًا على بغل باكاف وفى رجله سلسلتان فى يد كل جندىّ سلسلة وبقى محبوسًا الى ان دخل صفر فجمع الخلق الكثير من الامرآء والاعيان الى دار مؤيّد الدين نايب الوزارة فأُحضر سنجر وقُرّر بامور نسبت اليه منكرة فاقرّ بها فقال مؤيّد الدين للناس قد عرفتم ما يقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل وقد عفا امير المؤمنين عنه وامر بالخلع عليه فلبسها وعاد الى داره فعجب الناس من ذلك وقيل انّ اتابك سعد نهب مال سنجر وخزائنه ودوابّه وكلّ ما له ولاصحابه وسبيهم فلمّا وصل سنجر الى الوزير والشرابى طلبوا المال فارسل شيئًا يسيرًا والله اعلم ۞

ذكر وفاة نور الدين ارسلان شاه وشئ من سيرته

فى هذه السنة اواخر رجب توفّى نور الدين ارسلان شاه بن مسعود ابى مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه قد طال ومزاجه قد فسد وكانت مدّة مُلكه سبع عشرة سنة واحد عشر شهرًا وكان شهمًا شجاعًا ذا سياسة للرعايا شديدًا على اصحابه وكانوا يخافونه خوفًا شديدًا وكان ذلك مانعًا من تعدّى بعضهم على بعض وكان له همّة عالية اعاد ناموس البيت الاتابكىّ وجاهه وحُرمته بعد ان كانت قد ذهبت وخافه الملوك وكان سريع الحركة فى طلب الملك الّا انّه لم يكن له صبرٌ فلهذا لم يتّسع مُلكه ولو لم يكن له من الفضيلة الّا انّه لمّا رحل الكامل بن العادل عن ماردين كما ذكرناه سنة خمس

[1]) Repetuntur: فادركهم الشتآء فاقاموا شهورًا

وتسعين وخمسمائة عقت عنها وابقاها على صاحبها ولو قصدها وحصرها لم يكن فيها قوّة الامتناع لانّ مَن كان بها كانوا قد هلكوا او ضجروا ولم يبق لهم رمق فابقاها على صاحبها ولمّا ملك استغاث اليه انسان من التجار فسال عن حاله فقيل انه قد ادخل قماشه الى البلد ليبيعه فلم يتمّ له البيع ويريد اخراجه وقد مُنع من ذلك فقال مَن منعه فقيل ضامن السرّ يريد منه ما جرت به العادة من المكس وكان القيّم بتدبير مملكته مجاهد الدين قايماز وهو الى جانبه فساله عن العادة كيف هى [فقال][1] ان اشترط[2] صاحبه اخراج متاعه[3] مُكّن من اخراجه وان لم يشترط ذلك لم يخرج حتّى يوخذ ما جرت العادة باخذه فقال والله انّ هذه العادة مدبرة انسان لا يبيع متاعه لاىّ شئ يوخذ منه ماله فقال مجاهد الدين لا شكّ فى فساد هذه العادة فقال اذا قلتُ انا وانت انّها عادة فاسدة فما المانع من تركها وتقدّم باخراج مال الرجل وان لا يوخذ الّا ممّن باع وسمعتُ اخى مجد الدين ابا السعادات رحمه الله وكان من اكثر الناس اختصاصًا به يقول ما قلتُ له يومًا فى فعل خير فامتنع منه بل بادر اليه بفرح واستبشار واستدعى فى بعض الايّام اخى المذكور فركب الى داره فلمّا كان بباب الدار لقيته امراة وبيدها رقعة وهى تشكو وتطلب عرضها على نور الدين فاخذها فلمّا دخل اليه جاراه فى مهمّ له فقال قبل كلّ شئ تقف على هذه الرقعة وتقضى شغل صاحبها فقال لا حاجة الى الوقوف عليها عرفنا ايش فيها فقال والله لا اعلم الّا انّى رايت امراة بباب الدار وهى متظلّمة شاكية فقال نعم عرفتُ حالها ثمّ انزعج فظهر منه الغيظ والغضب وعنده رجلان هما المعتمدان بامور دولته فقال لاخى ابصر الى اىّ شئ قد دفعت مع هذَيْن هذه المراة كان لها ابن وقد مات فى الموصل وهو غريب وخلّف قماشًا ومملوكَيْن فاحتاط نوّاب بيت المال على القماش واحضروا المملوكَيْن الينا فبقيا عندنا ننتظر مَن يستحقّ التركة لياخذها فحضرت هذه المراة ومعها كتاب حُكمىّ بانّ المال الذى مع ولدها لها فتقدّمنا بتسليم

[3]) Ups. addit. ان [2]) C. P. et 740. Ups.: شرط [1]) C. P. et 740.

مالها اليها وقلتُ لهذين اشتريا المملوكَيْن منها وانصفاها في الثمن فعادا وقالا لم يتمّ بيننا بيع لانّها طلبت ثمنًا كثيرًا فامرتُهما باعادة المملوكَيْن اليها من مدّة شهرين واكثروا الى الآن ما عُدت سمعتُ لها حديثًا وظننتُ انّها اخذت مالها ولا شكّ انّهما لم يُسلّما المملوكَيْن اليها وقد استغاثت اليهما فلم يُنصفاها فجآءت اليك وكلّ مَن راى هذه المراة تشكوا وتستغيث يظنّنى انّى انا منعتُها عن مالها فيذمّنى وينسبنى الى الظلم وليس لى علم وكلّ هذا فِعْل هذَيْن اشتهى ان تتسلّم انت المملوكَيْن وتسلّمهما اليها فاخذت المراة مالها وعادت شاكرة داعية وله من هذا الجنس كثير لا تُطوّل بذكره ❊

ذكر ولاية ابنه الملك القاهر

لمّا حضر نور الدين الموت امر ان يرتّب فى المُلك بعده ولده الملك القاهر عزّ الدين مسعود وحلّف له الجند واعيان الناس وكان قد عهد اليه قبل موته بمدّة فجدّد العهد له عند وفاته واعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكى قلعة عقر الحميديّة وقلعة شوش[1] وولايتهما وسيّره الى العقر وامر ان يتولّى تدبير مملكتهما ويقوم بحفظها والنظر فى مصالحها فتاه الامير بدر الدين لؤلؤ لما راى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدبيره وكمال خلال السيادة فيه وكان عمر القاهر حينئذ [عشر سنين] ولمّا اشتدّ مرضه وايس من نفسه امره الاطبّآء بالانحدار الى الحامّة المعروفة بعين القيارة[2] وهى بالقرب من الموصل فانحدر اليها فلم يجد بها راحة وازداد ضُعفًا فاخذه بدر الدين واصعده فى الشبّارة الى الموصل فتوفّى فى الطريق ليلًا ومعه الملّاحون والاطبّآء بينه وبينهم ستر وكان مع بدر الدين عند نور الدين مملوكان فلمّا توفّى نور الدين قال لهما لا يسمع احدٌ بموته وقال للاطبّآء والملّاحين لا يتكلّم احدٌ فقد نام السلطان فسكتوا ووصلوا الى الموصل فى الليل فامر الاطبّآء والملّاحين بمفارقة الشبّارة لئلّا يروه ميّتًا وابعدوا فحمله هو والمملوكان وادخله الدار وتركه فى الموضع الذى كان فيه ومعه المملوكان ونزل على بابه من يثق اليه لا يمكّن احدًا من

1) شوس 2) العماره

الدخول والخروج وقعد مع الناس يمضى امورًا كان يحتاج الى اتمامها فلمّا فرغ من جميع ما يريده اظهر موته وقت العصر ودُفن ليلًا بالمدرسة التى انشاها مقابل داره وضبط البلد تلك الليلة ضبطًا جيّدًا بحيث انّ الناس فى البلد لم يزالوا مترددين لم يعدم من احد مقدار الحبّة الفرد واستقرّ المُلك لولده وقام بدر الدين بتدبير الدولة والنظر فى مصالحها ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى شهر ربيع الاخر درّس القاضى ابو زكرياء ابن القاسم بن المفرّج قاضى تكريت بالمدرسة النظاميّة ببغداد استُدعى من تكريت اليها ، وفيها نقصت دجلة بالعراق نقصًا كثيرًا حتّى كان يجرى الماء ببغداد فى نحو خمسة اذرع وامر الخليفة ان يكرى دجلة فجمع الخلق الكثير وكانوا كلّما حفروا شيئًا عاد الرمل غطّاه وكان الناس يخوضون دجلة فوق بغداد وهذا لم يُعهد مثله ، وحجّ بالناس هذه السنة علاء الدين محمّد ولد الامير مجاهد الدين ياقوت امير الحاجّ وكان قد ولّاه الخليفة خوزستان وجعله هو امير الحاجّ وجعل معه مَن يدبّر الحاجّ لانّه كان صبيًّا ، وفيها فى العشرين من ربيع الاخر توفّى ضياء الدين احمد عبد الوهّاب بن علىّ بن عبد الله الامير البغدادىّ ببغداد وهو سبط صدر الدين اسمعيل شيخ الشيوخ وعمره سبع وثمانون سنة وشهور وكان صوفيًّا فقيهًا محدّثًا سمعنا معه الكثير رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين كثير العبادة والصلاح ، وفيها توفّى شيخنا ابو حفص عمر بن محمّد بن المعمّر بن طبرزد البغدادىّ وكان عالى الاسناد ۞

ثم دخلت سنة ثمان وستّمائة ،

سنة ٦٠٨

ذكر استيلاء منكلى على بلاد الجبل واصفهان وغيرها وهرب ايتغمش

فى هذه السنة فى شعبان قدم ايتغمش صاحب همذان واصفهان والرىّ وما بينهما من البلاد الى بغداد هاربًا من منكلى وسبب ذلك انّ ايتغمش كان قد تمكّن فى البلاد وعظم شانه وانتشر صيته وكثر عسكره حتّى انّه حصر صاحبه ابا بكر بن البهلوان صاحب هذه البلاد اذربيجان وارّان كما ذكرناه فلمّا كان الآن خرج عليه مملوك اسمه منكلى ونازعه

فى البلاد وكثر اتباعه واطاعه المماليك البهلوانيّة فاستولى عليها وهرب منه شمس الدين ايتغمش الى بغداد فلمّا وصل اليها امر الخليفة بالاحتفال له فى اللقاء فخرج الناس كافّة وكان يوم وصوله مشهودًا ثمّ قدمت زوجته فى رمضان فى محمل فاكرمت وانزلت عند زوجها واقام ببغداد الى سنة عشر وستّمائة فسار عنها فكان من امره ما نذكره ❁

ذكر نهب الحاجّ بمنى

وفى هذه السنة نُهب الحاجّ بمنًى وسبب ذلك انّ باطنيًّا وثب على بعض اهل الامير قتادة صاحب مكّة فقتله بمنى ظنًّا منه انّه قتادة فلمّا سمع قتادة ذلك جمع الاشراف والعرب والعبيد واهل مكّة وقصدوا الحاجّ ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك وكان امير الحاجّ ولد الامير ياقوت المقدّم ذكره وهو صبىّ لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحيّر وتمكّن امير مكّة من نهب الحاجّ فنهبوا منهم مَن كان فى الاطراف واقاموا على حالهم الى الليل فاضطرب الحاجّ وباتوا باسوأ حال من شدّة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لامير الحاجّ ليتنقّل بالحجّاج الى منزلة حجّاج الشام فامر بالرحيل فرفعوا اثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدوّ فيهم وتمكّن من النهب والتحق مَن سلم بحجّاج الشام فاجتمعوا بهم ثمّ رحلوا الى الزاهر ومُنعوا من دخول مكّة ثمّ اذن لهم فى ذلك فدخلوها وتمّموا حجّتهم وعادوا ثمّ ارسل قتادة ولده وجماعة من اصحابه الى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والاكفان فقبّلوا العتبة واعتذروا ممّا جرى على الحجّاج ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اظهر الاسماعيليّة ومقدّمهم جلال الدين ابن فلان بن حسن بن الصباح الانتقال عن فعل المحرّمات واستحلالها وامر باقامة الصلوات وشرائع الاسلام ببلادهم من خراسان والشام وارسل مقدّمهم رسلًا الى الخليفة وغيره من ملوك الاسلام يخبرهم بذلك وارسل والدته الى الحجّ فأُكرمت ببغداد اكرامًا عظيمًا وكذلك بطريق مكّة ❁ وفيها سلخ جمادى الآخرة توفّى ابو حامد محمّد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعىّ بمدينة الموصل وكان امامًا فاضلًا اليه انتهت رياسة الشافعيّة لم يكن فى زمانه مثله وكان

حسن الاخلاق كثير التجاوز عن الفقهاء والاحسان اليهم رحمه الله ، وفيها في شهر ربيع الاوّل توفّى القاضى ابو الفضايل علىّ بن يوسف بن احمد بن الآمدىّ الواسطىّ قاضيها وكان نعم الرجل ، وفيها في شعبان توفّى المعين ابو الفتوح عبد الواحد بن ابى احمد بن علىّ الامين شيخ الشيوخ ببغداد وكان موته بجزيرة كَاس مضى اليها رسولًا من الخليفة وكان من اصدقآئنا وبيننا وبينه مودّة متاكّدة ومحبّة كثيرة وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله ورضى عنه وله كتابة حسنة وشعر جيّد وكان عالمًا بالفقه وغيره ولمّا توفّى رتب اخوه زين الدين عبد الرزّاق ابن ابى احمد وكان ناظرًا على المارستان العضدىّ فتركه واقتصر على الرباط ، وفيها في ذى الحجّة توفّى محمّد بن يوسف بن محمّد بن عبيد الله النيسابورىّ الكاتب الحسن الخطّ وكان يؤدّى طريقة ابن البوّاب وكان فقيهًا حاسبًا متكلّمًا ، وفيها توفّى عمر بن مسعود ابى العزّ ابو القاسم البزّاز البغدادىّ بها وكان من الصالحين يجتمع اليه الفقرآء كثيرًا ويحسن اليهم ، وتوفّى ايضًا ابو سعيد الحسن بن محمّد بن الحسن بن حمدون الثعلبىّ العَدَوىّ وهو ولد مصنّف التذكرة وكان عالمًا ✿

ثم دخلت سنة تسع وستّمائة ،

سنة ٦٠٩

ذكر قدوم ابن منكلى بغداد

في هذه السنة في المحرّم قدم محمّد بن منكلى المستولى على بلاد الجبل الى بغداد وسبب ذلك انّ اباه منكلى لمّا استولى على بلاد الجبل وهرب ايتغمش صاحبها منها الى بغداد خاف ان يساعده الخليفة ويرسل معه العساكر فيعظم الامر عليه لانّه لم يكن قد تمكّن في البلاد فارسل ولده محمّدًا ومعه جماعة من العسكر فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه وانزل واكرم وبقى ببغداد الى ان قُتل اينغمش فخلع عليه وعلى مَن معه وأُكرموا وسيّرهم الى ابيه ✿

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض الملك العادل ابو بكر بن أيّوب صاحب مصر والشام على امير اسمه اسامة كان له اقطاع كثيرة من جملتها حصن

كوكب من اعمال الاردنّ بالشام واخذ منه حصن كوكب وخرّبه وعفى اثره ومن بعده بنى حصنًا بالقرب منه على جبل يسمّى الطور وهو معروف هناك وشحنه بالرجال والذخاير والسلاح ، وفيها توفّى الفقيه محمّد بن اسمعيل بن ابى الصيف اليمنىّ فقيه الحرم الشريف بمكّة ✿

ثم دخلت سنة عشر وستمايه ، سنة ٦١٠

ذكر قتل ايتغمش

فى هذه السنة فى المحرّم قتل ايتغمش الذى كان صاحب همذان وقد ذكرنا سنة ثمان انّه قدم الى بغداد واقام بها فانعم عليه الخليفة وشرّفه بالخلع واعطاه الكوسات وما يحتاج اليه وسيّره الى همذان فسار فى جمادى الاخرة عن بغداد قاصدًا الى همذان فوصل الى بلاد ابن ترجم[1] واجتمعا واقام ينتظر وصول عساكر بغداد اليه ليسير معه على قاعدة استقرّت بينهم وكان الخليفة قد عزل سليمان ابن ترجم[1] عن الامارة على عشيرته من التركمان الايوانيّة[2] وولّى اخاه الاصغر فارسل سليمان الى منكلى يعرّفه بحال ايتغمش ومضى هو على وجهه فاخذوه فقتلوه وحملوا راسه الى منكلى وتفرّق من معه من اصحابه فى البلاد لا يلوى اخ على اخيه ووصل الخبر بقتله الى بغداد فعظم على الخليفة ذلك وارسل الى منكلى ينكر عليه ما فعل فاجاب جوابًا شديدًا وتمكّن من البلاد وقوى امره وكثرت جموعه وعساكره وكان من امره ما نذكره ان شآء الله ✿

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس فى هذه السنة ابو فراس بن جعفر بن فراس الحلّىّ نيابةً عن امير الحاجّ [ابن] ياقوت ومُنع ابن ياقوت عن الحجّ لمّا جرى للحاجّ فى ولايته ، وفيها فى المحرّم توفّى الحكيم المهذب علىّ بن احمد بن مقبل الطبيب المشهور كان اعلم اهل زمانه بالطبّ روى الحديث وكان مقيمًا بالموصل وبها مات وكان كثير الصدقة حسن الاخلاق وله تصنيف حسن فى الطبّ ، وفيه توفّى اسمعيل بن علىّ البغدادىّ الفقيه الحنبلىّ صاحب ابن المنّى[3] ، وفيه توفّى ايضًا احمد بن مسعود التركستانىّ الفقيه الحنفىّ

---

1) Seu يرجم Vid. *Journ. Asiat.* 1847, I. p. 178.

2) الايوانية

3) C. P. Ups.: المنى

ببغداد وهو مدرّس مشهد ابي حنيفة، وفيها في جمادى الاولى توفى معزّ الدين ابو المعالى سعد بن علىّ المعروف بابن حديد الذى كان وزير للخليفة الناصر لدين الله وكان قد الزم بيته ولمّا توفى حُمل تابوته الى مشهد امير المؤمنين علىّ عم بالكوفة وكان حسن السيرة فى وزارته كثير الخير والنفع للناس ٭

سنة ٦١١

ثم دخلت سنة احدى عشرة وستمائة،

ذكر مُلك خوارزم شاه علآء الدين كرمان ومكران والسند

هذه الحادثة لا اعلم الحقيقة اىّ سنة كانت انّما هى امّا هذه السنة او قبلها بقليل او بعدها بقليل لانّ الذى اخبر بها كان من اجناد الموصل وسافر الى تلك البلاد واقام بها عدّة سنين وسار مع الامير ابى بكر الذى فتح كرمان ثمّ عاد فاخبرنى بها على شكّ من وقتها وقد حضرها فقال خوارزم شاه محمّد بن تكش كان من جملة امرآء ابيه امير اسمه ابو بكر ولقبه تاج الدين وكان فى ابتدآء امره جمّالاً يكرى الجمال فى الاسفار ثمّ جآءته السعادة فاتّصل بخوارزم شاه وصار سيروان جمّاله فراى منه جلدًا وامانة فقدّمه الى ان صار من اعيان امرآء عسكره فولّاه مدينة زوزن وكان عاقلاً ذا راى وحزم وشجاعة فتقدّم عند خوارزم شاه تقدّمًا كثيرًا فوثق به اكثر من جميع امرآء دولته فقال ابو بكر لخوارزم شاه انّ بلاد كرمان مجاورة لبلدى فلو اضاف السلطان الىّ عسكرًا لملكتُها فى اسرع وقت فسيّر معه عسكرًا كثيرًا فمضى الى كرمان وصاحبها اسمه حرب بن محمّد بن ابى الفضل الذى كان صاحب سجستان ايّام السلطان سنجر فقاتله فلم يكن له به قوّة وضعُف فملك ابو بكر بلاده فى اسرع وقت وسار منها الى نواحى مكران فملكها كلّها الى السند من حدود كابل وسار الى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه صاحبها واسمه ملنك وخطب بها لخوارزم شاه وحمل عنها مالًا وخُطب له بقلهات وبعض عُمان لانّ اصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز وسبب طاعتهم له مع بُعد الشقّة والبحر بقطع بينهم انّهم يتقرّبون اليه بالطاعة ليامن اصحاب المراكب التى تسير اليهم عنده فانّ هرمز مرسى عظيم ومجمع للتجار

من اقاصى الهند والصين واليمن وغيرها من البلاد وكان بين صاحب هرمز وبين صاحب كيش حروب ومغاورات وكلّ منهما ينهى اصحاب المراكب ان ترسى ببلد خصمه وهم كذلك الى الآن وكان خوارزم شاه يصيف بنواحى سمرقند لاجل التتر اصحاب كشلى خان لئلّا يقصد بلاده وكان سريع السير اذا قصد جهة سبق خبره ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قُتل مؤيّد الملك الشحرىّ وكان قد وزر لشهاب الدين الغورىّ ولتاج الدين الدز بعده وكان حسن السيرة جميل الاعتقاد محسنًا الى العلمآء واهل الخير يزورهم ويبرّهم ويحضر الجمعة ماشيًا وحده وكان سبب قتله انّ بعض عسكر الدز كرهوه وكان كلّ سنة يتقدّم الى البلاد الحارّة بين يدى الدز اوّل الشتآء فسار هذه السنة كعادته فجآء اربعون نفرًا اتراكًا وقالوا له السلطان يقول لك تحضر جريدة فى عشرة نفر لمهمّ تجدّد فسار معهم جريدة فى عشرة مماليك فلمّا وصلوا الى نهوند بالقرب من مآء السند قتلوه وهربوا ثمّ انّهم ظفر بهم خوارزم شاه محمّد فقتلهم ، وفيها فى رجب توفّى الركن ابو منصور عبد السلام ابن عبد الوهّاب بن عبد القادر الجيلىّ البغدادىّ ببغداد وكان قد ولى عدّة ولايات وكان يتّهم بمذهب الفلاسفة حتّى انّه راى ابوه يومًا عليه قميصًا بخاريًّا فقال ما هذا القميص فقال بخارىٌّ فقال ابوه هذا عجبٌ ما زلنا نسمع مسلم والبخارىّ وامّا كافر والبخارىّ ما سمعنا واخذت كتبه قبل موته بعدّة سنين واظهرت فى ملآ من الناس ورُءى فيها من تسخير النجوم ومخاطبة زُحَل بالالهيّة وغير ذلك من الكفريات ثمّ أُحرقت بباب العامّة وحُبس ثمّ افرج عنه بشفاعة ابيه واستُعمل بعد ذلك ، وفيها ايضًا توفّى ابو العبّاس احمد بن هبة الله بن العلآء المعروف بابن الزاهد ببغداد وكان عالمًا بالنحو واللغة ، وفى شعبان منها توفّى ابو المظفّر محمّد بن علىّ بن البلّ[1] اللورىّ[2] الواعظ ودُفن برباط على نهر عيسى ومولده سنة عشر وخمسمائة ، وفى شوّال منها توفّى عبد العزيز ابن محمود بن الاخضر وكان من فضلآء المحدّثين وله سبع وثمانون سنة ۞

[1]) Ups.: البل 740: اللبل

[2]) C. P.: الدورى 740: اللوزى

سنة ٦١٢

ثم دخلت سنة اثنى عشرة وستمائة

ذكر قتل منكلى وولاية اغلمش ما كان بيده من الممالك

فى هذه السنة فى جمادى الاولى انهزم منكلى صاحب همذان واصفهان والرىّ وما بينهم من البلاد ومضى هاربًا فقُتل وسبب ذلك انّه كان قد ملك البلاد كما ذكرناه وقتل ايتغمش فأُرسل اليه من الديوان الخليفىّ رسولٌ ينكر ذلك عليه وكان اوحش الامير اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان وهو صاحبه ومخدومه فارسل الخليفة اليه يحرضه على منكلى ويَعده النصرة وارسل ايضًا الى جلال الدين الاسماعيلىّ صاحب قلاع الاسماعيليّة ببلاد العجم ألموت وغيرها يامره بمساعدة اوزبك على قتال منكلى واستقرّت القاعدة بينهم على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها فلمّا استقرّت القواعد على ذلك جهّز الخليفة عسكرًا كثيرًا وجعل مقدّمهم مملوكه مظفّر الدين سنقر الملقب بوجه السبُع وارسل الى مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين علىّ كوجك وهو اذذاك صاحب اربل وشهرزور واعمالها يامره ان يحضر بعساكره ويكون مقدّم العساكر جميعها واليه المرجع فى الحرب فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة وساروا الى همذان فاجتمعت العساكر كلّها فانزاح منكلى من بين ايديهم وتعلّق بالجبال وتبعوه فنزلوا بسفح جبل هو فى اعلاه بالقرب من مدينة كرج وضاقت الميرة والاقوات على العسكر الخليفىّ جميعه ومَن معهم فلو اقام منكلى بموضعه لم يمكنهم المقام عليه اكثر من عشرة ايّام لكنّه طمع فنزل ببعض عسكره من الجبل مقابل الامير اوزبك فحملوا عليه فلم يثبتِ اوزبك ومضى منهزمًا فعاد اصحاب منكلى وصعدوا الجبل وعاد اوزبك الى خيامه فطمع منكلى حينئذ ونزل من الغد فى جميع عسكره واصطفّت العساكر للحرب واقتتلوا اشدّ قتال يكون فانهزم منكلى وصعد الجبل فلو اقام بمكانه لم يقدر احد على الصعود اليه وكان قصاراهم العود عنه لكنّه اتّخذ الليل جملًا وفارق موضعه ومضى منهزمًا فاتبعه نفر يسير من عسكره وفارقه الباقون وتفرّقوا فى ايدى سبا واستولى عسكر الخليفة واوزبك على البلاد فاعطى جلال الدين

ملك الاسماعيليّة من البلاد ما كان استقرّ له واخذ الباقى اوزبك فسلّمه الى اغلمش مملوك اخيه وكان قد توجّه الى خوارزم شاه علآء الدين محمّد وبقى عنده ثمّ عاد عنه وشهد الحرب وابلى فيها فولّاه اوزبك البلاد وعاد كلّ طائفة من العسكر الى بلادهم ٭ وامّا منكلى فانّه مضى منهزمًا الى مدينة ساوة وبها شحنة هو صديق له فارسل اليه يستاذنه فى الدخول الى البلد فاذن له ودخل اليه وخرج فلقيه وقبّل الارض بين يديه وادخله البلد وانزله فى داره ثمّ اخذ سلاحه واراد ان يقيّده ويرسله الى اغلمش فساله ان يقتله هو ولا يرسله فقتله وارسل راسه الى اوزبك وارسله اوزبك الى بغداد وكان يوم دخولها يومًا مشهودًا الّا انّه لم تتمّ المسرّة للخليفة بذلك فانّه وصل ومات ولده فى تلك الحال فاعيد ودفن٭

ذكر وفاة ابن الخليفة

فى هذه السنة فى العشرين من ذى القعدة توفّى ولد الخليفة وهو الاصغر وكان يلقّب الملك المعظّم واسمه ابو الحسن علىّ وكان احبّ ولدى الخليفة اليه وقد رشّحه لولاية العهد بعده وعزل ولده الاكبر عن ولاية العهد واطّرحه لاجل هذا الولد وكان رحمه الله كريمًا كثير الصدقة والمعروف حسن السيرة محبوبًا الى الخاصّ والعامّ وكان سبب موته انّه اصابه اسهال فتوفّى وحزن عليه الخليفة حزنًا لم يُسمع بمثله حتّى انّه ارسل الى اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يُعزّيه بولده ولم يقرأ كتابًا ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه ورُءى عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله ولمّا توفّى أُخرج نهارًا ومشى جميع الناس بين يدى تابوته الى تربة بدّته عند قبر معروف الكرخىّ فدفن عندها ولمّا ادخل التابوت أُغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل انّ ذلك صوت الخليفة وامّا العامّة ببغداد فانّهم وجدوا عليه وجدًا شديدًا ودامت المناحات عليه فى اقطار بغداد ليلًا ونهارًا ولم يبق ببغداد محلّة الّا وفيها النوح ولم تبق امراة الّا واظهرت الحزن وما سُمع ببغداد مثل ذلك فى قديم الزمان وحديثه وكان موته وقت وصول راس منكلى الى بغداد فانّ الموكب امر بالخروج الى لقآء الراس فخرج الناس كافّة فلمّا دخلوا

بالراس الى راس درب حبيب وقع الصوت بموت ابن الخليفة فأعيد الراس وهذا دأب الدنيا لا يجمعوا ابدًا فرحها من ترح وقد تخلص مصائبها عن شائبة الترح ❁

ذكر ملك خوارزم شاه غزنة واعمالها

في هذه السنة في شعبان ملك خوارزم شاه محمّد بن تكش مدينة غزنة واعمالها وسبب ذلك انّ خوارزم شاه لمّا استولى على عامّة خراسان وملك باميان وغيرها ارسل الى تاج الدين صاحب غزنة وقد تقدّمت اخباره حتّى ملكها يطلب منه ان يخطب له ويضرب السكّة باسمه ويرسل اليه فيلًا واحدًا ليصالحه ببلده غزنة ولا يعارضه فيها فاحضر الامرآء واعيان دولته واستشارهم وكان فيهم اكبر امير اسمه قتلغ تكين وهو من مماليك شهاب الدين الغوريّ ايضًا واليه الحكم في دولة الدز وهو النائب عنه بغزنة فقال الراى ان تخطب له وتُعطيه ما طلب وتستريح من الحرب والقتال ولبس لنا بهذا السلطان قوّة فقال الجماعة مثل قوله فاجاب الى ما طلب منه وخطب لخوارزم شاه وضرب السكّة باسمه وارسل اليه رسولًا واعاد رسوله اليه ومضى الى الصيد، فارسل قتلغ تكين من غزنة الى خوارزم شاه يطلبه ليسلّم اليه غزنة فسار مجدًّا وسبق خبره فسلّم اليه قتلغ تكين غزنة وقلعتها فلمّا دخل اليها قتل مَن بها من عسكر الغوريّة لا سيّما الاتراك، فوصل الخبر الى الدز بذلك فقال ما فعل قتلغ تكين وكيف ملك القلعة مع وجوده فيها، فقيل هو الذى احضره وسُلّم اليه فمضى هاربًا هو ومَن معه الى لهاوور واقام خوارزم شاه بغزنة فلمّا تمكّن منها احضر قتلغ تكين فقال له كيف حالك مع الدز وكان عالمًا به وانّما اراد ان تكون له الحجّة عليه فقال كلانا مماليك شهاب الدين ولم يكن الدز يقيم بغزنة الّا اربعة اشهر الصيف وانا الحاكم فيها والمرجع الىّ في كلّ امور فقال له خوارزم شاه اذا كنت لا ترعى لرفيقك ومَن احسن اليك محبّته واحسانه فكيف يكون حالى انا معك وما الذى تصنع مع ولدى اذا تركتُه عندك فقبض عليه واخذ منه اموالًا جمّةً حملها ثلاثون دابّة من اصناف الاموال والامتعة واحضر اربع مائة مملوك فلمّا اخذ ما له قتله وترك ولده جلال الدين بغزنة مع

جماعة من عسكره وامرآئه ، وقيل انّ ملك خوارزم شاه غزنة كان سنة ثلاث عشرة وستمائة ☆

ذكر استيلآء الدز على لهاوور وقتله

لمّا هرب الدز من غزنة الى لهاوور لقيه صاحبها ناصر الدين قباجة[1] وهو من مماليك شهاب الدين الغورىّ ايضًا وله من البلاد لهاوور وملتان وأُوجَه ودَيْبُل[2] وغير ذلك الى ساحل البحر ومعه نحو خمسة عشر الف فارس وكان قد بقى مع الدز نحو الف وخمسمائة فارس فوقع بينهما مصافّ واقتتلوا فانهزمت ميمنة الدز وميسرته واخذت الفيلة التى معه ولم يبق له غير فيلين معه فى القلب فقال الفيّال اوذا اخاطر بسعادتك وامر احد الفيلين ان يحمل على العلم الذى لقباجة باخذه وامر الفيل الاخر الذى له ايضًا ان ياخذ الجتر الذى له فاخذه ايضًا والفيلة المعلّمة تفعل ما يقال لها هذا رايناه فحملت الفيلان وحمل معهما الدز فيمن بقى عنده من العسكر وكشف راسه وقال بالعجميّة ما معناه امّا مُلك وامّا هُلك فاختلط الناس بعضهم ببعض وفعل الفيلان ما امرهما الفيّال من اخذ العلَم والجتر فانهزم قباجة وعسكره وملك الدز مدينة لهاوور ثمّ سار الى بلاد الهند ليملك مدينة دهلة وغيرها ممّا بيد المسلمين وكان صاحب دهلة امير اسمه التزمش ولقبه شمس الدين وهو من مماليك قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ايضًا كان قد ملك الهند بعد سيّده فلمّا سمع به التزمش سار اليه فى عساكره كلّها فلقيه عند مدينة سماتا فاقتتلوا فانهزم الدز وعسكره وأُخِذ وقُتل ، وكان الدز محمود السيرة فى ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعيّة لا سيّما التجار والغربآء ومن محاسن اعماله انّه كان له اولاد ولهم معلّم يعلّمهم فضرب المعلّم احدهم فمات فاحضره الدز وقال له يا مسكين ما حملك على هذا فقال والله ما اردتُ الّا تاديبه فاتّفق ان مات فقال صدقتَ واعطاه نفقة وقال له تغيّب فانّ امّه لا تقدر على الصبر فربّما اهلكتك ولا اقدر امنع عنك فلمّا سمعت امّ الصبىّ بموته طلبت الاستاذ لتقتله فلم تجده فسلم وكان هذا من احسن ما يُحكى عن احد من الناس ☆

[1]) C. P. قراجة [2]) Ups.: ملتان واحه والديبل :.740 وملتا واجر والريسل

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة توفى الوجيه المبارك بن ابى الازهر سعيد بن الدّهان الواسطىّ النحوى الضرير كان نحويًّا فاضلًا قرأ على الكمال ابن الانبارىّ وعلى غيره وكان حنبليًّا فصار حنفيًّا ثمّ صار شافعيًّا فقال فيه ابو البركات بن زيد التكريتىّ

أَلَا مُبْلِغًا عنّى الوجيه رسالةً   وان كان لا تجدى لديه الرسايلُ
تمذهبتَ[1] للنعمان بعد حنبل[2]   وفارقتَه اذا[3] غوّرتْك المآكلُ
وما اخترتَ راى الشافعىّ تديّنًا   ولكنّما تهوى الذى هو حاصلُ
وعمّا قليل انتَ لا شكّ صايرٌ   الى مالك فافطن لما انا قايلُ ❁

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة ٭

سنة ٦١٣

ذكر وفاة الملك الظاهر

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالًا وكان شديد السيرة ضابطًا لاموره كلّها كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من اهل البيوتات من اطراف البلاد والشعراء واهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجرى عليهم الجارى الحسن ٭ ولمّا اشتدّت علّته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمّد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لانّ الصغير كانت امّه ابنة عمّه الملك العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليُبقى عمّه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ٭ ومن العجب ما يُحكى انّ الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولًا الى عمّه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله اىّ حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادى فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بُدّ من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش فى المرعى وخروف عند القصّاب وحلف فاتّفق فى تلك الايّام

1) تمذهب 2) ابن حنبل 3) اذ

توفى الملك الظاهر والرسول فى الطريق ولمّا عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل اتابكه ومربّيه خادمًا روميًّا اسمه [طغريل] ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولمّا توفى الظاهر احسن هذا شهاب الدين السيرة فى الناس وعدل فيهم وازال كثيرًا من السنن الجائرة واعاد املاكًا كانت قد أُخذت من اربابها وقام بتربية الطفل احسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الامور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذّر على الظاهر مُلكه فمن ذلك تلّ باشر كان الملك الظاهر لا يقدر يتعرّض اليه فلمّا توفى ملكها كيكاوس ملك الروم كما نذكره ان شاء الله تعالى انتقلت الى شهاب الدين وما اقبح بالملوك وابناء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعفّ عن اموال الرعيّة واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم فى وُلاة امور المسلمين احسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغنى عنه كلّ حسن وجميل ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم وقع بالبصرة بَرَدٌ كثير وهو مع كثرته عظيم القدر فقيل كان اصغره مثل النارنجة الكبيرة وقيل فى اكبره ما يستحى الانسان يذكره فكسر كثيرًا من رؤس النخيل ٭ وفى المحرّم ايضًا سيّر الخليفة الناصر لدين الله ولدَىْ ابنه المعظّم علىّ الى تُستر وهما المؤيّد والموفّق وسار معهما مؤيّد الدين النائب عن الوزارة وعزّ الدين الشرابى فاقاما بها يسيرًا ثمّ عاد الموفّق مع الوزير والشرابى الى بغداد اواخر ربيع الآخر ٭ وفيها فى صفر هبّت ببغداد ريح سوداء شديدة كثيرة الغبار والقتام والقت رملًا كثيرًا وقلعت كثيرًا من الشجر فخاف الناس وتضرّعوا ودامت من العشاء الآخرة الى ثلث الليل وانكشفت ٭ وفيها توفى التاج زيد بن الحسن بن زيد الكندىّ ابو اليُمن البغدادىّ المولد والمنشا انتقل بالشام فاقام بدمشق وكان امامًا فى النحو واللغة وله الاسناد العالى فى الحديث وكان ذا فنون كثيرة من انواع العلوم رحمه الله ✿

سنة ٦١٤

ثم دخلت سنة اربع عشرة وستمائة

ذكر ملك خوارزم شاه بلد الجبل

فى هذه السنة سار خوارزم شاه علاء الدين محمّد بن تكش الى بلاد الجبل فملكها وكان سبب حركته فى هذا الوقت اشياء احدها انّه كان قد استولى على ما وراء النهر وظفر بالخطا وعظم امره وعلا شانه واطاعه القريب والبعيد ومنها انّه كان يهوى ان يخطب له ببغداد ويلقب بالسلطان وكان الامر بالضدّ لانّه كان لا يجد من ديوان الخلافة قبولاً وكان سبيله اذا ورد الى بغداد تقدّم غيره عليه ولعلّ فى عسكره مائة مثل الذى يقدم سبيله عليه فكان اذا سمع ذلك يُغضبه ومنها انّ اغلمش لمّا ملك بلاد الجبل خطب له فيها جميعها كما ذكرناه فلمّا قتله الباطنيّة غضب له وخرج لئلّا تخرج البلاد عن طاعته فسار مجدًّا فى عساكر تطبّق الارض فوصل الى الرىّ فملكها وكان اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس لمّا بلغه مقتل اغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعًا فى تملّكها لخلوّها عن حامٍ وممانع فوصل الى اصفهان فاطاعه اهلها وسار منها يريد الرىّ ولم يعلم بقدوم خوارزم شاه فلقيه مقدّمة خوارزم شاه فظنّها عساكر تلك الديار قد اجتمعت لقتاله ومنعه عن البلاد فقاتلهم وجدّ فى محاربتهم حتّى كاد يهزمهم فبينما هو كذلك واذ هو قد ظهر له جتر خوارزم شاه فسأل عنه فاخبر به فاستسلم وانهزمت عساكره وأُخذ اسيرًا وحُمل الى بين يدى خوارزم شاه فاكرمه ووعده الاحسان والجميل وأمّنه على نفسه واستحلفه على طاعته واستقرّت القاعدة بينهما على ان يسلّم بعض البلاد اليه ويبقى بعضها واطلقه وسيّر معه جيشًا الى بلاد فارس ليسلّم اليهم ما استقرّت القاعدة عليه فلمّا قدم على ولده الاكبر رآه قد تغلّب على بلاد فارس فامتنع من التسليم الى ابيه ثمّ انّه ملك البلاد كما نذكره وخطب فيها لخوارزم شاه ،

وسار خوارزم شاه الى ساوة فملكها واقطعها لعماد الملك عارض جيشه وهو من اهلها ثمّ سار الى قزوين وزنجان وابهر فملكها كلّها بغير ممانع ولا مدافع ثمّ سار الى همذان فملكها واقطع البلاد لاصحابه وملك اصفهان وكذلك

قم وقاشان واستوعب ملك جميع البلاد واستقرّت القاعدة بينه وبين اوزبك
بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بان يخطب له اوزبك فى بلاده
ويدخل فى طاعته ۞ ثمّ انّه عزم على المسير الى بغداد فقدّم بين يديه
اميرًا كبيرًا فى خمسة عشر الف فارس واقطعه حُلوان فسار حتّى وصل
اليها ثمّ اتبعه بامير اخر فلمّا سار عن همذان يومَيْن او ثلاثة سقط عليهم
من الثلج ما لم يُسمع بمثله فهلكت دوابّهم ومات كثير منهم وطمع فيمن
بقى بنو ترجم الاتراك وبنو هكّار الاكراد فتخطّفوهم فلم يرجع منهم
الى خوارزم شاه الّا اليسير فتطيّر خوارزم شاه من ذلك الطريق وعزم
على العود الى خراسان خوفًا من التتر لانّه ظنّ انّه يقضى حاجته
ويفرغ من ارادته فى المدّة اليسيرة فخاب ظنّه وراى اليبكار بين يديه
طويلًا فعزم على العود فولّى همذان اميرًا من اقاربه من جهة والدته
يقال له طائيسى[1] وجعل فى البلاد جميعها ابنه ركن الدين وجعل معه
متولّيًا لامر دولته عماد المُلك الساوىّ وكان عظيم القدر عنده وكان
يحرض على قصد العراق وعاد خوارزم شاه الى خراسان فوصل الى مرو
فى المحرّم سنة خمس عشرة وستّمائة وسار من وجّهه الى ما وراء النهر
ولمّا قدم الى نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وامر الخطيب بترك
الخطبة للخليفة الناصر لدين الله وقال انّه قد مات وكان ذلك فى ذى
القعدة سنة اربع عشرة وستّمائة ولمّا قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك
ببلخ وبخارى وسرخس وبقى خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة فيها
الّا عن قصد لتركها لانّ البلاد كانت لا تعارض من اشباه هذا ان
احبّوا خطبوا وان ارادوا قطعوا فبقيت كذلك الى ان كان منه ما
كان وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العبّاسىّ لم يقصده
احدٌ بأذى الّا لقيه فعله وخبث نيّته لا جرم لم يمهل هذا خوارزم شاه
حتّى جرى له ما نذكره ممّا لم يسمع بمثله فى الدنيا قديمًا ولا حديثًا ۞

ذكر ما جرى لاتابك سعد مع اولاده

لمّا قُتل اغلمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان وما بينهما من

[1]) 740: طايسى Ups.: طالشين

البلاد جمع اتابك سعد بن دكلا صاحب فارس عساكره وسار عن
بلاده الى اصفهان فملكها واطاعه اهلها فطمع فى تلك البلاد جميعها فسار
من اصفهان الى الريّ فلمّا وصل اليها لقى عساكر خوارزم شاه قد
وصلت كما ذكرناه فعزم على محاربة مقدّمة العسكر فقاتلها حتّى كاد
يهزمها فظهرت عساكر خوارزم شاه ورأى الجتر فسقط فى يديه والقى
نفسه وضعفت قوّته وقوّة عسكره فولّوا الادبار وأُخذ اتابك سعد اسيرًا
واحضر بين يدى خوارزم شاه فاكرمه وطيّب نفسه ووعده الاحسان
واستصحب معه الى ان وصل الى اصفهان فسيّره منها الى بلاده وهى تجاورها
وسيّر معه عسكرًا مع امير كبير ليتسلّم منه ما كان استقرّ بينهما فانّهما
اتّفقا على ان يكون لخوارزم شاه بعض البلاد ولاتابك سعد بعضها وتكون
الخطبة لخوارزم شاه فى البلاد جميعها وكان اتابك سعد قد استخلف
ابنًا له على البلاد فلمّا سمع الابن باسر ابيه خطب لنفسه بالمملكة وقطع
خطبة ابيه فلمّا وصل ابوه ومعه عسكر خوارزم شاه امتنع الابن من تسليم
البلاد الى ابيه وجمع العساكر وخرج بقاتله فلمّا تراى الجمعان انحازت
عساكر فارس الى صاحبهم اتابك سعد وتركوا ابنه فى خاصّته فحمل
على ابيه فلمّا راه ابوه ظنّ انّه لم يعرفه فقال له انا فلان فقال اياك
اردتُ فحينئذ امتنع منه وولّى الابن منهزمًا ووصل اتابك سعد الى البلاد
فدخلها مالكًا لها وأُخذ ابنه اسيرًا فسجنه الى الآن الّا انّى سمعتُ
الآن وهو سنة عشرين وستّمائة انّه قد خفّف حبسه ووسّع عليه ۶ ولمّا
عاد خوارزم شاه الى خراسان غدر سعد بالامير الذى عنده فقتله ورفع
عن طاعة خوارزم شاه واشتغل خوارزم شاه بالحادثة العظمى التى شغلته
عن هذا وغيره لكنّ الله انتقم له بابنه غياث الدين كما ذكرناه سنة عشرين
وستّمائة لأنّ سعدًا كفر احسان خوارزم شاه وكُفْر الاحسن عظيم العقوبة ۞

ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى ديار مصر وملكهم مدينة دمياط وعودها الى المسلمين

كان من اوّل هذه الحادثة الى اخرها اربع سنين غير شهر وانّما
ذكرناها هاهنا لانّ ظهورهم كان فيها وسُقناها سياقة متتابعة ليتلو بعضها
بعضًا فنقول فى هذه السنة وصلت امداد الفرنج فى البحر من رومية

الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج في الغرب والشمال الّا ان المتوفّى لها كان صاحب رومية لانّه بتنزّل عند الفرنج بمنزلة عظيمة لا يرون مخالفة امره ولا العدول عن حكمه فيما سرّهم وساءهم فجهّز العساكر من عنده مع جماعة من مقدّمي الفرنج وامر غيره من ملوك الفرنج ان يسير بنفسه او يرسل جيشًا ففعلوا ما امرهم فاجتمعوا بعكّا من ساحل الشام ، وكان الملك العادل ابو بكر بن ايّوب بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لُدّ وبرز الفرنج من عكّا ليقصدوه فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازمًا على ان يسبقهم الى اطراف البلاد ممّا يلي عكّا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردنّ فتقدّم الفرنج اليه في شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انّه في قلّة من العسكر لانّ العساكر كانت متفرّقة في البلاد فلمّا راى العادل قربهم منه لم ير ان يلقاهم في الطايفة التي معه خوفًا من هزيمة تكون عليه وكان حازمًا كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر فوصل الى مرج الصُّفّر فنزل فيه وكان اهل بيسان وتلك الاعمال لمّا راوا الملك العادل عندهم اطمانّوا فلم يفارقوا بلادهم ظنًّا منهم انّ الفرنج لا يقدمون عليه فلمّا اقدموا سار على غفلة من الناس فلم يقدر على النجاة الّا القليل فاخذ الفرنج كلّ ما في بيسان من ذخاير قد جُمعت وكانت كثيرة وغنموا شيًا كثيرًا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثّوا السرايا في القرى فوصلت الى خسفين ونوى واطراف السواد ونازلوا بانياس واقاموا عليها ثلاثة ايّام ثمّ عادوا عنها الى مرج عكّا ومعهم من الغنايم والسبي والاسرى ما لا يحصى كثرةً سوى ما قتلوا واحرقوا واهلكوا فاقاموا ايّامًا استراحوا ثمّ جآوا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكّا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذي سلم من تلك البلاد كان مخفًّا حتّى قدر على النجاة ، ولقد بلغني انّ العادل لمّا سار الى مرج الصُّفّر راى في طريقه رجلًا يحمل شيًا وهو يمشي تارة وتارة يقعد ليستريح فعدل العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك

فعرفه الرجل فقال يا سلطان المسلمين انت لا تعجل فانا اذا رايناك قد سرت الى بلادك وتركتنا مع الاعدآء كيف لا نعجل وبالجملة الذى فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلّا يخاطر باللقآء على حال تفرّق من العساكر ولمّا نزل العادل على مرج الصفر سيّر ولده الملك المعظّم عيسى وهو صاحب دمشق فى قطعة صالحة من الجيش الى نابلس ليمنع الفرنج عن البيت المقدّس ۞

ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها

لمّا نزل الفرنج بمرج عكّا تجهّزوا واخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهى قلعة منيعة على راس جبل بالقرب من عكّا كان العادل قد بناها عن قريب فتقدّموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا فى جبلها حتّى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتّفق انّ بعض المسلمين ممّن فيها قتل بعض ملوكهم فعادوا عن القلعة فتركوها وقصدوا عكّا وكان مدّة مقامهم على الطور سبعة عشر يومًا ولمّا فارقوا الطور اقاموا قريبًا ثمّ ساروا فى البحر الى ديار مصر على ما نذكره ان شآء الله تعالى فتوجّه الملك المعظّم الى قلعة الطور فخرّبها الى ان الحقها بالارض لانّها بالقرب من عكّا ويتعذّر حفظها ۞

ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها

لمّا عاد الفرنج من حصار الطور اقاموا بعكّا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستّمائة فساروا فى البحر الى دمياط فوصلوا فى صفر فارسوا على برّ الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فانّ بعض[1] النيل يصبّ فى البحر المالح عند دمياط [وقد بنى فى النيل برج كبير منيع وجعلوا فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدّوها فى النيل الى سور دمياط][2] لتمنع[3] المراكب الواصلة فى البحر المالح ان تصعد فى النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدوّ لا يقدر احدٌ على منعها عن اقاصى ديار مصر وادانيها ، فلمّا نزل الفرنج على برّ الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورًا وجعلوا خندقًا يمنعهم ممّن

[3]) C. P.: ليمنع [2]) C. P. [1]) C. P. et 740. Ups.: بحر

بريدهم وشرعوا فى قتال من بدمياط وعملوا الات ومرمّات وابراجًا يزحفون بها فى المراكب الى هذا البرج ليقاتلوه ويأخذوه وكان البرج مشحونًا بالرجال وقد نزل الملك الكامل بن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من دمياط والعساكر متّصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدوّ من العبور الى ارضها وادام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشئ وكسّرت مرمّاتهم والاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك اربعة اشهر ولم يقدروا على اخذه ثمّ بعد ذلك ملكوا البرج فلمّا ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح فى النيل ويتحكّموا فى البرّ فنصب الملك الكامل عوض السلاسل جسرًا عظيمًا امتنعوا به من سلوك النيل ثمّ انّهم قاتلوا عليه ايضًا قتالًا شديدًا كثيرًا متتابعًا حتّى قطعوه فلمّا قُطع اخذ الملك الكامل عدّة مراكب كبار وملاها وخرقها وغرّقها فى النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلمّا راى الفرنج ذلك قصدوا خليجًا هناك يعرف بالازرق كان النيل يجرى عليه قديمًا فحفروا ذلك الخليج وعمّقوه فوق المراكب التى جعلت فى النيل واجروا الماء فيه الى البحر المالح واصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بوره على ارض الجيزة ايضًا مقابل المنزلة التى فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هناك فانّهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها كانت دمياط تحجز بينهم وبينه فلمّا صاروا فى بوره حاذوه فقاتلوه فى الماء وزحفوا اليه غير مرّة فلم يظفروا بطائل ولم يتغيّر على اهل دمياط شئ لانّ الميرة والامداد متّصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممتنعون لا يصل اليهم اذًى وابوابها مفتّحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر، فاتّفق كما يريد الله عزّ وجلّ انّ الملك العادل توفّى فى جمادى الاخرة من سنة خمس عشرة وستّمائة على ما نذكره ان شآء الله فضعفت نفوس الناس لانّه السلطان حقيقة واولاده وان كانوا ملوكًا الّا انّهم بحكمه والامر اليه وهو ملّكهم البلاد فاتّفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدوّ، وكان من جملة الامرآء بمصر امير يقال له عماد الدين احمد بن علىّ ويُعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكّارية وهو اكبر امير بمصر وله لفيف كثير وجميع الامرآء ينقادون اليه ويطيعونه

لا سيّما الاكراد فاتّفق هذا الامير مع غيره من الامرآء وارادوا ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملّكوا اخاه الملك الفايز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد ‹ فبلغ الخبر الى الكامل ففارق المنزلة ليلًا جريدة وسار الى قرية يقال لها اشمون طناح فنزل عندها واصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كلّ انسان منهم هواه ولم يعف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ شئ من خيامهم وذخايرهم واموالهم واسلحتهم الّا اليسير الذى يخفّ حمله وتركوا الباقى بحاله من ميرة وسلاح ودوابّ وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل ‹ واما الفرنج فانّهم اصبحوا من الغد فلم يروا من المسلمين احدًا على شاطئ النيل كجارى عادتهم فبقوا لا يدرون ما الخبر واذا قد اتاهم من اخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى برّ دمياط امنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم فى العشرين من ذى القعدة سنة خمس عشرة وستّماية فغنموا ما فى معسكر المسلمين فكان عظيمًا يُعجز العادّين ‹ وكان الملك الكامل يفارق الديار المصريّة لانّه لم يثق باحد من عسكره وكانوا الفرنج ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقّة فاتّفق من لطف الله تعالى بالمسلمين انّ الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل وصل الى اخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومين والناس فى امر مريج فقوى به قلبه واشتدّ ظهره وثبت جنانه واقام بمنزلته واخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتّصل بالملك الاشرف وصار من جُنده ‹ فلمّا عبر الفرنج الى ارض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبايلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وافسدوا وبالغوا فى الافساد فكانوا اشدّ على المسلمين من الفرنج وكان اضرّ شئ على اهل دمياط انّها لم يكن بها من العسكر احدٌ لانّ السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدوّ عنها فاتتهم هذه الحركة بغتةً فلم يدخلها احدٌ من العسكر وكان ذلك من فعل ابن المشطوب لا جرم لم يمهله الله واخذه اخذة رابية على ما نذكره ان شآء الله ‹ واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برًّا وبحرًا وعملوا عليهم خندقًا يمنعهم ممّن يريدهم من المسلمين وهذه كانت عادتهم واداموا القتال واشتدّ الامر على اهلها وتعذّرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لانّ الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم

لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة
هذا فصبروا صبرًا لم يُسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والأمراض
ودام الحصار عليهم الى السابع والعشرين من شعبان سنة ست
وستمائة فعجز من بقى من اهلها عن الحفظ لقلّتهم وتعذّر
عندهم فسلّموا البلد الى الفرنج فى هذا التاريخ بالامان فخرج منهم
واقام اخرون لعجزهم عن الحركة فتفرّقوا ايدى سبا ۞

ذكر مُلك المسلمين دمياط من الفرنج

لمّا ملك الفرنج دمياط اقاموا بها وبثّوا سراياهم فى كلّ ما جاورهم من
البلاد ينهبون ويقتلون فجلا اهلها عنها وشرعوا فى عمارتها وتحصينها
وبالغوا فى ذلك حتّى انّها بقيت لا ترام ، وامّا الملك الكامل فانّه اقام
بالقرب منهم فى اطراف بلاده يحميها ولمّا سمع الفرنج فى بلادهم بفتح دمياط
على اصحابهم اقبلوا يهرعون من كلّ فجّ عميق واصبحت دار هجرتهم وعاد
الملك المعظّم صاحب دمشق الى الشام فخرّب البيت المقدّس فى ذى
القعدة من السنة وانّما فعل ذلك لانّ الناس كافّة خافوا الفرنج واشرف
الاسلام وكافّة اهله وبلاده على خطّة خسف فى شرق الارض وغربها اقبل
التتر من المشرق حتّى وصلوا الى نواحى العراق واذربيجان واران وغيرها
على ما نذكره ان شآء الله تعالى واقبل الفرنج من المغرب فملكوا مثل
دمياط فى الديار المصريّة مع عدم الحصون المانعة بها من الاعدآء واشرف
ساير البلاد بمصر والشام على ان تُملك وخافهم الناس كافّةً وصاروا يتوقّعون
البلآء صباحًا ومسآءً واراد اهل مصر الجلآء عن بلادهم خوفًا من العدوّ
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ[1] والعدوّ قد احاط بهم من كلّ جانب ولو مكّنهم
الكامل من ذلك لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانّما مُنعوا منه فثبتوا ،
وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه المعظّم صاحب دمشق والملك الاشرف
موسى ابن العادل صاحب ديار الجزيرة وارمينيّة وغيرهما يستنجدهما ويحثّهما
على الحضور بانفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار صاحب
دمشق الى الاشرف بنفسه فرءاه مشغولاً عن انجاده بما دهمه من اختلاف

---

[1]) Cor. 38, 2.

الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممّن كان يطيعه ونحن نذكر ذلك سنة خمس عشرة وستّمائة ان شآء الله عند وفاة الملك القاهر صاحب الموصل فليطلب من هناك معذره وعاد عنه وبقى الامر كذلك مع الفرنج ء فامّا الملك الاشرف فزال الخلف من بلاده ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه واستقامت له الامور الى سنة ثمان عشرة وستّمائة والملك الكامل مقابل الفرنج ء فلمّا دخلت سنة ثمان عشرة وستّمائة علم بزوال المانع للاشرف عن انجاده فارسل يستنجده واخاه صاحب دمشق فسار صاحب دمشق حتّه على المسير ففعل وسار الى دمشق فيمن معه من العساكر وامر الباقين باللحاق به الى دمشق واقام بها ينتظرهم فاشار عليه بعض امرائه وخواصّه بانفاذ العساكر والعود الى بلاده خوفًا من اختلاف يحدث فلم يقبل قولهم وقال قد خرجتُ للجهاد ولا بدّ من اتمام ذلك العزم فسار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمّى بحر اشموم وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقّنوا هم وكلّ الناس انّهم يملكون الديار المصريّة ء وامّا الاشرف فانّه سار حتّى وصل مصر فلمّا سمع اخوه الكامل بقربه منهم توجّه اليه فلقيه واستبشر هو وكافّة المسلمين باجتماعهما لعلّ الله يحدث بذلك نصرًا وظفرًا ء وامّا الملك المعظّم صاحب دمشق فانّه سار ايضًا الى ديار مصر وقصد دمياط ظنًّا منه انّ اخوَيْه وعسكرَيْهما قد نازلوها وقيل بل أُخبر فى الطريق انّ الفرنج قد توجّهوا الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين ايديهم واخواه من خلفهم والله اعلم ولمّا اجتمع الاشرف بالكامل استقرّ الامر بينهما على التقدّم الى خليج من النيل يعرف ببحر المحلّة فتقدّموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا قربًا وتقدّمت شوانى المسلمين من النيل وقاتلوا شوانى الفرنج فاخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوّهم هذا يجرى والرسل مترددة بينهم فى تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم البيت المقدس وعسقلان وطبريّة وصيدا وجبلة واللاذقيّة وجميع ما فتحه صلاح الدين ما عدا الكرك ليُسلّموا دمياط فلم يرضوا

وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضًا عن تخريب القدس ليعمروه بها فلم يتمّ بينهم امر وقالوا لا بدّ من الكرك فبينما الامر فى هذا وهم يمتنعون فاضطرّ المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم فى نفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يقوتهم عدّة ايام ظنًّا منهم انّ العساكر الاسلاميّة لا تقوم لهم وانّ القرى والسواد جميعه يبقى بايديهم ياخذون منه ما ارادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طائفة من المسلمين الى الارض التى عليها الفرنج ففجّروا النيل فركب المآء اكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكوا منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الكامل حينئذٍ الجسور على النيل عند اشموم وعبرت العساكر عليها فملك الطريق الذى يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتّفق فى تلك الحال انّه وصل اليهم مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب يسمى مرمّة وحوله عدّة حرّاقات تحميه والجميع مملوّ من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شوانى المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمرمّة وبما معها من الحرّاقات واخذوها فلمّا راى الفرنج ذلك سقط فى ايديهم وراوا انّهم قد ضلّوا الصواب بمفارقة دمياط فى ارض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فلمّا اشتدّ الامر على الفرنج احرقوا خيامهم ومجانيقهم واثقالهم وارادوا الزحف الى المسلمين ومقاتلتهم لعلّهم يقدرون على العود الى دمياط فراوا ما امّلوه بعيدًا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحل والمياه حولهم والوجه الذى يقدرون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلمّا تيقّنوا انّهم قد احيط بهم من سائر جهاتهم وانّ ميرتهم قد تعذّر عليهم وصولها وانّ المنايا قد كشرت لهم عن انيابها قلّت نفوسهم وتنكّسرت صلبانهم وضلّ عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل والاشرف يطلبون الامان ليسلّموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات متردّدة اذ اقبل كبير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنّه المسلمون نجدة اتت للفرنج فاستشعروا واذ هو الملك المعظّم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط لما ذكرناه فاشتدّت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانًا ووهنًا .وتمّوا الصلح على تسليم دمياط واستقرّت

القاعدة والايمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم ومقامصتهم الى الملك الكامل والاشرف رهاين على تسليم دمياط ملك عكّا ونايب بابا صاحب رومية وكند ريش وغيرهم وعدّتهم عشرون ملكًا وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط فى تسليمها فلم يمتنع مَن بها وسلّموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يومًا مشهودًا ، ومن العجب انّ المسلمين لمّا تسلّموها وصلت للفرنج نجدة فى البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضى الله امرًا كان مفعولاً ولم يبق بها من اهلها الّا احادٌ وتفرّقوا ايدى سبا بعضهم سار عنها باختياره وبعضهم مات وبعضهم اخذه الفرنج ، ولمّا دخلها المسلمون راوها حصينة قد حصّنها الفرنج تحصينًا عظيمًا بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل اليها واعاد الله سبحانه وتعالى الحقّ الى نصابه وردّه الى اربابه واعطى المسلمين ظفرًا لم يكن فى حسابهم فانّهم كانت غاية امانيهم ان يسلّموا البلاد التى اخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد بايديهم على حالها فالله المحمود المشكور على ما انعم به على الاسلام والمسلمين من كفّ عادية هذا العدوّ وكفاهم شرّ التتر على ما نذكره ان شآء الله تعالى ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم كانت ببغداد فتنة بين اهل المامونيّة وبين اهل باب الازج بسبب قتل سبُع وزاد الشرّ بينهم واقتتلوا فجُرح بينهم كثير فحضر نايب الباب وكفّهم عن ذلك فلم يقبلوا ذلك واسمعوه ما يكره فأُرسل من الديوان اميرٌ من مماليك الخليفة فردّ اهل كلّ محلّة الى محلّتهم وسكنت الفتنة ، وفيها كثر الفار ببلدة دُجيل من اعمال بغداد فكان الانسان لا يقدر يجلس الّا ومعه عصًا يردّ الفار عنه وكان يرى الكثير منه ظاهرًا يتبع بعضه بعضًا ، وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد فى قديم الزمان مثلها واشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافّة الامرآء والاعيان وجمعوا الخلق العظيم من العامّة وغيرهم لعمل القورج[1]

[1] العورج

حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك واعدّوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة للناس وحثّهم على العمل وكان ممّا قال لهم لو كان نُعدى ما ارى بمال او غيره لفعلتُ ولو دُفع بحرب لفعلتُ ولكنّ امر الله لا يُردّ ونبع الماء من البلاليع والابار من الجانب الشرقىّ وغرق كثير منه وغرق مشهد ابى حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدى وقرية الملكيّة والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان وامّا جانب الغربىّ فتهدّم اكثر القريّة ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهرىّ وبعض باب البصرة والدور التى على نهر عيسى واكثر محلّة قطفتا ، وفيها توفّى احمد بن ابى العصايل عبد المنعم بن ابى البركات محمّد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن سعيد بن ابى الخير[1] المبهىّ[2] الصوفىّ ابو الفضل شيخ رباط الخليفة ببغداد وكان صالحًا من بيت التصوّف والصلاح ٭

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستّماية ٬ سنة ٦١٥

ذكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته الى ان استقرّت الامور

، فى هذه السنة توفّى الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل لليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الاوّل وكانت ولايته سبع سنين وتسعة اشهر وكان موته انّه اخذته حمّى ثمّ فارقته الغد وبقى يومين موعوكًا ثمّ عاودته الحمّى مع قىء كثير وكرب شديد وقلق متتابع ثمّ برد بدنه وعرق وبقى كذلك الى وسط الليل ثمّ توفّى وكان كريمًا حليمًا قليل الطمع فى اموال الرعيّة كافًّا عن اذى يوصله اليهم مقبلًا على لذّاته كانّما ينهبها ويبادر بها الموت وكان عنده رقّة شديدة ويكثر ذكر الموت حكى لى بعض مَن كان يلازمه قال كنّا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لى قد وجدتُ ضجرًا من القعود فقم بنا نتمشّى الى

[1] 740 Ups.: الخير [2] 740: المبهى Ups.: المهى

الباب العمادىّ قال فعمنا فخرج من داره نحو الباب العمادىّ فوصل التربة التى عملها لنفسه عند داره فوقف عندها مفكّرًا لا يتكلّم ثمّ قال لى والله ما نحن فى شئ اليس مصيرنا الى هاهنا وندفن تحت الارض واطال الحديث فى هذا ونحوه ثمّ عاد الى الدار فقلتُ له الّا نمشى الى الباب العمادىّ فقال ما بقى عندى نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفّى بعد ايّام واصيب اهل بلاده بموته وعظم عليهم فقده وكان محبوبًا اليهم قريبًا من قلوبهم ففى كلّ دار لاجله رنّة وعويل ٭ ولمّا حضرتْه الوفاة اوصى بالمُلك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين وجعل الوصىّ عليه والمدبّر لدولته بدر الدين لؤلؤ وهو الذى كان يتولّى دولة القاهر ودولة ابيه نور الدين قبله وقد تقدّم من اخباره ما يُعرف به محلّه وسيرد منها ايضًا ما يزيد الناظر بصيرة فيه فلمّا قضى نحبه قام بدر الدين بامر نور الدين واجلسه فى مملكة ابيه وارسل الى الخليفة يطلب له التقليد والتشريف وارسل الى الملوك واصحاب الاطراف المجاورين لهم يطلب تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التى كانت بينهم وبين ابيه فلم يُصْبِح الّا وقد فرغ من كلّ ما يحتاج اليه وجلس للعزآء وحلّف الجند والرعايا وضبط المملكة من التزلزل والتغيّر مع صغر السلطان وكثرة الطامعين فى المُلك فانّه كان معه فى البلد اعمام ابيه وكان عمّه عماد الدين زنكى بن ارسلان شاه بولايته وهى قلعة عقر الحميديّة يحدّث نفسه بالمُلك لا يشكّ فى انّ الملك يصير اليه بعد اخيه فرفع بدر الدين ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وتابع الاحسان والخلع على كافّة الناس وغيّر ثياب الحداد عنهم فلم يخصّ بذلك شريفًا دون مشروف ولا كبيرًا دون صغير واحسن السيرة وجلس لكشف ظلامات الناس وانصاف بعضهم من بعض وبعد ايّام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر فى امر دولته والتشريفات لهما ايضًا واتتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طُلب منهم من العهود واستقرّت القواعد لهما ٭

ذكر ملك عماد الدين زنكى قلاع الهكّاريّة والزوزان

قد ذكرنا عند وفاة نور الدين سنة سبع وستّمائة انّه اعطى

ولده الاصغر زنكى قلعتَى العقر وشوش[1] وهما بالقرب من الموصل فكان تارة يكون بالموصل وتارة بولايته مستجنًّا لكثرة تلوّنه وكان بقلعة العمادية مستحفظ من مماليك جدّه عزّ الدين مسعود بن مودود فقيل انّه جرى له مع زنكى مراسلات فى معنى تسليم العمادية اليه فنمى الخبر بذلك الى بدر الدين فبادره بالعزل مع امير كبير وجماعة من الجند لم يمكنه الامتناع وسلّم القلعة الى نايب بدر الدين كذلك وجعل بدر الدين فى غير العمادية من القلاع نوّاباً له وكان نور الدين بن القاهر لا يزال مريضًا من خروج كانت به وغيرها من الامراض وكان يبقى المدّة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس فارسل زنكى الى من بالعمادية من الجند يقول انّ ابن اخى توفّى ويريد بدر الدين يملك البلاد وانا احقّ بملك آبآى واجدادى فلم يزل حتّى يستدعاه الجند منها وسلّموا اليه تاسع عشر رمضان سنة خمس عشرة وستّمايةٍ وقبضوا على النايب البدرىّ وعلى مَن معه • فوصل الخبر الى بدر الدين ليلًا فجدّوا فى الامر ونادى فى العسكر لوقته بالرحيل فساروا مجدّين الى العمادية وبها زنكى ليحصروه فيها فلم يطلع الصبح الّا وقد فرغ من تسيير العساكر فساروا الى العمادية وحصروها وكان الزمان شتآء والبرد شديدٌ والثلج هناك كثير فلم يتمكّنوا من قتال من بها لكنّهم اقاموا يحصرونها وقام مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين صاحب اربل فى نصر عماد الدين وتجرّد لمساعدته فراسله بدر الدين يذكّره الايمان والعهود التى من جملتها انّه لا يتعرّض الى شىءٍ من اعمال الموصل ومنها قلاع الهكّارية والزوزان باسمآيها ومتى تعرّض اليها احد من الناس مَن كان منعه بنفسه وعساكره واعان نور الدين وبدر الدين على منعه ويطالبه بالوفآء بها ثمّ نزل عن هذا ورضى منه بالسكوت لا لهم ولا عليهم فلم يفعل واظهر معاضدة عماد الدين زنكى فحينئذٍ لم نكن مكاثرة زنكى بالرجال والعساكر لقرب هذا الخصم من الموصل واعمالها الّا انّ العسكر البدرىّ محاصرٌ للعمادية وبها زنكى • ثمّ انّ بعض الامرآء من عسكر الموصل ممّن لا علم له بالحرب وكان شجاعًا وهو جديد الامارة

[1])

اراد ان يُظهر شجاعته ليزداد بها تقدّمًا اشار على مَن هناك من العسكر بالتقدّم الى العمادية ومباشرتها بالقتال وكانوا قد تأخروا عنها شيأً يسيرًا لشدة البرد والثلج فلم يوافقوه وهجوا رايه فتركهم ورحل متقدّمًا اليهم ليلاً فاضطرّوا الى اتباعه خوفًا عليه من اذى يصيبه ومَن معه فساروا اليه على غير تعبية لضيق المسلك ولانه اعجلهم عن ذلك وحكم الثلج عليهم ايضًا فسمع زنكى ومن معه فنزلوا ولقوا اوايل الناس واهل مكنة اخبر بشعابها فلم يثبتوا لهم وانهزموا وعادوا الى منزلتهم ولم يقف العسكر عليهم فاضطرّوا الى العود فلمّا عادوا راسل زنكى باقى قلاع الهكّاريّة والزوزان واستدعاهم الى طاعته فاجابوه وسلّموا اليه فجعل الولاة وتسلّمها وحكم فيها ✿

ذكر اتفاق بدر الدين مع الملك الاشرف

لمّا راى بدر الدين خروج القلاع عن يده واتّفاق مظفّر الدين وعماد الدين عليه ولم ينفع معهم اللين ولا الشدّة وانّهما لا يزالان يسعيان فى اخذ بلاده ويتعرّضان الى اطرافها بالنهب والاذى ارسل الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة كلّها الّا القليل وصاحب خلاط وبلادها يطلب منه الموافقة والمعاضدة وانتمى اليه وصار فى طاعته منخرطًا فى سلك موافقته فاجابه الاشرف بالقبول والفرح به والاستبشار وبذل له المساعدة والمعاضدة والمحاربة دونه واستعادة ما اخذ من القلاع التى كانت له وكان الملك الاشرف حينيذ بحلب نازلاً بظاهرها لما ذكرناه من تعرّض كيكاوس ملك بلاد الروم الى بيد المسلمين قونية وغيرها الى اعمالها وملكوا بعض قلاعها فارسل الى مظفّر الدين يقبّح هذه الحالة ويقول له انّ هذه القاعدة تقرّرت بين جميعنا بحضور رسلك واننا نكون على الناكث الى ان يرجع الحق ولا بدّ من اعادة ما اخذ من بلد الموصل لندوم على اليمين التى استقرّت بيننا فان امتنعت واصررت على معاضدة زنكى ونصرته فانا اجئ بنفسى وعساكرى واقصد بلادك وغيرها واستردّ ما اخذتموه واعيده الى اصحابه والمصلحة انّك توافق وتعود الى الحق لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصريّة واجلآء الفرنج عنها قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرّهم ، فلم تحصل الاجابة منه الى شئ من ذلك وكان ناصر الدين محمود صاحب الحصن وآمد قد

امتنع عن موافقة الاشرف وقصد بعض بلاده ونهبها وكذلك صاحب ماردين واتّفقا مع مظفّر الدين فلمّا راى الاشرف ذلك جهّز عسكرًا وسيّره الى نصيبين نجدة لبدر الدين ان احتاج اليهم ❁

ذكر انهزام عماد الدين زنكى من العسكر البدرىّ

لمّا عاد العسكر البدرىّ من حصار العمادية وبها زنكى كما ذكرناه قويت نفسه وفارقها وعاد الى قلعة العقر التى له لينسلّط على اعمال الموصل بالصحراء فانّ بلد الجبل كان قد فرغ منه وامدّه مظفّر الدين بطايفة كثيرة من العسكر فلمّا اتّصل الخبر ببدر الدين سيّر طايفة من عسكره الى اطراف بلد الموصل يحمونها فاقاموا على اربعة فراسخ من الموصل ثمّ انّهم اتّفقوا بينهم على المسير الى زنكى وهو عند العقر فى عسكره ومحاربته ففعلوا ذلك ولم ياخذوا امر بدر الدين بل اعلموه بمسيرهم جريدة ليس معهم الّا سلاحهم ودوابّ يقاتلون عليها فساروا ليلهم وصبّحوا زنكى بكرة الاحد لاربع بقين من المحرّم من سنة ستّ عشرة وستّمائة فالتقوا واقتتلوا تحت العقر وعظم الخطب فانزل الله نصره على العسكر البدرىّ فانهزم عماد الدين وعسكره وسار الى اربل منهزمًا وعاد العسكر البدرىّ الى منزلته التى كان بها وحضرت الرسل من الخليفة الناصر لدين الله ومن الملك الاشرف فى تجديد الصلح فاصطلحوا وتحالفوا بحضرة الرسل ❁

ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل ومُلك اخيه

ولمّا تقرّر الصلح توفّى نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لا يزال مريضًا بعدّة امراض فرتّب بدر الدين فى الملك بعده اخاه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاث سنين ولم يكن للقاهر ولدٌ غيره وحلف له الجند وركّبه فطابت نفوس الناس لانّ نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلمّا ركّبوا هذا علموا انّ لهم سلطانًا من البيت الاتابكىّ فاستقرّوا واطمأنّوا وسكن كثير من الشغب بسببه ❁

ذكر انهزام بدر الدين من مظفّر الدين

لمّا توفّى نور الدين وملك اخوه ناصر الدين تجدّد لمظفّر الدين ولعماد الدين طمع لصغر سنّ ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهّزا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض اصحابهم طرف ولاية الموصل بالنهب والفساد وكان

بدر الدين قد سيّر ولده الاكبر في جمع صالح من العسكر الى الملك الاشرف بحلب نجدةً له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد ان يدخل بلاد الفرنج التى بساحل الشام ينهبها ويخربها ليعود بعض من بدمياط الى بلادهم فيخفّ الامر على الملك الكامل صاحب مصر، فلمّا راى بدر الدين تحرّك مظفّر الدين وعماد الدين وانّ بعض عسكره بالشام ارسل الى عسكر الملك الاشرف الذى بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم وكان المقدّم عليهم مملوك الاشرف اسمه ايبك فسار الى الموصل رابع رجب سنة ستّ عشره فلمّا رءاهم بدر الدين استقلّهم لانّهم كانوا اقلّ من العسكر الذى له بالشام او مثلهم فالحّ ايبك على عبور دجلة وقصد بلاد اربل فمنعه بدر الدين من ذلك وامره بالاستراحة فنزل بظاهر الموصل ايّامًا واصرّ على عبور دجلة فعبرها بدر الدين موافقة له ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقيّ دجلة فلمّا سمع مظفّر الدين ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه زنكى فعبر الزاب وسبق خبره فسمع به بدر الدين فعبّى اصحابه وجعل ايبك فى الجالشية ومعه شجعان اصحابه واكثر معه منهم بحيث انّه لم يبق معه الّا اليسير وجعل فى ميسرته اميرًا كبيرًا وطلب الانتقال عنها الى الميمنة ففعله فلمّا كان وقت العشآء الاخرة اعاد ذلك الامير الطلب بالانتقال من الميمنة الى الميسرة والخصم بالقرب منهم فمنعه بدر الدين وقال متى انتقلتَ انت ومَن معك فى هذا الليل ربّما ظنّه الناس هزيمة فلا يقف احد فاقام بمكانه وهو فى جمع كبير من العسكر فلمّا انتصف الليل سار ايبك فامره بدر الدين بالمقام الى الصبح لقرب العدوّ منهم فلم يقبل لجهله بالحرب فاضطرّ الناس لاتباعه فتقطّعوا فى الليل والظلمة والتقوا هم والخصم فى العشرين من رجب على ثلاثة فراسخ من الموصل فامّا عزّ الدين فانّه تياسر والتحق بالميمنة وحمل فى اطلابه هو والميمنة على ميسرة مظفّر الدين فهزمها وبها زنكى وكان الامير الذى انتقل الى الميمنة قد ابعد عنها فلم يقاتل فلمّا راى ايبك قد هزم الميسرة تبعه وتقدّم اليه مظفّر الدين فيمن معه فى القلب لم يتفرّقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل وعبر دجلة الى القلعة ونزل منها الى البلد فلمّا رءاه الناس فرحوا به وساروا معه وقصد باب الجسر والعدوّ بازآئه بينهما

دجلة فنزل مظفّر الدين فيمن سلم معه من عسكره بزاب[1] حصن نبسوى فاقام ثلاثة ايّام فلمّا راى اجتماع العسكر البدرىّ بالموصل وانّهم لم يُفقد منهم الّا اليسير وبلغه الخبر انّ بدر الدين يريد العبور اليه ليلًا بالفارس والراجل على الجسور وفى السفن ويكبسه فرحل ليلًا من غير ان يضرب كوسًا او بوقًا وعادوا نحو اربل فلمّا عبروا الزاب نزلوا ثمّ جاءت الرسل وسعوا فى الصلح فاصطلحوا على انّ كلّ من بيده شئ هو له وتقرّرت العهود والايمان على ذلك ❊

ذكر مُلك عماد الدين قلعة كواشى ومُلك بدر الدين تلّ يعفر وملك الملك الاشرف سنجار

هذه كواشى من احصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها وكان الجند الذين بها لمّا راوا ما فعل اهل العماديّة وغيرها من التسليم الى زنكى وانّهم قد تحكّموا فى القلاع لا يقدر احد على الحكم عليهم احبّوا ان يكونوا كذلك فاخرجوا نوّاب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها وكانت رهاينهم بالموصل وهم يظهرون طاعة بدر الدين ويبطنون المخالفة فتردّدت الرسل فى عودهم الى الطاعة فلم يفعلوا وراسلوا زنكى فى المجئ اليهم وتسلّم القلعة واقام عندهم فروسل مظفّر الدين يذكّر بالايمان القريبة العهد ويطلب منه اعادة كواشى فلم تنفع الاجابة الى ذلك فارسل حينئذ بدر الدين الى الملك الاشرف وهو بحلب يستنجده فسار وعبر الفراة الى حرّان واختلفت عليه الامور من عدّة جهات منعته من سرعة السير وسبب هذا الاختلاف انّ مظفّر الدين كان يراسل الملوك اصحاب الاطراف ليستميلهم ويحسّن لهم الخروج على الاشرف ويخوّفهم منه اذا خلى وجهه فاجابه الى ذلك عزّ الدين كيكاوس بن كيخسرو ابن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم [وصاحب آمد] وحصن كيفا وصاحب ماردين واتّفقوا كلّهم على طاعة كيكاوس وخطبوا له فى بلادهم ونحن نذكر ما كان بينه وبين الاشرف عند منبج لمّا قصد بلاد حلب فهو موغر الصدر عليه فاتّفق انّ كيكاوس مات فى ذلك الوقت وكُفى الاشرف وبدر الدين شرّه ولا حدّ

---

1) وزابيل

الّا ما اقعص عنك الرجال وكان مظفّر الدين قد راسل جماعة من الامرآء الذين مع الاشرف واستمالهم فاجابوه منهم احمد ابن علىّ بن المشطوب الذى ذكرنا انّه فعل على دمياط ما فعل وهو اكبر امير معه ووافقه غيره منهم عزّ الدين محمّد بن بدر الحميدىّ وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا بدنيسر تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الاشرف من العبور الى الموصل لمساعدة بدر الدين فلمّا اجتمعوا هناك عاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف وفارقهم واستقرّ الصلح بينهما وسلّم اليه الاشرف مدينة حانى وجبل جور وضمن له أَخْذ دارا وتسليمها اليه فلمّا فارقهم صاحب آمد انحلّ امرهم فاضطرّ بعض اوليك الامرآء الى العود الى طاعة الاشرف وبقى ابن المشطوب وحده فسار الى نصيبين ليسير الى اربل فخرج اليه شحنة نصيبين فيمن عنده من الجند فاقتتلوا فانهزم ابن المشطوب وتفرّق مَن معه من الجمع ومضى منهزمًا فاجتاز بطرف بلد سنجار فسيّر اليه صاحبها فروخ شاه بن زنكى بن مودود بن زنكى عسكرًا فهزموه واخذوه اسيرًا وحملوه الى سنجار وكان صاحبها موافقًا للاشرف وبدر الدين فلمّا صار عنده ابن المشطوب حسّن له مخالفة الاشرف فاجابه الى ذلك واطلقه فاجتمع معه مَن يريد الفساد فقصدوا البقعا من اعمال الموصل ونهبوا فيها عدّة قرى وعادوا الى سنجار ثمّ ساروا وهو معهم الى تلّ يعفر وهى لصاحب سنجار ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا فى تلك الناحية فلمّا سمع بدر الدين بذلك سيّر اليه عسكرًا فقاتلوهم فمضى منهزمًا وصعد الى تلّ يعفر واحتمى بها منهم ونازلوه وحصروه فيها فسار بدر الدين من الموصل اليه يوم الثلاثاء لتسع بقين من ربيع الاوّل سنة سبع عشرة وستّماية وجدّ فى حصره وزحف اليها مرّة بعد اخرى فملكها سابع عشر ربيع الاخر من هذه السنة واخذ ابن المشطوب معه الى الموصل فسجنه بها ثمّ اخذه منه الاشرف فسجن بحرّان الى ان توفّى فى ربيع الاخر سنة تسع عشرة وستّماية ولقاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدمياط ٭

وامّا الملك الاشرف فانّه لمّا اطاعه صاحب الحصن وآمد تفرّق الامرآء كما ذكرناه رحل من حرّان الى دنيسر فنزل عليها واستولى على بلد ماردين وشحن عليه واقطعه ومنع الميرة عن ماردين وحضر معه صاحب

آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين في الصلح فاصطلحوا على ان ياخذ الاشرف راس العين وكان هو قد اقطعها لصاحب ماردين وياخذ منه ايضا ثلاثين الف دينار وياخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد [شبختان][1] فلما تم الصلح سار الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فبينما هو في الطريق لقيه رسل صاحب سنجار يبذل تسليمها اليه ويطلب العوض عنها مدينة الرقة وكان السبب في ذلك اخذ تل يعفر منه فانخلع قلبه وانضاف الى ذلك ان ثقاته ونصحاءه خانوه وزادوه رُعْبًا وخوفًا لانهم تهددوه فتغدّوا به قبل ان يتعشّى بهم ولانه قطع رحمه وقتل اخاه الذى ملك سنجار بعد ابيه قتله كما نذكره ان شاء الله وملكها فلقاه الله سوء فعله ولم يمتعه بها فلما تيقن رحيل الاشرف تحيّر في امره فارسل في التسليم اليه فاجابه الاشرف الى العوض وسلّم اليه الرقة وتسلّم سنجار مستهلّ جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمائة وفارقها صاحبها واخوته باهليهم واموالهم وكان هذا اخر ملوك البيت الاتابكيّ بسنجار فسبحان الحيّ الدايم الذى ليس لملكه اخر وكان مدة مُلكهم لها اربعا وتسعين سنة وهذا دأب الدنيا بابنايها فتعسًا لها من دار ما اغدرها باهلها ۞

ذكر وصول الاشرف الى الموصل والصلح مع مظفر الدين

لما ملك الملك الاشرف سنجار سار يريد الموصل ليختار منها فقدّم بين يديه عساكره فكان يصل كل يوم منهم جمع كثير ثم وصل هو في اخرهم يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان يوم وصوله مشهودًا واتاه رسل الخليفة ومظفّر الدين في الصلح وبذل تسليم القلاع الماخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية فانها تبقى بيد زنكى وانّ المصلحة قبول هذا لتنزول الفتن ويقع الاشتغال بجهاد الفرنج وطال الحديث في ذلك نحو شهرين ثم رحل الاشرف يريد مظفر الدين صاحب اربل فوصل الى قرية السلامية بالقرب من نهر الزاب وكان مظفر الدين نازلًا عليه من جانب اربل فاعاد الرسل وكان العسكر قد طال بيكاره والناس قد ضجروا وناصر الدين صاحب آمد يميل بهواه

---

1) C. P. 740: سختان

الى مظفر الدين فاشار بالاجابة الى ما بذل واعانه عليه غيره فوقعت الاجابة اليه واصطلحوا على ذلك وجُعل لتسليمها اجلٌ وحُمل زنكى الى الملك الاشرف يكون عنده رهينة الى حين تسليم القلاع وسلّمت قلعة العقر وقلعة شوش ايضًا وهما لزنكى الى نوّاب الاشرف رهنًا على تسليم ما استقرّ من القلاع فاذا سُلّمت اطلق زنكى واعيد عليه قلعة العقر وقلعة شوش وحلفوا على هذا وسلّم الاشرف الى زنكى القلعتَيْن وعاد الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانى شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستّمائة فارسلوا الى القلاع لتسلّم الى نوّاب بدر الدين فلم يسلّم اليه غير قلعة جلّ صورا من اعمال الهكّاريّة وامّا باقى القلاع فانّ جندها اظهروا الامتناع من ذلك ومضى الاجل ولم يسلّم [الّا] جلّ صورا ، ولزم عماد الدين زنكى لشهاب الدين غازى بن الملك العادل وخدمه وتقرّب اليه فاستعطف الله اخاه الملك الاشرف فمال اليه واطلقه وازال نوّابه من قلعة العقر وسوش وسلّمهما اليه وبلغ بدر الدين عن الملك الاشرف ميل الى قلعة تلّ يعفر وانّها كانت لسنجار من قديم الزمان وحديثه وطال الحديث فى ذلك فسلّمها اليه بدر الدين ۞

ذكر عود قلاع الهكّاريّة والزوزان الى بدر الدين

لمّا ملك زنكى قلاع الهكّاريّة والزوزان لم يفعل مع اهلها ما ظنّوه من الاحسان والانعام بل فعل ضدّه وضيّق عليهم وكان يبلغهم افعال بدر الدين مع جنده ورعاياه واحسانه اليهم وبذله الاموال لهم وكانوا يريدون العود اليه ويمنعهم الخوف منه لما اسلفوه من ذلك فلمّا كان الآن علبوا بما فعل معهم فارسلوا الى بدر الدين فى المحرّم سنة ثمان عشرة وستّمائة فى التسليم اليه وطلبوا منه اليمين والعفو عنهم وذكروا شيئًا من اقطاع يكون لهم فاجابهم الى ذلك وارسل الى الملك الاشرف يستأذنه فى ذلك فلم يأذن له وعاد زنكى من عند الاشرف فجمع جموعًا وحصر قلعة العماديّة فلم يبلغ منهم غرضًا واعادوا مراسلة بدر الدين فى التسليم اليه فكتب الى الملك الاشرف فى المعنى وبذل له قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرَيْن ليأذن له فى اخذها فأذن له فارسل اليها كلّها النوّاب وتسلّموها واحسن الى اهلها ورحل زنكى عنها ووفى له بدر الدين بما بذله له فلمّا سمع جند باقى القلاع بما فعلوا وما وصلهم من

الاحسان والزيادة رغبوا كلّهم فى التسليم فسيّر اليهم الثواب واتّفقت كلمة اهلها على طاعته والانقياد اليه والعجب انّ العساكر اجتمعت من الشام والجزيرة وديار بكر وخلاط وغيرها فى استعادة هذه القلاع فلم يقدروا على ذلك فلمّا تعرّقوا حصر اهلها وسالوا ان تؤخذ منهم فعادت صفوًا عفوًا بغير منّة ولقد احسن من قال

لا سهل الّا ما جعلت سهلاً   وان تشأ تجعل الحزن سهلاً

فتبارك الله الفعّال لما يريد لا مانع لما اعطى ولا مُعطى لما منع وهو على كلّ شئ قدير ❊

ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس

فى هذه السنة سار عزّ الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصدًا للتغلّب عليها ومعه الافضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انّه كان بحلب رجلان فيهما شرّ كثير وسعاية بالناس فكانا ينقلان الى صاحبها الملك الظاهر ابن صلاح الدين عن رعيّته فاوغروا صدره فلقى الناس منهما شدّة فلمّا توفّى الظاهر وولى الامر شهاب الدين طغرل ابعدهما وغيرهما ممّن يفعل فعلهما وسدّ هذا الباب على فاعله ولم يطرّق اليه احدًا من اهله فلمّا راى الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما وثار بهما الناس واذوهما وتهدّدوهما لما كانا اسلفاه من الشرّ فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكاوس فاطمعاه فيها وقرّرا فى نفسه انّه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانّه يملكها ويهون عليه مُلك ما بعدها فلمّا عزم على ذلك اشار عليه ذوو الراى من اصحابه وقالوا له لا يتمّ لك هذا الّا بان يكون معك احدٌ من بيت ايّوب ليسهل على اهل البلاد وجندها الانقياد اليه وهذا الافضل ابن صلاح الدين هو فى طاعتك والمصلحة انّك تستصحبه معك وتقرّر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فمتى كان معك اطاعك الناس وسهل عليك ما تريد فاحضر الافضل من سميساط اليه واكرمه وحمل اليه شيئًا كثيرًا من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرّت القواعد بينهما ان يكون ما يفتحه من حلب واعمالها للافضل وهو فى طاعة كيكاوس والخطبة له فى ذلك اجمع ثمّ يقصدون ديار الجزيرة فما يفتحونه ممّا بيد الملك الاشرف مثل حرّان والرّها من البلاد الجزريّة تكون لكيكاوس

وجرت الايمان على ذلك وجمعوا العساكر وساروا فملكوا قلعة رعبان [1] فتسلّمها الافضل فمال الناس حينئذ اليهما ثمّ سارا الى قلعة تلّ باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين [دلدرم] [2] الياروقى فحصروه وضيّقوا عليه وملكوها منه فاخذها كيكاوس لنفسه ولم يسلّمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اوّل الغدر وخاف انّه ان ملك حلب يفعل به هكذا فلا يحصل الّا ان يكون قد قلع بيته لغيره ففترت نيّته واعرض عمّا كان يفعله وكذلك ايضًا اهل البلاد فكانوا يظنّون انّ الافضل يملكها فيسهل عليهم الامر فلمّا راوا ضدّ ذلك وقفوا ؛ وامّا شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانّه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقها البتّة وهذه كانت عادته مذ مات الظاهر خوفًا من ثاير يثور به فلمّا حدث هذا الامر خاف ان يحصروه وربّما سلّم اهل البلد والجند المدينة الى الافضل لميلهم اليه فارسل الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب الديار الجزريّة وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون طاعتهم له ويخطبون له ويجعل السكّة باسمه وياخذ من اعمال حلب ما اختار ولانّ ولد الظاهر هو ابن اخته فاجاب الى ذلك وسار اليهم فى عساكره التى عنده وارسل الى الباقين يطلبهم اليه وسرّه ذلك للمصلحة العامّة لجميعهم واحضر اليه العرب من طى وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولمّا اخذ كيكاوس تلّ باشر كان الافضل يشير بمعاجلة حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل ان يحتاطوا ويتاجهّزوا فعاد عن ذلك وصار يقول الراى انّنا نقصد منبج وغيرها ليلّا يبقى لهم وراء ظهورنا شئ قصدًا للتمادى ومرور الزمان فى لا شئ فتوجّهوا من تلّ باشر الى جهة منبج وتقدّم الاشرف نحوهم وسارت العرب فى مقدّمته وكان طايفة من عسكر كيكاوس نحو الف فارس قد سبقت مقدّمته له فالتقوا هم والعرب ومن معهم من العسكر الاشرفىّ فاقتتلوا فانهزم عسكر كيكاوس وعادوا اليه منهزمين واكثر العرب الاسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلمّا وصل اليه اصحابه منهزمين لم يثبت بل ولّى على اعقابه يطوى المراحل الى بلاده خايفًا يترقّب فلمّا وصل الى

[1]) رعنان   [2]) Ex *Abulfeda* IV, p. 267 addidi.

اطرافها اثام وانّما فعل هذا لانّه صبىّ وغرّ لا معرفة له بالحرب والّا فالعساكر ما برحت تنفع مقدّماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الاشرف فملك رعبان وحصر تلّ باشر وبها جمع من عسكر كيكاوس فقاتلوه حتّى غُلبوا فأُخذت القلعة منهم واطلقهم الاشرف فلمّا وصلوا الى كيكاوس جعلهم فى دار واحرقها عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافّة واستعجبوه واستضعفوه لا جرم لم يمهله الله تعالى وعجّل عقوبته للوم قدرته وشدّة عقوبته ولعدم الرحمة فى قلبه ومات عقيب هذه الحادثة وسلّم الاشرف تلّ باشر وغيرها من بلد حلب الى شهاب الدين اتابك صاحب حلب وكان عازمًا على اتباع كيكاوس ويدخل بلاده فاتاه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لانّ الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان العظيم اذا توفّى ربّما جرى خلل فى البلاد لا تُعرف العاقبة فيه فعاد السيها وكُفى كلّ منهما اذى صاحبه ۞

ذكر وفاة الملك العادل ومُلك اولاده بعده

[1]توفّى الملك العادل ابو بكر بن ايّوب سابع جمادى الاخرة من سنة خمس عشرة وستّمائة وقد ذكرنا ابتداء دولتهم عند مُلك عمّه اسد الدين شيركوه ديار مصر سنة اربع وستّين وخمسمائة ولمّا ملك اخوه صلاح الدين يوسف ابن ايّوب ديار مصر بعد عمّه وسار الى الشام يستخلفه بمصر ثقة به واعتمادًا عليه وعلمًا بما هو عليه من توفّر العقل وحسن السيرة ، فلمّا توفّى اخوه صلاح الدين ملك دمشق كما ذكرناه وبقى مالكًا للبلاد الى الآن فلمّا ظهر الفرنج كما ذكرناه سنة اربع عشرة وستّمائة قصد هو مرج الصفّر فلمّا سار الفرنج الى ديار مصر انتقل هو الى عالقين فاقام به ومرض وتوفّى وحُمل الى دمشق فدُفن بالتربة التى له ، وكان عاقلًا ذا راى سديد ومكر شديد وخديعة صبورًا حليمًا ذا اناة يسمع ما يكره ويغضّ عليه حتّى كانّه لم يسمعه كثير الخرج وقت الحاجة لا يقف فى شىّ واذا لم تكن حاجة فلا ، وكان عمره خمسًا وسبعين سنة وشهورًا لانّ مولده كان فى المحرّم من سنة اربعين وخمسمائة

---

[1]) Ups. add. لما

وملك دمشق فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [من الافضل ابن اخيه وملك مصر فى ربيع الاخر من سنة ستّ وتسعين] [1] منه ايضًا ومن اعجب ما رايتُ من منافاة الطوالع انّه لم يملك الافضل مملكة قطّ الّا واخذها منه عمّه العادل فاوّل ذلك انّ صلاح الدين اعطى ابنه الافضل حرّان والرُّها وميّافارقين سنة ستّ وثمانين بعد وفاة تقى الدين فسار اليها فلمّا وصل الى حلب ارسل ابوه الملك العادل بعده فردّه من حلب واخذ هذه البلاد منه ثمّ ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق فاخذها منه ثمّ ملك مصر بعد وفاة اخيه الملك العزيز فاخذها ايضًا منه ثمّ ملك صرخد فاخذها منه واعجب من هذا انّنى رايتُ بالبيت المقدّس سارية من الرخام مُلقاةً فى بيعة صهيون لبس مثلها فقال القسّ الذى بالبيعة هذه كان قد اخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق ثمّ انّ العادل اخذها بعد ذلك من الافضل طلبها منه فاخذها وهذا غاية وهو من اعجب ما يُحكى وكان العادل قد قسم البلاد فى حياته بين اولاده فجعل بمصر الملك الكامل محمّدًا وبدمشق والقدس وطبريّة والاردنّ والكرك وغيرها من الحصون المُجاورة لها ابنه المعظّم عيسى وجعل بعض ديار الجزيرة وميّافارقين وخلاط واعمالها لابنه الملك الاشرف موسى واعطى الرُّها لولده شهاب الدين غازى واعطى قلعة جعبر لولده الحافظ ارسلان شاه ، فلمّا توفّى ثبت كلّ منهم فى المملكة التى اعطاه ابوه واتّفقوا اتّفاقًا حسنًا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة ان يجرى بين اولاد الملوك بعد ابائهم بل كانوا كالنفس الواحدة كلٌّ منهم يثق الى الاخر بحيث يحضر عنده منفردًا من عسكره ولا يخافه فلا جرم زاد مُلكهم وراوا من نفاذ الامر والحكم ما لم يره ابوهم ولعمرى انّهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذبّ عن الاسلام وفى نوبة دمياط كفاية واما الملك الاشرف فليس للمال عنده محلّ بل يُمطره مطرًا كثيرًا لعفّة عن اموال الرعيّة دايم الاحسان لا يسمع سعاية ساعٍ ✿

[1]) C. P.

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة فى ذى القعدة رحل الملك الكامل بن العادل عن ارض دمياط لانّه بلغه انّ جماعة من الامرآء قد اجتمعوا على تمليك اخيه الفائز عوضه فخافهم ففارق منزلته فانتقل الفرنج اليها وحصروا حينئذ دمياط برًّا وبحرًا وتمكّنوا من ذلك وقد تقدّم مستقصًى سنة اربع عشرة وستّمائة ، وفيها فى المحرّم توفّى شرف الدين محمّد بن علوان بن مهاجر الفقيه الشافعىّ وكان مدرّسًا فى عدّة مدارس بالموصل وكان صالحًا كثير الخير والدين سليم القلب رحمه الله ، وفيها توفّى عزّ الدين نجاح الشرابى خاصّ الخليفة واقرب الناس اليه وكان للحاكم فى دولته كثير العدل والاحسان والمعروف والعصبيّة للناس وامّا عقله وتدبيره فاليه كانت النهاية وبه يُضرب المثل ، وفيها توفّى علىّ بن نصر ابن هرون ابو الحسن الحلّى النحوى الملقّب بالحجّة قرأ على ابن الخشاب وغيره ٭

ثم دخلت سنة ستّ عشرة وستّمائة

سنة ٦١٦

ذكر وفاة كيكاوس ومُلك كيقباذ اخيه

فى هذه السنة توفّى الملك الغالب عزّ الدين كيكاوس ابن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وملطيّة وما بينهما من بلاد الروم وكان قد جمع عساكره وحشد وسار الى ملطيّة على قصد بلاد الملك الاشرف لقاعدة استقرّت بينه وبين ناصر الدين صاحب آمد ومظفّر الدين صاحب اربل وكانوا قد خطبوا له وضربوا اسمه على السكّة فى بلادهم واتّفقوا على الملك الاشرف وبدر الدين بالموصل فسار كيكاوس الى ملطيّة ليمنع الملك الاشرف به عن المسير الى الموصل نجدة لصاحبها بدر الدين لعلّ مظفّر الدين يبلغ من الموصل غرضًا وكان قد علق به السلّ فلمّا اشتدّ مرضه عاد عنها فتوفّى وملك بعده اخوه كيقباذ وكان محبوسًا قد حبسه اخوه كيكاوس لمّا اخذ البلاد واشار عليه بعض اصحابه بقتله فلم يفعل فلمّا توفّى لم يخلّف ولدًا يصلح للملك لصغرهم فاخرج الجند كيقباذ وملّكوه ومن بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ ٱللَّهُ[1] وقيل بل ارسل كيكاوس لمّا اشتدّ

---

[1]) Cor. 22, 59.

مرضه فاحضره عمه من السجن ووصى له بالملك وحلف الناس له ،
فلمّا ملك خالفه عمّه صاحب ارزن الروم وخاف ايضًا من الروم المجاورين
لبلاده فارسل الى الملك الاشرف وصالحه وتعاهدا على المصافاة والنعاضد
ونصاهرا وكُفى الاشرف شرّ تلك الجهة وتفرّغ باله لاصلاح ما بين يديه
ولقد صدق القايل وجدّك تنعان بغير سنان ، وهذا ثمرة حسن النيّة
فانّه حسن النيّة لرعيّته واصحابه كافّ عن اذًى بتطرّق اليهم منه
غير قاصد الى البلاد المجاورة لبلاده باذًى ومُلك مع ضعف اصحابها
وقوّته لاجرم اتتيه البلاد صعوًا عفوًا ✿

ذكر موت صاحب سنجار ومُلك ابنه ثمّ قتل ابنه ومُلك اخيه

وفى هذه السنة ثامن صفر توفّى قطب الدين محمّد بن زنكى بن
مودود بن زنكى صاحب سنجار وكان كريمًا حسن السيرة فى رعيّته
حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم وامّا اصحابه فكانوا معه فى
ارغد عيش يعمّهم باحسانه ولا يخافون اذاه وكان عاجزًا عن حفظ بلده
مسلّمًا الامور الى نوّابه ولمّا توفّى ملك بعده ابنه عماد الدين شاهانشاه
وركب الناس معه وبقى مالكًا لسنجار عدّة شهور وسار الى تلّ اعفر
وهى له فدخل عليه اخوه عمر بن محمّد بن زنكى ومعه جماعة فقتلوه
وملك اخوه عمر بعده فبقى كذلك الى ان سلّم سنجار الى الملك الاشرف
على ما نذكره ان شآء الله تعالى ولم يمتع بملكه الذى قطع رحمه واراق
الدم الحرام لاجْله ولمّا سلّم سنجار اخذ عوضها الرقّة ثمّ أُخذت منه
عن قريب وتوفّى بعد اخذها منه بقليل وعدم روحه وشبابه وهذه عاقبة
قطيعة الرحم فانّ صلتها تزيد فى العمر وقطيعتها تهدم العمر ✿

ذكر اجلآء بنى معروف عن البطايح وقتلهم

فى هذه السنة فى ذى القعدة امر الخليفة الناصر لدين الله الشريف
معد متولّى بلاد واسط ان يسير الى قتال بنى معروف فتجهّز وجمع معه
من الرجّالة من تكريت وهيت والحديثة والانبار والحلّة والكوفة وواسط
والبصرة وغيرها خلقًا كثيرًا وسار اليهم ومقدّمهم حينيذ معلّى بن معروف
وهم قوم من ربيعة وكانت بيوتهم غربىّ الفرات تحت سورآء وما يتّصل
بذلك من البطايح وكثر فسادهم واذاهم لما يقاربهم من القرى وقطعوا

الطريق وافسدوا فى النواحى المفاربة لبطيحة الغراف فشكا اهل تلك البلاد الى الديوان منهم فامر معدًّا ان يسير اليهم فى الجموع فسار اليهم فاستعدّ بنو معروف لقتاله فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقير وهو تلّ كبير بالبطيحة بقرب العراق وكثُر القتل بينهم ثمّ انهزم بنو معروف وكثر القتل فيهم والاسر والغرق وأُخذت اموالهم وحُملت رؤس كثيرة من القتلى الى بغداد فى ذى الحجّة من السنة ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم انهزم عماد الدين زنكى من عسكر بدر الدين، وفيها فى العشرين من رجب انهزم بدر الدين من مظفّر الدين صاحب اربل وعاد مظفّر الدين الى بلده وقد تقدّم ذلك مستوفًى فى سنة خمس عشرة وستّمائة، وفيها فى السابع والعشرين من شعبان ملك الفرنج مدينة دمياط وقد ذكر سنة اربع عشرة مشروحًا، وفيها توفّى افتخار الدين عبد المطّلب بن الفضل الهاشمىّ العبّاسىّ الفقيه الحنفىّ رئيس الحنفيّة بحلب روى الحديث عن عمر البسطامىّ نزيل بلخ وعن ابى سعد السمعانىّ وغيرهما، وفيها توفّى ابو البقآء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكْبرىّ الضرير النحوى وغيره، وفيها توفّى ابو الحسن علىّ بن ابى محمّد القاسم بن علىّ بن الحسن بن عبد الله الدمشقىّ الحافظ بن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فاكثر وعاد الى بغداد فوقع على القفل حراميّة فجُرح وبقى ببغداد وتوفّى فى جمادى الاولى رحمه الله ✿

ثم دخلت سنة سبع عشرة وستّمائة

سنة ٦١٧

ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام

لقد بقيتُ عدّة سنين مُعرِضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها كارهًا لذكرها فانا اقدّم اليه [رجلًا] واوخّر اخرى فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعىّ الاسلام والمسلمين ومَن الذى يهون عليه ذكر ذلك فيا ليت امّى لم تلدنى ويا ليتنى متُّ قبل هذا وكنتُ نسيًا منسيا الّا انّى حثّنى جماعة من الاصدقآء على تسطيرها وانا متوقّف ثمّ رايتُ انّ ترك

ذلك لا تجدى نفعًا فنقول هذا الفعل نتضمّن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقّت الايّام والليالى عن مثلها عمّت الخلايق وخصّت المسلمين فلو قال قايل انّ العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدمَ والى الآن لم يُبْتَلَوْا بمثلها لكان صادقًا فانّ التواريخ لم تتضمّن ما يقاربها ولا ما يُدانيها ومن اعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببنى اسرايل من القتل وتخريب البيت المقدّس وما البيت المقدّس بالنسبة الى ما خرّب هولآء الملاعين من البلاد التى كلّ مدينة منها اضعاف البيت المقدّس وما بنو اسرايل بالنسبة الى مَن قتلوا فانّ اهل مدينة واحدة ممّن قتلوا اكثر من بنى اسرايل ولعلّ الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا الّا ياجوج وماجوج واما الدجّال فانّه يُبقى على مَن اتبعه ويهلك من خالفه وهولآء لم يبقوا على احد بل قتلوا النسآء والرجال والاطفال وشقّوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنّة فانّا لله وانّا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة الّا بالله العلى العظيم ☆

لهذه الحادثة التى استطار شررها وعمّ ضررها وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح فانّ قومًا خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثمّ منها الى بلاد ما ورآء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون باهلها ما نذكره ثمّ تعبر طايفة منهم الى خراسان فيفرغون منها مُلكًا وتخريبًا وقتلًا ونهبًا ثمّ يتجاوزونها الى الرىّ وهمدان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى حدّ العراق ثمّ يقصدون بلاد اذربيجان وارّانية ويخرّبونه ويقتلون اكثر اهله ولم ينج الّا الشريد النادر فى اقلّ من سنة هذا ما لم يُسمع بمثله ثمّ لمّا فرغوا من اذربيجان وارّانيّة ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التى بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللكز ومن فى ذلك الصُّقع من الامم المختلفة فاوسعهم قتلًا ونهبًا وتخريبًا ثمّ قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددًا فقتلوا كلّ من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هولآء التتر عليها فعلوا هذا فى اسرع زمان لم يلبثوا الّا بمقدار مسيرهم لا غير ومضى طايفة اخرى غير هذه الطايفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان

فعلوا فيه مثل فعل هولآء واشدّ هذا ما لم يطرق الاسماع مثله فانّ الاسكندر الذى اتّفق المورّخون على انّه ملك الدنيا لم يملكها فى هذه السرعة انّما ملكها فى نحو عشر سنين ولم يقتل احدًا انّما رضى من الناس بالطاعة وهولآء قد ملكوا اكثر المعمور من الارض واحسنه واكثره عمارةً واهلًا واعدل اهل الارض اخلاقًا وسيرة فى نحو سنة ولم يبت احد من البلاد التى لم يطرقوها الّا وهو خايف يتوقّعهم ويترقّب وصولهم اليه ثمّ انّهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يانيهم فانّهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدوابّ ياكلون لحومها لا غير وامّا دوابّهم التى يركبونها فانّها تحفر الارض بحوافرها وتاكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلًا لا يحتاجون الى شئ من خارج وامّا ديانتهم فانّهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرّمون شيأً فانّهم ياكلون جميع الدوابّ حتّى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحًا بل المراة ياتيها غير واحد من الرجال فاذا جآء الولد لا يعرف اباه ، ولقد بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدّة بمصايب لم يُبتلى بها احد من الامم منها هولآء التتر قبّحهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التى يستعظمها كلّ من سمع بها وستراها مشروحة متّصلة ان شآء الله تعالى ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام وقصدهم دیار مصر وملكهم ثغر دمياط منها واشرفت ديار مصر والشام وغيرها على ان يملكوها لو لا لطف الله تعالى ونصره عليهم وقد ذكرناه سنة اربع عشرة وستّمائة ومنها انّ الذى سلم من هاتين الطايفتين فالسيف بينهم مسلولٌ والفتنة قايمة على ساق وقد ذكرناه ايضًا فانّا لله وانّا اليه راجعون نسال الله ان ييسّر للاسلام والمسلمين نصرًا من عنده فانّ الناصر والمعين والذابّ عن الاسلام معدوم واذا اراد الله بقوم سوًا فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ فانّ هولآء التتر انّما استقام لهم هذا الامر لعدم المانع وسبب عدمه انّ خوارزم شاه محمّدًا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافناهم وبقى هو وحده سلطان البلاد جميعها فلمّا انهزم منهم لم يبق فى البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقضى الله امرًا كان مفعولًا وهذا حين نذكر ابتدآء خروجهم الى البلاد ✿

ذكر خروج التتر الى تركستان وما وراء النهر وما فعلوه

فى هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الاسلام وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة اشهر وكان السبب فى ظهورهم انّ ملكهم ويسمّى بجنكزخان المعروف بتموجين[1] كان قد فارق بلاده وسار الى نواحى تركستان وسيّر جماعة من التجار والاتراك ومعهم شئ كثير من النقرة والقندر وغيرهما الى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارى ليشتروا له ثيابًا للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمّى اوترار[2] وهى اخر ولاية خوارزم شاه وكان له نايب هناك فلمّا ورد عليه هذه الطايفة من التتر ارسل الى خوارزم شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الاموال فبعث اليه خوارزم شاه يامره بقتلهم واخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسيّر ما معهم وكان شيئًا كثيرًا فلمّا وصل الى خوارزم شاه فرّقه على تجار بخارى وسمرقند واخذ ثمنه منهم وكان بعد ان ملك ما وراء النهر من الخطا قد سدّ الطرق عن بلاد تركستان وما بعدها من البلاد وانّ طايفة من التتر ايضًا كانوا قد خرجوا قديمًا والبلاد للخطا فلمّا ملك خوارزم شاه البلاد بما وراء النهر من الخطا وقتلهم واستولى هولآء التتر على تركستان كاشغار وبلاساغون وغيرها وصاروا يحاربون عساكر خوارزم شاه فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوات وغيرها وقيل فى سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك ممّا لا يذكر فى بطون الدفاتر فكان ما كان ممّا لستُ اذكره فظُنّ خيرًا ولا تسال عن الخبر فلمّا قتل نايب خوارزم شاه اصحاب جنكزخان ارسل جواسيس الى جنكزخان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من الترك وما يريد ان يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التى على طريقهم حتّى وصلوا اليه فعادوا بعد مدّة طويلة واخبروه بكثرة عددهم وانّهم يخرجون عن الاحصآء وانّهم من اصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة وانّهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بايديهم فندم خوارزم شاه على قتل اصحابهم واخذ

1) بتمرجبى 2) اوترار

اموالهم وحصل عنده فكر زايد فاحضر الشهاب الخيوقى وهو فقيه فاضل كبير المحلّ عنده لا يخالف ما يشير به فحضر عنده فقال له قد حدث امر عظيم لا بدّ من الفكر فيه فاخذ رايك فى الذى نفعله وذاك انّه قد تحرّك الينا خصم من ناحية الترك فى كثرة لا تحصى فقال له فى عساكرك كثرة وتكاتب الاطراف وتجمع العساكر ويكون النفير عامًّا فانّه يجب على المسلمين كافّة مساعدتك بالمال والنفس ثمّ تذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد الاسلام فتكون هناك فاذا جآء العدوّ وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسّهم النصبُ والتعب، فجمع خوارزم شاه امرآء ومَن عنده من ارباب المشورة فاستشارهم فلم يوافقوه على رايه بل قالوا ان نتركهم يعبرون سيحون الينا ويسلكون هذه الجبال والمضايق فانّهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينئذ عليهم ونهلكهم فلا ينجوا منهم احد، فبينما الاتراك كذلك اذ ورد رسول من هذا اللعين جنكزخان معه جماعة يتهدّد خوارزم شاه ويقول تقتلون اصحابى وتاخذون اموالهم استعدّوا للحرب فانّى واصل اليكم بجمع لا قِبَل لكم به، وكان جنكزخان قد سار الى تركستان فملك كاشغار وبلاساغون وجميع البلاد وازال عنها التتر الاولى فلم يظهر لهم خبر ولا بقى لهم اثر بل بادوا كما اصاب الخطا وارسل الرسالة المذكورة الى خوارزم شاه فلمّا سمعها خوارزم شاه امر بقتل رسوله فقُتل وامر بحلق لحا الجماعة الذين كانوا معه واعادهم الى صاحبهم جنكزخان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له انّ خوارزم شاه يقول لك انا ساير اليك ولو انّك فى اخر الدنيا حتّى انتقم وافعل بك كما فعلتُ باصحابك، وتجهّز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرًا ليسبق خبره ويكبسهم فادمن السير فمضى وقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الّا النسآء والصبيان والاطفال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النسآء والذرّيّة وكان سبب غيبة الكفّار عن بيوتهم انّهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان [1]

---

1) كلشلخان

فعاتلوه وهزموه وغنموا امواله وعادوا فلعبهم فى الطريف الخبر بما فعل. خوارزم شاه بمخلّفيهم فجدّوا السير فادركوه قبل ان يخرج عن بيوتهم وتصافّوا للحرب واقتتلوا قتالاً لم يُسمع بمثله فبقوا فى الحرب ثلاثة ايّام بلياليها فقُتل من الطايفتين ما لا يُعدّ ولم ينهزم احد منهم امّا المسلمون فانّهم صبروا حميّةً للدين وعلموا انّهم ان انهزموا لم يبق للمسلمين باقية وانّهم يوخذون لبُعدهم عن بلادهم وامّا الكفّار فصبروا لاستنقاذ اهليهم واموالهم واشتدّ بهم الامر حتّى انّ احدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلاً ويتضاربون بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتّى صارت الخيل تزلق من كثرته واستنفد الطايفتان وُسعهم فى الصبر والقتال هذا القتال جميعه مع ابن جنكزخان ولم يحضر ابوه الوقعة ولم يشعر بها فأُحصى مَن قُتل من المسلمين فى هذه الوقعة فكانوا عشرين الفًا وامّا من الكفّار فلا يُحصى مَن قُتل منهم فلمّا كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلمّا اظلم الليل اوقد الكفّار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا وكذلك فعل المسلمون ايضًا كلّ منهم سئم القتال فامّا الكفّار فعادوا الى ملكهم جنكزخان وامّا المسلمون فرجعوا الى بخارى فاستعدّ للحصار لعلمه بعجزه لانّ طايفة عسكره لم يقدر خوارزم شاه على ان يظفر بهم فكيف اذا جآوا جميعهم مع ملكهم فامر اهل بخارى وسمرقند بالاستعداد للحصار وجمع الذخاير للامتناع وجعل فى بخارى عشرين الف فارس من العسكر يحمونها وفى سمرقند خمسين الفًا وقال لهم احفظوا البلد حتّى اعود الى خوارزم وخراسان واجمع العساكر واستنجد بالمسلمين واعود اليكم ٭ فلمّا فرغ من ذلك رحل عايدًا الى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك ٭ وامّا الكفّار فانّهم رحلوا بعد ان استعدّوا يطلبون ما ورآء النهر فوصلوا الى بخارى بعد خمسة اشهر من وصول خوارزم شاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة ايّام قتالاً شديدًا متتابعًا فلم تكن للعسكر الخوارزمىّ بهم قوّة ففارقوا البلد عايدين الى خراسان فلمّا اصبح اهل البلد وليس عندهم من العسكر احد ضعُفت نفوسهم فارسلوا القاضى وهو بدر الدين قاضى خان ليطلب الامان للناس فاعطوهم الامان وكان قد بقى من العسكر طايفة لم يمكنهم الهرب مع اصحابهم فاعتصموا

بالقلعة فلمّا اجابهم جنكزخان الى الامان فُتحت ابواب المدينة يوم الثلاثآء رابع ذى الحجّة من سنة ستّ عشرة وستّمائة فدخل الكفّار بخارى ولم يتعرّضوا الى احد بل قالوا لهم كلّ ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيره اخرجوه الينا وساعدونا على قتال مَن بالقلعة واظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه واحاط بالقلعة ونادى فى البلد بان لا يتخلّف احد ومَن تخلّف قُتل فحضروا جميعهم فامرهم بطمّ الخندق فطمّوه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتّى انّ الكفّار كانوا ياخذون المنابر وربعات القران فيلقونها فى الخندق فانّا لله وانّا اليه راجعون وبحقّ سمّى الله نفسه صبوراً حليمًا والّا كان خسف بهم الارض عند فعل مثل هذا ثمّ تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو اربع مائة فارس من المسلمين فبذلوا جُهدهم ومنعوا القلعة اثنى عشر يومًا يقاتلون جمع الكفّار واهل البلد فقتل بعضهم ولم يزالوا كذلك حتّى زحفوا اليهم ووصل النقّابون الى سور القلعة فنقبوه واشتدّ حينئذ القتال ومَن بها من المسلمين يرمون بكلّ ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين وردّ اصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدّوا فى القتال وقد تعب مَن بالقلعة ونصبوا وجآءهم ما لا قِبَل لهم به فقهرهم الكفّار ودخلوا القلعة وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتّى قتلوا عن اخرهم فلمّا فرغ من القلعة امر ان تُكتب له روس البلد وروسآوهم ففعلوا ذلك فلمّا عرضوا عليه امر باحضارهم فحضروا فقال اريد منكم النقرة التى باعكم خوارزم شاه فانّها لى ومن اصحابى أُخذت وهى عندكم فاحضر كلّ من كان عنده شئ منها بين يديه ثمّ امرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجرّدين من اموالهم ليس مع احد منهم غير ثيابه التى عليه ودخل الكفّار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه واحاط بالمسلمين فامر اصحابه ان يقتسموهم فاقتسموهم وكان يومًا عظيمًا من كثرة البكآء من الرجال والنسآء والولدان وتفرّقوا ايدى سبا وتمزّقوا كلّ ممزق واقتسموا النسآء ايضًا واصبحت بخارى خاوية على عروشها كَاَن لم تغنِ بالامس وارتكبوا من النسآء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم شيأً ممّا نزل بهم فمنهم مَن لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتّى قُتل وممّن فعل ذلك

واختار ان يُقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده فانّهما لمّا رايا ما يُفعل بالحرم قاتلا حتّى قُتلا وكذلك فعل القاضى صدر الدين خان ومن استسلم أُخذ اسيرًا والقوا النار فى البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع العذاب فى طلب المال ‌ثمّ رحلوا نحو سمرقند وقد تحقّقوا عجز خوارزم شاه عنهم وهم بمكانه بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم مَن سلم من اهل بخارى اسارى فساروا بهم مُشاة على اقبح صورة فكلّ مَن اعيا وعجز عن المشى قُتل فلمّا قاربوا سمرقند قدّموا الخيالة وتركوا الرجّالة والاسارى والاثقال وراءهم حتّى تقدّموا شيئًا فشيئًا ليكون ارعب لقلوب المسلمين فلمّا راى اهل البلد سوادهم استعظموه فلمّا كان اليوم الثانى وصل الاسارى والرجّالة والاثقال ومع كلّ عشرة من الاسارى علم فظنّ اهل البلد انّ الجميع عساكر مقاتلة واحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزميّة وامّا عامّة البلد فلا يُحصون كثرةً فخرج اليهم شجعان اهله واهل الجلد والقوّة رجّالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمىّ احد لما فى قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين فقاتلهم الرجّالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتاخّرون واهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفّار قد كمنوا له كمينًا فلمّا جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشبوا القتال اولاً فبقوا فى الوسط واخذهم السيف من كلّ جانب فلم يسلم منهم احد فقتلوا عن اخرهم شهدآء رضى الله منهم وكانوا سبعين الفًا على ما قيل ‌فلمّا راى الباقون من الجند والعامّة ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا اتراكًا نحن من جنس هؤلآء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا ابواب البلد ولم يقدر العامّة على منعهم وخرجوا الى الكفّار باهلهم واموالهم فقال لهم الكفّار دفعوا الينا سلاحكم واموالكم ودوابّكم ونحن نسيّركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك فلمّا اخذوا اسلحتهم ودوابّهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن اخرهم واخذوا اموالهم ودوابّهم ونسآءهم فلمّا كان اليوم الرابع نادوا فى البلد ان يخرج اهله جميعهم ومن تاخّر قتلوه فخرج جميع الرجال والنسآء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم مع اهل بخارى

من النهب والقتل والسبى والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه واحرقوا الجامع وتركوا باقى البلد على حاله وافتضوا الابكار وعذبوا الناس بانواع العذاب فى طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبى وكان ذلك فى المحرّم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزم شاه بمنزلته كلّما اجتمع اليه عسكر سيّره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سيّر مرّة عشرة الاف فارس فعادوا وسيّر عشرين الفًا فعادوا ايضًا ☆

ذكر مسير التتر الى خوارزم شاه وانهزامه وموته

لمّا ملك الكفّار سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسيّر عشرين الف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلّق بالسماء حتّى تدركوه وتاخذوه وهذه الطائفة نسمّيها التتر المغرّبة لانّها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانّهم هم الذين اوغلوا فى البلاد ، فلمّا امرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعًا يسمّى فنج اب ومعناه خمس مياه فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار والبسوها جلود البقر لئلّا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم والقوا الخيل فى الماء وامسكوا اذنابها وتلك الحياض التى من الخشب مشدوده اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوّ من السلاح وغيره فعبروا كلّهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه الّا وقد صاروا معه على ارض واحدة وكان المسلمون قد مُلئوا منهم رعبًا وخوفًا وقد اختلفوا فيما بينهم انّهم كانوا يتماسكون بسبب انّ نهر جيحون بينهم فلمّا عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرّقوا ايدى سبا وطلب كلّ طايفة منهم جهة ورحل خوارزم شاه لا يلوى على شئٍ فى نفر من خاصّته وقصدوا نيسابور فلمّا دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم يستقرّ حتّى وصل اولئك التتر اليها وكانوا لم يتعرّضوا فى مسيرهم لشئٍ لا بنهب ولا قتل بل يجدّون السير فى طلبه لا يمهلونه حتّى يجمع لهم فلمّا سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهى له ايضًا فرحل التتر المغرّبون فى اثره ولم يعرّجوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلّما رحل عن منزلة نزلوها فوصل الى مرسى

من بحر طبرستان تعرف باب سكون وله هناك قلعة في البحر فلمّا نزل هو واصحابه في السفن وصلت التتر فلمّا راوا خوارزم شاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلمّا ايسوا من لحاق خوارزم شاه رجعوا فهم الذين قصدوا الريّ وما بعدها على ما نذكره ان شآء الله هكذا ذكر لى بعض الفقهآء ممّن كان ببخارى واسروه معهم الى سمرقند ثمّ نجا منهم ووصل الينا وذكر غيره من التجار انّ خوارزم شاه سار من مازندران حتّى وصل الى الريّ ثمّ منها الى همذان والتتر فى اثره ففارق همذان فى نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب فى البحر الى هذه القلعة وكانّ هذا هو الصحيح فانّ الفقيه كان حينئذ ماسورًا وهولآء التجار اخبروا انّهم كانوا بهمذان ووصل خوارزم شاه ثمّ وصل بعده من اخبره بوصول التتر ففارق همذان وكذلك ايضًا هولآء التجار فارقوها ووصل التتر اليها بعدهم ببعض نهار فهم يُخبرون عن مشاهدة ولمّا وصل خوارزم شاه الى هذه القلعة المذكورة توفّى فيها ❁

ذكر صفة خوارزم شاه وشىٔ من سيرته

هو علآء الدين محمّد بن علآء الدين تكش وكان مدّة مُلكه احدًا وعشرين سنة وشهورًا تقريبًا واتّسع مُلكه وعظم محلّه واطاعه العالم باسره ولم يملك بعد السلجوقيّة احد مثل ملكه فانّه ملك من حدّ العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وفعل بالخطا الافاعيل العظيمة وملك بلادهم وكان فاضلًا عالمًا بالفقه والاصول وغيرهما وكان مكرمًا للعلمآء محبًّا لهم محسنًا اليهم يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه وكان صبورًا على التعب وادمان السير غير متنعّم ولا مُقبل على اللذات انّما همّه فى الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان مُعظّمًا لاهل الدين مُقبلًا عليهم متبرّكًا بهم ۰ حكى لى بعض خدم حجرة النبىّ صلّعم وقد عاد من خراسان قال وصلتُ الى خوارزم فنزلتُ ودخلتُ الحمام ثمّ قصدتُ باب السلطان علآء الدين فحين حضرتُ لقينى انسان فقال ما حاجتك فقلتُ له انا من خدم حجرة النبىّ صلّعم فامرنى بالجلوس فانصرف عنّى ثمّ عاد الىّ واخذنى وادخلنى الى دار السلطان فسلّمنى منه حاجبٌ

من حجّاب السلطان وقال لى قد اعلمتُ السلطان خبرك فامر باحضارك عنده فدخلتُ اليه وهو جالسٌ فى صدر ايوان كبير نحن توسّطتُ صحن الدار قام قايمًا ومشى الى بين يدىّ فاسرعتُ السير فلقيته فى وسط الايوان فاردتُ ان اقبّل يده فنعنى واعتنقنى وجلس واجلسنى الى جانبه وقال لى انت تخدم حجرة النبىّ صلّعم فقلتُ نعم فاخذ يدى وامرّها على وجهه وسالنى عن حالنا وعيشنا وصفة المدينة ومقدارها واطال الحديث معى فلمّا خرجتُ من عنده قال لو لا اننا على عزم السفر هذه الساعة لما ودّعناك انّما نريد نعبر جيحون الى الخطا وهذا طريق مبارك حيث راينا من خدم حجرة النبىّ صلّعم ثمّ ودّعنى وارسل الىّ جملة كثيرة من النفقة ومضى وكان منه ومن الخطا ما ذكرناه وبالجملة فاجتمع فيه ما نعرف فى غيره من ملوك العالم رحمه الله ولو اردنا ذكر مناقبه لطال ✿

ذكر استيلاء التتر المغرّبة على مازندران

لمّا ايس التتر المغرّبة من ادراك خوارزم شاه فعادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها فى اسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانّها لم تزل ممتنعة قديم الزمان وحديثه حتّى انّ المسلمين لمّا ملكوا بلاد الاكاسرة جميعها من العراق الى اقاصى خراسان بقيت اعمال مازندران يوخذ منهم الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى ان مُلكت ايّام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهولآء الملاعين ملكوها صفوًا عفوًا لامر يريده الله تعالى ولمّا ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبّوا ونهبوا واحرقوا البلاد ولمّا فرغوا من مازندران سلكوا نحو الرىّ فراوا فى الطريق والدة خوارزم شاه ونساءه واموالهم وذخايرهم التى لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك انّ والدة خوارزم شاه لمّا سمعت بما جرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت نحو الرىّ لتتصل الى اصفهان وهمدان وبلد الجبل تمتنع فيها فصادفوها فى الطريق فاخذوها وما معها قبل وصولها الى الرىّ فكان فيه ما ملأ عيونهم وقلوبهم وما لم يشاهد الناس مثله من كلّ غريب من المتاع ونفيس من الجوهر وغير ذلك وسيّروا الجميع الى جنكزخان بسمرقند ✿

ذكر وصول التتر الى الرىّ وهمذان

فى سنة سبع عشرة وستّمائة وصل التتر لعنهم الله الى الرىّ فى طلب خوارزم شاه محمّد لانّهم بلغهم انّه مضى منهزمًا منهم نحو الرىّ فجدّوا السير فى اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفّار وكذلك ايضًا من المفسدين من يريد النهب والشرّ فوصلوا الى الرىّ على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الّا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقّوا الاطفال وفعلوا الافعال التى لم يُسمع بمثلها ولم يقيموا ومضوا مسرعين فى طلب خوارزم شاه فنهبوا فى طريقهم كلّ مدينة وقرية مرّوا عليها وفعلوا فى الجميع اضعاف ما فعلوا فى الرىّ واحرقوا وخرّبوا ووضعوا السيف فى الرجال والنسآء والاطفال فلم يبقوا على شىّ وتمّوا على حالهم الى همذان وكان خوارزم شاه قد وصل اليها فى نفر من اصحابه ففارقها وكان اخر العهد به فلا يُدرى ما كان منه فيما حكاه بعضهم عنه وقيل غير ذلك وقد ذكرناه فلمّا قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدوابّ وغير ذلك يطلب الامان لاهل البلد فامّنوهم ثمّ فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف ذلك ثمّ وصلوا الى قزوين فاعتصم اهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدّوا فى قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد فى باطنه حتّى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقُتل من الفريقين ما لا يُحصى ثمّ فارقوا قزوين فعُدّ القتلى من اهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل *

ذكر وصول التتر الى اذربيجان

لمّا هجم الشتآء على التتر فى همذان وبلد الجبل راوا بردًا شديدًا وثلجًا متراكمًا فساروا الى اذربيجان ففعلوا فى طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدّم منهم وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج اليهم ولا حدّث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلًا ونهارًا لا يفيق وانّما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودوابّ وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يريدون ساحل البحر لانّه يكون قليل البرد ليشتّوا عليه والمراعى به كثيرة لاجل دوابّهم فوصلوا الى موقان وتطرّقوا

فی طریقهم الی بلاد الکُرج فجآء الیهم من الکُرج جمع کثیر من العسکر نحو عشرة الاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الکرج وقُتل اکثرهم وارسل الکرج الی اوزبك صاحب اذربیجان یطلبون منه الصلح والاتّفاق معهم علی دفع التتر فاصطلحوا لیجتمعوا اذا انحسر الشتآء وکذلك ارسلوا الی الملك الاشرف بن الملك العادل صاحب خلاط ودیار الجزیرة یطلبون منه الموافقة علیهم وظنّوا جمیعهم انّ التتر یصبرون فی الشتآء الی الربیع فلم یفعلوا کذلك بل تحرّکوا وساروا نحو بلاد الکرج وانضاف الیهم مملوك ترکیّ من ممالیك اوزبك اسمه اقوش وجمع اهل تلك الجبال والصحرآء من الترکمان والاکراد وغیرهم فاجتمع معه خلق کثیر وراسل التتر فی الانضمام الیهم فاجابوه الی ذلك ومالوا الیه للجنسیّة فاجتمعوا وساروا فی مقدّمة التتر الی الکرج فملکوا حصنًا من حصونهم وخرّبوه ونهبوا البلاد وخرّبوها وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم حتّی وصلوا الی قرب تفلیس فاجتمعت الکرج وخرجت بحدّها وحدیدها الیهم فلقیهم اقوش اوّلًا فیمن اجتمع الیه فاقتتلوا قتالًا شدیدًا صبروا فیه کلّهم فقُتل من اصحاب اقوش خلق کثیر وادرکهم التتر وقد تعب الکرج من القتال وقُتل منهم ایضًا کثیر فلم یثبتوا للتتر وانهزموا اقبح هزیمة ورکبهم السیف من کلّ جانب فقُتل منهم ما لا یُحصی کثرة وکانت الوقعة فی ذی القعدة من هذه السنة ونهبوا من البلاد ما کان سلم منهم ولقد جری لهولآء التتر ما لم یُسمع بمثله من قدیم الزمان وحدیثه طائفة تخرج من حدود الصین لا تنقضی علیهم سنة حتّی یصل بعضهم الی بلاد ارمینیّة من هذه الناحیة ویجاوزون العراق من ناحیة همدان وتالله لا اشكّ انّ من یجیٔ بعدنا اذا بَعُد العهد ویری هذه الحادثة مسطورة یُنکرها ویستبعدها والحقّ بیده فمتی استبعد ذلك فلینظر انّنا سطّرنا نحن وکلّ من جمع التاریخ فی زماننا هذه فی وقت کلّ من فیه یعلم هذه الحادثة استوی فی معرفتها العالم والجاهل لشهرتها یسّر الله للمسلمین والاسلام من یحفظهم ویحوطهم فلقد دُفعوا من العدوّ الی عظیم ومن الملوك المسلمین الی من لا تتعدّی همّته بطنه وفرجه ولم ینل المسلمین اذی وشدّة مُذ جآء النبیّ صلّعم الی هذا الوقت مثل ما دُفعوا الیه الأن هذا العدوّ الکافر التتر قد وطیوا بلاد ما ورآء

النهر وملكوها وخرّبوها وناهيك به [سعة][1] بلاد وتعدى هذه الطايفه منهم النهر الى خراسان ملكوها وفعلوا مثل ذلك ثمّ انّ الرىّ وبلد الجبل واذربيجان وقد اتّصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدوّ الاخر الفرنج قد ظهر من بلادهم فى اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا مثل دمياط واقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقى ديار مصر على خطّة فانّا لله وانّا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة الّا بالله العلى العظيم ، ومن اعظم الامور على المسلمين انّ سلطانهم خوارزم شاه محمّدًا قد عُدم لا يعرف حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همدان وأُخفى موته وتارة دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك وأُخفى موته لئلّا يقصدها التتر فى اثره وتارة يقال عاد الى طبرستان وركب البحر فتوفّى فى جزيرة هناك وبالجملة فقد عُدم ثمّ صحّ موته بحر طبرستان وهذا عظيم مثل خراسان وعراق العجم اصبح سايبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدوّ يجوس البلاد ياخذ ما اراد ويترك ما اراد على انّهم لم يبقوا على مدينه الّا خرّبوا كلّ ما مرّوا عليه واحرقوه ونهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسيم تلالًا ويلقون فيه النار وكذلك غيره من الامتعه ۞

ذكر مُلك التتر مراغة

فى صفر سنة ثمان عشرة وستّمايةٌ ملك التتر مدينة مراغة من اذربيجان وسبب ذلك انّنا ذكرنا سنة سبع عشرة وستّمايه ما فعله التتر بالكُرج وانقضت تلك السنه وهم فى بلاد الكرج فلمّا دخلت سنة ثمان عشرة وستّمايةٌ ساروا من ناحية الكرج لانّهم راوا انّ بين ايديهم شوكة قوية ومضايق يحتاج الى قتال وصداع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا مدينةً وراوا عندها امتناعًا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودوابّ فساروا عنه الى مدينة مراغه فحصروها وليس بها صاحبٌ يمنعها لانّ صاحبها كانت امراة وهى مقيمة بقلعة روبندز[2] وقد قال النبىّ صلّعم لن يُفلح قوم ولّوا امرهم امراة فلمّا

[1]) C. P. روىدر

حصروها قاتلهم اهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها وكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدّموا مَن معهم من اسارى المسلمين بين ايديهم يزحفون ويُقاتلون فان عادوا قتلوهم فكانوا يقاتلون كرهًا وهم المساكين كما قيل كالاشقر ان تقدّم يُنحر وان تاخّر يُعقر وكانوا هم يقاتلون ورآء المسلمين فيكون القتل في المسلمين الاسارى وهم ينجون منه فاقاموا عليها عدّة ايّام ثمّ ملكوا المدينة عنوةً وقهرًا رابع صفر ووضعوا السيف في اهلها فقُتل منهم ما يخرج عن الحدّ والاحصآء ونهبوا كلّ ما صلح لهم وما لا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس منهم فكانوا ياخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب انّ التتر قد رحلوا فاذا نادى اولئك خرج مَن اختفى فيوخذ ويُقتل وبلغني انّ امرأة من التتر دخلت دارًا وقتلت جماعة من اهلها وهم يظنّونها رجلًا فوضعت السلاح واذا هي امراة فقتلها رجل اخذته اسيرًا وسمعتُ من بعض اهلها انّ رجلًا من التتر دخل دربًا فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحدًا واحدًا حتّى افناهم ولم يمدّ احدٌ يده اليه بسوء ووضعت الذلّة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلًا ولا كثيرًا نعوذ بالله من الخذلان ثمّ رحلوا عنها نحو مدينة اربل ووصل الخبر الينا بذلك بالموصل فخفنا حتّى انّ بعض الناس همّ بالجلاء خوفًا من السيف وجآءت كتب مظفّر الدين صاحب اربل الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسيّر جمعًا صالحًا من عسكره واراد ان يمضي الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلّا يجوزها احدٌ فانّها جميعها جبال وعرةٌ ومضايقه لا يقدر يجوزها الّا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة ورسله الى الموصل والى مظفّر الدين يامر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانّهم ربّما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفّر الدين من اربل في صفر وسار اليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوّعة كثيرٌ وارسل الخليفة ايضًا الى الملك الاشرف يامره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتّفق انّ الملك المعظّم بن الملك العادل وصل من دمشق الى اخيه الاشرف وهو بحرّان يستنجده على

الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلّهم الى مصر ليستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الى الخليفة باخيه وقوّة الفرنج وان لم يتداركها والّا خرجت هي وغيرها وشرع يتجهّز للمسير الى الشام ليدخل مصر وكان ما ذكرناه من استنقاذ دمياط ۔ فلمّا اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سيّر الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو اكبر امير بالعراق ومعه غيره من الامرآء في نحو ثمان مائة فارس فاجتمعوا هناك ليتّصل بهم باقي عسكر الخليفة وكان المقدّم على الجميع مظفّر الدين فلمّا راى قلّة العسكر لم يقدم على قصد التتر وحكى مظفّر الدين قال لمّا ارسل اليّ الخليفة في معنى قصد التتر قلتُ له انّ العدوّ قويّ وليس لي من العسكر ما القاه فان اجتمع مع عشرة الاف فارس استنقذتُ ما اخذت من البلاد فامرني بالمسير ووعدني بوصول العسكر فلمّا سرتُ لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثمان مائة طواشي فاقمتُ وما رايتُ المخاطرة بنفسي وبالمسلمين ۔ ولمّا سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنًّا منهم انّ العسكر يتبعهم فلمّا لم يروا احدًا يطلبهم اقاموا واقام العسكر الاسلاميّ عند دقوقا فلمّا لم يروا العدوّ يقصدهم ولا المدد ياتيهم تفرّقوا وعادوا الى بلادهم ۞

ذكر ملك التتر همذان وقتل اهلها

لمّا تفرّق العسكر الاسلاميّ عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة يحكم فيها فارسلوا اليه يامرونه ليطلب من اهلها مالاً وثيابًا وكانوا قد استنفذوا اموالهم في طول المدّة وكان رئيس همذان شريفًا علويًا وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذي يسعى في امور اهل البلد مع التتر ويوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلمّا طلبوا الأن منهم المال لم يجد اهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيهٌ قد قام في اجتماع الكلمة على الكفّار قيامًا مرضيًا فقالوا لهما هؤلآء الكفّار قد افنوا اموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من اخذهم اموالنا وما يفعله النايب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمدان شحنة لهم يحكم في اهلها بما يختاره فقال الشريف اذا كنّا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الّا مصانعتهم

بالاموال فقالوا له انت اشدّ علينا من الكفّار واغلظوا له في القول
فقال انا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فاشار الفقيه باخراج شحنة التتر
من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامّة على الشحنة فقتلوه
وامتنعوا في البلد ، فتقدّم التتر اليهم وحصروهم وكانت الاقوات متعذّره في
تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل اهلها وجلا من سلم منهم فلا يقدر
احدٌ على الطعام الّا قليلًا وامّا التتر فلا يُبالون لعدم الاقوات لانّهم لا
ياكلون الّا اللحم ولا تاكل دوابّهم الّا نبات الارض حتّى انّها تحفر بحوافرها
الارض عن عروق النبات فتاكلها فلمّا حصروا همدان قاتلهم اهلها والرئيس
والفقيه في اوايلهم فقُتل من التتر خلق كثير وجُرح الفقيه عدّة جراحات
وافترقوا ثمّ خرجوا من الغد فاقتتلوا اشدّ من القتال الاوّل وقُتل ايضًا
من التتر اكثر من اليوم الاوّل وجُرح الفقيه ايضًا عدّة جراحات وهو
صابر وارادوا ايضًا الخروج اليوم الثالث فلم يُطق الفقيه الركوب وطلب
الناس الرئيس العلويّ فلم يجدوه كان قد هرب في سرب صنعه الى ظاهر
البلد هو واهله الى قلعة هناك على جبل عالٍ فامتنع فيها فلمّا فقده
الناس بقوا حيارَى لا يدرون ما يصنعون الّا انّهم اجتمعت كلمتهم على
القتال الى ان يموتوا فاقاموا في البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد
عزموا على الرحيل لكثرة مَن قُتل منهم فلمّا لم يروا احدًا خرج اليهم
من البلد طمعوا واستدلّوا على ضعف اهله فقصدوهم وقاتلوهم في رجب من
سنة ثمان عشرة وستّمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس في الدروب
فبطل السلاح للزحمة واقتتلوا بالسكاكين فقُتل من الفريقين ما لا يحصيه
الّا الله تعالى وقوى التتر على المسلمين فافنوهم قتلًا ولم يسلم الّا مَن كان
عمل له نفقًا يختفى فيه وبقى القتل في المسلمين عدّة ايّام ثمّ القوا
النار في البلد فاحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل ، وقيل كان السبب
في مُلكها انّ اهل البلد لمّا شكوا الى الرئيس الشريف ما يفعل بهم
الكفّار اشار عليهم بمكاتبة الخليفة لينفذ اليهم عسكرًا مع امير يجمع كلمتهم
فاتّفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهى اليه ما هم عليه من الخوف
والذلّ وما يركبهم به العدوّ من الصغار والخزى ويطلب نجدة ولو الف

فارس مع امير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلمّا سار العضّاد بالكتب ارسل بعض مَن علم بالحال الى التتر يُعلمهم ذلك فارسلوا الى الطريق فاخذوهم واخذوا الكتب منهم وارسلوا الى الرئيس ينكرون عليه الحال فجحد فارسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط فى ايديهم وتقدّم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى فى القتال كما ذكرنا ❊

ذكر مسير التتر الى اذربيجان ومُلكهم اردويل وغيرها

لمّا فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها واكثروا وخربوا اكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بامرها شمس الدين الطغرائىّ وجمع كلمة اهلها وقد فارقها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان اميرًا متخلّفًا لا يزال منهمكًا فى الخمر ليلًا ونهارًا يبقى الشهر والشهرين لا يظهر واذا سمع صيحة طار مجفلًا لها وله جميع اذربيجان وارّان وهو اعجز خلق الله عن البلاد من عدوّ يريدها ويقصدها فلمّا سمع مسير التتر من همذان فارق هو تبريز وقصد نقجوان وسيّر اهله ونسآه الى خُوَىّ ليبعد عنهم فقام هذا الطغرائىّ بامر البلد وجمع الكلمة وقوّى نفوس الناس على الامتناع وحذّرهم عاقبة التخاذل والتوانى وحصّن البلد بجهده وطاقته فلمّا قاربه التتر وسمعوا بما اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانّهم قد حصّنوا المدينة واصلحوا اسوارها وخنادقها ارسلوا يطلبون منهم مالاً وثيابًا فاستقرّ الامر بينهم على قدْر معلوم من ذلك فسيّروه اليهم فاخذوه ورحلوا الى مدينة سَرَاوْ فنهبوها وقتلوا كلّ مَن فيها ورحلوا منها الى بَيْلَقان من بلاد ارّان فنهبوا كلّ ما مرّوا به من البلاد والقرى وخرّبوا وقتلوا مَن ظفروا به من اهلها فلمّا وصلوا الى بَيْلَقان حصروها فاستدعى اهلها منهم رسولاً يقرّرون معهم الصلح فارسلوا اليهم رسولًا من اكابرهم ومقدّميهم فقتله اهل البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثمّ انّهم ملكوا البلد عنوةً فى شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امراة حتّى انّهم يشقّون بطون الحبالى ويقتلون الاجنّة وكانوا يفجرون بالمراة ثمّ يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدًا بعد واحد حتّى يفرغ من الجميع لا يمدّ احد منهم اليه يدًا ، فلمّا فرغوا منها استقصوا ما حولها

من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي امّ بلاد ارّان فعلموا بكثرة اهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فارسلوا الى اهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم ❁

ذكر وصول التتر [الى] بلاد الكُرج

لمّا فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان وارّان بعضه بالملك وبعضه بالصلح ساروا الى بلاد الكُرج من هذه الاعمال ايضًا وكان الكرج قد اعدّوا لهم واستعدّوا وسيّروا جيشًا كثيرًا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولّوا منهزمين فاخذهم السيف فلم يسلم منهم الّا الشريد ولقد بلغني انّهم قتل منهم نحو ثلاثين الفًا ونهبوا ما وصلوا من بلادهم وخرّبوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلمّا وصل[1] المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمعوا جموعًا اخرى وسيّرهم الى التتر ايضًا ليمنعوهم من توسّط بلادهم فراوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلمّا راوا فعلهم عادوا الى تفليس فاخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما ارادوا من النهب والقتل والتخريب وراوا بلادًا كثيرة المضايق والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا عنها وداخل الكرج منهم خوفٌ عظيم حتّى سمعتُ عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولًا انّه قال من حدّثكم انّ التتر انهزموا وأُسروا فلا تصدّقوه واذا حُدّثتم انّهم قُتلوا فصدّقوا فانّ القوم لا يفرّون ابدًا ولقد اخذنا اسيرًا منهم فالقى نفسه من الدابّة وضرب راسه بالحجر الى ان مات ولم يسلّم نفسه للاسر ❁

ذكر وصولهم الى دربند شروان[2] وما فعلوه

لمّا عاد التتر من بلد الكرج قصدوا دربند شروان[2] فحصروا مدينة شماخي[3] وقاتلوا اهلها فصبروا على الحصر ثمّ انّ التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرًا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم وممّن قتل من غيرهم والقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التلّ وصعدوا عليه فاشرفوا على المدينة وقاتلوا اهلها فصبروا واشتدّ القتال ثلاثة ايّام فاشرفوا على ان يوخذوا فقالوا السيف لا بدّ منه فالصبر

1) [illegible] 2) شوران 3) سماحى

اولى بما نموت كرامًا   فصبروا تلك الليلة فاتتن تلك الجيف وانهدمت فلم يبق للتتر على السور استعلآء ولا تسلّطٌ على الحرب فعاودوا الزحف وملازمة القتال فضجر اهلها ومسّهم التعب والكلال والاعيآء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه كثيرًا ونهبوا الاموال فامتاحوها فلمّا فرغوا منه ارادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فارسلوا رسولاً الى شروان [شاه][1] ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولاً يسعى بينهم فى الصلح فارسل عشرة رجال من اعيان اصحابه فاخذوا احدهم فقتلوه ثمّ قالوا للباقين ان انتم عرّفتمونا طريقًا نعبر فيه فلكم الامان وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا   فقالوا لهم انّ هذا الدربند ليس فيه طريق البتّة ولكن فيه موضع هو اسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلّفوه ورآء ظهورهم ۞

ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق

لمّا عبر التتر دربند شروان[2] ساروا فى تلك الاعمال وفيها اممٌ كثيرة منهم اللان واللكز وطوايف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرًا وهم مسلمون وكفّار واوقعوا بمن عداهم من اهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم امم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدّوا وجمعوا عندهم جمعًا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطايفتين بالاخرى فارسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهولآء اللان ليسوا منكم حتّى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم انّنا لا نعترض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم   فاستقرّ الامرّ بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقرّ وفارقهم قفجاق فاوقع التتر باللان فقتلوا منهم واكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم امنون متفرّقون لما استقرّ بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم الّا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فاوقعوا بهم الاوّل فالاوّل واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففرّوا من غير قتال وابعدوا فبعضهم اعتصم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحق ببلاد

[1]) *J. As.* 1849 II, 454.   [2]) شوران

الروس   واقام التتر فى بلاد قفجاق وهى ارض كثيرة المراعى فى الشتآء والصيف وفيها اماكن باردة فى الصيف كثيرة المرعى واماكن حارّة فى الشتآء كثيرة المرعى وهى غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهى مدينة قفجاق التى منها مادّتهم فانّها على بحر خزرية والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتبيع عليهم الجوارى والمماليك والبُرطاسى والقندر والسنجاب وغير ذلك ممّا هو فى بلادهم وهذا بحر خزرية هو بحر متّصل بخليج القسطنطينيّة ولمّا وصل التتر الى سوداق ملكوها وتفرّق اهلها منها فبعضهم صعد الجبال باهله وماله وبعضهم ركب البحر وسار الى بلاد الروم التى بيد المسلمين من اولاد قلج ارسلان ☆

ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس

لمّا استولى التتر على ارض قفجاق وتفرّق قفجاق كما ذكرنا سار طايفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهى بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم واهلها يدينون بالنصرانيّة فلمّا وصلوا اليهم اجتمعوا كلّهم واتّفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم واقام التتر بارض قفجاق مدّة ثمّ انّهم ساروا سنة عشرين وستّمائة الى بلاد الروس فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا مستعدّين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا الى بلادهم ليمنعوهم عنها فبلغ مسيرهم الى التتر فعادوا على اعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنّوا انّهم عادوا خوفًا منهم وعجزًا عن قتالهم فجدّوا فى اتباعهم ولم يزل التتر راجعين واوليك يقفون اثرهم اثنى عشر يومًا ثمّ انّ التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الّا وقد لقوهم على غرّة منهم لانّهم كانوا قد امنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الّا وقد بلغ التتر منهم مبلغًا عظيمًا فصبر الطايفتان صبرًا لم يُسمع بمثله ودام القتال بينهم عدّة ايّام ثمّ انّ التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد ان اثخن فيهم التتر وكثر القتل فى المنهزمين فلم يسلم منهم الّا القليل ونُهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على اقبح صورة لبُعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتّى خلا اكثرها فاجتمع كثير من اعيان تجار الروس واغنيآيهم وحملوا ما يعزّ عليهم وساروا يقطعون

البحر الى بلاد الاسلام فى عدّة مراكب فلمّا قاربوا المرسى الذى يريدونه انكسر مركب من مراكبهم فغرق الّا انّ الناس نجوا وكانت العادة جارية انّ السلطان له مركب ينكسر فاخذ من ذلك شيئاً كثيراً وسلم باقى المراكب واخبر من بها بهذه الحال ✿

ذكر عود التتر من بلاد الروس وقفجاق الى ملكهم

لمّا فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار اواخر سنة عشرين وستّمائة فلمّا سمع اهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم فى عدّة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجرّوهم الى ان جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم فبقوا فى الوسط واخذهم السيف من كلّ ناحية فقُتل اكثرهم ولم ينج منهم الّا القليل قيل كانوا نحو اربعة الاف رجل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم جنكزخان وخلت ارض قفجاق منهم فعاد من سلم منهم الى بلادهم وكان الطريق منقطعًا مذ دخلها التتر فلم يصل منهم شئ من البرطاسى والسنجاب والقندر وغيرها ممّا يُحمل من تلك البلاد فلمّا فارقوها عادوا الى بلادهم واتّصلت الطريق وحملت الامتعة كما كانت ۶ هذا اخبار التتر المغربة قد ذكرناها سياقة واحدة لئلّا تنقطع ✿

ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارى وسمرقند

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التى سيّرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزم شاه وامّا جنكزخان فانّه بعد ان سيّر هذه الطايفة الى خوارزم شاه وبعد انهزام خوارزم شاه من خراسان قسم اصحابه عدّة اقسام فسيّر قسمًا منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسيّر قسمًا اخر منها الى ترمذ وسيّر قسمًا منها الى كلالة وهى قلعة حصينة على جانب جيحون من احصن القلاع وامنع الحصون فسار كلّ طايفة الى الجهة التى أُمرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبى والنهب والتخريب وانواع الفساد مثل ما فعل اصحابهم فلمّا فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهّز جيشًا عظيمًا مع احد اولاده وسيّرهم الى خوارزم وسيّر جيشًا اخر فعبروا جيحون الى خراسان ✿

ذكر ملك التتر خراسان

لمّا سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب اهلها الامان فامّنوهم فسلّم البلد سنة سبع عشرة وستّمائة ولم يتعرّضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند[1] واندخوى وفاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه وُلاةً ولم يتعرّضوا الى اهلها بسوء ولا اذى سوى انّهم كانوا ياخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتّى وصلوا الى الطالقان وهي ولاية تشتمل على عدّة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصوركوه لا تُرام علوًّا وارتفاعًا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروه مدّة ستّة اسهر يقاتلون اهلها ليلًا ونهارًا ولا يظفرون منها بشيءٍ فارسلوا الى جنكزخان يعرّفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة مَن فيها من المقاتلة ولامتناعتها بحصانتها فسار بنفسه ومن عنده من جموعه اليهم وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين اسرى فامرهم بمباشرة القتال والّا قتلهم فقاتلوا معه واقام عليها اربعة اشهر اخرى فقُتل من التتر عليها خلق كثير فلمّا راى ملكهم ذلك امر ان يجمع له من الحطب والاخشاب ما امكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفًّا من خشب وفوقه صفًّا من تراب فلم يزالوا كذلك حتّى صار تلًّا عاليًا يوازي القلعة فاجتمع مَن بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيّالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب وامّا الرجّالة فقُتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النسآء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثمّ انّ جنكزخان جمع اهل البلاد التي اعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيّرهم مع بعض اولاده الى مدينة مرو فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممّن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتَيْ الف رجل وهم معسكرون بظاهر مرو وهم عازمون على لقآء التتر ويحدّثون نفوسهم بالغلبة لهم والاستيلآء عليهم فلمّا وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا فصبر المسلمون وامّا التتر فلا يعرفون الهزيمة حتّى انّ بعضهم أُسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل انّ التتر يقتلون فصدّقوا وان قيل انّهم

---

1) وميمنة

بنهرمون فلا تصدّقوا، فلمّا راى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولّوا منهزمين فقتل التتر منهم واسروا الكثير ولم يسلم الّا القليل ونُهبت اموالهم وسلاحهم ودوابّهم وارسل التتر الى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلمّا اجتمع لهم ما ارادوا تقدّموا الى مرو وحصروها وجدّوا فى حصرها ولازموا القتال وكان اهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلمّا كان اليوم الخامس من نزولهم ارسل التتر الى الامير الذى بها متقدّمًا على مَن فيها يقولون له لا تُهلك نفسك واهل البلد واخرج الينا فنحن نجعلك امير هذه البلدة ونرحل عنك فارسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فامّنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له اريد ان تعرض على اصحابك حتّى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه واعطيناه اقطاعًا ويكون معنا فلمّا حضروا عنده وتمكّن منهم قبض عليهم وعلى اميرهم وكتفوهم فلمّا فرغ منهم قال لهم اكتبوا الىّ تجار البلد ورؤساه وارباب الاموال فى جريدة واكتبوا الىّ ارباب الصناعات والحرف فى نسخة اخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما امرهم فلمّا وقف على النسخ امر ان يخرج اهل البلد منه باهليهم فخرجوا كلّهم ولم يبق فيه احد فجلس على كرسى من ذهب وامر ان يحضر اوليك الاجناد الذين قبض عليهم فأُحضروا وضُربت رقابهم صبرًا والناس ينظرون اليهم ويبكون وامّا العامّة فانّهم قسموا الرجال والنسآء والاطفال والاموال فكان يومًا مشهودًا من كثرة الصراخ والبكآء والعويل واخذوا ارباب الاموال فضربوهم وعذّبوهم بانواع العقوبات فى طلب الاموال فربّما مات احدهم من شدّة الضرب ولم يكن بقى له ما يفتدى به نفسه ثمّ انّهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر ونبشوا القبر طلبًا للمال فبقوا كذلك ثلاثة ايّام فلمّا كان اليوم الرابع امر بقتل اهل البلد كافّة وقال هولآء عصوا علينا فقتلوهم اجمعين وامر باحصآء القتلى فكانوا نحو سبعمايّة الف قتيل فانّا لله وانّا اليه راجعون ممّا جرى على المسلمين ذلك اليوم ثمّ ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة ايّام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامىّ فلم يكن لهم بالتتر قوّة فملكوا المدينة واخرجوا اهلها الى الصحرآء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتّهموه بمال كما فعلوا

مرو واقاموا خمسة عشر يومًا يخرّبون ويفتّشون المنازل عن الاموال وكانوا
لمّا قتلوا اهل مرو قيل لهم انّ قتلاهم سلم منهم كثير ونجوا الى بلاد
الاسلام فامروا باهل نيسابور ان تقطع روسهم لئلّا يسلم من القتل احد
فلمّا فرغوا من ذلك وسيّروا طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك ايضًا
وخرّبوها وخرّبوا المشهد الذى فيه علىّ بن موسى الرضى والرشيد حتّى
جعلوا الجميع خرابًا ۰ ثمّ ساروا الى هراة وهى من احصن البلاد فحصروها
عشرة ايّام فملكوها وامّنوا اهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عند من سلم
منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين ابن خوارزم شاه فقاتلهم
وهزمهم على ما نذكره ان شآء الله فوثب اهل هراة على الشحنة فقتلوه
فلمّا عاد المنهزمون اليهم دخلوا البلد قهرًا وعنوةً وقتلوا كلّ من فيه
ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها واحرقوها
وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان يرسل السرايا الى جميع بلاد
خراسان ففعلوا بها كذلك ولم يسلم من شرّهم وفسادهم شئ من البلاد
وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشره ۞

ذكر مُلكهم خوارزم وتخريبها

واما الطائفة من الجيش التى سيّرها جنكزخان الى خوارزم فانّها
كانت اكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتّى وصلوا الى خوارزم
وفيها عسكر كبير واهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم اشدّ
قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة اشهر فقُتل من الفريقين خلق
كثير الّا انّ القتلى من التتر كانوا اكثر لانّ المسلمين كان يحميهم
السور فارسل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فامدّهم بخلق كثير
فلمّا وصلوا الى البلد زحفوا زحفًا متتابعًا فملكوا طرفًا منه فاجتمع اهل
البلد وقاتلوهم فى طرف الموضع الذى ملكوا فلم يقدروا على اخراجهم ولم
يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلّة بعد محلّة وكلّما ملكوا محلّة
قاتلهم المسلمون فى المحلّة التى تليهم فكان الرجال والنسآء والصبيان يقاتلون
فلم يزالوا كذلك حتّى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كلّ من فيه ونهبوا
كلّ ما فيه ثمّ انّهم فتحوا السكر الذى يمنع مآء جيحون عن البلد

فدخله الماء فغرق البلد جميعه وتهدّمت الابنية وبقى موضعه ماء ولم يسلم من اهله احدٌ البتّة فانّ غيره من البلاد قد كان يسلم بعض اهله منهم مَن يختفى ومنهم مَن يهرب ومنهم مَن يخرج ثمّ يسلم ومنهم مَن يُلقى نفسه بين القتلى فينجون واماّ خوارزم فمن اختفى من التتر غرّقه الماء او قتله الهدم فاصبحت خرابًا ابابًا

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا انيسٌ ولم يسمر بمكّة سامرُ

وهذا لم نُسمع بمثله فى قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمّت هذه المصيبة الاسلام واهله فكم من قتيل من اهل خراسان وغيرها لانّ القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرًا مضى الجميع تحت السيف ولمّا فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان ۞

ذكر مُلك التتر غزنه وبلاد الغور

لمّا فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهّز جيشًا كثيفًا وسيّره [الى] غزنة وبها جلال الدين بن خوارزم شاه مالكًا لها وقد اجتمع اليه مَن سلم من عسكر ابيه قيل كانوا ستّين الفًا فلمّا وصلوا الى اعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع ابن خوارزم شاه الى موضع يقال له بلق[1] فالتقوا هناك واقتتلوا قتالًا شديدًا وبقوا كذلك ثلاثة ايّام ثمّ انزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان ، فلمّا سمع اهل هراة بذلك ثاروا بالوالى الذى عندهم للتتر فقتلوه فسيّر اليهم جنكزخان عسكرًا ملكوا البلد وخرّبوه كما ذكرناه ، فلمّا انهزم التتر ارسل جلال الدين رسولًا الى جنكزخان يقول له فى ايّ موضع تريد يكون الحرب حتّى نأتى اليه فجهّز جنكزخان عسكرًا كثيرًا اكثر من الاوّل مع بعض اولاده وسيّره اليه فوصل الى كابل فتوجّه العسكر الاسلاميّ اليهم وتصافّوا هناك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم الكفّار ثانيًا فقُتل كثير منهم وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيمًا وكان معهم من اسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلّصوهم ثمّ انّ المسلمين جرى بينهم فتنة لاجل الغنيمة وسبب ذلك انّ امرًا

1) 740: بلق C. P. et Ups.: بلف

منهم يقال له سيف الدين بُغراق اصله من الاتراك الخلج كان شجاعًا مقدامًا ذا رأى فى الحرب ومكيدة واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخّروا انتم فقد مُلِئْتم منهم رعبًا وهو الذى كسر التتر على الحقيقة ٭ وكان من المسلمين ايضًا امير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزم شاه نسب وهو صاحب هراة فاختلف هذان الاميران فى الغنيمة فاقتتلوا فقتل بينهم اخ لبغراق فقال بغراق انا اهزم الكفّار ويقتل اخى لاجل هذا السحت فغضب وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون الفًا كلّهم يريدونه فاستعطفه جلال الدين بكلّ طريق وسار بنفسه اليه وذكّره الجهاد وخوّفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم يرجع وسار مفارقًا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر انّ جنكزخان قد وصل فى جموعه وجيوشه فلمّا رأى جلال الدين ضعف المسلمين لاجل من فارقهم من العسكر ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكزخان يقصّ اثره مسرعًا فلم يتمكّن جلال الدين من العبور حتّى ادركه جنكزخان فى التتر فاضطرّ المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذّر العبور عليهم وكانوا فى ذلك كالاشقر ان تأخّر يقتل وان تقدّم نُعقر فتصافّوا واقتتلوا اشدّ قتال اعترفوا كلّهم انّ كلّ ما مضى من الحروب كان لعبًا بالنسبة الى هذا القتال فبقوا كذلك ثلاثة ايّام فقُتل الامير ملك خان المقدّم ذكره وخلق كثير وكان القتل فى الكفّار اكثر والجراح اعظم فرجع الكفّار عنهم فابعدوا ونزلوا فلمّا رأى المسلمون انّهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفًا بمن قُتل منهم وجُرح ولم يعلموا بما اصاب الكفّار من ذلك فارسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون ليقضى الله امرًا كان مفعولًا فلمّا كان الغد عاد الكفّار الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الماء الى جهة الهند وبُعدهم فلمّا وصلوا اليها ملكوها لوقتها لخلوّها من العساكر والحامى فقتلوا اهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبق احد وخرّبوها واحرقوها وفعلوا بسوادها كذلك ونهبوا وقتلوا واحرقوا فاصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الانيس خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس ٭

ذكر تسليم الاشرف خلاط الى اخيه شهاب الدين غازى

اواخر هذه السنة اقطع الملك الاشرف موسى بن العادل مدينة خلاط وجميع الاعمال ارمينية ومدينة ميّافارقين من ديار بكر ومدينة حانى اخاه شهاب الدين غازى بن العادل واخذ منه مدينة الرّها ومدينة سروج من بلاد الجزيرة وسيّره الى خلاط اوّل سنة ثمان عشرة وستّمائة وسبب ذلك انّ الكُرج لمّا قصد التتر بلادهم وهزموهم ونهبوها وقتلوا كثيرًا من اهلها ارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان واّران يطلبون منه المهادنة والموافقة على دفع التتر وارسلوا الى الملك الاشرف فى هذا المعنى وقالوا للجميع ان لم توافقونا على قتال هؤلآء القوم ودفعهم عن بلادنا وتحضرون بنفوسكم وعساكركم لهذا المهمّ والّا صالحناهم عليكم فوصلت رسلهم الى الاشرف وهو يتجهّز الى الديار المصريّة لاجل الفرنج وكانوا عنده اهمّ الوجوه لاسباب اوّلها انّ الفرنج كانوا قد ملكوا دمياط وقد اشرفت الديار المصريّة على ان تُملك فلو ملكوها لم يبق بالشام ولا غيره معهم ملك لاحد وثانيها انّ الفرنج اشدّ شكيمة وطالبوا مُلك فاذا ملكوا قرية لا يفارقونها الّا بعد ان يعجزوا عن حفظها يومًا واحدًا وثالثها انّ الفرنج قد طمعوا فى كرسي مملكة البيت العادلىّ وهى مصر والتتر لم يصلوا اليها ولم يجاوروا شيئًا من بلادهم وليسوا ايضًا ممّن يريد المنازعة فى الملك وما غرضهم الّا النهب والقتل وتخريب البلاد والانتقال من بلد الى اخر فلمّا اتاه رسل الكرج بما ذكرناه اجابهم يعتذر بالمسير الى مصر لدفع الفرنج ويقول لهم انّنى قد اقطعتُ ولاية خلاط لاخى وسيّرتُه اليها ليكون بالقرب منكم وتركتُ عنده العساكر فى احتجتم الى نصرته حضر لدفع التتر وسار هو الى مصر كما ذكرناه ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاخر ملك بدر الدين قلعة تلّ اعفر، وفيها فى جمادى الاولى ملك الاشرف مدينة سنجار، وفيها ايضًا وصل الموصل واقام بظاهرها ثمّ سار يريد اربل لقصد صاحبها فترددت الرسل بينهم فى الصلح فاصطلحوا فى شعبان وقد تقدّم هذا جميعه مفصّلًا سنة خمس عشرة وستّمائة، وفيها وصل التتر الرىّ فملكوها وقتلوا كلّ

مّن فيها ونهبوها وساروا عنها فوصلوا الى همذان فلقيهم رئيسها بالطاعة والحمل فابقوا على اهلها وساروا الى اذربيجان فخرّبوا وحرقوا البلاد وقتلوا وسبوا وعملوا ما لم يُسمع بمثله وقد تقدّم ايضًا مفصّلًا ، وفيها توفّى نصير الدين ناصر بن مهدى العلوىّ الذى كان وزيرَ الخليفة وصلّى عليه بجامع القصر وحضره ارباب الدولة ودُفن بالمشهد ، وفيها توفّى صدر الدين ابو الحسن محمّد بن حموية الجوينىّ شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان موته بالموصل وردها رسولًا وكان فقيهًا فاضلًا وصوفيًّا صالحًا من بيت كبير من خراسان رحمه الله كان نعم الرجل ، وفيها عاد جمع بنى معروف الى مواضعهم من البطيحة وكانوا قد ساروا الى الاجنا والقطيف فلم يمكنهم المقام لكثرة اعدآئهم فقصدوا شحنة البصرة وطلبوا منه ان يكاتب الديوان ببغداد بالرضى عنهم فكتب معهم بذلك وسيّرهم مع اصحابه الى بغداد فلمّا قاربوا واسط لقيهم قاصد من الديوان بقتلهم فقُتلوا ❊

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ،

سنة ٦١٨

ذكر وفاة قتادة امير مكّة ومُلك ابنه الحسن وقتل امير الحاجّ

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى قتادة بن ادريس العلوىّ ثمّ الحسنىّ امير مكّة حرسها الله وكان عمره نحو سبعين سنة وكانت ولايته قد اتّسعت من حدود اليمن الى مدينة النبىّ صلّعم وله قلعة ينبع بنواحى المدينة وكثر عسكره واستكثر من المماليك وخافه العرب فى تلك البلاد خوفًا عظيمًا وكان فى اوّل مُلكه لمّا ملك مكّة حرسها الله حسن السيرة ازال عنها العبيد المفسدين وحمى البلاد واحسن الى الحجّاج واكرمهم وبقى كذلك مدّة ثمّ انّه بعد ذلك اساء السيرة وجدّد المكوس بمكّة وفعل افعالًا شنيعة ونهب الحاجّ فى بعض السنين كما ذكرناه ، ولمّا مات ملك بعده ابنه الحسن وكان له ابن اخر اسمه راجح مقيم فى العرب بظاهر مكّة يفسد وينازع اخاه فى مُلكه فلمّا سار حاجّ العراق كان الامير عليهم مملوك من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه اقباش وكان حسن السيرة مع الحاجّ فى الطريق كثير الحماية فقصده راجح بن قتادة وبذل له وللخليفة مالًا ليساعده على مُلك مكّة فاجابه الى ذلك

ووصلوا الى مكّة ونزلوا بالزاهر وتقدّم الى مكّة مقاتلًا لصاحبها حسن وكان
حسن قد جمع جموعًا كثيرة من العرب وغيرها فخرج اليه من مكّة
وقاتله وتقدّم امير الحاجّ من بين يدى عسكره منفردًا وصعد الجبل ادلالًا
بنفسه وانّه لا يقدم احد عليه فاحاط به اصحاب حسن وقتلوه وعلقوا
راسه فانهزم عسكر امير المومنين واحاط اصحاب حسن بالحاجّ لينهبوهم فارسل
اليهم حسن عمامته امانًا للحجاج فعاد اصحابه ولم ينهبوا منهم شيئًا
وسكن الناس واذن لهم حسن فى دخول مكّة وفعل ما يريدونه من
الحجّ والبيع وغير ذلك واقاموا بمكّة عشرة ايّام وعادوا فوصلوا الى العراق
سالمين وعظم الامر على الخليفة فوصلت رسل حسن يعتذرون ويطلب العفو
عنه فاجيب الى ذلك ٭ وقيل فى موت قتادة انّ ابنه حسنًا خنقه فمات
وسبب ذلك انّ قتادة جمع جموعًا كثيرة وسار عن مكّة يريد المدينة
فنزل بوادى الفُرُع وهو مريض وسيّر اخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن
ابن قتادة فلمّا ابعدوا بلغ الحسن انّ عمّه قال لبعض الجند انّ اخى
مريض وهو ميّت لا محالة وطلب منهم ان يحلفوا له ليكون هو الامير
بعد اخيه قتادة فحضر الحسن عند عمه واجتمع اليه كثير من الاجناد
والمماليك الذين لابيه فقال الحسن لعمّه قد فعلت كذا وكذا فقال
لم [1] افعل فامر حسن الحاضرين بقتله فلم يفعلوا وقالوا انت امير وهذا
امير ولا نمدّ ايدينا الى احدكما فقال له غلامان لقتادة نحن عبيدك
فمرنا بما شئتَ فامرهما ان يجعلا عمامة عمّه فى عنقه ففعلا ثمّ قتله ٭
فسمع قتادة الخبر فبلغ منه الغيظ كلّ مبلغ وحلف ليقتلنّ ابنه وكان
على ما ذكرناه من المرض فكتب بعض اصحابه الى الحسن يُعرّفه الحال
ويقول له ابدا به قبل ان يقتلك فعاد الحسن الى مكّة فلمّا وصلها
قصد دار ابيه فى نفر يسير فوجد على باب الدار جمعًا كثيرًا فامرهم
بالانصراف الى منازلهم ففارقوا الدار وعادوا الى مساكنهم ودخل الحسن
الى ابيه فلمّا رآه ابوه شتمه وبالغ فى ذمّه وتهديده فوثب اليه الحسن
فخنقه لوقته وخرج الى الحرم الشريف واحضر الاشراف وقال انّ ابى قد

---

1) 740. Ups.. لا

اشتدّ مرضه وقد امرکم ان تخلعوا لی ان اکون انا امیرکم فخلعوا له ثمّ انّه اظهر تابوتًا ودفنه لیظنّ الناس انّه مات وکان قد دفنه سرًّا ٭ فلمّا استقرّت الامارة بمکّه له ارسل الی اخیه الذی بقلعة الینبع علی لسان ابیه یستدعیه وکتم موت ابیه عنه فلمّا حضر اخوه قتله ایضًا واستقرّ امره وثبتت قدمه وفعل بامیر الحاجّ ما تقدّم ذکره فارتکب عظیمة قتل اباه وعمّه واخاه فی ایّام یسیرة لا جرم لم یمهله الله سبحانه وتعالی نزع ملکه وجعله طریدًا شریدًا خائفًا یترقّب وقیل انّ قتادة کان یقول شعرًا فمن ذلک انّه طلب لیحضر عند امیر الحاجّ کما جرت عادة امرآء مکّة فامتنع فعوتب من بغداد فاجاب بابیات شعر منها

ولی کفّ ضرغام اذلّ ببطشها　　واشری بها بین الوری وابیعُ
تظلّ ملوك الارض تلثم ظهرها　　وفی وسطها للمجدبین ربیعُ
أأجعلها تحت الرحا ثمّ ابتغی　　خلاصًا لها انی اذًا لرقیعُ
وما انا الّا المسك فی کلّ بلدة　　تضوع وامّا عندکم فتضیعُ ٭

ذکر عدّة حوادث

فی هذه السنة استعاد المسلمون مدینة دمیاط بالدیار المصریّة من الفرنج وقد تقدّم ذکرها مشروحًا مفصّلًا ٭ وفیها فی صفر ملك التتر مراغة وخرّبوها واحرقوها وقتلوا اکثر اهلها ونهبوا اموالهم وسبوا حریمهم وسار التتر منها الی همذان وحصروها فقاتلهم اهلها وظفر بهم التتر وقتلوا منهم ما لا یُحصی ونهبوا البلد وساروا الی اذربیجان فعادوا النهب ونهبوا ما بقی من البلاد ولم ینهبوه اوّلًا ووصلوا الی بیلقان من بلاد اران فحصروها وملکوا وقتلوا اهلها حتّی کادوا یفنوهم وقُتل منهم کثیر ونُهبت اموالهم واکثر بلادهم وقصدوا دربند شروان فحصروا مدینة شماخی وملکوها وقتلوا کثیرًا من اهلها وساروا الی بلد اللان واللکز ومن عندهم من الامم فاوقعوا ورحلوا عن قفجاق واجلوهم عنها واستولوا علیها وساحوا فی تلك الارض حتّی وصلوا الی بلاد الروس وقد تقدّم ذکر جمیعه مُستقصًی وانّما اردناه هاهنا جملة لیعلم الذی کان فی هذه السنة من حوادثها ٭ وفیها توفّی صدیقنا امین الدین یاقوت الکاتب الموصلیّ ولم یکن فی زمانه من یکتب ما یُقاربه ولا من یودّی طریقة ابن البوّاب مثله وکان

فضايل جمّة من علم الادب وغيره وكان كثير الخمر نعم الرجل مشهورًا
فى الدنيا والناس متّفقون على الثناء الجميل عليه والمدح له ولهم فيه
اقوال كثيرة نظمًا ونثرًا فمن ذلك ما قاله نجيب الدين الحسين بن
علىّ الواسطىّ من قصيدة يمدحه بها

جامع شارد العلوم ولولا ... ه لكانت امّ الفضائل ثكلا
ذو يراع تخاف سطوته الاسد ... وتعنوا له الكتائب ذلّا
واذا افترّ ثغره عن سواد ... فى بياض فالبيض السّمر خجلا
انت بدرٌ والكاتب بن هلال ... كابيه لا فخر فيمن تولّا
ومنها ان تكن اوّلا فانك بالتفضيل ... اولى لقد سبقت وصّلا

وهى طويلة والكاتب بن هلال هو ابن البوّاب الذى هو اشهر من ان
يُعرف، وفيها توفّى جلال الدين الحسن وهو من اولاد الحسن بن
الصباح الذى تقدّم ذكره صاحب الموت وكرذكوه وهو مقدّم
الاسماعيليّة وقد ذكرنا انّه كان قد اظهر شريعة الاسلام من الاذان
والصلاة وولى بعده ابنه علاء الدين محمّد ❊

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستّمائة، سنة ٦١٩

ذكر خروج طايفة من قفجاق الى اذربيجان وما فعلوه بالكُرج وما كان منهم

لمّا استولى التتر على ارض قفجاق تفرّق قفجاق فطايفة قصدت
بلاد الروس وطايفة تفرّقت فى جبالهم واجتمع طايفة كثيرة منهم وساروا
الى دربند شروان وارسلوا الى صاحبه واسمه رشيد وقالوا له انّ التتر قد
ملكوا بلادنا ونهبوا اموالنا وقد قصدناك لنقيم فى بلادك ونحن مماليك
لك ونفتح البلاد لك وانت سلطاننا فمنعهم من ذلك وخافهم فاعادوا
الرسالة اليه انّنا نحن نرهن عندك اولادنا ونسآءنا على الطاعة والخدمة لك
والانقياد لحكمك فلم يجبهم الى ما طلبوا فسالوه ان يمكّنهم ليتردّدوا من
بلده تدخل عشرة عشرة فاذا اشتروا ما يحتاجوا اليه فارقوا بلاده فاجابهم
الى ذلك فصاروا يدخلون متفرّقين ويشترون ما يريدون ويخرجون ثمّ
انّ بعض كبرآيهم والمقدّمين منهم جآء الى رشيد وقال انّنى كنت فى

خدمة السلطان خوارزم شاه وانا مسلم والدين يحملنى على نصحك اعلم انّ قفجاق اعدآؤك ويريدون الغدر بك فلا تمكّنهم من المقام ببلادك فاعطنى عسكرًا حتّى اقاتلهم واخرجهم من البلاد ففعل ذلك وسلّم اليه طائفة من عسكره واعطاهم ما يحتاجون اليه من سلاح وغيره فساروا معه فاوقعوا بطائفة من قفجاق فقتل منهم جماعة ونهب منهم فلم يتحرّك قفجاق لقتال بل قالوا نحن مماليك الملك شروان شاه رشيد ولولا ذلك لقاتلنا عسكره فلمّا عاد ذلك المقدّم القفجاقىّ ومعه عسكر رشيد سالمين فرح بهم ثمّ انّ قفجاق فارقوا موضعهم فساروا ثلاثة ايّام فقال ذلك القفجاقىّ لرشيد اريد عسكرًا اتبعهم فامر له من العسكر بما اراد فسار يقفوا اثر القفجاق فاوقع باواخرهم وغنم منهم وقصده جمع كثير من قفجاق من الرجال والنسآء يبكون وقد جزّوا شعورهم ومعهم تابوت وهم محيطون به يبكون حوله وقالوا له انّ صديقك فلانًا قد مات وقد اوصى ان نحمله اليك فتدفنه اىّ موضع شئتَ ونكون نحن عندك فحمله معه والذين يبكون عليه ايضًا وعاد الى شروان شاه رشيد واعلمه انّ الميّت صديق له وقد حمله معه وقد طلب اهله ان يكونوا عنده فى خدمته فامر ان يدخلوا البلد وانزلهم فيه فكان اوليك الجماعة يسيرون مع ذلك المقدّم ويركبون بركوبه ويصعدون معه الى القلعة التى لرشيد ويقعدون عنده ويشربون معه هم ونساؤهم فاحبّ رشيد امراة ذلك الرجل الذى قيل له انّه ميّت ولم يكن مات وانّما فعلوا هكذا مكيدة حتّى دخلوا البلد والذى اظهروا موته معهم فى المجلس ولا يعرفه رشيد وهو من اكبر مقدّمى قفجاق فبقوا كذلك عدّة ايّام فكلّ يوم يجئ جماعة من قفجاق متفرّقين فاجتمع بالقلعة منهم جماعة وارادوا قبض رشيد وملك بلاده ففطن لذلك فخرج عن القلعة من باب السرّ وهرب ومضى الى شروان وملك قفجاق القلعة وقالوا لاهل البلد نحن خير لكم من رشيد واعادوا باقى اصحابهم اليهم واخذوا السلاح الذى فى البلد جميعه واستولوا على الاموال التى كانت لرشيد فى القلعة ورحلوا عن القلعة وقصدوا قبلة وهى للكرج فنزلوا عليها وحصروها ، فلمّا سمع رشيد بمفارقتهم القلعة رجع اليها

وملكها وقتل مَن بها من قفجاق ولم يشعر القفجاق الذين عند قبله بذلك فارسلوا طايفة منهم الى القلعة فعلمهم رشيد ايضًا فبلغ الخبر الى القفجاق فعادوا الى دربند فلم يكن لهم فى القلعة طمع ، وكان صاحب قبلة لمّا كانوا يحصرونه قد ارسل [اليهم وقال لهم انا ارسل][1] الى ملك الكرج حتّى يرسل اليكم الخلع والاموال ونجمع نحن وانتم ونملك البلاد فكفّوا عن نهب ولايته ايّامًا ثمّ انّهم مدّوا ايديهم بالنهب والفساد ونهبوا بلاد قبلة جميعها وساروا الى قريب كنجه من بلاد ارّان وهى للمسلمين فنزلوا هناك فارسل اليهم الامير بكنجة وهو مملوك لاوزبك صاحب اذربيجان اسمه كوشخره عسكرًا فمنعهم من الوصول الى بلاده وسيّر رسولاً اليهم يقول لهم غدرتم بصاحب شروان واخذتم قلعته وغدرتم بصاحب قبلة ونهبتم بلاده فما نثق بكم احد فاجابوا انّما ما جينا الّا قصدًا لخدمة سلطانكم فمنعنا شروان شاه عنكم فلهذا قصدنا بلاده واخذنا قلعته ثمّ تركناها من غير خوف وامّا صاحب قبلة فهو عدوّ لكم ولو اردنا ان نكون عند الكرج لما كنّا جعلنا طريقنا على دربند شروان فانّه اصعب واشقّ وابعد وكنّا جينا الى بلادهم على عادتنا ونحن نوجّه الرهاين اليكم ، فلمّا سمع هذا سار اليهم فسمع به قفجاق فركبا اميران منهم هما مقدّماهم فى نفر يسير وجآءوا اليه ولقوه وخدموه وقالوا له قد اتيناك جريدة فى قلّة من العدد لنعلم انّنا ما قصدنا الّا الوفآء والخدمة لسلطانكم فامرهم كوشخره بالرحيل والنزول عند كنجه وتزوّج ابنة احدهم وارسل الى صاحبه اوزبك يعرّفه حالهم فامر لهم بالخلع والنزول بجبل كيلكون[2] ففعلوا ذلك وخافهم الكُرج فجمعوا لهم ليكبسوهم فوصل الخبر بذلك الى كوشخره امير كنجة فاخبر قفجاق وامرهم بالعود والنزول عند كنجة فعادوا ونزلوا عندها وسار امير من امرآء قفجاق فى جمع منهم الى الكُرج فكبسهم وقتل كثيرًا منهم وهزمهم وغنم ما معهم واكثر القتل فيهم والاسر منهم وتمّت الهزيمة عليهم ورجع قفجاق الى جبل كيلكون[2] فنزلوا فيه كما كانوا فلمّا نزلوا اراد الامير الاخر من امرآء قفجاق ان يوثر

[2]) *J. As.* 1849 II, 468. Ups. نيكلون [1]) 740.

فى الكرج مثل ما فعل صاحبه فسمع كوشخرة فارسل اليه ينهاه عن الحركة الى ان يكشف له خبر الكرج فلم يقف فسار الى بلادهم فى طايفته ونهب وخرّب واخذ الغنايم فسار الكرج من طريق يعرفونها وسبقوه فلمّا وصل اليهم قاتلوه وحملوا عليه وعلى مَن معه على غرّه وغفلة فوضعوا السيف فيهم واكثروا القتل فيهم واستنقذوا الغنايم منه فعاد هو ومَن معه على اقبح حالة وقصدوا برذعة وارسلوا الى كوشخرة يطلبون ان يحضر عندهم هو بنفسه وعسكره ليقصدوا الكرج فياخذوا بثارهم منهم فلم يفعل واخافهم وقال انتم خالفتمونى وعملتم برأيكم فلا انجدكم بفارس واحد فارسلوا يطلبون الرهاين الذين لهم فلم يعطهم فاجتمعوا واخذوا كثيرًا من المسلمين عوضًا من الرهاين فثار بهم المسلمون من اهل البلاد وقاتلوهم فقتلوا منهم جماعة كثيرة فخافوا وساروا نحو شروان وجازوا الى بلد اللكز فطمع الناس فيهم المسلمون والكرج واللكز وغيرهم فافنوهم قتلاً ونهبًا واسرًا وسبيًا بحيث انّ المملوك منهم كان يباع فى دربند شروان بالثمن البخس ✿

ذكر نهب الكُرج بَيْلقان

فى هذه السنة فى شهر رمضان سار الكرج من بلادهم الى بلاد ارّان وقصدوا مدينة بيلقان وكان التتر قد خرّبوها ونهبوا كما ذكرناه قبلُ فلمّا سار التتر الى بلاد قفجاق عاد من سلم من اهلها اليها وعمروا ما امكنهم عمارته من سورها فبينما هم كذلك اذ اتاهم الكرج [ودخلوا البلد وملكوه وكان المسلمون فى تلك البلاد الفوا من الكرج][1] انّهم اذا ظفروا ببلد صانعوه بشئٍ من المال فيعودون عنهم فكانوا احسن الاعداء مقدرة فلمّا كان هذه الدفعة ظنّ المسلمون انّهم يفعلون مثل ما تقدّم فلم يبالغوا فى الامتناع منهم ولا هربوا من بين ايديهم فلمّا ملك الكرج المدينة وضعوا السيف فى اهلها وفعلوا من القتل والنهب ما فعل بهم التتر هذا جميعه يجرى وصاحب بلاد اذربيجان اوزبك بن البهلوان بمدينة تبريز ولا يتحرّك فى صلاح ولا يتّجه[2] لخير بل قد قنع بالاكل وادمان الشرب والفساد فقبّحه الله وبشّر للمسلمين مَن يقوم بنصرهم وحفظ بلادهم بمحمّد وآلهم ✿

[2]) *J. As. 1849, II, 472:* نتجه   [1]) C. P. et 740.

ذكر ملك بدر الدين قلعة شوش

فى هذه السنة ملك بدر الدين صاحب الموصل قلعة شوش من اعمال الحميديّة وبينها وبين الموصل اثنا عشر فرسخًا وسبب ذلك انّها كانت هى وقلعة العقر متجاورتين لعماد الدين زنكى بن ارسلان شاه وكان بينهما من الخُلف ما تقدّم ذكره فلمّا كان هذه السنة سار زنكى الى اذربيجان ليخدم صاحبها اوزبك بن البهلوان فاتّصل به وصار معه واقطعه اقطاعات واقام عنده فسار بدر الدين الى قلعة شوش فحاصرها وضيّق عليها وهى على راس جبل عالٍ فطال مقامه عليها لحصانتها فعاد الى الموصل وترك عسكره محاصرًا لها فلمّا طال الامر على مَن بها ولم يروا مَن يرحّله عنهم ولا مَن ينجدهم سلّموها على قاعدة استقرّت بينهم من اقطاع وخلع وغير ذلك فتسلّمها نوّابه فى التاريخ ورتّبوا امورها وعادوا الى الموصل ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى العشرين من شعبان ظهر كوكب فى السماء فى الشرق كبير له ذؤابة طويلة غليظة وكان طلوعه وقت السحر فبقى كذلك عشرة ايّام ثمّ انّه ظهر اوّل الليل فى الغرب ممّا يلى الشمال فكان كلّ ليلة يتقدّم الى جهة الجنوب نحو عشرة اذرع فى راى العين فلم يزل يقرب من الجنوب حتى صار غربًا محضًا ثمّ صار غربًا مائلًا الى الجنوب بعد ان كان غربًا ممّا يلى الشمال فبقى كذلك الى اخر شهر رمضان من السنة ثمّ غاب ٭ وفيها توفّى ناصر الدين محمود بن محمّد قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وآمد وكان ظالمًا قبيح السيرة فى رعيّته قيل انّه كان يتظاهر بمذهب الفلاسفة فى انّ الاجساد لا تحشر كذبوا لعنهم الله ولمّا مات ملك ابنه الملك المسعود ٭

ثم دخلت سنة عشرين وستّمائة ٭

سنة ٦٢٠

ذكر مُلك صاحب اليمن مكّة حرسها الله تعالى

فى هذه السنة سار الملك المسعود اتسز بن الملك الكامل محمّد صاحب مصر الى مكّة وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة بن ادريس العلوى الحسينى قد ملكها بعد ابيه كما ذكرناه وكان حسن قد اساء

الى الاشراف والمماليك الذين كانوا لابيه وقد تفرّقوا عنه ولم يبق عنده غير اخواله من غيره فوصل صاحب اليمن الى مكّة ونهبها عسكره الى العصر فحدّثنى بعض المجاورين المناقلين انّهم نهبوها حتّى اخذوا الثياب عن الناس وافقروهم وامر صاحب اليمن ان يُنبش قبر قتادة ويُحرق فنبشوه فظهر التابوت الذى دفنه ابنه الحسن والناس ينظرون اليه فلم يروا فيه شيًا فعلموا حينئذ انّ الحسن دفن اباه سرًّا وانّه لم يجعل فى التابوت شيًا وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجّل الله معاقبته وازال عنه ما قتل اباه واخاه وعمّه لاجله خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين ۞

ذكر حرب بين المسلمين والكُرج بارمينية

فى هذه السنة فى شعبان سار صاحب قلعة سُرماری[1] [وهى] من اعمال [ارمينية الى] خلاط لانّه كان فى طاعة صاحب خلاط وهو حينئذ شهاب الدين غازى بن العادل ابى بكر بن ايّوب فحصر عنده واستخلف ببلده اميرًا من امرآئه فجمع هذا الامير جمعًا وسار الى بلاد الكُرج فنهب منها عدّة قُرى وعاد فسمعت الكرج بذلك فجمع صاحب دوين واسمه شلوه[2] وهو من اكابر امرآء الكرج عسكره [وسار] الى سرمارى فحصرها ايّامًا ونهب بلدها وسوادها ورجع فسمع صاحب سرمارى الخبر فعاد الى سرمارى فوصل اليها فى اليوم الذى رحل الكرج عنها فاخذ عسكره وتبعهم فاوقع بساقتهم فقتل منهم وغنم واستنقذ ما اخذوا من غنائم بلاده ثمّ انّ صاحب دوين جمع عسكره وسار الى سرمارى ليحصرها فوصل الخبر الى صاحبها بذلك فحصّنها وجمع الذخائر وما يحتاج اليه فاتاه مَن اخبره ان الكرج نزلوا بوادٍ بين دوين وسرمارى وهو واد ضيّق فسار بجميع عسكره جريدة وجدّ السير ليكبس الكرج فوصل الى الوادى الذى هم فيه وقت السحر ففرّق عسكره فرقتَين فرقة من اعلى الوادى وفرقة من اسفله وحملوا عليهم وهم غافلون ووضعوا السيف فيهم فقتلوا واسروا فكان فى جملة الاسرى شلوة[2] امير دوين فى جماعة كثيرة من مقدّميهم ومن سلم من الكرج عاد الى بلدهم على حالٍ سيّئة ثمّ انّ ملك الكرج ارسل الى

[2]) C. P.: شروة Ups.: سلوة Cfr. *J. As.* l.l. [1]) C. P. Ups. ubique سرمن راى

الملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وهو الذى اعطى خلاط واعمالها الامير شهاب الدين يقول له كنّا نظنّ انّما صلح والآن وقد عمل صاحب سرمارى هذا العمل فان كنّا على الصلح فنريد اطلاق اصحابنا من الاسر وان كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرّفنا حتّى ندبّر امرنا فارسل الاشرف الى صاحب سرمارى يامره باطلاق الاسرى وتجديد الصلح مع الكرج ففعل ذلك واستقرّت قاعدة الصلح واطلق الاسرى ۞

ذكر الحرب بين غياث الدين وبين خاله

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة انهزم ايغان طائسى وهو خال غياث الدين بن خوارزم شاه محمّد بن تكش وهذا غياث الدين هو صاحب بلاد الجبل والرىّ واصبهان وغير ذلك وله ايضًا بلاد كرمان وكان سبب ذلك انّ خاله ايغان طائسى كان معه وفى خدمته وهو اكبر امير معه لا يصدر غياث الدين الّا عن رأيه والحكم اليه فى جميع المملكة فلمّا عظم شانه حدّثته نفسه بالاستيلآء على الملك وحسّن له ذلك غيره واطمعه فيه قيل انّ الخليفة الناصر لدين الله اقطعه البلاد سرًّا وامره بذلك فقويت نفسه على الخلاف فاستفسد جماعة من العسكر واستمالهم فلمّا تمّ له امره اظهر الخلاف على غياث الدين وخرج عن طاعته اوزبك وصار فى البلاد يفسد ويقطع الطريق وينهب ما امكنه من القرى وغيرها وانضاف اليه جمع كثير من اهل العُنف والفساد ومعه مملوك اخر اسمه ايبك الشامىّ كانا متّفقين على العصيان فقوى بهما وساروا جميعهم الى غياث الدين ليقاتلوه ويملكوا بلاده ويخرجوه منها فجمع غياث الدين عسكره والتقوا بنواحى[1] واقتتلوا فانهزم خال غياث الدين ومن معه وقتل من عسكره واسر كثير وعاد المنهزمون الى اذربيجان على اقبح حال واقام غياث الدين فى بلاده وثبت قدمه ۞

حادثة غريبة لم يوجد مثلها

كان اهل المملكة فى الكرج لم يبق منهم غير امراة وقد انتهى المُلك اليها فولّته وقامت بالامر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلاً يتزوّجها

[1]) 740 eandem habet lacunam. C. P. omittit vocem: بنواحى

ويقوم بالملك نيابة عنها ويكون من اهل بيت مملكة فلم يكن فيهم من يصلح لهذا الامر وكان صاحب ارزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان بن مسعود قلج ارسلان وبيته مشهور من اكابر ملوك الاسلام وهم من الملوك السلجوقيّة وله ولد كبير فارسل الى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوّجها فامتنعوا من اجابته وقالوا لا نفعل هذا لانّنا لا يمكننا ان يملك امرنا مسلم فقال لهم انّ ابني يتنصّر ويتزوّجها فاجابوه الى ذلك فامر ابنه فتنصّر ودان بالنصرانيّة وتزوّج الملكة ... المها واقام عند الكرج حاكمًا في بلادهم واستمرّ على النصرانيّة نعوذ بالله من الخذلان ونسأله ان يجعل خير اعمالنا اخرها وخير اعمالنا خواتيمها وخير ايّامنا يوم نلقاه فيه ، ثمّ كانت هذه الملكة الكرجيّة تهوى مملوكًا لها فكان زوجها يسمع عنها القبايح ولا يمكنه الكلام لعجزه ثمّ انه يومًا دخل عليها فرءاها نائمة مع مملوكها في فراش فانكر ذلك وواجهها بالمنع منه فقالت ان رضيتَ بهذا والا انت اخبر فقال انّني لا ارضى بهذا فنقلته الى بلد اخر ووكّلت به مَن يمنعه من الحركة وحجرت عليه وارسلت الى بلد اللان واحضرت رجلَيْن كانا قد وصفا بحسن الصورة فتزوّجت احدهما فبقى معها يسيرًا ثمّ انّها فارقته واحضرت انسانًا اخر من كنجة وهو مسلم فطلبت منه ان يتنصّر ليتزوّجها فلم يفعل فارادت ان تتزوّجه وهو مسلم فقام عليها جماعة الامراء ومعهم ايواني[1] وهو مقدّم العساكر الكرجيّة فقالوا لها قد افتضحنا بين الملوك بما تفعلين ثمّ تريدين ان يتزوّجك مسلم وهذا لا نمكّن منه ابدًا والامر بينهم متردّد والرجل الكنجيّ عندهم لم يجبهم الى الدخول في النصرانيّة وهي تهواه ،

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كان الجراد في اكثر البلاد واهلك كثيرًا من الغلّات والخضر بالعراق والجزيرة وديار بكر وكثير من الشام وغيرها ، وفيها في رمضان توفي عبد الرحمن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الشافعي الدمشقيّ بها وكان غزير العلم عالمًا بالمذهب كثير الصلاح والزهد والخير رحمه الله ،

[1]) *J. As.* 1849 II, 476. Ups.: ايوائى

وفيها تجمّع العرب فى خلق كثير على حجاج الشام وارادوا قطع الطريق عليهم واخذهم وكان الامير على الحجاج شرف الدين يعقوب بن محمّد وهو من اهل الموصل اقام بالشام وتقدّم فيه فنعهم بالرغبة والرهبة ثمّ صانعهم بمال وثياب وغير ذلك فاعطى الجميع من ماله ولم ياخذ من الحجاج الدرهم الفرد وفعل فعلاً جميلاً وكان عنده كثير من العلوم ويرجع الى دين متين ٭

سنة ٦٢١ ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستّمايه ٬

ذكر عود طايفة من التتر الى الرىّ وهمدان وغيرهما

اوّل هذه السنة وصل طايفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان وهولآء غير الطايفة الغربيّة التى ذكرنا اخبارها قبل وصول هولآء الرىّ وكان من سلم من اهلها قد عادوا اليها وعمروها [فلم يشعروا][1] بالتتر الّا [2] وقد[3] وصلوا اليهم فلم يمتنعوا عنهم فوضعوا فى اهلها السيف وقتلوهم كيف شآوا ونهبوا البلد وخرّبوه وساروا الى ساوة ففعلوا بها كذلك ثمّ الى قُمّ وقاشان وكانتا قد سلمتا من التتر اوّلا فانّهم لم يقربوهما ولا اصاب اهلها اذّى فاتاهما هولآء وملكوهما وقتلوا اهلهما وخرّبوهما والحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثمّ ساروا فى البلاد يخرّبون ويقتلون وينهبون ثمّ قصدوا همدان وكان قد اجتمع بها كثير ممّن سلم من اهلها فاتادوهم قتلًا واسرًا ونهبًا وخرّبوا البلد وكانوا لمّا وصلوا الى الرى راوا بها عسكرًا كثيرًا من الخوارزميّة فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى اذربيجان فنزلوا باطرافها فلم يشعروا الا والتتر ايضًا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولّوا منهزمين فوصل طايفة منهم الى تبريز وارسلوا الى صاحبها اوزبك بن البهلوان يقولون ان كنتَ موافقنا فسلّم الينا من عندك من الخوارزميّة والّا فعرّفنا انّك غير موافق لنا ولا فى طاعتنا فعمد الى مَن عنده من الخوارزميّة فقتل بعضهم واسر بعضهم وحمل الاسرى والروس الى التتر وانفذ معها من الاموال والثياب والدوابّ شيأً كثيرًا فعادوا عن بلاده نحو خراسان فعلوا هذا وليسوا فى كثرة كانوا نحو ثلاثة الاف

²) 740 ¹) 740. Ups.: وعمروا C. P. exit ad annum 621.
³) 740: قد Ups. hanc vocem ante بالتتر habet.

فارس وكان للخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستة الاف فارس وعسكر اوزبك اكثر من الجميع ومع هذا فلم يحدث نفسه ولا للخوارزمية بالامتناع منهم فنسال الله ان ييسر للاسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دُفعوا الى امر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبى الحريم وقتلهن وتخريب البلاد ۞

ذكر مُلك غياث الدين بلاد فارس

قد ذكرنا انّ غياث الدين ابن خوارزم شاه محمّد كان بالرىّ وله معها اصفهان وهمذان وما بينهما من البلاد وله ايضًا بلاد كرمان فلمّا هلك ابوه كما ذكرناه وصل التتر الى بلاده وامتنع باصفهان وحصره التتر فيها فلم يقدروا عليها فلمّا فارق التتر بلاده وساروا الى بلاد قفجاق عاد ملك البلاد وعمر ما امكنه منها واقام بها الى اواخر سنة عشرين وستّمائة وجرى له ما ذكرناه ففى اخر سنة عشرين سار الى بلاد فارس فلم يشعر صاحبها وهو اتابك سعد بن دكلا الّا وقد وصل غياث الدين الى اطراف بلاده فلم يتمكّن من الامتناع فقصد قلعة اصطخر فاحتمى بها وسار غياث الدين الى مدينة شيراز وهى كرسىّ مملكة فارس واكبرها واعظمها فملكها بغير تعب اوّل سنة احدى وعشرين وستّمائة وبقى غياث الدين بها واستولى على اكثر البلاد ولم يبق بيد سعد الدين الّا الحصون المنيعة فلمّا طال الامر على سعد الدين صالح غياث الدين على ان يكون لسعد الدين من البلاد قسم اتّفقوا عليه ولغياث الدين الباقى واقام غياث الدين بشيراز وازداد اقامةً وعزمًا على ذلك لمّا سمع انّ التتر قد عادوا الى الرىّ والبلاد التى له وخرّبوها ۞

ذكر عصيان شهاب الدين غازى على اخيه الملك الاشرف واخذ خلاط منه

كان الملك الاشرف موسى بن العادل ابى بكر بن ايّوب قد اقطع اخاه شهاب الدين غازى مدينة خلاط وجميع اعمال ارمينيّة واضاف اليها ميّافارقين وحانى وجبل جور ولم يقنع بذلك حتّى جعله ولى عهده فى البلاد التى له جميعها وحلّف له جميع النوّاب والعساكر فى البلاد فلمّا سلّم اليه ارمينيّة سار اليها كما ذكرناه واقام بها الى اخر سنة

عشرين وستمائة فاظهر مغاضبة اخيه الملك الاشرف والتجنّى عليه والعصيان
والخروج عن طاعته فراسله الاشرف يستميله ويعاتبه على ما فعل فلم يرعوِ
ولا ترك ما هو عليه بل اصرّ على ذلك واتّفق هو واخوه المعظّم عيسى
صاحب دمشق ومظفّر الدين بن زين الدين صاحب اربل على الخلاف
للاشرف والاجتماع على محاربته واظهروا ذلك وعلم الاشرف فارسل الى اخيه
الكامل بمصر يعرّفه ذلك وكانا متّفقين وطلب منه نجدة فجهّز العساكر
وارسل الى اخيه صاحب دمشق يقول له ان تحرّكتَ من بلدك سرتُ
اليه واخذتهُ وكان قد سار نحو ديار الجزيرة للميعاد الذى بينهم فلمّا
وصلت اليه رسالة اخيه وسمع بتجهيز العساكر عاد الى دمشق، وامّا
صاحب اربل فانّه جمع العساكر وسار الى الموصل فكان منه ما نذكره
ان شآء الله، وامّا الاشرف فانّه لمّا اتّفق عصيان اخيه جمع العساكر
من الشام والجزيرة والموصل وسار الى خلاط فلمّا قرب منها جاءه اخوه
غازى ولم يكن له قوّة على ان يلقاه محاربًا ففرّق عسكره فى البلاد
ليحصّنها وانتظر ان يسيّر صاحب اربل الى ما يجاوره من الموصل وسنجار
وان يسيّر اخوه صاحب دمشق الى بلاد الاشرف عند العراة الرقّة وحرّان
وغيرهما فيضطر الاشرف حينئذ الى العود عن خلاط فسار الاشرف اليه
وقصد خلاط وكان اهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت
فيهم وسوء سيرة غازى فلمّا حصرها سلّمها اهلها اليه يوم الاثنَيْن ثانى
عشر جمادى الآخرة وبقى غازى فى القلعة ممتنعًا فلمّا جنّه الليل نزل
الى اخيه معتذرًا ومتنصّلًا فعاتبه الاشرف وابقى عليه ولم يعاقبه على
فعله لكن اخذ البلاد منه وابقى عليه ميّافارقين ۞

ذكر حصار صاحب اربل الموصل

قد ذكرنا اتّفاق مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين علىّ
صاحب اربل وشهاب الدين غازى صاحب خلاط والمعظّم عيسى صاحب
دمشق على قصد بلاد الملك الاشرف فامّا صاحب دمشق فانّه سار
عنها مراحل يسيرة وعاد اليها لانّ اخاه صاحب مصر ارسل اليه يتهدّده
ان سار عن دمشق انّه يقصدها ويحصرها فعاد، وامّا غازى فانّه استحصر
فى خلاط وأُخذ منه كما ذكرناه، وامّا صاحب اربل فانّه جمع عسكره

وسار الى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الاخرة ظنًّا منه انّ الملك الاشرف اذا سمع بنزوله عليها رحل عن خلاط ويخرج غازى فى طلبه فتتخبّط احواله وتقوى نفس صاحب دمشق على المجئ اليهم فلمّا نازل الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد احكم امورها من استخدام الجند على الاسوار واظهار آلة الحصار واخراج الذخائر وانّما قوى طمع صاحب اربل على حصر الموصل لانّ اكثر عسكرها كان قد سار الى الملك الاشرف الى خلاط وقد قلّ العسكر فيها وكان الغلاء شديدًا فى البلاد جميعها والسعر فى الموصل كلّ ثلاث مكاكى بدينار فلهذا السبب اقدم على حصرها ، فلمّا نزل عليها اقام عشرة ايّام ثمّ رحل عنها يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الاخرة وكان سبب رحيله انّه راى امتناع البلد عليه وكثرة مَن فيه وعندهم من الذخائر ما يكفيهم الزمان الكثير ووصل اليه خبر الملك الاشرف انّه ملك خلاط فانفسخ عليه كلّ ما كان يؤمّله من صاحبها ومن دمشق وبقى وحده متلبّسًا بالامر فلمّا وصلت الاخبار اليه بذلك سقط فى يده وراى انّه قد اخطأ الصواب فرحل عائدًا الى بلده واقام على [الزاب][1] ومدّة مقامه على الموصل لم يقاتلها انّما كان فى بعض الاوقات يجئ بعض الترك الذين له يقاتلون البلد فيخرج اليهم بعض الفرسان وبعض الرجّالة فيجرى بينهم قتال ليس بالكثير ثمّ يتفرّقون وترجع كلّ طائفة الى صاحبها ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اوّل آب جاء ببغداد مطر برعد وبرق وجرت المياه بباب البصرة والحربيّة[2] وكذلك بالمحوّل بحيث انّ الناس كانوا يخوضون فى الماء والوحل بالمُحوّل ، وفيها سار صاحب المخزن الى بعقوبا[3] فى ذى القعدة فسبّ اهلها فنُقل اليه عن انسان منها انّه يسبّه فاحضره وامر بمعاقبته وقال له لِمَ تسبّنى فقال له انتم تسبّون ابا بكر وعمر لاجل اخذهما فدك وهى عشر نخلات لفاطمة عم وانتم تاخذون منى الف نخلة ولا اتكلّم فعفا عنه ، وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنّة والشيعة على

1) 740.   2) والحرسة   3) يعقوبا

جارى عادتهم ، وفيها قلّت الامطار فى البلاد فلم يجىء منها شىَ الى سباط ثمّ انّها كانت تجىء فى الاوقات المتفرّقة مجيئًا قريبًا لا يحصل منه الرى للزرع فجاءت الغلّات قليلة ثمّ خرج عليها الجراد ولم يكن فى الارض من النبات ما يشتمل به عنها فاكلها الّا القليل وكان كثيرًا خارجًا عن الحدّ فغلت الاسعار فى العراق والموصل وساير ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها وقلّت الاقوات الّا انّ اكثر الغلاء كان بالموصل وديار الجزيرة ۞

سنة ٦٢٢ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمايه

ذكر حصر الكرج مدينة كنجة

فى هذه السنة سارت الكرج فى جموعها الى مدينة كنجة من بلاد أرّان قصدًا لحصرها واعتدوا لها بما امكنهم من القوّة لانّ اهل كنجة كثير عددهم قويّة شوكتهم وعندهم شجاعة كثيرة من طول ممارستهم للحرب مع الكرج فلمّا وصلوا اليها وقاربوا قاتلوا اهلها عدّة ايّام من وراء السور لم يظهر من اهلها احد ثمّ فى بعض الايّام خرج اهل كنجة ومَن عندهم من العسكر من البلد وقاتلوا الكرج بظاهر البلد اشدّ قتال واعظمه فلمّا راى الكرج ذلك علموا انّهم لا طاقة لهم بالبلد فرحلوا بعد ان اثخن اهل كنجة فيهم وَرَدَّ ٱللّٰهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا[1] ۞

ذكر وصول جلال الدين بن خوارزم شاه الى خوزستان والعراق

فى اوّل هذه السنه وصل جلال الدين بن خوارزم شاه محمّد بن تكش الى بلاد خوزستان والعراق وكان مجيئه من بلاد الهند لانّه كان وصل اليها لمّا قصد التتر غزنة وقد ذكرنا ذلك جميعه فلمّا تعذّر عليه المقام ببلاد الهند سار عنها على كرمان ووصل الى اصفهان وهى بيد اخيه غياث الدين وقد تقدّمت اخباره ملكها وسار عنها الى بلاد فارس وكان اخوه قد استولى على بعضها كما ذكرناه فاعاد ما كان اخوه اخذه منها الى اتابك سعد صاحبها وصالحه وسار من عنده الى خوزستان فحصر مدينة تستر فى المحرّم وبها الامير مظفّر الدين المعروف بوجه السبُع مملوك للخليفة الناصر لدين الله حافظًا لها واميرًا عليها فحصره جلال

---

1) Cor. 33, 25.

الدين وضيّق عليه فحفظها وجه السبع وبالغ في الحفظ والاحتياط وتفرّق الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا الى بادرايا وباكسايا[1] وغيرها وانحدر بعضهم الى ناحية البصرة فنهبوا هنالك فسار اليهم شحنة البصرة وهو الامير ملتكين[2] فاوقع بهم وقتل منهم جماعة فدام الحصار نحو شهرين ثمّ رحل عنها بغتةً وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب منه فلمّا رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه فسار الى ان وصل الى بعقوبا[3] وهي قرية مشهورة بطريف خراسان بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ فلمّا وصل الخبر الى بغداد تجهّزوا للحصار واصلحوا السلاح من الجروخ والقسيّ والنشاب والنفط وغير ذلك وعاد عسكر الخليفة الى بغداد واما عساكر جلال الدين فنهب البلاد واهلها وكان قد وصل هو وعسكره الى خورستان في ضرّ شديد وجهد جهيد وقلّة من الدوابّ والذى معهم فهو من الضعف الى حدّ لا ينتفع به فغنموا من البلاد جميعها واستغنوا واكثروا من اخذ الخيل والبغال فانّهم كانوا في غاية الحاجة اليها وسار من بعقوبا[3] الى دقوقا فحصرها فصعد اهلها الى السور وقاتلوه وسبّوه واكثروا من التكبير فعظم ذلك عنده وشقّ عليه وجدّ في قتالهم ففتحها عنوةً وقهراً ونهبتها عساكره وقتلوا كثيراً من اهلها فهرب مَن سلم منهم من القتل وتفرّقوا في البلاد ولمّا كان الخوارزميّون على دقوقا سارت سريّة منهم الى البتّ والراذان[4] فهرب اهلها الى تكريت فتبعهم الخوارزميّة فجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة شديدة فعادوا الى العسكر ولقد رايتُ بعض اعيان اهل دقوقا وهم بنو يعلى وهم اغنياء فنُهبوا وسلم احدهم ومعه ولدان له وشئ يسير من المال فسيّر ما سلم معه الى الشام مع الولدَين ليتّجر بما ينتفعون به وينفقونه على نفوسهم فمات احد الولدين بدمشق واحتاط الحاكم على ما معهم فلقد رايت اباهم على حالة شديدة لا يعلمها الّا الله يقول اخذت الاملاك وقُتل بعض الاهل وفارقنا من سلم منهم والوطن بهذا القدر الحقير اردنا نكفّ به وجوهنا من السؤال ونصون انفسنا فقد ذهب الولد والمال ثمّ سار

---

[1] بادرايا وبا حسايا [2] 740. Ups.: ىلتكين [3] بعقوبا
[4] 740: Ups. البث والراذان البت والداران

الى دمشق لياخذ ما سلم مع ابنه الاخر فاخذه وعاد الى الموصل فلم يبق غير شهر حتى توفى انّ الشقى بكلّ حبل يخنق ، واما جلال الدين فانّه لمّا فعل باهل دهوفا ما فعل خافه اهل البوازيج[1] وهى لصاحب الموصل فارسلوا اليه يطلبون منه ارسال شحنة اليهم يحميهم وبذلوا له شيأً من المال فاجابهم الى ذلك وسيّر اليهم من يحميهم قيل كان بعض اولاد جنكرخان ملك التتر اسره جلال الدين فى بعض حروبه مع التتر فاكرمه محمامهم واقام بمكانه الى اواخر ربيع الاخر والرسل متردّدة بينه وبين مظفّر الدين صاحب اربل فاصطلحوا فسار جلال الدين الى اذربيجان وفى مدّة مقام جلال الدين بخورستان والعراق ثارت العرب فى البلاد يقطعون الطريق وينهبون القرى ويخيفون السبيل فنال الخلق منهم اذى شديد واخذوا فى طريق العراق قفلين عظيمين كانوا سائرين الى الموصل فلم يسلم منهم شىً البتّة ✿

ذكر وفاة الملك الافضل وغيره من الملوك

فى هذه السنة فى صفر توفى الملك الافضل علىّ بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب فجاةً بقلعة سميساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسمائة عند وفاة والده رحمه الله مُلكه مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام وذكرنا سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ثمّ ذكرنا سنة خمس وتسعين مُلكه ديار مصر وذكرنا سنة ستّ وتسعين اخذها منه وانتقل الى سميساط واقام بها ولم يزل بها الى الآن فتوفى بها وكان رحمه الله من محاسن الزمان لم يكن فى الملوك مثله كان خيّرًا عادلًا فاضلًا حليمًا كريمًا قلّ ان عاقب على ذنب ولم يمنع طالبًا وكان يكتب خطًّا حسنًا وكتابة جيّدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرّق فى كثير من الملوك لا جرم حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كلّ خُلُق جميل وفعلٍ حميد فرحمه الله ورضى عنه ورايتُ من كتابته اشياء حسنة ممّا بقى على خاطرى منها انّه كتب الى اصحابه لمّا أُخذت دمشق منه كتابًا من

---

[1] البوازيج (

فصوله وامّا اصحابنا بدمشق فلا علم لى باحد منهم وسبب ذلك انّ اىّ صديق سالتُ عنه ففى الذلّ وتحت الخمول والوطن واىّ صدّ سالتُ حالتهُ سمعتُ ما لا نحبّه انّنى فتركتُ السؤال عنهم وهذا غاية الجودة فى الاعتذار عن ترك السؤال عنهم ، ولمّا مات اختلف اولاده وعمّهم قطب الدين موسى ولم يقْوَ احد منهم على الباقين ليستبدّ بالامر ، ومات فى هذه السنة صاحب ارزن الروم وهو مغيث الدين طغرل بن قلج ارسلان وهو الذى سيّر ولده الى الكُرج وتنصّر وتزوّج ملكة الكُرج ولمّا مات ملك بعده ابنه ، ومات فيها ملك ارزنكان[1] ، وتوفّى فيها عزّ الدين الخضر بن ابرهيم بن ابى بكر بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب خرت برت وملك بعده ابنه نور الدين ارتق شاه[2] وكان المدبّر لدولته ودولة والده معين الدين عبد الرحمن ✿

ذكر خلع شروان شاه وظفر المسلمين بالكُرج

فى هذه السنة ثار على شروان شاه ولده فنزعه من الملك واخرجه من البلاد وملك بعده وسبب ذلك انّ شروان شاه كان سيّء السيرة كثير الفساد والظلم يتعرّض الى اموال الرعايا واملاكهم وقيل ايضًا انّه كان يتعرّض الى النساء والولدان فاشتدّت وطاته على الناس فاتّفق بعض العسكر مع ولده واخرجوا اباه من البلاد وملك الابن واحسن السيرة فاحبّه العساكر والرعيّة وارسل الولد الى ابيه يقول له ان اردتَ ان اترك فى بعض القلاع واجرى لك الجرايات الكثيرة ولكلّ من تحبّ ان يكون عندك والذى حملنى على ما فعلتُ معك سوء سيرتك وظلمك لاهل البلاد وكراهيتهم لك ولدولتك فلمّا راى الاب ذلك سار الى الكرج واستنصر بهم وقرّر معهم ان يرسلوا معه عسكرًا يعيدونه الى مُلكه ويعطيهم نصف البلاد فسيّروا معه عسكرًا كثيرًا فسار حتّى قارب مدينة شروان فجمع ولده العسكر واعلمهم الحالّ وقال انّ الكرج متى حصرونا ربّما ظفروا بنا وحينئذ لا يُبقى ابى على احد منّا وياخذ الكرج نصف البلاد وربّما اخذوا الجميع وهذا امر عظيم انّما نسير اليهم جريدة ونلقاهم فان ظفرنا

[1]) ارزنكان [2]) 740. et Ups.: ارتو شاه

بهم فالحمد لله وان ظفروا بنا فالحصر بين ايدينا فاجابوه الى ذلك فخرج فى عسكره وهم قليل نحو الف فارس ولقوا الكرج وهم فى ثلاثة الاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا وصبر اهل شروان فانهزم الكُرج فقتل كثير منهم وأُسر كثير ومَن سلم عاد باسْوء حال وشروان شاه المخلوع معهم فقال له مقدّموا الكرج اننا لم نلف بسببك خيرًا ولا نواخذك مما كان منك فلا تُقم ببلادنا ففارقهم وبقى متردّدًا لا ياوى الى احد واستقرّ ولده فى الملك واحسن الى الجند والرعيّة واعاد الى الناس املاكهم ومصادراتهم فاغتبطوا بولايته ✿

ذكر ظفر المسلمين بالكرج ايضًا

وفى هذه السنة ايضًا سار جمعٌ من الكُرج من تفليس يقصدون اذربيجان والبلاد التى بيد اوزبك فنزلوا وراء مضيق فى الجبال لا يُسْلك الّا للفارس معه الفرس فنزلوا آمنين من المسلمين استضعافًا لهم واغترارًا بحصانة موضعهم وانّه لا طريق اليهم وركب طائفة من العساكر الاسلاميّة وقصدوا الكرج فوصلوا الى ذلك المضيق فجاوزوه مخاطرين فلم يشعر الكرج الّا وقد غشيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاءوا وولّى الباقون منهزمين لا يلوى والد على ولده ولا اخ على اخيه وأُسر منهم جمع كثير صالح فعظم الامر عليهم وعزموا على الاخذ بثارهم والجدّ فى قصد اذربيجان واستيصال المسلمين منه واخذوا يتجهّزون على قدر عزمهم فبينما هم فى ذلك ان وصل اليهم الخبر بوصول جلال الدين بن خوارزم شاه الى مراغة على ما نذكره ان شآء الله فتركوا ذلك وارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان يدعونه الى الموافقة على ردّ جلال الدين وخوّفوه منه ان لم نتّفق نحن وانت والّا اخذك ثمّ اخذنا فعاجلهم جلال الدين قبل اتّفاقهم واجتماعهم فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ✿

ذكر مُلك جلال الدين اذربيجان

فى هذه السنة استولى جلال الدين على اذربيجان وسبب ذلك انّه لمّا سار من دقوقا كما ذكرناه قصد مراغة فملكها واقام بها وشرع فى عمارة البلد فاستحسنه ولمّا وصل اليها اتاه الخبر انّ الامير ايغان طائيسى وهو خال اخيه غياث الدين قد قصد همذان قبل وصول جلال الدين بيومَيْن وكان هذا ايغان طائيسى قد جمع عسكرًا يتجاوز خمسين الف

فارس ونهب كثيرًا من اذربيجان وسار الى البحر من بلد ارّان فشتى
هنالك لقلّة البرد ولمّا عاد الى همذان نهب اذربيجان ايضًا مرّة ثانية
وكان سبب مسيره الى همذان انّ الخليفة الناصر لدين الله راسله وامره
بقصد همذان واقطعه ايّاها وغيرها فسار ليستولى عليها كما أُمر فلمّا
سمع جلال الدين بذلك سار جريدة اليه فوصل الى ايغان طائيسى
ليلًا وكان اذا نزل جعل حول عسكره جميع ما غنموا من اذربيجان
واران من خيل وبغال وحمير وبقر وغنم فلمّا وصل جلال الدين احاط
بالجميع فلمّا اصبح عسكر ايغان طائيسى وراى العسكر والجتر الذى يكون
على راس السلطان علموا انّه جلال الدين فسقط فى ايديهم لانّهم كانوا
يظنّونه عند دقوقا فارسل ايغان طائيسى زوجته وهى اخت جلال الدين
تطلب له الامان فامّنه واحضره عنده وانضاف عسكره الى جلال الدين
وبقى ايغان. طائيسى وحده الى ان اضاف اليه جلال الدين عسكرًا
غير عسكره وعاد الى مراغة واعجبه المقام بها وكان اوزبك بن البهلوان
صاحب اذربيجان واران قد سار من تبريز الى كنجة خوفًا من جلال
الدين وارسل جلال الدين الى مَن فى تبريز من والٍ وامير ورئيس يطلب
منهم ان يتردّد عسكره اليهم يمتارون فاجابوه الى ذلك واطاعوه فتردّد
العسكر اليها وباعوا واشتروا الاقوات والكسوات وغيرها ومدّوا ايديهم الى
اموال الناس فكان احدهم ياخذ الشئ ويعطى الثمن ما يريد فشكا
بعض اهل تبريز الى جلال الدين منهم فارسل اليهم شحنة يكون عندهم
وامره ان يقيم بتبريز ويكفّ ايدى الجند عن اهلها ومن تعدّى على
احد منهم صلبه فاقام الشحنة ومنع الجند من التعدّى على احد من
الناس وكانت زوجة اوزبك وهى ابنة السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل
بن محمّد بن ملكشاه مقيمة بتبريز وهى كانت الحاكمة فى بلاد زوجها
وهو مشغول بلذّاته من اكل وشرب ولعب ثمّ انّ اهل تبريز شكوا من
الشحنة وقالوا انّه يكلفنا اكثر من طاقتنا فامر جلال الدين انّه لا
يُعطى الّا ما يقيم به لا غير ففعلوا ذلك وسار جلال الدين الى تبريز
وحصرها خمسة ايّام وقاتل اهلها قتالًا شديدًا وزحف اليها فوصل العسكر

الى السور فاذعن اهلها بالطاعة وارسلوا يطلبون الامان منه لانّه كان بذمّهم وبعول فعلوا باصحابنا المسلمين وارسلوا روسهم الى التتر الكفّار وقد تقدّمت الحادثة سنة احدى وعشرين وستّمائة فخافوا منه لذلك فلمّا طلبوا الامان ذكر لهم فعلهم باصحاب ابيه وقتلهم فاعتذروا بانّهم لم يفعلوا شيأً من ذلك وانّما فعله صاحبهم ولم يكن لهم من القدرة ما يمنعونه فعذرهم وامنهم وطلبوا منه ان يومّن زوجة اوزبك ولا يعارضها في الذى لها باذربيجان ومدينة خوىّ وغيرها من ملك ومال وغيره فاجابهم الى ذلك وملك البلد سابع عشر رجب من هذه السنة وسيّر زوجة اوزبك الى خوىّ ومعها طايفة من العسكر مع رجل كبير القدر عظيم المنزلة وامرهم بخدمتها فاذا وصلت الى خوىّ عادوا عنها ولمّا رحل جلال الدين الى تبريز امر ان لا يمنعوا عنه احدًا من اهلها فاتاه الناس مسلّمين عليه فلم يُحجبوا عنه واحسن اليهم وبثّ فيهم العدل ووعدهم الاحسان والزيادة منه وقال لهم قد رايتم ما فعلتُ بمراغة من الاحسان والعمارة بعد ان كانت خرابًا وسترون كيف اصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم واقام الى يوم الجمعة فحضر الجامع فلمّا خطب الخطيب ودعا للخليفة قام قايمًا ولم يزل كذلك حتّى فرغ من الدعاء وجلس ودخل الى كُشْك كان اوزبك قد عمره واخرج عليه من الاموال كثيرًا فهو في غاية الحسن مشرف على البساتين فلمّا طاف فيه خرج منه وقال هذا مساكن الكسالى لا يصلح لنا واقام ايّامًا استولى فيها على غيرها من البلاد وسيّر الجيوش الى بلاد الكرج ☆

ذكر انهزام الكرج من جلال الدين

قد ذكرنا فيما تقدّم من السنين ما كان الكرج يفعلونه في بلاد الاسلام خلاط واعمالها واذربيجان واران وارزن الروم ودربند شروان وهذه ولايات تجاور بلادهم وما كانوا يسفكون من دماء المسلمين وينهبون من اموالهم ويملكون من بلادهم والمسلمون معهم في هذه البلاد تحت الذلّ والخزى كلّ يوم قد اغاروا وفتكوا فيهم وقاطعوهم على ما شآوا من الاموال فكنّا كلّما سمعنا بشيء من ذلك سالنا الله تعالى نحن والمسلمون في ان ييسّر للاسلام والمسلمين من يحميهم وينصرهم وياخذ بثارهم فانّ اوزبك صاحب اذربيجان معتكف على شهوة بطنه وفرجه لا يفيق من سكره وان افاق

فهو مشغول بالعمار بالبيض وهذا ما لم يسمع انّ احدًا من الملوك فعله لا يهتدى لمصلحة ولا يغضب لنفسه بحيث انّ بلاده ماخوذة وعساكره طمّاعة ورعيّته قد قهرها وقد كان كلّ من اراد ان يجمع جمعًا ويتغلّب على بعض البلاد فعل كما ذكرناه من حال بُغدى وايبك الشامىّ وابغان طائيسى فنظر الله تعالى الى اهل هذه البلاد المساكين بعين الرحمة فرحمهم ويسّر لهم هذا جلال الدين ففعل بالكُرج ما تراه وانتقم للاسلام والمسلمين منهم فنقول فى هذه السنة كان المصافّ بين جلال الدين [وبين الكرج فى شهر شعبان فانّ جلال الدين][1] من حين قصد الى هذه النواحى لا يزال يقول انّى اريد اقصد بلاد الكُرج واقاتلهم واملك بلادهم فلمّا ملك اذربيجان ارسل اليهم يوذنهم فاجابوه باننّا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بابيك وهو اعظم منك مُلكًا واكثر عسكرًا واقوى نفسًا ما تعلمه واخذوا بلادكم فلم نُبال بهم وكان قُصاراهم السلامة منّا وشرعوا يجمعون العساكر فجمعوا ما يزيد على سبعين الف مقاتل فسار اليهم فملك مدينة دُوين وهى للكرج كانوا قد اخذوها من المسلمين كما ذكرناه وسار منها اليهم فلقوه وقاتلوه اشدّ قتال واعظمه وصبر كلّ منهم لصاحبه فانهزم الكُرج وامر ان يُقتلوا بكلّ طريق ولا يبقوا على احد منهم فالذى تحقّقناه انّه قُتل منهم عشرون الفًا وقيل اكثر من ذلك فقيل الكرج جميعهم قتلوا وافترقوا وأُسر كثير من اعيانهم من جملتهم شلوة فتمّت الهزيمة عليهم ومضى ايوانى[2] منهزمًا وهو المقدّم على الكرج جميعهم ومرجعهم اليه ومعولهم عليه وليس لهم ملك انّما الملك امراه ولقد صدق رسول الله صلّعم حيث يقول لن يُفلح قوم ولّوا امرهم امراة فلمّا انهزم ايوانى[2] فادركه الطلب فصعد قلعة لهم على طريقهم فاحتمى فيها وجعل جلال الدين عليها من يحصرها ويمنعه من النزول وفرّق عساكره فى بلاد الكُرج ينهبون ويقتلون ويسبون ويخرّبون البلاد فلو لا ما اتاه من تبريز ما اوجب عوده لملك البلاد بغير تعب ولا مشقّة لانّ اهلها كانوا قد هلكوا فهم اسير وطريد ٭

[1]) J. As. 1849, II,   [2]) ايوانى

ذكر عود جلال الدين الى تبريز وملكه مدينة كنجة ونكاحه زوجة اوزبك

لمّا فرغ جلال الدين من هزيمة الكرج ودخل البلاد وبثّ العساكر فيها امرهم بالمقام بها مع اخيه غياث الدين وعاد الى تبريز وسبب عوده انّه كان قد حلف وزيره شرف الملك فى تبريز ليحفظ البلد وينظر فى مصالح الرعيّة فبلغه عن رئيس تبريز وشمس الدين الطغرائى وهو المقدّم على كلّ مَن فى البلد وعن غيرهما من المقدّمين انّهم قد اجتمعوا وتحالفوا على الامتناع على جلال الدين واعادة البلد الى اوزبك وقالوا انّ جلال الدين قد قصد بلاد الكرج فلا يقدر على المقام ويجتمع اوزبك والكرج ويقصدونه فينحلّ نظام امره وتتمّ عليه الهزيمة فبنوا امرهم على انّ جلال الدين يسير الهُوينا الى بلاد الكرج ويتربّث فى الطريق احتياطاً منهم فلمّا اتّفقوا على ذلك اتى الخبر الى الوزير فارسل الى جلال الدين يعرّفه الحال فاتاه الخبر وقد قارب بلاد الكرج فلم يُظهر من ذلك شيئاً وسار نحو الكرج مجدًّا فلقيهم وهزمهم فلمّا فرغ منهم قال لامرآء عسكره انّنى قد بلغنى من الخبر كذا وكذا فتقيمون انتم فى البلاد على ما انتم عليه من قتل مَن ظفرتم به وتخريب ما امكنكم من بلادهم فانّنى خفتُ ان اعرّفكم قبل هزيمة الكرج لئلّا يلحقكم وهْنٌ وخوف فاقاموا على حالهم وعاد هو الى تبريز وقبض على الرئيس والطغرائى وغيرهما فامّا الرئيس فامر ان يُطاف به على اهل البلد وكلّ من له عليه مظلمة فلياخذها منه وكان ظالماً ففرح الناس بذلك ثمّ قتله وامّا الباقون فحُبسوا فلمّا فرغ منهم واستقام له امر البلد تزوّج زوجة اوزبك ابنة السلطان طغرل وانّما صحّ له نكاحها لانّه ثبت عن اوزبك انّه حلف بطلاقها انّه لا يقتل مملوكاً له اسمه[1] ثمّ قتله فلمّا وقع الطلاق بهذا اليمين نكحها جلال الدين واقام بتبريز مدّة وسيّر منها جيشًا الى مدينة كنجة فملكوها وفارقها اوزبك الى قلعة كنجة فتحصّن فيها ء فبلغنى انّ عساكر جلال الدين تعرّضوا الى اعمال هذه القلعة بالنهب والاخذ فارسل اوزبك الى جلال الدين يشكوا ويقول كنتُ لا ارضى بهذه الحال لبعض اصحابى

[1]) Ead. lacuna in 740 est.

فانا اسال ان تكفّ الايدى المتطرّقة الى هذه الاعمال عنها فارسل جلال الدين اليها مَن يحميها من التعرّض اليه من اصحابه وغيرهم ۞

. ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله

فى هذا السنة اخر ليلة من شهر رمضان توفّى الخليفة الناصر لدين الله ابو العبّاس احمد بن المستضئ بامر الله ابى محمّد الحسن بن المستنجد بالله ابى المظفّر يوسف بن المقتفى لامر الله ابى العبّاس محمّد ابن المقتدى بامر الله ابى القاسم عبد الله بن الذخيرة محمّد بن القايم بامر الله ابى جعفر عبد الله بن القادر بالله ابى العبّاس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابى العبّاس احمد بن الموفّق ابى احمد محمّد ابن جعفر المتوكّل على الله ولم يكن الموفّق خليفةً وانّما كان ولىّ عهد اخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار ولده المعتضد بالله ولىّ عهد المعتمد على الله وكان المتوكّل على الله بن المعتصم بالله ابى اسحق محمّد بن هرون الرشيد ابن محمّد المهدى بن ابى جعفر عبد الله المنصور بن محمّد بن علىّ بن عبد الله ابى جعفر العبّاس بن عبد المطّلب رضى الله عنهم

نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضحى نورًا ومن فلق الصباح عَمُودَا

فكان فى اباۤيه اربعة عشر خليفة وهم كلّ مَن له لقب والباقون غير خلفاۤء وكان فيهم من ولىّ العهد محمّد بن القايم والموفّق بن المتوكّل وامّا باقى الخلفاۤء من بنى العبّاس فلم يكونوا من اباۤيه فكان السفّاح ابو العبّاس عبد الله اخا المنصور ولى قبله وكان موسى اخا الرشيد ولى قبله وكان محمّد الامين وعبد الله المامون ابنا الرشيد اخوى المعتصم وليا قبله وكان محمّد المنتصر بن المتوكّل ولى بعده ثمّ ولى بعد المنتصر بالله المستعين بالله ابو العبّاس احمد ابن محمّد بن المعتصم وولى بعد المستعين المعتزّ بالله محمّد وقيل طلحة وهو ابن المتوكّل وولى بعد المعتزّ المهتدى بالله محمّد بن الواثق ثمّ ولى بعده المعتمد على الله احمد بن المتوكّل فالمنتصر والمعتزّ والمعتمد اخوة الموفّق والمهتدى ابن عمّه والموفّق من اجداد الناصر لدين الله ثمّ ولى المعتضد بعد المعتمد وولى بعد المعتضد ابنه ابو محمّد على المكتفى بالله وهو اخو المقتدر بالله وولى بعد المقتدر اخوه

القاهر بالله ابو منصور محمّد بن المعتضد وولى بعد القاهر الراضى بالله ابو العبّاس محمّد بن المقتدر ثمّ ولى بعده المقتفى لله ابو اسحق ابرهيم بن المقتدر ثمّ ولى بعده المستكفى بالله ابو القاسم عبد الله [بن] المكتفى بالله علىّ بن المعتضد ثمّ ولى بعده المطيع لله ابو بكر عبد الكريم فالقاهر اخو المقتدر والراضى والمقتفى والمطيع بنوه والمستكفى ابن اخيه المكتفى [ثمّ ولى] الطايع لله ابن المقتدر ثمّ ولى بعد الطايع القادر[1] بالله و[هو] من اجداد الناصر لدين الله ثمّ ولى بعده المستظهر بالله [ثمّ ولى بعده ابنه المسترشد بالله ابو منصور وولى بعد المسترشد بالله][2] ابنه الراشد ابو جعفر فالمسترشد اخو المقتفى والراشد ابن اخيه فجمع من ولى الخلافة ممّن ليس فى سياق نسب الناصر تسعة عشر خليفة ، وكانت امّ الناصر امّ ولد تركيّة اسمها زمرّد وكانت خلافته ستًّا واربعين سنة وعشرة اشهر وثمانية وعشرين يومًا وكان عمره نحو سبعين سنة تقريبًا فلم يل الخلافة اطول مدّة منه الّا ما قيل عن المستنصر بالله العلوىّ صاحب مصر فانّه ولى ستّين سنة ولا اعتبار به فانّه ولى وله سبع سنين فلا تصحّ ولايته وبقى الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلًا عن الحركة بالكليّة وقد ذهبت احدى عينَيْه والاخرى يبصر بها ابصارًا ضعيفًا وفى اخر الامر اصابه دوسنطاريا عشرين يومًا ومات ، ووزر له عدّة وزرآء وقد تقدّم ذكرهم ولم يُطلق فى طول مرضه شيأً كان احدثه من الرسوم الجائرة وكان قبيح السيرة فى رعيّته ظالمًا فخرب فى ايّامه العراق وتفرّق اهله فى البلاد واخذ املاكهم واموالهم وكان يفعل الشئ وضدّه فمن ذلك انّه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها فى رمضان فبقيت مدّة ثمّ قطع ذلك ثمّ عمل دور الضيافة للحجاج فبقيت مدّة ثمّ بطلها واطلق بعض المكوس التى جدّدها ببغداد خاصّة ثمّ اعادها وجعل جُلّ همّه فى رمى البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوّة فبطل الفتوة فى البلاد جميعها الّا من يلبس منه سراويل يدّعى اليه وليس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة ، وكذلك ايضًا منع الطيور المناسيب

[1]) 740 Ups.: المقتدر   [2]) 740.

لغيره الّا ما يوخذ من طيوره ومنع الرمى بالبندق الّا مَن ينتمى اليه فاجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الّا انسانًا واحدًا يقال له ابن السفت من بغداد فانّه هرب من العراق ولحق بالشام فارسل اليه يرغّبه فى المال الجزيل ليرمى عنه وينتسب فى الرمى اليه فلم يفعل فبلغنى انّ بعض اصدقآيه انكر عليه الامتناع من اخذ المال فقال يكفينى فخرًا انّه ليس فى الدنيا احدٌ الّا يرمى للخليفة الّا انا فكان غرام الخليفة بهذه الاشيآء من اعجب الامور وكان سبب ما ينسبه العجم اليه صحيحًا من انّه هو الذى اطمع التتر فى البلاد وراسلهم فى ذلك فهو الطامّة الكبرى التى يصغر عندها كلّ ذنب عظيم ✿

ذكر خلافة الظاهر بامر الله

قد ذكرنا سنة خمس وثمانين وخمسمائة الخطبة للامير ابى نصر محمّد بن الخليفة الناصر لدين الله بولاية العهد فى العراق وغيره من البلاد ثمّ بعد ذلك خلعه الخليفة من ولاية العهد وارسل الى البلاد فى قطع الخطبة له وانّما فعل ذلك لانّه كان يميل الى ولده الصغير علىّ فاتّفق انّ الولد الصغير توفّى سنة اثنتى عشرة وستّمائة ولم يكن للخليفة ولد غير ولىّ العهد فاضطرّ الى اعادته الّا انّه تحت الاحتياط والحجر لا يتصرّف فى شىء فلمّا توفّى ابوه ولى الخلافة واحضر الناس لاخذ البيعة وتلقّب بالظاهر بامر الله وعنى انّ اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الامر عنه فظهر وولى الخلافة بامر الله لا بسعى من احد ولمّا ولى الخلافة اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين فلو قيل انّه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القايل صادقًا فانّه اعاد من الاموال المغصوبة فى ايّام ابيه وقبله شيأً كثيرًا واطلق المكوس فى البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم فى جميع العراق وان يسقط جميع ما جدّده ابوه وكان كثيرًا لا يحصى من ذلك انّ قرية يعقوبا كان يحصل منها قديمًا نحو عشرة الاف دينار فلمّا توفّى الناصر لدين اللّه كان يوخذ منها كلّ سنة ثمانون الف دينار فحضر اهلها واستغاثوا وذكروا انّ املاكهم اخذت حتّى صار يحصل منها هذا المبلغ فامر ان يوخذ الخراج الاوّل وهو عشرة الاف دينار فقيل له انّ هذا المبلغ يصل الى المخزن فمن اين

بكون العوض فاقام لهم العوض من جهات اخرى فاذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين الف دينار فما الظنّ بباقى البلاد ومن افعاله الجميلة انّه امر باخذ الخراج الاوّل من باقى البلاد جميعها فحضر كثير من اهل العراق وذكروا انّ الاملاك التى كان يوخذ منها الخراج قديمًا قد يبس اكثر اشجارها وخربت ومتى طولبوا بالخراج الاوّل لا يفى دَخْل الباقى بالخراج فامر ان لا يوخذ الخراج الّا من كلّ شجرة سليمة وامّا الذاهب فلا يوخذ منه شئٌ وهذا عظيم جدًّا ومن ذلك ايضًا انّ المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ويُعطون بالصنجة التى للبلد يتعامل بها الناس فسمع بذلك فخرج خطّه الى الوزير واوّله وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَآئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ[1] قد بلغنا انّ الامر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن الى الصنجة التى يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى فكتب بعض النوّاب اليه يقول انّ هذا مبلغ كثير وقد حسبناه فكان فى السنة الماضية خمسة وثلاثين الف دينار فاعاد الجواب ينكر على القائل ويقول لو انّه ثلاث ماية الف وخمسون الف دينار يُطلق ، وكذلك ايضًا فعل فى اطلاق زيادة الصنجة التى للديوان وهى فى كلّ دينار حبّة وتقدّم الى القاضى انّ كلّ من عرض عليه كتابًا صحيحًا بملك بعيده اليه من غير اذن واقام رجلًا صالحًا فى ولاية الحشرى وبيت المال وكان الرجل حنبليًّا فقال انّنى من مذهبى ان أُورّث ذوى الارحام فان اذن امير المومنين ان افعل ذلك ولبت والّا فلا فقال له اعط كلّ ذى حقّ حقّه واتّق الله ولا تتّق سواه ، ومنها انّ العادة كانت ببغداد انّ الحارس بكلّ درب يُبكّر ويكتب مطالعه الى الخليفة بما تجدّد فى دربه من اجتماع بعض الاصدقاء ببعض على نُزهة او سماع او غير ذلك ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير فكان الناس من هذا فى حجر عظيم فلمّا ولى هذا الخليفة جزاه الله خيرًا اتته المطالعات على العادة فامر

---

[1]) Cor. 83, 1 sqq.

بقطعها وقال اىّ غرض لنا فى معرفة احوال الناس فى بيوتهم فلا يكتب احدٌ الينا الّا ما يتعلّق بمصالح دولتنا فقيل له انّ العامّة تفسد بذلك ويعظم شرّها فقال نحن ندعوا الله فى ان يصلحهم ٭ ومنها انّه لمّا ولى الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان قد سار اليها ايّام الناصر لتحصيل الاموال فاصعد ومعه من المال ما يزيد على مائة الف دينار وكتب مطالعة تتضمّن ذكر ما معه ويستخرج الامر فى حمله فاعاد الجواب بان يُعاد الى اربابه فلا حاجة لنا اليه فاعيد عليهم ٭ ومنها انّه اخرج كلّ مَن كان فى السجون وامر باعادة ما اخذ منهم وارسل الى القاضى عشرة الاف دينار ليعطيها عن كلّ مَن هو محبوس فى حبس الشرع وليس له مال ٭ ومن حسن نيّته للناس انّ الاسعار فى الموصل وديار الجزيرة كانت غالية فرخصت الاسعار واختلف حمل الاطعمة اليها وان يبيع كلّ من اراد البيع للغلّة فحمل منها الكثير الذى لا يحصى فقيل له انّ السعر قد غلا شيًّا والمصلحة منع حمله فقال اوليك مسلمون وهولآء مسلمون وكما يجب علينا النظر فى امر هولآء كذلك يجب علينا النظر لاوليك وامر ان يباع من الاهرآ التى له طعام ارخص ممّا يبيع غيره ففعلوا ذلك فرخصت الاسعار عندهم ايضًا اكثر ممّا كانت اوّلًا وكان السعر فى الموصل لمّا ولى كلّ مكّوكين بدينار وثُلْثَىْ قيراط فصار كلّ اربعة مكاكى بدينار فى ايّام قليلة وكذلك باقى الاشيآء من التمر والدبس والارز والسمسم وغيرها فالله تعالى يؤيّده وينصره ويبقيه فانّه غريب فى هذا الزمان الفاسد ولقد سمعتُ عنه كلمة اعجبتنى جدًّا وهى انّه قيل له فى الذى يُخرجه ويُطلقه من الاموال التى لا تسمح نفس ببعضها فقال لهم انا فتحتُ الدكان بعد العصر فاتركونى افعل الخير فكم اعيش وتصدّق ليلة عيد الفطر من هذه السنة وفرّق فى العلمآء واهل الدين مائة الف دينار ٭

ذكر مُلك بدر الدين قلعتَىْ العماديّة وهرور

فى هذه السنة ملك بدر الدين قلعة العماديّة من اعمال الموصل وقد تقدّم ذكر عصيان اهلها عليه سنة خمس عشرة وستمائة وتسليمها

الى عماد الدين زنكى ثمّ عودهم الى طاعة بدر الدين وخلافهم على عماد الدين فلمّا عادوا الى بدر الدين احسن اليهم واعطاهم الاقطاع الكثير وملّكهم القرى ووصلهم بالاموال الجزيلة والخلع السنيّة فبقوا كذلك مدّة يسيرة ثمّ شرعوا يراسلون عماد الدين زنكى ومظفّر الدين صاحب اربل وشهاب الدين غازى بن العادل لمّا كان بخلاط ويعدون كلًّا منهم بالانحياز اليه والطاعة له واظهروا من المخالفة لبدر الدين ما كانوا يبطنونه فكانوا لا يمكّنون ان يقيم عندهم من اصحاب بدر الدين الّا من يريدونه ويمنعون مَن كرهوه وطال الامر وهو يحتمل فعلهم ويداريهم وهم لا يزدادون الّا طمعًا وخروجًا عن الطاعة وكانوا جماعة فاختلفوا فقوى بعضهم وهم اولاد خواجه ابرهيم واخوه ومن معهم على الباقين فاخرجوهم عن القلعة وغلبوا عليها واصرّوا على ما كانوا عليه من النفاق ، فلمّا كان هذه السنة سار بدر الدين اليهم فى عساكره فاتاهم بغتةً فحصرهم وضيّق عليهم وقطع الميرة عنهم واقام بنفسه عليهم وجعل قطعه من الجيش على قلعة هرور يحصرونها وهى من امنع الحصون واحصنها لا يوجد مثلها وكان اهلها ايضًا قد سلكوا طريق اهل العماديّة من عصيان وطاعة ومخادعة فاتاهم العسكر وحصروهم وهم فى قلّة من الذخيرة فحصروها ايّامًا ففنى ما فى القلعة فاضطرّ اهلها الى التسليم فسلّموها ونزلوا منها وعاد العسكر الى العماديّة فاقاموا عليها مع بدر الدين فبقى بدر الدين بعد اخذ هرور يسيرًا وعاد الى الموصل وترك العسكر بحاله مقيمًا عليهم مع نايبه امين الدين لؤلؤ فبقى الحصار الى اوّل ذى القعدة فارسلوا يُذعنون بالطاعة ويطلبون العوض عنها ليسلّموها فاستقرّت القواعد على العوض من قلعة يحتمون فيها واقطاع ومال وغير ذلك فاجابهم بدر الدين الى ما طلبوا وحضر نوّابهم ليحلّفوا بدر الدين فبينما هو يريد ان يحلف لهم وقد احضر مَنْ يشهد اليمين وان قد وصل طاير من العماديّة وعلى جناحه رقعة من امين الدين لؤلؤ يخبر انّه قد ملك العماديّة قهرًا وعنوةً واسر بنى خواجه الذين كانوا تغلّبوا عليه فامتنع بدر الدين من اليمين ، وامّا سبب غلبة امين الدين عليها فانّه كان قد ولّاه بدر الدين عليها لمّا عاد اهلها الى طاعته فبقى فيها مُدّة فاحسن اليهم واحسن السيرة

فيهم واستمال جماعة منهم ليتقوّى بهم على الحرب الذين عصوا اوّلاً فنمى الخبر اليهم فاسآوا مجاورته واستعالوا من ولايته عليهم ففارقهم الى الموصل وكان اولئك الذين استمالهم يكاتبونه ويراسلونه فلمّا حصرهم كانوا ايضًا يكاتبونه في النشاب يخبرونه بكلّ ما يفعله اولاد خواجه من انفاذ رسول وغير ذلك وبما عندهم من الذخاير الّا انّهم لم يكونوا في الكثرة الى انّهم يقهرون اولئك فلمّا كان الآن واستقرّت القواعد من التسليم لم يذكر اولادُ خواجه احدًا من جند القلعة في نسخة اليمين بمال ولا غيره من امان واقطاع فسخطوا هذه الحال وقالوا لهم قد حلّفتم لانفسكم بالحصون والقرى والمال ونحن فقد خربت بيوتنا لاجلكم فلم تذكرونا فاهانوهم ولم يلتفتوا اليهم فحضر عند امين الدين رجلان منهم ليلًا وطلبوا منه ان يرسل اليهم جمعًا يُصعدونهم الى القلعة ويثبون باولئك ويأخذونهم فامتنع وقال اخاف ان لا يتمّ هذا الامر ويفسد علينا كلّ ما فعلناه فقالوا نحن نقبض عليهم غدًا بكرة وتكون انت والعسكر على ظَهْر فاذا سمعتم النداء باسم بدر الدين وشعاره تصعدون الينا فاجابهم الى ذلك وركب بكرة هو والعسكر على العادة وامّا اولئك فانّهم اجتمعوا وقبضوا على اولاد خواجه ومن معهم ونادوا بشعار بدر الدين فبينما العسكر قيام واذا الصوت من القلعة باسم بدر الدين فصعدوا اليها وملكوها وتسلّم امين الدين اولاد خواجه فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطاير بالحال وملكوا القلعة صفوًا عفوًا بغير عوض وكان يريد يغرم مالًا جليلًا واقطاعًا كثيرة وحصنًا منيعًا فتوفّر الجميع عليه واخذ منهم كلّ ما احتقبوه وادّخروه واذا اراد الله امرًا فلا مردّ له ✿

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ليلة الاحد العشرين من صفر زلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسّطة ، وفيها اشتدّ الغلآء بالموصل وديار الجزيرة جميعها فاكل الناس الميتة والكلاب والسنانير فقلّ الكلاب والسنانير بعد ان كانوا كثيرًا ولقد دخلتُ يومًا الى داري فرايتُ الجوارى يقطّعن اللحم ليطبخوه فرايت سنانير استكثرتُها فعددتُها فكانت اثنى عشر سنّورًا ورايت اللحم في هذا الغلآء في الدار وليس عنده من يحفظه

من السنانير لعدمها ولبس بين المرّتين كثير وغلا مع الطعام كلّ شئ فبيع الرطل الشيرج بقيراطين بعد ان كان بنصف قيراط قبل الغلآء وامّا قبل ذلك فكان كلّ ستّين رطلًا بدينار ومن العجب انّ السلق والجزر والشلجم بيع كلّ خمسه ارطال بدرهم وبيع البنفسج كلّ ستّة ارطال بدرهم وبيع فى بعض الاوقات كلّ سبعة ارطال بدرهم وهذا ما لم يسمع بمثله ولقد راينا ما لم نر ولا سمعنا بمثله فانّ الدنيا ما زالت قديمًا وحديثًا اذا غلت الاسعار متى جآء المطر رخصت الّا هذه السنة فانّ الامطار ما زالت متتابعة من اوّل الشتآء الى اخر الربيع وكلّما جآء المطر غلت الاسعار وهذا ما لم يسمع بمثله فبلغت الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط يكون وزنه خمسة واربعين رطلاً دقيقًا بالبغدادىّ وكان الملح مكوك بدرهم فصار المكوك بعشرة دراهم وكان الارز مكوك باثنى عشرة درهمًا فصار المكوك بخمسين درهمًا وكان التمر كلّ اربعة ارطال وخمسة ارطال بقيراط فصار كلّ رطلين بقيراط ومن عجيب ما يُحكى انّ السكر النادر الاسمر كان كلّ رطل بدرهم وكان السكر الابلوج المصرىّ النقى كلّ رطل بدرهمين صار السكر الاسمر كلّ رطل بثلاثة دراهم ونصف والسكر الابلوج كلّ رطل بثلاثه دراهم وربع وسببه انّ الامراض لمّا كثرت واشتدّ الوبآء قال النسآء هذه الامراض باردة والسكر الاسمر حارّ فينفع منها والابلوج بارد يقويها وتبعهنّ الاطبّآء استمالة لقوبهنّ ولجهلهنّ فغلا الاسمر بهذا السبب وهذا من الجهل المفرط وما زالت الاشيآء هكذا الى اوّل الصيف واشتدّ الوبآء وكثر الموت والمرض فى الناس فكان يحمل على النعش الواحد عدّة من الموتى ممّن مات فيه شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسىّ خطيب الموصل وكان من صالحى المسلمين وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور وفيها انخسف القمر ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر وفيها هرب امير حاجّ العراق وهو حسام الدين ابو فراس الحلّى الكردىّ الورّامىّ وهو ابن اخى الشيخ ورّام كان عمّه من صالحى المسلمين وخيارهم من اهل الحلّة السيفيّة فارق الحاجّ بين مكّة والمدينة وسار الى مصر حكى لى بعض اصدقآئه انّه انّما حمله على الهرب كثرة الخرج فى الطريق وقلّة المعونة من الخليفة ولمّا فارق الحاجّ خافوا خوفًا شديدًا من

العرب فآمن الله خوفهم ولم يرعهم ذاعر فى جميع الطريق وصلوا امنين الّا انّ كثيرًا من الجمال هلك اصابها غُدّة عظيمة لم يسلم الّا القليل ، وفيها فى آب جآء مطر شديد ورعد وبرق ودام حتّى جرت من الاودية وامتلأت الطرق بالوحل ثمّ جآء الخبر من العراق والشام والجزيرة وديار بكر انّه كان عندهم مثله ولم يصل الينا احد الّا واخبر انّ المطر كان عندهم فى ذلك التاريخ ، وفيها كان فى الشتآء ثلج كثير ونزلت بالعراق فسمعتُ انّه نزل فى جميع العراق حتّى فى البصرة امّا الى واسط فلا شكّ فيه وامّا البصرة فانّ الخبر لم يكثر عندنا بنزوله فيها ، وفيها خربت قلعة الزعفران من اعمال الموصل وهى حصن مشهور يعرف قديمًا بدير الزعفران وهو على جبل عالٍ قريب من فرشابور ، وفيها ايضًا خربت قلعة الجديدة من بلد الهكّاريّة من اعمال الموصل ايضًا واضيف عملها وقراها الى العماديّة ، وفيها فى ذى الحجّة سار جلال الدين بن خوارزم شاه من تبريز الى بلد الكرج قاصدًا لاخذ بلادهم واستيصالهم وخرجت السنة ولم يبلغنا انّه فعل بهم شيأً ونحن نذكر ما فعله بهم سنة ثلاث وعشرين وستّماية ان شآء الله ، وفيها ثالث شباط سقط ببغداد ثلج وبرد المآء بردًا شديدًا وقوى البرد حتّى مات به جماعة من الفقرآء ، وفيها فى ربيع الاوّل زادت دجلة زيادة عظيمة واشتغل الناس باصلاح سكر القورج وخافوا فبلغت الزيادة قريبًا من الزيادة الاوّلة ثمّ نقص المآء واستبشر الناس ☼

ثم دخلت السنة ثلاث وعشرين وستّماية ، سنة ٦٢٣

ذكر مُلك جلال الدين تفليس

فى هذه السنة ثانى ربيع الاوّل فتح جلال الدين بن خوارزم شاه مدينة تفليس من الكرج وسبب ذلك انّا قد ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وستّماية الحرب بينه وبينهم وانهزامهم منه وعوده الى تبريز بسبب الخلف الواقع فيها فلمّا استقرّ الامر فى اذربيجان عاد الى بلد الكرج فى ذى الحجّة من السنة وخرجت سنة اثنتين وعشرين وستّماية ودخلت هذه السنة فقصد بلادهم وقد عادوا حشدوا وجمعوا من الامم المجاورة لهم اللان واللكز وقفجاق وغيرهم فاجتمعوا فى جمع كثير لا يحصى فطمعوا

بذلك ومنّتهم انفسهم الاباطيل ووعدهم الشيطان الظفر وما يعدهم الشيطان
الّا غرورًا فلقيهم وجعل لهم الكمين فى عدّة مواضع والتقوا واقتتلوا فولّى
الكرج منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه ولا الوالد على ولده وكلّ منهم
قد اهمّته نفسه واخذتهم سيوف المسلمين من كلّ جانب فلم ينج منهم
الّا اليسير الشاذّ الذى لا يُعْبَأُ به وامر جلال الدين عسكره ان لا
يبقوا على احد وان يقتلوا مَن وجدوا فتبعوا المنهزمين يقتلونهم واشار
عليه اصحابه بقصد تفليس دار ملكهم فقال لا حاجة لنا الى ان نقتل
رجالنا تحت الاسوار انّما اذا افنيتُ الكرج اخذتُ البلاد صفوًا عفوًا
ولم تزل العساكر تتبعهم وتستقصى فى طلبهم الى ان كادوا يفنونهم
فحينئذ قصد تفليس ونزل بالقرب منها وسار فى بعض الايّام فى طائفة
من العسكر وقصدها لينظر اليها ويبصر مواضع النزول عليها وكيف يقاتلها
فلمّا قاربها كمن اكثر العسكر الذى معه فى عدّة مواضع ثمّ تقدّم
اليها فى نحو ثلاثة الاف فارس فلمّا رءاه مَن بها من الكرج طمعوا فيه
لقلّة من معه ولم يعلموا انّه معهم فظهروا اليه فقاتلوه فتاخّر عنهم فقوى
طمعهم فظنّوه منهزمًا فتبعوه فلمّا توسّطوا العساكر[1] خرجوا عليهم ووضعوا
السيف فيهم فقُتل اكثرهم وانهزم الباقون الى المدينة فدخلوها وتبعهم
المسلمون فلمّا وصلوا اليها نادى المسلمون من اهلها بشعار الاسلام وباسم
جلال الدين فالقى الكرج بايديهم واستسلموا لانّهم كانوا قد قُتل رجالهم
فى الوقعات المذكورة فقلّ عددهم وملئت قلوبهم خوفًا ورعبًا فملك المسلمون
البلد عنوةً وقهرًا بغير امان وقتل كلّ مَن فيه من الكرج ولم يُبق على
كبير ولا صغير الّا مَن اذعن بالاسلام واقرّ بكلمتَىْ الشهادة فانّهم ابقى
عليهم وامرهم فاختتنوا وتركهم ونهب المسلمون الاموال وسبوا النسآء
واسترقّوا الاولاد ووصل الى المسلمين الذين بها بعض الاذى من قتل ونهب
وغيره ٭ وهذه تفليس من احصن البلاد وامنعها وهى على جانبَىْ نهر الكرّ
وهو نهر كبير ولقد حلّ هذا الفتح وعظم موقعه فى بلاد الاسلام وعند
المسلمين فانّ الكرج كانوا قد استطالوا عليهم وفعلوا بهم ما ارادوا فكانوا

1) J. As. 1849 II, 488· الكمنآء

يقصدون اىّ بلاد اذربيجان ارادوا فلا يمنعهم عنها مانع ولا يدفعهم عنها دافع وهكذا ارزن الروم حتّى انّ صاحبها لبس خلعة ملك الكرج ورفع على راسه علمًا منه فى اعلاه صليبٌ وتنصّر ولده رغبة فى نكاح ملكة الكرج وخوفًا منهم ليدفع الشرّ عنه وقد تقدّمت القصّة وهكذا دربند شروان وعظم امرهم الى حدّ انّ ركن الدين بن قلج ارسلان صاحب قونيّة واقصرا وملطيّة وساير بلاد الروم التى للمسلمين جمع عساكره وحشد معها غيرها فاستكثر وقصد ارزن الروم وهى لاخيه طغرل شاه بن قلج ارسلان فاتاه الكرج وهزموه وفعلوا به وبعسكره كلّ عظيم وكان اهل دربند شروان معهم فى الضنك والشدّة ، وامّا ارمينيّة فانّ الكرج دخلوا مدينة ارجيش وملكوا فرس[1] وغيرها وحصروا خلاط فلولا انّ الله سبحانه منّ على المسلمين باسر ايوانى[2] مقدّم عساكر الكرج لملكوها فاضطرّ اهلها الى انّ بنوا لهم بيعة فى القلعة يُضرب فيها الناقوس فرحلوا عنهم وقد تقدّم تفصيل هذه الجملة ولم يزل هذا الثغر من اعظم الثغور ضررًا على المجاورية من الفرس قبل الاسلام وعلى المسلمين بعدهم من اوّل الاسلام الى الآن ولم يقدم احد عليهم هذا الاقدام ولا فعل بهم هذه الافاعيل فانّ الكرج ملكوا تفليس سنة خمس عشرة وخمسمائة والسلطان حينئذ محمود بن محمّد بن ملكشاه السلجوقىّ وهو من اعظم السلاطين منزلة واوسعهم مملكة واكثرهم عساكر فلم يقدر على منعهم عنها هذا مع سعة بلاده فانّه كان له الرىّ واعمالها وبلد الجبل واصفهان وفارس وخوزستان والعراق واذربيجان واران وارمينيّة وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وغير ذلك وعمّه السلطان سنجر له خراسان وما ورآء النهر فكان اكثر بلاد الاسلام بايديهم ومع هذا فانّه جمع عساكره سنة تسع عشرة وخمسمائة وسار اليهم بعد ان ملكوها فلم يقدر عليهم ثمّ ملك بعده اخوه السلطان مسعود فكذلك وملك الدكز بلد الجبل والرىّ واذربيجان واران واطاعه صاحب خلاط وصاحب فارس وصاحب خوزستان وجمع وحشد لهم وكان قصاراه ان يتخلّص منهم ثمّ ابنه البهلوان بعده وكانت البلاد فى

---

[1] فرس [2] ايوانى

ايّام اوليك كثيرة الاموال والرجال فلم يحدّثوا انفسهم بالظفر بهولآء حتّى جآء هذا السلطان والبلاد خراب قد اضعفها الكرج اوّلا ثمّ استاصلتها التتر لعنهم اللّه على ما ذكرنا ففعل بهم هذه الافاعيل فسبحان مَن اذا اراد امرًا قال له كن فيكون ۞

ذكر مسير مظفّر الدين صاحب اربل الى الموصل وعوده عنها

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة سار مظفّر الدين بن زين الدين [صاحب اربل الى اعمال الموصل قاصدًا اليها وكان السبب فى ذلك انّه استقرّت القاعدة بينه وبين جلال الدين][1] بن خوارزم شاه وبين الملك المعظّم صاحب دمشق وبين صاحب آمد وبين ناصر الدين صاحب ماردين ليقصدوا البلاد التى بيد الاشرف ويتغلّبوا عليها ويكون لكلّ منهم نصيب ذكره واستقرّت القواعد بينهم على ذلك فبادر مظفّر الدين الى الموصل وامّا جلال الدين فانّه سار من تفليس يريد خلاط فاتاه الخبر انّ نايبه ببلاد كرمان واسمه بلاق حاجب قد عصى عليه على ما نذكره فلمّا اتاه الخبر بذلك ترك[2] خلاط ولم يقصدها الّا انّ عسكره نهب بعض بلدها وخرّبوا كثيرًا منه وسار مجدًّا الى كرمان فانفسخ جميع ما كانوا عزموا عليه الّا انّ مظفّر الدين سار من اربل ونزل على جانب الزاب ولم يمكنه العبور الى بلد الموصل وكان بدر الدين قد ارسل من الموصل الى الاشرف وهو بالرقّة يستنجده ويطلب منه ان يحضر بنفسه الموصل ليدفعوا مظفّر الدين فسار منها الى حرّان ومن حرّان الى دنيسر فخرب بلد ماردين واهلكه تخريبًا ونهبًا ، وامّا المعظّم صاحب دمشق فانّه قصد بلد حمص وحماة وارسل الى اخيه الاشرف يقول ان رحلتَ عن ماردين وحلب وانا عن حمص وحماة وارسلت الى مظفّر الدين ليرجع عن بلد الموصل فرحل الاشرف عن ماردين وعاد كلّ منهم الى بلده وخربت اعمال الموصل واعمال ماردين بهذه الحركة فانّها كانت قد اجحف بها تتابع الغلآء وطول مدّته وجلآء اكثر اهلها فاتتها هذه الحادثة فازدادت خرابًا ۞

[1]) Cod. 740; at قاصدين pro قاصدا ibi exstat. [2]) نزل

ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة وصل الخبر الى جلال الدين انّ نائبه بكرمان وهو امير كبير اسمه بلاق حاجب قد عصى عليه وطمع فى البلاد ان يتملّكها ويستبدّ بها لبُعد جلال الدين عنها واشتغاله بما ذكرناه من الكرج وغيرهم وانّه ارسل الى التتر يعرّفهم قوّة جلال الدين وملكه كثيرًا من البلاد وان اخذ الباقى عظمت مملكته وكثرت عساكره وسار اليكم واخذ ما بايديكم من البلاد ؛ فلمّا سمع جلال الدين ذلك كان قد سار يريد خلاط فتركها وسار الى كرمان [يطوى المراحل ارسل بين يديه رسولًا الى صاحب كرمان][1] ومعه الخلع ليطمئنّ ونائبه وهو غير محتاط ولا مستعدّ للامتناع منه فلمّا وصل الرسول علم انّ ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عادته فاخذ ما يعزّ عليه وصعد الى قلعة منيعة فتحصّن بها وجعل مَنْ يثق اليه من اصحابه فى الحصون يمتنعون بها وارسل الى جلال الدين يقول انّنى انا العبد والمملوك ولمّا سمعتُ بمسيرك الى هذه البلاد اخليتُها لك لانّها بلادك ولو علمتُ انّك تُبقى علىّ لحضرتُ بابك ولكنّى اخاف هذا جميعه والرسول يحلف له[2] انّ جلال الدين بتفليس وهو لا يلتفت الى قوله فعاد الرسول فعلم جلال الدين انّه لا يمكنه اخذ ما بيده من الحصون لانّه يحتاج يحصرها مدّة طويلة فوقف بالقرب من اصفهان وارسل اليه الخلع واقرّه على ولايته فبينما الرسل تتردّد اذ وصل رسول من وزير جلال الدين اليه من تفليس يعرّفه انّ عسكر الملك الاشرف الذى بخلاط قد هزموا بعض عسكره واوقعوا بهم ويحثّه على العود الى تفليس فعاد اليها مسرعًا ❁

ذكر الحرب بين عسكر الاشرف وعسكر جلال الدين

لمّا سار جلال الدين الى كرمان ترك بمدينة تفليس عسكرًا مع وزيره شرف الملك فقلّت عليهم الميرة فساروا الى اعمال ارزن الروم فوصلوا اليها ونهبوها وسبوا النساء واخذوا من الغنائم شيئًا كثيرًا لا يُحصر وعادوا فكان طريقهم على اطراف ولاية خلاط فسمع النائب من الاشرف بخلاط

[2]) Deest in 740. [1]) 740.

وهو الحاجب حسام الدين على الموصل فجمع العسكر وسار اليهم فاوقع
بهم واستنقذ ما معهم من الغنايم وغنم كثيرًا ممّا معهم وعاد هو وعساكره
سالمين فلمّا فعل ذلك خاف وزير جلال الدين منهم فارسل الى صاحبه
بكرمان يعرّفه الحال ويحثّه على الوصول اليه ويخوّفه عاقبة التوانى والاهمال
فرجع فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر وفاة الخليفة الظاهر بامر الله

فى هذه السنه فى الرابع عشر من رجب توفّى الامام الظاهر بامر الله
امير المومنين ابو نصر محمّد بن الناصر لدين الله ابى العبّاس احمد بن
المستضئ بامرّ الله وقد تقدّم نسبه عند وفاة ابيه رضى الله عنهما فكانت
خلافته تسعة اشهر واربعة عشر يومًا وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع
الخضوع لربّه والعدل والاحسان الى رعيّته وقد تقدّم عند ذكر ولايته
الخلافة من افعاله ما فيه كفاية ولم يزل كلّ يوم يزداد من الخير والاحسان
الى الرعيّة فرضى الله عنه وارضاه واحسن منقلبه ومثواه فلقد جدّد من
العدل ما كان دارسًا واذكر من الاحسان ما كان منسيًا وكان قبل
وفاته اخرج توقيعًا الى الوزير بخطّه على ارباب الدوله وقال الرسول امير
المؤمنين يقول ليس غرضنا ان يقال برز مرسوم او نُفّذ مثالٌ ثمّ لا يبين
له اثر بل انتم الى امام فعّال احوج منكم الى امام قوّال فقروه فاذا فى
اوّله بعد البسملة اعلموا انّه ليس امهالنا اهمالًا ولا اغضآونا اغفالًا ولكن
لنبلوكم ايّكم احسن عملًا وقد عفونا لكم ما سلف من اخراب البلاد
وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة واظهار الباطل الجلىّ فى صورة الحقّ الخفىّ
حيلة ومكيدة وتسمية الاستيصال والاحتياج استيفآء واستدراكًا لاغراض
انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل وانياب اسد مهيب تتّفقون
بالفاظ مختلفة على معنًى وانتم امنآوه وثقاته فتميلون رايه الى هواكم
وتمزجون باطلكم بحقّه فيطيعكم وانتم له عاصون ويوافقكم وانتم له
مخالفون والآن قد بدّل الله سبحانه بخوفكم امنًا وبفقركم غنًا وبباطلكم
حقًّا ورزقكم سلطانًا يُقيل العثرة ولا يواخذ الّا مَن اصرّ ولا ينتقم الّا
ممّن استمرّ يامركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو
يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوّفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغّبكم

فى طاعته فان سلكتم مسالك نوّاب خلفآء الله فى ارضه وامنآبه على خلقه والّا هلكتم والسلام ، ولمّا توفى وجدوا فى بيت فى داره الوف رقاع كلّها مختومة لم يفتحها فعمل له ليفتحها فقال لا حاجة لنا فيها كلّها سعايات ، ولم أزل علم الله سبحانه مُذْ ولى الخلافة اخاف عليه قصر المدّة لخبث الزمان وفساد اهله واقول لكثير من اصدقائنا وما اخوفنى ان تقصّر مدّة خلافته لانّ زماننا واهله لا يستحقون خلافته فكان كذلك ☆

ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله

لمّا توفى الظاهر بامر الله بويع بالخلافة ابنه الاكبر ابو جعفر المنصور ولُقّب المستنصر بالله وسلك فى الخير والاحسان الى الناس سيرة ابيه رضى الله عنه وامر فنودى ببغداد باقامة العدل وانّ مَن كان له حاجة او مظلمة يطالع بها تقضى حاجته وتكشف مظلمته فلمّا كان اوّل جمعة اتت على خلافته اراد ان يصلّى الجمعة فى المقصورة التى كان يصلّى فيها الخلفآء فقيل له ان المطبّق الذى يسلك فيه اليها خراب لا يمكن سلوكه فركب فرسًا وسار الى الجامع جامع القصر ظاهرًا يراه الناس بقميص ابيض وعمامة بيضا بسكاكين حرير ولم يترك احدًا يمشى معه من اصحابه بالصلاة الى الموضع الذى كان يصلّى فيه وسار هو ومعه خادمان وركابدار لا غير فصلّى وعاد وكذلك الجمعة الثانية حتى اصلح له المطبّق ، وكان السعر قد تحرّك بعد وفاة الظاهر بامر الله رضى الله عنه فبلغت الكارة ثمانية عشر قيراطًا فامران تباع الغلات التى له كلّ كارة بثلاثة عشر قيراطًا فرخصت الاسعار واستقامت الامور ☆

ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد

فى هذه السنة فى شعبان سار علآء الدين كيقباذ بن كيخسرو [بن] قلج ارسلان ملك بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود صاحب آمد وملك عدّة من حصونه وسبب ذلك ما ذكرناه من اتّفاق صاحب آمد مع جلال الدين خوارزم شاه والملك المعظّم صاحب دمشق وغيرهما على خلاف الاشرف فلمّا راى الاشرف ذلك ارسل الى كيقباذ ملك الروم وكانا متّفقين يطلب منه ان يقصد بلد صاحب آمد ويحاربه وكان الاشرف حينئذ على ماردين فسار ملك الروم الى ملطية وهى له فنزل عندها وسيّر العساكر

الى ولاية صاحب آمد [ففتحوا حصن منصور وحصن شمكاراد[1] وغيرها فلمّا راى صاحب آمد][2] ذلك راسل الاشرف وعاد الى موافقته فارسل الاشرف الى كيقباذ يعرّفه ذلك ويقول له ليعيد الى صاحب آمد ما اخذ منه فلم يفعل وقال لم اكن نايبًا للاشرف بامرني وينهاني، فاتّفق انّ الاشرف سار الى دمشق ليصلح اخاه الملك المعظّم وامر العساكر التى له بديار الجزيرة بمساعدة صاحب آمد ان اصرّ ملك الروم على قصده فسارت عساكر الاشرف الى صاحب آمد وقد جمع عسكره ومَن ببلاده ممّن يصلح للحرب وسار الى عسكر ملك الروم وهم يحاصرون قلعة الكاختا فالتقوا هناك فى شوّال فانهزم صاحب آمد ومَن معه من العساكر هزيمة عظيمة وجُرح كثير وأُسر كثير وملك عسكر كيقباذ قلعة الكاختا بعد الهزيمة وهى من امنع الحصون والمعاقل فلمّا ملكوه عادوا الى صاحبهم ۞

ذكر حصر جلال الدين مدينتَىْ آنى وقرس[3]

فى هذه السنة فى رمضان عاد جلال الدين من كرمان كما ذكرناه الى تفليس وسار منها الى مدينة آنى وهى للكرج وبها ايوانى[4] مقدّم عساكر الكرج فيمن بقى معه من اعيان الكرج [فحصره وسيّر طايفة من العسكر الى مدينة قرس وهى للكرج][5] ايضًا وكلاهما من احصن البلاد وامنعها فنازلهما وحصرهما وقاتل من بهما ونصب عليهما المجانيق وجدّ فى القتال عليهما وحفظهما الكرج وبالغوا فى الحفظ والاحتياط لخوفهم منه ان يفعل بهم ما فعل باشياعهم من قبل بمدينة تفليس واقام عليهما الى ان مضى بعض شوّال ثمّ ترك العسكر عليهما يحصرونهما وعاد الى تفليس وسار من تفليس مجدًّا الى بلاد ابخاز وبقايا الكُرج فاوقع بمن فيها فنهب وقتل وسبى وخرّب البلاد واحرقها وغنم عساكره ما فيها وعاد منها الى تفليس ۞

ذكر حصر جلال الدين خلاط

قد ذكرنا انّ جلال الدين عاد من مدينة آنى الى تفليس ودخل بلاد ابخاز وكان رحيله مكيدة لانّه بلغه انّ النايب عن الملك الاشرف وهو الحاجب حُسام الدين علىّ بمدينة خلاط قد احتاط واهتمّ بالامر

1) سمسكاراد. 2) 740. 3) قرس. 4) ايوانى. 5) 740.

وحفظ البلد لقربه منه فعاد الى تفليس ليعلمين اهل خلاط وتركوا الاحتياط والاستظهار ثمّ بقصدهم بغتةً فكانت غيبته ببلاد ابخاز عشرة ايّام وعاد وسار مجدًّا على عادته فلو لم يكن عنده من يراسل نوّاب الاشرف بالاخبار لفاجئهم على حين غفلة منهم وانّما كان عنده بعض ثقاته يعرّفهم اخباره وكتب اليهم يحذّرهم فوصل الخبر اليهم قبل وصوله بيومين ووصل جلال الدين فنازل مدينة ملازكرد يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة ثمّ رحل عنها فنازل مدينة خلاط يوم الاثنين خامس عشره فلم ينزل حتّى زحف اليها وقاتل اهلها قتالاً شديدًا فوصل عسكره سور البلد وقُتل بينهم قتلى كثيرة ثمّ زحف اليها مرّة ثانية وقاتل اهل البلد قتالاً عظيمًا فعظمت نكاية العسكر فى اهل خلاط ووصلوا الى سور البلد ودخلوا الربض الذى له ومدّوا ايديهم فى النهب وسبى الحريم فلمّا راى اهل خلاط ذلك تذامروا وحرّض بعضهم بعضًا فعادوا الى العسكر فقاتلوهم فاخرجوهم من البلد وقُتل بينهم خلق كثير واسر العسكر الخوارزمىّ من امراء خلاط جماعة وقُتل منهم كثير وترجّل الحاجب علىّ ووقف فى نحر العدوّ وابلى بلآء عظيمًا ثمّ انّ جلال الدين استراح عدّة ايّام وعاود الزحف مثل اوّل يوم فقاتلوه حتّى ابعدوا عسكره عن البلد وكان اهل خلاط مجدّين فى القتال حريصين على المنع عن انفسهم لما راوا من سوء سيرة الخوارزميّين ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد فهم يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريمه وماله ثمّ اقام عليها الى ان اشتدّ البرد ونزل شئٌ من الثلج فرحل عنها يوم الثلاثآء لسبع بقين من ذى الحجّة من السنة وكان سبب رحيله مع خوف الثلج ما بلغه عن التركمان الايوائيّة من الفساد ببلاده ❊

ذكر ايقاع جلال الدين بالتركمان الايوائيّة

كان التركمان الايوائيّة قد تغلّبوا على مدينة اشنو وأُرمية من نواحى اذربيجان واخذوا الخراج من اهل خوىّ ليكفّوا عنهم واغترّوا باشتغال جلال الدين بالكرج وبعدهم بخلاط وازداد طمعهم وانبسطوا باذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق والاخبار تاتى الى خوارزم شاه جلال الدين وهو يتغافل عنهم لاشتغاله بما هو اهمّ عنده وبلغ من طمعهم انّهم قطعوا

الطريق بالقرب من تبريز واخذوا من تجار اهلها شيئاً كثيراً ومن جملة ذلك انّ منهم اشتروا غنمًا من ارزن الروم وقصدوا بها تبريز فلقيهم الايوائيّة قبل وصولهم الى تبريز فاخذوا جميع ما معهم ومن جملته عشرون الف راس غنم فلمّا اشتدّ ذلك على الناس وعظم الشرّ ارسلت زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل ونوّابه فى البلاد اليه يستغيثون ويعرّفونه انّ البلاد قد خرّبها الايوائيّة ولئن لم يلحقها والّا هلكت بالمرّة فاتّفق هذا الى خوف الثلج فرحل عن خلاط وجدّ السير الى الايوائيّة وهم امنون مطمئنون لعلمهم انّ خوارزم شاه على خلاط وظنّوا انّه لا يفارقها فلو لا هذا الاعتقاد لصعدوا الى جبال لهم منيعة شاهقة لا يُرتقى اليها الّا بمشقّة وعناء فانّهم كانوا اذا خافوا صعدوا اليها وامتنعوا بها فلم يرعهم الّا والعساكر الجلاليّة قد احاطت بهم واخذهم السيف من كلّ جانب فاكثروا القتل فيهم والنهب والسبى واسترقّوا الحريم والاولاد واخذوا من عندهم ما لا يدخل تحت الحصر فراوا كثيرًا من الامتعة التى اخذوها من التجار بحالها فى الشذات لم تحل هذا سوى ما كانوا قد حلّوه وفصّلوه فلمّا فرغ عاد الى تبريز ۞

ذكر الصلح بين المعظّم والاشرف

نبتدى بذكر سبب الاختلاف فنقول لمّا توفّى الملك العادل ابو بكر بن ايّوب اتّفق اولاده الملوك بعده اتّفاقاً حسنًا وهم الملك الكامل محمّد صاحب مصر والملك المعظّم عيسى صاحب دمشق والبيت المقدّس وما يجاورها من البلاد والملك الاشرف موسى وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط واجتمعت كلمتهم على دفع الفرنج عن الديار المصريّة ولمّا رحل الكامل عن دمياط لمّا كان الفرنج يحصرونها صادفه اخوه المعظّم من الغد وقوّيت نفسه وثبت قدمه ولو لا ذلك لكان الامر عظيمًا وقد ذكرنا ذلك مفصّلاً ثمّ انّه عاد من مصر وسار الى اخيه الاشرف ببلاد الجزيرة مرّتين يستنجده على الفرنج ويحثّه على مساعدة اخيهما الكامل ولم يزل به حتّى اخذه وسار الى مصر وازالوا الفرنج عن الديار المصريّة كما ذكرناه قبلُ فكان اتّفاقهم سببًا لحفظ بلاد الاسلام وسُرّ الناس اجمعون بذلك فلمّا فارق الفرنج مصر وعاد كلّ من الملوك اولاد العادل

الى بلده وبقوا كذلك يسيرًا ثمّ سار الاشرف الى اخيه الكامل بمصر فاجتاز باخيه المعظم بدمشق فلم يستصحبه معه واطال المقام بمصر فلا شكّ انّ المعظّم ساءه ذلك ثمّ انّ المعظّم سار الى مدينة حماة وحصرها فارسل اليه اخواه من مصر ورحّلاه عنها كارهًا فازداد نفورًا وقيل انّه نقل اليه عنهما انّهما اتّفقا عليه والله اعلم بذلك ثمّ انضاف الى ذلك انّ الخليفة الناصر لدين الله رضى الله عنه كان قد استوحش من الكامل لما فعله ولده صاحب اليمن بمكّة من الاستهانة باميره الحاجّ العراقى فاعرض عنه وعن اخيه الاشرف لاتّفاقهما وقاطعهما وراسل مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين علىّ صاحب اربل لعلمه بانحرافه عن الاشرف واستماله واتّفقا على مراسلة المعظّم وتعظيم الامر عليه فمال اليهما وانحرف عن اخوته ثمّ اتّفق ظهور جلال الدين وكثرة مُلكه فاشتدّ الامر على الاشرف بمجاورة جلال الدين خوارزم شاه ولاية خلاط ولانّ المعظّم بدمشق يمنع عنه عساكر مصر ان تصل اليه وكذلك عساكر حلب وغيرها من الشام فراى الاشرف ان يسير الى اخيه المعظّم بدمشق فسار اليه فى شوّال واستماله واصلحه فلمّا سمع الكامل بذلك عظم عليه وظنّ انّ اتّفاقهما عليه ثمّ انّهما راسلاه واعلماه بنزول جلال الدين على خلاط وعظّما الامر عليه واعلماه انّ هذه الحال تقتضى الاتّفاق لعمارة البيت العادلىّ وانقضت السنة والاشرف بدمشق والناس على مواضعهم ينتظرون خروج الشتاء ما يكون من الخوارزميّين وسنذكر ما يكون سنة اربع وعشرين وستّمائة ان شاء الله تعالى ۞

ذكر الفتنة بين الفرنج والارمن

فى هذه السنة جمع البرنس الفرنجىّ صاحب انطاكيّة جموعًا كثيرة وقصد الارمن الذين فى الدروب [من] بلاد ابن ليون فكان بينهم حرب شديدة وسبب ذلك انّ ابن ليون الارمنىّ صاحب الدروب توفّى قبلُ ولم يخلّف ولدًا ذكرًا انّما خلّف بنتًا فملّكها الارمن عليهم ثمّ علموا انّ المُلك لا يقوم بامراة فزوّجوها من ولد البرنس فتزوّجها وانتقل الى بلدهم واستقرّ فى الملك نحو سنة ثمّ ندموا على ذلك وخافوا ان يستولى الفرنج على بلادهم فساروا بابن البرنس فقبضوا عليه وسجنوه فارسل ابوه يطلب ان يطلق ويعاد فى الملك فلم يفعلوا فارسل الى بابا ملك الفرنج

برومية الكبرى يستاذنه في قصد بلادهم وهذا ملك رومية امره عند الفرنج لا تخالف فنعه عنهم وقال انّهم اهل ملّتنا ولا يجوز قصد بلادهم فخالفه وارسل [الى] علآء الدين كيقباذ ملك قونية وملطيّة وما بينهما من بلاد المسلمين وصالحا ووافقه على قصد بلاد ابن ليون والاتّفاق على قصدها فاتّفقا على ذلك وجمع البرنس عساكره ليسير الى بلاد الارمن فخالف عليه الداوية والاسبتار وهما جمرة الفرنج وقالوا انّ ملك رومية نهانا عن ذلك الّا انّه اطاعه غيرهم فدخل اطراف بلاد الارمن وهي مضايق وجبال وعرة فلم يتمكّن من فعل ما يريد، وامّا كيقباذ فانّه قصد بلاد الارمن من جهته وهي اسهل مدخلًا من جهة الشام فدخلها سنة اثنتين وعشرين وستّمائة فنهبها واحرقها وحصر عدّة حصون ففتح اربعة حصون وادركه الشتآء فعاد عنها، فلمّا سمع بابا ملك الفرنج برومية ارسل الى الفرنج بالشام يعلمهم انّه قد حرّم البرنس فكان الداوية والاسبتارية وكثير من الفرسان لا يحضرون معه ولا يسمعون قوله وكان اهل بلاده وهي انطاكية وطرابلس اذا جآءهم عيد تخرج من عندهم فاذا فرغوا من عيدهم دخل البلد ثمّ انّه ارسل الى ملك رومية يشكوا من الارمن وانّهم لم يُطلقوا ولده فارسل الى الارمن يامرهم باطلاق ابنه واعادته الى الملك فان فعلوا والّا فقد اذن له في قصد بلادهم، فلمّا بلغتهم الرسالة لم يُطلقوا ولده فجمع البرنس وقصد بلاد الارمن، فارسل الارمن الى الاتابك شهاب الدين بحلب يستنجدونه ويخوّفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لانّها تجاور اعمال حلب فامدّهم بجند وسلاح، فلمّا سمع البرنس ذلك صمّم العزم على قصد بلادهم فسار اليهم وحاربهم فلم يحصل على غرض فعاد عنهم، حدّثنى بهذا رجل من عقلآء النصارى ممّن دخل تلك البلاد وعرف حالها وسالتُ غيره فعرف البعض وانكر البعض ✿

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انخسف القمر مرّتين اولاهما ليلة رابع عشر صفر، وفيها كانت تجوبه بالقرب من الموصل حامّة تعرف بعين القيّارة شديدة الحرارة تسمّيها الناس عين ميمون وتخرج مع المآء قليل من القار فكان الناس يسبحون فيها دايمًا في الربيع والخريف لانّها تنفع من الامراض

البارده كالفالج وغيره نفعًا عظيمًا فكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حراره الماء ففي هذه السنة برد الماء فيها حتى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وانتقلوا الى غيرها ، ومنها كثرت الذياب والخنازير والحيات فقتل كثيرًا فلقد بلغني انّ ذيبًا دخل الموصل فقتل فيها وحدّثني صديق لنا له بستان بظاهر الموصل انّه قتل فيه في سنة اثنتين وعشرين وستّمائة جميع الصيف حيّتين وقتل هذه السنة الى اوّل حزيران سبع حيات لكثرتها ، وفيها انقطع المطر بالموصل واكثر البلاد الجزريّة من خامس شباط الى ثاني عشر نيسان ولم يجر شيء يعتدّ به لكنّه سقط اليسير منه في بعض القرى فجاءت الغلّات قليله ثمّ خرج الجراد الكثير فازداد الناس اذًى وكانت الاسعار قد صلحت شيئًا فعادت لكثرة الجراد غلَتْ ونزل ايضًا في كثير من القرى بَرَدٌ كبير اهلك زروع اهلها وافسدها واختلفت اقاويل الناس في اكبره كان وزن بَرَده مايتي درهم وقيل رطل وقيل غير ذلك الّا انّه اهلك كثيرًا من الحيوان وانقضت هذه السنة والغلاء باقٍ واشتدّ بالموصل ، وفيها اصطاد صديق لنا ارنبًا فرءاه وله انثيان وذكر وفرج انثى فلمّا شقّوا بطنها راوا فيها حرنقين سمعتُ هذا منه ومن جماعة كانوا معه وقالوا ما زلنا نسمع انّ الارنب يكون سنة ذكرًا وسنة انثى ولا نصدق بذلك فلمّا راينا هذا علمنا انّه قد حمل وهو انثى وانقضت السنة فصار ذكرًا فان كان كذلك فيكون في الارانب كالخنثى من بني آدم يكون لاحدهم فرج الرجل وفرج الانثى فاني كنتُ بالجزيرة ولنا جارٌ له بنت اسمها صفية فبقيت كذلك نحو خمسة عشرة سنة واذا قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لحيته فكان له فرج امراة وذكر رجل ، وفيها ذبح انسان عندنا راس غنم فوجد لحمه مُرًّا شديد المراره حتى راسه واكارعه ومعلاقه وجميع اجزائه وهذا ما لم يُسمع بمثله ، وفيها يوم الاربعاء الخامس والعشرون من ذي القعدة ضحوة النهار زلزلت الارض بالموصل وكثير من البلاد العربيّة والعجميّة وكان اكثرها بشهرزور فانها خرب اكثرها لا سيّما القلعة فانّها اجحفت بها وخرب من تلك الناحية ستّ قلاع وبقيت الزلزلة تتردّد فيها نيّفًا

وثلاثين يومًا ثمّ كشفها الله عنهم وامّا القرى بتلك الناحية فخرب اكثرها، وفيها فى رجب توفّى القاضى حجّة الدين ابو منصور المظفّر بن عبد القاهر بن الحسن بن علىّ بن القاسم الشهرزورىّ قاضى الموصل بها وكان قد اضرّ قبل وفاته بنحو سنتين وكان عالمًا بالقضآء عفيفًا نزهًا ذا رياسة كثيرة وله صلات دارّة للعيم والوارد رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ولم يُخلّف غير بنت توفّيت بعده بثلاثة اشهر ۞

سنة ٦٢٤ ثم دخلت سنة اربع وعشرين وستّمايه،

ذكر دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن بها من العسكر الاسلامىّ مَن يقوم بحمايتها وسبب ذلك انّ جلال الدين لمّا عاد من خلاط كما ذكرنا قبلُ واوقع بالايوائيّة فرّق عساكره الى المواضع الحارّة الكثيرة المرعى ليشتّوا بها وكان عسكره قد اسآوا السيرة فى رعيّة تفليس وهم مسلمون وعسفوهم فكاتبوا الكرج يستدعونهم اليهم ليملكوهم البلد فاغتنم الكرج ذلك لميل اهل البلد اليهم وخُلُوّه من العسكر فاجتمعوا وكانوا بمدينتى قرس وآنى[1] وغيرهما من الحصون وساروا الى تفليس وكانت خالية كما ذكرناه ولانّ جلال الدين استضعف الكرج لكثرة مَن قُتل منهم ولم يظنّ فيهم حركة فملكوا البلد ووضعوا السيف فيمن بقى من اهله وعلموا انّهم لا يقدرون على حفظ البلد من جلال الدين فاحرقوها جميعها، وامّا جلال الدين فانّه لمّا بلغه الخبر سار فيمن عنده من العساكر ليدركهم فلم ير منهم احدًا كانوا قد فارقوا تفليس لمّا احرقوها ۞

ذكر نهب جلال الدين بلد الاسماعيليّة

فى هذه السنة قتل الاسماعيليّة اميرًا كبيرًا من امرآء جلال الدين[2] وكان قد اقطعه جلال الدين مدينة كنجة واعمالها وكان نعم الامير كثير الخير حسن السيرة ينكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره من الشرّ فلمّا قُتل ذلك الامير عظُم قتله على جلال الدين واشتدّ عليه فسار فى عساكره الى بلاد الاسماعيليّة من حدود الموت

1) قرس وانى   2) Ups. addit: اسمه

الى كردكوه بخراسان فخرب الجمع وقتل اهلها ونهب الاموال وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضررهم وطمعوا مذ خرج التتر الى بلاد الاسلام الى الآن فكف عاديتهم وقمعهم ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين ۞

ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر

لمّا فرغ جلال الدين من الاسماعيلية بلغه الخبر انّ طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامغان بالقرب من الرىّ عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتدّ القتال بينهم فانهزموا منه فاوسعهم قتلاً وتبع المنهزمين عدّة ايّام بقتل وياسر فبينما هو كذلك قد اقام بنواحى الرىّ خوفاً من جمع اخر للتتر اذا اتاه الخبر بانّ كثيراً منهم واصلون اليه فاقام ينتظرهم وسنذكر خبرهم سنة خمس وعشرين وستّمائة ۞

ذكر دخول العساكر الاشرفيّة الى اذربيجان وملك بعضها

فى هذه السنة فى شعبان سار الحاجب علىّ حسام الدين وهو النائب عن الملك الاشرف بخلاط والمقدّم على عساكرها الى بلاد اذربيجان فيمن عنده من العساكر وسبب ذلك انّ سيرة جلال الدين كانت جائرة وعساكره طامعة فى الرعايا وكانت زوجته ابنة السلطان طغرل السلجوقىّ وهى التى كانت زوجة اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان فتزوّجها جلال الدين كما ذكرناه قبل وكانت مع اوزبك تحكم فى البلاد جميعها ليس له ولا لغيره معها حكم فلمّا تزوّجها جلال الدين اهملها ولم يلتفت اليها فخافته مع ما حرمته من الحكم والامر والنهى فارسلت هى واهل خُوَىّ الى حسام الدين الحاجب يستدعونه ليسلّموا البلاد فسار ودخل البلاد بلاد اذربيجان فملك مدينة خوىّ وما يجاورها من الحصون التى بيد امراة جلال الدين وملك مرند[1] وكاتبه اهل مدينة نقجوان فمضى اليهم فسلّموها اليه وقويت شوكتهم بتلك البلاد ولو داموا لملكوها جميعها انّما عادوا الى خلاط واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل الى خلاط وسنذكر باقى خبرهم سنة خمس وعشرين ان شآء الله تعالى ۞

(1 مرند

ذكر وفاة المعظم صاحب دمشق وملك ولده

فى هذه السنة توفى الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب دمشق يوم الجمعة سلخ ذى القعدة وكان مرضه دوسنطاريا وكان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وخمسة اشهر وثلاثا وعشرين يومًا وكان عالمًا بعدّة علوم فاضلًا فيها منها الفقه على مذهب ابى حنيفة فانّه كان قد اشتغل به كثيرًا وصار من المتميّزين فيه ومنها علم النحو فانّه اشتغل به ايضًا اشتغالًا زايدًا وصار فيه فاضلًا وكذلك اللغة وغيرها وكان قد امر ان يُجمع له كتاب فى اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهرىّ ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للازهرىّ والجمهرة لابن دريد وغيرهما وكذلك ايضًا امر بان يُرتَّب مسند احمد بن حنبل على الابواب ويردّ كلّ حديث الى الباب الذى يقتضيه معناه مثاله ان يجمع احاديث الطهارة وكذلك يفعل فى الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات فيكون كتابًا جامعًا وكان قد سمع المسند من بعض اصحاب ابن الحصين ونفق العلم فى سوقه وقصده العلماء من الآفاق فاكرمهم واجرى عليهم الجرايات الوافرة وقرّبهم ويجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره لم يسمع احد ممّن يصحبه منه كلمة تسوءه وكان حسن الاعتقاد يقول كثيرًا انّ اعتقادى فى الاصول ما سطّره ابو جعفر الطحاوىّ ووصّى عند موته بان يكفن فى البياض ولا يُجعل فى اكفانه ثوب فيه ذهب وان يُدفن فى لحد ولا يُبنى عليه بناء بل يكون قبره فى الصحراء تحت السماء ويقول فى مرضه لى عند الله تعالى فى امر دمياط ما ارجوا ان يرحمنى به ولمّا توفى ولى بعده ابنه داود ويلقّب الملك الناصر وكان عمره قد قارب عشرين سنة ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة دام الغلاء فى ديار الجزيرة ودامت الاسعار تزيد قليلًا وتنقص قليلًا وانقطع المطر جميع سباط وعشرة ايّام من اذار فازداد الغلاء فبلغت الحنطة كلّ مكوكين بالموصلىّ بدينار وقيراطين بالموصل والشعير كلّ ثلاثة مكاكيك بالموصلىّ بدينار وقراطين ايضًا وكلّ شئ بهذه النسبة

فى الغلاء ، وفيها فى الربيع قلّ لحم الغنم بالموصل وغلا سعره حتّى بيع كلّ رطل لحم بالبغدادىّ بحبّتين بالصنجة وربّما زاد فى بعض الايّام على هذا الثمن وحكى لى من نتولّى بيع الغنم بالموصل انّهم باعوا خروفًا واحدًا لا غير وفى بعضها خمسة اروس وفى بعضها ستّة واقلّ واكثر وهذا ما لم يسمع بمثله ولا رايناه فى جميع اعمارنا ولا حُكى لنا مثله لانّ الربيع مظنّة رخص اللحم لانّ التركمان والاكراد والكيلكان ينتقلون من الامكنة التى شتوا بها الى الزوزان فيبيعون الغنم رخيصًا وكان اللحم كلّ سنة فى هذا الفصل يكون سعره كلّ ستّة ارطال وسبعة بقيراط صار هذه السنة الرطل بحبّتين ، وفيها ءاشر اذار وهو العشرون من ربيع الاوّل سقط الثلج مرّتين وهذا غريب جدًّا لم يُسمع بمثله فاهلك الازهار التى خرجت كزهر اللوز والمشمش والاجّاص والسفرجل وغيرها ووصلت الاخبار من العراق جميعه مثل ذلك فهلكت به ازهار الثمار ايضًا وهذا اعجب من حال ديار الجزيرة والشام فانّه اشدّ حرًّا من جميعها ، وفيها ظفر جمع من التركمان كانوا باطراف اعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداويّة بانطاكية فقتلوه ومعلم الداويّة بذلك فساروا وكبسوا التركمان فقتلوا منهم واسروا وغنموا من اموالهم فبلغ الى اتابك شهاب الدين المتولّى لامور حلب فراسل الفرنج ونهدّدهم بقصد بلادهم واتّفق انّ عسكر حلب قتلوا فارسَيْن كبيرَيْن من الداويّة ايضًا فاذعنوا بالصلح وردّوا الى التركمان كثيرًا من اموالهم وحريمهم واسراهم ، وفيها فى رجب اجتمع طائفة كثيرة من ديار بكر وارادوا الاغارة على جزيرة ابن عمر وكان صاحب الجزيرة قد قُتل فلمّا قصدوا بلد الجزيرة اجتمع اهل قرية كبيرة من بلد الجزيرة اسمها سلكون ولقوهم من ضحوة النهار الى العصر وطال القتال بينهم ثمّ حمل اهل قرية على الاكراد فهزموهم وقتلوا فيهم ونهبوا ما معهم وعادوا سالمين ✿

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستّمائة ،

سنة ٦٢٥

ذكر الخلف بين جلال الدين واخيه

فى هذه السنة خاف غياث الدين بن خوارزم شاه وهو اخو جلال الدين من ابيه [اخاه][1] وخافه معه جماعة من الامراء واستشعروا

[1]) 740 omittit من

منه وارادوا الخلاص منه فلم يتمكّنوا من ذلك الى ان خرجت التتر واشتغل بهم جلال الدين فهرب غياث الدين ومَن معه وقصدوا خوزستان وهى من بلاد الخليفة فلم يمكنهم النايب بها من الدخول الى البلد خوفًا ان تكون هذه مكيدة فبقى هناك فلمّا طال عليه الامر فارق خوزستان وقصد بلاد الاسماعيليّة فوصل اليهم واحتمى بهم واستجار بهم ء وكان جلال الدين قد فرغ من امر التتر وعاد الى تبريز فاتاه الخبر وهو بالميدان يلعب بالكرة انّ اخاه قد قصد اصفهان فالقى الجوكان من يده وسار مجدًّا فسمع انّ اخاه قد قصد الاسماعيليّة ملتجيًا اليهم ولم يقصد اصفهان فعاد الى بلاد الاسماعيليّة لينهب بلادهم ان لم يسلّموا اليه اخاه وارسل يطلبه من مقدّم الاسماعيليّة فاعاد الجواب يقول انّ اخاك قد قصدنا وهو سلطان بن سلطان ولا يجوز لنا ان نُسلمه لكن نحن نتركه عندنا ولا نمكنه ان يقصد شيأً من بلادك ونسألك ان تشفعني فيه والضمان علينا بما قلنا ومتى كان منه ما تكره فى بلادك فبلادنا حينئذ بين يديك تفعل فيها ما تختار ء فاجابهم الى ذلك واستحلفهم على الوفآء بذلك وعاد عنهم وقصد خلاط على ما نذكره ان شآء الله تعالى ✿

ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر

فى هذه السنة عاود التتر الخروج الى الرىّ وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة اختلف الناس علينا فى عددها كان اكثرها عليه وفى الاخير كان الظفر له وكانت اوّل حرب بينهم تجايب غريبة وكان هؤلآء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان على مقدّمهم وابعده عنه واخرجه من بلاده فقصد خراسان فرءاها خرابًا فقصد الرىّ ليتغلّب على تلك النواحى والبلاد فلقيه بها جلال الدين فاقتتلوا اشدّ قتال ثمّ انهزم جلال الدين وعاود ثمّ انهزم وقصد اصفهان واقام بينها وبين الرىّ وجمع عساكره ومَن فى طاعته فكان فيمن اتاه صاحب بلاد فارس وهو ابن اتابك سعد ملك بعد وفاة ابيه كما ذكرناه وعاد جلال الدين الى التتر فلقيهم فبينما هم مصطفّون كلّ طايفة مقابل الاخرى انفرد غياث الدين اخو جلال الدين فيمن وافقه من الامرآء على مفارقة جلال الدين واعتزلوا وقصدوا جهة ساروا اليها فلمّا رءاهم التتر قد فارقوا العسكر ظنّوهم يريدون

ان ياتوهم من ورآء ظهورهم ويقاتلوهم من جهتين فانهزم التتر لهذا الظن وتبعهم صاحب بلاد فارس ‫٭ واما جلال الدين فانه لما راى مفارقة اخيه اياه ومن معه من الامرآء ظن ان التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه فعاد منهزمًا ولم يجسر يدخل اصفهان لئلا يحصروه فمضى الى سميرم ‫٭ واما صاحب فارس فلما ابعد فى اثر التتر ولم ير جلال الدين ولا عسكره معه خاف التتر فعاد عنهم ‫٭ واما التتر فلما لم يروا فى اثارهم احدًا يطلبهم وقفوا ثم عادوا الى اصفهان فلم يجدوا فى طريقهم من يمنعهم فوصلوا الى اصفهان فحصروها واهلها يظنون ان جلال الدين قد عُدم فبينما هم كذلك والتتر يحصرونهم اذ وصل قاصد من جلال الدين اليهم يعرّفهم سلامته ويقول انى متعوّق او يجتمع الىّ من سلم من العسكر واقصدكم ونتّفق انا وانتم على ازعاج التتر وترحّلهم عنكم فارسلوا اليه يستدعونه اليهم ويَعدونه النصرة والخروج معه الى عدوّه وفيهم شجاعة عظيمة فسار اليهم واجتمع بهم وخرج اهل اصفهان معه فقاتلوا التتر فانهزم التتر اقبح هزيمة وتبعهم جلال الدين الى الرىّ بقتل ويأسر فلما ابعدوا عن الرىّ اقام بها وارسل اليه ابن جنكزخان يقول ان هولآء ليسوا من اصحابنا انما نحن ابعدناهم عنّا فلما امن جانب جنكزخان امن وعاد الى اذربيجان ۞

ذكر خروج الفرنج الى الشام وعماره صيدا

وفى هذه السنه خرج كثير من الفرنج من بلادهم التى هى فى الغرب من صقلية وما ورآءها من البلاد الى بلادهم التى بالشام عكّا وصور وغيرها من ساحل الشام فكثر جمعهم وكان قد خرج قبل هولآء جمع اخر ايضًا الا انهم لم يمكنهم[1] الحركة والشروع فى امر الحرب لاجْل ان ملكهم الذى هو المقدّم عليهم هو ملك الالمان ولقبه انبرور[2] قيل معناه ملك الامرآء ولان المعظم كان حيًّا وكان شهمًا شجاعًا مقدامًا فلما توفى المعظم كما ذكرناه وولى بعده ابنه وملك دمشق طمع الفرنج وظهروا من عكّا وصور وبيروت الى مدينة صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين وسورها خراب فعمروها واستولوا عليها وازالوا عنها حكم المسلمين وانما تم لهم

[1]) 740: يَمكنهم [2]) انبرور

ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منها تبنين وهونين[1] وغيرهما وقد تقدّم ذكر ذلك قبل مستقصى فعظمت شوكة الفرنج وقوى طمعهم واستولى فى طريقه على جزيرة قبرس وملكها وسار منها الى عكّا فارتاع المسلمون لذلك والله تعالى بخذله وبنصر المسلمين بمحمّد وآله ثمّ ان ملكهم انسرور وصل الى الشام ٭

ذكر مُلك كيقباذ ارزنكان

وفى هذه السنة ملك علآء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان وهو صاحب قونيّة واقصرا وملطيّة وغيرها من بلاد الروم ارزنكان وسبب مُلكه اياها انّ صاحبها بهرام شاه كان قد طال مُلكه لها وجاوز ستّين سنة توفّى ولم يزل فى طاعة قلج ارسلان واولاده بعده فلمّا توفّى ملك بعده ولده علآء الدين داود شاه فارسل اليه كيقباذ يطلب منه عسكرًا ليسير معه الى مدينة ارزن الروم ليحصرها ويكون هو مع العسكر ففعل ذلك وسار فى عسكره اليه فلمّا وصل قبض عليه واخذ مدينة ارزنكان منه وله حصن من امنع الحصون اسمه كماخ وفيه مستحفظ لداود شاه فارسل اليه ملك الروم يحصره فلم يقدر العسكر على القرب منه لعلوّه وارتفاعه وامتناعه فتهدّد دواد شاه ان لم يسلّم كماخ فارسل الى نايبه فى التسليم فسلّم القلعة الى كيقباذ واراد كيقباذ المسير الى ارزن الروم لياخذها وبها صاحبها ابن عمّه طغرل شاه بن قلج ارسلان فلمّا سمع صاحبها بذلك ارسل الى الامير حسام الدين علىّ النايب عن الملك الاشرف بخلاط يستنجده واظهر طاعة الاشرف فسار حسام الدين فيمن عنده من العساكر وكان قد جمعها من الشام وديار الجزيرة خوفًا من ملك الروم خافوا انّه اذا ملك ارزن الروم يتعدّا ويقصد خلاط فسار الحاجب حسام الدين الى [ارزن] الروم ومنع عنها ولمّا سمع كيقباذ بوصول العساكر اليها لم يقدم على قصدها فسار من ارزنكان الى بلاده وكان قد اتاه الخبر انّ الروم الكفّار المجاورين لبلاده قد ملكوا منه حصنًا يسمّى صنوب وهو من احصن القلاع مطلّ على البحر بحر الخزر[2] فلمّا

---

1) وهرىس 2) الخرر

وصل الى بلاده سيّر العسكر اليه وحصره برًّا وبحرًا فاستعاده من الروم وسار الى انطاكيّة ليشتّى بها على عادته ٭

ذكر خروج الملك الكامل

فى هذه السنة فى شوّال سار الملك الكامل محمّد بن الملك العادل صاحب مصر الى الشام فوصل الى البيت المقدّس حرسه الله تعالى وجعله دار الاسلام ابدًا ثمّ سار عنه وتوتّى بمدينة نابلس وشحّن على تلك البلاد جميعها وكانت من اعمال دمشق وهو الى الملك المعظّم خافه ان يقصده ويأخذ دمشق منه فارسل الى عمّه الملك الاشرف يستنجده ويطلبه ليحضر عنده بدمشق فسار اليه جريدة فدخل دمشق فلمّا سمع الكامل بذلك لم يتقدّم اليه انّ البلد منيع وقد صار به مَن يمنعه ويحميه وارسل اليه الملك الاشرف يستعطفه ويعرفه[1] انّه ما جآء الى دمشق الّا طاعة له وموافقة لاغراضه والاتّفاق معه على منع الفرنج عن البلاد فاعاد الكامل الجواب يقول انّنى ما جيتُ الى هذه البلاد الّا بسبب الفرنج فانّهم لم يكن فى البلاد من يمنعهم عمّا يريدونه وقد عمروا صيدا وبعض قيسارية ولم يُمنعوا وانت تعلم انّ عمّنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدّس فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضّى الاعصار وممرّ الايّام فان اخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر وقبح الاحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذى ادّخره عمّنا واىّ وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله تعالى ثمّ انّهم ما يقنعون حينئذ بما اخذوه ويتعدّون الى غيره وحيث قد حضرت انت فانا اعود الى مصر واحفظ انت البلاد ولستُ بالذى يقال عنّى انى قاتلتُ اخى او حصرتُه حاشى الله تعالى ٭ وتاخّر عن نابلس نحو الديار المصريّة ونزل تلّ العجول فخاف الاشرف والناس قاطبةً بالشام وعلموا انّه ان عاد استولى الفرنج على البيت المقدّس وغيره ممّا يجاوره لا مانع دونه فترددت الرسل وسار الاشرف بنفسه الى الكامل اخيه فحضر عنده وكان وصوله ليلة عيد الاضحية ومنعه من العود الى مصر فاقاما بمكانهما ٭

[1] وبعرفنا

ذكر نهب جلال الدين بلاد ارمينية

فى هذه السنة وصل جلال الدين خوارزم شاه الى بلاد خلاط وتعدّى خلاط الى صحراء موش وجبل جور ونهب الجميع وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وخرّب القرى وعاد الى بلاده ولمّا وصل الخبر الى البلاد الجزرية حرّان وسروج وغيرهما انه قد جاز خلاط الى جور وانه قد قرب منهم خافه اهل البلاد ان يجيء اليهم لانّ الزمان كان شتاء وظنّوا انه يقصد الجزيرة ليشتّى بها لانّ البرد بها ليس بالشديد وعزموا على الانتقال من بلادهم الى الشام ووصل بعض اهل سروج الى منبج من ارض الشام فاتاهم الخبر انه قد نهب البلاد وعاد فاقاموا وكان سبب عوده انّ الثلج سقط ببلاد خلاط كثيرًا لم يُعهد مثله فاسرع العود ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة رخصت الاسعار بديار الجزيرة جميعها وجاءت الغلّات التى لهم من الحنطة والشعير جيّدًا الّا انّ الرخص لم يبلغ الاوّل الذى كان قبل الغلاء انّما صارت الحنطة كلّ خمس مكاكيك بدينار والشعير كلّ سبعة عشر مكوكًا بالموصلىّ بدينار ✿

سنة ٦٢٦ ثم دخلت سنة ستّ وعشرين وستمائة

ذكر تسليم البيت المقدّس الى الفرنج

فى هذه السنة اوّل ربيع الاخر تسلّم الفرنج لعنهم الله البيت المقدّس صلحًا اعاده الله الى الاسلام سريعًا وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستّمائة من خروج الانبرور[1] ملك الفرنج من بلاد الفرنج داخل البحر الى ساحل الشام وكانت عساكره قد سبقته ونزلوا بالساحل وافسدوا فى تجاورهم من بلاد المسلمين ومضى اليهم وهم بمدينة صور طائفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور واطاعوهم وصاروا معهم وقوى طمع الفرنج بموت الملك المعظّم عيسى بن الملك العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب دمشق ولمّا وصل الانبرور[1] الى الساحل نزل بمدينة عكّا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصريّة يريد الشام

---

1) الانبرور

بعد وفاة اخيه المعظم وهو نازل بتلّ العجول يريد ان يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظّم وهو صاحبها يومئذ وكان داود لمّا سمع بقصد عمّه الملك الكامل له قد ارسل الى عمّه الملك الاشرف صاحب البلاد الجزريّة يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمّه عنه فسار الى دمشق وتردّدت الرسل بينه وبين اخيه الملك الكامل في الصلح فاصطلحا واتّفقا وسار الملك الاشرف الى الملك الكامل واجتمع به فلمّا اجتمعا تردّدت الرسل بينهما وبين الانبرور[1] ملك الفرنج دفعات كثيرة فاستقرّت القاعدة على ان يسلّموا اليه البيت المقدّس ومعه مواضع يسيرة من بلاده ويكون باقى البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبريّة وغير ذلك بيد المسلمين ولا يسلم الى الفرنج الّا البيت المقدّس والمواضع التى استقرّت معه وكان سور البيت المقدّس خرابًا [قد][2] خرّبه الملك المعظّم وقد [ذكرنا][3] ذلك وتسلّم الفرنج البيت المقدّس واستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألّم ما لا يمكن وصفه يسّر الله فتحه وعوده الى المسلمين بمنّه وكرمه امين ۞

ذكر ملك الملك الاشرف مدينة دمشق

وفى هذه السنة يوم الاثنين ثانى شعبان ملك الملك الاشرف بن الملك العادل مدينة دمشق من ابن اخيه صلاح الدين داود بن المعظّم وسبب ذلك ما ذكرناه انّ صاحب دمشق لمّا خاف من عمّه الملك الكامل ارسل الى عمّه الاشرف يستنجده ويستعين به على دفع الكامل فسار اليه من البلاد الجزريّة ودخل دمشق وفرح به صاحبها واهل البلد وكانوا قد احتاطوا وهم يتجهّزون للحصار فامر بازالة ذلك وترك ما عزموا عليه من الاحتياط وحلف لصاحبها على المساعدة والحفظ له ولبلاده عليه وراسل الملك الكامل واصطلحا وظنّ صاحب دمشق انّه معهما فى الصلح وسار الاشرف الى اخيه الكامل واجتمعا فى ذى الحجّة من سنة خمس وعشرين يوم العيد وسار صاحب دمشق الى بيسان واقام بها وعاد الملك الاشرف من عند اخيه واجتمع هو وصاحب دمشق ولم يكن الاشرف

[1]) الانبرور. [2]) 740. [3]) 740.

فى كثرة من العسكر فبينما هما جالسان فى خيمة لهما واذ قد دخل عزّ الدين ايبك مملوك المعظّم الذى كان صاحب دمشق وهو اكبر امير مع ولده فقال لصاحبه داود قم اخرج والّا قُبضتَ الساعة فاخرجه ولم يمكن الاشرف منعه لانّ ايبك كان قد اركب العسكر الذى لهم جميعه وكانوا اكثر من الذين مع الاشرف فخرج داود وسار هو وعسكره الى دمشق وكان سبب ذلك انّ ايبك قيل له انّ الاشرف يريد القبض على صاحبه واخذ دمشق منه ففعل ذلك فلمّا عادوا وصلت العساكر من الكامل الى الاشرف وسار فنازل دمشق وحصرها واقام محاصرًا لها الى ان وصل اليه الملك الكامل فحينئذ اشتدّ الحصار وعظم الخطب على اهل البلد وبلغت القلوب الحناجر وكان من اشدّ الامور على صاحبها انّ المال عنده قليل لانّ امواله بالكرك ولوثوقه بعمّه الاشرف لم يحضر منها شيئًا فاحتاج الى ان باع حلىّ نسآئه وملبوسهم وضاقت الامور عليه فخرج الى عمّه الكامل وبذل له تسليم دمشق على ان يُبقى عليه الكرك وقلعة الشوبك والغور ونابلس وتلك الاعمال وان يُبقى على ايبك قلعة صرخد واعمالها وتسلّم الكامل دمشق وجعل نايبه بالقلعة الى ان سلّم اليه اخوه الاشرف حرّان والرُّها والرقّة وسروج وراس العين من الجزيرة فلمّا تسلّم ذلك سلّم قلعة دمشق الى اخيه الاشرف فدخلها واقام بها وسار الكامل الى الديار الجزريّة فاقام بها الى ان استدعى اخاه الاشرف بسبب حصْر جلال الدين خوارزم شاه مدينة خلاط فلمّا حضر عنده بالرقّة عاد الكامل الى ديار مصر وامّا الاشرف فكان منه ما نذكره ان شآء الله تعالى ❊

ذكر القبض على الحاجب علىّ وقتله

وفى هذه السنة ارسل الملك الاشرف مملوكه عزّ الدين ايبك وهو امير كبير فى دولته الى مدينة خلاط وامره بالقبض على الحاجب حسام الدين علىّ بن حمّاد وهو المتولّى لبلاد خلاط والحاكم فيها من قبل الاشرف ولم نعلم شيئًا يوجب القبض عليه لانّه كان مشفقًا عليه ناصحًا له حافظًا لبلاده وحسن السيرة مع الرعيّة ولقد وقف هذه المدّة الطويلة فى وجه خوارزم شاه جلال الدين وحفظ خلاط حفظًا يعجز غيره عنه وكان مُهتمًّا بحفظ بلاده وذابًّا عنها وقد تقدّم من ذكر قصده بلاد

جلال الدين والاستيلآء على بعضها ما يدلّ على همّة عالية وشجاعة تامّة وصار لصاحبه به منزلة عظيمة فانّ الناس يقولون بعض غلمان الملك الاشرف يقاوم خوارزم شاه وكان رحمه الله كثير الخير والاحسان لا يمكّن احدًا من ظلم وعمل كثيرًا من اعمال البرّ من الخانات فى الطرق والمساجد فى البلاد وبنى بخلاط بيمارستانًا وجامعًا وعمل كثيرًا من الطرق واصلحها كان يشقّ سلوكها ، فلمّا وصل ايبك الى خلاط قبض عليه ثمّ قتله غيلة لانّه كان عدوّه ولمّا قتل ظهر اثر كفايته فانّ جلال الدين حصر خلاط بعد قبضه وملكها على ما نذكره ان شآء الله ولم يمهل الله ايبك بل انتقم منه سريعًا فانّ جلال الدين اخذ ايبك اسيرًا لمّا ملك خلاط مع غيره من الامرآء فلمّا اصطلح الاشرف وجلال الدين اطلق الجميع وذكر انّ ايبك قُتل وكان سبب قتله انّ مملوكًا للحاجب علىّ كان قد هرب الى جلال الدين فلمّا اسر ايبك طلبه ذلك المملوك من جلال الدين ليقتله بصاحبه الحاجب علىّ فسلّمه اليه فقتله وبلغنى انّ الملك الاشرف راى فى المنام كانّ الحاجب عليًّا قد دخل الى مجلس فيه ايبك فاخذ منديلًا وجعلها فى رقبة ايبك واخذه وخرج فاصبح الملك الاشرف وقال قد مات ايبك فانى رايتُ فى المنام كذا وكذا ۞

ذكر مُلك الكامل مدينة حماة

وفى هذه السنة اواخر شهر رمضان ملك الملك الكامل مدينة حماة وسبب ذلك انّ الملك المنصور محمّد بن تقى الدين عمر وهو صاحب حماة توفّى على ما نذكره ولمّا حضرتْه الوفاة حلّف الجند واكابر البلد لولده الاكبر ويلقّب بالملك المظفّر وكان قد سيّره ابوه الى الملك الكامل صاحب مصر لانّه كان قد تزوّج بابنته وكان لمحمّد ولد اخر اسمه قلج ارسلان ولقبه صلاح الدين وهو بدمشق فحضر الى مدينة حماة فسُلّمت اليه واستولى على المدينة وعلى قلعتها فارسل الملك [الكامل] يامره ان يسلّم البلد الى اخيه الاكبر فانّ اباه اوصى له به فلم يفعل وتردّدت الرسل فى ذلك الى الملك المعظّم صاحب دمشق فلم تنفع الاجابة ، فلمّا توفّى المعظّم وخرج الكامل الى الشام وملك دمشق سيّر جيشًا الى حماة فحصرها ثالث شهر رمضان وكان المقدّم على هذا الجيش اسد الدين

شيركوه صاحب حمص واميرٌ كبير من عسكره يقال له فخر الدين عثمان ومعهما ولد محمّد تقى الدين الذى كان عند الكامل فبقى الحصار على البلد عدّة ايّام وكان الملك الكامل قد سار عن دمشق ونزل على سلمية يريد العبور الى البلاد الجزريّة حرّان وغيرها فلمّا نازلها قصده صاحب حماة صلاح الدين ونزل اليه من قلعته ولم يكن لذلك سببٌ الّا امْر الله تعالى فانّ صلاح الدين قال لاصحابه اريد النزول الى الملك الكامل فقالوا له ليس بالشام احصن من قلعتك وقد جمعتَ من الذخاير ما لا حدّ عليه فلاىّ شئٍ تنزل اليه ليس هذا براى فاصرّ على النزول واصرّوا على منعه فقال فى اخر الامر تتركونى انزل والّا القيتُ نفسى من القلعة فحينئذ سكتوا عنه فنزل فى نفر يسير ووصل الى الكامل فاعتقله الى ان سلّم مدينته حماة وقلعتها الى اخيه الاكبر الملك المظفّر وبقى بيده قلعة بارين حسب فانّها كانت له وكان هو كالباحث بظلفه على حتفه ✿

ذكر حصر جلال الدين خلاط ومُلكها

وفى هذه السنة اوايل شوّال حصر جلال الدين خوارزم شاه مدينة خلاط وهى للملك الاشرف وبها عسكره فامتنعوا بها واعانهم اهل البلد خوفًا من جلال الدين لسوء سيرته واسرفوا فى الشتم والسفه فاخذه اللجاج معهم واقام عليهم جميع الشتاء محاصرًا وفرّق كثيرًا من عساكره فى القرى والبلاد القريبة من شدّة البرد وكثرة الثلج فانّ خلاط من اشدّ البلاد بردًا واكثرها ثلجًا وابان جلال الدين عن عزم قوى وصبرْ تحار العقول منه ونصب عليها عدّة منجنيقات ولم يزل يرميها بالحجارة حتّى خرّبت بعض سورها فاعاد اهل البلد عمارته ولم يزل مصابرهم وملازمهم الى اواخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين فزحف اليها زحفًا متتابعًا وملكها عنوةً وقهرًا يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الاولى سلّمها اليه بعض الامراء غدرًا فلمّا ملك البلد صعد مَن فيه من الامراء الى القلعة التى لها وامتنعوا بها وهو منازلهم ووضع السيف فى اهل [البلد] وقتل من وجد به منهم وكانوا قد قلّوا فانّ بعضهم فارقوه خوفًا وبعضهم خرج منه من شدّة الجوع وبعضهم مات من القلّة وعدم القوت فانّ الناس فى خلاط اكلوا الغنم ثمّ البقر ثمّ الجواميس ثمّ الخيل

ثمّ الحمير ثمّ البغال والكلاب والسنانير وسمعنا انّهم كانوا يصطادون الفار
وياكلونه وصبروا صبرًا لم يلحقهم فيه احد ولم يملك من بلاد خلاط
غيرها وما سواها من البلاد لم يكونوا ملكوه وخربوا¹ خلاط واكثروا
القتل فيها ومن سلم هرب فى البلاد وسبوا الحريم واسترقّوا الاولاد وباعوا
الجميع فتمزّقوا كلّ ممزق وتفرّقوا فى البلاد ونهبوا الاموال وجرى على اهلها
ما لم يُسمع بمثله لا جرم لم يمهله الله تعالى وجرى عليه من الهزيمة
بين المسلمين والتتر ما نذكره ان شآء الله تعالى ✿

ذكر عدّة حوادث

فى اواخر هذه السنة قصد الفرنج حصن بارين بالشام ونهبوا بلاده
واعماله واسروا وسبوا ومن جملة مَن ظفروا به طائفة من التركمان كانوا
نازلين فى ولاية بارين فاخذوا الجميع ولم يسلم منهم الّا النادر الشاذّ والله اعلم ✿

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستّمايةٍ

سنة ٦٢٧

ذكر انهزام جلال الدين من كيقباذ والاشرف

فى هذه السنة يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان انهزم
جلال الدين خوارزم شاه من علآء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن
قلج ارسلان صاحب بلاد الروم قونيّة واقصرا وسيواس وملطيّة وغيرها
ومن الملك الاشرف صاحب دمشق وديار الجزيرة وخلاط وسبب ذلك
انّ جلال الدين كان قد اطاعه صاحب ارزن الروم وهو ابن عمّ علآء
الدين ملك الروم وبينه وبين علآء الدين عداوة مستحكمة وحضر صاحب
ارزن الروم عند جلال الدين على خلاط واعانه على حصرها فخافهما
علآء الدين فارسل الى الملك الكامل وهو حينئذ بحرّان يطلب منه ان
يُحضر اخاه الاشرف من دمشق فانّه كان مقيمًا بها بعد ان ملكها
وتابع علآء الدين الرسل بذلك خوفًا من جلال الدين فاحضر الملك
الكامل اخاه الاشرف من دمشق فحضر عنده ورسل علآء الدين اليهما
متتابعة بحثّ الاشرف على المجئ اليه والاجتماع به حتّى قيل انّه فى
يوم واحد وصل الى الكامل والاشرف من علآء الدين خمسة رسل ويطلب

---

¹) 740. Ups.. وجربوا

مع الجميع وصول الاشرف اليه ولو وحده فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار الى علآء الدين فاجتمعا بسيواس وسارا نحو خلاط فسمع جلال الدين بهما فسار اليهما مجدًّا فى السير فوصل اليهما بمكان يعرف بياسى حمار[1] وهو من اعمال ارزنجان فالتقوا هناك وكان مع علآء الدين خلق كثير قيل كانوا عشرين الف فارس وكان مع الاشرف نحو خمسة الاف الّا انّهم من العساكر الجيّدة الشجعان لهم السلاح الكثير والدوابّ الفارهة من العربيّات وكلٌّ منهم قد جرّب الحرب وكان المقدّم عليهم امير من امرآء عساكر حلب يقال له عزّ الدين عُمر بن علىّ وهو من الاكراد الهكّاريّة ومن الشجاعة فى الدرجة العليا وله الاوصاف الجميلة والاخلاق الكريمة فلمّا التقوا بهت جلال الدين لما راى من كثرة العساكر لا سيّما لمّا راى عسكر الشام فانّه شاهد من تجمّلهم وسلاحهم ودوابّهم ما ملأ صدره رُعبًا فانشب عزّ الدين بن علىّ القتال ومعه عسكر حلب فلم يقم لهم جلال الدين ولا صبر ومضى منهزمًا هو وعسكره لا يلوى الاخ على اخيه وتفرّقت اصحابه وتمزّقوا كلّ ممزق وعاد الى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من اصحابهم وعادوا الى اذربيجان فنزلوا عند مدينة خوىّ ولم يكونوا قد استولوا على شىءٍ من اعمال خلاط سوى خلاط ووصل الملك الاشرف الى خلاط فرءاها خاوية على عروشها خالية من الاهل والسكّان قد جرى عليهم ما ذكرناه قبلُ ۞

ذكر مُلك علآء الدين ارزن الروم

قد ذكرنا انّ صاحب ارزن الروم كان مع جلال الدين على خلاط ولم يزل معه وشهد معه المصافّ المذكور. فلمّا انهزم جلال الدين أُخذ صاحب ارزن الروم اسيرًا فأُحضر عند علآء الدين كيقباذ ابن عمّه فاخذه وقصد ارزن الروم فسلّمها صاحبها اليه هى وما يتبعها من القلاع والخزاين وغيرها فكان كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا اذنيْن وهكذا هذا المسكين جآء الى جلال الدين يطلب الزيادة فوعده بشىءٍ من بلاد علآء الدين فأُخذ ماله وما بيديه من البلاد وبقى اسيرًا فسبحان من لا يزول مُلكه ۞

---

[1]) 740. بياسى حماك

ذكر الصلح بين الاشرف وعلآء الدين وبين جلال الدين

لمّا عاد الاشرف الى خلاط ومضى جلال الدين منهزمًا الى خوىْ ترددت الرسل بينهما فاصطلحوا كلّ منهم على ما بيده واستقرّت القواعد على ذلك وتحالفوا فلمّا استقرّ الصلح وجرت الايمان عاد الاشرف الى سنجار وسار منها الى دمشق فاقام جلال الدين ببلاده من اذربيجان الى ان خرج عليه التتر على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر مُلك شهاب الدين غازى مدينة ارزن

كان حسام الدين صاحب مدينة ارزن من ديار بكر لم يزل مصاحبًا للملك الاشرف مناصحًا له مشاهدًا جميع حروبه وحوادثه وينفق امواله فى طاعته ويبذل نفسه وعساكره فى مساعدته فهو يُعادى اعدآءه ويوالى اوليآءه ومن جملة موافقته انّه كان فى خلاط لمّا حصرها جلال الدين ولقى من الشدّة والخوف ما لقيه بها وصبر الى ان ملكها جلال الدين فاسره جلال الدين واراد ان ياخذ منه مدينة ارزن فقيل له انّ هذا من بيت قديم عريق فى المُلك وانّه ورث هذه ارزن من اسلافه وكان لهم سواها من البلاد فخرج الجميع من ايديهم فعطف عليه ورقّ له وابقى عليه مدينته واخذ عليه العهود والمواثيق انّه لا يقاتله فعاد الى بلده واقام به، فلمّا جآء الملك الاشرف وعلآء الدين محاربين لجلال الدين سار شهاب الدين غازى بن الملك العادل وهو اخو الاشرف وله مدينة ميّافارقين ومدينة حانى وهو بمدينة ارزن فحصره بها ثمّ ملكها صلحًا وعوّضه عنها بمدينة حانى من ديار بكر وهذا حسام الدين نعم الرجل حسن السيرة كريم جوادٌ لا يخلوا بابه من جماعة يردون اليه يستمنحونه وسيرته جميلة فى ولايته ورعيّته وهو من بيت قديم يقال لهم بيت طغان ارسلان كان لهم مع ارزن بدليس[1] ووسطان وغيرهما ويقال لهم بيت الاحدب ولهذه البلاد معهم من ايّام ملكشاه ابن الب ارسلان السلجوقىّ فاخذ بكتمر صاحب خلاط منهم بدليس[1] اخذها من عمّ هذا حسام الدين لانّه كان موافقًا لصلاح الدين يوسف

---

1) بدلس

بن ايوب فقصده بكتمر لذلك وبقيت ارزن بيد هذا الى الآن فاخذت منه ولكل اول اخر فسبحان من لا اول له ولا اخر لبقايه ❊

ذكر ملك صونج قشبالوا[1] قلعة روبندز[2]

وفى هذه السنه ظهر امير من امرآء التركمان اسمه صونج ولقبه شمس الدين واسم قبيلته قشبالوا وقوى امره وقطع الطريق وكثر جمعه وكان بين اربل وهمذان وهو ومن معه يقطعون الطريق ويفسدون فى الارض ثم انه تعدى الى قلعة منيعة اسمها سارو وهى لمظفر الدين وقتل عندها اميرًا كبيرًا من امرآء مظفر الدين يعرف بعز الدين الحميدى فجمع مظفر الدين واراد استعادتها منه فلم يمكنه لحصانتها ولكثرة الجموع مع هذا الرجل فاصطلحا على ترك القلعة بيده وكان عسكر لجلال الدين خوارزم شاه يحصرون قلعة روبندز وهى من قلاع اذربيجان من احصن القلاع وامنعها لا يوجد مثلها وقد طال الحصار على من بها فاذعنوا بالتسليم فارسل جلال الدين بعض خوص اصحابه وثقاته ليتسلمها وارسل معه الخلع والمال لمن بها فلما صعد ذلك القاصد الى القلعة وتسلمها اعطى بعض من بالقلعة ولم يعط البعض واستذلهم وطمع فيهم حيث استولى على الحصن فلما راى من لم ياخذ شيئًا من الخلع والمال ما فعل بهم ارسلوا الى صونج يطلبونه ليسلموا اليه القلعة فسار اليهم فى اصحابه فسلموها اليه فسبحان من اذا اراد امرًا سهله هذه قلعة روبندز لم تزل تتقاصر عنها قدرة اكابر الملوك وعظمآيهم من قديم الزمان وحديثه وتضرب الامثال بحصانتها لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يملكها هذا الرجل الضعيف سهل له الامور فملكها بغير قتال ولا تعب وازال عنها اصحاب مثل جلال الدين الذى كل ملوك الارض تهابه وتخافه وكان اصحاب جلال الدين كما قيل رب ساع لقاعد فلما ملكها صونج طمع فى غيرها لا سيما مع اشتغال جلال الدين بما اصابه من الهزيمة ومجىء التتر فنزل من القلعة الى مراغة وهى قريب منها فحصرها فاتاه سهم غرب فقتله فلما قتل ملك روبندز اخوه ثم ان هذا الاخ الثانى نزل من القلعة وقصد

1) Cod. 740 h. l. قشبالوا; postea سونج قسبلوا Ups.: قسبالوا
2) 740: jam روندز jam روندر Ups.. روندر

اعمال تبريز ونهبها وعاد الى القلعة ليجعل فيها من ذلك النهب والغنيمة ذخيرةً خوفًا من التتر وكانوا قد خرجوا فصادفه طايفة من التتر فقتلوه واخذوا ما معه من النهب، ولمّا قُتل ملك القلعة ابن اخت له وكان هذا جميعه فى مدّة سنتين فأُفٍّ لدنيا لا تزال تُتبع فرحة بترحة وكلّ حسنة بسيّئة ۞

ثم دخلت سنه ثمان وعشرين وستمايه،

سنه ٦٢٨

ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم

فى اوّل هذه السنة وصل التتر من بلاد ما وراء النهر الى اذربيجان وقد ذكرنا قبلُ كيف ملكوا ما وراء النهر وما صنعوه بخراسان وغيرها من البلاد من النهب والتخريب والقتل واستقرّ ملكهم بما وراء النهر وعادت بلاد ما وراء النهر انعمرت وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم عظيمة وبقيت مُدن خراسان خرابًا لا يجسر احد من المسلمين يسكنها وامّا التتر فكانوا تغير كلّ قليل طايفة منهم ينهبون ما يرونه بها فالبلاد خاوية على عروشها فلم يزالوا كذلك الى ان ظهر منهم طايفة سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين ما ذكرناه وبقوا كذلك فلمّا كان الآن وانهزم جلال الدين من علآء الدين كيقباذ ومن الاشرف كما ذكرناه سنة سبع وعشرين ارسل مقدّم الاسماعيليّة الملاحدة الى التتر يعرّفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكاينة عليه ويحثّهم على قصده لعيب الضعف ويضمن لهم الظفر به للوهن الذى صاروا اليه وكان جلال الدين سيّئ السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك احدًا من الملوك المجاورين له الّا عاداه ونازعه الملك واساء مجاورته فمن ذلك انّه اوّل ما ظهر فى اصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان فحصر مدينه ششتر وهى للخليفة فحصرها وسار الى دقوقا فنهبها وقتل فيها فاكثر وهى للخليفه ايضًا ثمّ ملك اذربيجان وهى لاوزبك فملكها وقصد الكرج وهزمهم وعاداهم ثمّ عادى الملك الاشرف صاحب خلاط ثمّ عادى علآء الدين صاحب بلاد الروم وعادى الاسماعيليّة ونهب بلادهم وقتل فيهم فاكثر وقرّر عليهم وظيفة من المال كلّ سنة وكذلك غيرهم فكلّ من الملوك تخلّى عنه ولم ياخذ بيده، فلمّا وصلت كتب مقدّم الاسماعيليّة الى التتر يستدعيهم الى قصد جلال الدين بادر طايفة

منهم فدخلوا بلاده واستولوا على الرىّ وهمذان وما بينهما من البلاد ثمّ قصدوا اذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا مَن ظفروا به من اهلها وجلال الدين لا يقدم على ان يلقاهم ولا يقدر على منعهم عن البلاد قد مُلئ رعبًا وخوفًا وانضاف الى ذلك انّ عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته فى طايفة كثيرة من العسكر وكان السبب غريبًا اظهر من قلّة عقل جلال الدين ما لم يُسمع بمثله وذلك انّه كان له خادم خصىّ وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتّفق انّ الخادم مات فاظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يُسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وامر الجند والامرآء ان يمشوا فى جنازته رجّالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدّة فراسخ فمشى الناس رجّالة ومشى بعض الطريق راجلًا فالزمه امرآوه ووزيره بالركوب فلمّا وصل الى تبريز ارسل الى اهل البلد فامرهم بالخروج عن البلد لتلقّى تابوت الخادم ففعلوا فانكر عليهم حيث لم يُبعدوا ولم يُظهروا من الحزن والبكآء اكثر ممّا فعلوا واراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم امرآوه فتركهم ثمّ لم يَدفن ذلك الخصىّ وانّما يستصحبه معه اين سار وهو يلطم ويبكى فامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قُدّم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر احد يقول انّه مات فانّه قيل له مرّة انّه مات فقتل القايل له ذلك انّما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون انّه يقبّل الارض ويقول انّنى الآن اصلح ممّا كنتُ فلحق امرآءه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز عنه مع وزيره فبقى حيران لا يدرى ما يصنع لا سيّما لمّا خرج التتر فحينئذ دفن الغلام الخصىّ وراسل الوزير واستماله وخدعه الى ان حضر عنده فلمّا وصل اليه بقى ايّامًا وقتله جلال الدين وهذه نادرة غريبة لم يُسمع بمثلها ❊

ذكر مُلك التتر مراغة

وفى هذه السنة حصر التتر مراغة من اذربيجان فامتنع اهلها ثمّ اذعن اهلها بالتسليم على امان طلبوه فبذلوا لهم الامان وتسلّموا البلد وقتلوا فيه الّا انّهم لم يُكثروا القتل وجعلوا فى البلد شحنة وعظم حينئذ شان التتر واشتدّ خوف الناس منهم باذربيجان فالله تعالى ينصر الاسلام والمسلمين نصرًا من عنده فما نرى فى ملوك الاسلام مَن له رغبة

فى الجهاد ولا فى نصرة الدين بل كلّ منهم مُقبلٌ على لهوه ولعبه وظُلم رعيّته وهذا اخوف عندى من العدوّ وقال الله تعالى وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً[1] ۞

ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه

لمّا راى جلال الدين ما يفعله التتر فى بلاد اذربيجان وانّهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ويخربون السواد ويجبون الاموال وهم عازمون على قصده وراى ما هو عليه من الوهن والضعف فارق اذربيجان الى بلاد خلاط وارسل الى النائب بها عن الملك الاشرف يقول له ما جينا للحرب ولا للاذى انّما خوف هذا العدوّ حملنا على قصد بلادكم وكان عازمًا على ان يقصد ديار بكر والجزيرة ويقصد باب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على التتر ويطلب منهم المساعدة على دفعهم ويحذرهم عاقبة اهمالهم فوصل الى خلاط فبلغه انّ التتر يطلبونه وهم مجدّون فى اثره فسار الى آمد وجعل اليزك فى عدّة مواضع خوفًا من البيات فجآت طايفة من التتر يقصدون اثره فوصلوا اليه على غير الطريق الذى فيه اليزك فاوقعوا به ليلًا وهو بظاهر مدينة آمد فمضى منهزمًا على وجهه وتفرّق مَن معه من العسكر فى كلّ وجه فقصد طايفة من عسكره حرّان فاوقع بهم الامير صواب مقدّم الملك الكامل بحرّان ومعه العسكر فاخذوا ما معهم من مال وسلاح ودوابّ وقصد طايفة منهم نصيبين والموصل وسنجار واربل وغير ذلك من البلاد فتخطّفهم الملوك والرعايا وطمع فيهم كلّ احد حتّى الفلّاح والكردى والبدوىّ وغيرهم وانتقم منهم وجازاهم على سوٓء صنيعهم وقبيح فعلهم فى خلاط وغيرها وبما سعوا فى الارض فسادًا والله لا يحبّ المفسدين فازداد جلال الدين ضعفًا الى ضعفه ووهنًا الى وهنه بمن تفرّق من عسكره وبما جرى عليهم فلمّا فعل التتر بهم ذلك ومضى منهزمًا منهم دخلوا ديار بكر فى طلبه لانّهم لم يعلموا اين قصد ولا اىّ طريق سلك فسبحان من بدّل امنهم خوفًا وعزّهم ذُلًّا وكثرتهم قلّة فتبارك الله ربّ العالمين الفعّال لما يشآء ۞

---

[1]) Cor. 8, 25.

ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه فى البلاد من الفساد

لمّا انهزم جلال الدين من التتر على آمد نهب التتر سواد آمد وارزن وميّافارقين وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها فبذل لهم التتر الامان فوثقوا منهم واستسلموا فلمّا تمكّن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتّى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم الّا من اختفى وقليل ما هم حكى لى بعض التجار وكان قد وصل آمد انّهم حزروا القتلى ما يزيد على خمسة عشر الف قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت انّ سيّدها خرج ليقاتل وكان له امّ فمنعته ولم يكن لها ولد سواه فلم يصْغ الى قولها فمشت معه فقُتلا جميعًا وورثها ابن اخ للامّ فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى امرًا عظيمًا وانّ مدّة الحصار كانت خمسة ايّام ثمّ ساروا منها الى مدينة طنزه ففعلوا فيها كذلك وساروا من طنزة الى واد بالقرب من طنزة يقال له وادى القُريشيّة فيه طايفة من الاكراد يقال لهم القريشيّة وفيه مياهٌ جارية وبساتين كثيرة والطريق اليه ضيّق فقاتلهم القريشيّة فمنعوهم عنه وامتنعوا عليهم وقُتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم غرضًا وساروا فى البلاد لا مانع يمنعهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردين فنهبوا ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين واهل دنيسر بقلعة ماردين وغيرهم ممّن جاور القلعة احتمى بها ايضًا ثمّ وصلوا الى نصيبين الجزيرة فاقاموا عليها بعض نهار ونهبوا سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى بلد سنجار ووصلوا الى الجبال من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا وعادوا ومضى طايفة منهم على طريق الموصل فوصلوا الى قرية تسمّى المونسة وهى على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل فنهبوها واحتمى اهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كلّ من فيه وحُكى لى عن رجل منهم انّه قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بى وكنتُ اراهم من نافذة فى البيت فكانوا اذا ارادوا قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلمّا فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم رايتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويُغنون بلغتهم يقول لا بالله ومضى طايفة منهم الى نصيبين الروم وهى

على الفراة وهى من اعمال آمد فنهبوها وقتلوا فيها ثمّ عادوا الى آمد ثمّ الى بلد بدليس[1] فتحصّن اهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرًا واحرقوا المدينة وحكى انسان من اهلها قال لو كان عندنا خمس مائة فارس لم يسلم من التتر احدٌ لانّ الطريق ضيّق بين الجبال والقليل يقدر على منع الكثير ثمّ ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من اعمال خلاط يقال لها باكرى وهى من احصن البلاد فملكوها عنوةً وقتلوا كلّ من بها وقصدوا مدينة ارجيش[2] من اعمال خلاط وهى مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا فى ذى الحجّة ولقد حُكى لى عنهم حكايات يكاد سامعها يكذّب بها من الخوف الذى القى الله سبحانه وتعالى فى قلوب الناس منهم حتّى قيل انّ الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية او الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدًا بعد واحد لا يتجاسر احد يمدّ يده الى ذلك الفارس ولقد بلغنى انّ انسانًا منهم اخذ رجلًا ولم يكن مع التترىّ ما يقتله به فقال له ضَعْ راسك على الارض ولا تبرح فوضع راسه على الارض ومضى التترى احضر سيفًا فقتله به، وحكى لى رجل قال كنتُ انا ومعى سبعة عشر رجلًا فى طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا حتّى يكتف بعضنا بعضًا فشرع اصحابى يفعلون ما امرهم فقلت لهم هذا واحد فلِمَ لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلتُ هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعلّ الله يخلّصنا فوالله ما جسر احد يفعل ذلك فاخذتُ سكينا وقتلتُه وهربنا فنجونا وامثال هذا كثير ٭

ذكر وصول طايفة من التتر الى اربل ودفوقا

فى هذه السنة فى ذى الحجّة وصل طايفة من التتر من اذربيجان الى اعمال اربل فقتلوا مَن على طريقهم من التركمان الايوانيّة والاكراد الجوزقان وغيرهم الى ان دخلوا بلد اربل فنهبوا القرى وقتلوا من ظفروا به من اهل تلك الاعمال وعملوا الاعمال الشنيعة التى لم يسمع بمثلها من غيرهم وبرز مظفّر الدين صاحب اربل فى عساكره واستمدّ عساكر الموصل فساروا اليه فلمّا بلغه عود التتر الى اذربيجان اقام فى بلاده

---

1) بدلس 2) ارجيس

[ولم يتبعهم][1] فوصلوا الى بلد الكرخيني[2] وبلد دقوقا وغير ذلك وعادوا سالمين لم يذعرهم احدٌ ولا وقف فى وجوههم فارس وهذه مصايب وحوادث لم يرَ الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويردّ هذا العدوّ عنهم وخرجت هذه السنة ولم نتحقّق لجلال الدين خبرًا ولا نعلم هل قُتل او اختفى لم يُظهر نفسه خوفًا من التتر او فارق البلاد الى غيرها والله اعلم ❁

ذكر طاعة اهل اذربيجان للتتر

فى اوّل هذه السنة اطاع اهل بلاد اذربيجان جميعها للتتر وحملوا اليهم الاموال والثياب الخطائىّ والخويّىّ والعتابىّ وغير ذلك وسبب طاعتهم انّ جلال الدين لمّا انهزم على آمد من التتر وتفرّقت عساكره وتمزّقوا كلّ ممزق وتخطّفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة واربل وخلاط ما فعلوا ولم يمنعهم احد ولا وقف فى وجوههم فارس وملوك الاسلام منجحرون فى الانفاق وانضاف الى هذا انقطاع اخبار جلال الدين فانّه لم يظهر له خبر ولا علموا له حالاً سقط فى ايديهم واذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا منهم من الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التى هى اصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع اليها والى مَن بها فانّ ملك التتر نزل فى عساكره بالقرب منها وارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته ويتهدّدهم ان امتنعوا عليه فارسلوا اليه المال الكثير والتحف من انواع الثياب الابريسم وغيرها وكلّ شئ حتّى الخمر وبذلوا له الطاعة فاعاد الجواب يشكرهم ويطلب منهم ان يحضر مقدّموهم عنده فقصده قاضى البلد ورئيسه وجماعة من اعيان اهله وتخلّف عنهم شمس الدين الطغرائىّ وهو الذى يرجع الجميع اليه الّا انّه لا يُظهر شيئًا من ذلك فلمّا حضروا عنده سالهم عن امتناع الطغرائىّ فقالوا انّه رجل منقطع ما له بالملوك تعلّق ونحن الاصل فسكت ثمّ طلب ان يحضروا عنده من صنّاع الثياب الخطائىّ وغيرها ليستعمل لملكهم الاعظم فانّ هذا هو من اتباع ذلك الملك فاحضروا الصنّاع فاستعملهم فى الذى ارادوا ووزن اهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاة لملكهم ايضًا

[2]) 740: الكرحىى Ups.: الكرجينى [1]) Cod. 740.

فعملوا له خركاة لم يُعمل مثلها وعملوا غشاها من الاطلس المُجبّد الزركش وعملوا من داخلها السمور والقندر فجاءت عليهم بجملة كثيرة وقرّر عليهم من المال كلّ سنة شيًّا كثيرًا ومن الثياب كذلك وتردّدت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم انّهم لا ينصرون خوارزم شاه ولقد وقفتُ على كتاب وصل من تاجر من اهل الريّ كان قد انتقل الى الموصل واقام بها هو ورفقاء له ثمّ سافر الى الريّ فى العام الماضى قبل خروج التتر فلمّا وصل التتر الى الريّ واطاعهم اهلها وساروا الى اذربيجان سار هو معهم الى تبريز فكتب الى اصحابه بالموصل يقول انّ الكافر لعنه الله ما نقدر نَصِفه ولا كثرة جموعه حتّى لا تنقطع قلوب المسلمين فانّ الامر عظيم ولا تظنّون انّ هذه الطائفة التى وصلت الى نصيبين والخابور والطايفة الاخرى التى وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب انّما ارادوا ان يعلموا هل فى البلاد مَن يردّهم ام لا فلمّا عادوا اخبروا ملكهم بخلوّ البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك وعساكر قوى طمعهم وهم فى الربيع يقصدونكم وما يبقى عندكم مقام الّا ان كان فى بلد الغرب فانّ عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم ، هذا مضمون الكتاب فانّا للّه وانّا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة الّا بالله العلى العظيم ، وامّا جلال الدين فالى اخر سنة ثمان وعشرين لم يظهر له خبر وكذلك الى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال والله المستعان ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قلّت الامطار بديار الجزيرة والشام لا سيّما حلب واعمالها فانّها كانت قليلة بالمرّة وغلت الاسعار بالبلاد وكان اشدّها غلاء حلب الّا انّه لم يكن بالشديد مثل ما تقدّم فى السنين الماضية فاخرج اتابك شهاب الدين وهو والى الامر بحلب والمرجع الى امره ونهيه وهو المدبّر لدولة سلطانها الملك العزيز بن الملك الظاهر والمربّى له من المال والغلات كثيرًا وتصدّق صدقات دارّة وساس البلاد سياسة حسنة بحيث لم يظهر للغلاء اثر فجزاه الله خيرًا ، وفيها بنى اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة قلعة عند سلمية وسمّاها شميمس وكان الملك الكامل

لمّا خرج من مصر الى الشام قد خدمه اسد الدين ونصح له وله اثر عظيمٌ فى طاعته والمقاتلة بين يديه فاقطعه مدينة سلميّة فبنى هذه القلعة بالقرب من سلميّة وهى على تلّ عالٍ ، وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهى بين جملة المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها واخذوا منها غنيمة واسرى فسيّر اتابك شهاب الدين اليهم العساكر مع امير كان اقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرًا واستردّ الاسرى والغنيمة ، وفيها توفّى القاضى ابن غنايم ابن العديم الحلبىّ الشيخ الصالح وكان من المجتهدين فى العبادة والرياضة والعاملين بعلمه فلو قال قايل انّه لم يكن فى زمانه اعبد منه لكان صادقًا فرضى الله عنه وارضاه فانّه من جملة شيوخنا سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برويته وكلامه ، وفيها ايضًا فى الثانى عشر من ربيع الاوّل توفّى صديقنا ابو القاسم عبد المجيد بن العجمىّ الحلبىّ وهو واهل بيته مقدّموا السُنّة بحلب وكان رجلًا ذا مُروّة غزيرة وخلق حسن وحلم وافر ورياسة كثيرة يحبّ اطعام الطعام واحبّ الناس اليه من ياكل طعامه ويقبل برّه وكان يلقى اضيافه بوجه منبسط ولا يقعد عن ايصال راحة وقضاء حاجة فرحمه الله رحمة واسعة ۞

ثمّ دخلت سنة تسع وعشرين وستمايةٍ ،

تمّ المجلد الثانى عشر

P. ٦٥ l. 16: + فتثبّط P. ٦٦ l. 4: + فضعف
P. ٧٠ l. 5: + البهلوان L. 13: + والعشرين P. ٧١ l. 16. + مدينة L. 2 inf.: والغور
P. ٧٣ l. 17: + وعسكره L. 4 inf.: + الخوارزميون
P. ٧٤ l. 8: + مما انزل P. ٧٧ l. 8: + وهم المعرفون P. ٧٩ l. 17· + ونوبه

P. ٨٤ l. 11: + فروّجوه P. ٨٩ l. 4 inf.: + غسان
P. ٩٣ l. 5 inf.: + فعال P. ٩٥ l. 5: + المالك L. 4 inf.: + وانرهها
P. ٩٩ l. 7. عن ماردين P. ١٠٣ l 3 inf.: + بن ملكشاه
P. ١٠٤ l. 9: + الى حعو L. 7 inf.· الاوباش

P. ١٠٧ l. 11: + علمتَ P. ١١٠ l. 6 inf.: ارسلا P. ١١٢ l. 3 inf.: + محمّد بن محمّد
P. ١١٤ l. 3: + النعوس P. ١١٥ l. 5 inf.: + واطمعاه L. 3 inf.: معانح +

P. ١١٨ l. 7 inf.: + واخاها P. ١٢٦ l. 13: + فلمّا P. ١٢٧ l. 14: + ابهرم

P. ١٢٩ l. 19: + وقتلهم انّه P. ١٣٠ l. 7 inf.: + مُغنّي

P. ١٣٢ l. 8: + فيساربه[2] L. 14: + بن محمّد
P. ١٣٣ l. 15: + فمه P. ١٥١ l. 7 inf.: + فصار
P. ١٥٥ l. 14: + فسجد P. ١٦٧ l. 5: + شاه

P. ١٧٩ l. 6 inf.: + العورته P. ١٨٧ l. 7: + مساكنهم
P. ١٨٨ l. 7 inf.: + فوقف P. ١٩٠ l. 16: + ٦٠٧

P. ١٩٥ l. 7 inf.. + الاسماعلية P. ١٩٧ l. 8 inf.: + لما

P. ١٩٩ l. 17: + حتّى P. ٢٠٩ l. 11 inf.: + بهرمهم

P. ٢١٩ l. 5 inf.: + المشطوب P. ٢١٧ l. 5 inf.: + معبلًا
P. ٢١٩ l. 8 inf.: + والروزان P. ٢٢٠ l. 8 inf.: + بحصور
P. ٢٢٧ l. 18: + فاطمعاه P. ٢٣٩ l. 5: + ودخل
P. ٢٤١ l. 14: + يدخلها P. ٢٤٥ l. 9 inf.: + العراق

P. ٢٤٨ l. 9 inf.: + المدّة P. ٢٥٧ l. 4 inf.: فقتل
P. ٢٧١ l. 15: + علمه P. ٢٧٩ l. 4: + يشتغل
P. ٢٧٧ l. 10: + الدين P. ٢٨٣ l. 23: + تجاور P. ٢٨٩ l. 3 inf.: ولبس

P. ٢٨٧ l. 17: + واحصر P. ٢٩٣ l. 18: + فلوبهنّ

P. ٢٩٩ l. + فامر ان P. ٣١٣ l. 16: + عمّر P. ٣١٥ l. 4: الجريّة

P. ٢٥٢ l. ult.: + وقالوا   P. ٢٥٤ l. 3: فتخطّفوا
P. ٢٥٧ l. 10 inf.: ماسبذان   P. ٢٦٠ l. 12: + العصل
P. ٢٦٤ l. 13 inf.: لو ان صبرى دوم كاظمة et in hemist. poster. وكظمت
C. P.   L. 10 inf.: بعاوه ib.   L. 8: لى فى صوتى ib.
L. 7: لى فى القدود ib.
P. ٢٦٧ l. 4: + الكنبرة
P. ٢٦٩ l. 7 inf.: + فعلوه ودمذل   L. 5 inf.: + شريف
P. ٢٧٠ l. 2: + فاحترق   L. ٢٧١ l. 1: ونجاح
P. ٢٧٢ l. 2 inf.: + الى
P. ٢٨٢ l. 12 inf.: بعد العصور C. P.   P. ٢٨٣ l. 5 et 13: + عساكره
P. ٢٨٧ l. 10 inf.: + جلال الدين   L. 9 inf.: + ابوه جمال الدين
L. 6 inf.: + خمسًا
P. ٢٨٨ l. 14: حتى اشاهدَ C. P.   L. 3 inf.: تغنى C. P.
P. ٢٨٩ l. 9 inf.: + الى مصر
P. ٢٩٠ l. 3: + عين الحرّ فى   L. 3 inf.: + ارتفاعًا
P. ٢٩١ l. 11: inf.: + واجتمع
P. ٢٩٢ l. 9: + الاولى   L. 10 inf.: + المحرّم
P. ٢٩٤ l. 13: + شديدًا   P. ٣٠٠ l. 11 inf.: + مشهور
P. ٣٠١ l. 6: + وحمله   L. 11: + المسلمين
P. ٣٠٢ l. 11: + ذراعًا   P. ٣٠٩ l. 9: الدردار
P. ٣١١ l. 7: + فقبل
P. ٣١٢ l. 10: + عماد الدين   L. 16: + وان ملكها   L. 17: + فاستحسنرا
P. ٣١٣ l. 8: + سلمتم   P. ٣١٤ l. 15: + مريضة
P. ٣١٥ l. 1: + صلاح   P. ٣١٧ l. 9 inf.: + الجرزنّة
P. ٣١٩ l. 10: + بجزيرة   P. ٣٢٤ l. 14: + ودُفن
P. ٣٢٩ l. 6 inf.: + الجرزنّة
P. ٣٣٥ l. 3: + بعده   L. 6: + وكان
P. ٣٣٨ l. ult.: + زين   P. ٣٤٠ l. 8: + فخذ
P. ٣٤٣ l. 9: بعُونهم   P. ٣٥١ l. 5 inf.: + ونزل

In Volumine XII.

P. ٢ l. 5 inf.: + عند   P. ١٠ l. 20: + النقّابون
P. ١٨ l. 17: + عنه   P. ٢٩ l. 4: + الخندق   L. 2 inf.: + العهد
P. ٣٤ l. 3 inf.: + الظافر خصر   P. ٣٦ l. 1: + السمين   P. ٣٨ l. 17: + نعوت
P. ٤٧ l. 2: + نسمع   P. ٤٨ l. 9: + الاوحال   P. ٦١ l. 3: + فعال

P. ١٦٤ l. 12 et 13 infra cum C. P. deleas verba inde ab عليها usque ad داخل السور   P. ١٦٥ l. 4. + واسر ورده

P. ١٦٦ l. 9: + شيئًا   P. ١٦٧ l. 9: + حرّان   L. 17. + مالًا
P. ١٦٩ l. 11. + خلافته   P. ١٧٠ l. 6: + وارسلت
P. ١٧١ l. 3 + الى احنحته   P. ١٧٢ l. 13 inf.: + ودس   L. 8 inf.. + وابيورد
P. ١٧٣ l. 7 inf.: + وفاة   P. ١٧٧ l. 9. + دطمعه
P. ١٨١ l. 7 inf.: الا ان بدين C. P.   L. 5 inf.: انبدى بالناس Ib. L. 3 inf.: اننا فى الحلم ib.

P. ١٨٢ l. 11 inf.: تخالسك C. P.   Hemist. poster.: الانعصا ib. L. 5 inf. + والحلّه

P. ١٩٠ l. 9 inf.: + يصلّى   P. ١٩١ l. 12 inf.: [امارات] وشهرت عليهم

P. ١٩٢ l. 9: + عاملًا   L. 2 inf.: + هو الذى

P. ١٩٣ l. 3 inf.: + فُنل   P. ١٩٤ l. 5 inf.: + استظلّ
P. ١٩٥ l. 7. + تخطى   L. 8 inf.: + فاستسلموا

P. ١٩٦ l. 7: فلا C. P.   L. 9: بابى ib.   L. 10: مُحال ib.

P. ١٩٨ l. 6: فصل   L. 10 inf.: + حتّى   L. 2 inf.. على الافرنج C. P.   Hemist. poster.: ولنم لاردى ib.

P. ٢٠١ l. 16. وحصر بانياس   P. ٢٠٣ l. 2 inf.: + فصيلًا
P. ٢٠٦ l. 13: + قد   L. 4 inf.: + اخواه
P. ٢١٠ l. 4: + وتقسم   P. ٢١٢ l. 3 inf.. + على

P. ٢١٤ l. 9. + انهزمنا   P. ٢٢١ l. 5: سفوّى   L. 8 inf.: + كان
P. ٢٢٣ l. 3 inf.: نعقل   P. ٢٢٤ l. 12. + اعلموا

P. ٢٢٥ l. 12 inf.: + فلمّا   P. ٢٢٦ l. 1: + الخطر   L. 6 تردّدت

P. ٢٢٩ l. 10: + اخراجه   L. 18: + فتغيّرت بواطن

P. ٢٣٠ l. 8: يركب فيها   L. 11: بابن السبىّ C. P.   L. 12 inf.: آسى ib.   L. 8 inf.. والياس ib.   L. 7 inf.. + لمانعه   L. 2 inf. على الخاصر (cfr. *Abulfedæ* Annales III p. 624).
P. ٢٣٥ l. 7: + السماء   L. 2 inf. + واستفدوا
P. ٢٣٨ l. 1: + برآنه   L. 15: + اولى
P. ٢٤٠ l. 12 inf.: + الاخر   P. ٢٤١ l. 14: + لاعزاز

P. ٢٤٣ l. ult.: + الفقه   P. ٢٤٤ l. 8 inf.: + ايّوب

P. ٢٤٥ l. 4: + تتقول   P. ٢٤٦ l. 9 inf. + ربّما
P. ٢٤٨ l. 8: + يختارون   L. 11: + عليهم
P. ٢٤٩ l. 14: المشارب   L. 16: ايل ارسلان   L. 3 inf.: بادغيس

P. ٩٧ l. 2: نضلعت C. P.
P. ٩٨ l. 8 inf.: ضابت نجومك دوفها ولرما C P. L. 6 inf.: تسمعلى ib.
L. 2 inf.. لجلالعه Ib.
P. ٩٩ l. 1: جعل معدمهم C. P. L. 12: السلبحلين ما افلع ib.
L. 13: كان فيه الى الجبل ib.
P. ١٠٣ l. 4: طغا وبغا عدوا على علاّبه فاوبعه C. P. L. 6· فسرْ واملاء C. P. L. 7: لا قُتّل ib. P. ١٠٤ l. 7. inf.. + جيشا
P. ١٠٥ l. 10 inf.: + علبه
P. ١٠٧ l. 12: فتوح النبى C. P. L. 13: فواطات با حبذا حدبها اىدارها (fort. احديها *Defrémery*) ib. L. 14: وانصار رانك انصارها ib. L. 16: كذلك . . . بالموع ib. L. 17: اذابت +
P. ١٠٨ l. 10 inf.: فاخذوه بغير قتال C. P. et 740.
P. ١١٢ l. 3 inf.: + ملكاها P. ١١٣ l. 4: + تاريجها
P. ١١٥ l. 5: + فمله L. 7 inf.: + بعتذر
P. ١١٧ l. 14: لابرشهر ومصاحًا لداجيه C. P. Lin. 18: + تنهبه
P. ١١٨ l. 3: + اسبرس , P. ١٢٠ l. 1: + فوق
P. ١٢٢ l. 8 inf.: والابنج P. ١٢٦ l. 7 inf.: + فاتّفقا
P. ١٢٧ l. 13 pro واجلس cum Abulfeda legerim واحصر
P. ١٢٨ l. 12 + والجدود L. 14: فاهلك اهلها
P. ١٢٩ l. 12 et p. ١٤٢ l. 13: بعغوبا L. 22: الماهكى
P. ١٣٠ l. 14 أبقّ ابن P. ١٣٢ l. 9 inf.: ولى الخلبعة C. P.
P. ١٣٣ l. 5: ملكشاه [ابن] محمود P. ١٣٥ l. 1: ابرجع
P. ١٣٧ l. 5 inf.: ما زلت تمسكه عناد . . . عوده بالمناد C. P. L. 4 inf.: اعدد ib.
P. ١٣٨ l. 1: حوض C. P. L. 2: حرمًا ib. L. 3: بنسف السبل الرقى ib.
P. ١٤٠ l. 9 inf.: + العساكر P. ١٤١ l. 8 inf.: + للخصر
P. ١٤٢ l. 12 inf.· + وابلدكر P. ١٤٤ l. 5 inf.: + فولّاها اخاه
P. ١٤٥ l. 6 hemist. poster.: الّا تناهما C. P. Lin. 13. لفظ مفوّق ib.
L. 17: وقربك منهم جوده تنابيا ib.
P. ١٤٧ l. 9 inf.: + الجريرة P. ١٤٨ l. 6 inf.: + وفتلوا
P. ١٤٩ l. 5 inf.. فعادا P. ١٥٠ l. 6 inf.: تابوتًا
P. ١٥١ l. 7 inf.. + واخذ P. ١٥٢ l. 7 inf.: + وتعرّقهم
P. ١٥٥ l. 9 inf.: + ختلان L. 4 inf.: + فيمَنْ
P. ١٥٩ l. 3 inf.: ولا نغدر به
P. ١٩٠ l. 5: + على مَن بها P. ١٩٣ l. 12 inf.: جمهور [من]

Addenda et Corrigenda.

Signum + errores notat typothetarum.

In Volumine XI.

Pag. ٢ lin. 4 infra: + نسلم
P. ٤ l. 8: فحموا نفوسهم ورجعوا على حامية C. P. L. 15: اسوار C. P.
P. ٥ l. 11 والاشتغال بامر احربه C. P. L. 5 inf.: وحشد

P. ٦ l. 11: بقلعة روئين در وكان قد تحصّن C. P.

P. ٧ l. 5 et nota 1): + الكعرتونيّ

P. ١٠ l. 5. + التجانس L. 9: وهمّى سّجانى et hemist. poster.
والعوائل بالملام قد سّحاني C. P. L. 11: بسعاد بينهم ib.
L. 14: بنسعب للجمال ib. Lin. 16: صار صغار ى ib.

P. ١٢ l. 4 inf.: + جدّه
P. ١٣ l. 2: (leg. فصالحه (فصالحهم عنها والرحيل دمشق صاحب مصالحة وخطب بدمشق للملك الب ارسلان --- للبلدين يعبنا C. P.
L. 16: وصبر تحت C. P.

P. ٢٣ l. 7 inf.: البدستجيْن P. ٢٧ l. 3: المفشلامىّ C. P.

P. ٢٩ l. 11 inf. et p. ٣١ l. 3: الدركربىّ

P. ٣٤ l. 2 inf.: انشلبّه P. ٣٩ l. 7: بطنّف C. P.
P. ٤٢ l. 1: C. P. verba وبلبس سراويل فتوة منه omittit et pro البه habet عليه

P. ٤٣ l. 4: بغير عناءٍ C. P.

P. ٤٨ l. 10: الى دمشق L. 8 inf.: + ظنًّا
P. ٥٢ l. 9. تعرل P. ٥٩ l. 16: الامير تتر C. P.

P. ٦٤ l. 9: + مهاجرًا L. 14: خربًا C. P. L. 16: مما تكنبى ib.

P. ٧٠ l. 4: حبّ L. 8: وباجة L. 4 inf.: + قد

P. ٧١ l. 3 inf.: + عنّى P. ٧٢ l. 5 inf.: + الشيب

P. ٧٤ l. 11 inf.: بلد P. ٧٩ l. 10 inf.: + وتحدّث
P. ٨٠ l. 4 inf.: ووالله لا اقيله ولا استقيله بعتى C. P.

P. ٨٧ l. 1, 2, 5 et 8: العربة L. 10: + الدّبيسىّ
P. ٨٩ l. 12: لانتنى C. P. P. ٩١ l. 4 inf.: وقد تحلت C. P.

P. ٩٥ l. 4 et 6: انّب Lin. 10: + فتزوّجت Lin. 17 والخطب
Lin. 20: راجعة C. P.

B. L.

Quae de scriptore, ratione operis, variis ejus recensionibus et codicibus, qui in Europa exstant, hic mihi erant dicenda, ea in aliud tempus commodius eo potius differo, quo certius mecum constitui, hanc Ibn-el-Athîri editionem aliquando continuare, vel, si id non licuerit, saltem partem jam editam, totius chronici fere sextam, in latinam convertere linguam. Id solummodo jam animadverto, haec duo volumina, quae, quum neque codices ipsius chronici neque varia Hadji Khalifae exemplaria in libro in tomos dividendo conspirent, cum d'Ohssonio undecimum et duodecimum appellavi, ad manuscripta upsaliensia (catalogi mei CCXXIX et CCXXX) ita exprimenda curavi, ut omnes fere locos, ubi librarius aliquid omiserit aut aperte distorserit, ad codices Parisinos, tam Constantinopolitanum (C. P.) quam cod. 740 collectionis veteris castigarem, adjuvante clarissimo Carolo Defrémery, *qui, quae sua est humanitas et benevolentia, operam et consilium mihi numquam recusavit. Quamobrem de hoc libro vir amicissimus, id quod legentes facillime perspicient, optime meruit. Multa quidem adhuc restant quae non, nisi continua omnium codicum collatione diligenter instituenda, rite sanari possunt; at quamvis editio multis ideo quodammodo manca videatur, tamen momenti, credo, erit haud exigui ad historiam Orientis illustrandam.*

Index errores typothetarum et lectiones variantes, quae post absolutum volumen undecimum mihi Parisiis perveniebant, indicabit. Si quem offenderit numerus erratorum justo major, sciat librum, Upsaliae impressum, non sine magno meo negotio Lundae esse correctum.

Scribebam Lundae mense Aprilis MDCCCLIII.

C. J. Tornberg.

IBN-EL-ATHIRI

CHRONICON

QUOD PERFECTISSIMUM INSCRIBITUR.

VOLUMEN DUODECIMUM IDEMQUE ULTIMUM,

ANNOS H. 584—628 CONTINENS,

AD FIDEM CODICIS UPSALIENSIS, COLLATIS PASSIM PARISINIS

EDIDIT

CAROLUS JOHANNES TORNBERG

L. L. O. O. PROFESSOR R. ET O. LUNDENSIS,
REG. ACAD. LITT. HUMAN. HISTORIAE ET ANTIQUIT. HOLM., REG. SOC. SCIENT. UPSAL.,
SOC. PHYSIOGR. LUND., REG. SOC. SCIENT. NORVEG., SOC. ASIAT. PAR.
ET SOC. ORIENT. GERM. MEMBRUM., NEC NON SOC. ORIENT.
AMERICANAE SOD. HONORAR.

PUBLICO SUMTU

UPSALIAE 1853

EXCUDEBAT C. A. LEFFLER.

PROSTAT APUD T. O. WEIGEL LIPSIAE.

